الموسوعة الإيمانية
من
الخطب والدروس والفتاوى
والأشعار الرمضانية

لأصحاب العلم والفضل

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور أحمد الحجي الكردي

الدكتور محمد راتب النابلسي

الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني

الحبيب عمر بن حفيظ

المفتي أحمد شريف النعسان

جمع وترتيب

مجموعة من طلاب العلم



الموسوعة الإيمانية

من

الخطب والدروس والفتاوى والأشعار الرمضانية

لأصحاب الفضيلة العلماء

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الدكتور أحمد الحجي الكردي

الدكتور محمد راتب النابلسي الحبيب عمر بن حفيظ

الدكتور أبو الهدى الحسيني المفتي أحمد شريف النعسان

جزاهم الله عن الأمة الإسلامية

خير الجزاء

جمع وترتيب

مجموعة من طلبة العلم

فهرس المحتويات

المحتويات

القسم الأول

خطب

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

رحمه الله تعالى

بماذا نستقبل شهر رمضان المبارك

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

إن هي إلا ساعات ويكرمنا الله سبحانه وتعالى بمقدم شهره المعظم، شهر رمضان المبارك، وإنها لهدية ما أعظمَها وما أجلَّها، فما هو أول ما ينبغي أن نستقبل به هذا الشهر المعظم يا عباد الله؟

إنه التوبة، التوبة من سائر الأدران والمعاصي والآثام، أدعو إلى ذلك نفسي، وأدعو إلى ذلك قادة أمتنا لاسيما في هذه البلدة المباركة، وأدعو إلى ذلك المسلمين عامة، أدعوهم جميعاً إلى التوبة النصوح، إلى تجديد البيعة مع الله سبحانه وتعالى، إلى الاصطلاح مع أوامره وشرائعه وأحكامه، أدعو المتظالمين إلى أن يقلعوا عن الظلم أياً كان نوعه وأياً كان مصدره وأياً كان سببه.

أدعو قادة الأمة إلى أن يكونوا – وقد شرفهم الله سبحانه وتعالى بحراسة شعائر هذا الشهر ومعانيه وحقوقه وقيمه – وأدعوهم – وقد شرفهم الله بذلك – إلى حماية شعائر هذا الشهر، في الشوارع، في الميادين، في المحال، في الدوائر، وأُذَكِّرُ نفسي وأذكرهم بأن الله عز وجل أعطى الحرية للإنسان وللمسلم أن يستجيب لأمر الله فيصوم أو ألا يستجيب فيفطر، ولكن لا يجوز أن يجعل من حريته هذه سبباً يمزق به شعائر هذا الشهر، ما ينبغي أن يجعل من حريته هذه أداةً للاستخفاف وللاستهتار بحقوق هذا الشهر.

أدعوا المسلمين عامة إلى أن ينهضوا بحقوق هذا الشهر الذي شرَّفَنَا الله سبحانه وتعالى به.

أما الإمعان في الفتن التي سماها الله سبحانه وتعالى الهرج – أي القتل الذي يتسلسل بعضه من بعض دون مبرر له إلا الغيظ، إلا الثأر، إلا العصبية للمذهب وللطائفة – أما الإمعان بهذا الهرج

– طبقاً للتسمية التي سماها رسول الله –rفما أعلم أن مسلماً آمن بالله ورسوله وقرأ كتاب الله وعرف قيمة هذا الشهر يتوجه إليه بهذه اللطمة السوداء، ما أعلم أن مسلماً آمن بالله حقاً وآمن برسول الله حقاً وتلا كتاب الله سبحانه وتعالى ثم إنه يصر على أن يستقبل هذا الشهر بهذه اللطمة السوداء، وحاشى أن يَسْوَدَّ وجهُ رمضان الأغر لأي سبب من هذه الأسباب كلها يا عباد الله، فكيف إذا علم هذا المسلم بأنه إنما يحقق بهذه الفتنة التي سماها الله عز وجل الهرج إنما يحقق أماني العدوان الخارجي، إنما يستجيب للعدوان الخارجي المعلن والذي يهدف إلى اجتثاث الإسلام من أرضه ويهدف إلى اغتصاب الحقوق والثروات من أصحابها. كيف يتأتى للمسلم أن يستجيب لهؤلاء الذين يمعنون في العمل على إهلاكه وإهلاك أمته ثم إنني أعلم أنهم يهدفون إلى اجتثاث هذا الدين الذي شرفني الله عز وجل به، يهدفون إلى اجتثاثه من الأرض، والذي قرأ تقرير وليم كليفورد الذي يعلن عن هذه الغاية يعلم حقيقة ما أقول ويعلم أنني لست مبالغاً ولا مفتئتاً.

مسلمون ويحاولوا أن يلطموا أَلَقَ هذا الشهر بهذه الفتنة التي سماها رسول الله r الهرج؟!

مسلمون ويبايعون برنارد ليفي بدلاً من أن يبايعوا رسول الله r أو أن يبايعوا قِيَمَ هذا الشهر وحقوق هذا الشهر بل بدلاً من أن يبايعوا الله سبحانه وتعالى ويجددوا البيعة له، كيف؟!

مسلمون وتمتد أيديهم حكماً أو حقيقة إلى مبايعة، أجل برنارد ليفي ذي الشخصيتين المزدوجتين الإسرائيلية والفرنسية – هذا الذي يراهن على المصير الذي ينتظره لهذه البلدة الواحدة؟!

من هو هذا المسلم الذي يرضى أن يجعل من نفسه جنداً لهذا العدوان الخارجي العجيب الذي يهدف إلى تحطيم هذه الكتلة الواحدة لأمتنا في هذه البلدة المباركة ليحيلها إلى مُضَغٍ، إلى لقيمات تُمْضَغُ ثم تُبْتَلَع؟!

مسلمون ويُعَبِّدُون الطريق أمام هذا وأمثاله – ولا أريد أن أعيد ذكر هذه الأسماء – يُعَبِّدُون الطريق علانية أمام هذا وأمثاله للكيد لهذه الأمة متحققاً في دينها ودنياها معاً؟! لا يتأتَّى هذا.

وأنا أقول – يا عباد الله – مسلمون ويمعنون في هذا؟! هذا مستحيل.

بين شهر رمضان الذي ابتعثه الله سبحانه وتعالى وعاء رحمة، وعاء تراحم وعتق من عذاب الله وبين هذا العمل الأرعن تناقض حاد لا يمكن أن يتحقق. ولكني أقول لهؤلاء الإخوة: كثيراً ما ينحط أحدنا وهو مسلم، وهو مؤمن بالله عز وجل في غفلات من جراء رعونات، من جراء أزمات نفسية، من جراء بطالة، من جراء أطياف شقاء تطوف بالرؤوس، كثيراً ما ينسى أحدنا هويته الإيمانية فيمعن وهو ناسٍ لحقيقته في السير في طرق من هذا القبيل لكنه سرعان ما يعود، سرعان ما يتذكر ولئن لم يوجد ما يذكره فيكفي أن يكون له من هذا الشهر – شهر الله عز وجل – ما يذكره من نسيان وما يوقظه من غفلة، أجل إنني لأتصور ولا أتخيل، أتصوره حقيقة أن هؤلاء الإخوة سيستيقظون من غفلاتهم وستستيقظ فطرة الإيمان بين جوانحهم ولسوف يؤوبون ويتوبون وإن لسان حال أحدهم ليقول:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه : ٨٤].

لسوف يؤوبون خاضعين مطأطئي الرؤوس لقرار الله القائل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠].

ولسوف يخضعون سلوكهم لأمر الله القائل:

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات : ١٠].

ليس بين التيه الذي يقع أحدنا فيه وبين الاصطلاح مع الله إلا لحظات، التفاتة يلتفتها الإنسان إلى الله وإذا بالكرم الإلهي يقول له: أقبل فأنت مقبول.

أقول لهؤلاء الإخوة: إن كانت الأزمة بطالة، إن كانت الأزمة نفسية فأنا أبشركم وأطمئنكم بأنكم إن أقبلتم إلى الله وجددتم الاصطلاح معه وجددتم التوبة إليه والإيمان به فلسوف يغنيكم من فقر ولسوف يعطيكم بعد منع ولسوف يحقق لكم رغد العيش وطمأنينة النفس، ربنا هكذا يتعامل مع عباده، إن خطوت إلى الله خطوة أقبل إليك الله سبحانه وتعالى ذراعاً، وإن أقبلت إليه ذراعاً أقبل الله عز جل إليك باعاً، أقول هذا لهؤلاء الإخوة وإنني لأعتقد أن كلامي هذا سيوقظ كوامن الفطرة الكامنة بين جوانحهم، وإنهم لإخوة مؤمنون بالله سبحانه وتعالى فيما أعتقد.

أما نحن – يا عباد الله – فأذكركم بما صح عن رسول الله r إذ قال: (عبادة في الهرج كهجرة إلي).

العبادة أثناء الفتن تتضاعف قيمتها، تصبح قيمتها كقيمة من هاجر من مكة إلى المدينة فراراً من دار الكفر لحاقاً برسول الله r.فإذا عرفتم هذه الحقيقة فأنا – يا عباد الله – أدعو نفسي ثم أدعوكم جميعاً إلى أن تضاعفوا من طاعاتكم وعباداتكم في هذا الشهر.

من كان منكم يصلي التراويح ثمانية فليصلها في هذا الشهر عشرين كاملة، ومن كان لا يصليها أو يصليها في بيته فليخرج وليشهد الجماعة وليصلها جماعةً في المساجد التي تتألق بعبادة الله عز وجل.

ومن كان يتلو من كتاب الله عز وجل صفحات فليتل في كل يوم من كتاب الله جزءاً ومن كان يتلو منه الجزء الكامل فليتله جزأين.

وإذا كانت الشوارع في ليالي رمضان تفيض وتتألق بالساعين والساعيات إلى بيوت الله لكي يركعوا ويسجدوا ويؤوبوا ويتوبوا إلى الله فلتضاعف كمية هؤلاء الذين تتألق بهم الشوارع والطرق المؤدية إلى بيوت الله عز وجل.

إياكم وأن تصبح المساجد موحشة في ليالي رمضان، لا أتخيل ذلك أبداً، لا أتصور ذلك أبداً، وإن ربنا لأرحم بنا من أن يدع سبيلاً من السبل يحقق هذا الذي أقول، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا منه.

وإذا وفقنا الله فأدينا حقوق هذا الشهر قياماً في لياليه فلنعد بعد ذلك دون أن نلوث إقبالنا إلى الله بشيء من الشوائب، نعود إلى بيوتنا من حيث جئنا، جئنا وقلوبنا طاهرة لا نرضى إلا بقبول من الله يتنزل علينا من عليائه، ونعود إلى بيوتنا ونحن لا ننتظر إلا هذا القبول. إياكم وأن تُسْتَدْرَجُوا إلى الكمين، لقد تبين أنها عبارة عن دعوة إلى كمين ولقد رأيتم ما وراء الكمين، إنها خطة برنارد ليفي أيها الإخوة، إياكم يا عباد الله. ولقد علمتم – وهذا حكم لا أعلم فيه خلاف – أن أي

تظاهرة من هذا القبيل تكون ذريعة إلى هذه الفتنة فإنها محرمة قولاً واحداً بقرار من كتاب الله، وببيان من رسول الله، وبإجماعٍ من العلماء والمسلمين عامة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

بين يدي شهر رمضان المبارك

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، أما بعد فيا عباد الله في مثل هذه الأيام وقبل حلول شهر رمضان المبارك بأيام قليلة وربما بساعات خَطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة جامعة فيما يرويه ابن خزيمة في صحيحه من حديث سلمان الفارسي كان في مقدمة خطابه قوله: (أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله سبحانه وتعالى صيامه فريضة وجعل قيامه نافلة، جعل الله سبحانه وتعالى توجه العبد إلى الله بخصلة من خصال الخير بمثابة أداء فريضة في سواه والتقرب إلى الله عز وجل فيه بفريضة كالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بسبعين فريضة فيما سواه ، عباد الله إن هذا الذي خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إنما خاطب به الأجيال كلها من خلال أصحابه البررة الذين كانوا يصغون إلى حديثه، وخطابه الذي قاله في مثل هذه الأيام يتضمن بيان أن هذا الشهر المبارك ينطوي على حقين اثنين مثبتين في عنق كل من آمن بالله وآمن برسله وكتابه، أما الحق الأول منهما فالقيام بالعبادات المتميزة عن غيرها في هذا الشهر المبارك وفي مقدمتها صيام أيامه وقيام لياليه، وقد نبه البيان الإلهي إلى هذا الحق بقوله في محكم تبيانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة:١٨٣] إلى آخر الآيات، أما الحق الثاني فهو رعاية حرمة هذا الشهر ورعاية شعائره وعدم التعرض لشعائر هذا الشهر وقدسيته وحرمته بأي سوء وبأي ما يجرح أو يسيء أو يؤذي وقد نبه البيان الإلهي إلى هذا الحق الثاني ألا وهو رعاية شعائر هذا الشهر إذ قال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً

لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة: من الآية١٨٥]، الآية الأولى نبه فيها الله عز وجل إلى حق العبادة الكامن في أعناق الناس في هذا الشهر أما الآية الثانية فنبه الله عز وجل فيها إلى شعائر هذا الشهر وضرورة حراسته وعدم التعرض لحرمته وشعائره بأي سوء وصدق الله القائل: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج:٣٢]، تعالوا يا عباد الله نقف وقفة قصيرة أمام كل من هذين الحقين الذي ينطوي عليهما هذا الشهر المبارك، العبادة المتميزة فيه عن العبادات الأخرى ما هي؟ هي الصوم أولاً يا عباد الله، وفيم تميز الصوم عن العبادات الأخرى حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا في الحديث القدسي المتفق عليه: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به ، من أين انبثق هذا الفرق الكبير بين الصوم وبين العبادات الأخرى؟ سائر العبادات الأخرى عبادات ظاهرة تتلبس بالأعضاء حركة ذهاباً، إياباً، قياماً، قعوداً، أعمال مجلوة أمام الأبصار ومن ثم فإن قيادة هذه الطاعات وهذه العبادات بيد صاحبها، بإمكانه أن يجعلها صافية عن الشوائب وأن يتوجه بها إلى هدف واحد هو استنزال مرضاة الله فقط وبإمكانه أن يجعلها مطية لمغانمه ومصالحه وأهدافه الدنيوية أي بإمكانه أن يجعل أعماله كلها مرآة للناس، أما الصوم فهو عبادة سلبية لا يتراءى فيها شيء أمام الأنظار ومن ثم فإن الرياء لا يمكن أن يتسرب إلى صوم حقيقي صامه الإنسان من الصباح إلى المساء، لا يتأتى ذلك، المرائي الذي يري الناس أنه صائم سرعان ما يدخل إلى داره ويغلق الباب وراءه ويأكل ويشرب كما يشاء ومن ثم فهو ليس بصائم، أما ذاك الذي يصوم حقاً ويمسك عن الطعام والشراب من لمعة الفجر إلى المساء فلا يمكن إلا أن يكون عمله لله سبحانه وتعالى، هذا معنى حبيبنا المصطفى في الحديث القدسي يروي عن الله: (كل عمل ابن آدم له أي هو الذي يقوده، بإمكانه أن يجعله صافياً من الشوائب وبإمكانه أن يجعله مطية لرغائبه الدنيوية (إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به وإنني لأسأل الله لي ولكم أن يوفقنا لأداء هذه العبادة المتميزة عن سائر العبادات الأخرى على النحو الذي يرضيه وأسأله عز وجل أن يقلبها هدية منا ترتفع إلى علياء ربوبيته، تعالوا بنا إلى الحق الثاني، الحق المتمثل في حماية شعائر هذا الشهر، في حماية قدسية هذا الشهر، يتجلى واجب هذه الحماية الذي أناطه الله بأعناقنا يا عباد الله في أن ننبه أنفسنا وإخواننا جميعاً إلى أنه ما ينبغي أن تكون هنالك مجاهرة بالإفطار في الأسواق، في الميادين، في المرافق العامة

المختلفة، المعصية التي يرتكبها الإنسان بينه وبين ربه سرعان ما يتوب الله عز وجل على فاعلها أما المعصية التي يجاهر بها الإنسان الناس بل يجاهر بها ربه فهي معصية خطيرة جداً تستنزل غضب الله عز وجل ربما لا على هذا المجاهر فقط بل الأمة كلها التي يوجد فيها هؤلاء المجاهِرون المُسْتَهْتَرُون، ينبغي أن يقال لهؤلاء المجاهرين، ينبغي أن يقال لكل واحد منهم يا هذا بوسعك أن تدخل دارك فتمارس معصيتك كما تشاء بينك وبين ربك ولربما غفرها الله لك أما أن تصر على أن تجاهر بهذه المعصية أمام الناس فإنه لون من أشنع ألوان الاستكبار على الله سبحانه وتعالى، ينبغي أن نتعاون جميعاً على أن نطهر أسواقنا، مرافقنا، ميادينا من هذه المجاهرة التي تستنزل غضب الرب، المظهر الثاني الذي تتجلى فيه حماية قدسية هذا الشهر وحماية شعائره هي ضرورة ألا يستعلن أصحاب المقاهي وأصحاب المطاعم بأنشطتهم المخالفة لهذا الشهر، المخالفة للعبادة الأولى المتميزة في هذا الشهر، مقاهٍ تُنْثَر مناضدها وكراسيها أمام الناس، أمام الغادين والرائحين والكل ينظر إلى مظاهر اختراق الناس لعشيرة هذا الشهر، ينبغي ألا يستعلن هؤلاء الناس بأنشطتهم هذه في هذا الشهر، وأنا لا أقول ينبغي إغلاق المطاعم، هنالك مرضى وهنالك سائحون ومسافرون ولكن ينبغي أن تُحْجَزَ النوافذ والأبواب لهذه المطاعم عن رؤية الرائين، ينبغي أن تحجب هذه المطاعم وأن يحجب دخائلها عن رؤية الناظرين الذاهبين والآيبين، هذا مظهر من مظاهر حرمة الشعائر {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج:٣٢]، شيء ثالث لا تتكامل رعاية شعائر هذا الشهر إلا به، لا تتكامل حماية قدسية هذا الشهر مظهراً إلا به هو ضرورة تنبيه أصحاب الأندية الليلية إلى أن يضعوا شيئاً من الكوابح بينهم وبين غضب الله عز وجل في هذا الشهر المبارك، الأندية الليلية نحن لا نتحدث عنها في الأوقات العامة ولكن لابد أن نُذَكِّرَ أنفسنا ونذكر إخواننا جميعاً تذكرة تنبثق من حب، تذكرة تنبثق من غيرة نقول لهم أيها الإخوة في هذا الشهر المبارك أعرضوا عن نواديكم، توجهوا إلى الله، أصلحوا ما بينكم وبين الله، اجعلوا بينكم وبين الله إن لم أقل جسراً، اجعلوا بينكم وبين الله خيطاً لعل هذا الخيط يفيدكم عند الموت، لعل هذا الخيط يشدكم إلى رحمة الله عند الفوت، عند الرحيل من هذه الحياة الدنيا، ما لهذه النوادي تتكاثر ثم تتكاثر في ضواحي شامنا القدسية العزيزة، أيها الإخوة ينبغي ألا نُحَمِّلَ مسؤولياتنا مشاجب غيرنا {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

[الأنعام: من الآية١٦٤ ، إنها مسؤولية كل فرد فرد فرد، أقولها لنفسي وأقولها لكم وأقولها لسائر الإخوة ينبغي أن نتقي غضب الله، هذا الذي أقوله لكم إن لم ننتبه إليه وإن لم نراعي شعائر هذا الشهر والقدسية المتلألئة لهذا الشهر فإننا نستنزل بذلك غضب الله وإذا تعرضت الأمة لغضب الله فحدث عن المصائب التي قد يبتليها الله سبحانه وتعالى من جراء هذا الغضب ولا حرج، نحن أمة نعاني من مشكلات، نحن في شامنا هذه متعَرَّضُون لكل أنواع الأذى بسبب مواقفنا الصامدة، بسبب استقامتنا على الواجب القدسي الذي أمر الله عز وجل به والذي تستلزمه حماية الأمة، حماية الأرض، حماية العرض، حماية حرية الذات ومن ثم فإن الخطط الرامية إلى الإيقاع بنا كثيرة يا عباد الله، ما الخلاص منها؟ لابد من القيام بالواجبات المادية والإعداد كما قال الله {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [لأنفال: من الآية٦٠ لكن ذلك كله بمثابة الجسد، أرأيتم إلى جسد انفكت عنه روحه ماذا عسى أن يصنع هذا الجسد، روح هذه الجهود كلها إنما تتمثل في الالتجاء إلى الله، تعالوا بنا يا عباد الله نهتبل فرصة هذا الشهر المبارك نطرق باب الله بذل العبودية له وقد أُبْنَا جميعاً إليه واصطلحنا جميعاً معه وجددنا البيعة لمولانا الأجل الأوحد على كل المستويات، على كل الأصعدة نتضرع إليه، كلنا عبيد، كلنا مملوكون لله عز وجل نستنزل نصره، نستنزل رضاه، نستنزل إكرامه، نتعرض لاستجابته للدعاء، وشهر رمضان شهر الاستجابة للدعاء أيها الإخوة، هما ثلاث آيات، الآية الأولى أمر الله سبحانه وتعالى فيها العباد بأداء حق العبادة في هذا الشهر، الآية الثانية أمر الله سبحانه وتعالى فيها عباده بحماية قدسية هذا الشهر، بحماية شعائر هذا الشهر، أما الآية الثالثة فهي بشارة من الله للعباد، هي هدية من الله للعباد عندما يصومون وعندما يرعون حق هذا الشهر {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة:١٨٦ ، انظروا إلى تساوق هاتين الآمرتين ثم انظروا إلى الهدية التي يكرمنا الله عز وجل بها عندما نؤدي الواجب الأول ونؤدي الواجب الثاني، الدعاء مستجاب، الالتجاء إلى الله عز وجل مجاب، التجئوا إلى الله بصدق، أقولها لنفسي وأقولها لكم وأقولها لأمتنا جمعاء بدءاً من قادتنا إلى القاعدة الشعبية فيها تعالوا إلى باب الله {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذريات: ٥٠ ولسوف تجدون

مظاهر التوفيق، مظاهر الحماية، مظاهر التأييد بكل أنواعه يكرم الله عز وجل بها هذه الأمة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

رمضان بشير ونذير، وإعراض الأمة عنه خطير، ولا ندري ما نفاجأ به في الغد القريب

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍ أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد؛ صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم . أيها المسلمون . ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعد، فيا عباد الله:

لقد صح أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان كلما أَهَلَّ هذا الشهر المبارك؛ اختطب الناس وقال لهم: ((لقد أظلكم شهر عظيم، فرض الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

حسبكم دليلاً على أهمية هذا الشهر بين شهور العام هذا التنويه الذي يكرره المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لا على أسماع أصحابه فقط، بل على أسماع أمته كلها. فكيف وهو الشهر الأوحد الذي ذكر الله اسمه في كتابه المبين. اختص الله سبحانه وتعالى هذا الشهر المبارك – شهر رمضان – بأن خلَّد اسمه في كتابه المبين.

ولكني أيها الإخوة لا أريد أن أكرر الحديث الذي يتردد على أسماعكم في كل عام في مثل هذه الأيام عن أهمية هذا الشهر المبارك، تلك الأهمية التي تتجلى في رحمات الله، وفي غفرانه، وفي عتقه، وفي صفحه عن الكثير والكثير من الشاردين والآثمين والمبتعدين عن صراطه، فهذا كلام مكرر مُعاد، ولعلكم جميعاً سمعتموه في مناسبات وأحاديث تقليدية متكررة.

إنما أريد أن ألفت النظر إلى شيء آخر؛ كما أن لهذا الشهر بركات تتنزل من عند الله سبحانه وتعالى، تتمثل في هذا الذي عرفتموه وسمعتموه مراراً؛ فإن له آفات أخرى ينبغي أن يتوقى الإنسان من الوقوع فيها. وهي ليست آفات آتية من هذا الشهر الذي نَوَّه به كتاب الله سبحانه وتعالى، ورفع شأنه المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولكنها آفات تأتي من سوء استقبال المسلمين لهذا الشهر.

شهر رمضان بمثابة سلاح ذي حدين؛ فهو مثابة عفو ومغفرة وصفح واصطلاح مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثمَّ فهو سبب عتق للنفوس، وسبب إذهاب ومحو للآثام والذنوب، ولكن لمن عرف قيمة هذا الشهر، ولمن استقبله على النحو الذي طلب الله سبحانه وتعالى منا، وعلى النحو الذي سَنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا.

أما أولئك الذين يعرضون عن حقوق هذا الشهر وينحطون في مزيد من اللهو، ومزيد من المتاهات، ويظلون عاكفين على غِيِّهم وعلى شرودهم عن صراط الله سبحانه وتعالى فَلْنَعْلم أن هذا الشهر بالنسبة لهم آفة وأيُّ آفة. ونحن نعلم أن الأزمنة التي ميزها الله سبحانه وتعالى عن الأزمنة الأخرى تحمل للناس أمرين اثنين؛ تحمل لمن استقبلها كما ينبغي متأدباً بآداب الإسلام تحمل في طياته البشرى، وتحمل لمن استخف بها واستهان بها وظل مُعْرِضاً عنها تحمل له الآفات، بل تحمل له ربما المصائب والابتلاءات.

ونحن أمة نسير من حياتنا في منعطف خطير؛ تتمطر علينا المصائب من كل جهة، وتهددنا الرزايا من جهات ومن فئات عدة، ما أحوجنا ونحن نسير في هذا المنعطف إلى أن نعلم حقوق هذا الشهر، وإلى أن نعلم الواجبات التي يخاطبنا الله عز وجل للقيام بها في هذا الشهر؛ كي نجني ثمار هذا الشهر التي حدثنا عنها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ولكني أنظر فأجد أن عالمنا الإسلامي ينقسم في استقباله لهذا الشهر إلى شطرين اثنين:

شطر – لعله الأقل – يستقبل هذا الشهر استقبالاً عظيماً كما أمر الله سبحانه وتعالى، يعود إلى مولاه وخالقه، يؤدي الواجبات التي كلفه الله عز وجل بها خلال هذه الأيام جُهد استطاعته.

وأما الشطر الآخر – ولعله الأكبر والأهم، من حيث الكم والكيف – فهو ذاك الذي ينحط في لهوه، بل يزيد إلى اللهو لهواً ينحط في مجونه، بل يزيد إلى المجون مجوناً، يعكف على غَيِّه، يعكف على شروده. ولعله إن ذُكِّر بهذا الشهر استخف به، وأرجو أن أكون مخطئاً إن قلت لكم: إن هذا هو الشطر الأعظم في كَمِّه، وهو الأخطر في كيفه.

كم وكم هنالك مسلمون على شتى المستويات – وأنا لا أستثني فئة – بدءاً من القمم إلى القاعدة الشعبية، كم من مسلمين لا يشعرون بمقدَم هذا الشهر، بل أقول يشعرون بمقدَمه من أجل أن يزيدوا إلى لهوهم فنوناً أخرى من اللهو، ومن أجل أن يزيدوا إلى المُنْسيات التي يجمعونها من حولهم مزيداً من المنسيات يتفننون فيها ويبدعونها. ولكأني بهذه الآية في كتاب الله عز وجل إنما نزلت في حق هؤلاء: {وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ، وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: ٣١/٦–٧]. لكأن هذه الآية إنما نزلت في حق هؤلاء الذين يحجبون أنفسهم عن أهمية هذا الشهر، وعن معاني هذا الشهر، وعن تجليات الله على عباده في هذا الشهر، يحجبون أنفسهم عن هذا كله بمزيد من اللهو ينحطون فيه، وكلكم يعلم ما أعني.

أنا لا أقف عندما تُحشى به أجهزة الإعلام في هذا الشهر فقط، بل أتحدث عما وراء ذلك أيضاً مما يجري في البيوت من سهرات، وأنتم أدرى بطبيعتها وبمعانيها، ولا أتحدث عن فئة معينة من الناس، فكل هذه الكتلة التي تسمى أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم كتلة واحدة. لا فرق بين قائد، وبين مسؤول، وبين تاجر كبير، وبين موظف عظيم، وبين ضابط خطير، وبين عامة الناس جميعاً، كلنا أمة واحدة، والعذاب الذي يتهددنا اليوم في منعطفنا الذي نسير فيه يتهددنا جميعاً. أين هو حُسن الاستقبال لهذا الشهر؟ وكيف نتوقَّى هذا الذي يحذرنا الله عز وجل منه؟ وكيف نبتعد عن الوقوع في طائلة هؤلاء الذين يعنيهم بيان الله سبحانه: {وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ}

[لقمان: ٦/٣١]. هذا الكلام ينطبق تمام الانطباق على ما يجري في هذا الشهر؛ أفانين من اللهو تُشْتَرى، وأفانين من العكوف على الغي يتم التفنن بها ويتم ابتداعها. لماذا؟ احتفاءً بهذا الشهر المبارك، احتفالاً بمقدم هذا الشهر. كم من أناس يسهرون الليل ولا يعلمون كيف يُقَطِّعون ساعاته. بماذا يُقَطِّعونه؟ بألوان من الغيّ، بألوان من أسباب الابتعاد عن الله عز وجل وأسباب الابتعاد عن رحمته سبحانه وتعالى، هذا شيء.

شيءٌ آخر: حقوق هذا الشهر أيها الإخوة عظيمة، والشعار الذي يحمله الرب ويضعه في هذا الشهر ويُحَمِّلُنا مسؤولية حراسته ورقابته كبيرة. فأين هم الذين يحترمون شعار هذا الشهر الذي تَوَّج الله سبحانه وتعالى هذا الشهر به؟ أنا أقولها لكم – وكلكم يعلم – عندما يدخل الواحد منكم في هذا الشهر إلى أي دائرة من الدوائر، إلى أي وزارة من الوزارات ينبغي أن يعلم، بل ينبغي أن يرى شعار هذا الشهر يتلألأ، ومعناه العظيم المتنزل من رب العالمين يبزغ كما تبزغ الشمس من مشرقها. ولكننا ننظر فنجد أن شعار هذا الشهر غائب، وأن قيمة هذا الشهر ممحوَّة، وأن الأشربة كلها تُقَدَّم تماماً كشأنها في كل الأيام وفي كل الشهور والأوقات. أين هي قيمة هذا الشهر؟ مطوِيَّة. أين هو سلطان هذا الشهر المتنزل من علياء الربوبية؟ مرمي وراء الظهور. ونحن – مرة أخرى أقول لكم – مُهَدَّدون؛ مُهَدَّدون في ثرواتنا، مُهَدَّدون في أوطاننا، مهددون في حقوقنا عامة، مهددون في البقية الباقية من قِيَمِنا. وأنا أقول لكم – إن كنتم لا تعلمون سببَ هذا التهديد والمصدر الحقيقي لهذا التهديد–: سببُ هذا التهديد أننا ضَيَّعْنا الأمانة، خُنَّا الرسالة. لما فعلنا ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى إلينا من يحيط بنا، ومن يتهددنا، ومن يستخف بشأننا. وما كان لهؤلاء الناس أن يتهددوا أمة المصطفى أبداً لو أنها كانت على العهد، لو أنها كانت لا تزال تسير على الصراط.

لذا أيها الإخوة لا أريد أن تَحْصِروا أفكاركم وأعينكم في المشاهد الرائعة التي تعودون بها في كل مساء، وأنتم مُنْتَشُون تحمدون الله عز وجل عليها، إذ تجدون الناس زرافات ووحداناً يتجهون سراعاً إلى بيوت الله سبحانه وتعالى للقيام الذي نَدَبنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا تحصِروا أبصاركم في هذه المشاهد الحلوة فعلاً؛ عندما تجدون النساء والرجال جميعاً وقد تركوا

بيوتهم مُهْرَعين إلى بيوت الله؛ ليتجهوا إلى الله سبحانه وتعالى رُكَّعاً سُجَّداً. هذه شريحة، هذا شطر من الأمة، تأملوا في الشريحة الأخرى.

تأملوا في الواقع الآخر، تأملوا في الطبقات الأخرى من أمة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتساءلوا أين هي حقوق هذا الشهر في حياتهم؟ أين هو التبتل في الليل يتجهون به إلى الله سبحانه وتعالى؟ أين هو الاصطلاح مع الله سبحانه؟ أين هو الرجوع إلى محراب العبودية يقول الواحد منهم: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: ٢٠/٨٤] كنتُ تائهاً واليوم ها أنا اليوم عائد إليك؛ أستغفرك وأتوب إليك؟ اِبحثوا بأبصاركم وبصائركم عن هؤلاء الناس، لن تجدوا، ولسوف تجدون في مكان ذلك ما يتهدَّدُنا في البقية الباقية من أَمْنِنا، في البقية الباقية من ممتلكاتنا المعنوية والمادية.

هذا المعنى هو الذي أعنيه عندما قلت لكم: إن شهر رمضان سلاح ذو حدين؛ فهو يَفِد إلى الأمة يحمل البشارة بيد ويحمل النذير باليد الأخرى. يحمل البشارة للأمة إن استقبلت هذا الشهر تائبة، نادمة، مصطلحة مع الله بِجِد وبصدق لا بكلمات تقليدية. وتحمل النذير لمن يستخف بهذا الشهر ولمن يرى فيه مناسبة لكلمات تقليدية تعاد، لمن يرى فيها مناسبات تقليدية لعمل يعاد ويكرر يُنْشَر في هذا الشهر ويُطوى إذا غاب هذا الشهر.

أقول هذا لأنني لا أعلم ما الذي قَدَّره الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، ما الذي قضاه الله سبحانه وتعالى مما يمكن أن نُفَاجأ به في الغد القريب، أهي رحمة سيرحمنا الله بها وإن لم نكن أهلاً لها؟ أم هو عقاب عاجل بسبب إعراضنا، بسبب استخفافنا بالمواسم الإسلامية المُعَظّمة عند الله والمستهان بها في مجتمعاتنا؟

أسأل الله سبحانه وتعالى اللطف، أسأله سبحانه ألاَّ يعاملنا بما نستحق، وأسأله سبحانه أن يُوَجِّه قلوب هذه الأمة جمعاء إلى حظيرة قُدْسِه، وأن يعيدها إلى محراب التبتل بين يديه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

حقوق شهر رمضان على المجتمع

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

حقيقة لَفَتُّ إليها الأنظار بالأمس وأرى أن من الخير أن ألفتَ إليها أنظاركم أنتم أيضاً اليوم، ولعلي سأعيد بيان هذه الحقيقة وسألفت الأنظار إليها في كل مناسبة خلال شهر رمضان المبارك هذا. شهر رمضان الذي وفد إلينا من جديد هو ضيف كما تعلمون وفد إلينا من عند رب العالمين سبحانه وتعالى وإنه لمن المعلوم أن من شأن أولي المروءات وأصحاب الشهامة أن يكرموا ضيوفهم الإكرام اللائق بشهامتهم، الإكرام اللائق بمشاعرهم الإنسانية وبمروءاتهم فكيف عندما يكون هذا الضيف وافداً إلينا من لدن رب العالمين سبحانه وتعالى. أنا لا أريد أن أحدثكم في هذه المناسبة عن الحقوق التي أناطها الله عز وجل في أعناق الأفراد أمام مَقْدَمِ هذا الضيف، هذا الشهر المبارك الذي خلَّدَ القرآن اسمه كما لم يذكر اسم أي شهر آخر من أشهر العام، لن أتحدث عن حقوق هذا الشهر في أعناق الأفراد، الصيام معروف، واجب أناطه الله في عنق كل فرد فرد منا، قيامه الذي ندبه إلينا رسول الله، قيام ليله معروف، الإقبال فيه إلى الأذكار وإلى الإكثار من تلاوة القرآن أيضاً معروف والابتعاد فيه عن المحرمات كل ذلك أمر معروف ولكني أريد أن أحدثكم عن حقوق هذا الشهر على المجتمع، وإنما أعني بالمجتمع الشخصية الاعتبارية كما يُعَبِّرُ القانونيون، أعني بالشخصية الاعتبارية للمجتمع أسواقه، شوارعه، ميادينه، حوانيته، دوائره الرسمية، أبهاء الفنادق التي فيه، هذا ما أعنيه بكلمة المجتمع، والمجتمع بهذا المعنى الذي أقوله لكم إنما هو شخصية اعتبارية تختلف عن الأفراد الذي خاطبهم البيان الإلهي بواجبات هذا الشهر. كما أن على الأفراد أن يصوموا شهر رمضان فعلى المجتمع هو أيضاً أن يصوم هذا الشهر، وصيام المجتمع لرمضان يختلف اختلافاً جذرياً عن صيام الأفراد من أمثالنا

لهذا الشهر. معنى صيام المجتمع لشهر رمضان المبارك أن تدخل إلى أسواقه فلا تجد فيه ما يتنافى مع قدسية هذا الشهر، مهما نظرت يميناً أو شمالاً لن تجد ما يتناقض مع قدسية هذا الشهر، صيام المجتمع لشهر رمضان يعني أن تنظر إلى المطاعم والحوانيت المفتحة عن يمينك وشمالك فلا تجد فيها ما يتحدى شهر الصوم، لا تجد فيها ما يتحدى شعار هذا الشهر، ما يتحدى قدسية هذا الشهر، معنى صيام المجتمع لشهر الصوم أن تدخل إلى دوائره المختلفة فلا تجد أطباق الشاي وفناجين القهوة تدخل ملآ وتخرج فارغة، معنى صيام المجتمع لشهر رمضان المبارك أن تنظر إلى أبهاء الفنادق فلا تجد فيها من اللهو ما يتناقض مع قدسية هذا الشهر، لا تجد فيها من الصخب والانحطاط إلى أسوأ معاني ما يسمونه الفن بما يتناقض مع قدسية هذا الشهر المبارك، وأنا أريد أن أُذَكِّرَ نفسي وأذكركم وأذكر مجتمعاتنا أن الله عز وجل كما أمر الأفراد بصيام هذا الشهر، ومعنى صيام الأفراد له معروف، كذلك أمر المجتمع من حيث هو شخصية اعتبارية أن يتمثل هو أيضاً فيه شهر رمضان، أن يكون هو أيضاً من الصائمين في هذا الشهر المبارك، أما أن أسير في المجتمع، أسير في شوارعه، أسواقه، ساحاته، ميادينه فأنظر وإذا بي أجد بين كل آنٍ وآخر من يشرع دخينته إلى فيه في صَلَفٍ وفي استكبار وإباء ناسياً أنه يتقلب في أقدس شهر من شهور العام فهذا يعني تمزيق قدسية هذا الشهر وهذا يعني تمزيق شعيرة هذا الشهر المبارك وربنا يقول: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" نعم. إذا دخلت إلى دائرة من الدوائر وظننت أنك ودعت رمضان خارج هذه الدائرة أما في داخلها فأنت في شهر آخر من أشهر العام فاعلم أن المجتمع إذاً لم يصم الصوم الذي كلفه الله عز وجل به، وهنا أحب أيها الإخوة أن أضعكم أمام حقيقتين كي لا يقع الالتباس بينهما في ذهن أيٍّ منا. فرق كبير بين أن يعصي العبدُ ربَّه بينه وبين مولاه، يفطر ولا يصوم الشهر، يعرض عن الصلاة التي أمره الله عز وجل بها لا يصليها لكنه يفعل ذلك بينه وبين مولاه، هذه المعصية أَمْرُهَا إلى الله والمجتمع لا يتدخل فيها إلا بطريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبشرط أن يكون ذلك مضمخاً أيضاً باللطف وبالحكمة والموعظة الحسنة وليس لأحدنا أن يجبر عاصياً الإقلاعَ عن معصيته لكن علينا أن ننصح وعلينا أن نُذَكِّرَ وبدافع من الغيرة والشفقة والحب، هذا عن المعصية التي يرتكبها الإنسان بينه وبين مولاه وخالقه، أما أن يجاهر الإنسان بالمعصية، يخرج في بياض أيام رمضان

والناس صائمون وقدسية هذا الشهر تتألق فيأبى إلا أن يعلن معصيته هذه ويأبى إلا أن يرفع دخينته كما قلت لكم إلى فيه مستكبراً مبرراً معرضاً عن قدسية هذا الشهر، معرضاً عن الأذى الذي يواجه به مشاعر الصائمين، الإجهار بالمعصية معصية مستقلة ولربما لا يغفرها الله، أما المعصية التي يجترها الإنسان بينه وبين مولاه وخالقه فما أوسع باب المغفرة ولا نملك أمامها إلا ما قد حدثتكم ولكن عندما نجد أن هذا الضيف العزيز قد وفد إلينا من لدن مولانا رب العالمين سبحانه وتعالى وقد ذَكَّرَنَا ربُّنا في سورة البقرة بحقوق هذا الشهر في أعناقنا، ذَكَّرَنَا بقدسية هذا الشهر التي ينبغي أن يصطبغ بها مجتمعنا، عندما نجد من يأبى أن يفطر هذا اليوم بينه وبين نفسه بل يُصِر على أن يجاهر بإفطاره هذا لكي يشفي غليله بتمزيق قدسية الشهر ولكي يشفي غليله بالإساءة إلى مشاعر الصائمين فهذا صاحب جنحة يُعَاقَبُ عليها لأنه ارتكب ما ينبغي أن يُعَاقَبَ عليه أمران اثنان؛ تمزيق قدسية الشهر والإساءة إلى مشاعر الصائمين فهو يتحداهم وهو يبرز لهم نوعاً من المحاربة لمبدئهم، نوعاً من الحرابة لالتزامهم بأوامر الله وهو يعلن بذلك عن استخفافه لدين الله عز وجل وشرعه وهو لون من ألوان الاستكبار الذي يحذر بيان الله عز وجل منه، هذا ما ينبغي أن أُذَكِّرَ نفسي وأُذَكِّرَكُم به، ينبغي أن نكون حراساً على مجتمعاتنا لكي تكون مجتمعاتنا هي الأخرى صائمة كما يصوم الأفراد، صوم الأفراد معلوم وصوم المجتمع حدثتكم عنه، وإني لأذْكُرُ عهداً مرَّ بهذه البلدة المباركة كان الذي يُتَلَبَّسُ بالمجاهرة بالإفطار في الأسواق والشوارع هكذا علناً كان يُسْجَنُ إلى آخر هذا الشهر لأنه تلَبَّسَ بأمرين اثنين ينبغي أن يُعَاقَبَ عليهما؛ أولاً تمزيق قدسية هذا الشهر ثانياً الإساءة إلى مشاعر الصائمين وكأن رب العالمين يقول له يا هذا كان بوسعك أن تدخل دارك فتأكل ما طاب لك الطعام، كان بوسعك أن تمارس إفطارك بينك وبين مولاك ولعلك تجد رباً كريماً غفوراً يغفر لك أما أن تضيف إلى هذا الذي فعلته الاستكبار على الله بالمعصية، الاستكبار على المجتمع الصائم المصطبغ بقدسية هذا الشهر فهذا أمر آخر والعقاب عليه عند الله عز وجل وبيل وصدق الله القائل: "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آيةٍ لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً" هذا كلام الله، والاستكبار إنما يكون بأن يعصي العبد ربه مع الصلف والتبرير والاستخفاف، هذا معنى الاستكبار الذي يحدث عنه بيان الله. عباد الله لقد وفد هذا

الشهر المبارك مرة أخرى ولا ندري هل نعيش عودته ثانية أم لا، لعلي أنا ممن لن يعيش عودته ثانية إذا فلننتهز الفرصة، إن كنا تائهين تعالوا ننهي أيام تيهنا، تعالوا نصطلح مع ربنا عز وجل، إن كنا شاردين ملتبسين بالعصيان تعالوا نطهر أنفسنا من دنس هذا العصيان، مغتسل التوبة أمامنا موجود وباب الرجوع إلى الله مفتوح لاسيما هذا الشهر المبارك الذي جعله الله عز وجل مثابة رجوعٍ إلى الله واصطلاح مع الله سبحانه وتعالى. غداً إذا طرق بابنا ملكُ الموت وآذنَنَا بالرحيل نكون قد أخذنا معنا إلى الله عز وجل بطاقة التوبة، بطاقة الإنابة إلى الله، أقول هذا لنفسي ولكل فردٍ فردٍ منكم على كل المستويات وعلى كل الدرجات، نحن راحلون، نحن ذاهبون من هذه الحياة الدنيا، نحن نعيش في مستودع وغداً نتجه إلى المستقر "هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع"، يا عباد الله آتوا المستقر حقه كما أعطيتم المستودع الدنيوي أيضاً حقه أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

نشاطنا المعكوس ما بين أوَّلِ شهرِ رمضان وآخره

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاك عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعدُ فيا عبادَ الله:

إنَّ من عادةِ أكثرِ الناس، أنَّهُ إذا دخلَ شهرُ رمضانَ المبارك، هُرِعُوا إلى المساجد، وأقبلوا نشيطينَ إلى صلاةِ التَّراويح، و استأنسوا بهذا الشهرِ وقدومه، واتَّجهوا للقيامِ بحقّهِ على خيرِ وجه، حتَّى إذا مرَّ من هذا الشهرِ أسبوعٌ أو أسبوعان، فترَ النَّشاط، وتناقصَ الإقبال، وتنظرُ إلى المساجدِ التي كانت مكتظَّةً بالمصلِّينَ والقائمينَ في أوَّلِ الشّهر، وإذا بها قد أصبحت فارغةً إلا من نصفِ الذين كانوا يملؤونها، وإذا مضى الأسبوعُ الثّالث، وكادَ أن يدخلَ العشرُ الأخير، رأيتَ أكثرَ المساجد، وقد كادت أن تصبحَ فارغة، أينَ ذلكَ النشاط؟ وأينَ ذلكَ الإقبال؟ وذلكَ الاستئناسُ بإقبالِ شهرِ رمضان؟ أينَ هذا مما سمعناهُ عن المصطفى عليهِ الصلاةُ والسلام؟ ومن وصفهِ لهذا الشهرِ المبارك؟

كان النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلام فيما صحَّ عنهُ أجودَ الناس، وكانَ أجودَ ما يكونُ في شهرِ رمضان، وكانَ أجودَ ما يكون في العشرِ الأخيرِ من هذا الشهر، كانَ عطاؤهُ عليهِ الصلاةُ والسلام

كالريحِ المرسلة، في هذه الأيامِ التي تفدُ إلينا، وقد صحَّ عنهُ عليهِ الصلاةُ والسلام أنهُ كانَ إذا دخلَ العشرُ الأخيرُ من هذا الشهرِ المبارك، طوى الفراش، وشدَّ المئزر، ولازمَ المسجد، وابتعدَ عن الدنيا وأسبابها، وكان يقولُ فيما يرويهِ الشيخان: "التمسوا ليلة القدر في العشرِ الأخيرِ من شهرِ رمضان، في ليلةِ إحدى وعشرين، أو ثلاثٍ وعشرين، أو خمسٍ وعشرين، أو تسعٍ وعشرين، أو آخرِ ليلةٍ من ليالي رمضان"، وكان يقولُ عليهِ الصلاةُ والسلام: "من قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنوبه، مهما كانت ذنوبُه"، روى ذلكَ الشيخان، البخاريُّ ومسلم.

قارنوا يا عبادَ اللهِ بينَ واقعنا، نشاطنا المعكوس ما بين أوَّلِ هذا الشهرِ وآخره، وبينَ وصيَّةِ المصطفى عليهِ الصلاةُ والسلام وعمله، علامَ يدلُّ واقعُنا الذي وصفتْ؟

إنهُ إن دلَّ على شيء، فإنما يدلّ على أنَّ إقبالنا إلى المساجد، وسعيَنا لقيامِ ليالي رمضان، إنما هو من قبيلِ إمتاعِ النفسِ بشيءٍ جديد، ومن قبيلِ نشاطٍ نفسيٍّ لا استجابةٍ قلبيّةٍ للهِ عزَّ وجل.

شهرٌ جديد، لهُ طابعٌ معيّن، ولهُ تقاليدُ معروفة، والناسُ يحبُّونَ الجديد، ولذلكَ تجدهم شباباً وشيباً وأطفالاً يهرعونَ إلى المساجد، وتغصُّ بهم المساجد، ويرى الإنسانُ هذه الحال فيأملُ خيراً، ويتفاءَلُ بالكثيرِ من رحمةِ اللهِ عزَّ وجل، ولكن عندما تأتي الأيامُ الفضلى من هذا الشهر، وعندما تأتي تلك الليالي التي ينبغي أن يتعرَّضَ الإنسانُ فيها لرحمةِ اللهِ عزَّ وجل، إذ تتضاعفُ فيها الرحمة، فلئن كان في كلِّ ليلةٍ عددٌ كبيرٌ من العتقاءِ يعتقهمُ اللهُ منَ النيرانِ في شهر رمضان، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلّ يعتقُ في ليالي العشرِ الأخير بمقدارِ ما أعتقَ في تلكَ الليالي المدبراتِ كلّها.

كيفَ يرضى المسلم أن يقبلَ في أوائلِ هذا الشهرِ نشيطاً مستأنساً إلى المساجد، ثمَّ يعلن بواقع حالِهِ عن ملله وسآمته، فيتركُ صلاةَ التراويح، ويتركُ حضورَ الجماعات، ويتركُ ما كانَ مشتغلاً بِهِ مقبلاً إليهِ منَ الطّاعات؟ ربّما كانَ يقبلُ على تلاوةِ القرآنِ بهمّةٍ في العشرِ الأوّلِ من هذا الشهر، فإذا انتصفَ الشهر، ترك أو تناقصَ إقبالهُ على التلاوة، أخشى أن يكون هذا دليلاً على أنَّ أعمالنا غيرُ صادقة، وأننا لا نبتغي بها وجهَ اللهِ عزَّ وجلّ، وأنَّ الهوى هو الذي يسوقُنا، وأنَّهُ هو قائدُنا، أخشى أن يكونَ الأمرُ كذلك، وعلى الإنسانِ أن يمحص نيّته، والإنسانُ كما قالَ اللهُ عزَّ وجلّ عنه: ((بلِ الإنسانُ على نفسِهِ بصيرة * ولو ألقى معاذيره)).

عبادَ الله: إنني أوصيكم وأوصي نفسي، بأن نضاعفَ من نشاطنا فيما تبقى من هذا الشهر، وأن نضاعفَ من إقبالنا على اللهِ عزَّ وجلّ في الليالي المتبقّيةِ منه، إن كانَ إقبالنا على الطاعات فلنضاعف ذلك بدلاً من أن ننقصَ هذا الإقبال، وإن كانَ ابتعاداً عن المحرماتِ والمكروهات، فلنحمل أنفسنا على مزيدٍ من الشدّةِ في هذه الأيّامِ والليالي المتبقّية، لا تَدَعُوا صلاةَ التراويحِ لسأمةٍ أو ملل، أذكرُ في أوائلِ هذا الشهر، أنَّ مسجدكم هذا كانَ يمتلئ بالمصلين، لا صلاة العشاء بل صلاة التراويح، أما اليوم فأنظرُ إلى الثابتين في صلاةِ التراويح، فلا أجدُ منهم إلا الثلث، والثلثُ كثير، لماذا هذه الظاهرة؟ لماذا هذا الزهد؟ رسولكم المصطفى عليه الصلاةُ والسلام، كان إذا أقبلَ العشرُ الأخيرُ يضاعفُ من طاعاته، يضاعفُ من جهوده، يضاعفُ من كلِّ خيرٍ يوفّقهُ اللهُ عزَّ وجلّ له، وأنتم تُدبرونَ وتنقصونَ وتعكسونَ ما كانَ يفعلهُ نبيّكم عليهِ الصلاةُ والسلام.

ليلةُ القدر، وحسبكم منها ما قالهُ اللهُ عزَّ وجلّ عنها في محكمِ تبيانه: ((إنا أنزلناهُ في ليلةِ القدر * وما أدراكَ ما ليلةُ القدر * ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهر * تنزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربهم من كلِّ أمر * سلامٌ هي حتّى مطلعِ الفجر)).

خصيصةٌ من خصائصِ هذهِ الأمة كما وردَ في الصحيح، إكرامُ اللهِ لنا في هذهِ الليلة، مزيّةٌ ما أكرمت بها أمّةٌ غيرُ هذه الأمّة، فاحمدوا اللهَ عزَّ وجلَّ على هذه النّعمة، وحاولوا أن تنتهزوا هذه الفرصة وأن لا تفوتكم، ولئن كنّا عاجزينَ عن قيامِ ليلها حقَّ قيامٍ كما كانَ يفعلُ المصطفى عليهِ الصلاةُ والسلام، فلقد وردَ في الصحيح أنَّ اللهَ عزَّ وجل يعطي ثوابَ القيامِ الكامل لمن شهدَ صلاةَ الجماعةِ ليلها، وقامَ القيامَ الذي سنَّهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في تلكَ الليلة، أي صلاة التراويح، شهدها مع الجماعة، ثمَّ شهدَ صلاةَ الفجرِ أيضاً مع الجماعة، ولم يرتكب فيما بينهما محرّماً من المحرّمات، فالمظنون بكرمِ اللهِ عزَّ وجل، أن يسجّلَ هذا الإنسانَ في القائمين، وأن يدّخرَ لهُ أجرَ من قامَ ليلةَ القدر.

ومن مظاهرِ رحمةِ اللهِ بعباده، أنَّهُ أخفى هذه الليلة، نعم، تلكَ ظاهرةٌ من ظواهرِ الرّحمةِ الإلهيّةِ بعباده، حتَّى يدعوهم ذلكَ إلى مزيدٍ من الإقبال، وحتّى يدعوهم ذلكَ إلى مزيدٍ من الاحتياط، لعلَّ

ليلةَ القدرِ تكونُ اليوم تكونُ غداً تكونُ بعدَ غد، وما أدري، لعلَّ الليلةَ هي ليلةَ الحادي والعشرين أو لعلَّ الغد، ومن ذا الذي يعلمُ ويقطع ذلك؟ وصدقَ المصطفى عليهِ الصلاةُ والسلامُ عندما قال: "عجبَ ربّكم من قومٍ يقادونَ إلى الجنّةِ بالسلاسل"، هذا مظهرٌ من مظاهرِ سوقِ اللهِ لنا إلى جنانه، أن أخفى عنّا ليلةَ القدر حتّى تدعونا الحيطة إلى أن نعمّر ليالي هذا الشهر، بل الليالي المتبقّيةَ من هذا الشهر، بمزيدٍ من النشاط، بمزيدٍ من الإقبال، بمزيدٍ من الطاعات، بمزيدٍ من التنزّهِ عن المحرّمات.

ولا بدَّ ان أذكّركم بعدها بما أنتم مقبلون عليه، من شعيرةِ زكاةِ الفطر، التي جعلها اللهُ سبحانهُ وتعالى فريضة على المسلمينَ بشروطٍ سأتحدّثُ عنها، وردَ ذلكَ في الصحيح، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: فرضَ اللهُ سبحانهُ وتعالى زكاةَ الفطرِ صاعاً، من بُرٍّ أو شعيرٍ أو تمرٍ على كلِّ مسلمٍ حرٍّ وعبدٍ، ذكرٍ وأنثى. ووردَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: كنّا نخرجُ زكاةَ الفطرِ صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعيرٍ أو صاعاً من بُرٍّ أو صاعاً من أقِطٍ، فما زلتُ أخرجُ ذلكَ كلَّ عامٍ ما حييت.

وقد قرّرَ العلماءُ أنَّ من شروطِ وجوبها أن يكونَ الإنسانُ مسلماً، وأن يكونَ هذا المبلغُ الذي كلّفهُ اللهُ عزَّ وجلّ بإخراجهِ والذي سأحددهُ لكم، فائضاً عن نفقتهِ ونفقةِ من جعلهُ اللهُ مسؤولاً عنهم، يومَ العيدِ وليلته، فإذا بقيت بقيّةٌ لديهِ، زائدةٌ عن نفقته ونفقةِ عياله، ومسكنٍ هو بحاجةٍ إليه، فقد وجبَ عليهِ إخراجُ زكاةِ الفطر، عن نفسهِ أولاً، ثمَّ عن كلِّ من هو مسؤولٌ عنهم ثانياً.

وإنما تجبُ صدقةُ الفطرِ هذه بمغيبِ شمسِ آخرِ يومٍ من أيامِ شهرِ رمضان، أي بدخولِ ليلةِ الفطر، عندَ ذلك، يتعيَّنُ الوجوب، فلا تجبُ زكاةُ الفطرِ مثلاً على من ولدَ بعدَ مغيبِ شمسِ ذلكَ اليوم، ولا تجبُ على من مات قبلَ غروبِ شمسِ ذلكَ اليوم، هذا عندَ الإمامِ الشافعيّ، أمّا عندَ الإمامِ أبو حنيفة، فقالَ إنها تجبُ ببزوغِ صبحِ يومِ الفطر، كما أنَّ الإمامَ أبا حنيفة جعلَ من شرطِ وجوبها أن يكونَ الرجلُ يملكُ نصاباً، أي غنيّاً يملكُ نصاباً زكويّاً، فإذا ملكَ هذا النّصاب، فقد وجبَ عليهِ إخراجُ زكاةِ الفطرِ عن نفسهِ وعمَّن جعلهُ اللهُ مسؤولاً عنهم.

زكاةُ الفطرِ تُخرَجُ من غالبِ قوتِ البلد، وغالبُ قوتِ البلدِ اليوم كما تعلمونَ هو البُر، وقد حُدِّد كما سمعتم من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريّ، وسيّدنا عبدِ اللهِ بنِ عمر حُدِّدَ بصاعٍ من غالبِ قوتِ البلد، وعندَ الإمامِ أبي حنيفة: نصفُ صاع، ولكنَّ الصّاعَ عندهُ أكبر فالكمّيّةُ تتقاربُ أخيراً.

وإذا أردنا ان نحددَ الصّاعَ كيلاً، فهوَ كما قالهُ العلماء: عبارةٌ عن أربعِ حفناتٍ بكفِّ رجلٍ معتدل، أربع حفنات، وأمّا إذا أردنا أن نحوِّلَ هذا الكيلَ إلى وزن، الوزنِ المتعارفِ عليهِ في عصرنا اليوم، فهو لا يزيدُ على كلِّ حال، عندَ الإمامِ أبي حنيفة وعندَ الإمامِ الشافعيّ، لا يزيدُ على ألفي غرام، أي لا يزيدُ على اثنين كيلو من غالبِ قوتِ البلد، فانظروا كم يساوي كيلو البُر في هذه الأيام، تستطيعونَ أن تحدّدوا المبلغ الذي فرضهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى عليكم، ولا بأس أن نقلّدَ مذهبَ الإمامِ أبي حنيفة رحمهُ اللهُ تعالى، فنخرجَ قيمةَ هذا القوت بدلاً من أن نخرجَ القيمةَ ذاتها، لأنَّ ذلكَ هو الأفضل، وهوَ الأولى للمحتاجينَ في هذهِ الأيام، أسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يوفّقنا في أواخرِ هذا الشهر لمزيدٍ من الطّاعة، ولمزيدٍ من الإقبالِ على اللهِ عزَّ وجل، كما أسألُ اللهَ لي ولكمُ الثبات، الثباتَ على ما وفّقنا إليه، ذلكَ هو عنوانُ قبول اللهِ عزَّ وجلّ، فمن رأى نفسهُ وقد تابَ في هذا الشهرِ وآبَ إلى الله، منشرحاً للاستقامة، مُوفَّقاً للثبات، فليعلمْ أنَّهُ مقبولٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلّ، أمّا إن نكص الإنسانُ على عقبه، وارتدَّ إلى سوءِ حاله، فأسألُ اللهَ لهُ وليَ العافية، وأسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى لنا جميعاً أن يبعدنا عن مطارحِ الرّدى، وأن يجعلنا من المقبولين، وأن يتغمّدنا بألطافهِ الخفيّة، فاستغفروهُ يغفر لكم، فيا فوزَ المستغفرين.

بشارة شهر رمضان وضمانة تحققها

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

أنقل إليكم بشارة هذا الشهر المعظم، شهر الله سبحانه وتعالى، الذي يتجلى فيه ربنا على عباده بنفحاته الرحمانية، أنقل إليكم بشارته بأن هذه الفتنة، بدأت تدبر كما أقبلت بالأمس فإنها ستنحسر وتدبر بإذن الله اليوم، ولكن ضمانة ذلك إنما تتمثل في التوبة النصوح، في التوبة إلى الله عز وجل والأوبة إليه وتجديد البيعة معه والاصطلاح معه على كل المستويات وبالنسبة لسائر الفئات.

ولعلكم تقولون: أليست هي بشارة هذا الشهر؟! وكأنها لم تعد بحاجة إلى شرط. نعم إنها بشارة الشهر ولكن هذا الشهر يلفظ من لم يقبل إلى الله عز وجل بالتوبة. ولقد رسول الله قائلاً: (بَعْد ثم بعد، بعد من دخل عليه رمضان فلم يغْفَر له) ومن هو الذي يدخل عليه شهر رمضان فلا يُغْفَر له؟ هو الذي يظل عاكفاً على غيه، هو ذاك الذي يظل عاكفاً على المحرمات التي حذره الله ونهاه عنها، فلابد لمن يتلقى هذه البشارة أن يمد أولاً يداً إلى الله بالتوبة ثم إنه يمد يده إلى هذه البشارة ليتناولها.

ولقد ارتكبنا يا عباد الله كثيراً من الموبقات، ولقد عكفنا على كثيرٍ من الأوزار، وصدق ربنا القائل:

(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى : ٣٠].

وأرجو أن تكون هذه الفتنة بل هذا الابتلاء الذي أقبل إلينا بإرادة من الله عز وجل وبلون من التربية تتمثل فيها نعمة من نعمه الباطنة، أرجو أن تكون هذه الفتنة قد أيقظتنا إلى الاعتبار وقد نبهتنا إلى العودة إلى الله والتوبة بين يديه، ولئن كانت قلوبنا قد بلغت من القسوة بحيث تمر هذه الابتلاءات متوالية متتابعة آتية من عند الله ثم لا تستيقظ قلوبنا وتبقى على حالها من اليأس ومن القسوة فإنها لمصيبة أخرى أطم وأخطر، ولكني أحسب أن الكثرة الكاثرة منا قد آبوا إلى الله وقد أعادتهم المحنة إلى الله عز وجل، هذا ما أحسبه وأرجوا ألا أكون مخطئاً في ذلك.

إلا أن هنالك معاصيَ خطيرة ربما كانت أخطر من تلك التي كنا نعكف عليها فيما مضى قبل أن تواجهنا هذه الفتنة، وأظن أن من أبرز مظاهر خطورتها أن في المسلمين من لا يأبهون بها ولا يلتفتون إليها، أرجو أن ينتبه المسلمون إلى أن يتوبوا إلى الله من هذه المعصية التي أحدثكم عنها.

رسول الله r حدثنا عن هذه الفتن ووصفها بل وصف هذا الذي مررنا به بأدق وصف ثم إنه أمَرَ أَمْرَ حَتْمٍ بالابتعاد عنها وحذر تحذير تحريم من الدخول فيها والولوغ إليها وكرر ثم كرر ثم كرر، وأنظر وإذا بكثرة كاثرة من المسلمين يستخفون بهذا الذي حذر منه رسول الله، بل نظرت فرأيت أن في المسلمين من يستهزئون بهذا الذي أمر به رسول الله ومن يقولون بملء أفواههم إن هذا ما لا يقبل في هذا العصر.

إن الولوغ في هذه المعصية مخالفة لأمر رسول الله r أعتقد أنه أخطر من الفتنة التي نعاني منها الآن، وها أنا أعيد على مسامعكم بعضاً – لا كلاً – من الأحاديث التي تحدث رسول الله فيها عن هذه الفتنة وأمثالها وحذر من الاشتراك فيها والولوغ إليها.

قال في حديث طويل وصف فيه هذه الحالة ثم قال لكل فردٍ فردٍ فردٍ من المسلمين: (عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة).

وقال في حديث آخر اتفق عليه الشيخان: (ستكون بعدي فتن من استشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأً أو معاذاً منها فليعذ به)

ويقول رسول الله r فيما صح عنه حكايةً عن مثل هذه الفتنة وعلاجاً لها: (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك)

ويقول في حديث آخر متفق عليه، يصف هذه الفتنة وأمثالها، يقول له حذيفة رضي الله عنه: ماذا تأمرنا إن أدركنا ذلك؟ يقول في الجواب: (اعمد إلى حجر فدق عليه حد سيفك واترك كل تلك الفئات والجماعات ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

وهكذا يوضح لنا رسول الله r أن خمود هذه الفتن إنما هو في الاعتزال منها، في الاعتزال عنها ويؤكد هذا مثنى وثلاث ورباع، وأنظر وإذا بكثرة كاثرة من الناس أذَكِّرُها بهذا الذي يقوله رسول الله فتنفر من سماع كلامه وتلقي بهذه الوصايا وراءها ظهرياً، نعم هذا ما يتم الآن، فماذا إن قلت لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل وفاته بأشهر وقد زار البقيع في حديث طويل أذكر محل الشاهد منه: (ألا ليذادنَّ رجال عن حوضي – أي ليطردن رجال عن حوضي – فأقول: ألا هلم أل هلم فيقال إن لا تدري كم بدلوا من بعدك).

يا ناس لماذا نعرض أنفسنا لهذا التبديل الذي يحذر منه رسول الله، هل قطعنا صلة ما بيننا وبين حبيبنا محمد؟! هل عدنا لا نعترف بنسبتنا إليه ناساً من أمته ونسبته إلينا آخر الرسل والأنبياء المبعوثين من قبل الله؟!

يقول المصطفى r وهو هذه الحالة التي نحن فيها: (من قاتل تحت راية عمية فقُتِل فقتلته جاهلية)

ما الراية العمية؟ هي تلك القيادة التي لا تعلم أصحابها ولا تعلم الغاية منها ولا تعلم النهاية التي توردك إليها، هذه هي الراية العمية. ونحن إذا أردنا أن نبحث سنجد أن في الناس الذين يمسكون بهذه الراية الموساد الإسرائيلي والمخابرات المركزية الأمريكية ولسوف تأتيكم قريباً أنباء تفصيلية تضع النقاط على الحروف في هذا الأمر، فئات تلتقي قبل أيام وتتواصى بتأجيج ضرام الفتنة في الشام، في سورية من أجل الوصول إلى الغاية التي لم نرسمها نحن ولكن أولئك الناس هم الذين رسموها، وأعود فأتساءل أمؤمنون نحن بقرآن الله؟! أمؤمنون نحن بأن هذا القرآن كلام الله؟! لا أدري!

كلام الله عز وجل يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) [آل عمران : ١١٨].

كلام من هذا يا ناس؟! هذا كلام ربنا وأنتم تعلمون أنه لم يكن في الصحابة من اتخذوا بطانة من غيرهم، لم يكن في التابعين من اتخذوا بطانة من غيرهم، لكن هذا كلام موجه إلينا نحن.

قلت لواحد من هؤلاء الشباب الذين يخرجون في الأمسيات: ما الهدف من خروجكم، سكت، قلت: أحب أن أعلم، قال: تسلية. يا عجباً، أفي الناس العقلاء من يهدم بيته لتسلية.

وقلت لبعض من استحر الجدل والنقاش بيني وبينه أنا سأمد يدي إلى بيعة حقيقية معكم لكن على أن تضعوني أمام النظام البديل الذي تقرر أن يكون هو النظام الساري في هذه البلدة وأكتفي بأن يكون في السوء والحسن مثل هذا النظام، ألا يكون أكثر سوءاً منه، أرني النظام البديل الذي سيتم، عند النقاش تبين أن المسؤول أجهل من السائل أجل في هذا الموضوع، ليس المسؤول بهذا أعلم من السائل قط، قلت: ولكني أعلم النظام ليس نحن الذين نضعه وإنما وضع هناك.

من؟ أعود فأقول يا عباد الله من هو هذا العاقل الذي يعمد فيهدم داره وإن كانت داراً عتيقة تافهة ثم يذكر أن يبحث عن مأوى آخر يأوي إليه؟ أي عاقل يفعل هذا؟!

ألم يأن لنا جميعاً أن نتبصر وأن يستيقظ منا العقل؟ أولاً: إنكار المنكر، أن نلغي كلام رسول الله وأن نجعل وصيته الحارة الحارة ملقاة وراءنا ظهرياً وأن نستخف بها وأن نتفوه بالكلام العجيب بشأنها معصية كبرى أظن أنها أخطر من البلاء الذي يمر بنا، أرجو وآمل أن نعود إلى رسول الله.

يا ناس، أحد شيئين، إما أن هؤلاء الإخوة تبرموا بوصايا رسول الله فليعلنوها وإما أنهم موقنون بنبوته فليتبعوا كلامه، أنا لا أتقول على رسول الله r.

ينبغي أن نعلم أن الإصلاح أمر لا ريب فيه ولابد منه، وأنا مع الذين يدعون إلى الإصلاح ولكن عندما ندعوا إلى أن نستبدل نظاماً بنظام ونضع النظام البديل الآتي ونطمئن إليه ونتبين رسوخه

على أرضنا بشكل سليم عندئذٍ لا حرج، وهذا ما لا يمكن أن يرفضه عقل عاقل بشكل من الأشكال.

أعود فأقول وأنا أتحدث عن شهر رمضان وعما يخاطبنا به رمضان: إن شهر الله هذا يحمل بشارة وأي بشارة إلينا جميعاً ولكن هذه البشارة منوطة بالتوبة إلى الله، دعك من هذه الفتنة، حتى ولو لم تكن، أما ينبغي لمن استقبل شهر الله أن يستقبله بتوبة من الذنوب؟! أما ينبغي أن يستقبله بتوبة من المعاصي والآثام؟! أما ينبغي أن يجدد العهد بينه وبين حبيبه محمد r؟! دعك من هذه الفتنة، فما بالك والفتنة مستحرة ورمضان ينادي أن عودوا إلى نبيكم، اصطلحوا مع رسولكم، لا تستخفوا بوصاياه، لا تلقوا بوصاياه بل بأوامره ونواهيه وراءكم ظهرياً. إن نحن تبنا إلى الله، وإن نحن عدنا إلى الله، وإن نحن ملأنا مساجدنا ركعاً سجداً ملتجئين إلى الله عز وجل، وإن نحن تلونا كتاب الله عز وجل معبرين عن رجوعنا من خلال تلاوتنا له إلى حمى هذا الدين العظيم فأنا أعود فأؤكد لكم أن هذه الفتنة قد ولت وأدبرت ولسوف تجدون خوارق إعجاز الله عز وجل، لكن لا تنسوا هذا الشرط، وأنا عندما أقول هذا أدعو نفسي وأدعو الأمة كلها إلى التوبة بدءاً من القادة إلى القاعدة إلى الفئات كلها، كلنا مكلفون بأن نؤوب ونتوب إلى الله عز وجل.

أيها الإخوة نحن اليوم نتحرك فوق هذه الأرض وغداً ستحتضننا في باطنها، لماذا نتعامل مع أي شيء غير الله؟ لماذا نتعامل مع عصبياتنا؟ لماذا نتعامل مع أهوائنا؟ لماذا نتعامل مع أمور واتفاقات فيما بيننا وبين آخرين أياً كانوا؟ لماذا؟! الموقف بين يدي الله والرجوع إلى الله وأعوذ بالله من ساعة تزجني في ندم محرق أولا وهي ساعة سكرة الموت عندما أرحل من هذه الدنيا خاوي الوفاق. أقول قولي هذا وأستغفر الله

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

سبحان الله العلي الديان، سبحان الله المُسَبَّحِ في كل مكان، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد:

فإن الشعيرة العظمة في صباح هذا اليوم وأمثاله إنما هي شعيرة الرحمة، رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده متمثلة بصور شتى من أهمها العتق من النار والصفح والعفو عن الآثام، رحمة الآباء والأمهات بالأولاد، رحمة الأغنياء بالفقراء، رحمة الأقوياء بالضعفاء، رحمة المسلمين إذ تشيع فيما بينهم جميعاً. تلك هي شعيرة هذا اليوم الأغر الذي يطلع علينا ممزوجاً بالرحمات الربانية ومكرمة الصفح من الآثام.

ولكني أريد أن ألفت النظر إلى أن هذه الرحمة ليست من صفات الناس في الحقيقة إنما هي من صفات الله عز وجل. فلا رحمة الأبوين بالأولاد ولا رحمة الأغنياء بالفقراء ولا رحمة الأقوياء بالضعفاء ولا رحمة الحيوانات المختلفة بصغارها، ليست رحمة واحدة من هذه الرحمات صادرة من المخلوق أيّاً كان هذا المخلوق وإنما هي من صفات الخالق جلَّ جلاله، هي محصورة في ذاته العلية، هو الرحمن، هو الرحيم، هو الذي وزع جزءاً من رحمته هذه بين عباده، بل وزع هذا الجزء بين الأحياء جميعاً على اختلافهم. لكن فينا من قد يقول ولكني أشعر بأنني أنا الذي أرحم أولادي وأشعر باللين الذي يهتاج بين جوانحي فيدفعني إلى الإكرام، إلى العطاء، إلى المنن والمنح، إذا لماذا لا تكون هذه الرحمة صفة نابعة من كياني؟ لا يا عباد الله، هي غلطة ينبغي أن نصححها. الرحمة آتية من عند الله عز وجل ولكن إذا استيقظت الفطرة الإيمانية بين جوانح

الإنسان تجلى الله سبحانه وتعالى على صاحب هذه الفطرة بصفات شتى كلها لذاته عز وجل، منها صفة الرحمة تسري صفة الرحمة من مولانا عز وجل إلى فؤاد هذا الذي استيقظت الفطرة الإيمانية بين جوانحه فبرحمة الله يشفق على أولاده، وبرحمة الله عز وجل يشفق على الضعفاء والمساكين واليتامى والفقراء، ألم تقرؤوا قول الله عز وجل خطاباً لرسوله:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران : ١٥٩].

لاحظوا، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ)، نسب الله عز وجل رحمةَ المصطفى إلى ذاته العلية (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)، لم يكن لين المصطفى ولطفه مع الآخرين مسلمين كانوا أو غير مسلمين إلا نتيجة وثمرة لرحمة الله عز وجل، فلتعلموا إذاً أن الرحمة التي تشيع في صباح هذا اليوم سواء تلك الهابطة من سماء الله عز وجل؛ صفحاً، مغفرة، إعتاقاً من النار أو تلك التي تشيع بين الناس بعضهم مع بعض كل ذلك أيها الإخوة معينه رحمة الله سبحانه وتعالى. ألا فلنعلم هذه الحقيقة أولاً لنزداد شكراً لله ولنعلم أننا نتقلب في حياتنا الدنيا هذه في بحار لا شطآن لها من رحمة الله عز وجل وصفحه وغفرانه، ولكن إذا اختنقت الفطرة الإيمانية بين الجوانح بسائق الاستكبار – ولا تختنق الفطرة الإيمانية بين جوانحنا بسبب المعاصي أولاً وإنما تختنق بسائق الاستكبار على الله – إذا تمادى الإنسان في الاستكبار على الله عز وجل اختنقت هذه الفطرة وإذا اختنقت الفطرة انقطعت صلة ما بين العبد وربه فلم تعد هنالك صلة بين رحمة الله وفؤاد هذا الإنسان بسبب اختناق الفطرة الإيمانية في كيانه، فإذا انقطعت هذه الصلة بين العبد وربه لهذا السبب تحول هذا الإنسان إلى النقيض من الإنسان الذي يتصف بالرحمة واللطف والأناة. ولا أعلم – بل إن العلماء قرروا – أنه لا يوجد في مخلوقات الله عز وجل من هو أعتى وأظلم وأطغى من الإنسان عندما تنقطع مما بينه وبين الله سبحانه وتعالى صلة الرحمة الآتية من لدنه والسارية في كيانه. إذا اختنقت الفطرة بسائق من الاستكبار على الله عز وجل حل في محل مشاعر الرحمة الآتية من عند الله عز وجل الطغيان والبغي والظلم، فحدث عن ظلم هذا الإنسان ولا حرج، تحدث عن طغيانه ولا حرج. في الناس من يشبهون أمثال هذا الطاغية بالوحوش، بما يسمونه الوحوش، وإنه لظلم شنيع للوحوش. كلمة الوحوش أيها الإخوة لا تعني معنى من معاني الظلم

وإنما تعني اسماً من الأسماء التي تطلق على الحيوانات التي خلقها عز وجل تعيش في مناكب الأرض. الوحوش ينبغي أن نتعلم منها الرحمة، ينبغ أن نتعلم منها اللطف والأناة، ورحمة الله عز وجل كما تسري من سمائه إلى قلوب عباده المتطامنين لذل العبودية له تسري أيضاً إلى أفئدة الحيوانات كلها، فالحيوان الذي يحنو على صغاره إنما يحنو على صغاره برحمة آتيةٍ من عند الله سبحانه وتعالى، الوحوش إذا افترست فافتراسها طبق قانون مرده إلى ضرورة إبقائها على حياتها، الافتراس عبارة عن منهج قانوني رسمه الله عز وجل لها كالمنهج الذي نعتمد عليه في اصطياد الحيوانات والسعي إلى أن تكون غذاءً لنا في صباحنا ومسائنا، وآية ذلك أن الحيوان إذا أحس بالشبع زايلته طبيعة الافتراس وانفصلت عنه وقعد رابضاً في مكانه تمر به الحيوانات من هنا وهناك غير آبهٍ بها ولا ملتفت إليها لأن الافتراس في حياة هذا الذي نسميه وحشاً ليس عبارة عن بغي كالذي يتصف به الإنسان وإنما هو عبارة عن قانون للإبقاء على الذات، هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن نعلمها. فإذا وجدنا أنفسنا يا عباد الله في صباح هذا اليوم أمام أمرين متناقضين؛ عالم من المصطبغين بذل العبودية لله قد أحنوا الرأس لسلطان الله عز وجل ففاضت أفئدتهم رحمة، تجلى الله عز وجل عليهم برحمته وعبروا عن هذه الرحمة في صباح هذا اليوم بكل ما يملكون، سواء لما بينهم وبين أولادهم وأسرهم أو بالنسبة لما بينهم وبين إخوانهم، إذا نظرنا فوجدنا هذه الصورة ثم التفتنا فوجدنا نقيضاً لها، وكلا النقيضين ينبثق من عالم الأناسي، ينبثق من الإنسان، الصورة الأخرى صورة أناسٍ لم يعلموا للرحمة رائحة ولم يعلموا للطف الإنساني معنى وإنما استمرؤوا القتل والفتك، استمرؤوا إثارة الفتن، استمرؤوا كل ما يمكن أن يكون سبباً لدوران رحى الهلاك والقتل على عباد الله عز وجل، يطربون لمرأى الدماء تسيل في الأزقة والشوارع، يتمتعون بأصوات الأنين تنبعث من صدور الأطفال اليتامى والأمهات الأرامل، يستمتعون بالشقاء، ينسجون أسبابه هنا وهناك. يا عجباً هل هنالك بقايا من المسخ الذي حدثنا الله عز وجل عنه في محكم تبيانه عندما تكلم عن ماضٍ قديم قصي؟! هل يمكن للإنسان أن يمسخ لا في ظاهره فقط بل في كينونته الإنسانية أيضاً؟! سبحانك ربي، هذا شأن الإنسان، عندما يتعرف إلى مولاه يصبح خيراً من الملائكة، وعندما ينكص على عقبيه ويتجاهل مولاه ويستكبر عليه يصبح شراً من الخلائق كلها، تلك هي سيرة الإنسان باختصار.

واليوم نحن نستقبل من مولانا وخالقنا الهدية العظمى، هدية العتق من النار، عتق العصاة لا المستكبرين، وهذه حقيقة لا ريب فيها، ونستقبل أيضاً بحمد الله وتوفيقه والأمل الذي لا يخبو ولا ينقطع ننتظر الهدية الثانية أيضاً، هدية الفرج بعد الشدة، اليسر بعد العسر، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

نصيحة بين يدي رمضان

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

إن هي إلا ساعات ولسوف نستقبل ويستقبل العالم الإسلامي كله شهر الله العظيم شهر رمضان المبارك، سنستقبله وأنا على يقين أنه يحمل في طيه بشائر الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر.. أقول إنني على يقين بذلك ولا غرو فإن الله عز وجل يقول فيما يرويه رسول الله عن ربه في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) فكيف إذا كان الأمر يقيناً وليس ظناً؟!

هذا ما سيحمله لنا شهر الله المعظم من البشائر فما الذي ستحملون له وأنتم تستقبلونه من الهدايا؟.. لو سألنا هذا الشهر المعظم عن خير هدية ينبغي أن نتقدم بها إليه، لكان الجواب الهدية الوحيدة التي ينتظرها منا شهر الله عز وجل هي التوبة النصوح أولاً إلى الله ثم القيام بحقوق هذا الشهر المتمثل في صيام أيامه وقيام لياليه .. تلك هي الهدية التي ينتظرها منا شهر الله سبحانه وتعالى.. أولاً التوبة النصوح وهي توبة يطالب الله عز وجل بها دائماً لا في ميقاتٍ أو شهرٍ معين.. يطالب بها عباده جميعاً حتى الرسل والأنبياء.. ألم يقل:

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

ألم يقل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً)

لقد شمل هذا الأمر حتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو القائل فيما صح عنه: (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مئة مرة). إذاً فتعالوا أذكركم بالجزء الأول من هذه الهدية التي ينبغي أن نستقبل بها شهر رمضان، التوبة الصادقة النصوحة إلى الله يدعونا الله عز وجل جميعاً إلى أن نتمم لشهره شهر رمضان هذه الهدية، هي دعوة إلى القادة إلى ولاة الأمر إلى الجيش إلى الأمة بشتى فئاتها، إذا كان رسول الله مدعو إلى ذلك فكيف لا تكون هذه الفئات كلها مدعوين إلى توبة صادقة نصوحة بين يدي الله سبحانه وتعالى. وأقول لكم إن التوبة التي ينتظرها الله منا مع مقدم هذا الشهر المبارك ليست التوبة التقليدية المتمثلة في كلمات يكررها بعض الناس على ألسنتهم، ثم إنهم لا يلتفتون إلى واقعهم ليصلحوا أحوالهم، ليصلحوا ما بأنفسهم وليقيموا منها ما اعوج لا يا عباد الله، نحن مدعوون الآن إلى أن نجدد البيعة مع الله عز وجل ونحن نتصور أن بيننا وبين الرحيل عن هذه الحياة الدنيا ساعات بل دقائق معدودات فكيف تكون توبتنا إلى الله عز وجل عندئذ

نعم هذا هو المطلوب منا جميعاً أدعو نفسي أولاً وأدعو أولي الأمر بكل فئاتهم ثانياً وأدعو جيشنا ثالثاً أو رابعاً وأدعو هذه الأمة جمعاء

وبعد يا عباد الله يطيب لي أن أتوجه الساعة من على هذا المنبر إلى جيشنا الشامخ كما قلت بإيمانه الشامخ بجبهته التي لا تلين ولا تذل ولا تهون لأي عدو من الأعداء أقول لرجال هذا الجيش كلهم

إنكم تتحملون اليوم تبعة لا أظن أن في جيوش العالم بل في دول العالم من تحمل مثلها قبل اليوم ولقد عدت إلى التاريخ القصي القديم والحديث فلم أعثر على جيش في دولة قد تحمل هذه التبعة إلى اليوم وشاء الله عز وجل أن يتحملها جيشنا

إن هذه التبعة تتمثل في حرب كما قالوا كونية فعلاً تتجه إليه من أطراف العالم أجمع تستعمل فيه الأسلحة المتنوعة كلها المادية والمعنوية والالكترونية والإعلامية.

أمام هذه التبعة الخاصة المتميزة التي يتحملها جيشنا اليوم ينبغي بالمقابل أن يتحلى بمزية تتكافأ مع هذه التبعة ويتكون منهما ميزان عدل متكافئ، ما هي هذه المزية التي ينبغي أن يتحلى بها جيشنا بصورة خاصة ربما، كما أنه يتحمل هذه التبعة اليوم بصورة خاصة. إن هذه المزية تتلخص في أن ما يتمتع جيشنا به من الجبهة الناصعة الشامخة لابد من أن يتوج هذا الشموخ بذل العبودية لله ولابد أن يتوج هذا الشموخ بذل السجود لمولانا وخالقنا جل جلاله، وعندئذ يتحقق ما نصبوا إليه وعندئذ يضرب هذا الجيش المثل الأعلى في التعالي والتغلب على سائر القوى التي تتوافد إليه من شرق وغرب وشمال وجنوب عندئذ يستطيع أن يحقق الخوارق والمعجزات لا بل سيخلق الله عز وجل على يديه الخوارق والمعجزات

شموخ الجبهة شيء نعتز به نعتز به في تلك المزية التي يتمتع به نادرة فعلاً هذا الجيش ولكن هذا الشموخ امام هذه التبعة الخاصة لا سيما التي يتحملها لا بد من أن يتوج شموخ هذه الجباه بالسجود لله لا بد ان يتوج هذا الشموخ بذل العبودية لله عز وجل لا بد أن تصبح الثغور التي يرابط فيها هؤلاء الجنود البواسل لا بد أن تكون ممتزجة مع محاريب التبتل لله عز وجل، لا بد أن تكون الثغور مآل ارتباط بالله عز وجل مآل استنزال للنصر من علياءه ألن تقرؤوا قول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

أقول لهؤلاء الأخوة وأنا أعتز بجباههم المرتفعة الشامخة التي لم تهن في يوم من الأيام لعدو ولم تركن إلى لذة طعام أو شراب أو نحو ذلك يخدع بها كما يخدع الآخرون أقول لهم إنكم إن ارتبطتم بالله جعلتم من ثغوركم محاريب ترتبطون فيها بالله عز وجل تستنزلون النصر منه تصطبغون بذل عبوديتكم لله فإن الله عز وجل يتجلى عليكم عندئذ بصفة قاهريته يتجلى عليكم بصفة انتقامه يتجلى عليكم بصفة جبروته.. أقول هذا وأنا الضامن لما أقول.. فإذا جربتم الأعداء أيا كانوا فإنهم لن يروا في أشخاصكم بشراً من الناس ولكنهم سيرون في أشخاصكم جبروت الله ولسوف يرون في أشخاصكم قاهرية الله ولسوف يكون هذا أعتى سلاح تستعملونه من حيث تدرون أو لا تدرون للنصر العاجل الذي سيكرمكم الله به أأريكم شاهد على ذلك من كتاب الله؟ ألم تقرؤوا قوله:

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)

أما وقفتم عند هذه الآية بشيء من التفكير؟ لم تكن عن طريق الأيدي التي رمت ولكن هذا الكلام عن طريق تجلي الله عز وجل بصفة قاهريته بصفة انتقامه ألم تقرؤوا قول الله عز وجل:

(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) [التوبة: ١٤]

ألم تسمعوا كلام رسول الله يقول فيما اتفق عليه الشيخان (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي)، أول هذه الأمور الخمس (نصرت بالرعب مسيرة شهر) كيف نصر بالرعب؟ أي أن الله عز وجل جعل مظهر جبروته جل جلاله جعل مظهر قاهريته جل جلاله جعل مظهر انتقامه جل جلاله تتجلى في رسول الله وأصحابه والذين جاؤوا من بعده وهكذا يدخل الله الرعب في قلوب أعداء الله عز وجل بهذا السلاح

هذا السلاح أيها الأخوة .. إنه أمضى سلاح لا سيما في هذا المنعطف الذي نمر به اليوم .. الوقت يضيق والشواهد التي تجسد هذا الكلام الحقيقي كثيرة لكن أضع أمامكم نموذجاً واحد

عبد الرحمن الداخل الذي ظهر من هذا المشرق متجهاً إلى المغرب وصل إلى أقصى المغرب ونزل ضيفاً عند أقاربه وبني خؤولته وعمومته قبائل من البربر أدقوا به وأحبوه لعبادته العجيبة لتواضعه الغريب لخدمته الكثيرة لذكره مولانا وخالقنا جل جلاله، كان قائم الليل كان خادماً لعباد الله أحدقوا به مضى بهم إلى الأندلس وما استقر بهم القوم في الأندلس حتى احبه أناس كثيرون ممن لا يعلمون الشريعة الإسلامية أحبوه ثم ركنوا إليه ثم دخلوا الإسلام وهكذا قامت دولة الإسلام على يد قائدها ولم يكن له من العمر أكثر من ٢٥ وعاماً وسمع الملك الأول في عالم الفرنجة آنذاك شارلمان سمع بأن دويلة إسلامية ولدت في الأندلس فتوجه بجيشه ذي الجنسيات والمذاهب المختلفة إلى أن وصل إلى حيث أقام عبد الرحمن الداخل دويلته الإسلامية وقامت المعركة .. ما الذي جعل شارلمان يولي الأدبار؟ شيء عجيب شيء غريب إلى اليوم لا تعلم أوروبا سببه لأنه عندما نظر إلى عبد الرحمن الداخل لم يجد فيه شاباً من الناس لا يتجاوز عمره الخامس والعشرين عاماً وإنما نظر فوجد فيه قاهرية الله وجد فيه جبروت الله وجد فيه انتقام الله داخله الرعب داخله الهلع وعاد منهزماً من حيث جاء وهكذا جللت حياة شارلمان سحابة من السواد حياته لم تفارقه بعد ذلك إلى أن مات هذا مثال أقوله لكم

أعود مرة أخرى أتوجه إلى جيشنا بعد التعزية التي تقدمت بها إليه باسمي وباسمكم وباسم هذا الشهر ألم يجعل الله هذا الشهر شهر رحمة كم أنبأنا رسول الله

أقول بعد ذلك اجعلوا من ثغوركم التي توارون فيها محاريب تتصلون بها إلى الله عز وجل اتصال العبد بربه توبوا إلى الله عز وجل أو جددوا التوبة إلى الله عز وجل مع دخول هذا الشهر المبارك جددوا البيعة مع الله عز وجل أن نكون جنوداً لمولانا وخالقنا وأنتم عبيد له قبل أن تكونوا جنوداً لإخوانكم من البشر أقول لكل فرد فرد من جيشنا الذي اعتز به أعتز بأنه لم يدن لعدو إلى الآن أقول كونوا أحفاد أمناء لخالد للقعقاع لعمرو بن العاص كونوا أحفاداً لأولئك ولا أعني النسب البشري لا. أعني الارتباط بالمنهج الارتباط بالسلوك الارتباط بالمبدأ والقيم وأنا أقول بعد هذا أنا الضامن بأن الله عز وجل سيكرمنا جميعاً بأعاجيب النصر بخوارق النصر .. أقول وقلي هذا وأستغفر الله

مكيدة للصائمين في رمضان

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

أرأيتم كيف أقبل هذا الشهر المبارك، شهر الرحمة الإلهية – شهر النفحات القدسية – كيف أقبل إلى عباد الله عز وجل مصحوباً بألطافه العظيمة، أرأيتم كيف اختفى الحرور اللاهب وظهرت في مكان ذلك النسمات المنعشة في ليلٍ ونهار. ذلك هو نموذج لرحمة الله عز وجل ولطفه.

لقد توقع المتوقعون وخاف كثير من الناس من أن تُقْبِلَ واجبات هذا الشهر إلى عباد الله ممزوجة بشدة هذا الجو اللاهب ولكنهم أخطأوا إذ لم يعلموا سنن رب العالمين عز وجل. لقد تغلبت الألطاف الإلهية على التوقعات الجوية وعلى أرصادها.

فتعالوا – يا عباد الله – نشكر هذا الإله الخالق اللطيف العليم الشكر اللائق بذل عبوديتنا له، الشكر اللائق برحمته الغامرة وبلطفه الذي لا حدَّ له.

عباد الله إنكم: سمعتم الكثير الكثير عن الأجر العظيم الذي يناله المقبلون إلى الله عز وجل في هذا الشهر، يؤدون واجباته ويتحلون بآدابه، ولا أريد أن أعيد هذا الذي عرفتموه وسمعتموه مراراً وتكراراً، لكنني أريد أن الفت أنظاركم إلى حقيقة هي من الأهمية بمكان.

إنه بمقدار ما يعظم أجر المقبلين على الله في هذا الشهر والذاكرين له والمصطبغين بآدابه فإن التائهين عن هذا الشهر والمعرضين عن واجباته وآدابه يتعرضون لسخط كبير قد لا يتوقعه أحدٌ من الناس.

وهكذا فإن معالم الرحمة الإلهية التي تمر بنا خلال هذا العام لها وجهان اثنان: وجه من الأجر العظيم يناله المقبلون إلى الله في هذه المعالم، ووجه آخر من السخط الإلهي القاتم يتعرض له المستخِفُّون بهذه المعالم والتائهون عنها.

ألا فلتعلموا هذه الحقيقة يا عباد الله.

إذا علمتم ذلك فلتعلموا أن هنالك مكيدة تحاك لهذه الأمة ولعباد الله الصالحين خلال أحد عشر شهراً من العام، يعكف أصحاب هذه المكيدة من شياطين الإنس والجن على تحضيرها وحبكها من أجل أن تُصَبَّ هذه المكيدة في هذا الشهر، في شهر رمضان المبارك. ألا فاحذروا على أنفسكم من هذه المكيدة الرعناء التي يعكف على تحضيرها –كما قلت لكم – أحد عشر شهراً من العام لتُصَبَّ هذه المكيدة في هذا الشهر فيتقطع عباد الله عز وجل منه ويُغَيَّبُوا من شهر رمضان وواجباته وآدابه ومن ثم ليتعرضوا للسخط الذي حدثتكم عنه.

إنها مكيدة المسلسلات التي تُصَاغُ –كما قلت لكم – خلال العام من أجل صبها في هذا الشهر، من أجل جعلها حجاباً يحجب العبد المسلم في هذا الشهر عن الله عز وجل، ينشغل بها ويعرض بها عن الله سبحانه وتعالى وهكذا يبوء بسخطٍ كبير من الله بدلاً من أن ينال الأجر العظيم بسبب ذكره لله وإقباله على الله عز وجل.

عباد الله: إن الإنسان لا ينأى عن الله عز وجل ولا يُحْرَمُ من رحماته بسبب المعاصي وإنما يُحْرَمُ من ألطاف الله عز وجل ويتعرض لسخط الله عندما يغيب عن ذكر الله عز وجل وعندما تلهيه مشاغل الدنيا وأهواؤها عن ذكره لله عز وجل، وتلك هي المكيدة التي أحدثكم عنها، ألا فاسمعوا ما يقوله الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه : ١٢٤].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾. لم يقل من تورط في المعاصي، كل بني آدم خطاء والله يتوب على من تاب ولكن المعرض عن ذكر الله عز وجل بعيد عن رحمة الله، محكوم عليه بالاحتجاب عن ألطاف الله.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه : ١٢٤– ١٢٦].

لا تُنْسِيَنَّكُم المسلسلات – وأقولها بصراحة – لا تُنْسِيَنَّكُم ذكرَ الله عز وجل، لا تُنْسِيَنَّكُم الإقبالَ على رحمات الله عز وجل التي تلاحقكم في هذا الشهر فتتحول رحماته في حقكم إلى سخط، أقولها وأنا أعلم ما أقول لكم يا عباد الله.

قاطعوا في هذا الشهر المبارك هذه الملهيات كلها وأنتم بذلك تحكمون بفشلها.

ما الذي يجعل هذه المسلسلات تنجح كما يقولون؟ إقبالكم هو سر نجاحها يا عباد الله.

ألا – وإني أخبركم – بأن في هذه المسلسلات ما توضعت فها أوبئة وأمراض خبيثة ستسري عما قريب إلى جسوم أصحاب هذه المسلسلات، منتجيها، مخرجيها، ممثليها، فإياكم وإياها. ابتعدوا عنها لا تصيبنكم عدواها يا عباد الله، وأنا أقول وأعلم ما أقول.

لقد علمت أن في هذه المسلسلات ما يستنزل غضب الله وسخطه بل مقته وعذابه، ولقد علمت أن هذه المسلسلات قد توضعت فيها جراثيم أوبئة وأمراض خبيثة ستسري عما قريب إلى جسوم أصحابها. ابتعدوا عنها، أنا ناصح، ابتعدوا عنها لا تصيبنكم عدواها يا عباد الله.

عباد الله: نحن خطاؤون وهكذا قال رسول الله ﷺ، ولكنا – ولله الحمد – لسنا ممن يعرضون عن التوبة، قد نكون خطائين ولكنا في الوقت نفسه توابون بحمد الله.

فإذا كان الضعف قد حملنا على أن تزل بنا القدم بين الحين والآخر فلنداو هذه الحالة التي هي نتيجة ضعف وصفه الله عز وجل بنا فلنداو ذلك بالتوبة، فلنداو ذلك بالخضوع والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى. الله عز جل يغفر الذنوب، ومن ذا الذي يغفر الذنوب إلا الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣].

ولكن يغفر الذنوب جميعاً لمن أقبل إلى الله، لمن التفت إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الشهر مثابة التفاتة إلى الله، هذا الشهر دعوة من الله للعصاة والمارقين والمرتكبين للكبائر المختلفة يقول لهم الله: ألا أقبلوا إلي أصفح عنكم، ألا أقبلوا إلي أغفر لكم ذنوبكم، ألا أقبلوا إلي أُبَيِّض الصحائف السود من أعمالكم.

فما المطلوب منا؟ المطلوب منا ألا نغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى، ومعنى عدم غفلتنا عن ذكر الله أن يقودنا ذكره إلى التوبة أو أن يقودنا ذكره إلى الالتجاء إلى الله والتضرع على أعتاب الله.

سألني شاب منذ حين قال لي: أنا لا أحب أن أعصي الله لكنني ضعيف وشهواتي عارمة تتغلب عليَّ، أتوب إلى الله ثم إنني أعود إلى المعصية، ماذا أصنع؟ وأخذ يتضرع ويتوسل، قلت له: أرأيت إلى هذا الموقف الذي تقفه، قف هذا الموقف ذاته لكن لا أمامي ولا أمام عبدٍ مثلي ولكن أمام ربك، مولاك وخالقك، هذه الشكوى تقدم بها إلى من فطرك، إلى من ابتلاك بهذه الشهوات والأهواء، قل له: مولاي لا أحب أن أعصيك ولكنني مندفع بالشهوات التي ابتليتني بها فيا رب لا حول لي ولا قوة إلا بعونك، حررني يا ربي من هذه الشهوات والأهواء.

التجَأَ إلى الله وهو عاصٍ وهو مسرف على نفسه، أي ذكر الله سبحانه وتعالى والتجأ وثابر على ذلك، أجابه الله لبيك، انتشله من أهوائه، انتشله من شهواته، انتشله من سوء حاله وأصبح الإنسان الذي يتلألأ قلبه طافحاً بتجليات الرحمات الإلهية.

كلنا ذاك الرجل يا عباد الله.

شهر رمضان هو الفرصة التي يفتح الله عز وجل فيها الأبواب للعصاة، للمارقين، لمرتكبي الكبائر لكن لا للمستكبرين، لا للمعاندين، لا للذين يعكفون طوال العام على الكيد لدين الله، على الاستهزاء بكتاب الله، لا. هؤلاء أعلن البيان الإلهي في قرآنه أنهم مطرودون من رحمة الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٠].

وأنا يكون ذلك.

هذه نصيحة أزجيها أولاً لنفسي ثم إنني أقدمها تقديم المحب لإخواني: قاطعوا ما يشغلكم عن الله في هذا الشهر، قاطعوا المسلسلات التي تُصاغ خلال العام لكي تبعد المسلمين في هذا الشهر عن الله سبحانه وتعالى.

وأنا أقول: إن هؤلاء الذين يوغلون في هذه الأعمال التي يحاربون بها الله قبل أن يحاربوا بها دين الله عز وجل، إنها نذيرٌ لعقاب شديد، إنها نذير لسخطٍ رباني أسأل الله أن يبعده عن هذه البلدة المباركة، نعم هي بلدة مباركة، ومعنى أنها بلدة مباركة أن الله أقام فيها من يكونون حراساً لدين الله، من يكونون حراساً لشريعة الله عز وجل.

بلدتنا لن تقبل مسلسلات تحارب دين الله وأنا أعلم ذلك يا عباد الله ولكن الفضائيات الكثيرة من حولكم ترسل ما تزال سمومها فكيف السبيل؟ السبيل أن تحصنوا أنفسكم.

هنالك مسلسلات توضعت فيها – وأنا أعني ما أقول – جراثيم لأمراض وأوبئة خبيثة ستسري عما قريب إلى جسوم أصحابها فإياكم وإياها، لا تعرضوا أنفسكم لعدواها. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

هل ستثمر غراس شهر رمضان في قلوبنا

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئُ مَزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللّهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه وصفيّه وخليله خيرُ نبيٍ أرسلَه، أرسله اللهُ إلى العالم كلِّه بشيراً ونذيراً، اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى

أمّا بعدُ فيا عباد الله..

إنه لجميلٌ حقاً أن تزدحم المساجد في مثل هذا الشهر المبارك بالمصلين بالراكعين والساجدين، وإنه لجميلٌ حقاً أن يتسابق الناس رجالاً ونساءً إلى المساجد للقيام بالقيام الذي ندبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في هذا الشهر، وإنه لجميلٌ حقاً أن يُقبل الناس إلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وأن يُكثر الإنسان منا من قراءة كتاب الله عز وجل في البكور والآصال ... كل ذلك من أبرز مظاهر القرب إلى الله سبحانه وتعالى، ومن أبرز ما يتعلق بشعائر هذا الشهر المبارك.

ولكن هذا كله أشبه ما يكون بغراسٍ فاضت به الأرض، فاخضرّ وجه الأرض بهذا الغراس، إنه لمنظر جميل حقاً، وإن الآمال لتزدهر بمرأى هذا الغراس وهذه الخضرة التي أينعت في وجه هذه الأرض، ولكن الأمل ينتظر أن يزدهر هذا الشيء بثماره، فالغراس يبعث على الأمل لا لذاته ولكن للثمار المرجوة من وراءه.

وهكذا فإن إقبال الناس إلى المساجد في هذا الشهر، وإن ازدحام المساجد بالمصلين والراكعين والساجدين، وإن كثرة الإقبال إلى كتاب الله سبحانه وتعالى قراءةً وتدارساً .. كل ذلك أشبه ما يكون بغراسٍ أينعت في الأرض والآمال لا تتعلق بهذه الغراس وإنما تتعلق بالثمار الآتية من وراءه، فما هي ثمار الإقبال على المساجد في هذا الشهر؟ ما هي ثمار الإقبال إلى كتاب الله سبحانه

وتعالى؟ ما هي ثمار الإقبال إلى المساجد لصلاة التراويح وقراءة جزءٍ من كتاب الله عز وجل في كل ليلة؟

ثمار ذلك أيها الإخوة أن تتطهر قلوبنا من حب الدنيا، وأن تقبل إلى الله سبحانه وتعالى خليةً طاهرةً نقية، إن أمرنا الله عز وجل بعبادة فمن أجل تطهير أفئدتنا يأمرنا الله بها، وإن أمرنا الله عز وجل بكثرة الركوع والسجود، فلهذه الحكمة يأمر، وإن أمرنا الله عز وجل بكثرة التبتل والذكر بين يديه فمن أجل تطهير قلوبنا من محبة الدنيا يأمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك كله.

وقد قال لنا الباري سبحانه وتعالى فيما خاطبنا به بمحكم تبيانه: "وأُحضرت الأنفس الشح" هكذا قضى الله عز وجل، قضى الله سبحانه وتعالى أن يحبب إلينا الدنيا، ثم قضى الله عز وجل أن يبتلينا بالشح، فيجعلنا نتكالب على المال بعد أن جعلنا الله سبحانه وتعالى نحبه "وإنه لحب الخير لشديد" ما الحكمة من هذا؟

الحكمة من هذا أن يوجهنا إلى الدواء الذي يحررنا من حبنا للدنيا وللمال، ثم يوجهنا إلى الدواء الذي يحررنا من الشح الذي ابتلانا الله سبحانه وتعالى به، الصلاة السجود الركوع كثرة قراءة القرآن الوقوف خلف الإمام بإصغاءٍ إلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى بمقدار جزءٍ في كل ليلة .. كل ذلك أدوية كل ذلك سبل من أجل أن يطهر الإنسان قلبه بهذه السبل من محبته للدنيا، ومن أجل أن يتحرر من الشح الذي ابتلانا الله سبحانه وتعالى به، فهل أينع هذا الغراس ثماراً؟ هل حقق هذا الغراس الذي يبعث السرور فعلاً في النفوس؟ هل حقق هذه الثمار التي ينتظرها الله سبحانه وتعالى منا؟ يقول الله عز وجل في مكانٍ آخر: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"؛ قال أولاً: "وأحضرت الأنفس الشح" ثم قال: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون."

وللإنسان أن يقول: ولكن يارب ابتليتني بالشح، فكيف السبيل إلى أن أتوقى ما قد ابتليتني به؟

السبيل هذا الذي أمرك الله عز وجل به، كثرة الركوع والسجود صلاة التراويح في هذا الشهر الإقبال إلى كتاب الله سبحانه وتعالى قراءةً أو إصغاءً. ما المراد منه؟ المراد منه أن تعالج جراحك المراد منه أن تحرر نفسك من شحك، ولقد ابتلانا الله سبحانه وتعالى بالمال، وملكنا إياه فيما

نزعم، ولكن الله لم يقل ولا في آية من كتابه أننا امتلكنا مالاً، إطلاقاً، إن حدّث عن صلة الإنسان بالمال. إما أن يقول: "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم". وإما أن يقول: "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه". هل رأيتم في كتاب الله آيةً يعلن البيان الإلهي فيها أن الإنسان يملك مالاً؟ لن تجدوا إطلاقاً. ولكن الله عز وجل مع ذلك قضى بأن يكون الإنسان محباً للمال، كي يبحث عن العلاج فيستعمله ومن ثم كي يتخلص من هذا الداء العضال.

والله الذي لا إله إلا هو لو قرأنا كتاب الله سبحانه وتعالى وختمناه في كل يوم مرة من هذا الشهر، ثم مضى هذا الشهر وقلوبنا متعلقةٌ بالدنيا، ونحن في سجن هذا الشح الذي ابتلانا الله عز وجل به، لن يفيدنا كتاب الله عز وجل شيئاً.

اسمعوا هذه الكلمات التي قالها حارثةُ رضي الله عنه لرسول الله يوم سأله صلى الله عليه وسلم: "كيف أصبحت يا حارثة"؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: "ويحك إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك" ما الدليل على إيمانك؟ لم يقل أصبحت مكثر من الصلاة، لم يقل إنني أقرأ كتاب الله من ألفه إلى يائه في كل يومٍ مرة، ما قال هذا، وإنما قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة ينعمون في نعيمها، وكأني بأهل النار يتعاوون فيها. هذا ما قاله حارثة. فماذا أجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "أبصرت فالزم". تلك هي الحقيقة.

هذه هي النتيجة من كثرة الصلاة من كثرة العبادة من كثرة التبتل من كثرة ذكر الله سبحانه وتعالى، وإنني لأعجب لإنسانٍ يقرأ الكثير والكثير من كتاب الله عز وجل، وإني لأكثر عجباً من إنسانٍ يتجه إلى المساجد التي يُتلى فيها كل ليلة جزء من كتاب الله عز وجل، ثم يصلي ويركع ويسجد ويدعو ويتبتل، فإذا طرق بابه طارقٌ يطلب منه شيئاً من حق الله سبحانه وتعالى في ماله، تبرم وأعرض وأظهر الضجر وربما اعتذر بأنه لا توجد سيولة. كيف يمكن أن أتصور غراساً يفيد إذا لم أجد الثمار وقد ازدهرت في أعلى الغراس. ماذا أصنع بالشجر الذي لا يُثمر؟ هل مآل هذا الشجر إلا إلى الحريق أيها الإخوة.

مصيبة المسلمين أيها الإخوة أنهم في أحسن أحوالهم يملأون المساجد، وهذا ما نحمد الله عز وجل عليه، ولكننا عندما ننظر إلى التضامن الذي هو أساس ديننا الإسلامي العظيم، إلى التكافل

الذي هو دعامة هذا الدين، لا نجد أحداً من المسلمين في هذه الساحة إلا القلة النادرة، الكل يشكو، الكل يتأفف من سوء الحالة الاقتصادية، الكل يشكو من عدم وجود السيولة، وكلمة السيولة كلمة يدرك معناها وأبعادها التجار، وما أكثر ما يعتذرون بها. ولكنني أتساءل: ترى هل سيقبل الله سبحانه وتعالى المعذرة من خلال ترديد هذه الكلمات؟

أيها الإخوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان في جوده كالريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في هذا الشهر. فإن أردتم أن تتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بطاعةٍ يرضاها، وإن أردتم أن تختصروا المسافة في العبادة بينكم وبين الله عز وجل، فتحرروا من الشح، وكونوا مظهراً لقول الله عز وجل: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون". وما أيسر أن يتخلص الإنسان من شح نفسه بالعقيدة الإيمانية التي توج الله سبحانه وتعالى أفئدتنا وقلوبنا بها.

أنا أعجب من إنسانٍ يدعي أنه مؤمن بالله، وأنه مصطبغٌ بأركان الإيمان كما أراد الله عز وجل، ثم إنه يتكالب على المال ويشح به، هذا نقيض ذاك..

إيماني بالله يعني أن الله هو الرزاق.

إيماني بالله يعني اليقين بقول الله تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه."

إيماني بالله يعني اليقين بقول الله سبحانه وتعالى: "فابتغوا عند الله الرزق."

إيماني بالله يقتضي أن أعلم أن هذه الدنيا زائلة، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فكيف يجتمع ايماني بالله عز وجل مع نقيض ذلك كله؟

أنا مؤمنٌ بالله وأتكالب على المال، أنا مؤمنٌ بالله ويمر العام ولا أفكر بحق الله سبحانه وتعالى في المال الذي عندي، يمر العام وأنا مؤمنٌ بالله سبحانه وتعالى ويدعو هذا الشهر المتبتلين والقائمين والراكعين والساجدين إلى أن يأتسوا ويقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نجد إنساناً هناك.

أيها الإخوة إن الله عز وجل قال في محكم تبيانه: "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً"، ومن مظاهر هذه الفتنة أن الله ابتلى الغني بالفقير، وابتلى الفقير بالغني، ولو شاء الله عز وجل لبسط مائدته أمام الجميع فتساوى الناس في المال، ولكن الابتلاء يختفي عندئذٍ.

ابتلى الله عز وجل الغني بالفقير الذي يراه عن يمينه وشماله وفي السوق وفي الصباح والمساء. ترى هل سيقتطع من ماله الذي يشح به ليعطي هذا الإنسان الفقير ويعلو به من مستوى الفقر إلى مستوى الكفاية؟

وابتلى الله الفقير بالغني هل سيذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى. هل سيصبر؟ هل سيتعفف؟ وهكذا..

هذه حقيقة الدنيا، وهكذا يسير الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وأنا أتحدث عن حق الله سبحانه وتعالى في أموال الأغنياء، وربما تصور الكثير منا أن هذا المسجد لا يضم بين جنباته إلا الفقراء، ليس الأمر كذلك أيها الإخوة فالفقر أمرٌ نسبي والغنى أمر نسبي، كل واحد منا غني بالنسبة لمن دونه، وفقير بالنسبة لمن فوقه، وهكذا فكل إنسانٍ مكلف بأن يعود بفضل من زاده أو ماله إلى من كان دونه، وكل منا يستطيع أن يرى من الناس من هو دونه في المستوى المعيشي.

ولكن ما ينبغي أن تنظر دائماً إلى من هو أعلى منك حتى يحجبك كذلك عن النظر إلى من هو دونك، إذا سرنا على هذا النهج، فكلٌ منا يتمتع بجزء من الغنى، نعم وكل منا ينبغي أن يصغي للاصطباغ والخضوع والانقياد لقول الله سبحانه وتعالى: "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم."

كل منا نبغي أن يصغي إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خوفٍ وهلع: (إن الله عز وجل قد جعل في مال الأغنياء بالقدر الذي يسع فقراءه، وإن الفقراء لن يجهدوا إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياءهم، وإن الله محاسبهم على ذلك حساباً عسيراً.(

وخلاصة هذا الكلام الذي أريد أن أقوله أن المسألة أمام الله عز وجل ليست بكثرة الركوع والسجود، وليست بكثرة قراءة كتاب الله عز وجل، وليست بحمل المصحف خلف الإمام في

صلاة التراويح، كل ذلك سبل ووسائل .. إنما الأمر يظهر جلياً بمقياسٍ إلى قرب الإنسان من الله أو بعده من الله؛ إنما يتبين ذلك كله بمدى تحرر الإنسان من شحه، عندما أنظر إلى الدنيا نظر حارثة رضي الله عنه كطعامٍ عفن أكلت وشبعت منه وبقي منه بقية أتركها وراء ظهري، عندما أنظر إلى الدنيا على أنها عرضٌ زائل عندما يستوي لدي أن أنفق الملايين في سبيل الله عز وجل لمن هم بحاجة إليها، أو أن أدخرها في صندوقي، عندما يستوي هذا وذاك، هذا هو القرب الموصل إلى الله سبحانه وتعالى.

فانظر يا أخي المسلم إذا وجدت نفسك قد وصلت إلى حالةٍ رأيت أن الآلاف أو الملايين التي تملكها لا فرق بين أن تحل في جيب إنسانٍ فقيرٍ أمر الله بإكرامه، وبين أن تحل في جيبك، عندما تصل إلى هذه الحالة. اعلم أن الله قد تقبل منك عملك.

نعم .. ومع ذلك فالدرجة التي هي أعلى من هذا بكثير، هي أن ترى أن المال الذي يخبئ في جيبك، ليس إلا ترة عليك، وليس إلا عبئاً تحمله على ظهرك، أما المال الذي يودع في جيب فقير أمرك الله سبحانه وتعالى بالنظر إلى حاله، فذلك هو الغنى الذي يكرمك به، وذلك هو الينبوع الذي لا يمكن أن يجف بشكل من الأشكال. ألم تسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل داره وسأل عن بقايا لحم كانت في الدار. قالوا: يا رسول الله ذهب كلها إلا الكتف، أي تصدقوا بالجميع إلا الكتف، فقال: (بقيت كلها إلا الكتف). ما أنفقتموه هو الباقي، وما بقي هو العبء الذي نتحمله.

هذا هو المطلوب منا أيها الإخوة، (وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم)، (أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)، لا تتصوروا أنكم تملكون في هذه الدنيا شيئاً، والله الذي لا إله إلا هو إن الإنسان لا يملك في هذا المعبر الذي يحده من طرف يوم الولادة ويحده من الطرف الآخر يوم الممات، لا يملك إلا عمله، لا يملك إلا ذلك الكفن الذي ينزل به في حفرته، هذا ما تملكه. أما كل ما وراء ذلك فشيء ابتلاك الله عز وجل به. ترى هل ستنفذ فيه حكم الله؟ هل ستكون من الكرم مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل ستعطي وأنت تذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه: "أنفق بلالاً ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً."

أقول قولي هذا وأسأل الله العظيم أن يتقبل منا أعمالنا وأن يتوج عباداتنا بالكرم وبإعطاء حق الله سبحانه وتعالى في أموالنا.

حافظوا على شعائر الله في رمضان

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

إن هي إلا أيام يسيرة ويقبل علينا شهر الله المعظم، شهر رمضان، هذا الشهر الذي شاء الله عز وجل أن يجعله بريد حب ورسالة رحمة وإعلاناً عن مغفرة، هذا الشهر الذي أعلن عنه رسول الله r في خطبة قال في افتتاحها: (أيها الناس قد أقبل عليكم شهر عظيم فرض الله عليكم صيامه وسَنَنْتُ لكم قيامه) ثم مضى يتحدث عن هذا الشهر ووصَفَهُ بأنه شهر المواساة، أي شهر الإحسان ومَدُّ يد المساعدة إلى الآخرين، وشهر التراحم، أي شهر الذي تمتد فيه مشاعر الأخوة ومشاعر الود والتآلف بين عباد الله جميعاً، يتصالح فيه المتخاصمون ويتواصل فيه المتقاطعون، هكذا وصف رسول الله r هذا الشهر وما يتضمنه.

ولقد جعل المصطفى r شعاره معلناً ذلك بلسانه، جعل شعاره قوله: (يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر). (يا باغي الخير أقبل) مُدَّ رواق الأخوة والود وآصرة الرحمة بينك وبين عباد الله جميعاً، (ويا باغي الشر أقصر) أقصر أذاك عن عباد الله سبحانه وتعالى، لا توغل في الأذية والإساءة، أقصر من الأذى لعباد الله سبحانه وتعالى، لا تحاول أن تمد براثن أذيتك وبغيك إلى

الناس، إلى عباد الله عز وجل أياً كانوا، هذا معنى قوله الذي ذكره بل أعلنه شعاراً لشهر رمضان (يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر).

هذا الرسول الذي قال هذا الكلام هو ذاته الذي قال في حديث صحيح متفق عليه: (من لا يرحم الناس لا يرحمهم الله).

ترى ما هو مصير من حاول أن يُفْرِغَ هذا الشهر المعظم من المضمون الذي أحبه الله عز وجل له، حاول أن يفرغه من الرحمة التي أرسلها من خلاله إلى عباده، حاول أن يجتث الرحمة التي في أجواء هذا الشهر وأن ينشر في مكان ذلك الرعب والخوف، حاول أن يجتث المواساة التي جعلها الله سبحانه وتعالى معلمة هذا الشهر وأن ينثر وأن ينشر في مكان ذلك المخاوف والفتن وأسباب القتل والتخريب. ما مصير هذا الإنسان إذ يقف من الشهر هذا الموقف، يفرغه من مضامينه ويحاول أن يملأه بنقيض ما أحبه الله سبحانه وتعالى لعباده في هذا الشهر. ما مصير هذا الذي يقبل إلى مساجد الله عز وجل في أمسيات رمضان ثم لا يدبر عنها إلا وهي خاوية من روادها، إلا وهي مقفرة من الركع والسجد الذين يغشونها ذكوراً وإناثاً. ما مصير هذا الذي يقبل في كل أمسية من أمسيات رمضان إلى الشوارع والساحات ثم إنه لا يغادرها إلا وهي موحشة، إلا وهي بلقع بعد أن كانت تفيض بالساعين ذكوراً وإناثاً إلى بيوت الله عز وجل ولسان حال كلٍّ منهم يقول: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [طه : ٨٤].

ما مصير هؤلاء الذين أقبلوا إلى مساجد الله عز وجل في ليالي رمضان ثم لم يدعوها إلا وهي بلقع فارغة من أولئك الذين كانت تزدهر بهم.

ما مصير هؤلاء الذين لم يدعوا شوارع الليالي – ليالي رمضان المؤنسة المحببة – إلا وهي موحشة ليس فيها داعٍ ولا مجيب، أين هم أولئك الذين كانوا يتسابقون إلى المساجد لقيام رمضان ذكوراً وإناثاً.

هل يمكن يا عباد الله أن يُحَارَبَ شهر رمضان بأعتى من هذه الحرب بهذه الصورة؟ ترى هل هذا هو الأمر المبيت لشهر الله عز وجل عندما سيقبل عما قريب؟

أنا أتساءل، أنا أتصور ما قد بلغني وأرجوا أن ما قد بلغني خطأً وليس صحيحاً، ولكني أفترض أن يكون الأمر صحيحاً، أفيمكن لشامنا هذه أن يكون هذا شأنها مع رمضان لأول مرة في تاريخها؟ أجل لأول مرة في تاريخها. حتى في أيام الحروب الصليبية كان القوم يهابون هذا الشهر وكانوا يعرفون له قيمته، نعم، أفيعقل هذا يا عباد الله، أن يأتي رمضان ولسان حال الأمة تعتذر له بأن المساجد غير مؤهلة لاستقباله وبأن الشوارع غير مؤهلة لأن تزدان بجماله، أفيعقل أن ننظر فنجد الناس الذين كانوا يهرعون إلى بيوت الله ذكوراً وإناثاً راكعين ساجدين أن نجدهم اليوم وقد حُبِسُوا في بيوتهم وحيل بينهم وبين الإقبال على الله وأخذت ألسنتهم تتوهج وتتوجه بالدعاء على من كان السبب في الحيلولة بينهم وبين الاستجابة لنداء الله سبحانه وتعالى، يدعون من قلوب مكلومة مجروحة على من منعوهم من الاستجابة لأمر رسول الله القائل:

(يا باغي الخير أقبل).

أرجو أن يكون هذا التصور الذي نسَجَتْه أخبار وأخبار في ذهني تصوراً باطلاً، ولكني على كل حالٍ يا عباد الله هاأنذا أتوجه من هذا المكان إلى إخوةٍ لنا سواء كانوا في داخل هذا البلد المبارك أو كانوا في خارجه، أتوجه إليهم وأنا أعلم وأنا على يقين من أننا بيننا وبينهم خيطاً بل حبلاً لا يزال ممتداً، إنه حبل الإيمان بالله، إنه حبل الانتماء بالعبودية إلى الله عز وجل، هاأنذا أناشدهم بسم هذا الحبل الجامع بيننا وبينهم، هاأنذا أناشدهم بقول الله عز وجل القائل:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات : ١٠].

أناشدهم بهذا القرار الذي أعلنه بيان الله عز وجل ألا يحاربوه، وألا يستبدلوا بهذا القرار نقيضه، ألا يستبدلوا بالأخوة التي قررها بيان الله عز وجل بيننا العداوةَ والبغضاء والتربص والمخاوف والرعب بكل أشكاله لاسيما في ليالي وأيام رمضان، أناشدهم القربى، أناشدهم هذا الحبلَ الجامع بيننا وبينهم، أناشدهم الجامع المشترك من عبوديتنا جميعاً لله عز وجل ألا يمزقوا أمر الله عز وجل القائل بعد قراره:

(فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) [الحجرات : ١٠].

أناشدهم إيمانهم بالله عز وجل ألا يستبدلوا بالصلاح الفساد وكأنهم يقولون: لا بل إن شأننا أن نحيل الصلاح الذي أمرت به إلى فساد سنوغل فيه.

هذا ما أقوله بين يدي شهر الله عز وجل، بين يدي شهر رمضان المعظم.

أنا لا أتوجه بهذه المناشدة إلى من وراءهم، إلى الملقنين داخل المسرح كما قلت بالأمس، هؤلاء ليسوا منا في شيء ولسنا منهم في شيء، أولئك الملقنون لا يقيمون وزناً لا لرمضاننا ولا لقرآننا ولا لنبينا. متى كان داود ليفي يهتم بهذا الذي أقول؟ هذا الذي يمسك – أيها الإخوة – بملف سوريا وقد راهن على أن كل ما قد قرره سَيُنَفَّذ، لا أتوجه إليه ولا إلى صحبه الغادين والرائحين ما بين إسرائيل وباريس صباح مساء من أجل أن ينضجوا الخطة ومن أن أجل يقفزوا من رسمها إلى تنفيذها، ليسوا منا في شيء، ولكني أتوجه إلى إخوة أعزة لنا، أتوجه إلى من يجمعنا بهم نسب الإيمان بالله، أتوجه إلى من يجمعنا بهم نسب العبودية لله، أتوجه إلى من يجمعنا بهم الإيمان بقدسية شهر رمضان والإيمان بوصايا رسول الله r.

أيها الإخوة لا تكونوا سبباً في أن تقفر المساجد لأول مرة في رمضاننا المقبل عن روادها، لا تكونوا سبباً لأن تقفر شوارع الشام لأول مرة عن المتسابقين رجالاً ونساءً إلى بيوت الله عز وجل، لا تكونوا سبباً في أن تخفت أصوات التالين لكتاب الله عز وجل، لا تكونوا سبباً في أن ننظر إلى الشام يمنة ويسرة أثناء شهر رمضان المبارك وكأن الشام تعتذر لرمضان تقول له: لسنا منك هذا العام من شيء ولست منا في شيء.

أيعقل أن يكون مسلم سبباً لهذا؟ ثم ماذا؟ يفعل هذا كله بسم الجهاد؟ أرأيتم إلى جهاد يحارب شعارات رمضان؟ أرأيتم إلى جهاد يحارب شعار المصطفى القائل عن هذا الشهر المبارك: (يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر)؟ أرأيتم إلى جهاد يدور رحاه على المسلمين، على الآمنين المطمئنين؟ أرأيتم إلى جهاد يعرض أصحابه – بل يستخف أصحابه بقول رسول الله في الصحيح: (من خرج من أمتي على أمتي لا يتحاشى مؤمنها ولا يفرق بين برها وفاجرها ولا يفي بذي عهدها فليس مني ولست منه).

مرة أخرى أقول: أنا أتصور وهو خيال نسجته أخبار وصلت إلي ولكني إلى هذه اللحظة لا أضع هذه الأخبار من ذهني موضع اليقين. إخواننا المؤمنون بالله أسمى من أن يكونوا على هذه الحال، إخواننا المؤمنون بالله سيستيقظون ولسوف يقطعون صلة ما بينهم وبين ليفي، ولسوف يقولون: لسنا منك في شيء، لسنا جنوداً لك على باب الشيطان، لسنا جنوداً لك مهما وصفتنا بأننا أصدقاء مغفلون. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

الفساد المستشري

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، أما بعد فيا عباد الله يتفاقم في هذه الأيام من هذا الشهر المبارك الحديث عن الفساد المستشري في كثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية لاسيما ذلك الذي يتمثل في اتساع الهوة وعمقها بين فئات الأغنياء الموسرين وبين أصحاب الضرورات المعيشية من الفقراء المعوزين، وكثيراً ما عوتبتُ لتقصيري في الحديث عن هذه المشكلة وعدم معالجتها، والحقيقة أن الذي كان ولا يزال سبباً لتقصيري في معالجة هذه المشكلة أنني إذا أردت أن أتحدث عن الداء فلا بد أن أُتْبِعَ الحديث عنه بوصف الدواء والذي أعتقده أن الذين ينبغي أن يستعملوا الدواء معرضون عنه ولسوف يظلون معرضين عنه ومع ذلك فإنني أتصور أنني ربما كنت مبالغاً في إساءة الظن وهاأنذا سأحاول في هذا الموقف يا عباد الله أن أتحدث عن هذه المشكلة وأرسم العلاج الذي لابد منه للتغلب عليها، أما وصف المشكلة، وصف الفساد المستشري فأعتقد أنه لا داعيَ إلى الإطالة في ذكره فالحديث عنه مكرور ومعاد

ومكرر وقد شبعت الآذان والأسماع من الحديث عنه أما الدواء الناجع الذي لابد منه فقد لخصه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كلمات يسيرة وذلك في الحديث الذي يرويه أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء ، هذا هو العلاج باختصار أيها الإخوة وموقفي الساعة أن أشرح هذا الملخص الذي ذكره لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إن الرحمة التي نبَّهَنا إليها رسول الله وأمرنا بها تتمثل في درجات كثيرة متتابعة أدناها وأولها أن يؤديَ المسلمون الموسرون حقوق الله سبحانه وتعالى في أموالهم لأصحاب هذه الحقوق وذلك يتمثل في زكاة المال، هذه هي الدرجة الدنيا والأولى من التراحم الذي نبهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوضح لنا البيان الإلهي أن هذا الحق المتمثل في ما يتصور أنه مال للغني هو ليس ماله وإنما هو مال ذلك الفقير أُودِعَ في صندوقه، {وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ [النور: من الآية٣٣]، {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ [الحديد: من الآية٧]، فهل الموسرون أو أكثرهم يؤدون هذا الحق المتمثل في صناديقهم وأموالهم لله عز وجل عن طريق إعطائه للمعوزين والمحتاجين؟ أنا أقول لكم يا عباد الله بصريح القول: على الرغم من أن كثيراً من الموسرين يتسابقون إلى إقامة المآدب الكبيرة في المزارع الواسعة بالمناسبات المختلفة التي تمر فإن هذا الكرم يختفي ويظهر في مكانه الشح عندما يُدْعَى الواحد منهم إلى بذل حق الله سبحانه وتعالى في ماله، عندما يدعى الواحد منهم إلى بذل هذا الحق الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في ماله أمانة للفقراء، ما أكثر ما رأيت الكرم الذي يتلألأ عندما تلوح المصالح والمغانم الدنيوية والآمال التي من ورائها ثم كم رأيت كيف يختفي هذا الكرم المتلألئ وينتشر في مكانه الشح العجيب مصداقاً لقوله تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ [النساء: من الآية١٢٨]، ولربما اعتذر أحدهم بمثل ما اعتذر به المشركون من قبل، لربما قال قائلهم: لماذا أودع الله سبحانه وتعالى حق الفقراء في صناديق الأغنياء ثم طلب من الأغنياء أن يعيدوا هذا الحق إليهم؟ لماذا لم يضع هذا الحق رأساً في جيوب الفقراء؟ وصدق الله القائل وهو يروي حديث المشركين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [يّس:٤٧]، ولربما قال

قائل أيضاً يا عباد الله أين أنت من المؤسسات الخيرية الكثيرة التي تنثر وتنشر في كل يوم ربما مئات الوجبات الغذائية تطرق بها أبواب الفقراء والمعوزين؟ وأقول في الجواب: نعم وجزا الله هذه المؤسسات وأصحابها خيراً ولكن هذه الوجبات تشبع الجائع ولا تغني الفقير، ولله عز وجل حكمة عندما أمر بدفع زكاة المال المتمثل في السيولة المالية، ليس الهدف من المشرع أن يشبع الفقير الجائع على أن يبقى في مكانه يراوح في مكان فقره، ليس هذا هو المراد وإنما المراد من بذل هذا الحق للفقراء أن يتحول الفقراء شيئاً فشيئاً عن طريق ذلك إلى مستوى الغنى، والقاعدة الفقهية في هذا الأمر تقول: إذا أعطيتم فأغنوا، والوقت لا يتسع للحديث عن آداب إخراج الزكاة وكيف ينبغي أن تكون وكيف السبيل إلى أن يستغني بها الفقراء شيئاً فشيئاً ويتحولوا من الفقر إلى الغنى، أما الوجبات فهي تعود الفقير على أن يرضى ببؤسه وكأنه يسمع قول الشاعر: واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي، يا عباد الله هذا هو الدواء الذي وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم زاده بياناً عندما قال بصريح القول: (إن الله فرض في أموال الأغنياء بالقدر الذي يسع فقرائهم ألا وإن الفقراء إذا جُهْدُوا فجاعوا وعروا لن يكون ذلك إلا بما يفعل أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم حساباً شديداً فمعذبهم عذاباً كبيراً)، فرق كبير بين أن أبذل المال في سبيل أن أحقق لنفسي هالة بين الناس وفي سبيل أن أتصيد من وراء ذلك مصلحة دنيوية أخطط لها وبين أن أتعامل مع الله في خلوة لا يراني إلا الله سبحانه وتعالى، أنظر إلى المال الذي متعني الله عز وجل به وأصغي إلى قوله: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ [الحديد: من الآية٧] وأقول بيني وبين ربي إذاً أنا خليفة على هذا المال عنك يا رب، هو ليس مالي ولكنه مالك ائتمنتني عليه لبيك لبيك يا مولاي، إن للفقراء، بل هو لك، حقاً في هذا المال فلسوف أُخْرِجُ هذا الحق بحساب دقيق بل أزيد عليه وألقى هؤلاء الذين ابتليتني بهم وأنت القائل: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً [الفرقان: من الآية٢٠]، أخرج فأطرق باب هؤلاء الإخوة وأنا أشعرهم بأنهم هم المتفضلون عندما يقبلون هذا الحق وأشعرهم بالأخوة السارية بيني وبينهم وأنا في هذا إنما أتعامل مع الله عز وجل ولكأني بهذا الغني وهو يعطي حق الله عز وجل لهؤلاء المعوزين يقول للواحد منهم أنا لم أعطك هذا المال لكنه أعطيت لله ولكأن الفقير يقول وأنا لم آخذه منك وإنما أخذته من الله، عندما يرقى المجتمع إلى مستوى هذا التراحم فاعلموا أن

المشكلة تذوب وتمحي، علاج هذه المشكلة التراحم يا عباد الله، وإن صوم رمضان معين بل ينبوع لهذا التراحم، إذا شعر الصائم بالجوع أيقظه الجوع إلى عبوديته لله وعلم أنه محبوس عن الطعام والشراب بسبب عبوديته لله، ثم إن عبوديته لله إذا استيقظت ساقته إلى الرحمة، عبودية تنبثق من الصوم والرحمة تنبثق من هذه العبودية، ولكن ماذا أقول؟كثير من هؤلاء الصائمين الموسرين يتعرضون لنفحات الرحمة الإلهية في النهار من خلال صومهم ولكنهم في المساء يتعرضون للملهيات والمنسيات ويقبلون إلى ما يسمى بالسهرات الرمضانية في الليل، في النهار تنتعش أرواحهم بمشاعر العبودية الراحمة وفي المساء تعود فتقسو قلوبهم بسبب هذه السهرات الرمضانية التي لا داعيَ إلى أن أصفها لكم، يا عباد الله اجعلوا سهراتكم الرمضانية قربة إلى الله، لا تجعلوها قربى إلى النفس وغوائلها، اجعلوا سهراتكم الرمضانية سهراتٍ تنفقونها ركعاً وسجداً لله سبحانه وتعالى، اجعلوا سهراتكم الرمضانية بيعةً جديدة مع الله عز وجل تجددون فيها التوبة، تجددون فيها الاستغفار وأنا أعلم أن الله عز وجل يقول لبيك، أسأل الله عز وجل أن يُقْدِرَنَا على استعمال العلاج، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

يا باغي الخير أقبل

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، أما بعد فيا عباد الله مع دخول هذا العشر الأخير من شهر رمضان المبارك يتسابق إلى الصائم نداءان اثنان أحدهما يقول يا باغي الخير

أقبل، ثانيهما يقول يا باغي المتعة والتسالي الرمضانية أقبل، النداء الأول يقول يا باغي الخير أقبل إلى محراب العبودية لمولاك وخالقك، اركع مع الراكعين، اسجد مع الساجدين، استغفر الله عز وجل وتب إليه وادعه بما شئت فهو مقبل إليك، يغفر الذنب الذي تستغفر منه، يقبل التوبة التي تقبل بها إليه، يجيب دعاءك ويحقق رجاءك، وأما النداء الثاني فيقول يا باغي المتعة والتسالي الرمضانية صالات المطاعم بكل ما فيها من منسيات وملهيات تنتظرك، أبهاء الفنادق كل ذلك قد ازين بمناسبة هذا الشهر، شهر رمضان، أقبل إلى الملهيات الرمضانية المتنوعة المختلفة، سلِّ رمضانك من المساء إلى السحور فإلى لمعة الفجر، ترى يا عباد الله أي الندائين يلقى استجابة من عباد الله الصائمين في هذا الشهر المبارك، قبل أن أجيب ما ينبغي أن نحجز أعيننا عن الإجابة الحقيقية بصور المساجد التي تزدهي بالمصلين، المساجد التي يقبل إليها الراكعون الساجدون، تعالوا نخترق هذه الصور التي نعرفها ونألفها جميعاً، تعالوا نخترق هذه الصور إلى ما وراءها ماذا نجد؟ نجد سائر المطاعم، سائر المقاهي، أبهاء الفنادق على اختلافها نجدها جميعاً تغص بالوافدين إليها من أجل المتعة، من أجل التسالي الرمضانية، من أجل الملهيات الرمضانية، الموائد التي تُحْجَز تُحْجَز قبل أسبوع، كل هذه الأماكن تغص، تغص بمن؟ بهؤلاء الذين يستجيبون لهذا النداء الثاني لاسيما تلك الطبقات التي تسمى مخملية وليت أنها فعلاً كانت مخملية، تلك الطبقات التي أكرمها الله عز وجل بالنعم فأبطرتها النعمة بدلاً من أن تقودها إلى شكر الله سبحانه وتعالى، ولربما كان في هؤلاء الذين يتسابقون إلى هذه الصالات والمطاعم من أجل التمتع بالملهيات الرمضانية ربما كان فيهم من يفتتح أمسيته وسهره بركعات يركعها مع المصلين في المسجد ثم إنه يتجه إلى المائدة التي كان قد حجزها وقد أيقن أنه كفَّرَ سلفاً عن هذا الذي هو مقبل إليه، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، وفي رواية، غفر له ما تقدم وتأخر، إذاً فليذهب إلى سهراته مطمئن البال لأنه كفَّر عن هذا الوزر الذي هو مقبل إليه، ربما كان في الصائمين من يطمئن نفسه بهذه الفلسفة، ولكن يا عباد الله ينبغي أن تعلموا وأن يعلم هؤلاء الإخوة أن سر القبول لا يكمن في حركات الراكعين والساجدين، السر الذي به يغفر الله عز وجل الذنوب السابقة واللاحقة لا يكمن في حركات الجسد صاعداً راكعاً جالساً وإنما يكمن في العامل الخفي الذي يقوده إلى

هذه الحركات، السر، سر القبول، سر التوبة يكمن في العبودية التي تهيمن على القلب والتي هي مزيج حب للخالق وتعظيم له ومخافة منه ويقيناً بمملوكيته لهذا الإله، هذا السر عندما يكون هو الدافع إلى ركوع الراكعين وسجود الساجدين هذا السر هو السبب في أن الله عز وجل يغفر لهذا الإنسان ذنوبه السابقة ولربما اللاحقة أيضاً ولكن فلنعلم أن الذي يقوده إلى محراب العبودية لله، عبوديته الضارعة لله سبحانه وتعالى، يقينه بمملوكيته لله، يقينه بأنه سيقف عما قريب وقفة ضراعة وذل بين يدي الله، يقينه بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [الانشقاق:٦]، عندما يكون هذا هو الدافع لهذا الإنسان لأن يركع مع الراكعين ويسجد مع الساجدين وأن يقوم ليالي رمضان فهيهات هيهات أن يُفْسِدَ بعد ما أصلح، هيهات أن يُفْسِدَ إقباله إلى الله سبحانه وتعالى بالتوجه بعد ذلك إلى ليل المنسيات والملهيات هيهات، إذا دعاه شيطان من شياطين الإنس، وشياطين الجن مصفدة في هذا الشهر، إذا دعاه شيطان من شياطين الإنس إلى تلك الملهيات الرمضانية قال له: مه أنا عبد مملوك لله لا أخالف أمره، حبي لله عز وجل يمنعني من أن أخونه، تعظيمي لله عز وجل يمنعني من أن أكون ذا وجهين، وجهٍ كنت به أصلي له ووجهٍ آخر كنت به أعرض عنه لا يمكن، وانظروا يا عباد الله إلى هذا المعنى كيف يتجلى في كلام الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [ابراهيم: من الآية٢٥]، هذه الشجرة ليس السر في الأغصان التي تتراءى لك في أعلاها وإنما السر في الجذور الخفية الكامنة وسط التربة، هذه العبادة كهذه الشجرة، سر العبادة كامن في جذورها، كامن في أساسها الخفي، أساس العبادة عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى، أساس العبادة أن العبد يعلم أنه سائر إلى الله ولا يعلم متى تأتي ساعة خروجه من هذه الدنيا وإقباله إلى الله، هو واقف كما قلت مراراً في طابور أمام بوابة الموت، لا يعلم أهو واقف في مؤخرة الطابور أم في مقدمتها أم في منتصفها، ربما دعاه الداعي بعد ساعات، أأعصي الله وأنا راحل إليه! أأفسد صيامي الذي جعله الله مرقاةً لحبه لي، سبيلاً لمغفرته لي، سبيلاً لاستجابته لدعائي، أأفسده بالاستجابة لشياطين الإنس، أأفسده لهذه المغريات التي يُعْلَن عنها صباح ومساء وكأن شهر رمضان شهر عقده الله عز وجل للهو وللإقبال فيه على المنسيات والملهيات، ملهيات تُخْتَرَعُ اختراعاً لتنسب إلى شهر رمضان المبارك وفي أي

الليالي، في الليالي التي فيها ليلة هي خير من ألف شهر كما قال ربنا سبحانه وتعالى، هذه الليالي العشر استقبلوا فيها هذه الليلة المباركة، ولحكمة باهرة عالية أخفاها الله عز وجل عنا كي نقبل إلى الله في كل ليلة من لياليها نتلمسها كي نتأمل أننا قد نصيبها ونتصيدها في أي ساعة من الساعات وربك يقبل، وربك يعطيك الأجر الوافر في كل ليلة على هذا الذي قد أصبت، وقد صح عن أحمد ما يرويه في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: التمسوها في ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين أو التاسع والعشرين أو آخر رمضان وهذا يعني أن ليلة القدر ليست حكراً ولا محصورة في ليلة السابع والعشرين كما يظن البعض ولكنا نتصيدها في كل ساعة من الساعات، أيجدر بالإنسان الذي عرف ربه وفاض قلبه عبودية لله أن يجعل من هذه الليالي ساعة إقبال إلى لهوه، ساعة إقبال إلى شهواته يا عباد الله، بقي أن أقول لكم شيئاً هو جواب عن أناس فيهم من يستشكلون الأمر بحسن نية وفيهم من يتصيدون هذا الإشكال ليعكروا صفو العقائد الإيمانية في أفئدة أصحابها، يقول أحدهم: كيف يمكن أن تكون هنالك ليلة خاصة هي ليلة القدر عند الله وقد علمنا أن الليالي والأيام تتناوب في الكرة الأرضية، فالساعة التي هي منتصف الليل هنا ربما كانت في الجهة المقابلة من الأرض هي منتصف النهار هناك فكيف تكون ليلة القدر هنا في منتصف الليل وتكون في رابعة النهار هناك، هذا كلام من يظن أن سر ليلة القدر كامن في طبيعة الزمان، في طبيعة الفلك، الشمس والقمر الدائرين، لا يا عباد الله، الأزمنة كلها بحد ذاتها سواء والأمكنة كلها في حد ذاتها سواء، تربة عرفة كتربة أي مكان في عالم الله سبحانه وتعالى، كذلكم الأزمنة، وإنما ينبعث فضل ليلة القدر من تجليات الله عز وجل على عباده في تلك الليلة، يتجلى الله عز وجل على عباده في هذا الصقع من العالم في الليلة التي يشاء، يقبل فيها على عباده ليقبلوا إليه، ويتجلى الله عز وجل على عباده في صقع آخر في ليلة أخرى وهكذا فالله سبحانه وتعالى الذي ناوب بين أزمنة الليل والنهار يعلم كيف يوزع قيمة هذه الليلة بين عباده سواء كانوا في مشارق الأرض أو في مغاربها، هذه اللوثة لا يجوز أن تلتصق بعقل إنسان أسلم عقله ويقينه لله عز وجل، وأعود فأقول لكم إن الذي يشفع لنا غداً بين يدي الله يوم القيامة هو سر العبادات لا مظهر العبادات، الذي يشفع لنا غداً بين يدي الله عز وجل يوم القيامة هو عبوديتنا لله عز وجل إذ

تقودنا إلى الركوع والسجود، هي يقيننا بمملوكيتنا لله سبحانه وتعالى، هي مشاعر الحب، مشاعر التعظيم، مشاعر المهابة والخوف إذ تهيمن على قلب الإنسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم فاستغفروه يغفر لكم

حال من اغتنم شهر رمضان وحال من فرط به

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعدُ فيا عبادَ الله:

لعلَّ هذا اليومَ هوَ آخرُ أيّامِ شهرِ رمضانَ المبارك. وأرى في كلِّ عامٍ عندما أصل إلى آخرُ هذا الشّهرِ المبارَكِ أقرنُ دون شعورٍ منّي: بينَ نهايةِ هذا الشّهرِ من العام، وبينَ نهايةِ العمرِ الإنسانيِّ من الحياةِ الدّنيا. كما أقرنُ بدون شعورٍ منّي: بينَ مشاعرِ الفرحةِ في عيدِ الفطر، وإقبالِ النّاسِ على الطّعامِ والشّرابِ بعدَ ابتعادهم عنهما طيلةَ شهرٍ كامل، أجِدُني أقرنُ بينَ هذا وبينَ الفرحةِ التي يدخلُها اللهُ عزَّ وجلَّ في قلوبِ الصّالحينَ من عبادهِ يومَ القيامة.

ولعل من حكم هذا الشّهر، ربطَ الصّلةِ بينَ الدّنيا والآخرةِ وبينَ مصيرِ الإنسانِ في الدّنيا والآخرةِ بعدَ هذا الشّهرِ وبعدَ الموت.

لا شكَّ أنَّ النّاسَ فريقان: فريقٌ أقبلَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ خلالَ هذا الشّهرِ المنصرمِ فصبرَ ابتغاءَ الوصولِ إلى مرضاةِ الله، وعانى من شدّةِ الجوعِ أو العطشِ ورأى نفسهُ متعباً مكدوداً أمامَ العملِ الذي يقومُ به، والجهودِ التي أقامهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عليها، فلم يشأ أن يجعلَ من أتعابهِ وأعمالهِ ووظائفهِ حجّةً لإفطاره، بل صبرَ وقالَ في نفسهِ: إن هيَ إلا أيّامٌ معدودةٌ كما قالَ اللهُ سبحانهُ وتعالى، وها هوَ ذا قدِ انتهى الشّهرُ، وقد انقضتِ الأيّامُ المعدودة. ترى ماذا بقيَ من أتعابِ الصّومِ في الأيّامِ الثّلاثينَ التي مضت؟ ماذا بقيَ من رواسب الظّمأِ أو الجوعِ في نفوسِ الصّائمين؟ لم يبقَ من ذلكَ شيءٌ قَطّ، واستقرَّ في مكانِ التّعبِ الأجرُ العظيم، والرضى الكبيرُ منَ اللهِ سبحانهُ وتعالى.

فئةٌ أخرى منَ النّاسِ لم تجدِ القدرةَ على هذا الصّبر، بل انحطت عائدة إلى طفولتِها، بل إلى شر من كثير من أنواعِ الطفولة. هؤلاءِ النّاسُ نزّت شهواتُهم في هذا الشّهر، وألحّت عليهم، وسالَ لعابُهم على الطّعام، وعلى الشّراب، وكانوا كحالةِ الطّفلِ الصّغيرِ عندما يُذَكَّرُ بالطّعامِ أو يرى الطّعام. هؤلاءِ النّاس لم يصبروا، ولم يشاؤوا أن يستجيبوا لأمرِ اللهِ سبحانهُ وتعالى أو أن يحصّلوا على مرضاته. ولكن ها هوَ الشّهرُ قد انقضى. هؤلاءِ الآخرون، ترى ماذا بقيَ في أعماقِ نفوسهم من براثنِ شهواتهم وأهوائهم التي اقتطفوها؟ ماذا بقيَ لهم من رواسبِ اللذائذِ التي اشتروها؟

ننظرُ إلى هذا الفريقِ وذاك، فنجدُ الفريقينِ قد عادا بنتيجةٍ واحدة، اللهمَّ إلا شيءٌ واحدٌ افترقَ كلٌّ منهما بسببهِ عن الآخر، ألا وهوَ: أنَّ الصّائمينَ الذينَ أعلنوا من خلالِ صومهم عن تمسّكهم بأمرِ

الله، وعن عبوديّتهم لله، وعن صبرهم على اتّباعِ أوامرِ الله. فازوا بأجرٍ عظيم، وسجلوا لأنفسهم شهادةً لا تنقضي ولا تنحصر.

أمّا الآخرونَ فقد سجّلوا لأنفسهم أو على أنفسهم شقاءً وبيلاً، وسجّلوا على أنفسهم غضباً من اللهِ عزَّ وجلَّ عظيماً. ترى ما هو الربح الذي عاد به هؤلاء الذين أسخطوا الله .. وما هي الخسارة الذي عاد بها أولئك الذين أرضوا الله سبحانه وتعالى.

أقول: ما أشبهَ انقضاءِ شهرِ الصّومِ بانقضاءِ العمر. العمرُ شهرُ صومٍ أيّها النّاس، وكما أنّكَ تجدُ أنَّ جهد الصّوم بالامتناعِ عن الطّعامِ والشّرابِ تلاشت في نهايةِ هذا الشّهر، ثمَّ ذبُلت، ثمَّ أصبحت لا شيءَ أمامَ النّتيجةِ التي يعودُ بها المؤمنُ الصّالح. فكذلكَ العُمرُ إذا انقضى، مهما أجهدت نفسكَ في سبيلِ مرضاةِ الله، ومهما بذلت العمر جهاداً في هذا في سبيلِ اتّباعِ أوامرِ اللهِ عزَّ وجلّ، سوف تنقضي الحياة. وإذا انقضت فلسوفَ تجدُ أنَّ كلَّ الجهودِ التي بذلتَها لا شيء، وأنَّ كلَّ الأجهاد التي تحملتها لا شيء، ولسوفَ تجدُ نفسكَ أمامَ كلمةِ المصطفى عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ عندما عادَ إلى دارِهِ وسأل: "أبقيَ عندكم من اللحمِ شيء"؟ وكانَ عندَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيءٌ من اللحم. فقالت لهُ عائشة: ذهبَ كلُّها إلا كتفُها. فقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: "بل بقيَ كلُّها إلا كتفُها". هذهِ الكلمةُ الجامعةُ التي قالَها رسولُ الله، تنطبقُ على العُمُرِ كلِّه، المالُ الذي دفعتَهُ ابتغاءَ مرضاةِ الله، فسوفَ تجدُ غداً أنّهُ هو الباقي. والذي ادّخرتَهُ في جيبكَ فسوفَ تجدُ أنّهُ هوَ الذي اضمحلَّ ومضى، ولم يفدكَ شيئاً بل كانَ عبئاً عليك. ولسوفَ تجدُ أنَّ التّعبَ الذي بذلتَه، والرّاحةَ التي بدّدتَها، هو الذي بقيَ لك، وهوَ الذي يدافع عنك، وهوَ رأسُ مالكَ الباقي. ولسوفَ تجدُ أنَّ الرّاحةَ التي وفّرتَها لنفسكَ في يومٍ من أيّامِ شبابك، هو الذي مضى وانقضى وهوَ الذي خسرتَهُ حقيقةً. ولكن يا للأسف لا يعرفها الإنسانُ معرفةَ إحساس وشعور إلا عندَ الموت. ولكنّهُ قبلَ ذلكَ محجوبٌ عن هذا الإحساسِ بالدّنيا وأهوائها وتقلّباتِها وشهواتِها.

ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ الحكيمَ الرّحيمَ يمزّقُ هذهِ الحجب ببياناتهِ الساطعة، الواضحة، من خلالِ كلامهِ القديم، وبيانهِ المبين. انظروا إلى حديثهِ عن أولئكَ الذينَ يرحلونَ عن الدّنيا وقد رضيَ اللهُ سبحانهُ وتعالى عنهم، انظروا إلى حديثهِ عنهم: ((فأمّا من أوتيَ كتابَهُ بيمينه * فيقولُ هاؤمُ اقرؤوا كتابيَه * إنّي ظننتُ أنّي ملاقٍ حسابيَه * فهوَ في عيشةٍ راضية * في جنّةٍ عالية * قطوفُها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّامِ الخالية)).

هذهِ الصّورةُ توضحُ لنا ضآلةَ التعب الذي يلقمه الإنسانُ في دارِ الدّنيا أمامَ جزالةِ السّعادةِ التي تنتظرهُ يومَ القيامة. ولكن علمَ ذلكَ من علمَ وجهلهُ من جَهِل، وسيعلمهُ النّاسُ جميعاً غداً. أما الآخرون .. فانظر إلى قولِ اللهِ سبحانهُ وتعالى –وما أكثرَ ما يتحدّثُ عنهم–: ((ولو ترى إذِ المجرمونَ ناكسوا رؤوسهم عندَ ربّهم ربَّنا أبصرنا وسمعنا فارجِعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون)). أعِدنا إلى الدّارِ الدّنيا لنصلحَ ما أفسدنا، ولنقوِّمَ الاعوجاجَ الذي تركناهُ من ورائنا. ولكنَّ الألمَ الذي لا ألمَ مثلَه: أنّها أمنيةٌ لن تتحقّق، وأنّهُ حلمٌ يتقاصر الكونُ كلُّهُ عن تطبيقهِ وتنفيذه.

انظروا إلى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ في مكانٍ آخر: ((وأمّا من أوتيَ كتابَهُ بشمالهِ)) كنايةً عن الإنسانِ الذي ختم لهُ بالشّقاء، وأعرضَ عن النذيرِ والبشير: ((وأمّا من أوتيَ كتابَهُ بشماله * فيقولُ يا ليتني لم أوتَ كتابيَه * ولم أدرِ ما حسابيَه * يا ليتَها كانتِ القاضية *ما أغنى عنّي ماليَه)). صحيحٌ أنّهُ تركَ كنوزاً في دارِ الدّنيا كانَ يتباهى بها، وكانَ يمنعُ رفدها. ولكن ها هوَ ذا يسألُ: ((ما أغنى عنّي ماليَه))؟ كلُّه ذهبَ كما قالَ المصطفى عليهِ الصّلاةُ والسّلام: ((هلكَ عنّي سلطانيَه)). وما النّتيجة؟ ((خذوهُ فغلّوه * ثمَّ الجحيمَ صلّوه * ثمَّ في سلسلةٍ ذرعُها سبعونَ ذراعاً فاسلكوه * إنّهُ كانَ لا يؤمنُ باللهِ العظيم * ولا يحضُّ على طعامِ المسكين* فليسَ لهُ اليومَ ها هُنا حميم * ولا طعامٌ إلا من غسلين * لا يأكلهُ إلا الخاطئون)).

ترى هل نستطيعُ أن نأخذَ هذهِ العبرةَ ونجسّدها في آخرِ يومٍ من أيّامِ هذا الشّهرِ المبارك؟ وأن نغمضَ العينَ لنتصوَّرَ أنَّ هذا الشّهرَ فعلاً يصوّرُ لنا العمرَ كلّه؟ وأنَّ العيدَ الذي يليهِ يصوّرُ إقبال الإنسانِ الذي خُتمَ لهُ بالصّلاحِ والتّقوى إلى الله، وقد أدخلَ اللهُ في قلبهِ فرحةَ الخلود. هل

بوسعنا أن نعتبر؟ وهل بوسعنا إذا ودعنا هذا الشّهرَ المباركَ أن نبايعهُ ونبايعَ اللهَ على الاستقامةِ الدّائمة؟ وعلى أن تظلَّ بيعَتُنا قائمةً أمامَ اللهِ إلى أن يطرقَ بابَنا ملكُ الموت؟

أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ لنا جميعاً الثّبات، وأسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يهديَنا سواءَ صراطه، فاستغفروهُ يغفر لكم.

خسارة العاصي في شهر رمضان

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعدُ فيا عبادَ الله:

ثلاثةُ أو أربعةُ أيّامٍ بقينَ من أجَلِ هذا الشّهرِ المبارك، وينقضي من بعدها شهرُ رمضان، ويفطرُ الصّائم، ويشبعُ الجائع، ويرتوي الظمآن، ويعودُ الصّائمُ الملتزمُ بأمرِ اللهِ عزَّ وجلّ سواءً بسواء، مثلَ ذاكَ الذي أعرضَ عن أمرِ اللهِ سبحانهُ وتعالى خلالَ هذا الشّهر، فلم يلبِّ لهُ أمراً، ولم يحقّق لهُ نداءاً، كلا الفريقين يعودانِ من حيثُ الواقعُ البشريّ بمستوىً واحد،إلا أنَّ أحدهما فازَ بالأجرِ العظيمِ عندَ اللهِ سبحانهُ وتعالى، وأصلحَ اللهُ بهذا الصّيامِ سريرتهُ ونفسه. والآخرُ باءَ بغضبِ اللهِ سبحانهُ وتعالى وشديدِ عقابه.

ألا فقولوا يا عبادَ الله ما هو الرّبحُ الذي ربحهُ العاصي؟ وما هو الخسران الذي خسرهُ الطّائع؟ ما هو الرّبحُ الذي عادَ بهِ ذاكَ الذي قطعَ هذا الشّهرَ المبارك،مجاهراً بالإفطار، معرضاً عن أمرِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، ناسياً نفسهُ وناسياً حقوقَ مولاهُ عليه، ماذا ربح؟ وما هي الحصيلةُ التي عادَ بها؟

لذّةُ المعصيةِ عَرَضٌ زائل، وهوى النّفس ظلٌّ يزول، والأمرُ كما قالت تلكَ المرأةُ الصّالحة: كم من معصيةٍ ذهبت لذّتها وبقيَ حسابها.

نعم، ما هو هذا الرّبحُ الذي عادَ بهِ هذا الإنسان؟ الذي قطعَ الصّلةَ بينهُ وبين مولاه، فساحَ في أرجاءِ هذه الدّنيا كما يسيحُ العبدُ الآبق،وما هي الخسارة التي عادَ بها من أتعبَ نفسهُ في أيّامِ هذا الشّهر؟ فأجاعَ نفسه، مستشعراً أنهُ يطبّقُ أمرَ مولاه، وأظمأَ حلقه، مستشعراً أنهُ يعبّرُ بهذا عن الانصياعِ لأمرِ مولاهُ عزّ وجلّ، يعودُ بعدَ ذلكَ بالرّزقِ العظيم، والأجرِ الخفيِّ الذي لا يعلمُ حقيقته.

كم من مصيبةٍ يبعدها الله عزَّ وجلّ عن هذا الإنسان الذي اصطلحَ مع ربّهِ خلالَ هذا الشّهر، وكم من نعمةٍ يزجيها إليهِ وهو لا يدري، وكم من كربٍ يبعدهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى عن قلبهِ وفؤاده، هذا بالنّسبةِ للعاجلةِ الدّنيا، فكيفَ بالأجرِ الذي يدّخرهُ اللهُ غداً يومَ القيامة؟ كيفَ إذا قام عندما ينادي منادي الله سبحانهُ وتعالى بالأرواحِ أن تعودَ إلى أجسادها، ووقفَ بينَ يدي المولى عزّ وجلّ، وسمعَ النّداءَ الذي يتّجهُ إليهِ وإلى إخوانهِ من أمثالهِ قائلاً: ((كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّامِ الخالية))، ماذا سيذكرُ أحدنا آنذاك؟ من صعوبةِ هذه الأيام، ماذا عسى أن يذكر من المشقّاتِ التي تحمّلها، كلُّ ذلكَ ينقضي وتبقى لذّةٌ لا انقضاءَ لها، تبقى سعادةٌ لا تنطوي هي سعادةُ رضى الله عن العبد، سعادةُ دخولِ الإنسان في هذه الآية الكريمة:((كلوا واشربوا هنيئاً))، يقولها ربُّ العالمين لعباده: ((هنيئاً بما أسلفتم في الأيامِ الخالية)).

عبادَ الله: لا أتصوَّرُ انقضاءَ هذا الشّهر المبارك إلا كمثلِ انقضاءِ هذه الدّنيا.

هذا الشّهرُ مثابةُ ابتلاء، ومثابةُ عمل كلّفَ اللهُ عزَّ وجلَّ به عباده، ثلاثونَ يوماً، أيّامٌ معدوداتٌكما قالَ اللهُ عزّ وجلَّ عنهن، وينقضي الشهر، وتحيقُ الفرحةُ بمن التزمَ أوامرَ اللهِ عزَّ وجلّ خلاله، انقضاءُ هذا الشّهرِ الصّغير ذي الأيامِ المحدودة كانقضاءِ الدّنيا تماماً، إننا لنرى عمرَ الدّنيا ونحنُ نسيحُ في أرجائها الآن عمراً كبيراً متطاولاً، ولكن غداً إذا خرجنا من دائرتها، وإذا تخطّفنا الموت، وانصاعَ ملكُ الموتِ لأمرِ اللهِ عزَّ وجلّ الذي أخبرنا عنهُ في قوله: ((قل يتوفّاكم مّلَكُ الموتِ الّذي وُكِّلَ بكم ثمَّ إلى ربّكم تُرجَعون)).

إذا تخطَّفَنا ملّكُ الموت، وخرجنا من دائرةِ هذه الدّنيا، ونظرنا إليها بعينِ الذّكرى، فلسوفَ نجدُ أنّها هي الأخرى قصيرةٌ كقِصَرِ شهرِ رمضانَ بعدَ زواله، ولسوفَيصبحُ الإنسان بعدَ خروجهِ من إطارِ هذه الدّنياأحدَ رجلين:

رجلٍ وفّقهُ اللهُ عزَّ وجلّ للانصياعِ لأمرِ اللهِ عزَّ وجلّ جهدَ الاستطاعة، فهذا إنسانٌ فرحٌ جزل، هذا إنسانٌ ينطقُ كلُّ ذرّةٍ من كيانهِ بحمدِ الله، على أنّهُ وُفِّق، وعلى أنّهُ استقامَ ولم ينحرف،وعلى أنهُ سارَ جهدَ استطاعته على صراطِ الله، وإلا فكم كانت عاقبتهُ وبيلةً لو أنهُ انحرف، وحسبها من فرحةٍ تخلقُ السّعادةَ في كيانه.

ورجلٍ آخر ينظر بعين المفاجأة إلى الماضي وإلى الحاضر، ويرى نفسهُ وقد حاقت عليهِ خدعةُ الشّيطان، يرى نفسهُ وقد خسرَ ذاته قبلَ أن يخسرَ أوامرَ ربّه،خسرَ سعادته، فهو الشّقاء يجترّهُ إلى ما لا نهاية، والآلامُ التي تمزّقُ كبدهُ إلى ما لا نهاية، وإنّهُ ليقولُ بلسانِ الحالِ والمقال: ((ربِّ ارجعونِ لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركت))، لكن هذا هو الدّعاءُ الذي لا يستجاب، نعم، هذا هو الاستثناءُ الوحيد من قولِ اللهِ عزَّ وجلّ: ((وقالَ ربّكم ادعوني أستجب لكم)).

إذا انقضت هذه الدّنيا، وحالَ حَيلُ الإنسان، ووقفَ بينَ يدي مولاهُ عزَّ وجلّ، وأصبحَ بصرهُ كما قالَ اللهُ حديداً، يُبصرُ الغائب، ويرى ما كان يسخرُ منه، عندئذٍ إذا دعا الله فتلكَ دعوةٌ لا تستجاب،وإنما من ورائهِ شيءٌ واحد: هو العذابُ الأليمُ الذي يتربّصُ به.

انقضاءُ الدّنيا كانقضاءِ هذا الشّهر، والمخدوع هو ذاكَ الذي خُدع بالطّرقِ الصّبيانيّة، أجل الطُّرُقِ الصّبيانيّةِ ذاتها، ذلكَ الطّفل الذي يحميهِ أهله عن ألوانٍ من الطّعامِ لأنّهُ مريض، ويجرّعونهُ الدّواءَ لأنهُ علاجه، ولكنَّ لعابَ هذا الطّفلِ الصّغير يسيلُ على المشتهياتِ أمامه، فهوَ لا يملكُ قوّةَ إرادةٍ ليستجيبَ بها لأمرِ الطّبيب، وإذا وُضعَ أمامَ الدّواء تميّزَ منهُ غيظاً،وتمعَّرَ منهُ وجهه، وابتعدَ فارّاً من هذا الدّواءِ ومرارته، تلكَ هي المشاعرُ الصّبيانيّة التي يتحرّرُ منها العقلاء، ولكنّ هناكَ صبياناً كباراً، لا يزالُ عمرُ المراهقةِ يستعبدهم، لا يزالُ لعابهم يسيل على معاصي الله عزَّ وجلّ، ولا يزالون يجزعون من مرارةِ الدّواء الذي يأخذهم به طبيبهم،نعم.

فاحمدِ الله يا أخي المسلم، على أن وفّقك للاستقامةِ على أمره،واهنأ بأنَّ عمرَ الدّنيا قصير، نعم، وأن الحياةَ التي نقبلُ إليها هي الحيوانُ الحقيقيُّ كما قالَ اللهُ عزَّ وجلّ.

لقد انقضى هذا الشهر أو كادَ ينقضي، وأنا ألتفتُ الآن بعينِ الخيال، إلى المئات التي تضرب بأمثالها من المسلمين الذين نراهم يجوبون شوارع هذه البلدة أيامَ هذا الشّهرِ المبارك، والدخائن على أفواههم، وهم يجترّونَ طعامَ الإفطار، وشهرُ رمضانَ غريبٌ مزدرىً فيما بينهم، ننظر بأعيننا أو أعين الخيال، وكلّكم رأى هذا الذي أقول، المطاعمَ المليئةَ بروّادها، والأنديةَ المليئةَ بالمفطرين، رأينا كلَّ ذلك، فماذا عسى استفادَ هؤلاء النّاس؟ بل رأيتُ أكثرَ من هذا كما قلتُ بالأمس، رأينا الشّرطة الذينَ كانوا يُكَلَّفونَ بالأمسِ القريبِ بملاحقةِ المفطرين ومعاقبتهم،رأيناهم هم يمارسونَ الإفطار، ورأينا الدّخائنَ على أفواههم، ولقد قلتُ في نفسي يا عجباً، سبحانَ من يُبَدِّلُ ولا يتبدّل، أينَ أولئكَ الشّرطة الذينَ كانوا بالأمسِ يلاحقونَ المفطرين ويسوقونهم إلى العقاب الرّمزيِّ أو الحقيقيّ؟ لقد انقلبَ المراقبونَ إلى لصوص، لقد انقلبَ أولئكَ المعاقبون إلى أولئكَ المجرمين، وكأنَّ البلدة غيرُ البلدة التي عهدناها، وكأنَّ الشّامَ ليست الشّامَ المقدّسةَ التي

كرّمها اللهُ عزَّ وجلَّ ونوّهَ بقداستها، انقضى هذا الشّهرُ المبارك، فليقل لي أولئكَ الذينَ كانوا يمزّقونَ حرمةَ هذا الشّهر، بأيِّ خيرٍ رجعوا؟ وبأيِّ ربحٍ عادوا؟ نعم، وغداً سيموتون، وستلتقطهم القبور، ثمَّ سيعودونَ واقفينَ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلّ، فماذا عسى أن يكونَ جوابُ هؤلاءِ الصّبية المراهقين،الذينَ كانَ يسيلُ لعابهم في الدّنيا على المشتهياتِ الدّنيئة، على المعاصي المبتذلة؟ أولئك الذين كانوا لا يملكونَ من قوّةِ الإرادة ما يعبّرونَ به عن حقائق هويّاتهم، ما يعبّرونَ به عن انصياعهم لمولاهم، ما يُنطقونَ به أنفسهم بأنهم عبيد، للهِ عزَّ وجلّ، وأنا أقولُ يا عبادَ الله كما أقولُ دائماً، المعصيةُ قسمان:

هيكلُ المعصيةِ وسرها،أمّا هيكلُ المعصيةِ فأمرها يسير عندَ اللهِ عزَّ وجلّ، وماذا أعني بهيكلِ المعصية؟

هيكلُ المعصية: الضّعف الذي يسوقُ الإنسانَ إلى الانحراف، فيقعُ في الخطيئةِ وهو لها كاره، يُفطِرُ وهو يخجلُ من نفسه، ويقولُ بينهُ وبينَ نفسهِ لقد أسأتُ وكلُّ النّاسِ خيرٌ منّي، هذا من ارتكبَ هيكلَ المعصية.

أمّا روحُ المعصية: فهي التّباهي بها، هي تبريرها، هي أن يجاهرَ الإنسانُ بهذه المعصية، يخرجُ من داره ويقولُ هذا أنا ذا، هكذا ينبغي أن يفعلَ الآخرونَ مثلي، نعم، هذه هي المعصيةُ الكبرى التي تستنزلُ غضبَ الرّبّ، لا على هذا الإنسانِ المتجبّرِ وحده، بل على المحيط الذي يعيشُ فيهِ أيضاً هذا الإنسان.

أسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يختمَ حياتنا بأحبِّ الأعمالِ إليه، وأسألُ اللهَ سبحانُ وتعالى أن يسلِّمَ رمضانَ لنا وأن يتسلّمهُ منّا متقبّلاً، وأن يكتبنا بفضلهِ ومنّهِ وكرمهِ من عتقاء هذا الشّهرِ المبارك، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيم...

الاصطلاح مع رمضان وتعهد كتاب الله تعالى

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

لقد علمنا أن ربيع الأرض إنما هو الغيث الذي يهمي إليها من السماء، ولقد علمنا جميعاً أن الأرض تكون هامدة، موحشة المظهر، مستحجرة قاسية، فإذا هما عليها هذا الغيث من السماء تحولت من مواتٍ إلى حياةٍ وربت وازدهرت وأنبتت كما قال الله عز وجل: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥].

ولكن فما هو ربيع القلب؟ ربيع القلب – يا عباد الله – إنما هو الكتاب الذي يتضمن خطاب الله سبحانه وتعالى لعباده، كتابه الذي يتضمن خطابه للنخبة التي كرَّمها الله عز وجل من خليقته، هذا هو ربيع القلب.

إن القلب الذي لم يُتَحْ له أن يتشبع بهذا الغيث وبقي محروماً من خطاب الله سبحانه وتعالى، محجوباً عنه، يستحجر كما تستحجر الأرض التي حُرِمَتْ من قطر السماء، ويقسو القلب كما تقسو تلك الأرض، تتكدن بل تتحجر، هذه حقيقة ينبغي أن نتبينها جميعاً يا عباد الله.

لا يمكن لإنسان جعل من لسانه وسيلة إلى قلبه، يهدي إلى فؤاده خطاب الله عز وجل، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، أو يجعل لنفسه ورداً دائماً من تلاوة كتاب الله وتدبر خطابه، لا يمكن لصاحب هذا القلب إلا أن يتمتع بكل ما ينبغي أن يتمتع به العبد المؤمن، يكون موصول الصلة بالله عز وجل دائماً، يتمتع برقة لا تأتي من طبع ولا تربية ولا أسباب مادية وإنما تأتي من غذاء القرآن الذي يتعهد نفسه صاحب هذا القلب به، هذه حقيقة أقولها لكم باختصار. ومن

أجل هذا المعنى أمرنا الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية بأن نقبل إلى خطاب الله عز وجل فنتلوه ونتدبره، تأملوا في قوله سبحانه:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾ [الكهف : ٢٧].

تأملوا في الخطاب الذي وجَّهَهُ ربنا سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد r في الأيام الأولى من بعثته يقول له:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل : ١–٥].

هذا هو القول الثقيل، يأمر الله عز وجل بالتوجه إليه تالياً متدبراً رسوله، يأمر الله عز وجل بالتوجه إليه عباده جميعاً.

والآن تعالوا نتساءل – يا عباد الله – أين هي علاقتنا بكتاب الله سبحانه وتعالى، أين هو الموقف الذي نقفه جميعاً أو أقول أكثر من ينبغي أن نعدهم مؤمنين مسلمين لله سبحانه وتعالى، تعالوا نتساءل عن موقفهم من هذا الخطاب الرباني.

الذي أعلمه – وأظن أنني لست مبالغاً – أن في المسلمين من يمر عليه العام تلو العام والمصحف لا يتحرك من زاوية داره قط، والذي أعلم – وقد رأيت نماذج من هذا بعيني – أن في المسلمين من يتراكم الغبار على المصحف المستودع في داره دون أن يلتفت أهل الدار حتى إلى تنظيفه من الغبار الذي تراكم عليه، والذي أعرفه أن في المسلمين – وهم كُثُر – من لا يستطيع أن يقيم لسانه على تلاوة آيةٍ واحدة دون تلعثم من كلام الله سبحانه وتعالى، والذي أعلم هو أن في المسلمين من لا يستطيع أن يفرق بين الكثير والكثير من آي الكتاب المبين وأحاديث ذكرها رسول الله r أو آثار رويت من أفرادٍ من الصحابة أو التابعين. هل أنا مبالغ – يا عباد الله – في هذا الذي أقوله لكم؟! أرجو أن أكون مخطئاً أو مبالغاً ولكن هذا ما أعلمه وأتيقنه.

فإذا عدنا إلى هذه الأيام التي تمر بنا أو التي نمر بها، إذا عدنا إلى هذا الشهر – شهر الله – المعظم في بيان الله وكتابه وعلمنا أن هذا القرآن نزل جملة واحدة في هذا الشهر إلى السماء الدنيا وأُثْبِتَ كاملاً في اللوح المحفوظ خلال هذا الشهر، وإذا علمنا أن أهم ما يتقرب به الإنسان في هذا الشهر إلى الله عز وجل إنما هو العكوف على تلاوة خطابه، على تلاوة كتابه، لاسيما في جنح الليل، لاسيما أثناء الصلاة، إذا علمنا ذلك ثم عدنا إلى هذا الواقع الذي وصفته لكم فما الذي نتوقعه يا عباد الله إذاً؟!

نعم شهر رمضان شهر الرحمة، شهر التجليات الإلهية يتجلى فيها الله عز وجل على عباده بالرحمة، لكن ألا فلتعلموا يا عباد الله أن لهذا الشهر المعظم عند الله وجهين اثنين، أما الوجه الأول فهو وجه الرحمة المهداة إلى عباد الله، لكن إلى من؟ إلى الذين أقبلوا على كتاب الله عز وجل أو إلى الذين تابوا بعد إعراض وأقبلوا إلى الله عز وجل وتذكروه بعد نسيان، أقبلوا إلى الله عز وجل فتداركوا ما فاتهم. رمضان يقبل إلى الناس بهذا الوجه عندما يتوافر هذا المعنى الذي أقوله لكم يا عباد الله، وعندما يتراحم المسلمون، ورسول الله يقول: (من لا يَرْحَم لا يُرْحَم).

فأما الوجه الثاني لهذا الشهر المعظم فذلك هو شهر الانتقام، هو شهر الوعيد الذي يتضمنه هذا الشهر آتياً من عند الله سبحانه وتعالى، ولقد صح عن رسول الله r فيما رواه الحاكم بشرط الشيخين وغيره أن رسول الله r قال: (جاءني جبريل فقال من أدرك رمضان ولم يُغْفَر له فأبعده الله فقال له رسول الله: آمين).

ولكن من هو هذا الذي يدرك شهر رمضان ثم لا يُغْفَرُ له فيبعده الله عز وجل من رحمته – ولتعلموا يا عباد الله أن الإبعاد والطرد واللعن هذه الكلمات مترادفة سواء، فمن أُبْعِدَ عن رحمة الله فقد طُرِد ومن طُرِدَ فقد لُعِن – من هو هذا الإنسان الذي يدرك شهر رمضان ثم إنه يكون طريداً من رحمة الله، طريداً من فضله وإكرامه؟ هو ذاك الذي يستقبل رمضان باستخفاف، هو ذاك الذي يستقبل شعائره وحقوقه باستكبار، هو ذاك الذي يستقبل أوامره بتمزيق، وليت أنه يمزقها في دويرة أهله بينه وبين نفسه، لا، إنه يحرص على أن يمزق شعائر هذا الشهر المبارك – وهي شعائر الله – يحرص أن يمزقها على رؤوس الأشهاد، يحرص على أن يمزقها في الأسواق أو

في الدوائر، وهكذا. هؤلاء هم الذين عناهم جبريل عندما دعا عليهم بل أخبر قائلاً: (من أدرك رمضان فلم يُغْفَر له فأبعده الله سبحانه وتعالى).

عباد الله: إذاً لشهر رمضان وجهان اثنان، وجه ملؤه الرحمة، ملؤه المغفرة، وله الوجه الآخر الذي يبعث بالتهديد والوعيد.

أنا أدعو نفسي وأدعوكم جميعاً وأدعو كل مؤمن بالله عز وجل وأدعو كل من يعلم أنه مصطبغ بذل العبودية لله عز وجل أن نتعرض للوجه الأول لهذا الشهر.

تعالوا – يا عباد الله – إن كنا إلى هذا اليوم تائهين فلنبدأ حياة جديدة ولنقطع سبيل هذا التيه بيننا وبين الله ولنصطلح معه وليقل كل منا إن بلسانه أو بلسان حاله: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [طه : ٨٤]. والله عز وجل يقبل توبة التائبين.

إن كنا قد أعرضنا عن كثير من الأوامر وأركان الإسلام من صلاة ونسك وغير ذلك فما أيسر أن نعود إلى الله ونصطلح معه وإذا بالوجه المشرق الأنور لرمضان يبشرنا بالتوبة، يبشرنا بقبول الله عز وجل. تعالوا نتب إلى الله، تعالوا نستغفر من ذنوب الليالي والأيام، نعم، وأنتم تعلمون أن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة التائبين، وعندما قال الله سبحانه وتعالى:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر : ٥٣].

إنما كان يعني التائبين العائدين إلى الله عز وجل، أما الذين يستكبرون على الله عز وجل ويلحون على أن يستمروا في تيههم فهؤلاء لا تعنيهم هذه الآية قط. شهر رمضان كاد أن ينتصف وكدنا أن نصل إل سويداء قلبه، تعالوا نصطلح مع الله يا عباد الله، نحن إن اصطلحنا حقاً مع الله عز وجل أصلح أمورنا، إن اصطلحنا مع الله عز وجل حقاً رفع هذه الفتن مما بيننا، إن اصطلحنا مع الله سبحانه وتعالى حقاً أعاد الوئام، أعاد الأمن والسلام إلى ربوع بلادنا.

عباد الله: لا تحجبنكم الأسباب المادية الشكلية عن المسبب، الأسباب موجودة لكن اخترقوها لتروا المسبب، لتروا الإله الذي يبتلي عباده بعصي التأديب، ووالله إنها لعصي رحمه وإن بدت

أنها عصي مؤلمة، تعالوا نخترق هذه المظاهر – وما ينبغي أن نسجن أنفسنا داخلها – لنقف أمام الله عز وجل ولنمد يد البيعة إلى الله عز وجل من جديد.

عباد الله: كم وكم سألت نفسي السؤال التالي وها أنا أوجه هذا السؤال إلى كل واحد منكم ليعود به إلى نفسه: أنا الآن أشتهي أموراً كثيرة في حياتي التي أعيشها وألقي زمام أهوائي إلى كثير من الملاذ التي أتمناها، تقودني العصبية، تقودني الرغائب والأهواء، ولكن عما قريب سأتمدد على فراش المرض ولسوف يطرق بابي ملك الموت ولسوف أراه بعيني ولسوف يراه كل واحد منكم، ترى هل ستبقى هذه الأهواء آنذاك مهيمنة على كياني كما هي الآن؟ ترى هل ستكون عصبيتي هي المتحكمة بي آنذاك كما أنها متحكمة بي الآن؟ ترى هل سأظل محجوباً بعالم الأسباب عن مسببها كما أُحْجَبُ بها الآن؟ لا يا عباد الله، ستتمزق الحجب ولسوف أجد نفسي أمام جبروت الله سبحانه وتعالى، ألا تعلمون هذا؟ ألا تعلمون بيان الله سبحانه وتعالى:

﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ١٩-٢٢].

هذا السؤال كم وكم طرحته على نفسي – ولعل هذا السؤال الذي أكرره بين الحين والآخر يشكل عاملاً من عوامل التربية الإلهية لي – هلا سألتم أنفسكم أنتم أيضاً هذا السؤال أيها الإخوة؟

نحن اليوم نتحرك فوق هذه الأرض وعلى ظاهرها وغداً سنكون في باطنها، تأملوا في هذا الذي أقوله لكم. ألا فلتعلموا يا عباد الله أن قصورنا إنما هي قبورنا، أجل أقولها لنفسي ولكم قصورنا قبورنا فلنتهيأ لتلك القصور، أقول قولي هذا وأستغفر الله.

امران مهمان: ليلة القدر [وقتها وخصوصيتها]، الزكاة [فرضيتها ودورها]

أما بعد: فيا عباد الله، هما أمران تقتضي المناسبة أن أتحدث عنهما، وأن ألفت أنظاركم إليهما، أما الأمر الأول فهو ليلة القدر التي أنبأ بيان الله سبحانه وتعالى عن أهميتها وعن عظيم فضلها، وذلك عندما قال: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [القدر: ٩٧/٣] أنزل في حقها سورة مستقلة كاملة. كثيرون هم الذين يتصورون في هذا العصر أن ليلةَ القدر منوطةٌ بليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، استقر هذا في أذهان كثير من الناس. والسبب في ذلك هذا الاحتفال المتكرر المنوط بهذه الليلة لا يتقدم عنها ولا يتأخر، كان من نتيجة ذلك أن وقر في أذهان كثير من الناس أن ليلة القدر هي هذه، وكان من آثار ذلك أن أعرض هؤلاء الناس عن التماسها في الليالي الأخرى، في حين أن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنبأ أنها واردة في ليالي رمضان كلها، ولكن قال: ((التمسوها في العشر الأخير من شهر رمضان)). وأنا أبرر هذا الاحتفال المتكرر في ليلة السابع والعشرين، على كلٍّ هي دعوة إلى عبادة، ودعوة إلى تعرُّض لرحمة من رحمات الله سبحانه وتعالى في هذه الليلة، ولكن ينبغي أن تعلموا وألا تنسوا أن ليلة القدر ليست محصورة في ليلة السابع والعشرين من رمضان، بل احتمال وجودها في هذه الليلة وفي غيرها سواء، ومن ثَم فمن الخير للإنسان أن يحتفي بها في هذه الليلة التي يحتفل بها المسلمون في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ولكن على ألا يكون هذا سبباً في إعراضهم عن التماسها في الليالي الأخرى، ولا سيما في الليالي المفرَدَة، ليلة الحادي والعشرين، الثالث والعشرين، الخامس والعشرين، السابع والعشرين، التاسع والعشرين

هذه ناحية. ومن ناحية أخرى ينبغي أن ننتبه إليها، أن فضيلة هذه الليلة ليست آتية من طبيعتها، وليست نابعة من طبيعة الزمن، وإنما هي آتية من تجليات الله سبحانه وتعالى على عباده في هذه الليلة، {إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

[القدر: ٩٧/١-٣]. من أين جاءت هذه الخيرية؟ هل جاءت من طبيعة زمن؟ الأزمنة كلُّها واحدةٌ، لا فرق بين زمن وزمن، كما أنه لا فرق بين مكان ومكان من حيث الطبيعة، من حيث التربة، ولكنّ الخيرية آتية من تجليات الله سبحانه وتعالى على عباده فيها، ولذلك ثبت أن ليلة القدر تنتقل من ليلة من ليالي رمضان إلى التي تليها أو التي قبلها مع مرور السنوات وتطاولها

أما الأمر الثاني الذي أعود إلى بيانه بعد أن ذكرته ونبَّهت إليه في الأسبوع الماضي، فهو ضرورة تذكُّر فريضة من الفرائض الإسلامية الكبرى، بل ركن من الأركان الإسلامية العظمى، ألا وهو ركن الزكاة، وأنتم تعلمون أن ركن الزكاة هذا منوط برمضان، ذلك لأن الزكاة إنما يبتغي بها السنة الهجرية، ولا يبتغي بها السنوات الميلادية كما تعلمون، وأفضل ميقات لإخراج الإنسان زكاة ماله إنما هو هذا الشهر، الذي ينبغي للإنسان أن يتخلص فيه من بخله، وينبغي أن يتخلص فيه من شحه، وأنتم تعلمون أن أجر المنفق في هذا الشهر لا يَقِل عن أجر الصائم، بل لعله يزيد أيضاً

هذه حقيقة لا داعي إلى تكرار التنبيه إليها، فهي حقيقة تتكرر على أسماعكم في كل عام، ولكن هنالك مداخل للشيطان – يا عباد الله – ينبغي أن نكون على حذر منها، وينبغي أن نتنبه إليها دائماً، ليست وسيلة الشيطان دائماً الصَّد عن الطاعة التي أمر الله عز وجل، كثيراً ما لا يستطيع الشيطان أن يصدك عن الطاعة، ولكن هنالك وسائل أخرى خفية لا يتنبه إليها إلا من كان حذراً على نفسه من مكائد الشيطان، هنالك خطط شيطانية تنتهي إلى شل فاعلية الزكاة، تنتهي إلى مسخ وجود الزكاة، بحسب الصورة الزكاة موجودة، وتتألق فاعليتها في المجتمعات، لكن اخترقِ الصورة تجد أن الزكاةَ قد شُلَّت، وأن وجودها مُسِخ، وأن سبيلها إلى الفقراء قد تقطَّع، من هذه الوسائل الشيطانية؛ أن تجد صاحب المال قد تعلقت زكاته بالسيولة المالية التي في صندوقه يُعْرِض عن إخراج زكاة ماله من هذه السيولة التي تعلقت الزكاة بها، ويعقد أو يبسط الموائد الرمضانية –كما قد قلت لكم بالأمس – يرسل الأموال الكثيرة أو القليلة إلى هنا وهناك، حيث تبسط الموائد الرمضانية المختلفة، وبالأسماء المتنوعة، ثم إنه يَحْسِب ذلك على الله زكاة، بل يمتن على الله عز وجل بأنه قد أخرج زكاة ماله، أفتعتبر هذه العملية دفعاً للزكاة؟ هذا هو المسخ لزكاة المال، وتلك هي الوسيلة لشل فاعليتها، أموال كثيرة تدفع في سبيل الموائد الرمضانية – وهذا شيء جيد، وقد أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأجر العظيم الذي يدخره الله

لمن أفطر صائماً – ولكن من قال: إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قصد بذلك أن تُفْطِر صائماً من مال زكاتك؟ من الذي قال هذا؟ تُفْطِر الصائم ثم تقول لله عز وجل: لقد أعطيت زكاة مالي. متى؟ أَفْطَرتُ هذا الصائم بالأمس، والصائم الآخر، وأَفْطَرتُ كثيراً من الناس، وبسطت لهم مائدة متنوعة. هذا لا يُعَدُّ زكاة قط، لإفطار الصائم طريق يصل الإنسان من ورائه إلى الأجر الذي يدخره الله له يوم القيامة، لكنه مختلف كلياً عن طريق الزكاة، وللزكاة طريق آخر، فمن خلط هذا بذاك، ومن أَفْطَرَ الصائم بمال كثيرٍ أو قليلٍ، ثم احتسبه على الله زكاةً، باء بوزر كبير – قولوها على لساني – بدلاً من أن يكتب الله له الأجر الوفير

الزكاة – أيها الإخوة – تتعلق بالمال، ويجب أن يُخْرِج الإنسان الزماة من جنس المال الذي تعلقت به الزكاة، عندك قَدْرٌ من السيولة المالية التي تتعلق بالنقدين الفضة أو الذهب، أو التي تتعلق بالأوراق النقدية التي حَلَّت اليوم محل الذهب والفضة، إذن ينبغي أن تُخْرِج الزكاة من هذه الأموال، ينبغي أن تُخْرِج الزكاة من جنس ما تعلقت به الزكاة، لك أرض أنتجت زراعة كثيرة، تعلقت الزراعة بهذا المزروع بهذا المُسْتَحْصَد، ينبغي أن تُخْرِج الزكاة من عين ما تعلقت به هذا المال، ولذلك انظروا – يا عباد الله – إلى الوسائل التي كانت تمر من خلالها أموال الزكاة من جيوب الأغنياء إلى أفواه الفقراء، فأجد أن هذه السبل تقلصت، وأنظر فأجد أن هذا الاندفاع الزكوي تراجع، وأسأل ما السبب؟ السبب أن هذه الوسيلة تحولت إلى الموائد الرمضانية، هذا هو شلل الزكاة، حتى ما يسمى بصندوق حفظ النعمة، عمل عظيم جداً، كل ما يمكن أن نتصور من الوسائل التي تتم تحت اسم حفظ النعمة أمر رائع، لكن صمام الأمان في ذلك ألا يكون هذا عن طريق أموال الزكاة، أموال الزكاة لها طريق، وهذه الأموال المتمثلة في الأطعمة التي ترسل إلى الفقراء في الأدوية فيما يشبه ذلك له طريق آخر

وانظروا – يا عباد الله – إلى سيرة سلفنا الصالح، كم كان الكرم جلياً في حياتهم، وعلاقة ما بين الأغنياء والفقراء، الزكاة كانت جانباً من هذه الجوانب، زاوية من هذه الزوايا، الجوانب الأخرى الكثيرة كانت مختلفة عن الزكاة؛ الأموال الوقفية المختلفة، الأطعمة المتنوعة الكثيرة، الأموال

التي تُغْدَق على الفقراء، كل ذلك كان يتم بمنأىً عن الزكاة، بعيداً عن الزكاة، تحت قاعدة ((إن في المال حقاً سوى الزكاة)). ننظر ونقارن بين ما كان عليه سلفنا الصالح بالأمس وما آل إليه حال المسلمين اليوم. ماذا أجد؟ أجد شيئاً يخيف، في الظاهر هو قربى إلى الله، وفي الباطن يستنزل غضب الله، موائد رمضانية لا أدري من الذين يجتمعون عليها، ومن أي حَدَب ودرب اجتمعوا عليها، ومن هم. أَعُدُّها زكاة؟! أَدْفَع مليون من المال في سبيل بسط مائدة رمضانية ثم أسجل مساءً على الله عز وجل أنني دفعت مليون ليرة زكاة من حسابي؟ والله سبحانه وتعالى مُطَّلع، يرى الحقائق

يا عباد الله.. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، وأسأل الله عز وجل أن يطهّر قلوبنا من الرياء، ومن النفاق وألا يجعلنا ممن يستخدم الدين أُطُراً من أجل المصالح، من أجل المصالح الدنيوية، من أجل المظاهر، من أجل السمعة، اللهم ارزقنا الإخلاص لوجهك، اللهم طهِّر قلوبنا من الشوائب يا ربَّ العالمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

الإنفاق والثبات على الأم

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

ها هو شهر رمضان قد هبَّ ليودعكم ولتودعوه، ولقد استشهدتموه خلال أيامه ولياليه على أنكم عائدون إلى الله، مصطلحون معه، ملتزمون بأوامره، تؤدون واجباته، تنتهون وتبتعدون عن محرماته فإياكم يا عباد الله أن تخونوا استشهادكم له فتكونوا كذلك الذي أشهد قريباً له أو أشهد أحداً من أهل العلم أو من المرشدين الذين تاب على أيديهم أشهده أنه تائب إلى الله وأنه ملتزم بأوامر الله سائر على صراطه حتى إذا أدبر هذا المرشد وابتعد عنه عاد فأوغل مرة ثانية في معاصيه وابتعد مرة أخرى عن أوامر الله سبنه وتعالى، خان الشهادة وخان من استشهده، لا يكونن الواحد منكم مثل هذا الإنسان يستشهد رمضان أثناء توديعه له على أنه تائب سائر على صراط الله عز وجل حتى إذا وَلَّ الشهر عاد مرة أخرى إلى دأبه الذي كان عليه، هذه واحدة من النقاط التي ينبغي أن أُذَكِّرَ نفسي وأُذَكِّرَكُمْ بها. شيء آخر، لقد قيل إن المساجد بحمد الله فاضت لا بالقائمين الركع السجد فقط بل فاضت بمن أحْيَوا ليلة القدر بل ربما كثيراً من الليالي التي قد تكون هي ليلة القدر، ولقد كان هذا حقيقة ولكني أسائل نفسي وأسائلكم كم نسبة الذين سيدأبون ثابتين ملتزمين هذا النهج الذي ألزموا أنفسهم به بعد أن ينطوي رمضان وبعد أن تزول أيامه ولياليه، كم هم أولئك لا أقول الذين يحيون الليالي بل الذين يشهدون صلوات الجماعات والجمعات، كم هم أولئك الذين سيبتعدون عن المحرمات ويبتعدون عن الولوغ في المال الحرام، كم هم من

الذين أحيوا ليلة القدر الفائتة كم هم الذين سيواصلون إخوانهم لا بالمصافحة والبسمة الظاهرة فقط بل بالتراحم، بالعطاء، بالإنفاق، كم؟ إذا كان هؤلاء الذين فاضت بهم المساجد وهم يحيون ليلة القدر قد عاهدوا الله عز وجل على أن يثبتوا على أوامره وأن يلتزموا حقوق الله عز وجل التي بينهم وبينه وأن ينهضوا بالحقوق السارية بينهم وبين عباد الله فأشهد أن هذا سيكون سبباً لرحمة عظمى يكرمنا الله سبحانه وتعالى بها ولهذه الرحمة آثارها الكثيرة والكثيرة ولكن الذي أعلمه يا عباد الله وأرجوا أن أكون خاطئاً فيما أعلم أن النفوس لا تزال تعاني من الشح إلا ما رحم ربك وأن التراحم الحقيقي الذي أمر الله عز وجل به غائب عن الساحة إلا ما ندر. التوجه إلى الصلاة لاسيما في المواسم أمر سهل على النفوس لاسيما وإن المواسم تجعل النفوس تستأنس بهذا الشيء الذي يمر علينا ويطل علينا كل عام مرة، مزاج يدعونا إلى أن نجتمع ونصلي ونركع وندعو وأن نعلن أصواتنا ونحن ندعو ونجأر إلى الله بالدعاء نحيل هذه الأصوات إلى المآذن توقظ النائمين وتقض مضجع المرضى وكل ذلك دليل على أننا إنما نندفع إلى ذلك مزاجياً لا من أجل استنزال رضا الله سبحانه وتعالى ورحماته. مرة أخرى أعود فأقول لكم أيها الإخوة إن الناس الذين لا يتراحمون لا يرحمهم الله ومقياس التراحم اليد وليس مقياس التراحم البسمة التي تكون على الوجه، حدثتكم عن طرف من هذا في الأسبوع الماضي وأعود فأقول لو أن هؤلاء الذين فاضت المساجد بهم بالأمس ركعاً سجداً إلى لمعة الفجر أدوا حقوق الله عز وجل في أموالهم كما أمر إذاً لذاب الفقر في المجتمع ولفاض الخير ولتلألأت رحمة الله سبحانه وتعالى تطل على عباده في هذه البلدة. عباد الله الصلوات التي أمرنا الله بها، الحج الذي دعانا إليه، الصيام الذي أمرنا به كل ذلك وسيلة لتراحم الناس بعضهم مع بعض، كل ذلك وسيلة لأن يكرم الغني الفقير ولأن يعطف القوي على الضعيف فإذا لم تتحقق هذه الثمرة من وراء عباداتنا فلعل ذلك دليل على أن عباداتنا غير مقبولة ولا مَرْضِيَّة عند الله عز وجل، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من الذين يكنزون الذهب والفضة أي الذين لا يخرجون زكاة أموالهم حذر هؤلاء الناس وأنذرهم كما لم ينذر المعرضين عن الصلاة، كما لم ينذر المعرضين عن الصيام، ألم تقرؤوا قوله: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون" وكما

قلت لكم من أخرج زكاة ماله بدقة خرج من عُهْدَةِ هذا الإنذار الذي يحذرنا منه بيان الله سبحانه وتعالى. كثيرون هم الذين يتوقعون الفقر من المال الوفير الذي ينبغي أن يعطيه أحدهم للفقير، ملايين من الليرات ينبغي أن يدفعها كل هذا ينبغي أن أُخْرِجَه من مالي! إذا سأفتقر، يرد الله عز وجل على هؤلاء هذا الوهم الباطل قائلاً: "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم"، يؤكد هذا فيقول: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"، ويؤكد المصطفى هذه الحقيقة فيقول: ما نقص مالٌ من صدقة. عباد الله ليت أن الذين فرض الله عز وجل عليهم الزكاة في أموالهم وهم متفاوتون في الغنى ليت أنهم يطرقون أبواب الفقراء الذين يعيشون بين ظهرانيهم، ليت أنهم يدخلون إلى بيوتاتهم ليجدوا مظاهر الأسى وليجدوا مظاهر الآلام الممضة التي تتجلى من قلوبهم ظُلَلاً على وجوههم، ليت أنهم يرون هذا ثم يعودون إلى الإنسانية الراقدة بين جوانحهم لعلها تستيقظ. أدركوا الساعات الباقية من شهر رمضان يا عباد الله، توجوا طاعاتكم، لياليكم التي أحييتموها توجوها بهذا التواصل، توجوها بهذا التراحم وإلا فاعلموا أن عبادة لا تعطي ثمارها غير مقبولة عند الله وإن كانت مقبولة قضائياً في دار الدنيا، وهنا ألفت نظركم إلى أمرٍ عجيب باهر يبرز لنا حكمة عجيبة بل مظهراً من مظاهر رحمة الله عز وجل، أما علاقة الأغنياء بالفقراء فشبكة التواصل كما قلت لكم طريقها الإنفاق الذي أمر الله عز وجل به ومن شأن هذه الشبكة إذا امتدت ما بين المعطي والآخذ أن تقدح مشاعر الحب والألفة والود فيما بينهم لكن ماذا عسى أن يكون الشأن في هذا بين الفقير والفقير، بين مجموعة من الفقراء ليس فيهم من يعطي وليس فيهم من يأخذ فيما بينهم، الفقراء مع الفقراء ومن ثم فإن هذه الشبكة، شبكة سريان الود لن تتحقق فيما بينهم، الفقير ليس مكلفاً بالعطاء والفقير الآخر لن يعطيه ومن ثم فلن تمتد يدٌ بالعطاء ولن تمتد يدٌ أخرى بالأخذ، ولكن الله الرحمن الرحيم شرع أمراً آخر يغطي هذه الحاجة، شرع زكاة الفطر وزكاة الفطر قدر يسير يسير من المال أناطه الله عز وجل بعنق كل من يستطيع أن يؤديه ولن تجد فقيراً لا يستطيع أن يؤدي زكاة فطره لأن زكاة الفطر عبارة عن ما قيمته ألفي غرام من غالب قوت البلد يخرج هذا القوت أو يخرج قيمته لإنسان فقير من الفقراء ورُبَّ فقير تجده يخرج زكاة فطره وفي اليوم الثاني يأخذ زكاة فطره من إنسانٍ مثله،

شرع الله سبحانه وتعالى هذا وأمر الناس جميعاً لكن الحكمة من ذلك أن تسير هذه الشبكة شبكة العطاء والأخذ بين جماعات الفقراء فيما بينهم أيضاً حتى تسري مشاعر الود ما بينهم آخذاً ومعطياً وهم جميعاً فقراء، تجب على من مَلَكَ قوت نفسه وقوت من كلفه الله عز وجل بالإنفاق عليهم ليلة العيد ويومه فإن فاض عن ذلك مبلغ وجب عليه إخراج زكاة فطره، هذا المعنى الذي أقوله لكم يلفت نظرنا إلى أهمية التراحم ويبين لنا أن التراحم لن يكون ببسمة كاذبة تتاجر بها بين عباد الله سبحانه وتعالى ولا بالمصافحة بيد فارغة من العطاء وإنما يكون التراحم بالإنفاق الذي أمر الله عز وجل به "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون"، قولوا لإخوة لنا أكرمهم الله بالمال الوفير، أكرمهم الله بالمال الذي ربما لا يستطيع الإحصاء أن يَعُدَّه، لا يرقدن الواحد منهم على هذا المال كما ترقد الدجاجة على بيضها، أنفقوا يا هؤلاء الناس من مال الله الذي أعطاكم، ولئن أجاب هؤلاء الناس إلى أمر الله سبحانه وتعالى فأنا على يقين أن الفقر الذي يتنامى بين ظهرانينا وفي حواشي هذه البلدة وسائر أطرافها سينمحي وإذا انمحى الفقر أكرمنا الله عز وجل بالقوة أكرما الله بالعطاء أكرمنا الله بالنصر أكرمنا الله سبحانه وتعالى بالعزة فلا تغلقوا أبواب هذه المنح كلها دونكم وافتحوا أبوابها بهذه الطريقة التي أمرنا الله عز وجل بها. هذه كلمتي في توديعنا لرمضان فاجعلوا توديعه لنا صدىً لهذا الكلام الذي أقوله لكم وأسأل الله عز وجل أن يثبتنا بقوله الثابت، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

جبر الخواطر .. أجلُّ ما يتقرب به العبد إلى الله

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئُ مَزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللّهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه وصفيّه وخليله خيرُ نبيٍ أرسلَه، أرسله اللهُ إلى العالم كلِّه بشيراً ونذيراً، اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أمّا بعدُ فيا عباد الله..

لعلكم تعلمون أن من أهم الشعائر التي فرضها الله سبحانه وتعالى عند نهاية هذا الشهر المبارك وبداءة عيد الفطر السعيد الذي أكرم الله عز وجل به هذه الأمة، لعلكم جميعاً تعلمون أن من أهم الشعائر التي افترضها الله عز وجل على الناس في هذا الميقات زكاة الفطر، وزكاة الفطر هذه جعل الله عز وجل ميقاتها بين نهاية شهر رمضان ودخول يوم العيد، فكل من أهلّ عليه هلال العيد وخُتم عنه شهر رمضان المبارك فقد فرض الله سبحانه وتعالى عليه في ماله ما يسمى بزكاة الفطر، عنه وعن كل من أمر الله سبحانه وتعالى أن ينفق عليهم من زوجٍ وأولادٍ ونحو ذلك.

ولعلكم جميعاً تعلمون أيضاً أن زكاة الفطر هذه إنما فرضها الله سبحانه وتعالى في غالب قوت البلد الذي يسكن هذا الإنسان المكلف فيه، وذلك لما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من شعيرٍ أو تمرٍ أو برٍ أو أقط، فلا أزال أُخرجه ما حييت) واستظهر العلماء من ذلك أن هذا التنويع الذي ذكره الله أبو سعيدٍ الخدري إنما يدل على أن المطلوب هو أن يُخرج زكاة الفطر من غالب قوت البلد الذي يعيش هذا الإنسان فيه، فإن كان براً فبر أو شعيراً فشعير أو تمراً فتمر، وإن تعددت الأصناف وتساوت كانت له الحق أن يُخرج ما شاء منه.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الصدقة شعيرةً من شعائر يوم العيد المبارك، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجها قبل خروج المسلمين إلى صلاة العيد، وذلك لما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تخرج صدقة الفطر قبل الخروج إلى الصلاة)، أي قبل خروج الناس إلى صلاة العيد فإذا أخرها الإنسان عن ذلك عصى وإذا أخرها عن يوم العيد لم تعد صدقة فطر، وإنما تصبح صدقةً من الصدقات، واستقرت إثماً في عنق هذا الإنسان.

أما الشرائط التي ينبغي أن تتوفر لكي يُكلف الإنسان بإخراج هذه الصدقة، فهي شرائط يسيرة مأظن في الناس من لا تنطبق عليهم هذه الشرائط:

كل إنسانٍ أدبر عنه شهر رمضان، وأقبل عليه يوم العيد، وهو يملك من النفقة ما يحتاج إليه في يوم العيد وليلته لنفسه ولأسرته التي كلفه الله سبحانه وتعالى الإنفاق عليها، وزاد عن ذلك شيء فقد وجب عليه أن يُخرج صدقة الفطر.

كل إنسانٍ يملك سكناً أو يسكن في سكن بأجرةٍ أو بأي وسيلة من الوسائل، ووجد أنه يمتلك المال الكافي ليعود به على نفسه وعلى أسرته التي كلفه الله الإنفاق عليها يوم العيد وليلته فقط، وازدادت عن ذلك زيادة فقد وجب عليه أن يخرج صدقة الفطر.

ومن هنا ندرك أن الله عز وجل جعل هذه الشعيرة عامةً يُخاطب بها الناس جميعاً؛ ذلك لأنك لا تكاد تجد إنساناً لا يملك النفقة الكافية في هذه الساعات، ساعات العيد التي ينبغي أن يعود بها على نفسه وعلى من ينبغي أن يعيلهم.

فما هي الحكمة أيها الإخوة؟ ما هي الحكمة من أن الله عز وجل جعل هذه الشعيرة عامةً تصيب الناس جميعاً على خلاف زكاة المال؟ وما الحكمة من أن الله عز وجل جعل مقدارها مقداراً يسيراً؛ إذ زكاة الفطر عن كل إنسانٍ لا تزيد على أن تكون صاعاً من غالب قوت البلد الذي هو فيه، والصاع لا يتجاوز ألفي غرام أي كيلوين فقط من غالب قوت البلد؟ كل إنسانٍ يستطيع أن يدفع هذا المقدار عن نفسه وعن من كلفه الله سبحانه وتعالى الإنفاق عليه. ما الحكمة أيها الإخوة

الحكمة هي أن تنظف القلوب التي قد يكون ران عليها حقدٌ أو ران عليها ضغائن أو تسربت إليها مشاعر من الغضب، مشاعرٌ من البغضاء اتجاه المسلمين بعضهم مع بعض، في هذه الحالة وشهر رمضان قد أقبل ثم أدبر، والعيد على الأبواب، ينبغي أن يسارع المسلمون جميعاً إلى اتخاذ أقرب الوسائل لتطهير قلوبهم من الشحناء ومن البغضاء، وأن يسارعوا إلى إعادتها بيضاء نقية كما أمر الله سبحانه وتعالى فما السبيل إلى ذلك؟

السبيل إلى ذلك هو أن يتلاقى المسلمون جميعاً فقراء وأغنياء مهما كانت أحوالهم أن يتلاقى المسلمون جميعاً بأي وسيلة من الوسائل الإنسانية تساعد على تطهير القلوب من السخائم، تساعد على تطهير القلوب من الشحناء والبغضاء، والوسيلة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لذلك بالإضافة إلى زكاة المال التي هي محصورةٌ في طبقةٍ معينة من الناس وسيلة ذلك إنما هي زكاة الفطر.

هذا هو السبب في أن الله عز وجل جعل لها شرائط خفيفة تنال الناس جميعاً، وهذا هو السبب في أن الله عز وجل جعل مقدارها مقداراً يسيراً لا يرهق أحداً من الناس إطلاقاً إعطاؤه.

فانظروا أيها الإخوة إلى النتيجة التي نريد أن نصل إليها بعد هذا الكلام البسيط مسألة فقهية شرعها الله عز وجل. لاحظوا أن الله عز وجل ما شرع ما شرع من العبادات إلا خدمةً لعلاقة الناس بعضهم مع بعض أن تسير على نهجٍ إنساني سوي، بل ما شرع الله ما شرع من أحكام المعاملات المختلفة إلا خدمة لهذه العلاقة أن ترقى إلى مستوى الصلة الإنسانية الوثقى، بل إن الله عز وجل ما ألزم عباده بعقائد الإسلام وافترض عليهم أن يدينوا بمشاعر العبودية لله عز وجل إلا في سبيل أن تتطهر قلوبهم وأن تصبح قلوباً صافية عن الشوائب، بل أن تصبح قلوباً سليمة كما وصف الله سبحانه وتعالى على لسان خليله سيدنا ابراهيم.

ومن هنا نعلم أن الإنسان الذي يتقرب إلى الله بنسك بعبادات بصدقات بحجٍ بنحو ذلك من العبادات التي شرعها الله عز وجل، ثم يعود إلى قلبه فيراه لا يزال مليئاً بالضغائن مليئاً بالشحناء أو الأحقاد، فليعلم هذا الإنسان أن طاعاته لا تكاد تقبل؛ ذلك لأنها لم تحقق الحكمة التي من أجلها شُرعت، وإنما شرع الله سبحانه وتعالى هذه الطاعات كلها من أجل أن تغدو قلوب الناس قلوباً صافية، قلوباً سليمة.

وما أعلم طاعة يتقرب بها الإنسان إلى الله عز وجل كجبر الخواطر كإدخال الفرح إلى القلوب المكلومة أو الحزينة، ما أعلم قط طاعة يتقرب بها الإنسان إلى الله أجل من هذه القرب، بشرط واحد هو أن يكون هدف هذا الإنسان استنزال رضا الله سبحانه وتعالى عنه.

قد تكون العبادات قليلة، قد تكون الطاعات غير كثيرة، قد لا يكون هذا الإنسان مما يقوم الليل أو ممن يتهجد أو يصلي صلاة التسابيح، وقد لا يكون ممن يسعى إلى ليال الإحياء هنا وهناك كما هي العادة الحديثة نعم في هذه البلدان وأمثالها، قد لا يكون متحلياً بشيء من ذلك، لكن إذا وفقه الله عز وجل إلى أن يكون جباراً للخواطر الكثيرة، إذا وفقه الله عز وجل لأن يكون خادماً لهذه الأفئدة يجلو عنها قتامى الحزن، يجلو عنها الشعور بالآلام والمصائب وكان قصده بذلك رضا الله، فليعلم أنه محبوب من قبل الله سبحانه وتعالى.

وما ورث الإنسان وصفاً من الصفات التي أكرمه الله بها أدل على محبة الله له من وصف الحنان، وقديماً وصف الله سبحانه وتعالى سيدنا يحيى بصفات فلما وصفه بالحنان نسب هذه الصفة إلى ذاته العلية ألم تسمعوا قوله عز وجل: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً (١٢) وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً" لماذا قال (وحناناً من لدنا) خصّ صفة الحنان بهذه الصفة باللدنية بهذه النسبة إلى ذاته ليبرز أهمية هذه الصفة، وليبرز أنها خصيصة حب من الله سبحانه وتعالى ليحيى.

أقول هذا الكلام أيها الإخوة لأننا نقف على مشارف بل ساعاتٍ نودع هذا الشهر، ونستقبل فيها يوم العيد، هذا التلاقي بين شهر مضى وبين عيد يأتي إنما ينقدح من تلاقيهما هذا الشعور الذي أقوله لكم.

كل مسلم ينبغي أن يعود إلى قلبه ويستشعر معنى الحنان في كيانه، ثم ينبغي أن يتساءل هل وضع هذا الشعور من حياته موضع التنفيذ في كيانه، ثم ينبغي أن يتساءل هل وضع هذا الشعور من حياته موضع التنفيذ اتجاه أهله، زوجه، أولاده، بناته والأقربون أولى أن ينالوا هذه الصفة ممن متعه الله سبحانه وتعالى بشيءٍ من الحنان. ثم ليتساءل: هل أكرمه الله سبحانه وتعالى بالقدرة على أن يعود بهذا الشعور إلى الآخرين إلى المنكوبين إلى الحزانى من الناس إلى الفقراء؟

إن رأى أن الله سبحانه وتعالى أقدره على أن يكون سبيلاً إلى إدخال الفرحة في قلوب أهله وأسرته والأقربين من حوله أو الأبعدين من سائر الناس، فليهنئ أنه ممن أحبه الله سبحانه وتعالى، أما إن وجد أنه ضيق الصدر بهذا الشعور، أما إن وجد أنه لا يستطيع أن يعامل الناس بالطريقة التي يدخل السرور بها إلى أفئدتهم، فليكن من صلته مع الله على حذر، ولا يخدعن بكثرة صلاته إن كان مكثراً للصلاة ولا يتصورن أن كثرة أذكاره أو كثرة حجه أو كثرة نسكه أو أن شيئاً من ذلك يقربه إلى الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة يقول الله عز وجل في محكم تبيانه: "وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً" ومعنى هذا الكلام أن الله عز وجل جعل الإنسان مادة امتحان للإنسان، فجعلك مادة امتحان لي، وجعلني مادة امتحان لك؛ جعلك مادة امتحان لي ابتلاك بمصائب بفقر بضنك ثم إنه ندبني إلى أن أفعل كل ما أملك لأزيح عن قلبك هذه المشاعر، وابتلاك الله أيضاً عز وجل بي ... والكلام في هذا طويلٌ وأظنني قد شرحت جوانباً منه مراراً، والله عز وجل قادر على أن يجعل قلوب الناس كلها تمتلئ فرحاً وسروراً، ولكن الله عز وجل شاء أن يكون مفاتيح ذلك بيد عباده، أعطاني الله سبحانه وتعالى مفتاح إدخال السرور على قلبك، وأقدرني على إدارة هذا المفتاح لكي يكسبني الأجر عن طريق ذلك، وأقدرك الله عز وجل على هذا بالنسبة لي ... تلك هي سنة رب العالمين في هذه الدنيا أيها الإخوة.

فحققوا هذا المعنى في حياتكم، واجعلوا من تلاقي نهاية هذا الشهر وإقبال العيد بعد ذلك مثابةً لبدءٍ في هذا الطريق، واعلموا أن الله ما شرع زكاة الفطر إلا من أجل هذا المعنى، صاع من غالب قوت البلد أو قيمة هذا الصاع ماذا عسى ان يفعل لن يغني فقيراً أخذ ولن يفقر غنياً أعطى بشكلٍ من الأشكال، لكنها صلة القربى لكنها صلة تعلن عن نفسها لكنه معنى من معاني الابتسام معنى من معاني الحنان والسرور، وهذا ما يقرب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى.

فيا أيها الإخوة اجعلوا رأس مالكم في القرب إلى الله عز وجل إدخال السرور على أهليكم وعلى أولادكم ثم أقاربكم ثم سائر الناس من حولكم، بالكلمة الطيبة إن لم تستطيعوا بالمال والله عز وجل عندما أمر بالصدقات لم يأمر بها من أجل أن يعود الإنسان بكمٍ ورقمٍ مالي على زيد من الناس الله غني حليم، ولكن الله عز وجل أمر بذلك من أجل أن تتلاحم النفوس وتتقارب القلوب ألم تصغوا إلى قوله عز وجل: "قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ."

إن الله عز وجل يريد أن تستخدم المال تعبيراً عن حبك تعبيراً عن حنانك تعبيراً عن رقة شعورك، اتجاه إخوانك تعبيراً عن أنك تواجههم بقلبٍ أبيض سالمٍ من كل غش وضغينة.

أسأل الله عز وجل أن يحققنا بهذه الصفة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

ليلة القدر وسياسة الإنفاق والزكاة

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

هما أمران اثنان ينبغي أن أذكر نفسي وأذكركم جميعاً بهما:

أما الأمر فهو ما تعلمون من أننا نعيش أفضل أيام هذا الشهر، تلك الأيام والليالي التي أكد المصطفى أن فيها ليلة هي خير من ألف شهر كما قال الله سبحانه وتعالى، ولعلكم تعلمون أو سمعتم أن الإمام أحمد روى عن رسول الله أنه قال: (التمسوا ليلة القدر في ليالي الواحد والعشرين وثالث وعشرين وخامس وعشرين وسابع وعشرين وتاسع وعشرين من هذا الشهر المبارك).

وهذا يعني أن ليلة القدر ليست محصورة كما يتوهم كثير من الناس في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر المبارك.

الشيء الذي أريد أن الفت نظركم إليه هو أن في الناس من يتسلون بالجدل حول هذه الليلة – ليلة القدر – بدلاً من أن ينتهزوا الفرصة التي دعا إليها رسول الله . تنظر إلى أحدهم وقد ألقى في جلسته ركبة على أخرى وراح يناقش قائلاً: كيف تكون هنالك ليلة بحد ذاتها هي ليلة القدر وهي خير من ألف شهر في حين أن الليالي والأيام تتوازعُ الكرةَ الأرضية في تبادل مستمر؟ هكذا يقول وهو يظن أنه بهذا الكلام قد نسف بيان الله عز وجل وزلزل عقائد المؤمنين في قلوبهم والواقع – أيها الإخوة – أن هذه جهالة طامَّة وينبغي أن ألفت النظر إلى البديهة التي ينبغي ألا تغيب عن بال أي عاقل فضلاً عن عالم.

إن فضيلة ليلة القدر لا تكمن في جوهر الزمان نهائياً فالأزمنة كلها في جوهرها واحدة، الأزمنة التي تتمثل في حركة الفلك لا فرق بين زمان وزمان فيها قط وإنما تكمن أهمية هذه الليلة أو فضيلة هذه الليلة في تجليات الله سبحانه وتعالى على عباده فيها بالرحمة والصفح والمغفرة واستجابة الدعاء، يتجلى الله عز وجل فيها على عباده جميعاً الطائعين والعاصين كلهم بشرط واحد هو أن يلتفت الإنسان إلى الله في هذه الليلة وأن يُقْبِلَ إليه كما يُقْبِلُ الله سبحانه وتعالى إليه بالرحمة والصفح والمغفرة واستجابة الدعاء.

إذاً فسر ليلة القدر ليس كامناً في زمنٍ معين حتى يرد هذا الإشكال وإنما السر كامن في الرحمة الإلهية المتنزلة من السماء.

فلو فرضنا أن ليلة القدر تكمن في الليلة الحادية والعشرين من هذا الشهر فإن الله يتجلى على عباده في الليلة الحادية والعشرين هنا ويتجلى على عباده في الليلة الحادية والعشرين في أمريكا ويتجلى على عباده في الليلة الحادية والعشرين في أوروبا وهكذا. فهذا هو الأمر الأول الذي ينبغي أن نتبينه. ولو أن الإنسان وقف أمام هويته، وقف أمام مرآة ذاته وتذكر أنه عبد مملوك لله عز وجل لما سخر ببيان يؤكده الله عز وجل وأفرد لذلك سورة برأسها:

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر : ١- ٣].

لكنه العتو والاستكبار على الله عز وجل يجعل أحدهم يجلس ليزجي الوقت وليتسلى بالجدل بدلاً من أن يعود فيدرس ويتعلم ما قد بيَّنَهُ الله عز وجل لنا في محكم تبيانه وما قد ذكره لنا رسول الله ﷺ في أحاديثه.

وأما الأمر الثاني فهو ما ينبغي أن أعود فأذكركم به مرة أخرى. على الموسرين والأغنياء الذين متعهم الله بالمزيد والمزيد من المال أن يعلموا أنهم لا يملكون شيئاً من هذا المال الذي وضعه الله عز وجل تحت أيديهم، عليهم أن يعلموا الحقيقة التالية يا عباد الله.

هذا المال الذي وضعه الله عز وجل كثيراً وفيراً تحت يد فلانٍ من الناس الأغنياء قسمان اثنان.

أما القسم الأول منه فأعطاه الله عز وجل إياه ليمتع به نفسه وأهله وأسرته وذويه وليحقق بواسطة ذلك لنفسه ولأسرته المعيشة والحياة الرخية.

وأما القسم الثاني فهو وديعة، واسمعوا ما أقول لكم يا عباد الله: وديعة استودعه الله سبحانه وتعالى لديه لأناس آخرين، ائتمنه على هذا المال ليؤديه إليهم، من هم الذين استودع الله هذا المال عنده لصالحهم؟ إنهم من يُسَمَّوْنَ الفقراء وأنا أقول من يُسَمَّوْنَ الفقراء ولا أقول الفقراء لأن الأغنياء الذين نسوا هذه العهدة التي وضعها الله عز وجل بين أيديهم هم الذين جعلوا هذا الصنف الثاني يُسَمَّوْنَ فقراء، ولو أنهم أعادوا الحق إلى أصحابه إذاً لرأينا أن الجميع يعيشون في ظل الرخاء والكفاية.

أرأيتم إلى رجل نزل ضيفاً عند ثريٍّ كبير ولما أراد الضيف أن يرحل أعطاه بُلْغَةً كبيرة من المال قال هذا لك وهذا القسم الثاني تعطيه إذا ذهبت إلى بلدك لفلان وفلانٍ وفلان، إنها وديعة أُحَمِّلُكَ الائتمان بها وإعطاءها لأصحابها. كذلكم هؤلاء الأغنياء الموسرون الذين يخيل إليهم أنهم يملكون المال لا يملكون شيئاً، قسم منه متعهم الله عز وجل به متعةً لأنفسهم وذويهم وقسم استودعه الله عز وجل لديهم لِمُلاَّكِهِ، لأصحابه وهم من يُسَمَّوْن الفقراء. ألا فليعلم هؤلاء الموسرون ألا وليُذَكَّرُوا إن لم يكونوا يتذكرون أن مزارعهم التي يتقلبون فيها لهؤلاء الفقراء شركة فيها، ليعلموا أن بيوتهم التي يتمتعون فيها للفقراء شركة في هذه البيوت التي يسكنون فيها، لا أقول السيارة بل السيارات التي تجثم في كل مساء حول الدار ليعلموا أن لهؤلاء الفقراء شركة حقيقية فيها.

كيف، قد يقول قائل: وهل في سيارة يملكها صاحبها لاستعماله الشخصي زكاة؟ وهل على الدار التي أسكنها زكاة؟ نعم لا زكاة فيها ولكن اسمع: إن الملايين التي اشتريت بها المزرعة والتي اشتريت بها الدار الفارهة والتي اشتريت بها السيارات الفارهة المتنوعة هذه الملايين التي اشتريت بها هذا كله إنما هو صنفان اثنان كما قلت لكم؛ صنف متعك الله عز وجل به لتعود به رخاءً إلى نفسك وإلى أسرتك وصنف ائتمنك الله عليه هو النسبة التي تعرفون اثنين ونصف في المئة من

هذه الملايين الكثيرة ولكنك لم تعد بهذه النسبة إلى أربابها، لم تُسَلِّمْ الوديعة إلى أصحابها فأصبح كل شيءٍ تشتريه بهذا المال شركة بينك وبين هؤلاء الفقراء.

ولتعلموا – يا عباد الله – أن الفقهاء اتفقوا على أن الإنسان الذي تعلَّقَ بماله حقٌّ للفقراء ثم أراد أن يبيعه قبل أن يعطي لأصحاب الحق حقهم لا يصح البيع في هذا الجزء الذي لا يملكه، البيع لا يصح في هذا الجزء الذي لا يتمتع به، حقيقة ينبغي أن تعلموها، قانون بل قاعدة فقهية لا إشكال فيها ولا ريب، ولقد ذكَّرْتُكُمْ من قبل بحديث رسول الله القائل: (إن الله جعل في أموال الأغنياء بالقدر الذي يسع فقراءهم وإن الفقراء إذا جَهِدُوا فعروا أو جاعوا إنما يكون ذلك بما يفعل أغنياؤهم وإن الله محاسبهم فمعاقبهم على ذلك عقاباً كبيراً).

قولوا لهؤلاء الموسرين وما أظن أنهم يوجَدون في أمثال هذه المجالس لأن أعباء الدنيا أثقلتهم عن التحرك والمجيء إلى هذه الأماكن وأمثالها للرجوع إلى حقيقة العبودية القائمة في كياناتهم لله عز وجل، قولوا لهم المال ليس مالكم، المال مال الله، ألا تقرؤون القرآن:

(وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) [النور : ٣٣].

المال مال الله لكن الله عز وجل كرماً منه وإحساناً متعك بجزء كبير منه وقال عد به إلى أهلك ونفسك وأسرتك، أما الجزء الآخر قال له هذه وديعة، إنها وديعة أَعِدْ هذه الوديعة إلى أصحابها، نحن نقول هؤلاء فقراء ومساكين، من أين التصقت بهم هذه التسمية؟ منا نحن لما حبسنا هذه الوديعة في جيوبنا وصناديقنا ولم نعدها إلى أصحابها نظرنا إليهم فوجدناهم أصبحوا فقراء، من الذي جعلهم فقراء؟ نعم الله عز وجل هو مسبب الأسباب ولكني لما حبستُ الوديعة عن أصحابها ولما حبسها الثاني والثالث والرابع تحقق الفقر عند هؤلاء وغداً يأتي يوم الحساب.

عباد الله: كم وكم أتمنى أن تستيقظ الإنسانية بين جوانح هؤلاء الموسرين الذين كلما ازدادت نعمة الله عز وجل عليهم ازدادت قلوبهم قسوة. يا عجباً أتمنى لو أن إنسانيتهم تحركت فاستيقظت فساقتهم إلى بيوتٍ في ضواحي هذه المدينة مدينتكم مدينة دمشق، دخلوا إلى هذه الكهوف، دخلوا إلى هذه المغاور، دخلوا إلى أماكن هي بالقبور أشبه منها بالبيوت، نعم هي

بالقبور أشبه منها بالبيوت من الذي يسكنونها أناس من أمثالنا وأمثالكم، ولا والله إن في هذه البيوت ما لا يرضى كثير من الحيوانات أن يستقر فيها.

تمنيت لو أن هؤلاء الموسرين ساقتهم أقدامهم إلى هذه الأماكن ونظروا إلى إخوةٍ لهم يموتون موتاً متقطعاً، لماذا؟ لأنهم حبسوا ودائعهم التي هي ملك لهم بقرار من الله في جيوبهم وصناديقهم.

يا هذا كيف يتأتى لك أن ترقد الليل وأنت تنظر إلى ما جنته يداك من هذه الظاهرة؟ كيف يتأتى لك أن تضع اللقمة في يدك فتستسيغها وأنت تعلم أن هذا الذي رأته عيناك إنما هو نتيجة جريمتك أنت عندما حبست هذه الوديعة في صندوقك ولم تعد بها إلى أصحابها؟ كيف يمكن أن يهنأ لك مقام؟ كيف يمكن أن يهنأ لك عيش عندما تعود من هذه الرحلة بل من هذه الطوفة التي أحدثكم عنها؟ ولكنني أعلم وأنتم تعلمون أن هؤلاء الذين أكرمهم الله ومتعهم الله بالمال الوفير الوفير لا يمكن أن يلتفتوا إلى هؤلاء الناس لأنهم لا يريدون أن يعكروا متعتهم، لا يريدون أن يعكروا صفو معيشتهم. إنهم إذا نظروا فوجدوا حال هؤلاء الذين يعيشون في الضنك، إذا نظروا فوجدوا حالهم ربما يتخيلون أنهم يكدرون صفو حياتهم، يكدرون صفو نعيمهم ولذلك فالحل أن يطرحوا هذا الواقع وراءهم ظهرياً وأن ينسوا أو يتناسوا وجود هؤلاء الذين يموتون موتاً بطيئاً.

والله الذي لا إله إلا هو إن هنالك إخوة لكم كان دأبهم في هذا الشهر أن يطوفوا في هذه الأماكن وأن يتنقلوا ضمن هذه البيوتات إن جاز التعبير عنها بالبيوتات ولكن هذا الذي فعلوه عاد إليهم بنشوة ما مثلها نشوة، لم يعكر أبداً صفو نعيمهم بل أدخل في كيانهم نشوة لا يمكن للإنسان أن يحققها بأي وسيلة من الوسائل المادية. دخلوا هذه البيوتات ورأوا هذا الوضع الذي وصفته لكم، أخرج الواحد منهم من جيبه ما استطاع أن يخرج، ما استطاع أن يأتي به وقذفه فيما بينهم وإذا البأساء قد تحولت إلى رخاء وإذا الأسى الذي خيم على الوجوه قد تحول إلى فرحة وإذا الصغار يرقصون وإذا الكبار يفرحون. استطعت بهذا العمل أن تدخل الفرحة في قلوب كئيبة، ما قيمة المال أيها الإخوة إن لم يُجَنَّدْ لمثل هذا؟ ما قيمة المال إن حبسته في صندوقي أو اكتنزته هنا وهنا وهناك في المصارف العالمية المختلفة ولم أعد به إلى هؤلاء الذين استودع الله

لديَّ أموالهم، ما قيمة ذلك؟ غداً سأرحل. قولوا لهؤلاء: إنها أيام أو أشهر أو سنوات وغداً سترحل من هذه الدنيا ولن تنالوا منها إلا ما طعمتم، إلا ما ارتديتم، إلا ما أكلتم والباقي ماذا تصنعون به؟ والله إنه لن يكون إلا عبئاً ثقيلاً أمامكم يوم القيامة ولن تجدوا من وراء هذا الذي جمعتموه فلن تستفيدوا منه لا لطعام ولا لشراب ولا لكساء لن تجدوا من وراء ذلك إلا نيراناً تلتهب.

ترى هل في هذا المسجد ناسٌ من هؤلاء الناس يسمعون كلامي؟ هل يمكن لأناس من هؤلاء الناس أن يبلغهم هذا الذي أقول؟ لعل هذا الذي أقول يرقق قلوبهم القاسية، لعل هذا الذي أقول يوقظ إنسانيتهم الغافلة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بالتراحم حتى يكرمنا برحمته. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

نهاية شهر رمضان

أما بعد: فيا عباد الله، مسألتان تقتضي المناسبة أن أتحدث إليكم فيهما، المسألة الأولى: أن كثيراً من الناس اعتادوا في أول شهر رمضان وفي آخره أن يجعلوا من الحديث عن بداءة الشهر ونهايته فاكهة مجالسهم، يجتمعون ويتداولونَ التساؤلَ، أفكانت بداءة الشهر عندنا صحيحة أم لم تكن صحيحة؟ أفكان إخطارنا في نهاية هذا الشهر صحيحاً أم لا؟ إن الدولة الفلانية والفلانية لم تفطرا، أو أفطرتا ولم نفطر نحن، فأيهم الصحيح وأيهم المخطئ؟ ويتحول الحديث في هذا الأمر إلى تسلية ممتدة، ولربما تحولت التسلية إلى باب للفتنة، ووسيلة للشقاق والخلاف، وكم رأينا أناساً لم يقتعنوا بما أعلنه المسؤولون عن نهاية الصوم وبداءة العيد، فواصلوا الصوم فيما بينهم وبين أنفسهم، وكم رأينا أناساً لم يقتنعوا بما أعلنه المسؤولون عن بداءة شهر رمضان، فقرروا الإخطار فيما بينهم وبين أنفسهم، وهذه ظاهرة تتكرر في كل عام، وينبغي أن نقف عند هذه الظاهرة بكلمة تلفت أنظارنا جميعاً إلى الحق الذي ينبغي علينا أن نتمسك به

هذا الخوض – يا عباد الله – في هذا الأمر من اللغو الباطل، وهو دخول فيما لا يعني، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: ((من حُسنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه)).

الواجبات التي خاطب الله عز وجل بها عباده قسمان اثنان: قسم منها خاطب الله عز وجل به الأفرادَ مباشرة، فكل واحد منا مسؤول عن تمحيص الأمر فيما خاطبه الله عز وجل به. والقسم الثاني خاطب الله عز وجل به عباده عن طريق أئمة المسلمين، وعن طريق أولياء أمورهم، ومن ثَم فإن المسؤولية في هذا القسم الثاني يتحملها أولياء أمور المسلمين، يتحملها ولي أمر المسلمين، إن أصاب فذاك، وإن أخطأ فذنبه على جنبه، وفي كلتا الحالتين إن هو أصاب أو أخطأ فلا يجوز لعامة الناس إلا الاتباع، لا يجوز لعامة المسلمين وأفرادهم إلا الانقياد لما يمليه عليه ولي أمر المؤمنين، وذلك انقياد لقول الله سبحانه وتعالى في محكم تبيانه: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٤/٥٩]. من ثَم فلا يجوز لي وقد أعلن ولي أمر

المسلمين أن الصوم ينتهي بمساء هذا اليوم، وأن أول أيام العيد هو الغد، لا يجوز لي أن أتدخل في هذا الأمر باجتهاد، ولا يجوز لي أن أجعل من هذا الموضوع تسلية أو فاكهة مجالس بيني وبين الآخرين، ولا يجوز لي أن أقارن بين دولة ودولة أخرى، لماذا أفطر أولئك وصمنا؟ ولماذا حصل هذا الخلاف؟ هذا باب يفتحه الشيطان، وليس من وراء هذا الباب الذي يفتحه الشيطان إلا الشقاق وإلا الخلاف

أمر لم يكلِّفْك الله سبحانه وتعالى الدخولَ فيه، لم يُحَمِّلك الله سبحانه وتعالى مسؤولية وجع رأسك في هذا الأمر، فلماذا تتصدر المجالس لتنفق الوقت الطويل أو القصير في الرأي الذي تبديه وفي القرار الذي تمليه؟ أمر يدخل فيما لا يعنيك وقد نهاك الله سبحانه وتعالى عنه، ومن ثَم فكم أتمنى لو أن هذه العادة المستمرة في كل عام طويت وانتهت، ولكنها إلى اليوم لم تنطوِ، ما من عام يُقْبِل فيه شهر رمضان إلا ونجد الحديث والجدل يمتد في اليوم الأول والثاني والثالث منه، أكانت البداءة صحيحة أم ليست صحيحة؟ أفطرت الدولة الفلانية، والدولة الفلانية صامت، من صومها الصحيح؟ في حين أن الله عز وجل أراحنا عن هذه المسألة، ذلك لأن الله عز وجل حكيم

الأمور الاجتماعية لم يجعلْها الله عز وجل منوطة بالأفراد، وإنما جعلها الله عز وجل منوطة بالقادة وأولي الأمر، تقولون: ربما أخطأ ولي الأمر. خطؤهم لسنا نحن المسؤولين عنه، خطؤهم على جنبهم، أما نحن فمكلفون بالانقياد لهم، مكلفون بطاعتهم بآيات كثيرة متعددة في كتاب الله سبحانه وتعالى، وبأحاديث كثيرة ذكرها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقول هذا أوصي نفسي وأوصيكم إذا رأيتم من يجالسكم غداً ليستثير من هذا الموضوع تسلية له، أوصيكم بأن تغلقوا باب الحديث في هذا، قولوا: أمر لا يعنينا لم نتدخل فيه، أمر أراحنا الله عز وجل منه لن نتعب أنفسنا به، هذا لغو من الكلام، نخوض في أمر يفيدنا، نخوض في أمر

أناطه الله سبحانه وتعالى بنا، وما أكثر الأمور التي نحن بحاجة إلى أن نتبادل أطراف الحديث فيها

أما المسألة الثانية التي تقتضيها المناسبة أيضاً فهي مناسبة زكاة الفطر، هذه شعيرة عامة – يا عباد الله – جعل الله سبحانه وتعالى منها باباً يلج فيه كل المسلمين تقريباً، ولكأني أرى الحكمة واضحة جلية في هذا. الحكمة هي أن تمتد وشيجة الألفة، أن تمتد وشيجة الحب، شبكة المودة والقربى بين هذه الأسرة الإنسانية المسلمة، دون أن يشرد عنها شارد، ودون أن يشذّ عنها فرد من الناس

زكاة الفطر شرعها الله سبحانه وتعالى وأوجبها على كل من دخلت عليه ليلة العيد وهو لا يزال حياً، إذن أصبحت زكاة الفطر هذه واجبة عليه، ومن وجبت عليه زكاة الفطر وجبت أيضاً عليه لمن تلزمه نفقته كالزوجة والأولاد، ويُسَن إخراجها كما تعلمون قبيل صلاة العيد، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد، وهذا كلام مكرور نكرره ونذكر به في كل مناسبة، أما الشرط الذي لا بد منه لوجوب هذه الشعيرة فهي أن يملك الإنسان من المال ما يزيد على احتياجاته لنفسه ولأسرته في ليلة العيد ويومه، ومن ذا الذي لا تزيد ممتلكاته المالية على هذا الذي يحتاج إليه الإنسان؟ إذن ما منا إلا وهو مكلف تقريباً بإخراج زكاة الفطر، من كانت عنده نفقة أهله ونفقة نفسه التي يحتاج إليها ليلة العيد ويومه، ووجد مزيداً على ذلك، فقد وجب عليه إخراج زكاة الفطر

وهنا أذكركم بسؤال يسأله كثير من الناس في كل عام: كم هي زكاة الفكر في هذه السنة؟ وكأن مقدار زكاة الفطر يختلف من عام إلى عام، من الذي قال هذا؟ زكاة الفطر لا تختلف من عام إلى عام منذ أن شرعها الله عز وجل إلى يوم القيامة؛ هي صاع من غالب قوت البلد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي ملء صاع من قوت البلد التي يُخْرَج الزكاة فيها، هذه هي زكاة الفطر، وهذا هو مقدارها، لا تزداد ولا تنقص، وغالب قوت البلد كما تعلمون عندنا هو الحنطة، وصاع من الحنطة لا يزيد على ألفي غرام، وهو حديث مكرور ومعاد ذكرته مراراً وتكراراً، فلينظر كل واحد منكم كم يساوي هذا القدر من الحنطة من المال، وليخرج زكاة فطره بهذا القدر، هذا

القدر لا يختلف من عام إلى عام، ولكن على كل منا أن ينظر كم هو ثمن هذا القدر من الحنطة في هذا العام، هل اختلف عن العام الماضي أو لم يختلف؟ هذا شيء يتعلق بالسوق ولا يتعلق بحكم الشرع

هذه الشعيرة يا عباد الله هي شعيرة صغيرة في كَمها، ولكنها كبيرة جداً جداً في آثارها، وكبيرة جداً في نتائجها، ولكأن الله عز وجل يطلب منا من خلال هذه الشعيرة أن نفتح قلوبنا لإخواننا، وأن نزيل كل ما يمكن أن يتجمع في أفئدتنا من مشاعر البغضاء، من مشاعر الحقد والضغينة، وأن نحيل قلوبنا هذه إلى قلوب نقية بيضاء، لا تجاه أقاربنا وأرحامنا، بل تجاه إخواننا المسلمين جميعاً، بل تجاه إخواننا في الإنسانية جمعاء، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، فاستغفروه يغفر لكم

فرصة قد لا تعود وأحكام زكاة الفطر

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعدُ فيا عبادَ الله:

لئن كانَ شهرُ رمضان المبارك هو خيرُ شهورِ السنةِ على الإطلاق، فإنَّ العشرَ الأخيرَ من هذا الشهر هي أفضلُ أيامِ الشهرِ على الإطلاق، وذلك لأنَّ رحمةَ اللهِ سبحانهُ وتعالى تتضاعفُ في هذهِ الأيامِ لعباده، ولأنَّ اللهَ تعالى أودعَ في هذهِ الليالي ليلةً وصفها اللهُ تعالى بأنها خيرٌ من ألفِ شهر، ألا وهيَ ليلةُ القدرِ كما تعرفون، وليسَ صحيحاً ما يتصورهُ أو ما يتوهّمهُ بعضُ الناس من أنَّ ليلةَ القدرِ محصورةٌ في ليلةِ السابعِ والعشرينَ من هذا الشهر، فهم يحصرونَ احتفالاتهم واحتفاءاتهم بها في هذا الميقاتِ دونَ غيره، بل سئلَ عن ذلكَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقال: "التمسوها في العشرِ الأخير التمسوها في ليالي الوتر، في ليلةِ واحدٍ وَ عشرين، ثلاثٍ وعشرين، خمسٍ وعشرين، سبعٍ وعشرين، تسعٍ وعشرين".

هذهِ الليالي كلها مجالٌ واسع ومدارٌ لاحتمالٍ كبير أن تكونَ كلُّ ليلةٍ منها هيَ ليلةُ القدر، ولعلَّ الحكمة في إخفاءِ اللهِ سبحانهُ وتعالى هذهِ الليلة وميقاتها من هذا الشهر بل منَ العامِ كله أن يحاولَ الإنسانُ جهدَ استطاعته أن يستغلَّ كلَّ ليلةٍ منَ الليالي التي تمرُّ بعمره، بل كلَّ ساعةٍ منَ الساعاتِ التي ملكهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إياها ليُقبِلَ فيها على اللهِ عزَّ وجلّ، وليصلحَ فيها من شأنه، وليقومَ فيها من اعوجاجه، وليتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من أيِّ ذنبٍ قد فرطَ منه. تلكَ هيَ الحكمة

من إخفاءِ اللهِ سبحانهُ وتعالى ميقاتَ هذهِ الليلة أمامَ العبد بالنسبةِ لا لهذا الشهر فقط بل بالنسبةِ للعامِ كله.

وأحبُّ أن نعلمَ أيها الإخوة أنَّ فضيلةَ ليلةِ القدر، بل إنَّ فضيلةَ أيِّ ليلةٍ منَ الليالي ليست نابعةً من جوهرِ الوقتِ ذاته، وإنما هيَ آتيةٌ من تجلي اللهِ سبحانهُ وتعالى على عبادهِ بالرحمة في وقتٍ دونَ وقت أو في وقتٍ أكثرَ من أوقاتٍ أخرى؛ الأزمنةُ كلها في الأصلِ واحدة بالنسبةِ لجوهرها وبالنسبةِ لحقيقتها العلمية، والأمكنةُ كلها في الأصلِ واحدة بالنسبةِ لجوهرها وماهيّتِها الحقيقية. ولكنَّ المكانَ يشرف بتشريف الله عزَّ وجل له، والزمانُ يشرف بتشريفِ اللهِ سبحانهُ وتعالى له.

وإذا علمنا هذهِ الحقيقة، سُدَّتِ السُّبُلُ أمامَ من يريدونَ أن يستشكلوا أو يثيروا الشبهاتِ أمامَ بعضِ العقول، عندما يسألُ أحدهم: كيفَ يمكن أن نحددَ ليلةَ القدرِ مثلاً ومواقيتُ الأزمنةِ متخالفةٌ متناوبةٌ فوقَ هذهِ الأرض وميقاتُ الليلِ هنا ميقاتُ نهارٍ هناك؟ وكيفَ يمكنُ أن نتصورَ الأمرَ على هذا النحو و الأمرُ جارٍ على هذهِ الحقيقة؟ هذا الإشكال كانَ منَ الممكنِ أن يرسخَ في الذهنِ وأن يكونَ إشكالاً حقيقياً لو أنَّ سرَّ هذهِ الليلة نابعٌ منَ الليلةِ ذاتها، إذاً لقلنا كيفَ وجدَ هذا السرُّ هنا ولم يوجد هناك؟

ولكنَّ الأمرَ كما قلت لكم، تجلٍّ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ على عباده في مواقيتَ متنوعة، ومنَ اليسير أن يتجلى اللهُ عزَّ وجلَّ على عبادهِ بالرحمةِ في ليلةٍ من ليالي هذا الشهرِ هنا، ويتجلى على عبادهِ في ليلةٍ أخرى من ليالي هذا الشهرِ في أيِّ مكانٍ آخر، وأن يتجلى على عباده بالرحمةِ ذاتها في أيِّ ليلةٍ أخرى في مكانٍ ثالث، والأمرُ كلهُ عائدٌ إلى رحمةِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، وإلى مواقيت نثرها بينَ الأزمنة، بل إلى معالم نثرها بينَ الأمكنة ليجعلَ الناسُ من هذهِ المعالمِ الزمنيةِ وهذهِ المعالمِ المكانيةِ فرصاً يقبلونَ فيها إلى اللهِ سبحانهُ وتعالى. معَ العلمِ بأنَّ هذهِ الفرص لا تتناهى، فما من معلمةٍ زمنيةٍ تمر ويغفلُ الإنسانُ عنها إلا ويردفها اللهُ جلت رحمتهُ بمعلمةٍ أخرى ينادي العبد: ألا هلمّ إن كنتَ لم تستطع أن تنتهزَ الفرصةَ التي خلت، فإذا ذهبت الفرصةُ الثانية أعقبتها الرحمةُ الإلهية بفرصةٍ ثالثة، والأمرُ كله عائد إلى أبوابٍ منَ الرحمةِ الإلهية المفتحة أمامَ عبادِ اللهِ جميعاً. وكلُّ عبادِ الله مدعوّون للدخولِ في هذهِ الأبواب إلا من أبى، الذي أبى أن يلجَ هذهِ الأبوابَ

الربانية فقد حكمَ على نفسه بالشقاء، وهوَ القاسي في حقِّ ذاته. انهالت عليهِ الرحمةُ الإلهية وطافت بهِ من كلِّ جانب ولكنهُ ابتعدَ عنها، ثمَّ ابتعدَ عنها، ولا يبتعدُ الإنسانُ عن رحمةِ اللهِ عزَّ وجل إلا بعاملٍ واحد هو التكبرُ على اللهِ سبحانهُ وتعالى.

إنني أدعو نفسي وأدعوكم يا عبادَ الله إلى أن ننتهزَ هذهِ الفرص السانحة التي قد لا تعود، قد لا تعودُ لا لأنَّ أبوابَ الرحمةِ الإلهية توصد، ولكن لأنَّ الأجلَ ربما كانَ قد أزف. من منا يدري أنَّ أجلهُ بعيدٌ وبعيد، وأنَّ مزرعةَ عمرهِ يمكن أن تغرسَ فيها فرصٌ كثيرةٌ أخرى؟ من منّا الذي يعلم أنَّ الموتَ لا يكمنُ خلفَ أذنه، و أنَّ بينهُ وبينَ حَينِه ولقائه معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ساعات بل ربما دقائق؟

ومن ثمَّ فإنَّ على الإنسان إذا وجدَ أمامهُ فرصةً سانحة، وأبواباً من رحمةِ اللهِ مفتّحة، عليهِ أن ينتهزَ هذهِ الفرص وهوَ يفترضُ أنها ربما كانت آخرَ فرصةٍ في حياته.

هذا شيء، وشيءٌ آخر ينبغي أن أذكرَ نفسي وأذكركم به هوَ الشعيرةُ الكبرى لهذا الشهرِ المبارك، هيَ الشعيرةُ الكبرى بالنسبةِ لأجرها وبالنسبةِ لأهميتها في ديننا الإسلاميِّ الحنيف، ولكنّها شعيرةٌ صغيرة بالنسبةِ لكلفتها وبالنسبةِ للجهد الذي ينبغي للإنسانِ أن يبذلهُ في سبيله، إنها شعيرةُ زكاةِ الفطر، شيءٌ افترضهُ اللهُ سبحانهُ و تعالى على الناس، وعلّقها اللهُ عزَّ و جلَّ في رقابِ الناسِ جميعاً. فأما المستقلُّ بأمرِ نفسهِ فهوَ مسؤولٌ عن إخراجها بذاته. وأما من كانت مسؤوليّتهُ عائدةً إلى من أمرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بالإنفاقِ عليهِ والولاية، هو الذي يُكَلَّفُ بإخراجها عنه، هو من كلّفهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى بالإنفاقِ عليه. وإذاً، فهذهِ الشّعيرةُ منوطةٌ بعنقِ النّاسِ جميعاً، ويسترُّ وجوبُها بمغيبِ شمسِ آخرِ يومٍ من أيّامِ شهرِ رمضانَ المبارك. ولكنَّ الإنسانَ يملكُ أن يخرجَها بدءاً من أوّلِ الشّهرِ إلى صباحِ عيدِ الفطر.

زكاةُ الفطرِ هذهِ هي في الأصلِ عبارةٌ عن صاعٍ من غالبِ قوتِ البلد، وأنتم تعلمونَ أنَّ غالبَ قوتِ البلدِ عندنا هوَ البُرّ، والصّاعُ عبارةٌ تقريباً عن أربعِ حفَناتٍ كبير، وإذا قدّرنا هذهِ الحفناتِ الأربعَ بالوزنِ فهيَ لا تزيدُ عن ألفي غرام. فانظروا يا عبادَ اللهِ إلى قيمةِ ألفي غرامٍ من البُرِّ كم هيَ؟ تلكَ هي زكاةُ الفطرِ التي افترضها اللهُ سبحانهُ وتعالى على كلٍّ منّا ممّن يستقلُّ بأمرِ نفسه.
وفرضَها اللهُ عزَّ وجلَّ علينا لكلِّ من وكلَ اللهُ إلينا أمرَ الإنفاقِ عليه.

إذاً، الأصلُ أن يخرجَ الإنسانُ هذا القوت. ولكن قالَ العلماء، أو قالَ كثيرٌ منهم: إذا كانتِ المنفعةُ للفقيرِ كاملةً في قيمةِ هذا القوتِ فليكن إخراجُ زكاةِ الفطرِ منَ القيمة، أي من أحدِ النّقدينِ أو ما يقومُ مقامه.

ومن عجبٍ أنّني أسمعُ في هذا العامِ سؤالاً يتكرّرُ لم أسمعهُ في السّنواتِ الماضيةِ من قبل: هل يجوزُ إخراجُ زكاةِ الفطرِ متاعاً من الأمتعة؟ صاحبُ المكتبِ يقترحُ أن يُخرجَ كتباً يوزّعُها كزكاةِ فطر، وصاحبُ محلٍّ تجاريٍّ يبيعُ فيهِ الأقمشةَ يتمنّى أو يقترحُ أن لو جازَ أن يخرجَ أقمشةً كزكاةِ فطر، هذهِ الأسئلةُ تنمُّ عن رغبةٍ في التّحايلِ على دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ. زكاةُ الفطرِ متعلّقةٌ في الأصلِ بغالبِ قوتِ البلد، ينبغي إخراجُ هذا القوت. ولكنَّ الضّرورةَ اقتضت في عصرنا هذا أن نستبدلَ بالقوتِ ثمنه، والثّمنُ هو القيمة ولا شيءَ غيرُ القيمة. ينبغي أن نعلمَ هذهِ الحقيقةَ يا عبادَ الله.

والمعنى الكبيرُ الذي ينبغي أن ننتبهَ إليهِ من هذهِ الشّعيرةِ التي افترضها اللهُ عزَّ وجلَّ علينا بل شرّفنا اللهُ عزَّ وجلَّ بها: هو التّضامنُ الاجتماعيُّ الذي هو من الأوامرِ الإلهيّة. هذهِ الأوامرُ الإلهيّةُ على اختلافها تصبُّ في هدفٍ واحد: أن يكونَ المجتمعُ الإسلاميُّ مجتمعاً متضامناً متكافلاً، وأن يتحمّلَ بعضهم مسؤوليّةَ بعض. ولقد ابتلى اللهُ سبحانهُ وتعالى عبادهُ بثغراتٍ من أجلِ أن ينظرَ إليهم هل ينهضونَ إلى سدِّ هذهِ الثّغرة؟ أم إنّهم يتقاعسونَ ويعرضونَ ويحصرونَ أنفسهم منَ الإسلامِ في ركعات، أو في تسبيحاتٍ وصلوات؟ هذا المعنى ينبغي أن ندركه.

وينبغي أن نعلمَ جيّداً أنّهُ لا يمكنُ أن يتسرَّبَ جوع إلى المجتمعِ الإسلاميّ، ولا يمكنُ أن يتسرَّبَ إليهِ فقرٌ إلا بتقصيرٍ فرطَ من كثيرٍ من المسلمينَ الذينَ كلّفهم اللهُ بأوامرَ محدّدةٍ فتقاعسوا عن هذه الأوامر. ألم تسمعوا قولَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم: "إنَّ اللهَ جعلَ في مالِ الأغنياءِ بالقدرِ الذي يسعُ فقراءه، ولن يُجهَدَ الفقراءُ إذا جاعوا أو عروا إلا بما يفعلُ أغنياؤهم، وإنَّ اللهَ محاسبهم على ذلكَ فمعذّبهم عذاباً كبيراً".

ومرّةً أخرى وأخرى أجدُني مضطرّاً إلى القول: أسألُ عن أعدادِ الجمعيّاتِ الخيريّة: فلا أرها إلا في تزايد، عشراتُ الجمعيّاتِ الخيريّة. وأسألُ عن أعمالِ هذهِ الجمعيّاتِ الخيريّةِ وآثارِها في هذهِ البلدة: فلا أرى من هذهِ الآثارِ شيئاً، بل لعلّي لا أرى من آثارِها إلا النّذرَ اليسير. جمعيّاتٌ خيريّة

تضعُ أيديها على أموالٍ وفيرةٍ وكثيرة، ماذا تصنعُ بهذهِ الأموال؟ ولماذا لا نجدُ هذهِ الجمعيّاتِ تمتصُّ الفقرَ والفقراءَ الذينَ يطرقونَ كلَّ بابٍ إلا أبوابَ هذهِ الجمعيّات؟ ويسألونَ النّجدةَ أمامَ كلِّ مظنّةِ خيرٍ إلا أمامَ هؤلاءِ النّاس؟ ونسألهم: لماذا لا تذهبونَ إلى هذهِ الجمعيّات؟ هم المكلّفونَ بكم، هم القائمونَ على أمركم، هم المتفرّغونَ لشؤونكم، أموالُكم بينَ أيديهم. وتأتينا الشّكوى أنّهم لا يلتفتونَ إليهم قَطّ، وأنّهم عندَ الشّدّةِ وعندَ الإكثارِ عليهم والضّغطِ الشّديدِ يعطونهمُ النّذرَ اليسيرَ كما يعطي الإنسانُ لقيمةً من أجلِ أن يسكتَ إنساناً يلاحقهُ بالسّؤال.

فالشّكوى إلى اللهِ أوّلاً من هذا الواقعِ المرير، والنّصيحةُ إلى هذهِ الجمعيّاتِ ثانياً أن يتّقوا اللهَ وأن لا ينيموا أموالَ عبادِ اللهِ بينَ أيديهم، ولا في أدراجِ بُنوك. ليتّقوا الله، وليسدّوا بهذهِ الأموالِ وإن كانَ ذلكَ بينَ عشيّةٍ وضُحاها، ليسدّوا بهذهِ الأموالِ الثّغراتِ وما أكثرها وما أخطرها.

ثغراتُ الفقر: متمثّلاً في جوعٍ وسَغَب، متمثّلاً في حاجةٍ ماسّةٍ إلى سكن، متمثّلاً في حاجةٍ ماسّةٍ إلى زواج، متمثّلاً في حاجةٍ ماسّةٍ إلى استشفاءٍ من أمراض. أينَ هؤلاءِ النّاسِ من هؤلاءِ الفقراءِ الذينَ ترتفعُ شَكَاتُهم إلى السّماءِ ولا مجيبَ لهم؟ أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ، فاستغفروهُ يغفر لكم.

وآتوهم من مال الله الذي آتاكم

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى.

أما بعدُ فيا عبادَ الله:

لقد صحَّ عن المصطفى صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنّهُ كانَ إذا دخلَ العشرُ الأخيرُ من شهرِ رمضانَ المبارك: طوى الفراش، وشدَّ المئزَر، وأقبلَ إلى اللهِ سبحانهُ وتعالى يبالغُ في العبادةِ والتّضرّعِ والتّبتّلِ بينَ يديهِ عزَّ وجلّ.

وقد صحَّ عنهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنّهُ كانَ كثيرَ الجود، ولكنّهُ كانَ أجودَ ما يكونُ في هذا الشّهرِ المبارك، ثمَّ كانَ أجودَ ما يكونُ في هذا العشرِ الأخيرِ من هذا الشّهرِ المبارك.

ولقد صحَّ عنهُ أيضاً صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنّهُ قالَ عن ليلةِ القدر: "التمِسوها في العشرِ الأخيرِ من هذا الشّهرِ في ليالي: الحادي والعشرين، والثّالثِ والعشرين، والخامسِ والعشرين، والسّابعِ والعشرين، والتّاسعِ والعشرين".

ومن عجبٍ أيُّها الإخوة: أنَّ كثيراً منَ النّاسِ يقبلونَ في أوائلِ شهرِ رمضانَ المباركِ إلى المساجدِ وإلى الطّاعاتِ بمزيدٍ من النّشاطِ والإقبالِ على اللهِ سبحانهُ وتعالى. حتّى إذا دخلَ هذا العشرُ الأخيرُ فترت هِمَمُهُم، وتراجعوا بعدَ إقبال، وفرغَ كثيرٌ من المساجدِ منهم، مع أنَّ الأمرَ يقتضي العكسَ تماماً.. الأمرُ يقتضي أن يزدادَ النّشاطُ منهم في هذا العشرِ الأخير، وأن يزدادوا إقبالاً

على اللهِ سبحانهُ وتعالى، وأن تتضاعفَ لديهمُ الهِمَم. واللهُ هوَ المسؤولُ والمُستعانُ أن يوفِّقَنا لأداءِ هذا الشّهرِ كما ينبغي وكما طلبَ اللهُ سبحانهُ وتعالى منّا، ثمَّ أن نؤدّيَ حقوقَ هذا العشرِ الأخيرِ على خيرِ وجه.

الحديثُ عن فضائلِ هذا الشّهرِ والعشرِ الأخيرِ منهُ حديثٌ طويل، والفضائلُ كثيرةٌ لا تكادُ تحصى، ولكنّي أريدُ أن ألفتَ نظري ونظركم إلى شيءٍ واحدٍ في مقامي هذا: هوَ كرمُ المصطفى صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الشّديد، ومضاعفةُ كرمهِ في هذا الشّهر، بل في هذا العشرِ الأخير. وقد كانَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدوتَنا، وكانَ قائدَنا على صراطِ اللهِ سبحانهُ وتعالى. فرحمَ اللهُ امرَءاً اقتدى برسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم. ورحمَ اللهُ امرَءاً مسلماً برهنَ على صدقِ إسلامهِ باليدِ التي يبذُلُها ويفتحُها معطاءةً كريمةً متّكلاً على اللهِ سبحانهُ وتعالى.

ألا وإنَّ سائرَ العباداتِ أيُّها الإخوة قد تكونُ أمراً تقليديّاً، وقد تتحوَّلُ إلى عادةٍ ميتةٍ في كيانِ الإنسان، كلُّ عبادةٍ إلا البذلُ والسّخاء. فلا يمكنُ أن يتحوَّلُ البذلُ والسّخاءُ إلى عادةٍ ميتةٍ أو إلى تقليدٍ لا معنى له، لأنَّ الذي يعطي ولا يخشى الفقرَ لا يمكنُ أن يفعلَ ذلكَ إلا من منطلقِ ثقتهِ باللهِ عزَّ وجلّ. الذي لا يؤمنُ باللهِ الإيمانَ الحقيقيَّ لا يثقُ به. والذي لا يثقُ بهِ هوَ أشدُّ ما يكونُ بخلاً وأشدُّ ما يكونُ حرصاً على المال.

فإن وجدتَ إنساناً لا يحرصُ على المال، ويبذله، ويعطيهِ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمال، فاعلم أنّهُ مؤمنٌ باللهِ إيماناً حقيقيّاً، ومن ثمَّ فهوَ واثقٌ بوعدِ اللهِ عزَّ وجلّ. ولقد قالَ اللهُ سبحانهُ وتعالى: (من ذا الذي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيُضاعِفَهُ لهُ أضعافاً كثيراً واللهُ يقبضُ ويبسطُ وإليهِ تُرجَعون). هذا وعدُ اللهِ سبحانهُ وتعالى، واللهُ عزَّ وجلَّ لا يخلفُ الميعاد.

فالإنسانُ أحدُ رجلين: إمّا أن يكونَ مؤمناً بالله، ذا ثقةٍ بكلامِ الله، هذا الإنسانُ لا يبالي أبداً مهما بذلَ ومهما أعطى، لأنّهُ يعلمُ أنَّ اللهَ يراه، وأنَّ اللهَ مطّلعٌ عليه. ومهما بلغَ الكرمُ بالإنسانِ فإنَّ اللهَ أكرمُ منه. ومهما بلغت رحمةُ الإنسانِ بالإنسانِ فإنَّ اللهَ أرحمُ منَ الرّاحمِ والمرحومِ معاً. هذا ما أريدُ أن أنبّهكم إليهِ أيُّها الإخوة.

نحنُ نعاني من مصائبَ شتّى، ونعاني من أنواعٍ من الضّيقِ كثيرة. ولكن ما من مصيبةٍ يعاني منها النّاسُ إلا وهيَ ثمرةُ أعمالهم، وثمرةُ انحرافهم. وهكذا بيَّنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى لنا وقرَّرَ وأوضح. وإذا كانَ الأمرُ كذلك: فإنَّ أنجعَ دواءٍ لرفعِ البلاء، وإنَّ أعظمَ دواءٍ لنقلِ الإنسانِ من الشّدّةِ إلى الرّخاء، إنّما هوَ التّراحمُ الحقيقيُّ إذ يشيعُ بينَ فئاتِ المسلمينَ بعضِهم تجاهَ بعض. فمن رَحِمَ رُحِمْ. ومن لا يَرحَم لا يُرحَم. هكذا يقولُ المصطفى صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم. والنّاسُ كلُّهم –إن نظرنا إلى الموضوعِ نظرةً نسبيّة– أغنياء، فما من إنسانٍ مهما كانَ فقيراً إلا وهوَ أغنى ممّن كانَ دونَهُ في الغِنى.

وهكذا فإنَّ الإنسانَ أيّاً كانَ مستواهُ يجدُ نفسهُ مكلّفاً بالعطاء، وبهذا المعنى تمتدُّ سلسلةُ التّكافلِ والتّضامنِ في مجتمعٍ يشيعُ فيهِ الإسلامُ الحقيقيُّ والإيمانُ الحقيقيُّ باللهِ سبحانهُ وتعالى. وأنا لا أتكلَّمُ الآنَ عن الزّكاة، فالزّكاةُ ضريبةٌ مرسومةٌ في مالِ الإنسان، وهيَ ليست مالَهُ أبداً، إنّما هيَ حقٌّ لمن سمّاهمُ اللهُ سبحانهُ وتعالى في محكمِ كتابه، ولا يُتَصَوَّرُ أن يكونَ هنالكَ مسلمٌ يمرُّ عليهِ العامُ وفي مالهِ حقٌّ ترتّبَ عليهِ زكاةً ثمَّ لا يدفعُ زكاةَ مالِه. لا أتصوَّرُ أنَّ ثمّةَ مسلماً يسيرُ على هذا النّهجِ المنحرفِ قَطّ. ولكنّي أتحدّثُ عمّا وراءَ الزّكاة، وقد قالَ المصطفى صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم: "إنَّ في المالِ حقّاً سوى الزّكاة".

وقد يظنُّ الإنسانُ أنّهُ عندما يُخرجُ المالَ من جيبهِ ليعطيَهُ للمستحقّين والفقراء، قد يتصوَّرُ أنّهُ اقتطعَ شيئاً من مالهِ الذي يملكُه، وهذا خطأٌ كبير .. بل إنّهُ ليكادُ يكونُ جريمةً في التّصوُّرِ. إنَّ الباريَ عزَّ وجلَّ تحدَّثَ في محكمِ كتابهِ كثيراً عنِ المالِ الذي يدخلُ حوزةَ الإنسان، ولكنّي –وقد استعرضتُ كتابَ اللهِ من أوّلهِ إلى آخرهِ– لم أجدِ البيانَ الإلهيَّ مرّةً واحدةً يصفُ هذا المالَ الذي وضعهُ بينَ يديكَ بأنّهُ ملكُك، أبداً لم أجد هذا. إنّما يقولُ اللهُ سبحانهُ وتعالى: (وآتوهُم من مالِ اللهِ الذي آتاكُم). أو يقول: (وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفينَ فيه)، من أجلِ أن يجتثَّ من ذهنكَ هذا التّصوُّرَ الخاطئ، المالُ ليسَ مالكَ وإنّما أنتَ قَيِّمٌ عليه، وما أعطاكَ اللهُ عزَّ وجلَّ إياهُ ليسَ من ممتلكاتكَ، فأنتَ لا تملكُ نفسكَ فضلاً عن أن تمتلكَ شيئاً وضعهُ اللهُ عزَّ وجلَّ تحتَ يديك، إنّما أنت مؤتمنٌ على هذا المال، وأنتَ مبتلىً بهذا المال، ترى هل تثقُ باللهِ عزَّ وجلّ؟ ترى هل تبرهنُ على صدقِ إيمانِكَ باللهِ فتبذلهُ سخيّاً ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمال، ثمَّ تمدُّ اليدَ إلى اللهِ عزَّ

وجلَّ تطلبُ منهُ العِوَض؟ إذاً أنتَ مؤمنٌ حقّاً، وأنتَ زاهدٌ حقّاً. وقد وردَ عن المصطفى عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ أنّهُ قال: "ليستِ الزّهادةُ في تحريمِ الحلالِ ولا في إضاعةِ المال، ولكنَّ الزّهادةَ أن تكونَ أوثقَ بما في يدِ اللهِ ممّا في يدك". تلكَ هيَ الزّهادة: أن تكونَ ثقتُكَ بما في يدِ اللهِ أكثرَ من ثقتِكَ بالمالِ الذي في يدك.

هذا المعنى ينبغي أن نتفهّمهُ جيّداً أيُّها الإخوة، وينبغي إذا كنّا ندّعي الإيمانَ باللهِ عزَّ وجلَّ أن نضعَ إيماننا في هذا الميزان، وفي محكِّ هذهِ التّجربة. ثمَّ لينظر كلُّ واحدٍ منّا النّتيجة، فإمّا أن يصنّفَ نفسَهُ معَ الأدعياءِ الكاذبين. وإمّا أن يصنِّفَ نفسَهُ حامداً شاكراً اللهَ عزَّ وجلَّ معَ المؤمنينَ الصّادقينَ باللهِ سبحانهُ وتعالى.

ثمَّ يا أيُّها النّاس: من ذا الذي يتصوَّرُ أنَّ مسلماً يمدُّ يدَ السّخاءِ إلى محتاج، ثمَّ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يدعُ تلكَ الثّغرةَ التي تكوّنت لديهِ من عطائهِ، يدعُها كما هي؟ متى كانَ هذا من شأنِ اللهِ سبحانهُ وتعالى؟ اللهُ لا تنفدُ خزائنهُ، بل كلُّ من سارَ في هذا الطّريقِ عَلِمْ، عَلِمَ عِلْمَ اليقين، ورأى حقَّ اليقين، أنّهُ ما من إنسانٍ يعطي درهماً في سبيلِ اللهِ سبحانهُ وتعالى إلا ويعطيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ قبلَ أن يبيتَ عليهِ اليوم، يعطيهِ أضعافَ ذلك.. عشرةَ أضعافٍ فما يزيدُ عن ذلك، إنَّ اللهَ لا يبقي عليهِ منّةً لعبده. هذهِ الحقيقةُ ينبغي أن نعلمها.

ثمَّ إنَّ اللهَ ابتلانا، ابتلى كلّاً منّا بالآخر، ذلكَ هوَ قرارُ الله: (وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً أتصبرون وكانَ ربُّكَ بصيراً). جعلَ الغنيَّ فتنةً للفقير، والفقيرَ فتنةً للغنيّ، وكانَ اللهُ قادراً على أن يغنيَ الفقيرَ دونَ أن يُحوِجَهُ إليك. ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ علّقَ النّاسَ بعضهم ببعضٍ وجعلَ كلّاً منهم مادّةَ ابتلاء بالآخر. فلا تكوننَّ عقولكم من الغباءِ كعقولِ أولئكَ المشركينَ الذينَ كانَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يحملهم على البذلِ والعطاء، فيتمرّدونَ على قولهِ قائلينَ كما روى اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم: (وإذا قيلَ لهم أنفِقوا ممّا رزقكمُ اللهُ قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعمُ من لو يشاءُ اللهُ أطعمه إن أنتم إلا في ضلالٍ مبين).

الباري عزَّ وجلَّ قادرٌ أن يعطي. ولكن لو أنَّ اللهَ أغنى النّاسَ جميعاً، إذاً لانفكّت آصرةُ التّعاونِ بينَ النّاس، ومن ثمَّ لزالَ معنى افتتانِ النّاسِ بعضهم ببعض. والدّنيا حقلُ ابتلاء، وأساسُ امتحان. ولكن الإنسانُ الذي يسيرُ على نهجِ اللهِ عزَّ وجلّ، ويثقُ باللهِ فيعطي، لا يمكنُ أن يخسرَ لا من دينهِ ولا من دنياهُ شيئاً. لا بدَّ أن يفوزَ بربحِ آجلٍ وعاجلٍ معاً. فأيُّ حماقةٍ تلكَ التي يتّصفُ بها من يعرضُ عن أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ متعلّقاً بحبالِ الوهم، يتعلَّقُ بالوهمِ وهوَ يحسبهُ حقيقة. وهوَ بهذا التّعلّقِ أفسدَ دنياهُ وآخرته، وأبعدَ نفسهُ عن سعادة عاجلهِ وآجله. ثمَّ اسمعوا ما يقولهُ المصطفى عليهِ الصّلاةُ والسّلام: "ألا إنَّ اللهَ قد فرضَ في مالِ الأغنياءِ بالقدرِ الذي يسعُ فقراءهم، ولن يُجهدَ الفقراءُ إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنعُ أغنياؤهم، وإنَّ اللهَ محاسبُهم على ذلكَ حساباً عسيراً".

أسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يوفِّقنا للاقتداءِ بنبيِّنا محمّدٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ في سائرِ أحوالِنا عامّةً، وفي هذا العشرِ الأخيرِ من هذا الشّهرِ المباركِ خاصّةً. وأن يتجلّى ذلكَ في مزيدٍ من الإقبالِ على اللهِ في بقايا هذا الشّهر، وفي الكرمِ الذي يبرهنُ على صدقِ إيماننا باللهِ سبحانهُ وتعالى حتّى يشيعَ التّعاونُ بينَ المسلمين، وتشيعَ حقيقةُ التّراحمِ فيما بينهم فيرتفعَ البلاء، ويبدلُ اللهُ عزَّ وجلَّ شدّتنا برخاء. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيم...

الخطبة الثانية

أما بعدُ فيا عبادَ الله:أذكّركم بأعظمِ شعيرةٍ من شعارِ هذا الشّهرِ المبارك، ألا وهوَ إخراجُ زكاةِ الفطر، وهوَ معنىً ممّا كنتُ أتحدّثُ عنهُ آنفاً.

هذهِ الشّعيرةُ واجبةٌ على كلِّ إنسانٍ تدخلُ عليهِ ليلةُ العيدِ، وهوَ موسرٌ بما يزيدُ عن حاجاتهِ الضّروريّة. لديهِ كفايتهُ الضّروريّةُ من المأكلِ والمشربِ والملبسِ والمسكن، ويفيضُ لديهِ شيءٌ من المالِ وراءَ ذلك. إذاً هذا الإنسانُ مكلّفٌ بأن يخرجَ زكاةَ الفطرِ عن نفسهِ وعن كلِّ من كلّفهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى بالإنفاقِ عليه. ويستقرُّ وجوبُها بدخولِ ليلةِ العيد، فمن وُلِدَ بعدَ مغيبِ شمسِ آخرِ ليلةٍ من رمضانَ أي في ليلةِ العيدِ لم تجب عليهِ زكاةُ الفطر. ومن ماتَ بعدَ دخولِ ليلةِ العيدِ استقرّت عليهِ زكاةُ الفطرِ هذه.

وللإنسانِ أن يخرجَها منذُ أوّلِ أيّامِ هذا الشّهرِ المبارك، ولكن يُسَنُّ أن يخرجَها صباحَ يومِ العيدِ وقبلَ الخروجِ إلى صلاةِ العيد، ويحرمُ أن يؤخّرها عن ذلكَ اليوم.

زكاةُ الفطرِ هذهِ مقدّرةٌ تقديراً مستمرّاً وإنّي لأعجبُ ممّن يسألُ كلَّ عامٍ عنه: صاعٌ من غالبِ قوتِ البلدِ أو كما قالَ الإمامُ أبو حنيفة: قيمةُ صاعٍ من غالبِ قوتِ البلد. وللإنسانِ أن يتوسّعَ فيقلِّدَ الإمامَ أبي حنيفةَ فيخرجَ القيمةَ بدلاً من إخراجِ القوت، ذلكَ هوَ الذي يفيدُ الفقراءَ والنّاسَ في هذا العصر. هذا الصّاعُ يساوي مقدارَ كيلوين في عصرنا اليوم من هذا القوت. وعلى كلِّ إنسانٍ أن يسألَ عن قيمةِ ذلكَ في السّوق: كم يساوي الكيلو الواحدُ من الحنطة؟ ليسأل. وعندئذٍ يعلم، ومن ثمَّ يدركُ القدرَ الذي ينبغي أن يخرجهُ عن نفسهِ وعن كلِّ من كلّفهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى بالإنفاقِ عليه. أسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى أن يوفِّقَنا لتطبيقِ أوامره، وأن يرزقنا الإخلاصَ لوجهه..

واعلموا أنَّ اللهَ أمركم....

المبعدون عن رحمة الله عز وجل

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر من كيد الكائدين، الله أكبر من مكر الماكرين، الله أكبر من زيغ الزائغين، الله أكبر من سخرية الساخرين، الله أبكر، ربنا القائل:

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [الصف : ٨].

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب، سبحان ربي المُسَبَّح بكل لسان، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

يشعر كل مؤمن أدى شيئاً من حقوق هذا الشهر أو كل حقوقه، يشعر بتجليات الله سبحانه وتعالى الرحمانية على عباده، يشعر بتجليات الله سبحانه وتعالى بالمغفرة الواسعة على عباده في هذا الشهر، وكيف لا يقبل إليهم بالرحمة الغامرة وبالمغفرة الواسعة جزاءً وفاقاً على صبرهم على الصيام ومواظبتهم على القيام ودعائهم في الأسحار وفي أخص الأوقات. كيف لا يكرمهم الله سبحانه وتعالى في أعقاب هذا الشهر المبارك وقد طرقوا بابه، ومتى كان بابه يُغْلَق دون أحدٍ من الناس، كيف لا يغفر لهم سيئاتهم كلها عظمت أو صغرت وقد التصقوا بأعتاب كرمه وجوده. هذا ما قد وعد الله سبحانه وتعالى به عباده الطائعين الذين استقبلوا هذا الشهر وقاموا بحقه – لا

أقول حق القيام – بل أقول قاموا بحقه جهد الاستطاعة. هذا عن المؤمنين الذين وفَّقهم الله سبحانه وتعالى ليؤدوا حقوق هذا الشهر كاملة أو منقوصة.

ولكن ماذا عن أولئك الذين أدركهم هذا الشهر المبارك وهم معرضون عنه، أدركهم هذا الشهر المبارك وهم مستخفون به، أجل مستخفون به، أدركهم شهر القرآن الذي تنزل في هذا الشهر المبارك على السماء الدنيا، أدركهم هذا الشهر شهر القرآن وهم يسخرون بالقرآن ويستخفون بآياته، ماذا عن أولئك؟

الجواب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما صح عنه: (من أدركه رمضان ولم يُغْفَرْ له فأبعده الله أبعده الله).

من أدركه رمضان ولم يُغْفَر له، ترى من هو هذا الذي يدركه رمضان ولا يغفر له؟

أهو المقصر؟ لا يا عباد الله، إن رحمة الله عز وجل تلحق بالمقصرين قبل أن تلحق غيرهم، وإذا لم يغفر الله للمقصرين فلمن يغفر؟

هل الذين لم يغفر الله لهم خلال هذا الشهر أولئك الذين لم يُتِحْ لهم أن يقوموا الليل؟ لا. إن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

إذاً من هم الذين أدركهم شهر رمضان ولم يُغْفَر لهم؟

كما قلت لكم هم المستخفون بهذا الشهر، هم المستهزئون بشعائره، بل هم الساخرون بقرآنه، بالقرآن الذي نزل في هذا الشهر المبارك، هم أولئك الذين يخططون طوال العام لحجب إخوانهم المسلمين عن حقوق هذا الشهر، لحجب إخوانهم عن الوقوف بين يدي الله، لحجب إخوانهم عن الإصغاء إلى كلام الله سبحانه وتعالى، هم أولئك الذين إذا ذُكِّرُوا بالصيام أعرضوا عن المُذَكِّرِ وتباهوا واستكبروا على المشرع، هم أولئك الذين يخططون – وما أطول ما يخططون وما أكثر ما يعكفون على خططهم – لحجب هذه الأمة المسلمة لاسيما في هذه البلدة المباركة عن دين الله سبحانه وتعالى، هم الذين لم يغفر الله لهم في هذا الشهر ومن ثم يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بالطرد من رحمته أي باللعن، من أدركه قال ولم يغفر له فأبعده الله، أبعده الله عن

ماذا؟ عن رحمته، وما أعلم أن رسول الله دعا على أحد قط من العصاة، ما أعلم أن رسول الله دعا على أحد من المقصرين، الآثمين، يدعو لهم ويشفق عليهم ويفيض قلبهم رحمة بهم، أما هؤلاء الذين يدعو رسول اللهصلى الله عليه وسلم عليهم بالطرد فهم المستكبرون، هم الذين يعلمون ولكنهم يخلطون على الحق، يعلمون أن كتاب الله حق ولكنهم يكيدون في الوقت ذاته لكتاب الله سبحانه وتعالى، هؤلاء هم الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى الآثمون الذين كان كفرهم عن جهلٍ وعن سوء إدراك لم يكن من دأب رسول الله أن يدعو عليهم وإنما كان يدعو لهم، ولما سأله أحد أصحابه أن يدعو على أهل الطائف – ولم يكونوا قد أسلموا بعد – رفع يده وقال: اللهم اهد ثقيفاً وات بهم مؤمنين. ولكن المشكلة – يا عباد الله – أن هؤلاء المستخفين بدين الله والمستهزئين بشرائعه وشعائره والساخرين من قرآنه يتجهوا وشأنهم ولم يُضْرَب على أيديهم ولم يقف في وجههم من ينكرذي لا إله إلا هو إنها رسالة آتية من عند الله عز وجل لها مضمون ولها مقتضى وفيها متطلبات فهل نتأمل فيها؟ هل ننفذ مقتضياتها؟ هل ننفذ المطالب التي تتضمنها هذه الرسالة؟

أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لذلك، أقول قولي هذا وأستغفر الله.

خطبة عيد الفطر

اللهُ أكبرُ ما أقبلَ النّاسُ إلى ربّهم آيبينَ تائبين، اللهُ أكبرُ ما زانت المساجدُ في أنحاءِ الأرض بالذّاكرينَ والمسبّحين، اللهُ أكبر ما أقبلَ اللهُ على عباده في شهرِ رمضانَ بالمغفرةِ والرّحمةِ والرّضوان، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ اكبر.

اللهُ أكبر ما تجلّى اللهُ سبحانهُ وتعالى على عبادهِ في صبيحةِ هذا اليوم بالرّحمةِ والرّضوان، اللهُ أكبر ما تصافحت قلوبُ عبادِ اللهِ في هذا اليوم بالمحبّةِ والتّرابطِ والتّضامن، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر.

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد للهِ حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربّنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيمِ سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيُّهُ وخليلُه، خيرُ نبيٍّ أرسله، أرسله الله إلى العالمِ كلّهِ بشيراً ونذيراً، اللهمَّ صلِّ وسلّم وباركْ على سيّدنا محمدٍ وعلى آلِ سيّدنا محمد، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ فيا عبادَ الله:

إنَّ مبنى هذا الدّينِ كلّه في جملةِ عقائده وأحكامهِ وآدابه، على جمعِ هذه الأمّة على كلمةٍ واحدة، وتكوين الرّابطةِ الإنسانيّةِ فيما بينها، وسحبِ أسبابِ الخلافاتِ مما بينها، فلئن وجدتم أنَّ اللهَ عزَّ وجلّ يأمرُ عبادهُ بمعرفةِ ربّهم وتوحيده، فإنَّ الفائدةَ تصبُّ من وراءِ ذلكَ في هذا الهدف.

وإن رأيتم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يأمرُ عبادهُ بأن يكونوا قانتين خاشعين عابدينَ له، فإنَّ ذلكَ أيضاً يصبُّ في هذا الهدف.

وإن رأيتم أنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى جعلَ للأزمنةِ مواسم، كما جعلَ للأمكنةِ مقدّساتٍ سامية، فإنَّ ذلكَ أيضاً يصبُّ في هذا الهدف.

وما العيد الذي جعلهُ الله سبحانهُ وتعالى مثابةَ لقاءٍ وتضامنٍ وإعادةِ ألفةٍ بينَ المسلمين، إلا أساساً لهذا المعنى أيضاً؟

ولقد سبقَ من تقديسِ الإسلامِ لجمعِ الكلمة وإقامةِ الرّابطةِ الإسلاميّةِ فيما بينِ عبادِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، أن جعلَ أعظمَ العبادات وأجلّها وأبرزها في الشّعائر أساساً لهذه الوحدة، فلقد شرعَ اللهُ سبحانهُ وتعالى اجتماعَ المسلمين على مستوى الحيِّ الواحد، وجعلَ ضمانةً لذلك مشروعيّةَ صلاةِ الجماعة.

كما شرعَ اللهُ سبحانهُ وتعالى لهم الاجتماع والتّلاقيَ والتآلف على مستوى البلدةِ كلها وضمن ذلك إذ شرعَ لهم صلاةَ الجمعة، التي تتكررُ في كلِّ أسبوعٍ مرّة.

ثمَّ إنّهُ شرعَ لهم التّلاقيَ والتّآلف والاتّحاد على مستوى العالم كلّه، وشرعَ لذلك الحجَّ إلى بيتهِ الحرام، وجعلهُ يتكررُ في العامِ مرّةً واحدة، فانظروا إلى مدى أهمّيّةِ التآلفِ في ميزانِ النّظرِ الإلهي، وانظروا إلى قدسيّةِ اتّحادِ المسلمين في ميزانِ مرضاةِ اللهِ سبحانهُ وتعالى.

بل انظروا كيفَ يتجلّى ذلكَ واضحاً في قولهِ عزَّ وجلّ: ((إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بينَ أخويكم))، وفي قولهِ سبحانهُ وتعالى: ((واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا..))،إلى آخرِ الآية.

ينبغي أن نتمكّنَ هذ المعنى ونتفهّمَ قدسيّتهُ في صبيحةِ مثلِ هذا اليوم، ما العيد، وما الفائدةُ التي يعودُ بها الإنسانُ من وراءِ هذا العيدِ الذي شرعهُ الله؟ والذي أعلنَ في كتابه أنهُ يتجلى على عباده في هذا اليوم بالرّحمة والمغفرة، وقبول ما تقرّبوا به إلى الله في شهرهم السّالف.

ما الفائدةُ التي يعودُ النّاسُ بها من وراءِ هذا العيد؟ الفائدةُ العظمى هي أن هذا اليوم يعيدُ ما تناثر من تماسكهم ووحدةِ كلمتهم، هذا اليوم يجمعُ شملهم من جديد، ويسدُّ ما تفتّحَ من الثّغراتِ في حياتهم لأسبابٍ شتّى، ويعيدهم مرّةً أخرى إلى الوئامِ وإلى وحدةِ الشّمل.

معنى العيد أنّهُ يعيد المسلمينَ مرّةً أخرى، على صراطِ اللهِ العزيزِ الحميد، فإذا عرفنا هذا المعنى القدسيّ من خلالِ هذا اليومِ المبارك، أدركنا ضرورةَ السّعيِ إلى تحقيقِ هذا المعنى، وإلى إعادةِ هذا الشّمل إلى المعنى الذي يريدهُ اللهُ عزَّ وجلّ، ألا كم من أُسَرٍ مسلمةٍ تعاني من التّفكّك والاضمحلالِ والتّدابر؟ يمرُّ بنا هذا العيد، وأفرادُ هذه الأسرة غيرُ عابئينَ بنداءِ اللهِ عزَّ وجلّ لهم، أن يصلحوا من شأنهم، وأن يعيدوا وحدتهم إلى ما ينبغي أن تكون عليه من تآلفٍ.

ألا وكم من إخوةٍ وأصدقاء شاعتِ الفُرقةُ بينهم بدلاً من الحبِّ والوئام، وشاعتِ القطيعةُ فيما بينهم بدلاً من المودّةِ والقربى، يمرُّ بهم هذا اليوم فلا تحرِّكُ قدسيّةُ هذا اليومِ في فؤادهم ذرّةً واحدة، هؤلاء الناسُ إن مرَّ بهم مثلُ هذا اليوم وهم على حالتهم من التّدابر والتّقاطع، هؤلاء الناس يبعدون السّبيلَ الواضح من سلوكهم على غضبِ الله عليهم، وعلى مقتهِ لهم، وأسألُ اللهَ سبحانهُ وتعالى العفوَ والعافية من قطيعةٍ تتمثّلُ في أخطرِ أنواعها: ألا وهي قطيعةُ الرّحم، ونسألُ اللهَ العفوَ والعافية من أن نصغيَ إلى كلامِ اللهِ هذا ثمَّ نعطيهُ ظهورنا ولا نصغي إلى خطورته: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا اللهَ الذي تساءلونَ به والأرحام إنَّ اللهَ كانَ عليكم رقيباً)).

وصيّةُ هذا العيد التي تفدُ إلى كلِّ قلب، والتي تهمسُ همسةَ رقّةٍ إلى كلِّ أذن، أنَّ على كلِّ مسلمٍ أن ينظرَ إلى الشّمل الذي يربطهُ بإخوانه، بأفرادِ أسرته، بأصدقائه، بأهلِ حيّه، يعيدُ هذا الشّملَ مرّةً أخرى إلى النّسقِ السّليم، وإلى البناء الثّابت الرّاسخ القويم، تلكَ هي الحكمةُ من هذا اليوم، وهذا هو خطاب هذا العيدِ المباركِ يا عبادَ الله.

ويقيناً لو كانَ هنالكَ سبيل لجمعِ كلمةِ عبادِ اللهِ عزَّ وجلّ تحتَ مظلّةٍ غيرِ مظلّةِ هذا الدّين، لأمرهم الله بالخضوعِ لتلكَ المظلة، ولجعل ذلكَ بديلاً لهم عن الإسلام.

ولكنَّ اللهَ العليمَ الحكيم علم أنّهُ لا يمكن أن يجتمعَ شملُ عبادهِ فوقَ هذه الأرض وقد خُلِقوا بطبائعَ شتّى، وميولٍ مختلفة، وبأنانيّاتٍ متنوّعة، علمَ اللهُ أنهُ لا يمكن أن توجدَ جامعةٌ تضفرهم وتؤلّفُ ما بينهم، إلا جامعةُ الخضوعِ لوحدانيّةِ اللهِ عزَّ وجلّ، والسّير على منهجِ العبوديّةِ للهِ عزَّ وجلّ، وقد وضعَ اللهُ أمامنا لكي ندركَ هذه الحقيقة نموذجاً صغيراً بهذا المعنى، ألا وهوَ: الأسرةُ

الصّغيرة، أرأيتم إلى الأسرةِ التي تتكوّنُ من أبوينِ وأولادٍ شتّى، إنَّ هذه الأسرة لا يمكن أن تسعد إلا إذا اجتمعَ شملُها، ولكن ما ضمانةُ اجتماعِ شملِ هذه الأسرة، لا ضمانةَ إلى ذلك إلا خضوعُ أفرادِ هذه الأسرة لربِّ هذه الأسرة.

فعندما يخضعُ الصّغارُ والكبارُ والذكور والإناث لرب هذه الأسرة يجتمعُ شملُ أفرادها، ومن ثمَّ يسعدون، وما زادَ انَّ أفرادَ هذه الأسرة لا يتعرّفونَ على ربٍّ لهم، ومن ثمَّ لا يدينون له بالولاء والطّواعية، فإنّهم يتفرّقونَ ويتبدّدون، ويتنافسونَ فيما بينهم وتشيعُ بينهم البغضاء، وهكذا يشيعُ من ثمَّ بينهم الشّقاء، ما ينطبقُ على واقعِ الأسرةِ الصّغيرةِ هذه، هو ذاته الذي ينطبقُ على واقعِ الأسرةِ الإنسانيّةِ الكبيرة. كذلكم النّاس فوقَ هذه الأرض مدعوونَ إلى أن يجتمعَ يشملهم لكي يسعدَ بعضهم ببعض، ولا يتمُّ ذلك إلا إذا دانوا بالولاءِ والطّواعيةِ لربِّ هذه الأسرةِ الكبيرة، فمن ربُّ هذه الأسرةِ الإنسانيّة؟ اللهُ الواحدُ الأحد. تماماً كما أنَّ اللهَ أقامَ قيوماً ورباً مجازياً للأسرةِ الصّغيرة وأعلمنا أنَّ سلامةَ هذه الأسرةِ الصّغيرة لا تتمُّ إلا بالتآلف، ولا يتمُّ التآلف إلا بالبرِّ لربِّ هذه الأسرة، من الذي يشكُّ في هذه الحقيقة؟

فلنجدد ولاءنا لربِّ هذه الأسرةِ الإنسانيّة بل لربِّ هذا الكونِ كلّه. ولنصطلح مع اللهِ عزَّ وجلّ إن كنّا قد نسيناه، وإن كنّا قد أعرضنا عنهُ فيما مضى من أيّامِ حياتنا، لكي نعيد علاقتنا مع إخواننا فوقَ هذه الأرضِ جميعاً على أساسٍ من الوئام، وعلى أساسٍ من التآلف والعطفِ والتّراحم.

أقولُ قولي هذا وأسألُ اللهَ عزَّ وجلّ أن يجعلَ من توحيدنا الخالصِ لربّنا أساساً لهذا المعنى القدسيِّ الذي نتحدّثُ عنه، فاستغفروهُ يغفر لكم.

خطبة عيد الفطر السعيد

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

الله أكبر مِنْ طغيان الطاغين، الله أكبر مِنْ عناد المستكبرين، الله أكبر مِنْ مروق التائهين والملحدين والجانحين، الله أكبر كبيراً والحمد لله بكرة وأصيلا. سبحان الله ملء الميزان، سبحان الله المُسَبَّح في كل مكان، سبحان الله المُسَبَّح على كل لسان، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله

في هذا اليوم الأغر تشيع الفرحة في قلوب عباد الله المؤمنين الذين رأوا أنهم أنجزوا ما قد طُلِبَ منهم في هذا الشهر المبارك الذي ودعناه بالأمس، يفرحون برحمة الله عز وجل لهم، يفرحون بالأمل في قبول الله عز وجل لصلواتهم وصومهم وقيامهم، يفرحون بالأمل بعتق الله عز وجل لهم مِنْ عذابه ونيرانه. وإنها لفرحة يشعر بها كلٌّ منا، ولعلها الدليل الأقوى على تجليات الله عز وجل على عباده بالرحمة واللطف. فانشراح صدر الإنسان في هذا اليوم وشعوره بالفرحة إنما هو ثمرة لتجليات الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم المبارك. إنها فرحة يتقرب بها الإنسان إلى الله عز وجل. ولكن فينا مَنْ قد يشعر بمشكلة. إنه يقرأ في كتاب الله عز وجل قوله: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . ويقرأ أيضاً قول الله سبحانه وتعالى وهو يحدثنا عن قارون: {إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . فكيف يتم الجمع بين هذين الخطابين الربانيين؟ كيف يتم الجمع بين نهي الله سبحانه وتعالى عباده عن الفرح وبين أمر الله عز

وجل لهم في مكان آخر بالفرح؟ والجواب يا عباد الله :أن الفرحة التي تغمر أفئدة الناس المؤمنين بالله عز وجل في هذا اليوم ليست فرحة منبثقة عن مزاج نفساني، ليست فرحة منبثقة عن مشاعر اللهو وعن دوافع الأهواء والشهوات المستكنة بين الجوانح؛تلك هي الفرحة التي حذر الله عز وجل منها؛ الفرحة المزاجية التي هي ثمرة لهو اللاهين، وثمرة انقياد الإنسان لشهواته ورعوناته عندما تتفتح سبلها أمامه واسعة عريضة، يفرح بها ويسكر بها ويحجب بها عن الله سبحانه وتعالى. المؤمن لا يعلم هذه الفرحة، ليس لهذه الفرحة سبيل إلى قلبه قط. المؤمن الذي يتعامل مع إيمانه، عقيدةً أولاً ثم سلوكاً وانقياداً لأمر الله سبحانه وتعالى ثانياً. وكيف يفرح المؤمن هذا النوع مِنَ الفرح، الفرح المنبثق مِنَ الرعونات النفسية، الفرح المنبثق مِنَ الاستكبار على الآخرين، الفرح المنبثق مِنْ نِعَمِ الله عز وجل إذ يسكر بها ويحجب بها عن المنعم الأَجَلِّ ألا وهو الله سبحانه وتعالى. كيف يمكن أن تسري هذه الفرحة إلى قلب الإنسان الذي عرف الله عز وجل وهو يعلم أنه عبده، وهو يعلم أنه لا يملك شيئاً مما يريد أن يفرح به، لا يملك شيئاً مِنَ المال الذي يريد أن يسكر ويتطوح به، لا يملك شيئاً مِنَ القوة التي تسري أمانةً ووديعة في كيانه. المؤمن يعلم أنه عبد لله سبحانه وتعالى ومِنْ ثَمَّ فإن عبوديته لله تحجبه عن هذا النوع مِنَ الفرح. إنها الرعونة التي يعرفها مَنْ جهل الله، أما الذين عرفوا الله عز وجل فلا يعلمون هذا النوع مِنَ الفرح، وهو الذي نهى الله سبحانه وتعالى قارونَ وأمثالَه منه: {إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، أي لا تفرح بهذا الذي أعطاك الله عز وجل إياه فرحَ المستكبرين، فرح المتطاولين على الله سبحانه وتعالى. أما فرحة المؤمن التي دعا إليها الله عز وجل عندما قال: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فإنها نوع مِنَ العبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله عز وجل. فرح المؤمن وظيفة عقلانية تنبثق مِنْ عقله أولاً ثم يصطبغ بها كيانه ثانياً. فرح المؤمن بالله عز وجل ينبثق مِنْ شعوره بأن الله عز وجل قد قَبِله. وهل هنالك فرحة تغمر الإنسان لسبب مِنَ الأسباب أجلّ مِنْ هذا السبب؟ عندما تأتيك البشارة مِنَ الله عز وجل أن الله سبحانه وتعالى قد قَبِلك، قبِل صيامك، قبِل قيامك، قبِل صلواتك، وقبِل دعائك والتجاءك إليه عز وجل فأصبحْت مقبولاً لديه. هل هنالك فرحة تغمر كيان الإنسان أجلّ من هذه الفرحة إذ يتلقى هذه البشارة مِنْ مولاه وخالقه؟ عندما يشعر العبد في هذا اليوم المبارك الأغر بالتجليات

الرحمانية مِنَ الله سبحانه وتعالى على عباده إذ يكرمهم بأجزيتهم مقابل طاعاتهم وقرباتهم وإنابتهم إلى الله سبحانه وتعالى. عندما يشعر العبد المؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يتجلى عليه تجلي رحمة، كيف لا تغمره الفرحة الآتية مِنْ عند الله سبحانه وتعالى؟ بل إن أحدنا، عندما يقرأ كلام الله سبحانه وتعالى في محكم تبيانه وهو يخاطب عباده أو يتحدث عن عباده المؤمنين به،

المستقيمين على أمره، عندما يسمع نداء الله أو خطاب الله يقول: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ويتأمل فيشعر بانتمائه إلى الله عز وجل مِنْ خلال هذا الخطاب الرباني، وليِّ هو الله عز وجل. أنا منسوب إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق هذه الولاية، إذن أنا لست ميتماً في جنبات الأرض، أنا لست تائهاً في هذا الكون، أنا منسوب إلى الله عز وجل، كيف لا تغمرني الفرحة عندما أرى هذا النسب يعلنه بيان الله سبحانه وتعالى لي؟ كم وكم مِنْ فرقٍ بين تلك الفرحة الهابطة القذرة التي تنبع مِنْ سخائم النفس وأهوائها والمشاعر الحيوانية المستكنّة في كيان الإنسان وبين الفرحة الهابطة مِنْ علياء الربوبية؛ تجلياتٍ رحمانية إلى قلب العبد المؤمن بالله سبحانه وتعالى. ومِنْ هنا نعلم، يا عباد الله، كيف تلتقي هذه الفرحة التي هي وظيفة نتقرب بها إلى الله عز وجل مع مشاعر الأسى والحزن لعباد الله عز وجل المنكوبين الذين تطوف بهم المحن والشدائد. كم وكم تصور أناس أن الجمع بين هذين الأمرين غير ممكن فهما نقيضان، كيف آسى على إخوان لي تطوف بهم المحن والشدائد وأفرح في الوقت ذاته بأنني أتلقى البشائر مِنَ الله سبحانه وتعالى؟ لا، هذه وظيفة وتلك وظيفة، وهما يتعانقان ويتناغمان وبينهما كامل الانسجام. عندما أفرح بتوفيق الله لي وعندما أفرح بنسبي إلى الله عبداً وبولاية الله سبحانه وتعالى لي حماية وتوفيقاً فهي وظيفة عقلانية تستقر في عقلي ثم تهبط إلى كياني. وعندما أشعر بالألم والأسى بسبب واقع إخوة لي يعانون مِنَ الشدائد ما يعانون فهو أيضاً وظيفة أتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى. والعبد المؤمن لا يتقلب يميناً أو شمالاً إلا وهو يؤدي في ذلك وظيفة يتقرب بها إلى الله عز وجل، مشاعره كلها قربات، سلوكه كله قربة إلى الله سبحانه وتعالى. عندما يعي المؤمن إيمانه وعندما يخضع في واقعه وسلوكه لحقائق إيمانه بالله سبحانه وتعالى. فهنيئاً لنا نحن المسلمين أن جعلنا الله سبحانه وتعالى نتقرب إليه في هذا اليوم بالفرحة الغامرة التي تهيمن على أفئدتنا، وهنيئاً لنا إذ جعل في أفئدتنا أماكن مهيئة لاستقبال الحزن والأسى بسبب إخوة لنا يعانون ما يعانون.

قلب المؤمن يتسع لهذا وذاك، لأن فرحة المؤمن كما قلت لكم ليست فرحة مزاجية كفرحة أولئك الذين لا يعرفون مولاهم وخالقهم، يتطوحون في ليالي الشهوات والأهواء وهم تائهون عن هوياتهم، تائهون عن أنفسهم، لا، المؤمن لا يعلم هذا قط ولا يمكن أن يسير في هذا الطريق ولا خطوة واحدة، إنما المؤمن هو ذاك الذي اصطبغ كيانه بمعنى العبودية لله سبحانه وتعالى ومِنْ ثَمَّ تهيأ قلبه واتسع لكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، مَنْ لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، إذن لابد للمؤمن أن يهتم بأمر الآخرين {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا إذن لابد إذن لابد أن أفرح بما يفرحني به الله سبحانه وتعالى، يبشرني الله برحمته كيف لا أفرح به، يبشرني الله عز وجل بفضله كيف لا أفرح بهذا الفضل الذي يمتعني به ويبشرني به؟ هذا هو الجواب عن مثل هذا السؤال وهي مزية يمتاز بها عباد الله المؤمنون به. لا يعرف هذه المزية أحد غير الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته، اصطفاهم لأن يكون هو وليهم {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ثم إن الله يلقننا هذه الحقيقة فيقول: {إن وليِّيَ الله هكذا ؛أي قولوها {إن وليِّيَ الله وعندما يقولها الإنسان يستخرج هذه الكلمة مِنْ قلبه كيف لا يفرح؟ هذه الفرحة هي ذاتها الفرحة التي يشعر بها الإنسان عندما يسمع نداء الله وهو يقول: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله هذا الذي يخاطبنا الله عز وجل به ينسبنا إليه عباداً {يا عبادي ، أَجَلُّ ما يمكن أن يبعث مشاعر الفرحة الغامرة التي قد تسكر لكنها تسكر بالله ولا تسكر عن الله سبحانه وتعالى، نعم. ورحم الله ذاك الذي قال

ومما زادني فرحاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثري

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

فاللهم أتم فرحتنا بك في هذا اليوم المبارك يا ذا الجلال والإكرام، تَوِّج اللهم فرحة عبادك المؤمنين بك في هذا الصباح الأغر بنصر مؤزر قريب أنت أهل له وإن لم نكن نحن أهلاً له، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

"خطبة عيد الفطر السعيد

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر ما غُصت المساجد في ليالي رمضان بالراكعين والساجدين، الله أكبر ما تكاثر الآيبون إلى رحابه، تائبين مستغفرين فتاب عليهم وصفح عنهم وغفر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر ما تلاقت الوجوه في هذا الصباح الأغر بعد تدابر، الله أكبر ما تعانقت القلوب بعد التهاجر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر من طغيان الطغاة في الأرض، الله أكبر من صلف المتجبرين. الله أكبر من كيد الكائدين وتربص أعداء الدين، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. سبحان الله المُسَبَّحِ في كل مكان، سبحان الله المُسَبَّحِ على كل لسان، سبحان الله رب السموات والأرض ومن فيهن، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولتعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. أما بعد فيا عباد الله دعوني أ

ذكر نفسي وأذكركم بمزية متع الله سبحانه وتعالى بها عباده المسلمين الصادقين في حين أن الآخرين قد حُرِمُوا منها. إننا لنعلم جميعاً أن الدنيا مسرح للمبهجات والمنغصات وصدق الله القائل: "ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون". فأما التائهون عن معرفة الذات، الشاردون عن صراط الله عز وجل، أولئك الذين يُخَيَّلُ إليهم أنهم يعيشون في يوم لا غدَ من ورائه فإن أحدهم إذا صادف من الدنيا مبهجاتها هيمنت على كيانه أجمع وطافت من ذلك برأسه نشوة كأنها الخمر وهيمنت عليه مشاعر هذا الابتهاج حتى لم يعد يتسع في قلبه مكان لنقيض أو لمخالف. فإذا رأى هذا الإنسان الذي أخذت منه نشوة هذا الابتهاج مأخذَها، رأى صورة لبائسين، رأى صورة لمنكوبين هيهات أن تدخل مؤثرات هذه الصورة إلى شيء من طوايا نفسه قط، ذلك لأن مشاعر الابتهاج هيمنت على كيانه كله فلم يبق في قلبه متسع لخلاف ذلك. أما إن واجه هذا

الإنسان من الدنيا الشر ونكباته، الشر وأنواعه فإن هذا أيضاً لابد أن يأخذ من كيانه كل مأخذ ولابد أن تهمين مشاعر الأسى على فؤاده كله، ولابد أن يزجه ذلك في لونٍ من الأمراض النفسية والكآبة أو أن يزجه ذلك في طريق إلى الانتحار. أما المسلم الذي وقف أمام مرآة ذاته، عرف نفسه عبداً مملوكاً لله سبحانه وتعالى، وعرف منهج رحلته في هذه الحياة الدنيا، فإن صادفه من الدنيا مبهجاتها وظفها لما يقربه إلى الله عز وجل، تفاعل مع المبهجات أنواعاً وأشكالاً ولكن بروح الوظيفة، يعلم أنه موظف عند مولاه وخالقه، يسخر هذه المبهجات لما يقربه إلى الله، فإذا رأى أمامه صورة لنقيض ذلك، صورة لبؤس، لمصيبة، لنكبة، اتسع قلبه لهذا الأمر الثاني كما اتسع للأول وتفاعل مع هذا الأمر الثاني كما تفاعل مع الأول، ذلك لأنه يستقبل كل ما يصادفه في الكون من مبهجات ومن مؤلمات، من سراء أو من ضراء، يستقبل ذلك على أنه موظف عند الله ومن ثم فهو يسخر ذلك سلما للقرب من الله عز وجل. ودعوني يا عباد الله أجعل من هذا اليوم الأغر نموذجاً حياً مجسداً لهذه الحقيقة. لقد طلعت علينا شمس هذا العيد المبارك ولقد تجلى الله عز وجل في صباح هذا اليوم على عباده بالأنس الذي نشعر به جميعاً، بعد قليل سيذهب كل منا إلى داره ولسوف يدخل كل منا إلى بيته ليجد البسمة على الوجوه وليجد الفرحة الغامرة في زوايا الدار وفي النفوس، ماذا يصنع هذا الإنسان وقد رأى مظاهر هذه البهجة أمامه، يعلم أنه موظف عند الله عز وجل، يغرس في أفئدة الصغار والكبار مزيداً من أسباب الفرحة، مزيداً من أسباب البهجة، يرسم مزيداً من الابتسام على وجوه هؤلاء وأولاء وأولئك وهو يعلم إنما يفعل ذلك قربى إلى الله، ثم إنه يغدو إلى دار جاره ودور أصدقائه وأقاربه يصل ما انقطع من الرحم ويجدد ما تقادم من الود، يقيم مرة أخرى نسيج هذا التضامن الذي شاءه الله عز جل، إنها بهجة دخلت الدار وتسربت إلى النفوس ولكن المسلم يوظفها قربى إلى الله عز وجل. فإذا خرج هذا الإنسان ومشى في طريقه وتذكر ما جرى قبل أيام، تصور ثلة من الناس قد خرجوا من دورهم وإن شهر الصوم يظلهم وإن الأنس الرمضاني يطوف بهم، غادين لمهامهم ولربما يحققون أسباب الفرحة للعيد الذي أزف قدومه وما هي إلا لحظات حتى تؤول هذه الثلة من الناس إلى أثر بعد عين، منهم من قضى نحبه ومنهم من هو بين الموت والحياة. هذا الذي وظف البهجة قبل قليل بين جوانحه سلماً إلى مرضاة الله هل يتسع قلبه لهذا المنظر الثاني؟ نعم يتسع قلبه لأنه يمارس

هذا وذاك، يتفاعل مع هذا وذاك قربى إلى الله سبحانه وتعالى، لابد أن يقف أمام هذه المأساة متفاعلاً معها، كيف يتفاعل؟ ما الذي حصل؟ ما الذي استوجب هذا الدمار؟ من الذي قضى بأن يكون هؤلاء البرآء الآمنون الذين أظلهم أنس هذا الشهر وطاف بهم كرم الله سبحانه وتعالى وتجلياته التي يقبل بها على عباد الله الصائمين، إنها جريمة وقعت، إذاً ينبغي أن ننسى قليلاً تلك البهجة لنتفاعل مع هذا الأسى، قالوا إنها جماعة من المُكَفِّرين، قلت من هم الكفار الذين أرادوا أن يلحقوا بهم وأرادوا أن ينفذوا حكم الله المزعوم في حقهم، لعلهم هؤلاء الشاذلة الذين صدف مرورهم في ذلك المكان لعلهم هم الكفرة، ولكن المصادفة هي التي ساقتهم إلى ذلك المكان ولربما كانت فئات أخرى تحل محلهم تجوب في تلك المنطقة ذاتها وعندئذٍ يكون الدمار قد حاق بهم لا بأولئك الآخرين، إذاً لعل كل من يعيشون فوق هذه الأرض المباركة كفرة، أفهذا منطق يقبله عقل؟ يا أيها الإخوة إن الجريمة كانت تستهدف شيئاً آخر، إنها كانت ولا تزال تستهدف الاستقرار الذي تتمتع به هذه البلدة، تستهدف الأمن والطمأنينة اللتين تتمتع بهما هذه البلدة ولعلكم تعلمون أن الاستقرار هو رأس المال الخفي لكل نهضة ولكل تقدم في حياة الأمة، إذاً الاستقرار هو الكافر الذي ينبغي القضاء عليه، الأمن والطمأنينة هما الكافران اللذان ينبغي تنفيذ حكم الشيطان فيهما. أيها الإخوة إنها حرب معلنة على الله عز وجل من خلال قوله سبحانه وتعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} [المائدة: من الآية٣٢ ، إنها حرب معلنة على رسول الله القائل فيما يرويه مسلم والنسائي وأحمد: من خرج من أمتي على أمتي يقتل برها وفاجرها، لا يفرق بين قاتل ومقتول منه ولا يفي بذي عهدها فليس مني ولست منه، إنها حرب معلنة على الله عز وجل وعلى رسوله، أما هذا الشعار الذي يعمل به بين الحين والآخر، ملاحقة الكفر والكافرين فهو غطاء شفاف لا يستر، وهو الغطاء الذي يستعمله الزنادقة وقد استعملوه فيما مضى. الزنديق هو ذاك الذي يمارس حرباً قذرة ضد الإسلام والمسلمين ولكنه يغطي نفسه بشعارات الإسلام وهذا هو تعريف الزندقة والزنادقة، هؤلاء فريق من الزنادقة يا عباد الله. وأعود فأقول أنا مسلم أوظف كل ما يواجهني في دربي إلى الله عز وجل أواجه ذلك كله لأجعل منه مرقاة إلى مرضاة الله عز وجل، واجهتني المبهجات فوظفتها وتقربت بها إلى الله،

واجهتني البأساء في أمتي أو في أي جهة من جهات هذا العالم الإنساني لابد أن أتفاعل مع هذه الظاهرة أيضاً، هذا هو فرق ما بين المسلم وغير المسلم، فؤاد المسلم يتسع للتعزية بالمصائب وللتهنئة بالأفراح في لحظة واحدة، نعم، ذلك لأن عبودية الإنسان لله عز وجل تجعله أمام هذين البابين المشرعين دائماً. ولكني أريد أن أنتقل من هذا الذي أوضحته باختصار إلى سؤال أحاول أن أجيب عنه باختصار أيضاً. ما العلاج الذي ينبغي أن نمارسه لتحصين أرضنا ولحماية أمتنا كلها من هذه الزندقة وهؤلاء الزنادقة الذين أعلنوا الحرب معاً على الله وعلى رسوله؟ الجواب أيها الإخوة أنهما سبيلان لا ثالث لهما، أما السبيل الأول فهو أن نمعن في تحقيق المزيد من التضامن الذي شاءه الله لنا بل الذي شرفنا الله عز وجل به، لا نألوا جهداً في تحقيق مزيد من التآلف، نسد الثغرات، نسد الجيوب التي يمكن أن يتسرب منها شياطين الإنس والجن، ثغرات الخلافات المذهبية، ثغرات الخلافات الفكرية، ثغرات الخلافات أياً كان نوعها، ينبغي أن نتقرب إلى الله عز وجل بسد هذه الثغرات كلها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، الخلاف موجود ولكن على كل منا أن يجتر مذهبه وفكره بينه وبين نفسه، ما ينبغي أن نجعل من أرائنا الاجتهادية ومذاهبنا الفكرية أو الدينية، ما ينبغي أن نجعل منها عصا فرقة، ما ينبغي أن نجعل منها سبب خصام وشقاق، إذا سيرقص العدو على هذا الذي سنفعل، وعندما يمارس هؤلاء التكفيريون عملهم إنما يستغلون هذه الفرقة، إنما يستغلون هذا الخلاف الذي يبدو لهم فيتكئون عليه ويمارسون زندقتهم التي حدثتكم عنها، نحن أمة جذعها الإسلام الواحد أغصانها المذاهب المتعددة التي تصل جميعاً إلى مرضاة الله عز وجل، فلنتمسك بالجذع يا عباد الله، فلنتمسك بالجذور يا عباد الله، دعوا الآراء الاجتهادية والخلافات كلها وراءكم ظهرياً أثناء مد الأيدي بعضنا إلى بعض، أما عندما نعبد الله عز وجل ونسير إلى مرضاته فليمارس كل واحد منا قناعاته وأفكاره. هذا هو السبيل الأول، أما السبيل الثاني فهو صدق الالتجاء إلى الله على كل المستويات وفي كل الأوقات، نطرق باب الله بأيدي الذل بأيدي المسكنة، بأيدي الانكسار، وربنا يرى، وجل من قال: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: من الآية٤٦ ، نطرق باب الله عز وجل نستنزل نصره، نطرق باب الله عز وجل نستدفع الضر الذي يلاحقنا. هكذا شاء الله عز وجل أن تكون بلدنا هذه محط أنظار الكثيرين وكأنها تتمتع بنعم يحسدنا عليها الأقربون والأبعدون، هكذا شاء الله سبحانه وتعالى، نتضرع إلى

الله سبحانه وتعالى بانكسار على كل المستويات وفي السر قبل العلن أجل يا عباد الله، دعوني أضعكم أمام هذا المشهد الذي يجسد ويبرز حقيقة ما أقول، عقبة بن نافع الذي وصل إلى أرض القيروان قبل أن تبنى، نظر فوجد أن هذه الأرض سبخة غابات محشوة بالسباع الضارية والوحوش المختلفة ورأى أن هذه الأرض هي المنطلق الاستراتيجي للدعوة إلى الله وللتبصير بدين الله في تلك المنطقة فأخذ يبحث عن بقايا الصحابة الذين كانوا معه، عثر على عدد منهم، أمضى بياض يومٍ من الصباح إلى المساء وهم يتضرعون إلى الله أن يبعد الباري عز وجل هذه الوحوش الضارية عن هذا المكان الهام من أجل أن ينطلقوا إلى الواجب الذي أقامهم الله عز وجل فيه ولما أقبل المساء قام عقبة يخاطب هذه الوحوش قائلاً أيتها الوحوش أيتها السباع لقد جئنا لنبلغ رسالات الله عز وجل فهلا ابتعدتم عن هذا المكان لتمكنونا من أداء رسالة الله. وفي صباح اليوم الثاني رؤيت هذه السباع وهذه الوحوش يحملون صغارها إلى أماكن بعيدة بحيث لا يعلم إلى أي مكان رحلت. هذه حقيقة تاريخية واقعة يا عباد الله. نحن ابتلينا بالخير والشر، تلك هي سنة الله عز وجل وعهدنا مع الله عز وجل أن نشكره على السراء وأن نصبر على الضراء ومهما يكن فإنني أحمد الله عز وجل أن العالم كله يا عباد الله بشرقه وغربه وشماله وجنوبه قد نددوا واستنكروا وعزوا ما عدا جهتين اثنتين، إسرائيل واحدة منهما، هذا يدعونا إلى مزيد من الثبات وإلى مزيد من شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، ولا يفد إلى العبد من المولى إلا النعمة ولكن ربما كانت مقنعة غير مرئية وربما كانت ظاهرة جلية، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظي الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر وأشهد أن لا إله إلا الله أقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. عباد الله اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما نهى عنه وزجر وأخرجوا حب الدنيا من قلوبكم فإنه إذا استولى أسر واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنا بملائكة قدسه فقال عز من قائل علمياً: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب:٥٦ ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ورضي الله عن

الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وألف بين قلوبهم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم ها هو ذا عبدك بشار الأسد قد وفد إلى بيتك هذا معتزاً بذل عبوديته لك مستغنياً بعظيم افتقاره إليك مستنصراً بقدرتك وتوفيقك يا ذا الجلال والإكرام وإننا لنعلم أنه لا يألو حراسة هذه الأرض المباركة وحراسة عباد الله الذين يتقلبون في مناكبها، لقد علمنا يا مولانا يا ذا الجلال والإكرام أنه كان ولا يزال يقف أمام الخطط الكائدة التي تتجه إلينا وإليه عن يمين وشمال ولا يزال يردها ولا يزال كما قد أمرت يحرس هذه الأمة وقيمها ومبادئها في سبيل ألا تمس، في سبيل ألا ينالها عدو كائد فأسألك اللهم أن تكرمه بمزيد من العون، أسألك اللهم أن تكرمه مزيد من التوفيق، أسألك اللهم أن تملأ قلبه بمزيد من الإيمان بك وبمزيد من الحب لك وبمزيد من التعظيم لحرماتك وأن تجمع به أمر هذه الأمة على ما يرضيك وأن تحقق له في سبيل ذلك البطانة الصالحة يا مولانا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إنا لا نملك عملاً صالحاً نتقرب به إليك ولكنا نتقرب إليك بذل عبوديتنا لك وبعظيم افتقارنا إليك، يا من يرى الساعة مكاننا، يا من يسمع كلامنا، يا من يعلم سرنا وعلانيتنا، يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تغلطه كثرة المسائل، يا من لا يتبرم من إلحاح عباده المحبين عليه أذقنا برد رحمتك، أذقنا كرم استجابتك، اجعل الله هذه البلدة بلدة آمنة مطمئنة، رخية، مستظلة بظل كتابك، ملتزمة بهدي نبيك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسائر بلاد المسلمين، اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً وفقه اللهم إلى كل خير ومن أراد بالإسلام والمسلمين شراً خذه اللهم أخذ عزيز مقتدر يا قيوم السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، نسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنا إلى حبك، نسألك اللهم أن تجعل حبنا لك أحب إلينا من الماء البارد للكبد الظمآن وإذا حانت ساعة رحلتنا عن هذه الحياة الدنيا فنسألك اللهم أن تُكَرِّهَ إلينا الدنيا بكل ما فيها وأن تحبب إلينا لقاءك وأن تملأ أفئدتنا شوقاً إليك، اللهم استجب، اللهم إنك قلت: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: من الآية ٦٠ وها نحن قد دعوناك كما قد أمرت فاستجب الله دعاءنا كما وعدت، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا الحاضرين ووالديهم ولسائر المسلمين أجمعين، آمين، آمين، آمين والحمد لله رب العالمين وكل عام وأنتم بخير

القسم الثاني

خطب

الشيخ احمد شريف النعسان

الاستعداد لشهر رمضان

خطبة الجامع الكبير في حلب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: إن أخطر شيء في حياة الإنسان هو الوقت، ومن عرف قيمة الوقت لم يدركه المقت، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وأما من لم يعرف قيمة الوقت فقد أدركه المقت في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة أشد، لأن هذا العبد الذي ما عرف قيمة الوقت سيكون يوم القيامة في نار جهنم لا قدر الله. واسمع ماذا يقول الله عز وجل في كتابه العظيم، ولعلك أن تتنبه يا من ضيع الوقت في القيل والقال، وفي كثرة السؤال، وفي إضاعة المال، ويا من ضيع الوقت في الحرص على الشيء الفاني الذي لا يدوم، ويا من ضيع الوقت بدون تقرب إلى الله، أو في معصية الله، يا من ضيع الوقت ولم يعرف كيف يستغل تلك اللحظات والأيام التي فيها نفحات الرحمن، ونحن أُمرنا أن نتعرض لنفحات الرحمن، (إن لربكم عز وجل في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً) [رواه الطبراني] يقول ربنا عز وجل عن هؤلاء الذين ما عرفوا قيمة الوقت: {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل} ولكن سيأتي الجواب من مولانا عز وجل: {اخسؤوا فيها ولا تكلمون}.

يا من ضيع الوقت بدون معرفة لقيمته، هل تعلم بأنك ستكون لا قدر الله من النادمين عند سكرات الموت، لأنه عند سكرات الموت ستعرف قيمة الوقت، يقول مولانا عز وجل عن هؤلاء الذين ما عرفوا قيمة الوقت: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}. يا من ضيع الوقت ولم يعرف قيمته، قف أمام قول الله عز وجل: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها} يا من ضيع الوقت ولم يعرف قيمته، اسمع ماذا يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم، فاعمل فيهما أنت. تقدم بك العمر فبدأت بالضعف بعد القوة، وضعف بصرك، وضعفت قوتك، واحدودب ظهرك، وها أنت على مشارف الآخرة، الليل والنهار يعملان فيك،

فاعمل بهما، ماذا نعمل في هذه الحياة الدنيا؟ {بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره} أنت إذا لم تعرف قيمة الوقت ستندم، ولا ينفعك الندم، كما يروي الإمام الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه) في أي شيء أفنيت هذا العمر؟ كل واحد منا يعرف في أي شيء يقضي عمره، وهذا بشكل عام، وبشكل خاص يقول صلى الله عليه وسلم: (وعن شبابه فيما أبلاه) فترة الشباب فترة القوة والعطاء والحيوية، أيام ربيع العمر، في أي شيء قضيت هذه الأيام؟ كم وكم من أناس اصطلحوا مع الله في المرحلة الثالثة من حياتهم؟ لأن الإنسان يعيش في حياته في مراحل ثلاث: مرحلة الضعف، ثم مرحلة القوة، ثم مرحلة الضعف والشيبة، قال تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة} في أيام القوة والشباب ماذا فعلت؟ أين قضيت أيام الشباب؟ كم وكم من أناس اصطلحوا مع الله في المرحلة الثالثة من حياتهم؟ عندما دخلوا مرحلة الضعف الثاني، مع الشيخوخة وانحناء الظهر والضعف، إن قلت له: صم، يقول: أنا عاجز وضعيف، وإن قلت: حج أو اعتمر، قال: أنا عاجز وضعيف، وإن أراد أن يفعل الطاعات ذهبت أيام القوة، فيا أيها الشباب ويا أيتها الشابات، اسمعوا ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (وعن شبابه فيما أبلاه)، في أي شيء أبليت هذا الشباب؟ في السفر، والقيل والقال، واتباع الشهوات، عندما ترى شبابنا متسكعين في الشوارع، ويتبعون الفتيات، ولا يعرفون إلا الأمور السخيفة، ولا يعرفون كيف يقدمون لأوطانهم، ولا لحياتهم، ولا لآخرتهم، اتبعوا الأهواء والشهوات، اعلم أيها الشاب أنك ستسأل سؤالاً خاصاً عن فترة شبابك، فما أنت قائل لربك؟ وأنت أيتها الشابة ستسألين عن فترة الشباب، فما أنت قائلة لله عز وجل؟ كم وكم من بناتنا ضيعن أوقاتهن أيام الشباب في القيل والقال واتباع الشهوات، وفي السفور والتبرج، والاختلاط مع الرجال، وإذا ما جاءت مرحلة الضعف والشيخوخة ندم هذا وندمت هذه، ولكن فترة الشباب قد ولت.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه) أستطيع أن أخدعك، وتستطيع أن تخدعني، وأستطيع أن أقول لك: مالي من حلال، وتستطيع أن تخدعني وتقول: مالي من حلال، لأنك لن تحاسبني، وأنا لن أحاسبك، الذي يحاسبني وإياك هو الذي يعلم السر

وأخفى، ستسأل أخي المسلم عن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، من أين جمعت المال؟ سواء كان هذا المال قليلاً أم كثيراً. لأن البعض عندما يسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه) لا يخطر بباله إلا أصحاب الملايين، لا يا عبد الله، ستسأل عن مالك الذي جمعته سواء كان قليلاً أم كثيراً، من أين أتيت بهذا المال؟ وفيم أنفقت هذا المال؟ هل جاءك عن طريق الربا؟ أم عن طريق الرشوة؟ أم عن طريق السرقة؟ أم بيمين كاذبة؟ أم بطرق ملتوية؟ ما أنت قائل لربك عز وجل؟ {يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم} عندما يكون كنزك من حرام فستنفقه في حرام، وعندما يكون جمعك للمال من طريق حلال فستوفق للطاعة ورب الكعبة.

أيها الإخوة: (عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه)، أنت موظف في دائرة أو مؤسسة وقدمت لك هدية، على سواد عينك؟ من أنت حتى تقدم لك هذه الهدية؟ إنما مكانك هو الذي دفع هذا ليقدم لك الهدية. جاء رجل إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقدم له هدية، فاعتذر سيدنا عمر، . تأس يا أخي بهؤلاء الرجال الذين عرفوا أنهم واقفون بين الله والله سائلهم يوم القيامة . فقال: يا أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل الهدية. فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: نعم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، وأما لنا فهي رشوة. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم والعطاء لا يؤثر فيه، أما العطاء لنا فيؤثر، اعلم هذا أيها الموظف، وأيها القاضي، ويا من تبوأت مكانة، احذر أن يميل إنسان قلبك إليه بعطية، هلا جلست في بيت أمك وأبيك فنظرت أيهدى لك أم لا؟

(وعن علمه ماذا عمل به)، في كل جمعة نصلي، ونسمع الخطيب يتكلم ويقول: قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أنت عامل بهذا العلم؟ ونحن أيها الإخوة إن عرفنا قيمة الوقت أقول لكم كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) رواه ابن خزيمة. كيف نستقبل رمضان؟ هل أنت تستعد لاستغلال أيام رمضان كما يستعد أهل الدنيا في أيام مواسمهم؟ بأي شيء تستعد لاستغلال هذا الشهر المبارك؟ أنصحك وأنصح نفسي أن

نستغل هذا الشهر المبارك، أولاً بصلاة الفجر مع الجماعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة). حافظ على صلاة الفجر في جماعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله). وبعد صلاة الفجر استغل هذا الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس بذكر الله، ثم صل الضحى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة).

يا أختاه، يا من تدّعين أن القلب يحن لزيارة الحرمين الشريفين، وخاصة في شهر رمضان المبارك، لأن عمرة في رمضان كحجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقول لك يا أختاه: كيف تسافرين إلى الحج أو العمرة بدون محرم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حذرك من السفر بدون محرم، إن كنت حريصة على الأجر فصلي صلاة الفجر في جماعة، واجلسي واذكري الله حتى تطلع الشمس، ثم صلي ركعتي الضحى، كتب الله لك أجر حجة وعمرة تامة، في كل يوم تفعلين هذا، وفي كل يوم تفعل هذا يا أخي المسلم.

كن حريصاً على وقتك من أجل بناء الدار الباقية، لا من أجل بناء الدار الفانية، اقرأ القرآن في شهر رمضان، قال تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} وربنا يقول حكاية على لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً}.

توّج صيامك بالأخلاق، بكل أسف أيها الإخوة، لو أردنا أن نعرض صيام المسلمين على الغرب في هذه الأيام، ونقول له: هذا الصوم الذي أمرنا به مولانا بقوله: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} لو عرضنا للغرب الذي نحن حريصين كل الحرص عليه أن يهديه الله للإسلام، لو عرضنا عليه صورة من صور المسلمين في أيام صيامهم من بعد صلاة العصر إلى قبل الغروب بدقائق، انظروا إلى شوارعنا بعد العصر إلى ما قبل الغروب بقليل، كأنك ترى أناساً مجانين، لماذا؟ كل واحد يقول: إني صائم، هل يعني أنك صائم أن تفقد الأخلاق؟

(وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم) لأنه توَّج صيامه بالأخلاق. أيها الرجل، وأيها الزوج، توِّج صيامك بالأخلاق، وخاصة مع نسائك وبناتك وأبنائك.

أيها الإخوة: حافظوا على صلاة التراويح، التي كانت عشرين ركعة من زمن سيدنا عمر رضي الله عنه إلى يومنا هذا في مسجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ما لي أرى بعض القوم يأتون في مثل هذه الأوقات، وبيوت الله خاوية، والناس معرضون، يأتون ليروا أناساً يحافظون على صلاة التراويح عشرين ركعة، فإذا بهم يقولون: بدعة لا تجوز. يا أخي سبقك بهذا سيدنا عمر فقال رضي الله عنه: نعم البدعة هذه. لأن سيدنا عمر رضي الله عنه هو الذي جمع الأمة على أبي بن كعب في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيهم صلاة التراويح عشرين ركعة، وأوصاه فقال: لا تفتن المسلمين، قال: كم أقرأ؟ قال: في كل يوم جزءاً من القرآن. عرفوا قيمة الوقت، {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} كن حريصاً أن تصلي صلاة المغرب في المسجد، لأنه بكل أسف بيوت الله في شهر رمضان في صلاة المغرب أصبحت خاوية، لا يوجد فيها إلا المؤذن، الإمام غائب وهو الموظف، والخادم غائب وهو موظف، ما أنت قائل لربك أيها الموظف وأنت تتقاضى الأجر؟ لماذا أنت غائب عن المسجد؟ اشرب الماء وكل تمرات ثم صل الصلاة في وقتها في بيت الله، لا تجعلوا بيوت الله خاوية.

وأوصيكم أيها الإخوة بوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تسحروا فإن السحور بركة)، لا يكن سحورك قبل نومك بعد الساعة الواحدة أو الثانية، استيقظ قبل الفجر بساعة وتناول طعام السحور، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين)، تعرض لنفحة الله عز وجل، وصل صلاة التهجد لأن الله تعالى سنَّ هذا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وأخيراً: أكثر من الدعاء عند فطرك، لأن الدعاء عند فطرك مستجاب عند الله، ولكن حتى يكون دعاؤك مستجاباً ليكن طعامك ومشربك ومسكنك ومركبك من حلال، فإذا كان ذلك من حلال

ثم قلت يا رب قال: لبيك عبدي. أما إذا كان مطعمك. لا قدر الله. من حرام، ومشربك من حرام، ومسكنك من حرام، وغُذيت بالحرام، فأنى يستجاب لك.

الوقتَ الوقتَ أيها الإخوة، الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم، فاعمل بهما أنت. اللهم وفقنا للطاعة، ووفقنا لترك المعصية، واجعلنا يا ربنا فرحين مستبشرين عند سكرات الموت قائلين: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه، ولا تجعلنا يا رب ممن يقول: {رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت}.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

عشر وصايا من الزائر الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، لقد وَفَدَ إلينا ضَيفٌ كريمٌ وزائِرٌ عَظيمٌ، بَلَغَت كَرامَتُهُ عِندَ الله تعالى أن صَفَّدَ الشَّياطينَ أيَّامَ زِيارَتِهِ، وفَتَّحَ أبوابَ الجِنانِ، وغَلَّقَ أبوابَ النِّيرانِ، ونادى مُنادٍ من قِبَلِ الله تعالى أيَّامَ زِيارَةِ هذا الضَّيفِ الكريمِ: «يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ» رواه الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

بِبَرَكَةِ هذا الزَّائِرِ الكَريمِ ضاعَفَ اللهُ تعالى الأجرَ على العِبادَةِ، فكانَتِ النَّافِلَةُ فيه بِفَريضَةٍ فيما سِواهُ، كما كانَتِ الفَريضَةُ بِسَبعينَ فيما سِواهُ.

جاءَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ فاستَقبَلَهُ من رَضِيَ بالله تعالى ربَّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبيَّاً ورسولاً حَقَّ الاستِقبالِ، استَقبَلَ هذا الزَّائِرَ الكَريمَ حَقَّ الاستقبالِ من آمَنَ بالله تعالى وباليَومِ الآخِرِ وذَكَرَ اللهَ كثيراً.

لقد رأى أمراً عَجَباً:

أيُّها الإخوة الكرام: جاءَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ فَرَأى أمراً عَجَباً، رَأى قُلوباً حَزينَةً مُلِئَت بالهُمومِ والأسى، رَأى ظُلماً وَقَعَ على الأمَّةِ، رَأى سَفكَ دِماءٍ بَريئَةٍ، ورَأى هَتكاً للأعراضِ، ورَأى سَلباً للأموالِ، ورَأى خَطفاً للآمِنينَ، ورَأى انتِهاكاً للحُرُماتِ.

وانتَهَت أيَّامُ إقامَتِهِ وانصَرَمَ راحِلاً إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ، فكانَ شهيداً لمن استَقامَ، وسَيَكونُ له شَفيعاً يَومَ القِيامَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، وكانَ شهيداً على من انحَرَفَ، وتَأَلَّمَ عليهِ لأنَّهُ بَعُدَ من رَحمَةِ الله تعالى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الطبراني عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال:

سَمِعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «هذا رَمَضانُ قد جاءَ، تُفَتَّحُ فيه أبوابُ الجَنَّةِ، وتُغلَقُ فيه أبوابُ النَّارِ، وتُغَلُّ فيهِ الشَّياطينُ، بُعداً لمن أدرَكَ رَمَضانَ ولم يُغفَر له، إذا لم يُغفَر له فيهِ فَمَتَى؟»‏.

وصايا عشر من الزَّائِرِ الكريمِ:

يا عبادَ الله، لقد ارتَحَلَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ ولِسانُ حالِهِ يُوصي هذهِ الأمَّةَ الإسلامِيَّةَ في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها، وخاصَّةً لأهلِ هذا القُطرِ، أهلِ سوريَّا، وكأنَّ لِسانَ حالِهِ يَقولُ: أنا شَهرُ رَمَضانَ، أنا شَهرٌ أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ، فأوصيكُم يا عبادَ الله بَعضَ الوَصايا التي أنزَلَها اللهُ تعالى فِيَّ على قَلبِ الحَبيبِ الأعظَمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الوَصِيَّةُ الأولى:

يا أهلَ سوريَّا، لا تَيأسوا من رَوحِ الله إذا اشتَدَّت عليكَمُ المَصائِبُ، لا تَيأسوا من رَحمَةِ الله إذا ضاقَت عليكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت، وضاقَت عليكُم أنفُسُكُم، لا تَيأسوا، فأنا أقولُ لكُم: قال تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُون﴾.

كيفَ يَيأسُ المؤمنُ وربُّهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، ورَحِمَ اللهُ تعالى القائِلَ:

إذا اللَّيالي أتاحَت من أكِنَّتِها *** سَيفَ الخُطوبِ فلا تَجزَع لِشَتَّتِها

وإن خَشيتَ جِراحاً من أسِنَّتِها *** دَعِ المقاديرَ تَجري في أعِنَّتِها

ولا تَبيتَنَّ إلا خَالِيَ البالِ

هل شمتَ حادِثَةً دامَت لِحالَتِها *** كلَّا بل الغوثُ مَقرونٌ بِغايَتِها

يا من غَدوتَ يَؤوساً من إزالَتِها *** ما بَينَ غَمضَةِ عَينٍ وانتِباهَتِها

يُغَيِّرُ اللهُ من حالٍ إلى حالِ

يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ حَوِّلْ حالَنا إلى أحسَنِ حالٍ إكراماً لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، اِعتَصِموا بِحَبلِ الله ولا تَفَرَّقوا، كَفاكُم تَحاسُدٌ وتَباغُضٌ وتَقاطُعٌ وتَدابُرٌ، فأنا أذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

اِنطَلِقوا للاعتِصامِ من الدَّائِرَةِ الضَّيِّقَةِ، من دائِرَةِ الأُسرَةِ، تَماسَكوا، اِعتَصِموا، صِلوا بَعضَكُمُ البَعضَ، ولا تَدابَروا، لعلَّ اللهَ أن يَجمَعَ شَملَ الجَميعِ، لأنَّ تَماسُكَ الأسرَةِ يعني تَماسُكَ المجتَمَعِ.

الوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، إن أرَدتُم تَبديلَ هذهِ الحالِ إلى حالٍ أحسَنَ، فأحسِنوا نَواياكُم، وأذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

الوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، عَظِّموا حُرُماتِ الله تعالى، عَظِّموا دِماءَ النَّاسِ، وأعراضَهُم، وأموالَهُم، يا أهلَ سوريَّا، أتَيتُكُم زائِراً فَرَأيتُ فيكُم سَفكَ الدِّماءِ، وهَتكَ الأعراضِ، وسَلبَ الأموالِ، وأنتُم أمَّةُ القُرآنِ، فيا أمَّةَ القُرآنِ، أُذَكِّرُكُم بآيَتَينِ من كِتابِ الله عزَّ وجلَّ، بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. وقَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

ولا تَنسَوا حديثَ نبِيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الوَصِيَّةُ الخامِسَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، لا تَخافوا من مَكرِ الماكِرينَ، ولا من حَقدِ الحاقِدينَ، ولا من كَيدِ الكائِدينَ، وإن كانَ كَيدُهُم لِتَزولَ منهُ الجِبالُ، لا تَخافوهُم ولو اجتَمَعَ أهلُ الأرضِ جميعاً على أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ، فاللهُ عليمٌ بهِم، ومَكرُهُم عِندَ الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ الله مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

لا تَخافوا إن صَبَرتُم واتَّقَيتُم، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

أُذَكِّرُكُم يا أمَّةَ القُرآنِ بِقَولِ نبيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» رواه الشيخان عن أنس بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

الوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، اِطمَئِنُّوا بأنَّ دُعاءَكُم مُستَجابٌ، وكيفَ لا يَكونُ مُستَجاباً وقد أنزَلَ اللهُ فِيَّ قَولَهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

اِطمَئِنُّوا فإنَّ دُعاءَكُم مُستَجابٌ، ولا تَنشَغِلوا بِهَمِّ استِجابَةِ الدُّعاءِ، ولكن انشَغِلوا بما كُلِّفتُم به، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى لسيِّدِنا موسى وأخيه هارون: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

الوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، أصلِحوا ذاتَ بَينِكُم، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أصلِحوا ذاتَ بَينِكُم، ولا تُفسِدوا فإنَّ اللهَ رَقيبٌ عليكُم.

الوَصِيَّةُ الثَّامِنَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، تَذَكَّروا أنَّكُم خُلِقتُم للأمرِ بالمَعروفِ وللنَّهيِ عن المنكَرِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

هذهِ مَهَمَّتُكُم، فيها صَلاحُ المجتَمَعِ، بها يَصلُحُ الطَّبيبُ والتَّاجِرُ والمهندِسُ والسِّياسِيُّ وجَميعُ شَرائِحِ المجتَمَعِ، ولا تُفَكِّروا بمالٍ وجاهٍ ومَنصِبٍ وسِيادَةٍ، فإنَّ نبِيَّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَفَضَها، لأنَّ مَهَمَّتُهُ كانَتِ التَّبليغَ.

الوَصِيَّةُ التَّاسِعَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، اِعلَموا أنَّهُ لا طاعَةَ لمَخلوقٍ في معصِيَةِ الخالِقِ، مهما كانَ الآمِرُ، سواءٌ كانَ حاكماً أو مَحكوماً، فأنا أُذَكِّرُكُم بِقَولِ اللهِ تعالى عن هؤلاءِ الذينَ أطاعوا مَخلوقاً في مَعصِيَةِ الخالِقِ:
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾.

وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ﴾.

الوَصِيَّةُ العاشِرَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، أنا راحِلٌ إلى ربِّي بعدَ إقامَتي فيكُم شَهراً كامِلاً، وأنا لكم ناصِحٌ أمينٌ، إن اختَلَفتُم

وتشاجَرتُم فَحَكِّموا كِتابَ الله فيكم، وإلا عَرَّضتُم نِعمَةَ الإيمانِ للزَّوالِ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

فلا تُحَكِّموا الأهواءَ والعَصَبِيَّاتِ، فأنا لكم ناصِحٌ أمينٌ.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يا عِبادَ الله، هذهِ وَصايا الزَّائِرِ الكَريمِ لمن استَجابَ لأمرِ الله تعالى فصامَ وقامَ، أسألُ اللهَ تعالى ن يُوَفِّقَنا للالتِزامِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

قولوا لمن أفطر في شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لقد عَظُمَت نِعمَةُ اللهِ عزَّ وجلَّ عَلَينَا بأن بَلَّغنَا شَهرَ رَمَضَانَ المُبَارَكَ، وقد شَرَحَ صُدُورَنَا للإسلامِ، وَحَبَّبَ إلى قُلُوبِنَا الإيمَانَ، هذهِ النِّعمَةُ العَظِيمَةُ التي حُرِمَها الكَثِيرُ من النَّاسِ اليَومَ، حَيثُ بَلَّغَهُم رَبُّنَا عزَّ وجلَّ شَهرَ رَمَضَانَ، ولكن كَانَت صُدُرُهُم ضَيِّقَةً حَرِجَةً، فما شُرِحَت صُدُورُهُم للصَّلاةِ والصِّيَامِ والقِيَامِ، هؤلاءِ هُم من أشقَى خَلْقِ اللهِ تعالى إذا مَاتُوا على ذلكَ بِدُونِ تَوبَةٍ للهِ عزَّ وجلَّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كم هيَ نِعمَةُ اللهِ تعالى عَظِيمَةً عَلَينَا، بِحَيثُ وَفَّقَنَا للصِّيَامِ والقِيَامِ مَعَ الشَّدَائِدِ والمِحَنِ والحَربِ التي تَمُرُّ على بَلَدِنَا هذا، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ؟

نَحنُ في نِعمَةٍ. واللهِ الذي لا إلهَ غَيرُهُ. لو سَجَدنا على جَمرَةٍ من نَارٍ حتَّى تَخرُجَ أروَاحُنا من أجسَادِنا لما أدَّينَا اللهَ تعالى حَقَّهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من شَقَاوَةِ العَبدِ أن يُبَلِّغَهُ اللهُ تعالى شَهرَ رَمَضَانَ، ثمَّ يُعرِضَ هذا العَبدُ عن اللهِ عزَّ وجلَّ، من شَقَاوَةِ العَبدِ أن يَكُونَ شَهرُ رَمَضَانَ شَاهِداً عَلَيهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من رَعَى شَهرَ رَمَضَانَ رَعَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ومن ضَيَّعَهُ ضَيَّعَهُ اللهُ تعالى.

شَهرُ رَمَضَانَ شَهرُ مِحنَةٍ واختِبَارٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يَجعَلَ شَهرَ رَمَضَانَ شَهراً دَورِيًّا، فَتَارَةً يَأتِي في فَصلِ الصَّيفِ، وتَارَةً في فَصلِ الشِّتَاءِ، وتَارَةً في فَصلِ الخَرِيفِ، وتَارَةً في فَصلِ الرَّبِيعِ، وما ذاكَ إلا لِحِكمَةٍ بَالِغَةٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا جَاءَ شَهرُ رَمَضَانَ في فَصلِ الصَّيفِ كَانَ شَهرَ مِحنَةٍ واختِبَارٍ، يَمِيزُ اللهُ تعالى بِهِ الخَبِيثَ من الطَّيِّبِ، ويُفَرِّقُ بَينَ الصَّادِقِ والكَاذِبِ، وبَينَ المُؤمِنِ والمُنَافِقِ، قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، جَاءَنَا الآنَ شَهرُ رَمَضَانَ في فَصلِ الصَّيفِ، وفي هذهِ الأزمَةِ لِيَكُونَ اختِبَاراً وامتِحَاناً للأُمَّةِ، فمن رَأَى نَفسَهُ أنَّهُ مَوَفَّقٌ بِفَضْلِ اللهِ تعالى فَليَحمَدِ اللهَ تعالى، وعِندَما يَأتِي شَهرُ رَمَضَانَ في الشِّتَاءِ يَكُونُ غَنِيمَةً بَارِدَةً، ولكن في فَصلِ الصَّيفِ يَكُونُ الأجرُ مُضَاعَفاً إن شَاءَ اللهُ تعالى، لأنَّ الأجرَ على قَدْرِ المَشَقَّةِ.

الصِّيامُ والقُرآنُ شَافِعَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا من وَفَّقَكُمُ اللهُ تعالى للصِّيَامِ وتِلاوَةِ القُرآنِ أَبشِرُوا، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ.

وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ.

قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

هَنِيئَاً لَكَ أَيُّها الصَّائِمُ القَائِمُ التَّالِي للقُرآنِ العَظِيمِ بِشَفَاعَةِ الصِّيَامِ والقُرآنِ لَكَ يومَ القِيَامَةِ، هَنِيئَاً لَكَ أَيُّها الصَّائِمُ القَائِمُ وأنتَ تَعِيشُ هذهِ الأزمَةَ مَعَ شِدَّةِ الكَربِ. ولا أَتَأَلَّى على اللهِ عزَّ وجلَّ. هَنِيئَاً لَكَ الجَنَّةَ.

بَابُ الرَّيَّانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَبشِرُوا بِبِشَارَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، روى الشيخان عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ.

يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟

فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

قولوا لمن أفطَرَ شَهرَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا لمن أفطَرَ شَهرَ رَمَضَانَ، وأعرَضَ عن اللهِ عزَّ وجلَّ، وخَافَ على نَفسِهِ من التَّعَبِ والنَّصَبِ وشِدَّةِ العَطَشِ في شَهرِ رَمَضَانَ: لقد أعرَضتَ عن شَرعِ اللهِ تعالى، وأعرَضتَ عن الصِّيَامِ خَوفاً من عَطَشِ سَاعَاتٍ مَعدُودَةٍ، وتَجَرَّأتَ على عِصيَانِ أمرِ اللهِ تعالى، واللهِ إن لم تَتُبِ إلى اللهِ تعالى، ولم تُدرِكْ رَحمَةَ اللهِ تعالى، فَسَوفَ يَأتِيك يَومٌ تَقِفُ فِيهِ في أرضِ المَحشَرِ، وتَدنُو الشَّمسُ من الرُّؤُوسِ بِمِقدَارِ مِيلٍ، وسَوفَ تَخُوضُ في عَرَقِكَ، ويَشتَدُّ عَلَيكَ العَطَشُ، ولن تَجِدَ مَاءً يُروِي ظَمَأَكَ، وإن اقتَرَبتَ من حَوضِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فإنَّ المَلائِكَةَ سَتَطرُدُكَ شَرَّ طَردٍ . والعِياذُ باللهِ تعالى .

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا لمن خَسِرَ نَفسَهُ وأعرَضَ عن ذِكرِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ، وجَاهَرَ بالإفطَارِ نَهَاراً بِدُونِ استِحيَاءٍ من اللهِ تعالى، ولا من عِبَادِ اللهِ تعالى: تَعالَ واسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا: يا رَبَّنَا لَكَ الحَمدُ أن وَفَّقتَنَا للصِّيَامِ، ولَكَ الحَمدُ أن بَلَّغتَنَا بِدَايَةَ شَهرِ رَمَضَانَ، ولا نَدرِي هل نَبْلُغُ آخِرَ شَهرِ رَمَضَانَ أم لا؟

هل يا تُرَى يَنتَهِي أَجَلُنَا قَبلَ نِهَايَةِ شَهرِ رَمَضَانَ، أم يُبَلِّغُنا رَبُّنَا عزَّ جلَّ آخِرَهُ؟ أَعمَارُنَا بِيَدِ اللهِ تعالى، لا نَدرِي مَتَى تَنتَهِي، وهذهِ جَنَازَةٌ بَينَ أظهُرِنَا.

أسأَلُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَهَا ذِكرَى لَنَا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

ضاعفوا الجود في شهر رمضان لتنالوا...

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الأُمَّةَ في أَيَّامِ مِحَنِهَا وشَدَائِدِهَا وأَزْمَانِ ضَعْفِهَا وذُلِّهَا بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى وَقَفَاتٍ عِنْدَمَا تَمُرُّ بِهَا مُنَاسَبَةٌ كَشَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك، لِتَسْتَلْهِمَ العِبَرَ والعِظَاتِ، ورَمَضَانُ مَدْرَسَةٌ للأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ يَجِبُ أَنْ لا نَخْرُجَ مِنهُ إلا بِإِصْلاحٍ لِوَضْعِنَا، ومُرَاجَعَةٍ لِمَوَاطِنِ الخَلَلِ في جَمِيعِ أُمُورِنَا الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، جَدِيرٌ بِنَا في عَصْرٍ تَقَاذَفَتْ فِيهِ أَمْوَاجُ المِحَنِ، وتَشَابَكَتْ فِيهِ حَلَقَاتُ الفِتَنِ، وغَلَبَتْ فِيهِ الأَهْوَاءُ واسْتَحْكَمَتْ، أَنْ لا يَمُرَّ بِنَا هذا الشَّهْرُ دُونَ اسْتِلْهَامٍ لِحِكَمِهِ وأَسْرَارِهِ، والإِفَادَةِ من مُعْطَيَاتِهِ، والنَّهْلِ من ثَمَرَاتِهِ وخَيْرَاتِهِ، حَتَّى يَقُولَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِجَدَارَةٍ: ﴿إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ﴾.

شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والكَرَمِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا وأَنْتُمْ تَعِيشُونَ هذهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والكَرَمِ، ولا يُوجَدُ على وَجْهِ الأَرْضِ من البَشَرِ أَجْوَدُ وأَكْرَمُ من سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

روى الشيخان عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ

وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِن الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ صَدَقَاتِكُم وعَطَايَاكُم لا تَنْقُصُ من أَمْوَالِكُمْ شَيْئَاً، لِقَوْلِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ حَاجَتَنَا إلى أَجْرِ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ من حَاجَةِ الفَقِيرِ لِصَدَقَاتِنَا، وذلكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الشيخان عَن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» رواه الترمذي عَن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فالصَّدَقَةُ سَبَبٌ للنَّجاةِ من كُلِّ مَرْهُوبٍ، وطَرِيقٌ للفَوْزِ بِكُلِّ مَرْغُوبٍ.

ضَاعِفُوا الجُودَ في شَهْرِ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ضَاعِفُوا الجُودَ والكَرَمَ في شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، لِتَنَالُوا الفَوَائِدَ الجَمَّةَ، والتي مِنهَا:

أولاً: شَرَفُ الزَّمَانِ، ومُضَاعَفَةُ الأَجْرِ فِيهِ، روى البيهقي وابن خزيمة عَن سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: خَطَبَنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ في آخِرِ يَوْمٍ من شَعْبَانَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَد أَظَلَّكُم شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعَاً، مَن تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ من الخَيْرِ، كَانَ كَمَن أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَن أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَن أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ».

ثانياً: تَنَالُ أَجْرَ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ الذَّاكِرِينَ، روى الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمَاً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئَاً».

ثالثاً: الجَمْعُ بَيْنَ الصِّيَامِ والصَّدَقَةِ من مُوجِبَاتِ الجَنَّةِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

رابعاً: تَنَالُ دُعَاءَ المَلائِكَةِ الكِرَامِ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

خاتِمَةٌ ـ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـ:

يَا عِبَادَ اللهِ، شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والإِنْفَاقِ، شَهْرُ النُّفُوسِ السَّخِيَّةِ والأَكُفِّ النَّدِيَّةِ، شَهْرٌ يَسْعَدُ فِيهِ المَنْكُوبُونَ، ويَرْتَاحُ فِيهِ المُتْعَبُونَ، فَلْيَكُنْ لَنَا فِيهِ السَّهْمُ الرَّاجِحُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ على الشَّيْطَانِ وأَبْطَلَ لِكَيْدِهِ، وأَدْحَرَ لِوَسَاوِسِهِ من الصَّدَقَةِ الطَّيِّبَةِ، قَالَ تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ واللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

اللَّهُمَّ أَخْرِجْ من قُلُوبِنَا حُبَّ الدُّنيَا. آمين.

** ** **

رمضان شهر الصبر

٣٨- خطبة الجمعة: رمضان شهر الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ليلة من شعبان مخاطباً الأمة: (يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) [رواه ابن خزيمة].

الحديث طويل أيها الإخوة، ولكن أحببت أن أقف معكم ونحن في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك، أعاده الله علينا وعليكم وعلى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مشارق الأرض ومغاربها بجمع شملها بعد تمزق، وبجمع شملها على الكتاب والسنة. أحببت أن أقف معكم مع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة)، أريد أن أخاطب كل واحد فيكم، كل صائم، وكل مصل، يا أيها الصائم المصلي، ويا أيها الرائد لبيوت الله عز وجل، ويا من أكرمك الله فكنت من رواد المساجد، ويا من أكرمك الله بالاستقامة، تعال واسمع إرشاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، عندما يقول: (وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة)، والجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إلا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) [رواه الترمذي]، وإذا كانت سلعة الله غالية وهي الجنة، فإن الثمن ينبغي أن يكون كبيراً، لأنك عندما تشتري سلعة وتكون السلعة نافعة لك، وأنت حريص عليها، فمهما كان الثمن تنقده لحرصك على تلك السلعة.

أتريد الجنة مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ نعم، أتريد أن تكون في الرفيق الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم؟ نعم، تعال واسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم: (وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة)، كن صابراً، وإن لم تكن صابراً فتجمَّل وتكلف الصبر شيئاً فشيئاً، لأن كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر، فإن لم تكن صابراً فتصبَّر، وإن لم تكن حليماً فتحلَّم، وإن لم تكن صاحب خلق حسن فحاول أن تقلد أصحاب الخلق الحسن، وأن تتدرب شيئاً فشيئاً. كم وكم من أمور نجهلها وهي صعبة الوصول، ولكن بالتعلم وبإلزام النفس على الوصول إلى هذا الهدف نصل إلى ما نريد، فيا من يريد جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، خاطبك النبي صلى الله عليه وسلم أن تكثر من سؤال الله الجنة في شهر رمضان، (واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار) [رواه ابن خزيمة].

الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثمنها الصبر، والصبر ينبغي علينا أن نتحلى به، لأن الله كلفنا وأمرنا بقوله: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون} لعلك تفلح وتكون من أهل الجنة، لأنك إن وصلت إلى الآخرة ووقفت في أرض المحشر، وتطايرت الصحف، والقلوب بلغت الحناجر، ولا تدري أتقاد إلى جنة أم تقاد إلى نار، فإذا بصحيفتك تطايرت حتى وصلت إليك، أي يد تشل وأي أرض تتحرك في أرض المحشر لا تدري، فإذا بتوفيق من الله تحركت يدك اليمنى وأخذت كتابك بيمينك، وهذه علامة الفلاح والنجاح، وستقول في أرض المحشر على رؤوس الأشهاد: {هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية *كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية}.

من هذا الذي يأخذ كتابه بيمينه؟ هو الصابر.

من هو الصابر؟ وعلى أي شيء يكون صابراً؟

احفظ كلمات ثلاث، فإن حفظت وعملت بما علمت سعدت بإذن الله، لعلك أن تتنبه لهذه الكلمات إن أردت الجنة، وما أظن أن واحداً فينا لا يريد الجنة، لولا أنك تريد الجنة لما أتيت في شدة الحر وأنت صائم، ما الذي جاء بك؟ أيوزع هنا مال؟ لا ورب الكعبة، أهنا جاه؟ نعم هنا جاه ولكن جاه بالله، أنت أتيت تريد الجنة، فيا مريد الجنة احفظ كلمات ثلاث: اصبر على الطاعة، واصبر عن المعصية، واصبر على البلاء.

كلمات سهلة، والعمل صعب، والثمرة طيبة، ألا وهي قول الله تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} وطالما أن الثمرة هي الجنة بمعية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فكل شيء يكون هيناً للوصول إلى تلك الثمرة.

صبر على الطاعة، الطاعة تحتاج إلى صبر، لأنك مأمور بالاستمرارية فيها، قال تعالى: {فاستقم كما أمرت}، فصلاة ركعتين سهلة، وصيام يوم سهل، ولكن الأمر يحتاج إلى صبر في الاستقامة على ذلك. والصبر على الطاعة يحتاج إلى مشقة وجهد أن تبذله، أراك تحافظ ولله الحمد في شهر رمضان على أربع صلوات في جماعة، ما أجمل بيوت الله عز وجل عندما ترى الرواد إلى بيوت الله في شهر رمضان في أربع صلوات، في صلاة الفجر والعشاء، والظهر والعصر، ما عدا صلاة المغرب، ففي صلاة المغرب بيوت الله خاوية على عروشها، لم يا أخي صليت تلك الصلوات في جماعة وتركت صلاة المغرب في جماعة؟ إن كنت جائعاً، فقد صبرت النهار كله، ألا تصبر دقائق لتطبيق سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: (من تمسك سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد) [رواه البيهقي، والطبراني بلفظ: فله أجر شهيد]. وهي سنة صلاة الجماعة في المغرب، بيوت الله خاوية إلا من الإمام والمؤذن، وربما يكون الإمام غائباً، قولوا أيها الإخوة لأئمتنا وللمؤذنين ولخُدَّام المساجد: كونوا في الأوقات الخمسة في بيوت الله، لأنكم تتقاضون على ذلك أجراً، أتأخذ أجراً وأنت تصلي في بيتك؟ يا سبحان الله! حافظ على صلاة المغرب في جماعة، والأمر يحتاج إلى صبر، وهذا الصبر ثوابه الجنة.

وصبر عن المعصية، اصبر عن معصية الله، لأنني والله أخشى على نفسي وأخشى على كل واحد فينا وعلى كل مسلم أن يموت على معصية، لأن الله يقول: {ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم

في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} تصور لا قدر الله لو ختم لك وأنت في المعصية، فما أنت قائل لربك؟ أنت تلعب بالطاولة وفي يدك الزهر، وإذا بملك الموت أخذت روحك لا قدر الله وأنت في هذه الحالة، أتستوي مع رجل جاءه ملك الموت وأخذ روحه وكتاب الله بين يديه؟ هل يستوي هذا مع هذا؟ ما تقول لربك إذا ختم لك على معصية؟ واللعب بالطاولة من الكبائر، لا تقل: أسلي صيامي، أتسلي الطاعة بمعصية الله في الكبائر؟ اصبر عن المعصية لأنك لا تدري متى ينتهي أجلك، والله لو أنك تعلم بأنك لن تموت أثناء المعصية فافعل ما تشاء، ولكن لا تدري متى ينتهي الأجل، فما أنت قائل لربك إن ختم لك على المعصية؟

وصبر على البلاء، اصبر على إساءة الآخرين إليك، وقابل الإساءة بالإحسان، {ادفع بالتي هي أحسن}، صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأحسن لمن أساء إليك، كن حليماً، وكن واسع الصدر، وخاصة بعد العصر إلى أذان المغرب. بكل أسف أيها الإخوة، من العصر إلى الغروب لا أدري ماذا يحصل علينا؟ انظر إلى شوارعنا وطرقاتنا وأنفسنا في بيوتنا بعد العصر إلى المغرب كأن العقول تكاد أن تخرج من الرؤوس، ويقول أحدهم: إني صائم، هل تمنُّ على الله بصومك؟ أما علمت بأن الله يقول في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به) [رواه البخاري]، لا يعلم أجر الصائم إلا الله، أتمنُّ على الله بصومك وتقول للناس: إني صائم، تعني أن يعفوا عن سيئاتك، لا يا أخي، كنت حليماً، ودرِّب أبناءك على الحلم والصبر، وخاصة إذا كان يقود دراجة أو سيارة أن يمشي بتؤدة ويؤثر الآخرين على نفسه، وأن يتحلى بالصبر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة).

فيا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أنفاسنا معدودة، وعمرنا له بداية عرفناها، وله نهاية لا ندري متى تكون، وربما أن تكون هذه اللحظة هي النهاية، أسأل الله أن يختم لي ولكم على الإيمان الكامل.

أيها الإخوة: يا من لكم بداية ونهاية، استغلوا أنفاس عمركم في كثرة القربات إلى الله، كما يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم فاعمل أنت فيهما. وتذكروا أيها الإخوة إن قصرتم قول الله عز وجل: {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً}، ونحن

نقول: يا رب، نسألك بأسماء الحسنى، وبصفاتك العلى، أن توفقنا للعمل الصالح، وأن نكون صابرين على الطاعة، وصابرين عن المعصية، وصابرين على البلاء، وأن نتحلى بأخلاق الأنبياء، الله أكرمنا بذلك، وأكرم أصولنا وفروعنا وأزواجنا وأهل بلدتنا وسائر بلاد المسلمين بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى البلاء، وأكرمنا يا ربنا بعد ذلك بجنة عرضها السماوات والأرض، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أثر شهر الصيام في عالم السماء والأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذا شهر رمضان المبارك قد أطلَّ على الأمة الإسلامية، هذا الشهر العظيم المبارك كلما أطلَّ على الدنيا كان له أثر في السماء وفي الأرض، وأثره في السماء والأرض من أجل مصلحة ابن آدم الخطاء، كان له أثر في السماء والأرض ليكون عوناً لنا على الاستقامة والاصطلاح مع الله تعالى، ليكون عوناً لنا على سلوك الطريق الذي يوصلنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ليكون عوناً لنا على الاصطلاح فيما بين بعضنا البعض.

أخرج الإمام الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ).

فكلما أطلَّ هذا الشهر على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جعل أثراً في السماء، حيث تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران، وجعل أثراً في الأرض حيث تصفد الشياطين ومردة الجن، وبعد ذلك نادى المنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

عداوة الشيطان للإنسان محكمة:

معشر المسلمين: الشيطان عدو للإنسان، وعداوته محكمة لا تتحول ولا تزول، وقد أخبرنا مولانا عز وجل عن عداوته لنا بقوله: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}.

يقول العلماء في هذه الآية الكريمة: إنها تضمَّنت خبراً وأمراً، فأما الخبر فهو قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ}، وهذا الخبر من الله تعالى لا يقبل النسخ ولا التغيير ولا التبديل، وأما الأمر فهو قوله تعالى: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}، ولا يليق بالإنسان المؤمن أن يتخذه لنفسه ولياً، أو أن يصغي إليه، لأن الله تبارك وتعالى عاتب عباده عتاب لطف فقال: {إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}، ويقول تبارك وتعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم}.

كن يا عبد الله ممتثلاً أمر ربك عز وجل، واحذر امتثال أمر الشيطان، لأن الشيطان يريد إلقاء العداوة والبغضاء بين العباد، وقد أخبرنا الله عز وجل عن هذه الحقيقة بقوله: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء}، وإذا وقعت العداوة والبغضاء بين العباد ارتكبوا الموبقات من قتل نفس، وإزهاق أرواح، وهضم للحقوق، وإشعال لنار الفتن بين الناس، وبذلك يتحقَّق للشيطان ما يريد، حيث يكون هؤلاء من أصحاب السعير، لأن الشيطان يريد هذا لابن آدم، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير}.

هل عرفت الأمة هذه الحقيقة؟

أيها الإخوة الكرام: هل عرفت الأمة هذه الحقيقة؟ هل عرف الراعي والرعية هذه الحقيقة؟ هل عرف الحاكم والمحكوم هذه الحقيقة؟ حقيقة لا مجال لإنكارها {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء}.

وعندما غفلت الأمة عن هذه الحقيقة أوقع الشيطان نار العداوة بين الناس، وخاصة بين الحاكم والمحكوم، بين الراعي والرعية، ووقعت الآثام، وسفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وضيعت الحقوق.

يا عباد الله: ما من عبد خلقه الله تعالى إلا وله شيطان، كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِخَيْرٍ) رواه مسلم.

هل سمعت هذا أيها الحاكم والمحكوم؟ كل واحد منا له شيطان، فهل وافقناه أم خالفناه؟ نعم لقد سلطت علينا شياطين الإنس والجن، وأوقعوا نار العداوة والبغضاء، ولعبوا دورهم بين الناس، وأشعلوا نار الفتن، حتى سفكت الدماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عون من الله تعالى لنا:

يا عباد الله: هذا شهر رمضان المبارك قد أظلنا، وهذه معونة من الله تعالى لنا لإطفاء نار الفتنة، حيث صفدت الشياطين ومردة الجن، وفتحت أبواب الجنان، وغلقت أبواب النيران، ونادى المنادي للجميع من حاكم ومحكوم: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، لقد فتح الله تعالى لنا جميعاً باب التوبة، ونادى العباد جميعاً حكاماً ومحكومين بقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

يا من يريد الصلاح والإصلاح، ويا من يريد إعطاء كلِّ ذي حق حقه، هذا هو المنادي يناديك في شهر رمضان (يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ) أقبل على الله تعالى عابداً راكعاً ساجداً، ومتى نرى هذا المشهد يا عباد الله؟ متى نرى الحاكم والمحكوم وضعوا جباههم على الأرض سجداً لله تعالى، يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً؟

العزة والسيادة والريادة بالإيمان:

أيها الإخوة المؤمنون: إذا أردنا العزة والسيادة والريادة فعلينا بالإيمان، علينا بالإقبال على الله تعالى، وأن نقصر عن الشر، علينا بكلمة لا إله إلا الله، عقيدة والتزاماً، وتذكروا يا عباد الله حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عندما اجتمعت قريش على عمه أبي طالب وشكوا إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقالوا: إنه يسبُّ آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا في النار، فدعا أبو طالب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم وقال: يا بن أخي، هؤلاء قومك جاؤوا يشكونك ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟ قال: أطلب منهم كلمة واحدة، إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا: (لا إله إلا الله)، فنفروا وقاموا وقالوا: لا نقولها أبداً، وجعل بعضهم يقول لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم.

هذا هو قرار الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، اسمع هذا القرار يا من أردت التمكين في الأرض حكومة وشعباً، وصدق الله تعالى القائل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}.

نعم عندما سمعت الأمة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم دانت لهم العرب، ودفعت لهم الجزية الأعاجم، من كان يصدق هذا أيها الإخوة؟ لقد كانت فارس والروم تنظر إلى العرب كنظرة الغرب إلى العرب اليوم، ولكن بسرِّ كلمة: (لا إله إلا الله)، وبالعمل بمضمونها، تحقَّقت لهم بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

حكِّموا شرع الله فيكم:

يا عباد الله، هذا شهر رمضان المبارك الذي جعل أثراً في السماء وفي الأرض، ونادى المنادي بقوله: (يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر)، فهل حكَّمتم شرع الله فيكم؟ وهل تذكرتم قول الله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}؟ اسمعوا هذا يا عباد الله، وحكِّموا دين الله فيكم حكّاماً ومحكومين.

هذا شهر رمضان المبارك الذي تصفد فيه الشياطين ومردة الجن، فهل جعلناه شهر انتصار على أنفسنا وشياطين الإنس الذين يريدون إشعال نار الطائفية والعشائرية بيننا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لنسمع وصية سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وصية المعصوم، وصية الناصح الأمين، وصية النذير العريان، وهو يخاطب الأمة كلَّها من القاعدة إلى القمة حتى تغتنم فرصة هذا الشهر العظيم المبارك، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) رواه البخاري ومسلم.

اسمعي أيتها الأمة المباركة لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطُّ الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا اللهَ من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل) رواه الطبراني، أروا الله خيراً في هذا الشهر المبارك يا عباد الله، والشقي من حُرم في هذا الشهر رحمة الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا الرحمة، وأن يجمع شمل هذه الأمة، وأن يستر أعراضنا، وأن يؤمِّن روعاتنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** ** ** ** **

شهر رمضان شهر المواساة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع طرفاً من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خاطب الأمة في آخر ليلة من شهر شعبان وقال لها: (يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) [رواه ابن خزيمة]. وقفنا عند هذه الفقرة، وقلنا إنه ينبغي على الإنسان المسلم أن يغتنم الفرص، وأن يغتنم أنفاس عمره وخاصة في الأوقات المباركة، وأن يزيد في اغتنام الوقت في الأوقات المباركة في التقرب إلى الله عز وجل، وقلنا عن شهر الصبر أنه صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على الابتلاء، ولكننا نرى الكثير صبر على الطاعة أياماً ما تجاوزت أسبوعاً فإذا به قصَّر في المحافظة على هذه الطاعة، يا أخي تذكر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يقول: (شيبتني هود وأخواتها) [رواه عبد الرزاق]، لقول الله عز وجل في سورة هود: {فاستقم كما أمرت}، والاستقامة تعني الاستمرارية، قال تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}،

أما أن تستمر وتحافظ على الطاعات أياماً قليلة، ثم بعد ذلك تفتر همتك؟ فإذا فترت همتك وأنت في شهر رمضان الذي صفدت فيه الشياطين، وفتحت فيه أبواب الجنان، وغلقت أبواب النيران، فإن فتورك في الهمة بعد رمضان سيكون من باب أولى وأولى.

أيها الإخوة: اغتنموا شهر رمضان المبارك، ها هو ثلثه الأول قد ولى، وكم وكم من رمضان مرَّ عليك؟ فهل اغتنمت تلك الأيام؟ لذلك عندما خاطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (يا

أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك) فهذا الخطاب من أجل اغتنام هذا الشهر العظيم المبارك.

ثم يقول صلى الله عليه وسلم: (وهو شهر المواساة)، المواساة أن تتفقد إخوانك وأبناء جنسك وأبناء مجتمعك وأبناء حيك، وأن تسعى في كل أيام حياتك لتفريج كربهم وخاصة في شهر رمضان المبارك، شهر رمضان شهر المواساة، لعلنا أيها الإخوة ونحن في هذا الشهر العظيم المبارك أن ننطلق من هذا اليوم في مواساة أبناء مجتمعنا، في مواساة أصحاب الحاجة، وأن نجعل هذا رصيداً لأنفسنا عند ربنا جل وعلا، لا تكن مجروح الفؤاد إذا واسيت إنساناً فقابل إحسانك بالإساءة، وتقسم بعد ذلك يميناً ألا تصنع معروفاً، {ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا} فلا تقسم يميناً بألا تصنع معروفاً، لأنك إذا أقسمت يميناً ألا تصنع معروفاً، فاعلم أنك صنعت المعروف بدايةً لغير الله، ولم يكن عندك الإخلاص حتى فوجئت، ولكن المؤمن أيها الإخوة يواسي غيره وهو ينظر إلى الله ويتعامل مع الله، ولا يطلب جزاءً على المواساة من فقير مثله، إنما يطلب هذا من الله عز وجل.

انظروا أيها الإخوة إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما عاد من غار حراء يرتجف فؤاده وهو يقول لأمنا السيدة خديجة رضي الله عنها: (زملوني، إني قد خشيت على نفسي)، فقالت أمنا الجليلة التي أقراها ربنا السلام من فوق سبع سماوات عن طريق سيدنا جبريل وقال له: يا محمد اقرأ على خديجة السلام من ربها [رواه البخاري]، أسأل الله أن يحشرنا في ظلال جناحها يوم القيامة بمعية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه السيدة الجليلة التي هيأت السكن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي هيأت الفرصة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمة دين الله، وما أجمل المرأة التي تهيئ الجو لزوجها من أجل خدمة دين الله عز وجل!

قالت رضي الله عنها: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً) على أي أساس تقسم بالله وهي لا تعلم بعد بأنه رسول الله، لأنها لو علمت أنه رسول الله فالأمر طبيعي، لأن الله يتولى رسله، ولكن حكمت بأن الله لا يخزيه أبداً قبل الرسالة، فعلى أي أساس؟ تقول رضي الله عنها: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب

الحق) [رواه البخاري ومسلم]. الذي يصنع المعروف أيها الإخوة، والذي يقوم بواجب المواساة للمسلمين لا يخزيه الله أبداً، على أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، على أن يكون ممن قال الله عز وجل فيهم: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}.

كن مواسياً، لأن الله شاء أن يجعلنا متفاوتين، وأن يجعلنا درجات، وأن يجعل فينا قوياً وضعيفاً، وغنياً وفقيراً، ورئيساً ومرؤوساً، ورجلاً وامرأة، وصاحب حاجة وغنياً عن الحاجة، الله عز وجل جعلنا متفاوتين اختباراً وابتلاء، وقال لنا: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة}، فيا أيها الكبير والرئيس والغني، ويا صاحب العلم والجاه والمنزلة أتتفقد من هو دونك في هذا المجتمع؟ أم أنك تغمض الطرف وتستغل نعمة الله لذاتك فقط؟ ما وسَّع الله عليك في المال، وما وسع عليك في الجاه والمنزلة، وما ألقى عليك المحبة بين الناس إلا لتكون مواسياً لمن حُرم هذه النعمة، (وهو شهر المواساة)، فأين مواساتنا أيها الإخوة؟ وأين الذي يتعامل مع الله؟ وأين الذي لا ينتظر المدح والثناء من الناس؟

في مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أناس يعيشون ولا يدرون من أين يأتيهم رزقهم، حتى مات سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، فعندما مات فقد الناس رزقهم. أين الذين كان يأتينا ليلاً ولا نعرفه؟ الذي نقول نحن عنه: جابر عثرات الكرام، الذي يعطي ولا يريد أن يعرف بأنه هو المعطي، لأنه التزم حده وعرف نفسه بأنه عبد لله، لا تقل عن نفسك أنا الذي أعطي، ولا تقل عن نفسك أنا الذي أفرج الكروب وأغيث الملهوف، الحقيقة أن المعطي هو الله، وأنت واسطة، فلك الشرف أن استخدمك الله في إغاثة ملهوف، ولك الشرف بأن استخدمك الله عز وجل بتفريج كرب إنسان مسلم موحّد.

لذلك أيها الإخوة اعملوا لله، وكونوا حريصين ألا تُعرَفوا في المجتمع بأنكم تعملون، هذا إذا أردنا الأجر من عند الله عز وجل، وإذا كنا مستحضرين الموقف يوم القيامة، وعرصات يوم القيامة ما أدراك ما هي؟ والكربات يوم القيامة ما أدراك ما هي؟ عندما تدنو الشمس من الرؤوس بمقدار ميل، والناس يغوصون في عرقهم كل على حسب عمله، وفي أرض المحشر كم يتمنى العبد أن

يفرج الله كربه، أتريد أن يفرج الله كربك يوم القيامة؟ نعم، ففرج كربة إنسان مسلم في الحياة الدنيا، وغيِّب نفسك بعد القيام في هذا العمل لأنك تنظر إلى الله عز وجل.

ينبغي عليك أن تبحث عن الملهوف، فبالله عليك كيف لو أنه أتاك آت وطلب منك أن تفرج عنه وأن تغيثه؟ جاء رجل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني مجهود. وطبعاً أيها الإخوة قد يقول أحدنا: هناك من اتخذ المسألة صنعة له وسبباً للكسب، نعم أقول لك بحق هناك من اتخذ هذا صنعة له، ولكن إن وجدت أناساً اتخذوا المسألة صنعة لهم أيمنعك هذا من أن تبحث أنت عن المجهود، ابحث، وادخل بيوت الناس، وتقصَّ الحقائق، فإن كنت عاجزاً فهناك جمعيات خيرية أيها الأخ الكريم، قاموا بهذه المهمة، فتوجه إليهم، وإذا كنت تشك في هذه الجمعيات والقائمين عليها، أنا لا أقول عليك أن تلزم نفسك بهذه الجمعيات، فإن كان عندك شك فاذهب إلى هذه الجمعيات واطلب منهم أن يدلوك على تلك البيوت، وقم أنت بنفسك بالبحث عن المجهود، وعن صاحب الحاجة، فإذا ما اطمأن قلبك فقم بإغاثة هذا الملهوف. نعم غفر الله لهؤلاء الذين اتخذوا المسألة صنعة لهم لأنهم منعوا الخير في هذا المجتمع، وأقول: غفر الله لمن منع الخير لأنه كان يتعامل مع الخلق ولا يتعامل مع الله.

ابحث أنت عن المجهود، وتقصَّ أخباره، ما الذي يمنعك أن تتفرغ في كل يوم أن تبحث لمدة عشر دقائق أو ربع ساعة عن بيت أو بيتين لتتيقن أن هؤلاء من أصحاب الحاجة، أفضل من أن تجلس للنظر إلى المسلسلات على شاشة التلفاز.

جاء هذا الرجل في مجتمع الصدق، وقال: يا رسول الله إني مجهود، فماذا فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أرسل صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وسلم: (من يضيف هذا الليلة رحمه الله)؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأضيئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي

إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف، . وبات الرجل مع زوجته وصبيانه على الجوع .. فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) وفي رواية: ونزلت هذه الآية: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [رواه مسلم].

يا عبد الله، ما أنت قائل لربك وأنت تضيع أنفاس عمرك باللهو واللعب، وهي رأسمالك الذي ستسأل عنه يوم القيامة، اغتنموا الفرصة أيها الإخوة، أنفاسنا معدودة، في كل يوم نسمع مات فلان وماتت فلانة، وسليم مات ومريض مات، سنموت أيها الإخوة، فاغتنموا الفرصة، فهذا الشهر شهر المواساة.

أيها الإخوة: اعملوا لله، {وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً}، استغل نعمة المال والجاه، واستغل نعم الله عليك قبل أن تأتيك سكرات الموت، واعتبر من ذلك الرجل الذي أدركته سكرات الموت فقال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت.

أيها الإخوة: شهر رمضان شهر المواساة، وشهر المواساة يعني ينبغي عليك أن تتفقد أصحاب الحاجة وما أكثرهم في هذا المجتمع. أسأل الله أن يجعلني الله وإياكم من أهل المواساة ومن أهل الاستقامة، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتي

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، ها نحنُ نَعيشُ في العَشرِ الأوَّلِ من شَهرِ رَمضانَ المُبارَكِ، الذي أوَّلُهُ رَحمَةٌ، وأوسَطُهُ مَغفِرَةٌ، وآخِرُهُ عِتقٌ من النَّارِ، ومن الرَّحمَةَ اشتُقَّ اسمَينِ إلهِيَّينِ عَظيمَينِ، أَوَّلُهُما أعَمُّ وأشمَلُ من الآخَرِ ﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: الرَّحمَةُ هيَ عَمودُ الخَيرِ، والنَّاظِمُ الأخلاقِيُّ لِجُملَةِ الأخلاقِ البَشرِيَّةِ الحَميدَةِ، والقَيِّمَةُ التي لم يَزَل يُوصي ويَتَواصى بها المُصلِحونَ والمُخلِصونَ من رَادَةِ الحَضاراتِ على مَرِّ التَّاريخِ، وهيَ عَينُ ما حَثَّ الرَّحمنُ سُبحانَهُ وتعالى على التَّواصي بها في كلامِهِ القَديمِ مُنذُ الأزَلِ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَة * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَة﴾.

ولو نَظَرنا في كِتابِ الله عزَّ وجلَّ من أجلِ أن نَعرِفَ القَصدَ من إرسالِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَوَجَدنا أنَّ القَصدَ الأسمى من إرسالِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الرَّحمَةُ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾. وحقَّاً كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَينَ الرَّحمَةِ للعالمينَ، وهذا كانَ واضِحاً جَلِيَّاً من دَعوَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَولِيَّةِ، وأحوالِهِ السُّلوكِيَّةِ.

من أحاديثِهِ الشَّريفَةِ القَولِيَّةِ:

يا عبادَ الله، من أحاديثِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَولِيَّةِ التي تُجَسِّدُ الرَّحمَةَ التي جاءَ بها، ما رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ،

ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ».

أيُّها الإخوة الكرام: تَنَبَّهوا إلى قَولِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ» فإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَطلُبُ منَّا الرَّحمَةَ لأهلِ الأرضِ جميعاً، مُؤمِنِهم وكافِرِهم، بل حتَّى البهائِمَ والحَيواناتِ.

هل سَمِعتَ هذا يا أخي الكريم، يا من تَدَّعي الإسلامَ، يا من تُريدُ الاقتِداءَ بالسَّلَفِ الصَّالِحِ، إذا أرَدتَ الرَّحمَةَ من السَّماءِ فارحَم أهلَ الأرضِ.

تَحذيرُ الأمَّةِ من القَسوَةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد حَذَّرَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأمَّةَ . أمَّةَ الاستِجابَةِ، التي رَضِيَت بالله تعالى ربَّاً، وبِسَيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبيَّاً ورسولاً، باختِيارِها . من القَسوَةِ، وعَدَمِ الرَّحمَةِ، بعدَ أن عَرَفَتِ الأمَّةُ قَولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. اِسمَع يا أيُّها المؤمنُ بعدَ سَماعِ هذهِ الآيَةِ الكريمَةِ قَولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يُحَذِّرُ الأمَّةَ من الظُّلمِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ».

يا من أنتَ حَريصٌ على دُخولِ الجَنَّةِ، يا من أنتَ حَريصٌ أن تَكونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، اِمتَثِل أمرَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأطِعْهُ حتَّى تَدخُلَ الجَنَّةَ، روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟

أيُّها الإخوة الكرام: لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟ هل الرَّحمَةُ تَكونُ مَقصورَةً على من أحبَبْتَهُ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على من وافَقَكَ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على من وَقَفَ بِجانِبِكَ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على إخوانِكَ من أهلِ الإيمانِ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على زوجَتِكَ وأولادِكَ؟

لقد بَيَّنَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟

روى البيهقي عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لا يَدخُلُ الجنَّةَ مِنكُم إلا رَحيمٌ».

قالوا: يا رسولَ الله، كُلُّنا رَحيمٌ.

قال: «لَيسَ رَحمةَ أحَدِكُم نَفسَهُ وأهلَ بَيتِهِ، حتَّى يَرحَمَ النَّاسَ».

وفي رواية الحاكم عن أبي موسى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نَفسي بِيَدِهِ، لا تَدخُلُوا الجنَّةَ حتَّى تَراحَموا».

قالوا: يا رسولَ الله، كُلُّنا رَحيمٌ.

قال: «إنَّهُ لَيسَ بِرَحمَةِ أحَدِكُم، ولكن رَحمَةَ العَامَّةِ، رَحمَةَ العَامَّةِ».

أُطلُبِ الفَضلَ من أهلِ الرَّحمَةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: اِسمَعوا إلى تَوجيهِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للأُمَّةِ مِمَّن تَطلُبُ الفَضلَ، روى القضاعي عن أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقولُ اللهُ تعالى: أُطلُبوا الفَضلَ عِندَ الرُّحَماءِ من عِبادي تَعيشوا في أكنافِهِم، فإنَّ فيهِم رَحمَتي، ولا تَطلُبوها من القَاسِيَةِ قُلوبُهُم، فإنَّ فيهِم سَخَطي».

يا عبادَ الله، قولوا لقاسي القلبِ: فيكَ سَخَطُ الله وإن كُنتَ صائِماً مُصَلِّياً تالِياً للقُرآنِ العَظيمِ، حاجَّاً مُعتَمِراً، ماذا تَنفَعُكَ هذهِ العِباداتِ وأنتَ لا تَرحَم؟ ومن لا يَرحَم لا يُرحَم.

إن كُنتَ مُتَّبِعاً بِحَقٍّ كُنتَ رحيماً، لأنَّ المُتَّبِعَ للرَّحمَةِ المُهداةِ يَكونُ رحيماً بِعِبادِ الله جميعاً، ويَكونُ

له الحَظُّ الوافِرُ من قَولِهِ تعالى لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

قولوا لقاسي القلبِ مِمَّن يَدَّعي الاتِّبَاعَ: لا نَقولُ أينَ رَحمَتُكَ بِغَيرِ المؤمنينَ، ولكن نَقولُ: أينَ رَحمَتُكَ بِمَن يَنطِقُ بالشَّهادَتَينِ؟ أينَ رَحمَتُكَ بالأطفالِ الرُّضَّعِ؟ أينَ رَحمَتُكَ بالشُّيوخِ المَرضى؟ أينَ رَحمَتُكَ بالنِّساءِ؟

من أحوالِهِ السُّلوكِيَّةِ:

يا عبادَ الله، أمَّا أحوالُهُ السُّلوكِيَّةُ في خُلُقِ الرَّحمَةِ فَحَدِّث عنها ولا حَرَجَ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

وروى البيهقي عن ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: لَمَّا رَأَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ إِدْبَاراً قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعاً كَسَبْعِ يُوسُفَ»

فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ الله لَهُمْ.

فَدَعَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعاً، فَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ.

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا».

فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقِيَ النَّاسُ حَوْلَهُم.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يا عِبادَ الله، هذا شَهرُ رَمضانَ شَهرُ الرَّحمَةِ، ورَحمَةُ الله تعالى مَنوطَةٌ بِرَحمَةِ بَعضِنا لِبَعضٍ.

فأينَ رَحمَتُنا لِبَعضِنا البَعضِ؟ هلَّا سألتَ نَفسَكَ أيُّها التَّاجِرُ هل أنتَ من الرُّحَماءِ الذينَ يَعيشُ

النَّاسُ في أكنافِهِم؟ أم أنتَ من أصحابِ القُلوبِ القاسِيَةِ؟

فإن كُنتَ من الرُّحَماءِ فأنتَ المَرحومُ إن شاءَ اللهُ تعالى، وأمَّا إذا كُنتَ من أصحابِ القُلوبِ القاسِيَةِ فاعلَم بأنَّ سَخَطَ الله تعالى فيكَ.

يا أيُّها الإخوة الصَّائِمونَ: أينَ رَحمَةُ التُّجَّارِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الأطِبَّاءِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الصَّيادِلَةِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الأغنِياءِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ دُعاةِ الإصلاحِ في سَوادِ الأمَّةِ؟

لماذا أصبَحَ جُلُّ تَعامُلِكُم بالعُملَةِ الأجنَبِيَّةِ؟ هل هذا من خُلُقِ الرَّحمَةِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ أقواتِ العِبادِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ حليبِ الأطفالِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ الدَّواءِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟

هلَّا بِعتُم بَضائِعَكُمُ القَديمَةَ بِرَأسمالها القَديمِ مع الرِّبحِ اليَسيرِ حتَّى إذا اشتَريتُم بالسِّعرِ الجَديدِ بِعتُم بالسِّعرِ الجَديدِ؟

يا عبادَ الله، تَعَرَّفوا على خُلُقِ الرَّحمَةِ في شَخصِيَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وسَلوا اللهَ تعالى التَّوفيقَ للاقتِداءِ به، اللَّهُمَّ أكرِمنا بذلكَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

كيف نودع شهر رمضان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كيف نودِّع شهر رمضان؟

هذه هي الأيام الأخيرة من شهرِ رمضان، شهرِ القرآن، شهرِ الصيام والقيام، وطوبى لعبد استغل هذا الشهر بالصيام والقيام وكثرةِ تلاوة القرآن، وكثرةِ الصدقة، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، ونحن نودع هذا الشهر العظيم، ولا أدري أنودِّعه وداع حبيب لحبيب، أم وداع تخلّص من هذا الركن الذي أتعَبَنا بين صيام وقيام؟ هناك من يودِّع شهر رمضان وهو يبكي حزناً وأسفاً على هذا الشهر العظيم المبارك لأنه عرف قدره، ولأنه علم الحديث الشريف: (لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها) رواه ابن خزيمة وأبو يعلى والبيهقي. وهناك من يودِّع شهر رمضان فرحاً لأنه استراح من الصيام والقيام ومن صلاة الفجر في جماعة.

الاستغفار بعد أداء الطاعة:

وأنا أتوجّه اليوم إلى الإخوة الذين يبكون حزناً وأسفاً على شهر رمضان، الذين عرفوا قدر هذا الشهر العظيم، وعرفوا الحديث: (لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها)، الذين صاموا حقَّ الصيام، وقاموا حقَّ القيام، فأقول: يا أيها الصائم القائم المحتسب صيامه وقيامه عند الله عز وجل، هنيئاً لك صيامك وقيامك وإخلاصك، ولكن أقول لك: أكثر من الاستغفار في هذه الأيام المتبقية، لأن المُخلِص بحاجة إلى كثرة استغفار، لأن الله عز وجل

يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}. بعد أن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداء ما كُلِّف به من أداء الرسالة على أكمل وجه، وطبَّق قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} أحسَنَ تطبيق، فبلَّغ ما أُنزل إليه من ربه، وحان وقت الرحيل إلى الإله الذي قام بهذا العمل من أجله، فجاء الخطاب من الله لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ}، أمره بالتسبيح والاستغفار بعد أداء العبادة على أتمّ وجه مع الإتقان ظاهراً والإخلاص باطناً. تدبَّروا هذا أيها الإخوة.

وتدبَّروا كذلك قول الله عز وجل وهو يأمر الحُجّاج الذين وقفوا على أرض عرفة، . وبغروب الشمس في يوم عرفة تغرب الذنوب، فيخرج الإنسان من أرض عرفة ولا ذنب عليه .: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

وقال لنا جميعاً بعد أداء كل طاعة مهما كان نوعها مع إخلاصنا فيها، قال عز وجل: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى في وصف أولي الألباب: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الألْبَاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار}. بعد الإيمان {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}.

أيها الإخوة الصائمون القائمون المخلِصون، هل تنبَّهتم إلى أننا بحاجة إلى الاستغفار بعد أداء العبادة . على أتم وجه ظاهراً مع الإخلاص باطناً .، قد يقول أحدنا: نحن نعلم بأن الاستغفار لأهل العصيان وللشاردين عن منهج الله تعالى! فهل يحتاج الطائع إلى استغفار؟ نعم، لأننا ما عبدنا الله عز وجل حقَّ العبادة، وما عرفناه حقَّ المعرفة، ولأننا عاجزون عن أداء حقه تبارك وتعالى، وكيف

نشكره حق الشكر، وكيف نعبده حقَّ العبادة، والشعر والعبادة مِنَّةٌ من الله تعالى علينا يستحقُّ الشكر عليها؟! هذا أولاً.

ثانياً: لأن المعاصي على قسمين، معصية ظاهرة، ومعصية باطنة، وما بطن من الداء علاجُه أشدُّ من الذي ظهر، لذلك أنت أيها الصائم القائم التالي بحاجة إلى استغفار، لأن هذه الطاعات ربما ـ لا قدر الله ـ أن تورثك عزّاً واستكباراً، وإذا أورثتك عزاً واستكباراً حبِط عملك.

استغفاره صلى الله عليه وسلم:

لذلك روى الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ). قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

ويروي الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً). واستغفاره صلى الله عليه وسلم ليس كاستغفارنا، ويرحم الله السيدة رابعة العدوية التي كانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّمنا كيفية الاستغفار، يقول صلى الله عليه وسلم: (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري.

لذلك ينبغي علينا أن نستغفر الله تبارك وتعالى بعد العبادة، لأن هذه العبادة التي صدرت منّا نحو ربنا غير لائقة في حقه تعالى، قال فيها مولانا جل وعلا: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}.

الاستغفار من سمات الأنبياء والصالحين:

والاستغفار بعد الطاعة من سمات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن سمات الصحابة الكرام، قال ربنا عز وجل: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، الرسول يستغفر، والصالحون يستغفرون، والأنبياء يستغفرون، وما من نبي إلا وأمر أمته بالاستغفار.

وهذا حبيبنا صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نستغفر الله تبارك وتعالى في شهر الصيام بقوله صلى الله عليه وسلم: (واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه...) رواه ابن خزيمة.

أيها الصائم القائم أكثر من الاستغفار فيما بقي من هذا الشهر العظيم المبارك، وهذه شمس رمضان بدأت بالمغيب، فهل نكثر من الاستغفار يا أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا من أهل الطاعة؟ وإذا كان الاستغفار حتماً لازماً على أهل الاستقامة، فماذا يقول العصاة؟ وماذا يقول تارك الصلاة والصيام والزكاة والقيام والقرآن؟ لذلك أكثروا من الاستغفار وتذكَّروا قول الله عز وجل وهو يرشدنا إلى وقت الاستغفار: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

من فوائد الاستغفار:

والاستغفار ننتفع منه في الدنيا قبل الآخرة، يقول ربنا عز وجل: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

وأما في الآخرة فيقول ربنا عز وجل: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين}.

لذلك أيها الإخوة، لنكثر من الاستغفار لا أقول قبل أن تغرب شمس رمضان، بل قبل أن تغرب شمس عمرنا، ومن منا يدري متى ينتهي أجله؟ والله هو القائل: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}. اللهم تب علينا يا تواب، أقول هذا القول، وكل منا يستغفرالله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

كلمة العيد: ما هي مهمتك أيها المسلم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يسألَ نفسَهُ، ما هي مُهِمَّتُهُ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا؟ لا شكَّ بأنَّ الجوابَ يأتي مباشرةً: مُهِمَّتي العبادةُ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. والكثيرُ من النَّاسِ مَن حَصَرَ وقَصَرَ العبادةَ على أركانِ الإسلامِ الخمسةِ، على الشَّهادتينِ ثمَّ الصلاةِ ثمَّ الصِّيامِ ثمَّ الزَّكاةِ ثمَّ الحجِّ.

يا عباد الله، إنَّ هذهِ الأمورَ الخمسَةَ هي أركانُ الإسلامِ وليست هي الإسلامُ، الإسلامُ بُنِيَ على هذهِ الأركانِ الخمسةِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواهُ الإمام البخاري عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

مُهِمَّةُ المسلمِ الإصلاحُ:

يا عباد الله، إنَّ مُهِمَّةَ العبدِ المؤمنِ العبادةُ، ومن هذهِ العبادةِ الإصلاحُ، قال تعالى حكايةً على لسانِ سيِّدِنا شعيبٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾.

سَلْ نفسَكَ يا عبدَ الله، هل أنت مُصلِحٌ؟ هل ينطبقُ عليكَ اسمُ الإصلاحِ؟ هل أنتَ من عِدادِ المُصلحينَ؟ هل سيَذْكُرُكَ التاريخُ أنَّكَ كنتَ مُصلِحاً؟ هل أنتَ مكتوبٌ عندَ الله تعالى من المُصلِحينَ؟ هل أنتَ مُصلِحٌ وِفقَ المنهجِ الذي جاءَ بهِ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ كم وكم من أُناسٍ يظنُّ الواحِدُ منهم أنَّهُ مُصلِحٌ وهوَ في الحقيقةِ مُفسدٌ؟ لأنَّهُ ضلَّ عن نَهْجِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لا يَشْعُرُون﴾ .

يا عباد الله، يجبُ على كُلِّ واحدٍ منَّا أن يتأكَّدَ من أنَّهُ في قولِهِ مُصلِحٌ، وأن يتأكَّدَ من أنَّهُ في فِعلِهِ مُصلِحٌ، وأن يتأكَّدَ من أنَّهُ في نِيَّتِهِ مُصلِحٌ، وذلك بعرضِ قولِهِ وفِعلِهِ ونِيَّتِهِ على كتابِ الله عزَّ وجلَّ، وعلى سُنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وباستِحضارِ وُقوفِهِ بين يَدَيِ الله عزَّ وجلَّ، وباستِحضارِ قولِهِ تعالى: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين﴾.

مَحَلُّ الإصلاحُ:

يا عبادَ الله، سَلُوا أنفسَكُم ما هوَ محلُّ الإصلاحِ؟ وأينَ يكونُ الإصلاحُ؟ وحتى لا نُتعِبَ أنفُسَنَا بالبَحثِ عنِ الجوابِ، وحتى لا نَضِلَّ الطَّرِيقَ، علينا أن نَرجِعَ إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ يُبيِّنُ لنا مَحَلَّ الإصلاحِ، روى الإمامُ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي».

أولاً: إصلاحُ الدِّينِ:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ دينَنَا الذي هو عِصمةُ أمرِنا، وذلك بأمرَينِ اثنَينِ:

الأَوَّلُ: التَّوثيقُ، لا تُطلِقوا أحكامَ الحلالِ والحرامِ بدونِ عِلمٍ وبدونِ توثيقٍ، وتذكَّروا قولَ الله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾. إذا كنتم لا تعلمونَ فاسألوا أهلَ الذِّكرِ من أهلِ التَّوثيقِ، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

وتذكَّروا قبلَ إطلاقِ الأحكامِ الشرعيَّةِ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ» رواه الإمام البخاري عَنْ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثَّاني: التَّطبيقُ، لأنَّ العِلمَ الموثَّقَ بدونِ تطبيقٍ يكونُ حُجَّةً على العبدِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾. عِلمٌ مُوثَّقٌ بلا عَمَلٍ جنونٌ، وسَبَبٌ للطَّردِ واللَّعنِ. والعياذُ بالله تعالى. ، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾. وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين﴾.

يا عباد الله، صلاحُ الدِّينِ يكونُ بالتَّوثيقِ والتَّطبيقِ، فَتَوثيقٌ بلا تطبيقٍ حُجَّةٌ على العبدِ، وتطبيقٌ بلا توثيقٍ ضياعٌ ودمارٌ وفسادٌ، والنِّيَّةُ الصَّالحةُ لمن طبَّقَ بدونِ توثيقٍ لا تَشفعُ له عندَ الله تعالى، لأنَّ الحَقَّ لا يُنَصَّف، ولا يَنفَصِم، فلا بدَّ من التَّوثيقِ والتَّطبيقِ حتى يَصلُحَ دينُنَا.

ثانياً: إصلاحُ الدُّنيا :

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ دُنيانا التي فيها معاشُنا، ولن يكونُ صلاحُ الدُّنيا إلا بزرعِ الأمانِ والسَّلامِ، وكيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا التي فيها معاشُنا من دونِ أمنٍ وسلامٍ؟

يا عبادَ الله، لقد أَرشَدَنَا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى صلاحِ دُنَيَانا التي فيها معاشُنا، وذلكَ بزرعِ الأمنِ والسَّلامِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : «واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ»، قِيلَ: منْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ» رواه

الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وليس شرطاً أن يكونَ الجارُ مسلماً، لأنَّ الجارَ المسلمَ له حقَّانِ، والجارُ المسلمُ القريبُ له ثلاثةُ حقوقٍ، والجارُ غيرُ المسلم له حقٌّ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البيهقي في الشعب عن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «الجِيرَانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ. فَأَمَّا الجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ فَالجَارُ القَرِيبُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الجِوَارِ، وَحَقُّ القَرَابَةِ، وَحَقُّ الإِسْلامِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ: وَهُوَ الجَارُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الإِسلامِ، وَحَقُّ الجِوَارِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ هُوَ الجَارُ الكَافِرُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ».

كيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا إذا كانَ الجارُ المسلمُ لا يأمَنُ جارَهُ المسلمَ، وإذا كان المصلِّي لا يأمَنُ جارَهُ المصلِّي؟

كيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا التي فيها معاشُنا والكلُّ يُروِّعُ الكُلَّ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لا تُرَوِّعوا المسلمَ، فإنَّ رَوعَةَ المسلمِ ظُلمٌ عظيمٌ» رواه البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه. ويقولُ أيضاً: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً» رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ. و عَنْ عَبْدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَخَافَ مُؤْمِناً بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ عَلَى الله أَنْ لا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه الطبراني. وروي عن عبدِ الله بنِ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «من نَظَرَ إلى مُسلِمٍ نَظرَةً يُخِيفُهُ فيها بِغَيرِ حَقٍّ أَخافَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ» رواه الطبراني وأبو الشيخ كما في الترغيب والترهيب.

يا عباد الله، سَلوا أنفُسَكُم، هل أنتم تريدونَ إصلاحَ الدُّنيا؟ فإذا كانَ الجوابُ بالإيجابِ، فإنِّي أقولُ: لا يكونُ إصلاحُ الدُّنيا إلا بالأمنِ والسَّلامِ، واعلَموا بأنَّ الإسلامَ هوَ دينُ الأمانِ والسَّلامِ.

ثالثاً: صلاحُ الآخرةِ:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ آخِرَتَنا التي إليها مَعادُنا، وصلاحُ آخِرَتِنا لا يكونُ إلا بالنَّظرِ

الجادِّ لأن نكونَ من أهلِ الجنَّةِ، وإنَّ السَّبيلَ للوصولِ إليها هو طاعةُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائلِ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رواه الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وإلا فليحذرِ المُخالفُ لأمرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.

ومن جملةِ أوامرِهِ التَّحذيرُ من الحَسدِ والبغضاءِ، حيثُ يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه الإمام الترمذي عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عبادَ الله، لقد رَغَّبَنَا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بسلامَةِ الصَّدرِ من أجلِ صلاحِ آخِرَتِنا، فقالَ لسيِّدِنا أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لهُ: «يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، مُهِمَّتُنا العبادةُ، ومن العبادةِ بل من أجلِّ العباداتِ وأقدسِها الإصلاحُ، والإصلاحُ لا يكونُ إلا بِعرْضِ أقوالِنا وأفعالِنا ونِيَّاتِنا على كتابِ الله وسنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ، فإذا وافقَتْ نِيَّاتُنا وأقوالُنا وأفعالُنا كتابَ الله تعالى وسنَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فنحنُ صالِحونَ مُصلِحونَ بإذنِ الله تعالى، وإلا فنحنُ فاسِدونَ مُفسِدونَ من حيثُ نشعُرُ أولا نشعُرُ. اللَّهُمَّ اجعلنا صالحين مُصلِحينَ كما تُحبُّ وترضى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر: هذا اليوم يوم وفاء وإخاء

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، هذا اليَومُ هوَ من أَشرَفِ الأَيَّامِ، أَوجَبَ اللهُ تعالى فِيهِ الفِطْرَ، وحَرَّمَ الصِّيَامَ، كما أَوجَبَ الصِّيَامَ في شَهرِ رَمَضَانَ، وحَرَّمَ الفِطْرَ.

هذا اليَومُ هوَ يَومُ شُكْرٍ للهِ تعالى بأن وَفَّقَنَا لِصِيَامِ شَهرِ رَمَضَانَ ولِقِيَامِهِ، ونَرجُوهُ تعالى أن نَكُونَ مِمَّن أعتَقَهُم من النِّيرَانِ، فَيَومُ العِيدِ يَومُ شُكرٍ للهِ تعالى، لا يَومَ لَهوٍ وعِصيَانٍ للهِ تعالى.

فما هذا عَمَلُ الخَائِفِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَرَّ بَعضُ الصَّالِحِينَ على أُنَاسٍ يَلهُونَ ويَلعَبُونَ أَيَّامَ العِيدِ، فَقَالَ لَهُم: عَجَبَاً لَكُم! إنْ كَانَ اللهُ قد تَقَبَّلَ صِيَامَكُم، فما هذا عَمَلُ الشَّاكِرِينَ، وإنْ كَانَ لم يَتَقَبَّلْهُ مِنكُم، فما هذا عَمَلُ الخَائِفِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَمدُ للهِ الذي مَنَّ عَلَينَا بأن بَلَّغَنَا أَوَّلَ رَمَضَانَ وآخِرَهُ، ومَنَّ عَلَينَا بِصِيَامِهِ وقِيَامِهِ، فالفَضْلُ للهِ تعالى الذي شَرَحَ الصُّدُورَ للإسلامِ، وحَبَّبَ إلى القُلُوبِ الإيمَانَ، الفَضْلُ للهِ تعالى على من صَامَ وقَامَ، ورَحِمَ اللهُ تعالى من قَالَ: من تَمَامِ فَضْلِهِ عَلَيكَ، أنْ خَلَقَ فِيكَ ونَسَبَ إلَيكَ.

ثمَّ بَعدَ ذلكَ تَمَّمَ اللهُ تعالى الفَضْلَ على عِبَادِهِ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ بالفَوزِ بِرِضوَانِهِ، والنَّجَاةِ من نِيرَانِهِ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

هَنِيئَاً لمن رَبِحَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هَنِيئَاً لمن رَبِحَ رَمَضَانَ، وخَرَجَ مِنهُ بالطَّاعَةِ والغُفرَانِ، وجَبَرَ اللهُ مُصَابَ من خَسِرَ رَمَضَانَ، روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ».

فيا من خَرَجتَ من شَهرِ رَمَضَانَ، وكَانَ شَاهِدَاً لَكَ لا عَلَيكَ، كُنْ حَرِيصَاً على أن لا تَهدِمَ صَرحَاً بَنَيتَهُ، وكُنْ حَرِيصَاً على كَنزٍ عَظِيمٍ أن تُفَرِّطَ فِيهِ، فإذا ما سَوَّلَت لَكَ نَفسُكَ التَّفرِيطَ في جَنبِ اللهِ تعالى، ودَعَتْكَ إلى مَعصِيَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قُلْ لَهَا: إنَّ رَبَّ رَمَضَانَ هوَ رَبُّ الشُّهُورِ كُلِّهَا، فَكَيفَ أُطِيعُهُ في شَهرِ رَمَضَانَ وأَعصِيهِ في غَيرِهِ؟

قُلْ لَهَا: إنَّ الأُمُورَ بِخَوَاتِيمِهَا، فإنِّي أَخَافُ إن عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ، إنِّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على مَعصِيَةٍ، إنِّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على أَكْلِ أموالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ، إنِّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على فَاحِشَةٍ من الفَوَاحِشِ، إنِّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على كَبِيرَةٍ من الكَبَائِرِ.

قُلْ لَهَا: اِسمَعِي قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قُلْ لَهَا: اِسمَعِي قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾.

هذا اليَومُ يَومُ وَفَاءٍ وإخَاءٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ يَومَ الفِطْرِ بَعدَ أَدَاءِ رُكنٍ عَظِيمٍ من أَركَانِ هذا الدِّينِ هوَ يَومُ وَفَاءٍ، ويَومُ صِدْقٍ، ويَومُ إخَاءٍ، ويَومُ صَفَاءٍ، يَتَلاقَى النَّاسُ فِيهِ بِنُفُوسٍ طَيِّبَةٍ فِيما بَينَ بَعضِهِمُ البَعضِ، ويَومُ صَلاحِ ذاتِ البَينِ، ويَومُ صِلَةِ الأرحَامِ، ويَومُ الإحسَانِ إلى الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِسمَعُوا لِنِدَاءِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في هذا اليَومِ العَظِيمِ لَعَلَّكُم تَجِدُونَ حَيَاةً طَيِّبَةً في دُنيَاكُم، ويَجزِيَكُمُ اللهُ أَجرَكُم بأَحسَنِ ما كُنتُم تعمَلُونَ.

روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ».

واسمَعُوا قَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه الشيخان عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وقولوا بَعدَ السَّمعِ: سَمِعنَا وأَطَعنَا؛ ولا تَقُولُوا بِلِسَانِ الحَالِ: سَمِعنَا وعَصَينَا، ولا تُوصِدُوا الأَبوَابَ أَمَامَ ما قَدَّمتُمُوهُ من خَيرٍ في شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لِمَحَابِّكَ كُلِّهَا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

خطبة عيد الفطر ١٤٣٦هـ: هم القبول

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، هذا شَهْرُ رَمَضَانَ قد رَحَلَ عَنَّا ومَضَى مَعَ الرَّاحِلِينَ، ورَحِيلُهُ خَيْرُ شَاهِدٍ على أَنَّ اللهَ يَرِثُ الأَرْضَ ومَن عَلَيْهَا، وهوَ خَيْرُ الغَالِبِينَ.

مَضَى هذا الشَّهْرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ، وقَد أَحْسَنَ فِيهِ أُنَاسٌ وأَسَاءَ آخَرُونَ، مَضَى هذا الشَّهْرُ وهوَ شَاهِدٌ لَنَا أَو عَلَيْنَا، شَاهِدٌ لِمَنْ شَمَّرَ عَن سَاعِدِ جِدِّهِ فَصَامَهُ حَقَّ الصِّيَامِ، وقَامَهُ حَقَّ القِيَامِ، وشَاهِدٌ على المُقَصِّرِ الغَافِلِ المُعْرِضِ عَن اللهِ تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

هَمُّ القَبُولِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَهْلُ التَّقْوَى والصَّلاحِ الذينَ آمَنُوا باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ، يَحْمِلُونَ هَمَّ القَبُولِ بَعْدَ أَدَاءِ الطَّاعَاتِ والعِبَادَاتِ، لأَنَّ اللهَ تعالى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

روى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللهَ؟

قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يُخَافُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

ويَقُولُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامَاً مِنْكُم بالعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَنْ يِقَلَّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ.

ويَقُولُ فُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى يِقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

ويَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي عَمَلاً أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ يَكُونَ لِي مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً.

الثَّبَاتُ على الاسْتِقَامَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن اسْتَجَبْتُمْ لأَمْرِ اللهِ رَبِّكُم حِينَ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾. اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم في سَائِرِ الأَيَّامِ، قَالَ تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾.

يَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أَبَى قَوْمٌ المُدَاوَمَةَ، واللهِ مَا المُؤْمِنُ بالذي يَعْمَلُ شَهْرَاً أو شَهْرَيْنِ أو عَامَاً أو عَامَيْنِ، لا واللهِ مَا جُعِلَ لِعَمَلِ المُؤْمِنِ أَجَلٌ دُونَ المَوْتِ.

ويَقُولُ كَعْبٌ: مَن صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِذَا أَفْطَرَ من رَمَضَانَ لَمْ يَعْصِ اللهَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ ولا حِسَابٍ، وَمَن صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِذَا أَفْطَرَ عَصَى رَبَّهُ فَصِيَامُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُعَوَّلُ عَلَيْهِ هوَ الاسْتِقَامَةُ على الطَّاعَةِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يَا عِبَادَ اللهِ، المُؤْمِنُ الحَقُّ هوَ الذي يَسْتَمِرُّ في الطَّاعَةِ والمُدَاوَمَةِ على الخَيْرَاتِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، لأَنَّهُ مَا كَانَ يَعْبُدُ رَمَضَانَ، بَل كَانَ يَعْبُدُ رَبَّ رَمَضَانَ، ورَبُّ رَمَضَانَ هو رَبُّ الشُّهُورِ كُلِّهَا، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا بَالُنَا نَكُونُ في رَمَضَانَ خَاشِعِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ تَالِينَ للقُرْآنِ، وبَعْدَ رَمَضَانَ نَعُودُ فَنَنْغَمِسُ في مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى، ونَهْدِمُ كُلَّ مَا قَدَّمْنَاهُ في رَمَضَانَ، وَرَبُّنَا عزَّ وجلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

روى الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، عَرَفْتُمُ الخَيْرَ فَالْزَمُوهُ حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ عزَّ وجلَّ، روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ : «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟».

قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقّاً.

فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟».

فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا.

فَقَالَ: «يَا حَارِثُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلاثاً.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ. آمين.

خطبة الجمعة: ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ من شُكْرِ العَبْدِ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ بَعْدَ أَنْ وَفَّقَهُ للصِّيَامِ والقِيَامِ أَنْ يَسْتَمِرَّ على طَاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ في حَيَاتِهِ كُلِّهَا، ومن عَلامَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةُ بَعْدَهَا، وإِنَّ من كُفْرِ النِّعْمَةِ، وعَلامَةِ رَدِّ العَمَلِ، العَوْدَةُ إلى المَعَاصِي بَعْدَ رَمَضَانَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

فلا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَهْدِمَ مَا بَنَيْنَا من الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ في شَهْرِ رَمَضَانَ، ولا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُضَيِّعَ أَعْمَالاً صَالِحَةً قَدَّمْنَاهَا للهِ تعالى في شَهْرِ رَمَضَانَ.

ماذا بَعْدَ رَمَضَانَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، ماذا بَعْدَ رَمَضَانَ؟ ماذا عن آثَارِ الصِّيَامِ في نُفُوسِنَا؟ لِنَنْظُرْ في حَالِنَا، ولْنَتَأَمَّلْ في وَاقِعِ نُفُوسِنَا وأُمَّتِنَا، ونُقَارِنْ بَيْنَ وَضْعِنَا أَفْرَادَاً ومُجْتَمَعَاتٍ في شَهْرِ رَمَضَانَ، وحَالِنَا بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ.

هَلْ مَلأَتِ التَّقْوَى قُلُوبَنَا حَتَّى نَفُوزَ بالنَّجَاةِ من نَارِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمَاً مَقْضِيَّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيَّاً﴾. هَلْ سَنَسْمَعُ المُنَادِي يَقُولُ لَنَا عِنْدَ وُرُودِنَا النَّارَ بِبَرَكَةِ التَّقْوَى: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي؟ رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنْ يَعْلِي بن مُنْيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَتَأَمَّلْ في أَنْفُسِنَا وَوَاقِعِنَا، هَلْ صَلَحَتْ أَعْمَالُنَا وأَقْوَالُنَا، وتَحَسَّنَتْ أَخْلاقُنَا، وهَلْ اسْتَقَامَ سُلُوكُنَا؟ وهَلْ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُنَا؟ وهَلْ زَالَتِ الضَّغَائِنُ والأَحْقَادُ والحَسَدُ من نُفُوسَنَا؟ هَلْ تَلاشَتِ المُنْكَرَاتُ عن مُجْتَمَعِنَا؟

أَمَا آنَ أَنْ تَنْتَهِيَ الحَرْبُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُنَا لِذِكْرِ اللهِ ومَا نَزَلَ من الحَقِّ؟ أَمَا آنَ أَنْ نَسْمَعَ قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وقَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»؟ رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ لهذهِ الحَرْبُ أَنْ تَضَعَ أَوْزَارَهَا؟ أَمَا آنَ أَنْ تَنْتَهِيَ هذهِ التَّحْرِيشَاتُ بَيْنَ أَفْرَادَ الأُمَّةِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، اِتَّقُوا اللهَ في وَطَنِكُم، واتَّقُوا اللهَ في الضُّعَفَاءِ والمَسَاكِينِ والأَرَامِلِ واليَتَامَى والفُقَرَاءِ والمُحْتَاجِينَ.

خاتِمَةٌ . نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ .:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ للأُمَّةِ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ الجَزَاءَ من جِنْسِ العَمَلِ، وأَنَّ مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ، اِرْحَمُوا شَبَابَكُم فَقَد ضَاعُوا، وارْحَمُوا الطُّلَّابَ فَقَد ضَاعَتْ دِرَاسَاتُهُم، وارْحَمُوا رِجَالَكُم ونِسَاءَكُمُ الذينَ وَصَلُوا إلى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ ويُرِيدُونَ أَبْنَاءَهُم أَنْ يَكُونُوا بِجَانِبِهِم، وارْحَمُوا أَهْلَ الفَقْرِ الذينَ لا يُرِيدُونَ إلا لُقْمَةَ الحَلالِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من عَلامَةِ قَبُولِ الصِّيَامِ أَنْ تَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا بالتَّقْوَى، وأَهْلُ التَّقْوَى هُم أَهْلُ الصَّلاحِ والإِصْلاحِ، هُمُ الذينَ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من أَلْسِنَتِهِم وأَيْدِيهِم.

اللَّهُمَّ امْلأْ قُلُوبَنَا إِيمَاناً وتَقْوَى. آمين.

** ** **

خطبة عيد الفطر: (إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ) ـ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: هَا قَدْ رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ عَنَّا، وَكَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على جَمِيعِ النَّاسِ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الفَائِزِينَ وَالخَاسِرِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الطَّائِعِينَ وَالعَاصِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الفَائِزِينَ الطَّائِعِينَ، لِأَنَّهُمْ فقَدُوا أَيَّامَاً اخْتَصَّهَا اللهُ تعالى بِخَصَائِصَ لَمْ تَكُنْ في غَيْرِهَا، فَقَدُوا أَيَّامَاً مُمْتِعَةً، وَلَيَالِيَ عَامِرَةً، فَقَدُوا النَّهَارَ الذي كَابَدُوهُ بِالصِّيَامِ وَالصَّدَقَاتِ، وَفَقَدُوا اللَّيْلَ الذي كَابَدُوهُ بِالقِيَامِ وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالمُنَاجَاةِ.

كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الفَائِزِينَ الطَّائِعِينَ، لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا العَوْنَ مِنَ اللهِ تعالى لَهُمْ في هَذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ، حَيْثُ صُفِّدَتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، وَغُلِّقَتْ فِيهِ أَبْوَابُ النِّيرَانِ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجِنَانِ.

كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الفَائِزِينَ الطَّائِعِينَ، لِأَنَّهُمْ فقَدُوا شَهْرَ الرَّحَمَاتِ، شَهْرُ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، شَهْرُ إِقَالَةِ العَثَرَاتِ، فَقَدُوا شَهْرَ الدُّعَاءِ الذي كَانَ فِيهِ مُسْتَجَابَاً وَمَسْمُوعَاً.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَكَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الخَاسِرِينَ العَاصِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ حُرِمُوا خَيْرَاتِ هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، فَرَّطُوا فِيهِ وَكَانُوا مِنَ الخَاسِرِينَ، أُمِرُوا بِالصِّيَامِ فَلَمْ يَصُومُوا، وَأُمِرُوا بِالقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، كَانَ نَهَارُهُمْ ظُلْمَةً في المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ؛ وَلَيْلُهُمْ وَيْلٌ وَثُبُورٌ عَلَيْهِمْ حَيْثُ الهُمُومُ وَالأَحْزَانُ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الخَاسِرِينَ العَاصِينَ، لِأَنَّهُمْ فَرَّطُوا فِيهِ،

وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِذَاكَ النِّدَاءِ: «يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَلَّتْ عَلَيْهِمُ الخَيْبَةُ وَالخُسْرَانُ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خَاوِيَةً مِنَ التَّقْوَى فَهِيَ خَرَابٌ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ، كَانَ رَحِيلُ شَهْرِ رَمَضَانَ عَنْهُمْ مُرّاً، لِأَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِمْ بِالخُسْرَانِ، فَأَصْبَحَ لَهُمْ خَصْمَاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَا وَيْلَ مَنْ كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ خَصْمَاً لَهُ، فَكَيْفَ يَرْجُو شَفَاعَتَهُ؟

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنِ اغْتَرَّ بِحِلْمِ اللهِ تعالى عَلَيْهِ، وَلِمَنْ يَقُولُ: رَبُّنَا غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَاتِنَا؛ قُولُوا لَهُ: نَعَمْ رَبُّنَا حَلِيمٌ، وَغَفُورٌ وَرَحِيمٌ، وَلَكِنْ هَلْ نَسِيتُمْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؟

وَهَلْ نَسِيتُمْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾؟

وَهَلْ نَسِيتُمُ الحَدِيثَ الشَّرِيفَ الذي رواه الحاكم عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «احْضَرُوا الْمِنْبَرَ».

فَحَضَرْنَا فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ».

فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئَاً مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ؟

قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفَرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ؛ فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ قُلْتُ: آمِينَ؛ فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ»؟

خَاتِمَةٌ. نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَفَازَ فِيهِ مَنْ فَازَ، وَخَسِرَ فِيهِ مَنْ خَسِرَ، لَقَدْ فَازَ مَنِ انْدَرَجَ تَحْتَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنْ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، نَادَى مُنَادٍ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ».

وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ نِعْمَةَ القُرْبِ مِنَ اللهِ تعالى، وَنِعْمَةَ يَوْمِ الجَائِزَةِ، وَلَكِنْ مِنْ تَمَامِ فَضْلِ اللهِ تعالى أَنَّهُ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُغْلِقْهُ مَا دَامَتِ الرُّوحُ مُسْتَقِرَّةً في الجَسَدِ، وَلَمْ تَقَعْ في الغَرْغَرَةِ، فَيَا مَنْ شَعَرْتَ بِمَرَارَةِ رَحِيلِ هَذَا الشَّهْرِ، وَكُنْتَ فِيهِ مِنَ الخَاسِرِينَ، فَرَبُّكَ يُنَادِيكَ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فَلَا تَكُنْ عَنِيداً، وَلَا تَكُنْ مَغْرُوراً، فَاللهُ تعالى يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ.

يَا رَبُّ فَرِّجْ عَنَّا جَمِيعاً مَا أَهَمَّنَا وَأَغَمَّنَا وَكَرَبَنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**

خطبة عيد الفطر لعام ١٤٣١هـ: الناس فريقان

١٨٣– خطبة عيد الفطر لعام ١٤٣١هـ: الناس فريقان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد انقضى شهر رمضان، وطُويَت صحائف الأعمال فيه، ورُفِعت إلى الله تعالى، انقضى هذا الشهر العظيم وهو شاهد لبعض العباد وشاهد على بعضهم الآخر.

شهر رمضان العظيم المبارك الذي انقضى انقسم فيه الناس إلى قسمين:

القسم الأول: هم الذين عظَّموا هذه الشعيرة المعلومة من الدين بالضرورة، عظَّموها حقَّ التعظيم، لأنهم سمعوا قول الله عز وجل: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}.

عظَّموا هذه الشعيرة بلسان الحال والمقال عندما سمعوا قول الله عز وجل وهو يناديهم بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. فقالوا لهذا النداء: لبيك اللهم لبيك، فصاموا وقاموا امتثالاً لأمر الله تعالى الذي شرح صدورهم للإسلام، كما قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ}. امتثلوا أمر الله تعالى لأنهم سمعوا منادي الإيمان ينادي للإيمان فآمنوا، كما قال تعالى عنهم: {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار}.

آمنوا بالله تعالى أولاً، واستجابوا لأمر الله عز وجل ثانياً، وقالوا للأوامر والنواهي: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير}. هؤلاء صاموا حقَّ الصيام، وقاموا حقَّ القيام.

القسم الثاني: أما القسم الثاني . نسأل الله تعالى لنا ولهم العفو والعافية . فهؤلاء الذين كانت صدورهم ضيقة حرجة عندما جاءهم أمر الله تعالى بالصيام، هؤلاء أضلوا أنفسهم فجعل الله تعالى صدورهم ضيقة حرجة، كما قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}.

هؤلاء قالوا بلسان الحال والمقال: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}. هؤلاء الذين استحبوا العمى على الهدى كما قال تعالى عن أمثالهم: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}.

هؤلاء نظروا إلى هذه الشعيرة نظرة ازدراء واستخفاف فأفطروا شهر رمضان جهاراً نهاراً من غير عذر ولا رخصة شرعية، واستخفوا بهذه الشعيرة والعياذ بالله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب الفريقين بقوله: (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به) رواه الحاكم عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

تذكر يا أخي الكريم هذه الحقيقة، إن كنت من الفريق الأول أو الثاني (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه). ولكن تذكَّر الحقيقة التالية: (واعمل ما شئت فإنك مجزي به)، تذكَّرْ قول الله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}.

فلكلٍّ من الفريقين جاء الخطاب من الله تعالى ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورتَّب ربنا عز وجل لمعظِّم الشعائر وعداً، وللمستخفّ بالشعائر وعيداً والعياذ بالله تعالى.

الوعد لمن عظَّم شعائر الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: لقد رتَّب الله تعالى لمن عظَّم شعائره وعداً لا يُخلف، فيا من وُفِّقتَ للصيام والقيام قل: اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، لك الحمد يا من وفَّقتنا لذلك ورتَّبت لنا على ذلك أجراً عظيماً.

عباد الله: اسمعوا بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمن عظَّم شعائر الله تعالى، وخاصة عبادة الصوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرحة الأولى:

أيها الإخوة الكرام: الفرحة الأولى للصائم في دار الفناء، الفرحة الأولى عندما يفطر كلَّ يوم على رزق الله، حيث كان ينجح في كل يوم من أيام رمضان، والفرحة الكبرى في الحياة الدنيا تكون له في يوم العيد، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عَنْ سَعِيدِ بن أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ).

فرحة ما بعدها فرحة بتنزُّل الملائكة لهؤلاء الصائمين القائمين بالبشارة بمغفرة الله عز وجل لهم وبالهداية والرشد، فرحة كبرى عندما شاهدوا فضل الله عليهم حيث وفقهم للصيام مع طول النهار وشدة الحر، هؤلاء فرحتهم عظمى بفضل الله عز وجل عليهم، كما قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}.

الفرحة الثانية: أما الفرحة الثانية فهي دار البقاء، حيث لا يعقب هذه الفرحة حزن ولا كدر ببشارة الملائكة الكرام: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون}.

هؤلاء فرحتهم الثانية عند لقاء الله عز وجل، حيث أعدَّ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى في وعده لهم: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}. وقال: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ

آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

ما أجمل هذا الوعد {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}. صبرتم على الصيام والقيام طال النهار أم قصر، اشتدَّ الحر أو خفَّ، صبرتم على القيام طال الليل أم قَصُر.

وعدٌ من الله تعالى لهذا الفريق، حيث يجمع الله تعالى بينهم وبين أصولهم وفروعهم وأزواجهم، اللهمَّ اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

الفرحة الثانية في دار البقاء لمن عظَّم شعائر الله تعالى، حيث وعدهم الله تعالى بالحسنى وزيادة، كما قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}. وقال العلماء: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

هذا وعد الله تعالى الذي لا يُخلَف، لعباده الذين قالوا: {فَآمَنَّا}. للذين قالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}. للذين عظموا شعائر الله تعالى.

فهنيئاً لك أخي الصائم فرحتك الأولى في دار الفناء، وأسأل الله تعالى أن يتمِّم الفرحة الثانية لك عند لقاء الله تعالى، وعندما تنادي في أرض المحشر عندما تأخذ كتابك بيمينك: (هاؤم اقرؤوا كتابيه)، كما قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه}.

الوعيد لمن استخفَّ بشعائر الله تعالى:

يا عباد الله، أما الفريق الثاني فهم الذين استخفوا بشعائر الله ولم يقيموا لها وزناً، وكانوا يسخرون من الفريق الأول الذين عظَّموا شعائر الله تعالى، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَء لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

حسرته الأولى في دار الفناء:

هذا الفريق الثاني يعيش في تناقض مع ذاته، انظروا إلى هذا الفريق في أيام العيد، هو يشارك الصائمين القائمين فرحتهم في أيام العيد، لبس الجديد، وأكل الحلوى وأطايب الطعام، وهو يظنُّ أنه يشارك الآخرين بهجتهم أيام العيد، وأنا أقسم بالله العظيم بأن هذا الفريق الثاني يشارك الآخرين بهجتهم في أيام العيد صورة وشكلاً، أما ضمناً فهو يتمزَّق داخله إن بقيت فيه بقيَّة إيمان، حيث يتشبَّه هو بأهل السعادة شكلاً دون الحقيقة، يتمزَّق داخله لأنه كان محروماً طاعةَ ربه عز وجل، لأنه يرى أن فرحةَ الفريق الأول حقيقيةٌ وليست صوريةً وهمية، وهذه هي حسرته الأولى في الحياة الفانية.

حسرته في دار البقاء:

أما حسرته في دار البقاء فهي الحسرة التي ما بعدها حسرة، وتبدأ هذه الحسرة عند سكرات الموت حيث يسأل الله تعالى الرجعة ليعمل العمل الصالح الذي كان يعمله الفريق الأول، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

حسرته في أرض المحشر:

أما حسرته في أرض المحشر فنتصوَّرها من خلال قول الله عز وجل: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد}. حسرة ما بعدها حسرة، وخاصة عندما يرى الفريق الأول يخاطبهم ربنا عز وجل بقوله: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}. حسرته في أرض المحشر عندما ينكِّس رأسه ويسأل الرجعة، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}.

حسرته في أرض المحشر عندما يتمنَّى أن يكون اتَّخذ مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلاً، كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}. وكما قال جلَّت قدرته: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا}.

حسرته في أرض المحشر حيث يتمنَّى أن يفتدي نفسه من عذاب يوم القيامة بكلِّ ما يملك، وبكلِّ من يتَّصل بهم في حياته الدنيا، كما قال تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه * كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى}.

حسرته في أرض المحشر عندما يأخذ كتابه بشماله، كما قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه}.

حسرته وهو في النار والعياذ بالله تعالى:

أما حسرته وهو في نار جهنم والعياذ بالله تعالى فيقول الله تعالى عنهم: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}. ويقول تبارك وتعالى مخبراً عن قولهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون}.

حسرتهم وهم في نار جهنم عندما يسألون مالكاً أن يقضي عليهم ربهم فيموتوا، قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُون * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُون * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِين * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون}. حسرة ما بعدها حسرة لهذا الفريق الثاني الذي لا يعقل.

باب التوبة مفتوح ولله الحمد:

أيها الإخوة الكرام: نقول لهؤلاء الذين أجرموا، نقول لهؤلاء الفريق الثاني: باب التوبة مفتوح، ولن يُغلق بابُه حتى يقع العبد في الغرغرة، أو تطلع الشمس من مغربها، تعالوا واصطلحوا مع الله تعالى حتى لا تقعوا في الحسرة التي ما بعدها حسرة.

لا تقولوا لقد انقضى شهر رمضان بسماته، حيث صُفِّدت الشياطين وفتحت أبواب الجنان، لا تقولوا هذا الكلام، فإن خرج شهرُ رمضان فإن الله تعالى حيٌّ باقٍ، وهو ينادي خلقه بقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

يا من قلت: سمعت وعصيت، تُبْ إلى الله تعالى قبل أن تقع روحك في الغرغرة، إن صدقت في توبتك فالله تعالى يقبلك، تُبْ إلى الله تعالى واقض الأيام التي أفطرتها، وكفِّر عن ذلك بصيام شهرين متتابعين، وأبشر بتوبة الله عز وجل عليك، واحذر العناد فإنَّ عواقبه وخيمة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

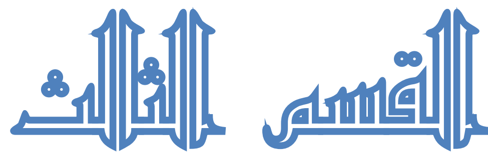
أيها الإخوة الكرام، أقول أخيراً: كونوا ربَّانيِّين لا رمضانيِّين، كونوا ممن أقبل على الله تعالى وعاهده على الاستقامة حتى نهاية الأجل، كما قال تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}.

قيل لبشر الحافي: إن قوماً يتعبَّدون ويجتهدون في رمضان، فقال: بئس القوم قوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبَّد ويجتهد السنة كلها.

بئس العبد الذي يكون رمضانياً فحسب، بحيث يرجع بعد رمضان إلى ما كان عليه قبل رمضان من مخالفات شرعية، العبد الحق هو الذي يقول: ربي الله، ثم يستقيم حتى يأتيه الموت، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}.

اللهم ثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأكرمنا بالاستقامة حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



خطب الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني

مرحبا بشهر الهدى

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب

اختصر الله سبحانه وتعالى مضمونات هذا الشهر وعرّفنا به حين قال:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]

وتلاحظون أنه سبحانه وتعالى كرّر وهو يصف شهر رمضان لفظَ الهدى، ففي شهر رمضان هدايتان: الأولى قرآنية، والثانية فرقانية.

فقوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ} هي الهداية القرآنية.

وقوله: {وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} هي الهداية الفرقانية.

أما الهداية الأولى القرآنية التي ننتظرها ونحن في بدايات هذا الشهر المبارك، ونُقبل فيه على الله تبارك وتعالى بالصيام، ونقف بين يديه ونحن نتدبّر آياته ونسمع كلامه في القيام، فهي هداية قلوب.

وأما الهداية الثانية فإنها هداية سلوك.

فيستفيد الإنسان من الهداية القرآنية صلاح قلبه وصفاءه، ومن الهداية الفرقانية تقويم سلوكه.

وفي الهداية القرآنية التي ننتظر حصولها جميعًا في قلوبنا يُقْبِل العَبْد على ربه تائبًا، وكيف لا وفي هذا الموطن الخيّر يُنادى: يا باغي الشر أَقْصِر، ويا باغي الخير أَقْبِل؟! فيا من يريد الخير هذا موسم الخيرات، ويا من يريد الشرّ ما هذا بموسمٍ للشرّ، فأَقْصِر من إرادتك وسلوكك إلى الشرّ.

ومن الهداية القرآنية:

١- التوبة: التي يشعر بها العبد بالندم على ما فات، ويُقبل على ربّه وهو يقول: يا ربّ طهّر قلبي، وزكِّ نفسي، فقد فرطتُ فيما مضى من حياتي..

ومن يدري منا، هل هذا الشهر هو آخر شهر رمضان في عمره، أم أنه سوف يأتيه شهر رمضان آخر..؟

فهذه موائد الجود الربانية قد فُتحت، وهذه يد العطاء قد بُسطت.

فالتوبة هي أول شيء يستفيده القلب في موسم الهداية القرآنية، فيُقبل قلبه على الله سبحانه وتعالى نادمًا مُنكسِرًا ذليلاً، ويقول: يا ربّ اغفر لي ما فات فقد جئتك تائبًا.

٢- توجيه المقصد إلى الله تبارك وتعالى:

فإن من الهداية القرآنية أن يجد إرادة قلبه متوجّهة إلى الله تبارك وتعالى.

وأنت حين تسأل بعض الناس: لماذا تعيش؟

يقول لك: من أجل أن أطعم أولادي، ومن أجل أن أتاجر، ومن أجل أن أصنع...

وما هذا بمقصود، بل المقصود أن توجه قلبك إلى الله، فالله سبحانه حينما خَلَق الخَلْق تكفَّل بأرزاقهم، وأمرنا أن نأخذ بالأسباب سَترًا للقدرة، فهو سبحانه وحده المُطعِم، وهو سبحانه وحده الرزاق، لكننا أُمرنا أن نعمل لأنه سبحانه وتعالى ستر قدرته بحكمته حتى نأخذ بالأسباب.

وهو سبحانه وتعالى جعل الكون كله مُسخَّرًا لك، فالشمس مُسخَّرة لك، والقمر مُسخَّر لك، والأرض مُسخَّرة لك، ونباتها مُسخَّرٌ لك، وأنهارها مُسخَّرةٌ لك، وهواؤها مُسخَّرٌ لك، والتوازن الذي خلقه في الكون كله مُسخَّر لك... فهل هذا من أجل جمال صورتك أيها الإنسان؟ وهل هذا من أجل طولك وعرضك؟

أم من أجل أن تكون مسخَّرًا لله سبحانه وتعالى وحده؟

فقد سخَّر الكونَ كلَّه لك، من أجل أن تكون مُسخَّرًا له، ولتقف بين يديه لتقول: وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين.

ورحم الله واحدًا من الدعاة حين قال: "نحن نحبّ الدِّين، ونحبّ الدنيا من أجل الدِّين" أي: كلّ حياتنا (في صلاتنا وفي أعمالنا) نحضر في قلوبنا المقصودَ أنها جميعًا لله ومن أجل إرضاء الله.

٣- الثبات والصبر: لأن هذا الشهر وَصَفَه سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه شهر الصبر.

فأنت تصبر في وقت الحرّ على الظمأ، وعلى الجوع، وعلى غض البصر، وعلى حفظ الفرج...

ففي رمضان أنت تتعلم الصبر، فإذا خرجت من مدرسة رمضان خرجت وأنت مُتعلِّم ومُتخرِّج من مدرسة الصبر، فتتعلم كيف تصبر على طاعات الله فيما بقي من عمرك وتتعلّم كيف تصبر عن المعاصي، فنفسك تتوق إلى المعاصي، لكنك تقول لها: اصبري قليلاً، فما هي إلا مدة وجيزة ثم تنتقلين عن هذه الدار.

وقلت البارحة في كلمة التوجيه في هذا المسجد في صلاة التراويح: نقف لنستمع في صلاة التراويح إلى جزء من القرآن، وربما تتعب أقدامنا، وربما نشكو من ألم في ظهورنا، ولكن هذا الصبر مدة ساعة من الزمن يشعر فيه الإنسان بلذة لأنه يتألم من أجل الله، ويقول لرجليه إذا تعبتا: هذا في سبيل الله.

إن أنتِ إلا أُصبعٌ دَميتِ وفي سبيل الله ما لَقيتِ

فإذا كنتِ تتعبين في سبيل الدنيا، وإذا كنت تتعبين في سبيل مقاصدك ورغائبك... فلماذا لا تتعبين ساعة واحدة في سبيل الله تتلذذين فيها بمناجاة الله؟!

أنت تقفين بين يديه في الصلاة وهو مقبلٌ عليك وتقولين له: الحمد لله رب العالمين، فيقول: حمدني عبدي، وتقولين: الرحمن الرحيم، فيقول: أثنى عليّ عبدي، وتقولين: مالك يوم الدين، فيقول: مجّدني عبدي..

وهكذا تستمر المناجاة وأنت بين يدي الله تبارك وتعالى.

فماذا يضيركَ أن تتعب رجليك؟!

وفي هذه المدينة (مع الأسف الشديد) من يقضي صلاةً اسمُها صلاة التراويح، وما صورتها بصورة صلاة، وليس فيها اطمئنان ركوع، وليس فيها خشوع.. إنما هو في وهمه شيء على كتفه يريد أن ينزله من عليه.

لا.. إنها فرصة للالتذاذ والسرور والسعادة في حضرة الله تبارك وتعالى.

وهذا كله من الهداية القرآنية، فمن الهداية القرآنية تكون التوبة في هذا الشهر، ومن الهداية القرآنية يكون توجه المقصود إلى الله، ومن الهداية يكون الصبر.

٤- التراحم: فهذا الشهر أوله رحمة، وإذا رحمنا الله سبحانه وتعالى في أول الشهر ألا ينعكس هذا على قلوبنا لنرحم الناس؟

التراحم بيننا ينبغي أن نعيشه في الأسواق وفي المعاملات، لا أن نغتنم الفرصة لنرفع الأسعار..

هذه فرصة من أجل أن نشعر بالجائع والفقير والمحتاج..

هذه فرصة من أجل أن نشعر بأهل الحاجة..

فإذا عَامَل بعضنا البعض أَرْخَصنا الأسعار، لا من أجل المصلحة، ولا من أجل تسويق بضائعنا في شهر رمضان، إنما من أجل أنه شهر التراحم، فيرحم بعضنا بعضًا.

إنه شهر التراحم الذي يرحم فيه الكبارُ الصغارَ، ويرحم فيه الموسرون المعسرين، ويرحم فيه الأغنياءُ الشبابَ الذين يطلبون عفة الفرج..

ولقد وُجِّهت إليّ رسائلُ كثيرة من الشباب يستغيثون فيها ويقولون:

أَمَا آنَ لهذه المدينة العصماء الشهباء أن تتنبّه إلى خطورة غلاء المهور، وإلى خطورة الشروط الشديدة التي تُوضع على الشاب إذا أراد الزواج إحصانًا لفرجه، فإذا أراد الحرام فهو ميسر له من غير شروط، لكنه إذا أراد أن يكون محصنًا بالحلال فتوضع عليه الأغلال والقيود.

وما هذا بسلوك ينبعث عن تراحم، فلو أن الواحد منا شعر بأخيه لما كانت هذه الظواهر.

وهذه أمثلة على الهداية القرآنية التي يمكن لنا أن نجنيها من هذا الشهر.

أما الهداية الفرقانية ففيها يستقيم السلوك:

فقد كنتَ تذهب بقدميك إلى أماكن الفجور، فصرت تذهب بهما إلى المساجد..

وكنت تحرّك يديك بالحرام، فصرت لا تحركها إلا بما يرضي الله..

وكنت تنظر بعينك إلى الحرام، فصرت لا تنظر إلا إلى ما يرضي ربك..

وكنت تسمع المحرّم من غيبة ونميمة، فصرت بعد ذلك لا تسمع إلا ما يرضي ربك...

إذًا: استقامة السلوك تحصل عندما يتغير السلوك بالهداية الفرقانية، وحين ندرب أنفسنا على أن نكون موافقين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وباختصار: الهداية الفرقانية أن تكون مقتديًا بإمام الفرقان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الشهر كان يوم الفرقان الذي هو يوم بدر الغزوة الكبرى التي بها أعزّ الله الإسلام وأهله.

ولا يمكن لنا أن ننتصر في عالمنا الإسلامي، ولا أن يكون لنا مقاعد في مجلس الأمن، ولا أن يكون لنا صوتٌ إعلاميٌّ عالميّ... إلا إذا كنا في الفرقان.

فما كان يوم الفرقان يوم بدر إلا حينما كان سلوك أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سلوكًا فرقانيًّا، فالسلوك الفرقانيّ يقود إلى يوم الفرقان، وحينما ينتفي من حياتنا السلوك الفرقانيّ عند ذلك لا نحلم بيوم فرقان، ونبقى بين الأمم أذلاء ضعفاء، لا قيمة لنا ولا صوت، ولا يُؤبَه لنا، وتتداعى علينا الأكلة كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

فإلى هداية رمضان، فها هي يَدُ الجود ممدودة، فلنغتنمْها.

وكما قلت: لا ندري، أَنَمُرُّ بموسم آخر، أم أن أرواحنا تُقبض قبل أن يأتي الموسم الآخر؟!

رُدّنا اللهم إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

شهر رمضان في بعض دلالاته

بارك الله لكم أيها الأخوة الأحبة في هذا الشهر الأغر وأسأله تعالى أن يجعلنا فيه من المقبولين.

ويدخل حبيباً على قلوبنا ذلك الغائب المنتظر الذي تشتاق القلوب إليه كل عام، تنتظر أن تُغسل فيه بالثلج والماء والبرد، وأن تنقى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. تشتاق الأرواح إليه في لياليه التي تحلو فيها المناجاة ، وتسكب فيها العبرات..

نشتاق إلى هذا الغائب أيها الأحبة، وهو الذي مع إطلالته الرحمة، وفي أوسطه المغفرة، وعند رحيله العتق من النار.وقال ربنا تبارك وتعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)البقرة:١٨٥

فكانت الهداية الأولى: هداية الأرواح إلى الله، وكانت الهداية الثانية:هداية الاستقامة على التقوى.

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ) والقرآن يهدي الأرواح إلى الله.

(وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) والفرقان يسوق السلوك إلى الاستقامة.

وما أحلى أن تتصل الأرواح بحضرة حُبها وحِبها، وما أحلى أن يتغير الإنسان من السلوك الفاسد إلى السلوك الذي يحبه الله تعالى ويرتضيه.

شهر رمضان :

أما الشهر يا إخوتي فإنه القمر كما يقول علماء اللغة ، سمي بذلك لشهرته وظهوره ، ثم سمي العدد المعروف شهراً لأنه يشهر بالقمر ، وفيه علامة ابتداءه وانتهاءه .. ولا غبار يا إخوتي حينما تختار الأمة دخول الشهر بحسابها، فالبعض اليوم يثيرون قضية دخول الشهر بالحساب الفلكي أو الرؤية ، ولقد نص أكثر من محقق من علمائنا رضي الله تعالى عنهم، منهم السُبكي ، أن الحساب الفلكي حينما يصبح يقيناً يقدم على الرؤية الظنية ..

فلتجتمع الأمة على شيء ، وما أحلى أن تجتمع الأمة.

فما معنى رمضان أيها الأحبة ؟

ما دلالة الكلمة التي من خلالها نستطيع أن نأخذ معلماً لسلوكنا في هذا الشهر المبارك؟

رمضان في دلالة لفظته يعطي أربعة من المعاني:

١ – فإذا قيل رَمِضَ الصائم معناه: اشتدت الحرارة فيه، عطش وصار جوفه ملتهباً.

الدلالة الأولى الحرارة.

٢ – والدلالة الثانية: الانتظار، فالترميض : الانتظار.

٣ – والدلالة الثالثة : الرقة، فالعرب يستعملون الرمض ، فرمض السكين : ترقيقها .

٤ – أما الدلالة الرابعة فهي: الحدة، وكل حاد عند العرب رميض.

هذه دلالات اللغة، وبين المعاني والألفاظ يكون السلوك .

أولاً – من الحرارة يؤخذ في هذا الشهر :

أ – حرارة المجاهدة ، فقد قال سبحانه وتعالى:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)العنكبوت:٦٩

حينما يجاهد الإنسان نفسه ، فيكون ذلك شديداً عليه ..

وهذا موسم المجاهدة يا إخوتي .. حينما تطلب النفس شيئاً فيعيش الصائم حرارة المجاهدة معها .. تطلب النفس منه ما كانت تطلبه قبل شهر رمضان لكنه يقول لها: بدأ موسم المجاهدة ولا خيار لك إلا أن تكوني من أصحاب الطاعة لله سبحانه وتعالى والموافقة له.

وفي هذا المعنى قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) صحيح البخاري

فليست المجاهدة يا إخوتي في أن نجوع ونعطش وحسب ، لا...

فشهر رمضان رياضة للنفس ، وإذا لم نخرج منه بأخلاق جديدة .. وإذا لم نخرج منه بترويض وتشذيب وتأديب وتهذيب فكأنما لم ندخل في هذا الشهر ولم نخرج منه ..

الرياضة والترويض التي نعيش فيها حرارة المجاهدة حين تطلب النفس الزور وأنت تسوقها إلى الحق .. حين تطلب العمل بالباطل وأنت تسوقها إلى الحق.

وقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (الصيام جنة)

يعني حصن حصين يحصن النفس لأنه موافقة لله سبحانه وتعالى وخصومة مع كل ما يغضبه.

(الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل إني صائم – مرتين – والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)

وهكذا يدخل الإنسان في هذا الموسم في امتحان.

كنا في المواسم الماضية نرى في الأسواق خصاماً .. ونرى في الأسواق غضباً وانفعالاً ، ليس هذا من شأن الصيام، ليس هذا من شأن الطائع في موسم شهر رمضان ..

يقترب المغرب فتشتد الخصومات ، ويزدحم السير فتزداد الانفعالات ، ما هذا شأن الصائم يا إخوتي ..

الصائم وطَّن نفسه على العبودية ، ووطَّن نفسه على مخالفة نفسه فيما يغضب الله وفيما لا يرضاه ..

فلنتعلم في هذا الشهر الحلم ، ولنتعلم فيه الصبر، ولنتعلم السماحة، ولنتعلم الجود ، ولنتعلم الكرم، ولنتعلم العفو، اعف عمن ظلمك، صل من قطعك، هذا هو الامتحان والاختبار ..

في أول يوم من أيام هذا الشهر المبارك فلنهيء أنفسنا حتى نكون فيه أصحاب الخُلق، وعندها نستفيد من حرارة المجاهدة.

ب – ومن الحرارة ومعانيها : حرارة الجهاد.

والله سبحانه وتعالى الذي قال:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) قال سبحانه وتعالى:

(وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ)الأنفال: ٤١

فسمى الله سبحانه وتعالى يوم بدر الذي كان مطلع جهاد الأمة ، وكان فرقانها الذي به أصبحت صاحبة السيادة في العالم، سماه يوم الفرقان ..

والعجيب يا إخوتي أننا بدأنا نحدث العالم ونقول له : إن اختلاط الشعوب يجعلنا أصحاب السلام العالمي الذي ندعو فيه إلى الإسلام بالحجة والبرهان ..

ونقول لهم: إن ربنا قال لنا: وادخلوا في السلم كافة ..

لكن غيرنا يأبى إلا أن يطغى في بلادنا .. يأبى إلا أن يكون مع عنصريته .. يأبى إلا أن يكون مع نحلته ..

هذه تركيا قالت للعالم نحن مسالمون .. ونحن في العالم مظهر للأسلوب الجديد المعاصر، لكن ماذا قال الغرب لها؟

قال: لا ولا ولا لانضمامك في ساحاتنا فأنت دولة مسلمة.

تقول تركيا لهم : أما ترون الإباحية ؟ أما ترون مجلات العهر ؟ أما ترون في كل صحيفة عرياً ؟ أما ترون أننا لا نجرّم الزنا مع أن الله سبحانه وتعالى جرمه ؟

ويقول الغرب لها: لا لا لا تفكري ، نحن على استعداد على أن نعاملك عن بعد ، أنت الدولة العثمانية ..

تقول لهم : لم يبق من الدولة العثمانية شيء ، حولتُ المساجد إلى متاحف ، فماذا تريدون؟

يقولون: لا، لا نقبلك لأن أبناءك أبناء الإسلام.

ندعوا إلى التعايش وندعوا إلى المساواة الإنسانية، وندعو إلى التساوي بين المسلم وبين غير المسلم في السلوك والمعاملة، ونقول لهم: إن الإسلام عالمي، ونحن فوق كل صراعات الإنسانية لأن ربنا سبحانه وتعالى جعلنا رحمة للعالمين ولأن محمدنا رحمة للعالمين ..

لكن فرنسا يطمئنها قادتها، ويقولون لها: لا تخافوا، لن ندخل تركيا في الاتحاد الأوربي.

يا سبحان الله...

وعلى صعيد آخر تدمر طائراتهم بيوتنا .. ماذا صنعت الفلوجة حتى تنهمر القذائف عليها .. وحتى يخونها أبناء جلدتها .. يقولون لها : إنكم تحملون في قلوبكم .. في نفوس أطفالكم .. في ذرياتكم تحملون نَفَس المقاومة .. يراد لنا الاستسلام ، يراد لنا أن نكون في أعتاب الغير لا نملك سلاحاً، ولا نملك علماً ، ولا نملك ثقافة ولا نملك هوية، ولا نملك خلقاً...

حرارة الجهاد التي تبنى على الجيوش القوية التي بوجودها يرتدع أعداء الله، فيعلمون أن للإسلام حماة ..

أين جيوش الإسلام ؟

جيوش الإسلام بوجودها يرتدع أعداء الله عن مثل هذا ، كل يوم يذبح العشرات في غزة ورفح وجنين، ويقتل العشرات في الفلوجة والرمادي وغيرها، ولكن لا حياة لمن تنادي في العالم

(الله الله في من ليس له إلا الله)

حصل إيذاؤنا عندما أهملت هذه الأمة مفهوم الجهاد وخافت من الإعداد الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه:

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) الأنفال: ٦٠ .

إن إعداد الجيوش وتماسكها رادع حتى وإن لم تتحرك تلك الجيوش ، فقد كانت أمتنا في الماضي أيام خلافة خلفائها لا يجرؤ أحد على المساس بثغورها، واليوم انتُهكنا .. أصبحنا منتهكين في كل بقعة من عالمنا الإسلامي ..

وفي رمضان كان يوم الفرقان ، كانت حرارة الجهاد التي بها كانت القلوب تشتاق إلى الجنة ويطعن الصحابي فيقول: " فزت ورب الكعبة" .

ج – ومن الحرارة حرارة المحبة :

فالناس صنفان صنف في حرارة المجاهدة وصنف في حرارة المحبة ، صنف يحترقون لأنهم يخالفون نفوسهم، وصنف يحترقون لأن الشوق إلى مولاهم أحرق قلوبهم ، هذا صنف تستطيع أن تأخذ معناه من الصيام حين تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي)

يا أيها الصائمون انتبهوا إلى ما يقول ربنا ، لي ، إنه في معنى (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) المائدة: ٥٤

إنه له، وإذا كان له فأنت لا تفعل ما تفعله من التخلق إلا حباً، إلا من أجل الذي تعامله، أنت في صيامك لا تعامل الخلق ولكنك تعامل الله ..

وحين كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يفطر كان يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ويقول في ساعة إفطاره بعد صيامه: (اللهم لك صمت) لم أصم لجسدي ، والذين يتحدثون عن الصيام على أنه مفيد للجسد يتحدثون عن حكمة من تشريع ربنا لكن هذا ليس من مقاصدنا ، فنحن نصوم لله لا نصوم لأجسادنا لا.. ولا نصوم للفقير، نحن نصوم لله ..

ورسول الله كان يقول: (اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت)

وقال صلى لله عليه وسلم: (قال ربكم عز وجل عبدي ترك شهوته وطعامه وشرابه ابتغاء مرضاتي)

تلك هي الدلالة الأولى من رمضان: الحرارة .

ثانياً – أما الدلالة الثانية يا أحباب محمد صلى الله عليه وسلم ونحن في موسم الخير والبركة ، فهي الانتظار: فالترميض في اللغة الانتظار.

وكم تنتظر القلوب المحبة خصوصية هذا الموسم وبركته كل عام ..

هذا الموسم العظيم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين)

هذا الموسم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، وكم هي ذنوبنا كثيرة يا أيها الأحبة.

وفي سنن ابن ماجة، قال صلى الله عليه وسلم وقد ذكر شهر رمضان (شهر كتب الله عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)

أنت في حج إذا صليت الصبح في جماعة وجلست تذكر الله أو تستمع إلى علم حتى تطلع عليك الشمس ثم صليت ركعتين كان لك أجر حجة وعمرة تامة تامة تامة ..

فأكثر في هذا الموسم من هذا الحج والعمرة، هو موسم خير لا تفوته ، وقد قال الزهري رحمة الله عليه تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره.

ثالثاً – الدلالة الثالثة الرقة: فرمْض السكين ترقيقها بدقها.

ومنها رقة النفس وصفاؤها ..

قال صلى الله عليه وسلم كما أخرج البزار والبغوي وغيرهما:

(صوم شهر الصبر يعني شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر) يعني حقده وغيظه، فلا يبقى في الصدر من الحقد شيء ، لا تترك في قلبك حقداً ..

إذا كنت تريد أن تكون ممن استفاد من شهر رمضان إياك أن تترك في صدرك حقداً ، كن من أهل الجنة الذين قال الله فيهم :

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا) الحجر: ٤٧.

لا تترك في صدرك غلاً ولا حقداً ، والذين اساؤوا إليك سامحهم، (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم)، كان يهب عرضه ، يقول يا رب وهبت لك عرضي، سامحت من وقع في عرضي ..

وهكذا يرتقي الصائم ، وهكذا تصفو النفس ، وهكذا يخرج الصائم عن شحها ليصبح أجود الناس، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ، وسئل صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال صدقة في رمضان لأنها صدقة تخرج مع صفاء النفس .

رابعاً – الدلالة الرابعة من لفظة رمضان: الحدة :

والحدة الصلابة في الدين ، والورع ، وهي من ثمرات شهر رمضان وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم كما أخرج الطبراني وأبو يعلى والديلمي وغيرهم: (الحدة تعتري خيار أمتي)، وورد في حديث أخرجه ابن عدي في الكامل (الحدة تعتري حملة القرآن) ..

والحدة والصلابة في الدين مطلوب أمرها في هذا الشهر بل هي مقصوده لأنه سبحانه قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة: ١٨٣ .

فمقصود الشهر حدتك في الدين ، والتقوى والورع .

هل ستتركون اللهو ؟. هل ستحولون السمر والسهر إلى طاعة أم أننا على ما نحن عليه نتأسى بالخيم الرمضانية الماجنة الفاسدة التي يقضيها أصحابها في طعام وشراب ولهو غناء، بيتك ماذا تصنع فيه في الليل، هل أنت كما أنت؟ أم تغيرت ليلتك وهي ليلة فيها عتقاء لله من النار، في كل ليلة من شهر رمضان أخبر رسول الله أن فيها عتقاء لله يعتقهم ، أين أنت وهو يعتق الناس ؟ سوق الخير فتحت فأين أنت ؟

أسماء العتقاء تعلن وأنت في ليلة لهو ؟

هل ترتضي أن تعلن أسماء العتقاء كل ليلة واسمك ليس فيهم لأنك مشغول باللهو ولأنك مشغول بالمعصية ، ولأنك مشغول بكلام الغيبة بالنميمة ؟ لا...

زوروا بعضكم بعضاً وتدارسوا في العلم تدارسوا في الأخلاق ، وتدارسوا في الطاعات ، اقرؤوا القرآن ، تدارسوا في القرآن، تدارسوا كتاب الله، اجعلوه شهر قربات ولا تجعلوه شهر مخالفات، إذا لم نتغير في هذا الشهر يصيبنا دعاء رسول الله وجبريل لأنه قال:

(تعس من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له)، دعا جبريل وأمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ..

الذي لا يغفر له سيناله ذلك الدعاء .

وإذا أراد الإنسان أن يتعرف إلى نتيجة صيامه وقيامه هل غفر لي ؟ وهل دخلت في العتقاء ؟ هل توجد علامة لذلك ؟.

نعم توجد علامة : إذا رأيت بعد القيام والصيام نفسك متوجهة إلى لله كارهة للمعاصي محبة للطاعات فقد غفر لك ، هذه هي العلامة، انظر في باطنك فإذا كنت تألف معصية ثم رأيت في باطنك نفرة منها فقد غفر لك لأن اله سبحانه وتعالى قال:

(فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء) الأنعام: ١٢٥ .

فإذا وجدت قلبك ينقبض عند ذكر الطاعات إذاً لم يغفر لك ، وإذا وجدت قلبك ينشرح عند ذكر القربات .. عند ذكر الدعاء .. عند ذكر المناجاة ...فاستبشر .

شتان بين من يدخل المسجد لصلاة التراويح وهو ينظر في الساعة متى سأخرج من المسجد ، لقد أطال الإمام كأنه محبوس ، وبين من يدخل إلى المسجد مستمتعاً متلذذاً يحلو له القيام كما يحلو له الصيام، هذا من أهل شهر رمضان وذاك من أهل طقوسه لأنه ربما أنبه ضميره إذا لم يذهب إلى صلاة التراويح .

فإذا دخلت إلى المسجد ووجدت أنك في سعادة ، دخلت إلى حضرة النور، ودخلت إلى بيت الله واستمعت إلى كلام الله، ووقفت تدمع العين .. تخشع .. تخضع .. تركع .. نعم ...، عندها فلتستبشر أنك ممن غفر له وأعتق من النار.

اللهم لا تحرمنا بركات هذا الموسم ، اللهم اجعلنا من عتقائك في هذا الشهر العظيم يا رب العالمين واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أقول هذا القول وأستغفر الله

القرآن المنزَّل و النبي المنزَّل عليه

ما نزال في الزمان الذي خصه الله سبحانه وتعالى بتنزل القرآن ، فقد قال سبحانه جل من قائل :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) البقرة : ١٨٥

وقال سبحانه:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الدخان: ٣

وقال:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١

لكنني أحببت ونحن في هذا الزمان المبارك الذي توجهت فيه القلوب إلى القرآن، أن أنبه إلى قضية دقيقة ربما لا يتنبه إليها الكثيرون ..

فهذا القرآن العظيم نزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل من صدره الشريف إمداد ونور حتى صار آياتٍ بيناتٍ في صدور الذين أوتوا العلم ..

فما استمدت صدور الذين أوتوا العلم إلا من القلب الذي نزل عليه القرآن ، وهو قلب النبي العدنان صلى الله عليه وسلم ، وشتان بين من يتلقى القرآن من الأوراق التي خُطت وبين من يستمد صدرُه من ذلك الإشراق الذي ملأ العالم في قلب ذلك النبي العظيم.

فالناس صنفان: صنف يقرؤون القرآن وهم يستمدون ما وصل إلى أذهانهم وعقولهم من الأوراق ، وصنف آخر التحق بصنف العشاق، فقرأ القرآن فكان بينه وبين كلام الله القديم قلب ذلك النبي العظيم.

قال الله سبحانه وتعالى منبهاً أهل الألباب:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ محمد: ٢

لم يقل في هذه الآية وآمنوا بالقرآن ولكنه قال ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ في سورة في القرآن اسمها سورة محمد حتى تتنبه القلوب التي غفلت وهي تقرأ القرآن عن محمد إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ محمد: ٢

وقال مخاطباً ذلك النبي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا) الإنسان:٢٣

وقرنت الآيات الكريمات بين المنزَّل والمنزَّلِ عليه ؛ في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: (قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) المائدة: ١٥

والتفسير عند العلماء قد جاءكم من الله محمد وكتاب مبين ، نقل ذلك عن غير واحد من المحققين منهم الإمام الكبير الثوري ، فكان النور في هذه الآية سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وجاء مذكوراً معه الكتاب ..

وفي آية أخرى كان النور القرآن وذكره صريحاً مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:

(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) التغابن:٨

فكان النور في هذه الآية القرآن، فقد نزل النور على النور، وقال سبحانه:

(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ): الأعراف ١٥٧

(أُنزِلَ مَعَهُ) فهما نوران مقترنان لا تفترق تلك المعية ولا تنفك.

(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الأعراف: ١٥٧.

ثم بين الله سبحانه وتعالى حكمة تنزيل القرآن فقال سبحانه:

بسم الله الرحمن الرحيم: (الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ابراهيم: ١

والخطاب متوجه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكان النور مع النور، وكانت الإضافة إلى النور الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت النسبة في الإخراج من الظلمات إلى النور متوجهة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفسر ذلك الإخراج بأنه إخراج من ظلمات الجهالة إلى أنوار المعرفة بالتبيين النبوي، فلابد حتى يصل القرآن إلى صدورنا من أنوار التبيين النبوي المحمدي فقد قال سبحانه:

(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) النحل: ٦٤

وقال سبحانه:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)النحل: ٤٤

بعد هذا يصرح القرآن بموقفين اثنين:

أما الموقف الأول: فهو موقف أهل الكفر الذين صرحوا وأعلنوا عداوتهم للإسلام.

والموقف الآخر: موقف أهل النفاق الذين أعلنوا الإسلام بظواهرهم لكن بواطنهم كمن فيها النفاق.

أما الذين صرحوا بالكفر وأعلنوه فإنهم رفضوا القرآن ورفضوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن المنافقين لم يكن رفضهم في الحال وفي السلوك إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال سبحانه وتعالى وهو يصف موقف الكافرين:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

– يعني من عبادة الأصنام ومن تبني الشرك ومن إعلان الكفر بالله –

أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) المائدة: ١٠٤

وقال سبحانه:

(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) الأنعام: ٧.

لو أنهم رأوا ذلك الرسول وهو يحمل ذلك الكتاب المتنزل من السماء إليهم، فإنهم سيعلنون الرفض بكل جرأة ووقاحة ويصفون ذلك الكتاب ومن حمله بالسحر.

بعد هذا ننتقل إلى الموقف الآخر الذي نخشى أن يكون بعضنا من أهله :

قال سبحانه:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) النساء: ٦١.

انتبهوا يا إخوة.

ما قال يصدون عن القرآن...

إنهم يقرؤون القرآن...

وربما يكون القرآن شعاراً لهم ، وربما يكون القرآن مما يكثرون من تلاوته، وقراءته، والإعلان عنه ، لكنهم يصدون عنك يا محمد يا حبيب الله يا رسوله.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) النساء: ٦١

وجاءت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته بما فيها من أحداث لتؤكد هذه الحقيقة.

ففي صحيح البخاري يروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

(بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية(بقطعة من الذهب) فقسمها صلى الله عليه وسلم بين أربعة

– أي وصلت غنيمة من الغنائم، فلم يوزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله إلا على أربعة .. هنا يظهر النفاق .. هنا يأتي المتنطعون الذين يريدون أن يجعلوا أنفسهم أوصياء على

رسول الله صاحب التشريع .. على الذي يفهم القرآن ويبينه ويفهِّمه .. على النور الذي يضيئ للعقول والقلوب–

فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين ناتئ الجبين، كثُّ اللحية،، محلوق الرأس)

في رواية أخرى للبخاري صُرِّح باسمه وهو ذو الخويصرة وأنه رجل من بني تميم، فقال يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: (اتق الله يا محمد)

إنه يعظ رسول الله، إنه يريد أن يُرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرآن، وهو لا يتنبه أن هذا القرآن لم يخرج إلا عن هذا القلب الأشرف.

قال: اتق الله يا محمد

فقال صلى الله عليه وسلم: (من يطع الله إذا عصيت؟).

الطاعة تخرج من هذا القلب الأنور...

العبودية مظهرها هذا النموذج الأكمل...

الامتثال لا يكون أعلى ولا أسمى ولا أسنى منه في ذلك المظهر النبوي الكريم...

يا ويح الذين يخطِّئون رسول الله.

يا ويح الذين يقولون إنه يجتهد والله يقول:

(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)النجم:٣-٤

الله هو الذي يقول:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)الحاقة: ٤٤-٤٥

إنهم جهلوا من هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(قال: من يطع الله إذا عصيت؟. أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني).

أنا مستأمن على أهل الأرض، ألا أكون أميناً في قسم أقسمه بأمر الله.

فلما ولى ذلك الرجل قال صلى الله عليه وسلم:

(إن من ضئضئ هذا ، أو في عقب هذا).

يعني من أولاده، أو ممن يأتي بعده في الأزمنة.

(قوماً يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم ،

– أي محل القرآن حناجرهم–

يمرقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)

الذي يشرك بالله ويضع والأحجار والأوثان يقولون عنه هذا في ذمتنا، ويكفِّرون أبناء الإسلام، يقبلون غير المسلم، ويصفون المسلم بالشرك وبالكفر.

في الرواية الثانية للبخاري في هذه الحادثة، قال:

(يارسول الله اعدل، فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل

قال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، وفي رواية قالها خالد ..

فقال: دعه، فإن له أصحاباً

–يعني سيوجد من أقرانه كثير–

فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم

– صلاة طويلة، يقرأ فيها القرآن–

– يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية).

انقطعت الصلة بينهم وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف يتنور قلب لا يستمد النور من النور المحمدي...

مهما صلى ومهما صام ومهما قرأ القرآن، إن لم يكن كالميت بين يدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...

إن لمن يكن مستسلماً...

إن لم يكن عاشقاً...

إن لم يكن فانياً...

إن لم يكن مستهلكاً مستغرقاً في الحب لذلك النور الذي من خلاله وصل إلينا القرآن...

وأكثر من هذا يا إخوتي..

ينقل الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(إن أكثر منافقي أمتي قرَّاؤها.)

ألا يدعونا هذا أن نبكي على أنفسنا أيها الأخوة!!؟

ألا يدعونا هذا أن نسأل قلوبنا ونحن نقرأ القرآن: هل تلقيت أيتها القلوب هذا القرآن من قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى ينتفي عنك النفاق!؟

(أكثر منافقي أمتي قراؤها)

وفي حديث أخرجه البيهقي في الشعب ، قال صلى الله عليه وسلم:

(عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة).

قال المناوي في شرح الحديث : (وهم من لازم قراءته تدبراً وعملاً لا من قرأه وهو يلعنه).

أولئك الذين يرتقون في الجنان بعدد آي القرآن ليسوا من قرأت حناجرهم القرآن، لا...

إنهم من لازم قراءته تدبراً ..

من يفهمه من خلال قلب أعظم من فهَّمه الله ..

يفهم القرآن من خلال ذلك القلب الذي فهِم وفهَّم ..

من لازم قراء ته تدبراً وعملاً، وكيف يعمل بالقرآن إن لم يُنظر إلى ذلك الأنموذج الأول الذي عمل بالقرآن.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب: ٢١

هم من لازم قراءته تدبراً وعملاً، لا من قرأه وهو يلعنه.

إن القضية تدعونا إلى مراجعة الحساب، فما أكثر القرَّاء في شهر رمضان، وما أكثر من غفل قلبه في هذا الشهر عن صاحب القلب الذي نزل عليه القرآن؟.

فلنسأل أنفسنا: حين ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هل فاضت من أعيننا دمعة، عبرت عن الحب والعشق، وما يعرف العشق إلا من عشق ذلك البدر الأكمل؟.

هذا هو الامتحان، انظر إلى قلبك .. قلبك بكى من محبة ولدك، قلبك بكى من لحظة حزن أو فرح، فهل بكت عينك حين خفق قلبك من حب سيدنا محمد؟

والحبيب صلى الله عليه وسلم ينفي الإيمان عن الإنسان حتى يكون حبه صلى الله عليه وسلم مستغرقاً قلب ذلك الإنسان ، يفوق كل حب في الخلق ..

حتى يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم فوق حبه للناس، وفوق حبه لنفسه.

لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يصير من أهل الحب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿قل كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾التوبة: ٢٤

اللهم استهلك قلوبنا في محبة حبيبك صلى الله عليه وسلم واجعلنا ممن يتلقى القرآن عن ذلك القلب الأنور قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واجعل عشقه وهواه مالئاً بواطننا ، ومالكاً أرواحنا ، وآسراً أسرارنا ، إنك يا مولانا نعم المسؤول.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول واستغفر الله

العبودية بين يدي القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

ما نزال في موسم الخير والبركة والعطاء واستمطار الرحمة والمغفرة ورجاء العتق من النار، هذا الموسم الخيّر الذي خيرُه بالقرآن وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبفيوضات الكرم الرباني التي تستغرق القلوب المتوجهة إلى الله ..

موسمُ تنزّل القرآن الذي قال الهل سبحانه وتعالى فيه:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) البقرة: ١٨٥ .

ولئن كنا في الأسبوع الماضي وقفنا مع معنىً من المعاني التي تتنبه إليها الألباب وهي خصوصية تنزل القرآن على قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم وملاحظة سر ذلك التنزل ، لكننا في هذا الأسبوع سنقرأ هذه الآية ملاحظين أن استمرارية التنزلات القرآنية ودوامها ...

فكلام الله جل شأنه هو هُو أزلاً وأبداً وأسرار تنزلاته باقية ولها ظهوراتها ..

إنما السؤال يا إخوتي متى تكون قلوبنا مستحقة أن تكون محلاً لظهور أسرار تلك التنزلات؟.

القلب الأشرف قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تنزل القرآن عليه بأنواره وأسراره لأنه كان القلبَ الأطهر القلب المهيأ ..

والسؤال متى تكون قلوبنا نحن مستحقة أن تكون محلاً لظهور أنوار تلك التنزلات وأسرارها؟.

ولابد لنا من أن نرجع إلى سر هذا القرآن العظيم فقد قال الله سبحانه وتعالى فيه:

(تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الواقعة: ٨٠.

فالمنزِّل لهذا القرآن ربٌّ .. ولا يمكن في حال من الأحوال أن تظهر أسرار التنزلات من ذلك الرب العظيم سبحانه إلا حينما يكون القلب الذي يتنزل عليه ذلك النور قلبَ عبد ..

لا يمكن أن يتنزل سر كلام الرب إلا على قلب عبد ..

إذا لم يتحقق القلب بالعبودية لن تظهر أنوار تلك التنزلات ولا أسرارها فيه .

وهكذا دل القرآن على جهالة المشركين حينما قالوا:

(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)الزخرف: ٣١.

إنه سوء الفهم فكيف يتنزل الكلام العظيم على من يكون وصفه العظمة .

تلك هي جهالة ما بعدها جهالة، فتنزلات كلام الرب لا تكون إلا على وصف عبد، ولا تكون على وصف عظيم ..

فكلام العظيم محل تنزله وظهور سره قلب عبد.

وقرر ربنا تبارك وتعالى ببيان صريح وصف القلب الذي نزل عليه ذلك القرآن حين قال سبحانه:

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان: ١.

وقال:

(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) الكهف: ١

وقال:

(وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) البقرة: ٢٣

وقال سبحانه وتعالى مخاطباً حبيبه والخطاب عام يتضمن المخاطبة لنا:

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الزمر: ٢

(فاعبد) : هذا هو سر الاستحقاق، فالذي يتحقق بالعبدية ويظهر فيه وصف العبودية يكون أهلاً لظهور تلك الأسرار والأنوار القرآنية ..

إذا قرأنا القرآن الكريم وأكثرنا من تلاوته في هذا الشهر المبارك لكن لم يكن في قلوبنا ذلك التحقق بالعبدية، إذا إذا كانت قراءتنا بحناجرنا وبألسنتنا دون أن يكون فينا الذل والانكسار الذي هو وصف العبودية بين يدي مولانا الجبار سبحانه وتعالى ..

إذا قرأت القرآن فأنت بين يدي خطاب ملك الملوك سبحانه وتعالى، فإذا لم تكن فانياً في ذلك القرآن مستسلماً تُظهِر ذُلَّك باكياً : و(إِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْ) والعبد الضعيف الكسير الذليل بين يدي ربه هو من تفيض دمعته بين يديه ، يذل وينكسر بين يدي مولاه ..

(وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) المائدة: ٨٣.

ولو رجعنا إلى قوله سبحانه:

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

ونظرنا إلى قوله: (مُخْلِصًا) ، وكم يقع الإنسان في حالة تتناقض مع الإخلاص وهو يقرأ ذلك القرآن ..

ألا يقرأ القرآن بعضهم حتى يثني الناس على صوته الحسن وهو يقرأ هذا القرآن، إنه وصف يتناقض مع الإخلاص ..

ألا يقرأ بعضهم ذلك القرآن العظيم وهو يراقب الخلق وينتظر مدحتهم له ..

ألا يقرأ بعضهم القرآن وهو يريد من تلك القراءة المقاصد والمآرب، إنها حالاتٌ تبتعد عن حقيقة الإخلاص .

إذا قرأت القرآن وكنت متحققاً بالعبدية لا ترى عند قراءتك إلا تعظيم صاحب الكلام .. لا تسمع ذراتك وأنت تقرأ ذلك القرآن إلا خطاب ذلك الرب العظيم سبحانه وتعالى، هذه هي حالة العبادة عند قراءة القرآن ووهي حالة العبودية مع التحقق بالإخلاص.

انظر إلى أصحاب المآرب الذين قرؤوا القرآن فذمهم ربنا سبحانه وتعالى، حين لم يتحققوا عند قراءة القرآن بالعبودية ولا بالإخلاص:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) آل عمران: ٧.

قَرؤوا القرآن ابتغاء الفتنة، وقرؤوا القرآن ابتغاء تأويل القرآن، ليقال عنهم إنهم أصحاب تأويل القرآن.

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُوْلُوا الأَلْبَابِ) آل عمران: ٧

هؤلاء هم الذين تحققوا بحقيقة العلم فاستسلموا لله سبحانه وتعالى وهم يقرؤون القرآن، ولم يكن فيهم أي ابتغاء إلا ابتغاء وجهه الكريم.

ومن لوازم العبودية إذا قرأنا القرآن : أن نكون في حالة الخشوع ، أي أن يكون القلب مستغرقاً في خشوعه فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ﴾ الحديد: ٦.

ألم يأن للذين آمنوا إذا قرؤوا القرآن أن تكون قلوبهم مستهلكة في الخشوع مستغرقة فيه :

﴿... وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ –كان الكتاب أمامهم– فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(١٦)الحديد.

كيف يقرأ القرآن مع الفسوق ؟. إن ذلك يدل على عدم انفعال قلبه للقرآن، ولو أن قلبه انفعل لذلك القرآن لارتفع الفسوق عنه ، لأن خشوع القلب يولد انضباط الجوارح، وإذا انضبطت الجوارح انتفى الفسوق، فإذا وجد الفسوق فإن ذلك دال على عدم تفاعل القلب مع هذا القرآن.

﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥.

لو تفاعل ذلك المصلي في قيامه، وفي قراءته، وفي ختمه للقرآن مع القرآن ؛ لانتفت أفعاله القبيحة لأن خشوع قلبه يولد انضباط سلوكه وطاعة جوارحه لله سبحانه وتعالى:

فقسوة القلب وانتفاء الخشوع منه عند قراءة القرآن لابد أنه مقترنٌ مع الذنوب ومع الفسوق ومع المخالفات ، ولابد أن ذلك الإنسان لا ينضبط بظاهره بالفرقان ، ولا يخشع باطنه لهذا القرآن العظيم وهو يقرأه.

ومن لوازم العبودية أيضاً التي بها تستحق قلوبنا أن تكون محلاً لتنزلات الأسرار والأنوار القرآنية: أن نقرأ هذا القرآن الكريم موقنين أن كل ما فيه هو خير .. فكم نسمع كلام المتنطعين من أولئك الذين يريدون الخروج عن مقاصد النص القرآني ..

كم هم أولئك الذين يتحدثون عن الحجاب ويفلسفونه مع وجود النصوص القرآنية الصحيحة التي تتحدث ببيان ما بعده بيان:

(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) النور: ٣١.

كم هم أولئك الذين يتحدثون عن الربا ويفلسفونه مع أن الله سبحانه وتعالى يخاطب في قرآنه أولئك الذين لا يرتدعون عن الربا بكل صوره:

(فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) البقرة: ٢٧٩.

وقال تعالى :

(وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) النحل: ٣٠.

هذه هي حالة العبودية.

الخيرية المطلقة هي في كل نصوص القرآن .

كم يحصل في صفوف النساء- ولتعذرني أخواتنا-عندما يقرأن آيات صريحة في كتاب الله تتحدث عن التعدد الزوجي :

(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ)النساء:٣

كم تطلب بعضهن أن نمر عليها مروراً دون انفعال أو تأثر سلوكي بها، وربما علَّقت بعضهن تعليقاً يخرجها عن الإيمان .

إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات لا يأمر أمراً على سبيل الوجوب، لكنه سبحانه وتعالى يفسح المجال ويفتحه ..

فإذا اعترض الإنسان بنفسه أو بخاطره أو بذهنه أو بكلمة من كلماته على ذلك النص فإن ذلك يعني خروجه عن الإيمان .

(وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) النحل: ٣٠.

إنه كلام الله، وماذا يعني أنه كلام الله ؟

إن الناس حين يسمعون كلام ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء، يعظمونه ويقولون هذا الكلام لا يرد ، فكيف إذا سمعت كلام ملك الملوك سبحانه، كيف إذا سمعت كلام الله ؟

كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن الجهاد، أو التي تتحدث عن المعاملات، أو التي تتحدث عن الأحوال الشخصية، أو التي تنظم السلوك ينبغي أن يقف الإنسان بين يديها مستسلماً.

ومن العبودية لله تعالى عند قراءة القرآن اتباع القرآن، لا أن يكون الإنسان مصدقاً وحسب، بل أن يتبع القرآن في كل ما جاء به ذلك القرآن العظيم.

واقرؤوا قوله تعالى:

(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ) الشورى:١٥

إنها مفاصلة، (وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ)

(وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) استقامة مطابقة للأمر

تبعية لا تتحمل التفاتاً إلى الأهواء.

واقرؤوا قوله تعالى:

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)الأنعام:١٥٥

واقرؤوا قوله تعالى:

(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم)الزمر:٥٥

اتبعوا القرآن العظيم الجامع لكل الكتب السماوية التي نزلت من قبله (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ)الزمر:٥٥

حينما تتركون نصوص القرآن، أو لا تأخذون تلك النصوص على وجه الامتثال دون أن يكون في نفوسكم أي حرج منه .

(مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً) حينما تلتفتون عن ذلك الاتباع

فالعذاب الذي يأتي بغتة سببه إعراض عن بعض ما نزل به ذلك القرآن العظيم.

ولقد قص القرآن الكريم علينا بعض النماذج التي عاشت حالة التردد، بعيداً عن ذلك الامتثال والاتباع ..

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت آيات تحريم الخمر خرجوا إلى طرقات المدينة فأهرقوا دنان الخمر فيها حتى صارت طرق المدينة أنهاراً من الخمرة، فألقيت تلك الخمرة المعتقة الثمينة في طرقات المدينة، وأعلن الامتثال لأمر الله في القرآن ..

وعندما نزلت آيات الحجاب خرجت نساء الأنصار وقد وضعن على رؤوسهن الخُمُر حتى كأنهن الغربان.

هي حالة الاتباع من غير تردد، أما المترددون فاقرأ في القرآن وصفهم:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ)محمد: ٢٠

قلوب ليست فيها العبودية لذلك عاشت حالة التردد أمام القرآن، ولم تعرف معنى الاستسلام والامتثال له .

هو التردد أمام النص الذي يدعوهم إلى سلوك، لكنهم لا يعيشون حالة الامتثال والطواعية له .

اقرؤوا قوله تعالى:

(وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ)التوبة: ٨٦

هو الاحتيال والتملص والخروج عن اتباع ذلك النص القرآني الصريح،

يقول الله تعالى :

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ﴾التوبة: ٢٤

وترى ذلك القارئ للقرآن يقف مع المساكن، ويقف مع الأموال، ويقف مع التجارة معرضاً عن أن يكون في عمره كله خادماً لله ورسوله والجهاد في سبيله، فأين اتباع القرآن؟

أين التضحية التي يترك الإنسان فيها كثيراً من هذه الثمانية المذكورة من أجل الله ورسوله والجهاد في سبيله، ومن أجل الدعوة إلى الله، ونشر الخير في العالم؟

نقرأ القرآن ونحن نهز رؤوسنا ولا نعرف تفاعل ذراتنا مع ذلك القرآن بالانضباط والامتثال في السلوك.

أيها الأحبة الاتباع الاتباع للقرآن من غير تردد ..

اقرؤوا قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾النساء: ٦٠

كم هم أولئك الذين يقفون أمام الحكم الشرعي ثم يعدلون عنه إلى الحكم الوضعي، فإذا قيل لهم: الشرع يفصل بينا ، والمتخاصمون ما أكثرهم، يملؤون المحاكم .. ولا يرتضون حكم الشرع ، ولا يرتضون أن يفصل الشرع في قضاياهم .. يذهبون إلى محل الأحكام الوضعية التي تفصل بينهم هروباً من حكم الشرع .. ويقرؤون القرآن، و يملؤون المساجد في صلاة التراويح ! هؤلاء أين هم من ذلك الاتباع للقرآن؟ وأين قلوبهم من تلك التنزلات القرآنية؟

التنزلات القرآنية لا تكون إلا للقلوب التي استسلمت وفنيت في حضرة القرآن، حتى في الجزئية الصغيرة الواحدة ..

ربما يكون الإنسان أمام القرآن في قضايا كثيرة يقرؤها ويستشعر الاستسلام فيها، لكنه يقف أمام بعض الفرعيات والجزئيات مترددا ، والله سبحانه وتعالى يقول :

(وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ)المائدة: ٤٩

الإعلام اليوم في العالم يمارس أشكالاً متعددة حتى ينصرف المسلمون عن بعض ما أنزل الله في القرآن.. وفي كل يوم نسمع ضلالة جديدة، ونسمع من يقف بصور إسلامية ظاهرية ليحتال على نصوص القرآن، وليجعل ذلك القرآن ألعوبة حتى يترك الناس كثيراً من جزئياته ..

وضع القرآن الكريم القواعد الكبرى، لكنهم يحتالون على تلك القواعد، ويحتالون على تلك النصوص، ويمارس الإعلام صوراً متعددة من ذلك الاحتيال والالتفاف، والناس يبحثون باستعداداتهم لأنهم لم يتدربوا على الاستسلام لله .. يبحثون عن خيط عنكبوت، حتى تبنى عليه عمارات يتوهم أصحابها أنها إسلامية.

فلنقرأ القرآن يا شباب .. يا عشاق محمد صلى الله عليه وسلم .. يا عشاق القرآن فلنقرأ القرآن مستسلمين بين يديه، ونحن في حالة فناء في ذلك القرآن ، عندها تستشعر قلوبنا أسرار التنزلات القرآنية وأنوارها.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا ..

ذكرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته والعمل به والتحقق بأسراره آناء الليل وأطراف النهار، واجعل صيامنا وقيامنا بمنك وفضلك مقبولاً واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول هذا القول وأستغفر الله.

الرحمة العالمية من رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في الحديث الصحيح عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(أول شهر رمضان رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار).

هذا الحديث نقرؤه في غالب الأحيان قراءة لا تنظر إلا إلى الذات .. قراءة يستجدي الإنسان من خلالها الرحمة من مولاه، ويستجدي المغفرة، ويطلب العتق من النار.

لكن وأنا أتأمل في هذا الحديث ؛ وجدت أن مفاهيمه لا تتوقف عند الفرد وما يعود عليه من المنافع والفوائد فيه، لكنها حين تتفاعل مع ذات الإنسان تفرز سلوكاً يتعدى إلى الآخرين ..

ألم ينبِّه ربنا سبحانه وتعالى في قوله سبحانه:

(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ؟)النور:٢٢

ألم ينبِّه في هذه الآية إلى الربطِ بين مغفرة الله سبحانه وتعالى وعفوه وسلوك الإنسان الذي يتمثل في عفوه ومغفرته للآخرين ؟

وفي الربط بين هذا وذاك نجد معنى التخلق بأخلاق المولى وقد جاء في الحديث : (تخلقوا بأخلاق الرحمن)

إذاً حين نقرأ هذا الحديث الرمضانيَّ قراءة أنانية فردية ننظر إلى أنفسنا على أنها كؤوس تنتظر أن تملأ بالرحمة والمغفرة ، وأن تنال العتق من النار، أما القراءة العالمية المستمدة من الرحمة العالمية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن ينتظر أن يكون كأساً لا تتعدى فيوضاتها إلى الآخرين ؛ لكنه صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الرحمة من مولاه ثم يفيضها على العالم .

وإذا لم يكن شهر رمضان يُخرِّج من مدرسته من يتفاعل مع الرحمة والمغفرة، ومن يستمد من العتق من النار مفهوماً سلوكياً، لا أظن أنه يُخرِّج جيلاً معطاءاً.

(أوله رحمة) فإذا فاضت الرحمة في القلب رَحِم الناس.

(ووسطه مغفرة) فإذا تفاعلت تلك المغفرة مع باطن الإنسان ولَّدت عنده صفحاً ومغفرة وعفواً عن إساءة الآخرين.

وإذا استمد من مفهوم العتق من النار، ذلك المعنى السلوكي الذي كان الإمامُ فيه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم حينما مثَّل لنفسه الشريفة ولدعوته الكريمة بالرجل الذي يذبُّ عن النار الفراش، والفراش يتهافت ليقع في النار، عندها سيكون الحريص على نجاة كل الناس من تلك النار.

أقول هذا يا شباب ، يا من يستمع وهو في صلاة الجمعة، و يا من يستمع وهو في الآفاق :

إن العالم الإسلامي يحتاج إلى أن يُخرِّج شباباً يفهمون معنى التربية ويعانونها حتى يكون الواحد منهم مظهراً لدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ألم يقل ربنا سبحانه لحبيبه ومصطفاه:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)الأنبياء:١٠٧

فأين شبابنا من هذا المفهوم ؟

أين شبابنا الذين بدأوا يتحوَّلون بسبب ما يمارسه الإعلام عليهم من الحرب التي تولِّد كل ساعة ردة فعل ..

تحوَّل شباب الإسلام إلى كُتل انفعالية ليس لديها الوقت حتى تتأمَّل أو تُفكر أو تبدأ مشروعاً ..

تحوَّل شباب الإسلام مع الأسف في معمعة الأحداث العالمية إلى ردود أفعال انفعالية، عطلت معها مشروعات دعوة الإسلام التي أناب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته فيها لتكون استمراراً من بعده له، حين وقف فقال: (بلغوا عنِّي ولو آية)

وحين قام فقال: (ألا ليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائب)

إن الآخر المعادي أدرك أن الذي يُوقف مسار الدعوة إنما هو الفوضى، فالفوضى وحدها هي التي تُعطِّل تأمّل الإنسان وفكره، هل رأيت في يومٍ من الأيام مخاصماً وقت الخصام قادراً على استيعاب فكرةٍ ما أو تحليل موضوعٍ ما؟

هل رأيت في حياتك مخاصماً وقت خصامه يستطيع أن يبين مضامين قلبه بروية وهدوء؟

أدرك الآخرون ذلك، وأرادوا تعطيل الدعوة في العالم، في وقت بدأ الإسلام يزحف فيه إلى القلوب ..

في وقت بدأت فيه النفوس في الشرق والغرب تتعطش إلى عطاء الإسلام، وإلى عظمة تشريعه، وإلى سمو أخلاقه، وإلى روعة إنسانيته.

وهكذا فإن شهر رمضان بمعانيه التربوية يعيد إلى من تفاعل معه الرحمة، ويعيد إلى من تفاعل معه المغفرة، ويعيد إلى من تفاعل معه الحرص على إخراج العالم من النار.

ولو أننا نظرنا إلى شخصية ذلك الإمام الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتأملنا فيها... في سلوكها في المواقف الصعبة، سنجد أن تلك الشخصية العظيمة كانت تحافظ على هوية رحمتها العالمية في أصعب المواقف ..

إنها قضية يحتاج شبابنا أن يفهموها، يا من يرتكس وينفعل فيُعطِّل هويته.

يا شباب الإسلام اسمعوا :

في غزوة بني المصطلق حصلت فتنة بين أَنصاري من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل أجيرٍ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستنجد الأنصاري بالأنصار، واستنصر أجير عمر بالمهاجرين، حتى كادت الفتنة أن تقوم، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع رسول الله في غزوة، فقام ابن أبي ابن سلول،رأس المنافقين وقلعة الشرك والكفر التي كانت تظهر مظهر الإسلام، قام يقول محرضاً جمع الأنصار على المهاجرين:

" أوقد فعلوها؟ قد كاثرونا وناقرونا في بلادنا، ما مثلنا معهم إلا كما قيل: (سَمِّن كلبك يأكلك) ، والله إن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " .

انظروا أيها الأخوة، حينما يقف ذلك المنافق الكبير، (رأس المنافقين) متهماً رسول الله ومن هاجر معه بأنهم الأذل، ويصف نفسه بالأعز، قائلاً: ، والله إن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

تعالوا إلى تلك الرحمة العالمية ننظر في حركتها، وفي انفعالاتها..

يُنقل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول عمر: يا رسول الله مُر من يقتله ..

إنه تجرأ على أكبر الثوابت، وأعظمها في أمة الإسلام ..

ويجيبه صلى الله عليه وسلم:

(فكيف يا عمر إذا تحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)

ويأتي عبد الله ولد رأس المنافقين يستأذن رسول الله في قتل أبيه، يقول: يا رسول الله لا تأذن لغيري أن يقتله، أخاف أن يقتله غيري فتتحرك فيَّ الحمية، ربما أقتله فأقع في النار، حين أقتل مسلماً، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا.. لا بل تحسن صحبته).

ويرسل الله سبحانه وتعالى في موقف آخر جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه ملك الجبال، بعدما آذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قومُه واشتدوا في إيذائه، يقول له جبريل : إن الله تعالى سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره فيما شئت فيهم..

ويسلم ملك الجبال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويناديه : مُرني بما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين– أي أطبق عليهم الجبال– ويقول صلى الله عليه وسلم (الرحمة العالمية) في ذلك الموقف الشديد:

(بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)

هاتان حادثتان، واحدة في المدينة وأخرى في مكة، حتى لا يقول قائل: إن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان في المدينة في شخصية تختلف عن شخصيته في مكة، إنه صلى الله عليه وسلم الرحمة العالمية في أي مكان، وهي هوية ثابتة لا تتغير.

لقد صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام مسلم في صحيحه:

(مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)

وفي الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي والحاكم:

(الرَّاحمونَ يرحمهُمْ الرَّحمَنُ ارحموا من في الأرضِ يرحمُكُمْ من في السَّماءِ)

ثم إننا يا إخوتي ننتقل إلى كتاب الله سبحانه وتعالى لنقرأ آية ينبغي لنا أن

نفهمها في هذا الوقت، الذي كثر فيه الهرج والقتل ..

في هذا الوقت الذي كثرت فيه ثقافة القتل حتى وصلت إلى أطفالنا.

كنت في زيارة خارج البلاد فقال واحد من الشباب المُنوَّر الذي يحمل في قلبه محبة لله ولرسوله .. قال لولده: ماذا ستصنع يابني– وهو طفل صغير في عمر السنتين– ماذا ستصنع إذا كبرت؟

يجيبه الولد: سأقتل الكفار..

نظرت إلى والده، وقلت له معاتباً: إنها ثقافة القتل يا أخي..

ينبغي علينا ألا نصدرها للأطفال، هؤلاء سيكونون في المستقبل القريب دعاة الإسلام، فإن نحن ربينا هؤلاء الأطفال على ثقافة القتل لن يكون منهم دعوة، ولن يكونوا رحمة عالمية، قلت لا... يا صاحبي

لا أرضى أن نصدِّر ثقافة القتل لأطفالنا أبداً.

من هنا أحب أن أقرأ عليكم نصاً في كتاب الله، في وقت بدأ الشباب فيه يبررون التفجير والتدمير في العالم، ولا يفرقون بين دفاع ومقاومة في أرض محتلة كما يفعل إخواننا في أرض فلسطين .. في بيت المقدس وفي أكنافه .. يضربون الضربة فتصيب عدوهم في مقتله ..

لكن حين نتحوَّل بعدها إلى العالم نجد ثقافة القتل والتدمير قد بدأت تتفشى في شبابنا، مع التبرير الذي يبتعد كل الابتعاد عن فقهنا، ويبتعد كل الابتعاد عن شريعتنا، ويبتعد كل الابتعاد عن ما قاله أئمتنا ..

أصبح الدم مستباحاً في فكر الشاب المسلم، ويظن أنه بذلك مجاهد، في نفس الوقت الذي لا يفرِّق فيه بين قتل مسلم وغير مسلم، ، ولا يفرِّق فيه بين قتل محارب وغير محارب على غير دين الإسلام ، وغير المحارب لا يقتل في شريعتنا بأي حال ..

بدأت ثقافة القتل تنتشر ولا يميز هذا الشاب بين قتل جندي محتل جاء ليفسد في الأرض وبين موظف في بيته أو في شارعه أو في عمله .. أين التبرير الذي يحمله ذلك الشاب من شريعة رسول الله؟

هل نقدم إلى العالم ثقافة إسلامية مؤصلة، أم نقدم انفعالات لا تستند في حال من الأحوال إلى الشريعة؟

قال سبحانه:

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)الفتح:٢٥

هذا الآية في سورة الفتح ينبغي أن نفهمها في هذا الوقت الذي اختلطت فيه المفاهيم.

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يشير إلى الكفار في مكة الذين فعلوا كل الأفاعيل التي بها يستحقون أشد أنواع العذاب.

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

(وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ) يعني من الذين اختلطوا بهم

(وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ) فقد اختلط بجمع الكُفَّار ذاك جمع من المؤمنين ومن المؤمنات.

(وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ) لا تستطيعون تمييزهم

(أَن تَطَؤُوهُمْ) بالقتل والإيقاع بهم .. لولا ذلك لأذن الله لكم في دخول مكة، حتى تُوقِعُوا بجمع هؤلاء المحاربين قتلاً وتشريداً ، لكن الله سبحانه وتعالى رفع ذلك العذاب بوجود الاختلاط بين مجمتع الكافرين وجماعة المؤمنين والمؤمنات.

)َلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعني لو أنكم وقعتم بغير علم، وأنتم لا تعلمون وجود المؤمنين والمؤمنات في ذلك الجمع ستصيبكم منهم معرة، أي ستقعون في الإثم والغم والشدة وأنتم لا تعلمون..

فماذا نقول فيمن عَلِم وتحقق أن المجتمعات اليوم اختلط فيها أبناء الإسلام مع غيرهم!

هل يشك في هذا أحد؟

كل واحد منكم يمكن أن يسافر إلى أي بلد في العالم، ويمكن أين يكون قتيلاً وهو من أهل الإيمان والإسلام في عمل يقوم به بعض الجهلة الذين لا يفهمون قواعد الشريعة ولا أحكامها.

)ِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) يعني لو تميزوا وخرجوا من ذلك الجمع، ولم يبقَ في ذلك الجمع إلا المحاربين من الكفرة، عند ذلك ننزل بهم أشد أنواع العذاب.

وانتقل إلى كتب الفقه حتى لا يقول قائل: أنت تجتهد ..

فقد سئل صاحب مالك– ابن القاسم– أرأيت أن قوماً من المشركين في حصن من حصونهم، حصرهم أهل الإسلام، وفيهم قوم من المسلمين أسارى في أيديهم، أيحرق هذا الحصن أم لا؟

فأجاب ابن القاسم: سمعت مالكاً، ينقل عن أستاذه إمام دار الهجرة سيدنا مالك أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، قال سمعت مالكاً وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم: أنرمي في مراكبهم بالنار ومعهم الأسارى من المسلمين في مراكبهم؟

قال: فقال مالك: لا أرى ذلك، لقوله تعالى لأهل مكة:

(لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)

قال الإمام مالك: (وقد حاصرنا مدينة الروم، فحبس عنهم الماء، فكانوا ينزلون بالأسارى يستقون لهم الماء، فلا يقدر أحد على رميهم بالنبل، فيحصل لهم الماء بغير اختيارنا)

فما كانوا يرمون بالنبل حرصاً على ألا يقتلوا الأسارى من أبناء الإسلام.

جاء عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دماً حراماً)

فإذا أصاب دماً حراماً ضاق الأمر عليه ألا تحتاط لدينك؟

روى الطبراني عن أنس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم:(من آذى مسلماً بغير حقٍ فكأنما هَدَمَ بيتَ الله)

وروى الطبراني عن ابن عمر: (ليسَ شيءٌ أكرمُ على اللهِ من المؤمن)

ومن طريق بريدة، روى النسائي، سمع بريدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم:(قتل المؤمن أعظمُ عند الله من زوال الدنيا)

وأخرج ابن ماجة عن البراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لَزَوَالُ الدُّنْيا أَهْوَنُ علَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)

وأخرج النسائي عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم: (لزوال الدنيا أهونُ عند الله من قتل رجل مسلم)فماذا يقول أولئك الذي ينشرون ثقافة القتل، ويُعطِّلون مشروع الدعوة؟

الأرض المحتلة فرض علينا أن نُخْرِج المحتل منها وأن نقاومه، أما أن ننشر ثقافة القتل في العالم فهذا يتنافى مع ثوابتنا، ويتنافى مع قواعدنا، ويتنافى مع فقهنا، ويتنافى مع أقوال أئمتنا.

اللهم ردنا إلى حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الرحمة العالمية، حتى نتخرَّج من مدرسة رمضان الذي أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، حتى نتخرَّج بثقافة ورحمة تتناسب مع اقتداءنا بحبيبنا صلى الله عليه وسلم.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

أقول هذا القول واستغفر الله

معززات الاستقامة بعد رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

للعتق من النار في آخر شهر رمضان علامات، يستطيع الإنسان أن يستبشر عند رؤيتها ..

ما الذي يُدخل الإنسانَ في النار إلا خبثُ باطنه ، وتلوثُ ظاهره بنجاسات المخالفات والمعاصي والفسوق، فإذا توجه قلبُه إلى غير الله تبارك وتعالى لم يكن قلبه عند ذاك سليماً، ويستحق عذاب النيران، وحينما يتلطَّخ ذلك الجسد بالفسوق والمعاصي والمخالفات يستحق أن يكون من أهل النار ..

فهما عنصران اثنان :

ظاهر الإنسان وباطنه.

فإذا كان ظاهره وسلوكه منضبطاً بأوامر الله سبحانه ...

وإذا كان باطنه متوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى قد صفا قلبه في محبة الله سبحانه وتعالى والإخلاص له والصدق بين يديه ..

مثل هذا يا إخوتي حين يخرج من شهر رمضان، سيجد أنه ينفر من المعصية : (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)الحجرات:٧

فإذا وجد نفسه حين يخرج من شهر رمضان بعد الصيام والقيام أنه تحوَّل إلى حال جديدة أصبح فيها قلبه كارهاً للفسوق والمعاصي، وأصبحت جوارحه مبتعدة عن مخالفة الله سبحانه وتعالى فليستبشر فإنه اعتق من النار.

وإذا وجد أنه صام وقام فتحسنت أحواله ونالته المغفرة في آخر شهر رمضان، لكنه يعود بعدها إلى تلوث الباطن والظاهر فإنه ممن يعود ثانية إلى النيران ولا يزال بعيداً عن معاني العتق ..

ففي شهر رمضان تغلق أبواب النيران وتفتح أبواب الجنان، فمن اعتق من النيران سيكون كل من سلوكه وقلبه متحولاً إلى حال يرضي الله سبحانه.

وهكذا تستطيع أيها الإنسان أن تعرف نفسك، ترى هل أنت من أهل العتق من النار الذين أشار إليهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ؟

إنه تحول أو هداية كما عبر القرآن الكريم، بقوله سبحانه وهو يشير إلى انقضاء شهر رمضان (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ) – أي عدة رمضان–(وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ)

أي ولتعظموا الله سبحانه وتعالى لأنه كان صاحب الفضل عليكم في تلك الهداية، فما حصلت هداية بواطنكم واستقامة ظواهركم إلا بإعانة من الله

(وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ)

فخرجتم بعد انقطاع وتَبَتل واعتكاف وقنوت وتذلل وخشوع وركوع وخضوع وانكسار، فوجدتم أثر ذلك بعد رمضان ..

إذا وجدنا يا إخوتي تلك الهداية في قلوبنا، ولمسنا أنوار الإيمان، وذقنا حلاوة الرضى والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى فإن علينا أن نتوجه بصدق إليه سبحانه لنقول:

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)آل عمران:٨

فقد حصَّلتَ الهداية وحصَّلتَ ذلك الانقلاب، لكنْ لازِم باب الله سبحانه وقل بذل وخضوع: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)

وتذكر قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(أعمى العمى الضلالة بعد الهدى)

وربما يقول قائل: إنني في شهر رمضان أعتاد دخول المساجد، وطاعة الصيام تُطَهِر باطني، وعبادة القيام تُدَرِبُ جوارحي وبدني على العبادة، لكن من أين لي أن أستديم هذا الحال بعد شهر رمضان!

فما في رمضان كان يدفعني إلى الطاعة والصفاء، لكن كيف لي أن أستديم هذا الحال، وألا أقع في العمى بعد الضلالة، وألا أقع في الزيغ بعد الهدى...؟

معززات الاستقامة يا إخوتي أهمها أمور ثلاثة ، ولتكن عناوين كبرى لنا بعد رمضان:

١- أما الأمر الأول فهو أن ننتبه إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان :

الوقت عملة صعبة، وأنفاسك عملة صعبة ..

ستصرف هذه العملة، فإما أن تصرف في زاد تدخره لك عند الله سبحانه وتعالى لتجده حين تنتقل إلى الدار الآخرة، وإما أن تصرف تلك العملة الصعبة في ما لا طائل منه أو في مخالفة أمر الله.

إذا خرج نفسك لن يعود، ولديك عدد محدود من الأنفاس، فإن أنت فرَّطت في هذا العدد دون أن تأخذ زاداً فيه لقلبك ولآخرتك، فقد ضيعت العملة الصعبة النادرة التي تملكها أيها الإنسان.

كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول:

(إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

إذا أمسيت فاملأ مساءك بالطاعة ولا تقل في الصباح أطيع، وإذا أصبحت فاملأ صباحك بالطاعة لله سبحانه ولا تقل أنتظر المساء، فما تدري هل ستصل إلى المساء ؟

هل ستنتهي أنفاسك قبل المساء ؟

هل تنتهي أنفاسك قبل الصباح؟

(وخذ من صحتك لمرضك): فحين تكون قوياً تذكر أنك ستضعف بعدها، وستصاب يوماً ما بالمرض، ولن تكون وقتها قادراً على العطاء.

(ومن حياتك لموتك): لأنك حينما تفارق الحياة إلى الموت ستفقد كل العملة الصعبة، التي هي أنفاسك.

واقرؤوا قوله تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً)الفرقان:٦٢

يعني إذا فاتك أن تطيع الله في الصباح، فليكن المساء بديلاً عن ذلك الصباح، فرطت في الصباح أو فرطت في المساء فتدارك، تلك فرصتك الأخيرة ..

ففي الحديث الذي قرأناه رغبة ألا يضيع الصباح وألا يضيع المساء، لكن إذا ضاع، فإن الله سبحانه في القرآن الكريم ينبه إلى ضرورة تدارك الفائت ..

لا أن تتدارك سنة فاتت، لكن أن تتدارك صباحك في المساء، أو أن تتدارك مساءك في الصباح، تلك هي فرصتك

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً)

فهو الوقت الذي تستطيع أن تجد فيه بديلاً، لأنك فرَّطت في ساعات، أما أن تكون ناسياً أياماً أو شهوراً، فلن تجد عند ذلك ما يعوضك مما فاتك.

من نام عن حزبه – والحزب الدعاء – وفاته الدعاء فإنه يستطيع أن يدعو بذلك الدعاء قضاءاً.

٢– أما المعزز الثاني فهو أن تلاحظ تأييد الله سبحانه وتعالى وإعانته لك في الدنيا حينما من أهل الاستقامة والتقوى.

لقد رأينا كيف أنه سبحانه وتعالى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في بدر، استقاموا فأيدهم، وأنزل الملائكة خادمة لهم، واقرؤوا قوله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ،وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)الطلاق:٢–٣

التقوى سبب رزق، والتقوى سبب إعانة، والتقوى سبب تأييد، ولو أن المسلمين في العالم عادوا إلى التقوى لهزموا عدوهم، فنحن لا نهزم لضعف أسلحة ، إنما نهزم حين نهزم أمام نفوسنا، ونهزم حين نفقد التقوى، وحينما نجد أن قوة المادة هي التي تنصرنا ..

إننا أمة لا تنتصر إلا بالتقوى .. أمة لا تنتصر إلا بالتوجه إلى الله

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لكم)الأنفال:٩

ذلك هو عنواننا حينما يواجهنا عدونا، لكنْ تبلَّد الإحساس في العالم الإسلامي ..

يرون المذابح شرقاً وغرباً، ويرون المِحَن التي تنزل، ويقول كل منهم: لن يصل إلي، مذبحة في الفلوجة .. مذبحة في تيمور .. مذبحة في البوسنة والهرسك .. مذبحة في كوسوفو .. ولا علاقة لي بها.

تبلَّد الإحساس، ولم يدرك هذا المسلم أن عالمه هو أمة واحدة، ولم يدرك أن التغيير في عالمه هذا لا يكون إلا بالدعوة إلى الله ، وحين نرجع إلى ديننا، وحين نرجع إلى ربنا، وحينما تتغير أسرنا، وحين يتغير سلوكنا، عندها ننتصر على عدونا، ثقوا بذلك...

فالتأييد والإعانة في الرزق، وفي التجارة، وفي الصناعة، ومن التأييد أن يولي علينا سبحانه وتعالى خيارنا ﴿كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ﴾

إذاً المعزز الأول معرفة قيمة الوقت ..

والمعزز الثاني لدوام الاستقامة بعد شهر رمضان أن ندرك أن كرامتنا في الدنيا هي بالتقوى، قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:١٣

فعزتنا وكرامتنا مستمدة من التقوى، ولا كرامة أعظم من الاستقامة، ولا إهانة كالمعصية؛ حين يقع الإنسان في الفسوق يقع في الخذلان.

٣- أما المعزز الثالث فهو أن تتذكر المرجع والمعاد إلى الله تعالى عند كل سلوك فتوازن بين نتيجته في الدنيا ونتيجته في الآخرة :

ربما تنظر وأنت في سوقك إلى معاملة تُدِرُ عليك ربحاً عاجلاً وقد تكون مخالفة لأمر الله، فتحب العاجلة ولا تلاحظ قوله تعالى وهو يخاطب أهل الربا بقوله: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾البقرة:٢٧٩

يغش، لا ينصح من يشتري منه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا)

فإذا لاحظنا عند كل سلوك نتيجته في الآخرة كما نلاحظ نتيجته في الدنيا ووازنا بين العاجلة والآجلة، قال تعالى:

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُورَحْمَةَ ربه)الزمر: ٩

في معاملتك، في كل وقت من أوقاتك، في كل سلوك، في بيع، أوفي شراء، في صلاتك ، أو في زكاتك ، أو في أسرتك، وفي أولادك، وفي عيالك، وفي أصحابك، في مجتمعك، وفي وطنك، إن أنت لاحظت أن أثر سلوكك هذا ينقسم إلى قسمين: أثر عاجل وأثر آجل.

ربما تحلو المعصية لك، ربما تثور غريزتك، لكنك توازن بين العاجل والآجل، أي شيء في هذه الدنيا لا تجده أضعافاً مضاعفة في الآخرة، في جنة عرضها السماوات والأرض.

لا بد أن نراجع حساباتنا ونحن نتحدث عن قضية الآخرة..

ترى هل تستحق هذه العاجلة أن نُفرِّط بالآجلة!

وتبدأ الآجلة يا إخوتي عندما يلفظ الإنسان روحه.

جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي وغيرهما:

(عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به)

اجعلوا هذا الحديث في بيوتكم، وفي أسوقكم، اذكروا هاذم اللذات، فالذي لا يتذكر مفارقة الدنيا لابد أن قلبه سيغفل.

وقال صلى الله عليه وسلم:

(إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة-يعني إذا انتهى أجله- نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه-لأنه عبد مؤمن- كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحَنوط من حَنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء -يعني من فم السقاء، من فم القربة-فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما

هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي -يعني في الجنة-

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فيفرق في جسده -يهرب،تهرب الروح إلى الجسد،تتفرق، تختبأ في الجسد- فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول- الشوك الحديدي إذا كان عليه الصوف المبلول- فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله عز وجل: أكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له: من ربك فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره

حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة)

(دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مصلاه-كما يروي الإمام الترمذي رحمه الله- فرأى ناسا كأنهم يكتشرون-أي يضحكون، - قال أما انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم-يخاطبك قبرك كل يوم وأنت لا تدري، ولا تسمع، لا أتحدث عن قبر جارك، قبرك يناديك، حتى ولو كان في الصين يناديك ، يتحدث معك قبرك كل يوم- فيقول: أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا التراب وأنا بيت الدود،فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا، وأما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري الي فإذا وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري الي فإذا وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك، قال فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه-أضلاع الشمال تصبح يمين، واليمين تصبح شمال، من ضغطة القبر- قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال ويقيض له سبعون تنيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يقضى به إلى الحساب. قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)

احضروا هذا يا إخوتي عند كل سلوك، عند كل عمل، اقرؤوا قوله تعالى وأنت في الأسواق، وأنتم في البيوت، ونحن في بيوتنا نوافذ على العالم، نستطيع أن نشارك في سماع القرآن، ونستطيع أن نشارك في سماع العهر، اقرؤوا قوله تعالى:

(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ، وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، إِنَّ هَذَا

لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ، هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ، هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) غساق يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوتي: (لو أن دلواً من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا) لم يبق في الدنيا شخص إلا تأثر بنتنه، (وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ، هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) يقول أهل النار وهم يرون فوج مقتحم داخلاً (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ، قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ) الذين سبقوا إلى النار يقولون للداخلين الذين تَبِعوهُم في دخول النار: لا مرحباً بكم (لَا مَرْحَباً بِهِمْ)

كارل ماركس دعا إلى الإلحاد يوماً، وسارتر دعا إلى الكفر والوجودية يوماً، وميكيافيللي دعا إلى أن تكون الغاية مبررة للوسيلة مهما كانت تلك الوسيلة قذرة ..

ومشى الغرب متبعاً لميكيافيللي، ومشى شرق العالم متبعاً ماركس، ومشى أهل الجنس يتبعون سارتر، وهكذا..

فمن سيتبع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

انظروا إلى تلك اللحظات التي يصفها القرآن بين المُتَّبِعين والمُتَّبَعين من أهل النار (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) يقول المُتَّبَعون الأئمة، أئمة الكفر والضلال يقولون : (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ، قَالُوا) يقول المُتَّبِعون لأئمة الكفر الذين اتَّبَعوهم:

(قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ، قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ) عَذِّب من اتَّبَعناهم من أئمة الكفر عذاباً ضعفاً

الآن صرتم تتوجهون وتدعون إلى الله وتطلبون أن يزيد أئمتكم من العذاب في النار ؟

في الدنيا لم يكن لديكم دعاء أو توجه ولا في الاستقامة أي قرار.

(قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ) أين أولئك الذين قلنا عنهم : هؤلاء محور الشر، أين هؤلاء ؟

لا نجدهم معنا ..

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ، إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ص: ٤٩-٦٤

ترى ألا يكون هذا معززاً كافياً...

فإن كانت لديك هذه المعززات الثلاثة، ستكون بعد شهر رمضان في الاستقامة والصفاء كما كنت في شهر رمضان، وستكون عبد الله لا عبد الأزمان.

اللهم إنا نسألك في هذا اليوم المبارك، في هذه الجمعة الأخيرة من شهر رمضان أن تجعلنا من أهل العتق من النار.

ردنا إلى دينك رداً جميلاً، اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

تب علينا توبة نصوحاً يا رب العالمين ..

أقول هذا القول واستغفر الله

حقيقة الصيام

كنت أقرا معنى الوجوب للصيام في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. وكنت أبحث في كتاب الله سبحانه وتعالى عن آياتٍ تتحدث عن حقيقة الصيام، ثم وجدتها في آية في سورة الأحزاب وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالصيام الحسي، الذي يعني الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة مضمَّن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾

لأن الإسلام كما أخبرنا عنه رسول الله صلى الله وسلم قد بني على:

(.... شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)

لكن هذه الآيات رتبت لنا ترتيبا ًينبغي أن نتفطن إليه، ونفهمه، إذ عرضت لنا مدارج السالكين إلى الوصول، ومعارج التوفيق والقبول، وتحدثت فيها عن جنسَيْ هذه الأمة؛ الرجال والنساء، ليفهم كل من الرجل والمرأة أنهما مشتركان في هذه المدارج والمعارج.

جاء ذكر الإسلام أولاً:(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ).

ثم جاء ذكر الإيمان بعده: (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

ثم جاء ذكر القنوت بعده (وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ).

ثم جاء ذكر الصدق بعده (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ).

ثم جاء ذكر الصبر بعده (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ).

ثم جاء ذكر الخشوع بعده (وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ).

ثم جاء ذكر حقيقة الصدقة بعده (وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ).

ثم جاء ذكر حقيقة الصيام بعدها (وَالصَّائِمِين َوَالصَّائِمَاتِ).

ثم جاء ذكر الإحصان بمعناه الظاهر والباطن (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ).

ثم جاء ذكر حقيقة الذكر لله تعالى بقوله سبحانه (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ).

فالآيات فيها ذكر حقيقة الصيام التي نحتاج إليها في هذه الأوقات.

- (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)

مقام الإسلام هو انقياد الظاهر، أو الحركة الظاهرة بأعمال الإسلام، حينما يصلي بجسده ويصوم بجسده ويحج بجسده، فهذه الحركة الظاهرة بكل فعل خير ستولد نوراً في القلب، فالحركة الظاهرة فيها حسناتٌ وبركاتٌ ودرجات، وفيها أسرار وأنوار ستدخل إلى القلب لتنوره، فإذا تنور دخل إليه نور الإيمان. والتصديق، واليقين، ودخل إليه خوف الجليل، والتعلق بالجميل، وحضرت معاني الآخرة التي كان غائباً عنها، واستشعر وجود الملائكة وقد كان عنهم غافلاً، وبدأيستشعر في قلبه قدر الأسوة من الرسل والأنبياء والحاجة إلى الكتب السماوية التيبها يظهر المنهج ويبين.

فنور الإيمان يعقب الحركة الظاهرة التي يتحركها الإنسان في ركن الإسلام، لهذا قال سبحانه وتعالى مرتِّباً:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

والقرآن الكريم يرتب.ففي يوم من الأيام سأل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٨].قال يا رسول الله بأيهما نبدأ فقال: (ابدؤوا بما بدأ الله به).

فوجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ملاحظة الترتيب.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ ذكر الصفا أولاً ثم ذكر المروة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه أن هذا يعني البدء بالصفا.

وهكذا يقول القرآن:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ثم يقول:﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

ثم قال سبحانه وتعالى:

﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾

وماذا يعني القنوت ؟

القنوت معناه القيام بأمر الله سبحانه وتعالى على وجه الطاعة، فهو استعداد يوجد في الإنسان فيصبح الإنسان من خلاله مستعداً للطاعة من غير تكلف.

وفرقوا بين حركة الإنسان الظاهرة بأفعال الخير في مبتدأ الطريق عن تكلف، وبين القنوت الذي هو استعداد باطن للطاعة،يورث حركة وقياماً بأمر الله سبحانه وتعالى، وشتان بين الأمر الأول والثاني، لأن القنوت استعداد باطن يوجد في قلب الإنسان يكون من خلاله مستعداً للطاعة والقيام بأمر الله سبحانه من غير تكلف.

أليس عيباً في شهر رمضان أن تتسابق بعض المساجد أيها ستكون صلاة التراويح فيها أقصر، إنه فقدان القنوت!!

سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة خير فقال: (طول القنوت).

وكان يعني بذلك أن تكون في حال الصلاة مستشعراً ما في الصلاة، فلا تشعر معه بالتكلف والمشقة.

لا..صلِّ ركعتين فيهما قنوت لله سبحانه تستشعر فيهما لذة القيام، وتستشعر فيهما أنك طائع لله سبحانه وتعالى فتتلذذ بالقيام بين يديه خير لك من صلاة عشرين من غير قنوت.

ولماذا يسمى الدعاء قنوتاً؟.

ولماذا يسمى طول القيام قنوتاً؟.

ولماذا يسمى طول العبادة قنوتاً ؟.

كل ذلك راجع إلى معنى في القلب، هو الاستعداد فيه للقيام بأمر الله من غير تكلف، لأنه يجد حلاوة في العبادة تشغله عن التفكير بطول الوقت، فهو يدعو ولا يشعر بطول الدعاء، ويقوم ولا يشعر بطول القيام، ويعبدالله تعالى ولا يشعر بالتكلف في تلك العبادة، قال الله سبحانه: (وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: ٢٣٨]. وقال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ)[الزمر: ٩] قد استغرق الليل كله في العبادة بسبب قنوته، فكان ملتذاً بالطاعة من غير شعورٍ بالتكلف والمشقة.

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)[الزمر:٩]

وقال تعالى:(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا) [النحل: ١٢٠]،

وقال تعالى: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [التحريم: ١٢]

فالقنوت إذاً هو الدرجة الثالثة في مدارج الوصول، ومعارج التوفيق والقبول.

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)

ومقام الإيمان يورث القنوت.

ثم قال تعالى:(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ)

فالقنوت يُورث الصدق، فلا يتوجه إلا إلى الله، ولا يريد إلا الله، ولا يأبه بأحد من الخلق، إنه طامع بالله سبحانه، ومتوجه إلى الله وحده، لا يهمه أحد من المخلوقين إلا إذا كان ذلك بأمر من مولاه سبحانه وتعالى.

وهذه هي حقيقة الصدق، فليس الصدق هو أن يطابق بلسانه الخبر وحسب؛ إنما حقيقة الصدق ألا يتوجه إلا إلى الله سبحانه وتعالى.

فإذا ثبت في معنى الصدق الذي هو التوجه إلى الله سبحانه؛ جاءه الابتلاء، وجاءه الامتحان، وجاءته المصاعب التي يهتز عندها الناس.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) [الحج: ١١] وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.
فيحتاجا لإنسان بعد الصدق إلى خُلق الصبر، الذي يتحمل معه المشاق في سبيل الله، فيتحمل كل المتاعب، ويثبت مع الابتلاء، ولا يهتز عند الامتحان إنما يثبت على صدقه؛ لهذا قال سبحانه وتعالى:

(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ)

فإذا ثبت وصبر؛ أورثه ذلك الخشوع.

والخشوع سكون القلب أمام هيبة الله وجلاله، ويحصل حين يستشعر أنه عبد لله، والعبد ليس له أن يتحرك بين يدي سيده، فيكون ساكناً مستشعراً عظيم جلال الله وهيبته، فإذا تحقق بهذا الحال كان في الخشوع، لهذاقال سبحانه وتعالى:

(وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ)

فإذا صار في حال الخشوع والسكون لله؛انبعث بعد هذا السكون إلى الحركة بأمر الله، فكأن الخشوع فناء حركة العبد بين يدي ربه، ليكون كالميت بين يدي غاسله. وهو يورث الحركة بالله سبحانه، فتراه فيه عند ذلك بذلاً، فهو يتصدق بوقته، ويتصدق بجهده، ينتقل من السكون أمام جلال الله وهيبته إلى الحركة بالله.

وهذه هي حقيقة الصدقة، التي فيهايجعل الإنسان نفسه وماله ملكاً لله، فيتصدق بماله في سبيل الله، وفي مرضاته ومحبته، ويتصدق بأنفاسه، ويتصدق بعلمه، ويتصدق بعمله..، ولا تكون صدقته منحصرة في المال.

(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم) [التوبة: ١١١]

اشترى النفس قبل المال، فإذا توهمت أنك تتصدق حين تُخرج المال، دون أن تتصدق بنفسك؛ فأنت ما وصلت إلى حقيقة الصدقة،لأن حقيقة الصدقة أن تتصدق بنفسك قبل مالك.

يا أيها الكُسالى من أمتنا، علينا أن نبذ الكسل، كفانا كسلاً، كفانا نوماً، كفانا قعوداً..

إن الخشوع يُورث الصدقة، والصدقةصدقة بالعمل، وصدقة بالعلم، وصدقة بالوقت، وصدقة بالصحة..، فهي حالة التفتي، التي تُنتج حضارة، وحينما تحرك الرجال في تاريخنا أنتجوا الحضارة.

ثم قال سبحانه:

(وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ)

وهنا تذكر حقيقة الصيام، فحقيقةالصيام ليست صيام جوارح وحسب، تصوم فيها المعدة والفَرج، لكن تصوم فيها الجوارح أيضاً عن المعاصي، وتصوم فيها النفس عن اشتهاء المُحرَّم، ويصوم فيها القلب عن الأخلاق الخبيثة، فيتنزه من الحقد والغل والبغضاء والأخلاق الذميمة.

ثم هنالك صوم الروح، وصوم الروح: أن لا تتعلق الروح بغير ربها، ولا تلتفت إلى غير باريها.

فلا يتم الصيام ولا تتحقق حقيقته بصيام الجسد؛ إنما لابد من صيام الجسد، وصيام النفس، وصيام القلب، وصيام الروح،فإذا تحققت هذه الأنواع من الصيام؛ تحققت لك حقيقة الصيام، وإذا صام جسدك، وأفطر قلبك، ونفسك، وروحك؛ فأنت ما صمت إلا صورة، ولم تكن من أصحاب هذه الحقيقة،

فإذا تحققت للإنسان حقيقة الصيام هذه؛ صار مُحَصناً محفوظاً.

وهنا مقام الحفظ، والإحصان.

الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم مقام العصمة، والأولياء والصالحون لهم مقام الحفظ والإحصان.

وإلى هذا أشار قوله تعالى:

(وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ)

وحفظ الفرج لا يكون بمجرد ترك الزنى،لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أن الجوارح تزني: فالعين تزني، والأذن تزني، واليد تزني، والرجل تزني.

ولا يتحقق حفظ الفرج حتى تكون النفس ذات إحصان، فلا يشتهي إلا ما أحله الله، ، ولا تشتهي العين أن تنظر إلا إلى ماحلله وأباحه الله، ولا يتحرك اللسان بالبذيء والفاحش، ولو على سبيل المُزاح..

فالمزاح فرصة لزنى اللسان عندكثيرمن الناس، لأنه يتحدث بالفُحش على سبيل المُزاح!

كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً.

أما المُزاح اليوم فإنه مادة وموضوع للزنى عند كثير من الشباب، حتى يُضحِك ويَضحَك، وما هو إلا نوع من زنى اللسان، لأن اللسان يزني، ولأن العين تزني، ولأن الأذن تزني، ولأن اليد تزني، ولأن الرجل تزني،والنفس تزني كذلك، والقلب يزني كذلك، فإذا وصل الإنسان إلى تطهير ذلك؛ كان في مقام الإحصان، وحقيقة الصيام مقدِّمة لحقيقة الإحصان.

فإذا تحقق له هذا الإحصان؛ انتقل إلى مقام الذكر لله سبحانه، ولم يعد من الغافلين.

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا تجعلنا من الغافلين.

والغفلة هي سر البلاء، وهي المصيبة،لهذا جعل الله سبحانه تعالى آخر مقام في مدارج السالكين إلى الوصول، ومعارجالتوفيق والقَبول؛ مقام الذكر، الذي هو دوام التذكُّر لله، فيذكر في كل أوقاتهجمال الله وجلاله.

كم من الناس من لا يذكر إلا الدنيا!

كم من الناس من لا يذكر إلا الأشياء!

كم من الناس من لا يذكر إلا النساء!

كم من الناس من لا يذكر إلا نفسه!

كم من الناس من لا يذكر إلا مشكلاته!

أما هذا الصنف فإنه ارتقى إلى ذكرالله، فما أصابه من مصيبة في الأرض، وما رأى شيئاً على الأرض ولا في السماء؛ إلاانعكاساً ومرآة لتعلقات أسماء الله سبحانه وتعالى، فيشهد في الكون جمال الله وجلاله.

هذه حقيقة الذكر، التي هي آخر ماعدَّه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، وهو القائل: ﴿فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

أما المغفرة ففيها ستر الذنوب والعيوب، وأما الأجر العظيم فمُعبَّر عنه بقوله:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]فلهم الجنة والنظر إلى وجه الله.

اللهم متِّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، وارزقنا يا مولانا حقائق ما في هذه الآيات، واجعلنا من أهل حقيقة الصيام والقيام، والقنوت لك يا رَبَّ العالمين، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول واستغفر الله.

مجمع العطايا

اقترب موعد الدعاء، ففي النصف الثاني من هذا الشهر المبارك أيها الإخوة الأحبة، يتوجه المسلمون إلى الله تعالى بالدعاء في صلاة قيام الليل وفي دعاء الوتر.

فموسم الدعاء اقترب، واستمطارالعطايا من الله تعالى والاستغاثة به وطلب نجدته آن وقته ودنا موعده.

وقد استوقفني دعاءٌ نبويٌّ ورد في روايات أخرجها الحاكم والترمذي وغيرهما أن الله سبحانه وتعالى قال للحبيب سيدنامحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:(يا محمد قل تسمع وسل تعطَ)

فاختار النبي صلى الله عليه وسلم كلمات ألهمها الله تعالى إياه، وقال :

(اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك وأنا غير مفتون اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك).

فلما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه هذا الخبر وما تضمنته تلك المكالمة قال لأصحابه ولأمته (إنها حق،فادرسوها ثم تعلموها).

وجدت فيها مجمع العطايا، وفيها تأكيدمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضموناتها، ومعانيها، وفيها تعليم لنا أن لانتلفظ بألفاظها وحسب، إنما أن ندرسها وأن نفهمها وأن نتعلمها وأن نتحقق بها ،فأحببت أن أقف مع جمل هذا الدعاء وقفات سريعة.

– أما الأمر الأول الذي طلبه سيدنارسول الله صلى الله عليه وسلم فهو: فعل الخيرات.

وفعل الخيرات مفهوم عام كبير لا تكفي المجلدات لتفصيله، لكن مجمله أنه فعل تعميري، فالمنكرات إفساد وتخريب، والخيرات إصلاح وتعمير.

فعل الخيرات فعل تعميريٌّ هادف من خلاله تبنى الجماعة والمجتمع

ولاحظوا أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل أسألك فعل خير، لكنه قال صلى الله عليه وسلم فعل الخيرات، فأتى بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد، وهو يفيد أن تحصيل الخير العام والفعل التعميري الهادف ينبغي أن يكون على جميع الأصعدة، الإنسانية والاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية والسياسية، وعلى جميع المستويات الفردية والجماعية وأن لا يكون بفعل واحد بل يكون بمجموع أفعال،فإذا تكاملت تلك الأفعال وتكررت وتأكدت يحصل البناء والتعمير.

ففعل الخيرات إذًا فعل يحتاج إلى مداومة واستمرار وصبر وطول انتظار، ويحتاج إلى فعل دؤوب تنتهض فيه الهمم، وتتكامل فيه اليد مع اليد.

أما الأمر الثاني فهو ترك المنكرات،وترك المنكرات هو ترك الإفساد والتخريب، وربما يظن الواحد منا أن فساده الخاص لايقود إلى الفساد العام، وتلك هي إشكالية الفردية والأنانية التي يغيب فيها ذهن الإنسان عن صالح الأمة!.

لا ... إن الفساد الخاص الفردي ينعكس على الصالح العام بالفساد.

وقد مثل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لنا بمثال في حديث صحيح أخرجه الأمام البخاري وغيره، يقول فيه صلى الله عليه وسلم:

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفله اإذا استقوا من الماء مَروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم تؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا و ونجوا جميعا).

مثل القائم على حدود الله :أي المستقيم على أمر الله سبحانه في ذات نفسه.

والواقع فيها: الفرد الذي ينحرف على المستوى السلوكي أو المالي، أو الاجتماعي، أو الإداري، وبكل أنواعه الانحراف ، بكل أنواعه، سيعود انحرافه على الأمة.

سيعود فساد الفرد على الجماعة والمجتمع بالفساد.

وكلما كانت مسؤولية الفرد أكبر، كلماكانت مساحة الفساد أوسع.

وظلمانية المعاصي الفردية ستؤثر على المجتمع كله.

ولماذا أتى بالجمع أيضاً في ترك المنكرات ولم يأت بالمفرد؟.

لأن المنكرات أنواع أيها الإخوة الأحبة.

قال سبحانه وتعالى :

(وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ) [الأنعام : ١٢٠].

إذاً فالإثم له ظاهر، وله باطن، وثمَّة منكرات ظاهرة معروفة، وثمة منكرات باطنة.

الحقد في القلوب هو من المنكر الباطن، والحسد في النفوس هو من المنكر الباطن، أما الغش، والخيانة، والغيبة، والنميمةفهي من المنكر الظاهر...

فإذا أردنا صلاح الأمة لابد لنا أن نبدأ بالحساب الخاص.

كنت أقرأ اليوم في سيَِر من تحققوا بالصفاء والاستقامة، فكانوا كما نقل عنهم يمسك الواحد منهم بدفترٍ للحساب، ويجلس في آخر النهار يتذكر ما صدر عنه من قول اوفعل.

وقال بعضهم : "وزدت على الأقوال والأفعال فأضفت إلى دفتري ما يرد على باطني من خواطر السوء".

واليوم، نحاسب في الأموال، لكننا لانحاسب أنفسنا في ميزان الخيرات والمنكرات.

كان الواحد من سلفنا لا ينام إلابعد تصفية حسابه، فإن وجد في نهاره قولاً باطلاً لا يرضاه الله جلس يستغفر، وإنرأى في دفتره فعلاً أثيما يكرهه الله سبحانه، تاب إلى الله، وإن رأى في دفتره توفيقاً وطاعة جلس يحمد الله تعالى ويشكره. فأين نحن من هؤلاء؟

هل عرفنا أننا سنحاسب يوماً ما فإن نحن حاسبنا أنفسنا قبل أن نحاسب دخلنا الجنة من غير حساب.

أنت أيها الإنسان مخير فإما أن تقوم بحساب نفسك فتعفى من الحساب هناك، وإما أن تحاسب يوم القيامة:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أو توزنوا)

فقوله تعالى : (وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) أي اتركوا ظاهر الإثم وباطنه.

ثم جاء في نفس السورة بعد ثلاثين آيةقوله : (وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[الأنعام: ١٥١]

فبعد أن قال اتركوا قال ابتعدوا.

اتركو:أي اخرجوا من النار إلى حافة خندقها، أما ولا تقربوا أو ابتعدوا فهووضع مسافة احتياطية بينهم وبين المنكرات.

(وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)

أي لا تعرِّضوا أنفسكم من خلال قرناءالسوء، أو الأماكن التي ترتادها الشياطين، أو الظرف الذي تعلمون فيه احتمال الوقوع في الإثم.

أما المفردة الثالثة فهي:حب المساكين:

واليوم يشيع في الناس حب الأغنياء ، والأثرياء،وأصحاب الجاه والمسؤولية، أما حب المساكين قد فُقد ، والحديث يتحدث عن الحب لا عن الشفقة، وفرقوا بين الشفقة والحب.

حب المساكين؟

نعم حب المساكين، لأنهم هم الذي سيدخلونك الجنة، ألا تحب من سيدخلك الجنة؟

سبحان الله ، هيأ الله سبحانه وتعالى لخدمة المساكين عبده الخضر الذي جاء بعلم لا يعلمه موسى كليم الله، ألم تقرؤوا في سورة الكهف :

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف : ٧٩].

فحمى السفينة لأنها كانت لمساكين.

وعائشة رضي الله عنها تعجبت من قضيةحب المساكين، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فأجابها كما يروي الإمام الترمذي رحمه الله :

إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، ثم قال يا عائشة:

(لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، ياعائشة أحبي المساكين وقرِّبيهم)

فحب المساكين يكافئك الله سبحانه وتعالى عليه بحبك.

تحبهم فيحبك، وتقربهم فيقرِّبُك.

من كان يعاني من الكبر والعجب فليذهب إلى أفقر أحياء المدينة وليجالس فقرائها، وليستشعر أنه يجلس مع إنسان، وسيشفى من كبره وعجبه.

قامت قيامة أمريكا حينما هبَّ إعصارٌ في بلادهم، فلما زلزل زلزال باكستان ما رأينا قيامة لأحد.

هناك رصدت المليارات، وهنا المتبرعون حتى الآن لا يتجاوز ما أنفقوا وقدموه في العالم ربع مليار دولار، وهناك يرصد مائة مليار دولار لماذا؟

هؤلاء مساكين لذلك لا يؤبه لهم، ولاقيمة لهم.

كان عدد الذين تأثروا بالإعصار كماهو معلن بحدود الألف، عدد الذين قتلوا في الزلزال تجاوز الثلاثين ألف.

إذاً الإنسانية تعاني من أزمةحقيقية، فلو رأت تسونامي على شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية سوف تدفع مليارات المليارات، أما تسونامي على شواطئ شرق آسيا، أو زلزال باكستان فلا ... لأن هذه هي منطقة المساكين، وليمت المساكين.

لو أننا اليوم نظرنا إلى مدينتنا ألانرى الأحياء الغنية التي لا تلتفت إلى أحوال الأحياء الفقيرة؟

ألا ترى تحسيناً في الحي والمسجد والنادي هناك، أما حي المساكين فليهبط فوق رؤوس أصحابه.

إذًا نحن فقدنا حب المساكين، وربماتوجد هذه الظاهرة بيننا في شخص أو شخصين ، أما أن تكون منتشرةً ظاهرةُ حب المساكين،وتحقيق المساواة الإنسانية فليس الأمر بمتحقق!!

حين أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن قال:

(خذ صدقة من أغنيائهم أعطها لفقرائهم)

لم يقلrاذهب يا معاذ وأرسل لنا بالمال من اليمن، إنما قال خذ من أغنيائهم وأعط فقراءَهم، لماذا؟. لتتحقق العدالة، وليتحقق التكافل.

هذه القيم أصبحت شعارات، لا نجد لهاتطبيقًا عمليًّا، إذاً نحن في أزمة إنسانية، تحتاج إلى إصلاح حقيقي.

نكرم الغني ونحبه ونبجله وليس عندناحب المساكين، أما سيدنا رسول الله فإنه يطلب من الله التوفيق لفعل الخيرات وتركالمنكرات وحب المساكين.

وأن تغفر لي:

الآن كلنا يرفع اليد يقول اللهم اغفرلي، وكلنا في الصلاة وفي القنوت ولاسيما في قنوت العشر الأخير من رمضان، نرفعا لأصوات ونصيح يا رب اغفر، لكننا ننسى أن المغفرة وضع الله سبحانه وتعالى لهاأسباباً، فكما تقول اللهم ارزقني وتأخذ بأسباب الرزق، وكما تقول اللهم وسع علي وتأخذ بأسباب السعة، وكما تقول اللهم اهدني وتأخذ بأسباب الهداية، كذلك إن قلت اغفر لي فإن الله سبحانه وتعالى بين أسباب المغفرة.

إذا أردنا أن نفهم القرآن علينا أن نفهمه بالنظر إلى مجموع آياته، فهناك آيات تحدثت عن السبب وهناك آيات تحدثت عن النتيجة.

فهل أخبر القرآن عن أسباب المغفرة؟.

نعم اقرؤوا كتاب الله سبحانه وتعالى قال سبحانه وتعالى :

﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٩].

ومعنى آمنوا: أخذوا بأسباب الإيمان،فإن قال الله تعالى آمنوا فيعني خذوا بأسباب الإيمان.

فمن أسباب الإيمان ارتياد المساجد:

(إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان).

ومن أسباب الإيمان تدبر القرآن:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢]

ومن أسباب الإيمان الثقة بالله.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾ [آل عمران:١٧٩]

إذًا هناك أسباب لزيادة الإيمان، فإن نحن أخذنا بأسباب زيادة الإيمان حتى أصبح إيماننا بالغيب كإيماننا بالحِس أو أقوى من إيماننا بالحس؛ تحقق السبب الأول للمغفرة.

والسبب الثاني للمغفرة العمل الصالح:

﴿عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾

أما أن يكون الإنسان فاعلا للفسوق صباح مساء، ثم لا يتوب ويقول: اغفر لي. ويأكل الحرام و يقول: اغفر لي!!

ذَكَرَ النبي صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعث أَغْبَرَ يَرفع يَدَيْهِ بالدعاء: يا رَبّ يا رَبّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِي بالحَرَامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ.

من أين تأتي المغفرة!

وسعد رضي الله عنه لما أوصاه رسولالله صلى الله عليه وسلم قال:

(أَطِبْ مَطعَمَك؛ تَكن مُستجاب الدعوة.)

إذاً حين نقول: اغفر لي. ينبغي أل اننسى أن المغفرة لها أسبابها.

(..وأَنْ تَغْفِرَ لِي وتَرْحَمَنِي،..)

وللرحمة أسباب أيضاً!!

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾

هل اعتصمت بمالك، أو اعتصمت بجاهك، أو اعتصمت بأولادك، أو اعتصمت بأصحاب الجاه؟

بمن اعتصمت؟ وعلى من توكلت؟ ومن هو سندك؟ ومن الذي يدعمك؟ الله.

فإن كنت كذلك تكون مرحوماً.

والاعتصام بالله، هو ثمرة اليقين، والإيمان،وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

(أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك،ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك.)

اعتصمت بك، فالدعم يأتيني منك.

هذه المعاني أيها الإخوة، أيها الشباب والكبار، هي التي تُربِّي الأجيال، وهي التي تنهض بنا، وهي التي تجعلنا لا نتوجه في كل أحوالنا إلا إلى الله.

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ)

إذاً فأسباب المغفرة: إيمان وعمل صالح.

وأسباب الرحمة: إيمان واعتصام بالله.

(..،وَإِذَا أَرَدْتَ بقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إليك وأنا غَيْرَ مَفْتُونٍ،..)

إنها الفتنة التي تجعل الحليم حيران، فيحار الإنسان ماذا يصنع فيها.

وهل للفتنة سبب؟.

أخرج بن عبد البَر، أوحى الله عزو وجل إلى بعض الأنبياء:

(قل للذين يتفقهون لغير الدين،..) أي يتعلمون علم الدين؛ لكن لغير الدين، بل لغاياتٍ ومآرب.

(ويتعلمون لغير العمل) فالعلم كثير لكن من غير تطبيق، فليس له أثر على أرض الواقع.

﴿ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة﴾ يريدون أن يأخذوا من صلاحهم الظاهر مالًا ودنيا، فيُظهرون للناس صلاحاً؛ حتى يأخذوا من وراء هذا الدنيا.

﴿قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مُسوك الكباش ﴾ أي جلد ناعم لطيف.

﴿وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون ؟ وبي يستهزئون؟ لأفتحنَّ لهم فتنة تذر الحليم حيران﴾

إذا لا يخرجنا من الفتن، ولا يجعلنابعيدين عنها إلا الصدق، والانسجامُ بين الظواهر والبواطن، فإذا تناقض الظاهر مع الباطن؛ سيقع الإنسان في الفتنة التي تجعل الحليم حيران.

فلنتنبَّه يا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما أحوجنا إلى الصدق!

وما أحوجنا إلى الوضوح!

وما أحوجنا إلى التوجه إلى الله!

وما أحوجنا أن يكون أمامنا هدف واضح نسير عليه، وفق صراط مستقيم!

﴿أَسْأَلُكَ حُبّكَ وَحُبّ مَن ْيُحِبّكَ﴾

﴿أَسْأَلُكَ حُبّكَ﴾

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هي نتيجة.فماهي مقدماتها وأسبابها؟

مقدماتها وأسبابها: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)

هل كنت متكبراً مع أهل الإيمان، أم متواضعاً؟

(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) حينماتشعر بهويتك، وأنك تحمل الأمانة، والرسالة، وتقول كما قال رِبعي:

(إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.)

هذه هي العزة بالله، والهوية التي تكون فيها عزيزاً بمبدئك، واثقاً مما تحمله من المعاني والأخلاق والقيم، لا تستجد يشرقًا أو غربًا.

(يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ) يبذلون جهداً، فالجهاد لا يحصر في القتال، وبذلُ الجهد لخدمة الحق بكل أنواعه ونشره هو جهاد.

(وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) لأنهم أصحاب خَشية الله. (اللهم إني أَسْأَلُكَ حُبّكَ وَحُبّ مَنْ يُحِبّكَ،..)

فهمنا أن نسأله حُبَّه، فلماذا نسأله حب من يُحبِّه؟في الحديث المتفق عليه: (يا رَسُول اللَّهِ كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟..) ليس عنده من الأعمال الكثيرة التي يلتحق بسببها بهم، فهم سبَّاقون في الخيرات دائماً، وهو يحاول، لكنه لا يلحق بهم.

فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (المرء مع من أحب)

واليوم بناتنا يُنشَّؤون على محبة المطربة، والمثل أمام شبابنا المطرب أو المطربة، وهي أمثلة لا تسوق إلى حضارة، إنما تهيئ لدعارة!!

(المرء مع من أحب) فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي.

وفي الحديث المتفق عليه:أَنّ أَعْرَابِيّا قَالَ لِرَسُول ِاللّهِ صلى الله عليه وسلم: مَتَىَ السّاعَةُ؟

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟)

قَالَ: حُبّ اللّهِ وَرَسُولِهِ.

يقول الإعرابي: أنا أحببت الله وأحببت محمداً، أحببت الله وأحببت من أَحبَّ الله.

قَالَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)

قال الترمذي في روايته، يقول أنس:(فمَا رَأَيْتُ فَرِحَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُمْ بهذ.)لأنهم كانوا يحبون سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وآخر عبارة في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم:(وحُبّ عَمَلٍ يُقَرّبُ إِلَى حُبّكَ)

دلَّ على هذا العمل الذي يقرِّب إلى حُبِّ الله الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري، والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يَبطش بها، ورجله التي يَمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنهَّ)

فما هي النوافل؟ النافلة في اللغة: الزيادة. وهي ما زاد عن الفريضة.

فمن كان يبحث عن الزيادة فإنه يسلك طريقاً إلى محبة الله.

وأما معنى:

(كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به،.. الحديث)

فمعناه يصير في بصر الإنسان وسمعه النور،فلا يقبل بصره إلا طاعة الله، ولا تقبل أذنه إلا طاعة الله، ولا تقبل يده إلا طاعةالله، ولا تقبل رجله إلا طاعة الله، من غير تكلُّف، فيُحفظ، ويَتعلق بما أحبَّه الله، ويكره ما يكرهه الله.

اللهم اجعلنا في هذا الشهر من المقبولين، وحُفَّنا يا مولانا ببركة دعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،وحقِّقنا به، يا أكرم الأكرمين.

أقول هذا القول واستغفر الله.

الاعتكاف دراية وأثرا

تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها كما في الحديث المتفق عليه في صحيحي البخاري ومسلم:

(كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيى ليله، وأيقظ أهله).

إذا دخل العشر: أي العشر الأخير من شهر رمضان.

شد مئزره: أي اجتنب النساء.

وأحيى ليله.

وأيقظ أهله.

وجدت في هذا الحديث عناوين ثلاثة، لموضوعات ثلاثة، نحتاج إليها ونحن في نفس الوقت والمناسبة الزمانية التي كان صلى الله عليه وسلم يحيي مضموناتها.

أولاً : كان إذا دخل العشر شد مئزره: وهي رهبانية مؤقتة في الإسلام.

فلا يتبنى الإسلام الرهبانية التي يكون فيها الإنسان من غير زوجة ولا ولد إلا في وقت قصير. فقد تبنى الرهبانية المؤقتة في مكان خاص أو في زمان خاص.

أما المكان الخاص فهو بيت الله الحرام حينما يتوجه الإنسان إليه حاجًا أومعتمرا قال تعالى:

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ)[البقرة: ١٩٧]

وقوله تعالى: (فَلاَ رَفَثَ) يتضمن فيما يتضمنه وجوب اعتزال النساء، فهي رهبانية مؤقتة مدةَ إحرام الإنسان بالحج أو العمرة.

وفي شهر رمضان في عشره الأخير رهبانية مؤقتة في الزمان، فالله سبحانه وتعالى الذي قال لعباده: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ) [البقرة: ١٨٧] مدة شهر رمضان استثنى العشر الأخير فقال: (وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ)

فمن جملة أحكام الاعتكاف في العشر الأخير من شهر رمضان الرهبانية المؤقتة هذه.

والاعتكاف في العشر الأخير من شهر رمضان سنة مؤكدة لم يتركها النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته.

إذًا فالرهبانية المؤقتة تكون مرة كل سنة، وإذا أردنا أن ندخل إلى معناها الذي هو الجزء الأول من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها نجد فيها تخلقًا بخلق الفرد سبحانه، الذي تَنزَّه عن الزوجة والولد.

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ١-٤]

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا {٣}الجن

فالرهبانية المؤقتة في عشر شهر رمضان الأخير فيها تَخَلُّق بخلق الفرد سبحانه، وفيها تَخَلُّق بالصمدانية، لأن الصمد لا يحتاج إلى أحد، والمعتكف في العشر الأخير من شهر رمضان لا يحتاج إلى الخَلق.

ثم إن في هذه الحالة التي يكون فيها الإنسان متفردًا وفردًا، تخلقًا بالحال التي يكون عليها يوم القيامة، لأنه يومها سيأتي ربه فردًا، قال تعالى:

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠] ليس معه أحد، لا زوجة ولا ولد.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وأَبِيه، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ،لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس ٣٤-٣٧].

فيكون المؤمن متذكرًا أنه سيأتي يوم القيامة فردًا متفردًا، لا يتذكر زوجة ولا أمًا ولا أبا ولا ولدًا، يدعوه ربه وحده، فيكون في اعتكاف العشر الأخير مُتخلقًا بهذا الخلق ومتحققًا بمعناه.

إنه خروج عن المألوف، فهو طولَ السنة مع زوجته وأولاده، ومع الخَلق، لكنه في العشر الأخير من رمضان يكون فردًا، متوجهًا إلى الفرد المطلق سبحانه وتعالى وحده.

أما العنوان الثاني في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها:

الذي تقول فيه: (وأحيى ليله) فهو: الروحانية المُرَقِّية.

وكم يحتاج الإنسان وهو في معمعة المادة التي يجول فيها ليل نهار، وصباح مساء، إلى أيام يرتقي فيها بروحانيته فوق نفسه ورغباتها، وجسده وما يطلبه.

فيحيي ليله بذكر الله وعبادته، وقيام الليل، ومعنى (أحيى ليله) يعني أحيى غالب ليله.

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤] أي رتِّل القرآن في قيامك لليل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

فلا يمكن للإنسان أن يتحمل مسؤولياته والتبعات التي ينبغي عليه أن يحملها إلا إذا كان له إعداد في الليل.

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسانَ النهار رهبانَ الليل، وكنتَ في المدينة تسمع دويًا كدوي النحل.

إذا كان وقت السحر ومررت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت تسمع دوي بيوتات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كدوي النحل من قراءة القرآن في قيام الليل.

فهل هذا هو حال أمتنا اليوم؟

وهل هذا حالنا في أوقاتنا المعتادة؟

أو هل هذا حالنا في العشر الأخير الذي يخرج فيه الإنسان وقد أعتقه الله تعالى من النار؟

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) [الإسراء: ٧٩].

فإذا أخذ قسطًا في الليل من النوم، ثم قام بين يدي ربه في قيام الليل يتدبر آيات القرآن، يقرؤها بين يدي مولاه؛ فإنه يسمى في هذا الحال متهجدًا.

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً) أي زيادة لك في الخيرات وارتقاءً، وهنا يأتي معنى ترقية الروح من خلال معنى الزيادة؛ لأن الزيادة هنا هي عروجُ روح.

(نَافِلَةً لَّكَ) معراجًا تعرج به في روحانيتك.

(عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) الذي هو نهاية المعراج.

(وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) [الإسراء: ٨٠]

وانظر في السورتين حيث فيهما قيام الليل والتهجد، كيف كان بعد قيام الليل: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) [المزمل: ٤].

وكيف أُمر أن يطلب بعد التهجد: (وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا)

ففي الحالتين يهيئ قيام الليل وعروج الروحانية للتبعات؛ ليقوم بها أحسن قيام بأمر الله سبحانه وتعالى، وليكون خليفة في الأرض عن ربه سبحانه.

وأخرج ابن ماجة عن جابر مرفوعًا

(من كثرت صلاته بالليل حسنت صلاته بالنهار)

قال العلماء: وإن كان هذا الحديث ضعيفا، لكن النصوص تعضده وتشهد له التجربة ، فما رؤي قائم في الليل إلا وقد استنار وجهه بأنوار الله.

العنوان الثالث في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها المستفاد من قولها:(وأيقظ أهله): هو المسؤولية الملازمة التي لا تنفك عن الإنسان.

فمع كونه صلى الله عليه وسلم كان معتكفًا في العشر الأخير، كان يرسل إلى أهله يأمرهم بالقيام، وعدم تضييع الأوقات، وعبادة الله سبحانه حتى لا تُحرم نساؤه بركة الليل، وبركة العبادة، والقيام.

إنه مع كونه فردًا في الرهبانية المؤقتة؛ لكن هذه الرهبانية المؤقتة لم تلغ مسؤوليته الملازمة له.

فما بالنا حتى ونحن مع أهلينا لا نستشعر هذه المسؤولية الملازمة؟

في وقت العبادة التي يكون فيها المؤمن منقطعًا عن جميع الخلق لا تنفك عنه مسؤوليته عن أسرته، فكيف بالذي يكون مع أسرته ثم لا تكون المسؤولية حاضرة عنده؟

(قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)[التحريم: ٦]

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه: ١٣٢].

إنها مسؤولية في كل الأوقات عن الأسرة.

فأين نحن يا أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه من هذه المسؤولية؟

كم نُضيع اليوم من الأُسر!

يتزوج الشباب ولا يدركون أن الزواج هو دخول في مسؤولية جديدة.

(كُلّكُمْ رَاعٍ وكُلّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيّتِهِ، فالرّجُلُ رَاعٍ في بَيْتِهِ، ومَسوؤلٌ عن رَعِيّتِهِ ، والمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِهِا ومَسؤولَةٌ عن رَعِيّتِها)

أين نحن من تربية الأسرة؟

وأين نحن من معاني الإسلام داخل الأسرة؟

وأين نحن من التذكير بالله داخل الأسرة؟

وأين نحن من التذكير بالآخرة داخل الأسرة؟

أخرج أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم:

(إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله..) وهذا في كل أوقات السنة.

(... فصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين اللّٰه كثيرًا والذاكرات)

والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حين دخل معتكفه، لم يكن يريد أن يُحرم في هذه العَشر، ممن يكتب عند الله من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات مع أزواجه !

فهل هذا من مقاصدنا اليوم يا أحباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

هل من مقاصد الأسر في هذه الأيام أن تكتب من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟

أم أن المقاصد لا تتعدى الأمور المادية؟

نقضي أوقاتنا في الليل على ما يصل إلينا من الفضاء، من المضحك أو المبكي!!

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ أهله فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل وأيقظت زوجها فصلى فإن أبا نضحت في وجهه الماء)

أين هذا الحال الذي يتعاون فيه الزوج مع زوجته ليتكاملا في طريق القرب إلى الله، فإذا رأى الأبناء حال الأب والأم كهذا الحال؛ تبعاهما في التَقرّب إلى الله سبحانه وعمَّ النورُ البيت.

إنها عناوين ثلاثة يا إخوتي في العشر الأخير من شهر رمضان، ينبغي لنا أن لا نفوتها وشهر رمضان يلوِّح لنا مودعًا.

علينا أن نودعه ونحن حاضرون مع هذه العناوين الثلاثة، لأن أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

هاهو يلوح لنا بالوداع، فبماذا نقول له وداعًا، إن لم يكن عندنا تَفرُّد وإقبال على الله.

بقيت أيام قليلة، ولعلنا لا نُفوِّت هذه الأيام، ولا نُفوِّت بركة ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

اللهم لا تحرمنا بركات شهر رمضان، ولا تحرمنا بركة ليلة القدر، واجعلنا من عتقائك من النار يا رب العالمين، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول واستغفر الله.

خطبة عيد الفطر

أمرنا الله سبحانه وتعالى وعلَّمنا إذا ما أتممنا صيامنا كيف نكبِّره ونعظِّمه ونشكره على ما أولانا من نعم، وعلى ما وفقنا إليه من طاعته، قال سبحانه وتعالى جل من قائل:

(وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) [البقرة : ١٥٨].

(وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ) عدة شهر الصيام.(وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ)لتعظموه فحقيقة التكبير تعظيم الله ، لتعظموه وقد علمتم أن ما كان من صيامكم وقيامكم إنما هو من فضله وتوفيقه، وهو الذي خلق ونسب إليك.

وفي نهاية الطاعة قد يخطر لقلب الإنسان أن يعظِّم عمله، وقد يخطر لقلبه أن يعظم اعتكافه، وقد يخطر لقلبه أن يعظم صيامه، وقد يخطر لقلبه أن يعظم قيامه، وقد يخطر لقلبه أن يعظم ذكره..

لذلك أخرج الله سبحانه وتعالى الإنسان عن شهود عمله ليكون بعد طاعته هذه معظماً لله وحده.

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

وهكذا يبدأ موسم الشكر بعد موسم التوفيق، فقد وفقنا في مبتدى الأمر وطلب منا الثبات بعد أن تمم لنا توفيقه.

هدانا فلما رأينا هدايته وعظمناه بقي علينا أن نشكر نعمته.

إنه سبحانه لا ينتفع بطاعتنا ونحن الذين ننتفع، ونحن الذين نستفيد من الصيام والقيام، لهذا دعانا سبحانه وتعالى بعد أن وفقنا إلى شكره.

وحقيقة شكره أيها الإخوة ليست مجرد شكر لساني قولي فالشكر هو الثبات على الطاعة، وهو حقيقة الشكر، ينعم علينا بنعمه فندوم عليها ولا تتوجه بعدها إلى معصيته.

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

فهل ستشكرونه بالثبات على طريق الهداية؟.

وهل ستشكرونه باستعمال نعمه التي أنعمها عليكم فيما يرضيه؟.

وهل ستصرفون أوقاتكم بعد موسم الخير في حركة الجسد بطاعة الله سبحانه في انقياد النفس واستسلامها لأمره ولمراده لتستشعر معنى العبودية؟.

وهل ستشكرونه من خلال توظيف عقولكم في تدبر المنافع التي تعود على خلق الله؟.

وهل ستشكرونه من خلال القلب الخاشع الذي يسعى صاحبه لزيادته وتعيمره بأنوار الإيمان؟. ..

فالشكر الثبات على طاعته جسداً ونفساً وعقلاً وقلباً ليكون الإنسان بعد موسم الخيرات ثابتاً على طاعة الله مواظباً عليها بكل ذراته وجوارحه.

واقرأ بعدها قوله تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

إذا سالك العباد عني يا حبيب الله يا محمد (صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً).

إذا سألك عبادي عن وصفي، وعن عاداتي في خلقي.. فقل لهم الجواب: أنا الذي أحوطهم بعنايتي وأكلؤهم بحمايتي وأمُنُّ عليهم بفضلي وإحساني ..

فحين يقول سبحانه (فإني قريب) يعني أنني قريب منهم أعتني بهم ، وقريب منهم أحميهم ، وقريب منهم أُنعم عليهم بفضلي وكرمي فهم غرقى إحساني، أنا القريب منهم أتحبب إليهم في كل نَفَس بالنعم، وأتحبب إليهم في كل نفس بالعطايا، إني قريب وفي قربي متفضل على عبادي، وإن هم بعد ذلك دعوني أستجيب لهم، فأنا أعطيهم قبل أن يتوجهوا بالدعاء إلي ، وأعطيهم حينما يتوجهون بالدعاء إلي، فحينما ينسون الدعاء أحوطهم بعنايتي، أرزقهم وأعطيهم، وحينما يتضرعون بين يدي – والتضرع والدعاء إعلان انكسار وعبودية– فإذا ما استشعروا عبوديتهم ووقفوا بين يدي يتضرعون ويعلنون عبوديتهم أجيب دعائهم وألبي رجائهم.

إنه سبحانه حين قال : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ثم قال بعدها : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ .

فهو يريد أن يعزز معنى الشكر فيك فلماذا لا تشكره ؟.

أي لماذا لا تشكر ربناً قريباً منك بعطاياه وإحسانه ؟.

كيف تشكر الخلق ولا تشكر من هو قريب إليك بفضله وكرمه وجوده ومنته ووهبه!!

(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي). فليستجيبوا لرب هذا وصفه.

إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه، حسِّن ظنك به لأجل معاملته فهل عودك إلا حسناً ، وهل أسدى إليك إلا مننا .

(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي) فإن علموا أن هذا وصفي.. ألا يستجيبون لرب هذا وصفه يدعوهم للكرامة والعطية، يريد لهم الخير في دنياهم، ويريد لهم الخير في آخرتهم.

(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي) لأن من عرف ما تقدم من الأوصاف سيستجيب. (وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

إن الإيمان يا إخوتي ينور القلب، وإذا تنور القلب تفتحت عين البصيرة، وإذا تفتحت عين البصيرة أبصر رشاده .

(وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

حيرة الناس اليوم وضياعهم عن طريق الرشاد لأن عين القلب لا تبصر، فلو أن عين القلب أبصرت حين يتنور القلب بأنوار الإيمان فإن ذلك سيقودهم إلى إبصار الرشاد، فلا يمكن لمجتمعنا أن يكون راشداً إلا إذا تعمر بالإيمان، لأن الإيمان يُنور البصيرة، وإذا تنورت البصيرة أبصر طريق الرشاد، فالضلال سببه عمى القلب، وعمى القلب سببه عدم وجود أنوار الإيمان.

أيها الإخوة هذا يوم فرح بفضل الله، والمصطفى صلى الله عليه وسلم أخبر فقال: (للصائم فرحتان، فرحة يوم فطره – وهذا هو يوم فطرنا– وفرحة عند لقاء ربه) .

هذا يوم الفرح الأول ، ونسأله تعالى أن يتمم لنا بالفرح الثاني .

وهذا يوم الجائزة فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبوابا لطريق فنادوا أغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل) يمن بالخير لأنه وفقنا في شهر رمضان، ثم يثيب عليه الجزيل من الثواب مع أنه هو الذي تفضل في الابتداء.

(إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبوابا لطريق فنادوا أغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتهم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا –يعني إذا صلوا صلاة عيد الفطر كما صليتم– نادى مناد إلا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة).

اللهم امنن علينا بالجائزة عاجلاً وأجلاً يا رب العالمين، وأمنن على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجائزة عاجلاً وآجلاً يا رب العالمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

هل سنصوم وهل سنقوم؟

هل سنصوم وهل سنقوم؟

أتساءل أيها الإخوة وتتساءلون جميعًا، لماذا يتجرأ أعداء الله على إسلامنا ومقدساتنا، وقرآننا، وحبيبنا وإمامنا سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ويكررون ذلك تكريرًا لم يُعهد من قبل، فكل يوم تطالعنا جرأة وإساءة جديدة؟

ما سبب كل هذا؟

لم يكتفوا بالاعتداء على أرضنا وأموالنا، ولم يكتفوا بفرض ثقافة التحلل، ولم يكتفوا بالتحكم بأسلوب المعاش، ولم يكتفوا بإبعادنا بكل الوسائل عن ديننا وحضارتنا ومعالمنا ومضموناتنا..

لم يكتفوا بكل هذا، فبدؤوا يشنون في الآونة الأخيرة حرب الاعتداء، تارة بالرسوم المسيئة، وأخرى بالتصريحات القميئة التي تصدر عن رؤوسهم الكبرى، وتارة بإساءات وسباب وشتم يوجه إلى شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وآخرها ما نشرته تلك الصحيفة الفرنسية لكاتب يشتم سيدنا محمدًا ويصفه بالأوصاف القبيحة.

ما سبب هذا أيها الإخوة؟

هل كما يقول البعض هو لمجرد إشغالنا بردود الأفعال؟

أعتقد أن هذا صحيح إنما هو أمر هامشي، وهو أن يحدثوا فينا ردود الأفعال ليصرفونا عن الأفعال، لكن لا بد أن نلاحظ أمرين اثنين في الجواب على هذا السؤال:

– الأمر الأول أن الغرب يعيش اليوم حالة فقدان للأخلاق الإنسانية، وهي حالة حاضرة.

– والأمر الثاني أننا ضعفنا.

وهذا الضعف والتبعية والهوان والذل أغراهم بنا لأنهم لم يعودوا ينظرون إلى وجودنا بالاعتبار.

فقدوا الأخلاق الإنسانية باسم ما سموه بالحرية، والتفلت والفوضوية النفسانية، وحينما فقدوا ذلك انعدمت عندهم احترام ثقافة الآخرين، وساروا على منهج التفريق بين دول الشمال ودول الجنوب.

نحن كمسلمين أينما كنا نحترم الإنسان، ونحترم المخالف.. مستمدين ذلك من قوله سبحانه:

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٧٠]

واقرؤوا خطابنا للمخالف، من خلال القرآن، واقرؤوا لغته التي تسمو فوق الشتائم والسباب، لأننا أمة إنسانية، ولأننا أمة أخلاق، ولأننا أمة فضيلة، ولأننا أمة رقي وسمو.

اقرؤوا هذا النموذج من الخطاب:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ} [المائدة: ١٤] ولم يقل تحرِّفون.

{وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} هي إذا لغة العفو.

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]

{قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ} هو محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول المفسرون.

ألا تريدون النور، أتصرون على البقاء في الظلمات.

{وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} موضح ليس فيه لبث يخاطب العقل والمنطق والحجة.

{يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ} يوصل الإنسان إلى السلامة.

{وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{[المائدة: ١٥]. هذا نموذج من خطاب ديننا للمخالِف.

ونقرأ قوله تعالى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} والذي يظلم يُقتص منه ولا يُعتدى عليه.

{وَقُولُوا} وأنتم تخاطبونهم. {آمَنَّا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦]

هذه هي حضارتنا وهذا نموذج خطابنا للآخرين.

قارنوا بين هذه اللغة، وموقف المخاطَبين المخالِفين الذي وصفه القرآن: {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنزلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ} [البقرة: ١٠٥].

يؤذيهم أن يكون لنا خير أيًّا كان نوعه.

{قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩].

هذا هو نموذج خطابنا، وهذا هو نموذج خلقهم الذي يصفه القرآن فيما مضى، واليوم يضاف إلى ما مضى ما يعيشه الغرب من التحلل الخلقي، والانحطاط باسم حرية الفرد، في الوقت الذي يدَّعون فيه أنهم يفرضون القوانين، وينظمون المجتمعات.

قال الله سبحانه وتعالى:

{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]

أي رُدوا عدوان المعتدي حينما يأخذ المال، وحينما يعتدي على الأرض، وحينما يؤذي النفس....

لكن ما رد المسلمين حينما لا يكون الاعتداء على الأرض، والمال، والنفس؟

ما رد المسلمين عندما يكون الاعتداء والجرأة على أعظم رموز العالم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

إنَّ المثلية مفقودة هنا، فنحن نعظِّم الرسل كلهم، ونحترم المخالف، ونعتبره.

أقول بصراحة: في مثل هذه الحال، لو كان للمسلمين دول..

توجد شعوب إسلامية، ويوجد مسلمون، لكن لا توجد دُولٌ تحامي عن إسلامهم، فالقوة التي تملكها هذه الدول توجَّه إما إلى الشعوب لتكون عليهم، وإما أن تكون لحفظ السلطان، أما الإسلام، فليس له إلا الله.

أين الدول في العالم الإسلامي التي لها دفاع فعلي عن الإسلام ورموزه؟

لا توجد دول إسلامية تدافع.

في مثل هذا الحال يجب أن يتوجه خطابُ الدولة الإسلامية إلى الدولة التي حصل فيها هذا لتقول لها: إما أن تفرضوا عقوبة على من فعل ذلك، لأنه يعتدي على أعظم رموزنا ومقدساتنا، بأن

توقعوا عقوبة شديدة عليه بين السجن والقتل على اختلاف فيما يبينه علمائنا في الذمي الذي يسب سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم.

وإما أن لا يكون بيننا وبين تلك الدولة أي صلة، وهي دولة عدو، لأنها توافق على الاعتداء على أعظم رموزنا، أو لأنها لا توقع العقوبة بفردٍ فيها أساء إلى أعظم رموزنا.

يكون هذا فيما لو وجدت الدولة التي تحمي الإسلام وتدافع عنه.

لكن عندما تخلَّفَ من يملكون مقاليد الأمور، ويملكون القوى المادية في هذه الدول الإسلامية، عن الدفاع عن رموزنا ظهرت الظواهر الفردية التي نراها اليوم، وبدأنا نسمع كل يوم بجماعة جديدة تارة تعلن الجهاد وتارة تعلن القتال، وتارة وتارة..

لماذا هذه الفوضوية؟

لأن دور الدولة غاب، ولما غاب دور الدولة ظهر هؤلاء الذين يمارسون تلك الممارسات الفوضوية، بأسماء متعددة وشتى.

إذًا نحن نعيش أولاً الأزمة بسبب فقدان الغرب للأخلاق على مستوى دولهم وشعوبهم، لأن دولهم لو كانت تملك الأخلاق لكانت عاقبت.

الأمر الثاني هواننا، وضعفنا، وتبعيتنا.

أين وجودنا الحضاري؟ هل نملك القوى الرادعة؟

الشاذ عن حضارتنا في مجتمعاتنا كثير، فإذا نظرت إلى واقع الأمة الإسلامية تجد من أنواع الشذوذات البعيدة عن حضارتنا الإسلامية الشيء الكثير.

فقد دخل الانحلال الخلقي وهذا بعيد عن حضارتنا، ودخلت الرشوة، وهي بعيدة عن حضارتنا، ودخل الغش، وهو بعيد عن حضارتنا، ودخل الجهل وهو بعيد عن حضارتنا، ودخل الظلم وهو بعيد عن حضارتنا، ودخل التسلط وهو بعيد عن حضارتنا...

إذًا نحن في الأمة الإسلامية نعيش أزمة شذوذات كثيرة وجدت في بيئتنا، ولم تعد هويتنا الحضارية الإسلامية ظاهرة لا على مستوى العلم، ولا على مستوى التقانة، ولا على مستوى البحث...

تخلفنا فوجدت عندنا شذوذات يجب تركها.

وفقدنا كثيرًا من مقومات حضارتنا يجب فعلها.

فنحن أمام أزمة شذوذات يجب تركها، ومفردات حضارية يجب فعلها.

وصناعة الحضارة تتركَّب من هذين الأمرين:

- هدم الفاسد.

- وبناء الصحيح.

ترك الدَنيِّ، وفعل السامي العَليِّ.

وصناعة الحضارة هي التي تجعل الآخرين يحسبون لنا ألف حساب، قبل أن يتجرأ وَقِح منهم.

صناعة الحضارة تقتضي رحلة عن السيئ بكل أنواعه، ورحلة إلى الحسن بكل أنواعه.

هكذا تُصنع الحضارة.

وكُنت أفكِّر.. هاهو رمضان يأتينا، فبأي شيء يأتينا..؟

ورأيت أنه يأتينا بهذا المشروع الحضاري التربوي، لو فَهِمناه.

شهر رمضان يأتينا بالمشروع الحضاري، الذي تُبنى الحضارة فيه، لأنه يُدرِّبنا على هذين الأمرين:

الرحلة عن السيئ، والرحلة إلى الحَسَن.

لو أننا فعلاً أردنا أن ندخل دورة شهر رمضان كأمة إسلامية، سنجد أنه يُدرِّبنا على الرحلة عن السيئ، والرحلة إلى الحَسَن.

لأن الأداة التربوية في الرحلة عن السيئ فيه هي الصيام.

لنترك الخُلق السيئ بكل أنواعه، ولنترك السلوك السيئ بكل أنواعه، ولنترك الشذوذات بكل أنواعها.

والأداة التربوية في الرحلة إلى الحَسَن، والترويض على الطاعة، وفعل الخير، هي القيام.

قال صلى الله عليه وسلم:

(إن رمضان شهر افترض الله عز وجل صيامه وإني سننت للمسلمين قيامه)

فهل الصيام هو مجرد ترك للطعام والشراب وشهوة الغريزة، أم أنه عنوان كبير على مضمونات الرحلة عن السيئ.

وهل القيام هو عبادة ليلية عابرة شكلية، يبحث الناس فيها عن الأئمة الذين يُصلّون عشرين ركعة في ربع ساعة، لأن لديه برنامج طويل، هو برنامج ما بعد التراويح، فالتراويح باعتباره الشخصي وبقناعاته واجب يجب أن يؤدِّيه،.. ويؤنبه ضميره إذا لم يفعل ذلك..!

وما عَرَف أن هذا الليل كله في رمضان هو للترويض على الرحلة إلى الحَسَن، من غروب الشمس إلى طلوعِ الفجر تدريبٌ على الرحلة إلى الحَسَن، ومن طلوع الفجر إلى غروب الشمس تدريب على الرحلة عن السيئ.

لهذا قالوا: شهر رمضان ظرفٌ لا يَسعُ غيره.

يعني لا يوجد فيه شيء آخر إلا التدريب على الرحلة عن السيئ، والرحلة إلى الحَسَن، في الليل والنهار، فمن لم يَكُن كذلك فما دخل دورة شهر رمضان.

وحينما تذكر لفظة القيام، يقف الإنسان بعقله عند مفهوم الصلوات المُكرَّرة، ركعتين ركعتين..!

والقرآن عندما يُكرِّر لفظ القيام، يكرره في كل سلوك حَسَن.

{وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} [النساء: ١٢٧] العناية باليتيم.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} [الكهف: ١٤] الدعوة سمَّاها الحق سبحانه قيامًا، حين تكون في الوسط الجاهلي، فتخرج لتُبدِّد الظلام.

وكرر هذا في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بعدما ذكره في حق فتية الكهف، قال سبحانه: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن: ١٩] أي تجمَّعوا على حربه ومناهضته.

وقال سبحانه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء: ١٣٥]

أي فليكن سلوكُكُم متوازنًا، فيه العدالة، ليس فيه إفراط ولا تفريط.

وقال سبحانه:

{وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: ٢٣٨] فأشار إلى معنى الطاعة مُطلقًا، بكل أنواعها.

هذا هو القيام.

فالصيام ترك لكل سيئ، والقيام فعل لكل حسن، والركيعات التي نُصلِّيها{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً} هي نموذج، ولكن ماذا بعدها؟

هاهو مشروع شهر رمضان يأتي، وها هي صناعة الحضارة، والتربية للفرد وللجماعة...

لكن السؤال: هل سنصوم وهل سنقوم؟

هذا هو السؤال: هل سنصوم بهذا المعنى، وهل سنقوم بهذا المعنى؟

وحين ستكون لنا حضارة، لن يتجرأ الآخرون علينا.

لو أن هذا المشروع الحضاري التربوي حصل، لن يتجرأ الآخرون علينا، حتى وإن ساءت أخلاقهم في الغرب، سيحسبون لنا ألف حساب، لأننا صِرنا أصحاب حضارة، أما بقاؤنا بعيدين عن العِلم وعن العمل وعن السلوك المتوازن، ملتصقين بشذوذاتنا، فسيدفع الآخرين كل يوم ليشتموا مُقدَّساتنا، ويتجرؤوا على أعظمها.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل من هذا الشهر الكريم المبارك شهر خير لنا، ونهضة ورجوع إليه وتوبة وأوبة، نسأله سبحانه وتعالى أن يُنبِّهنا إلى أسراره وأنواره، وأن يجعلنا فيه من المقبولين.

أقول هذا القول واستغفر الله.

احتسب فإنَّ لك..

بارك الله لكم أيها الإخوة الأحبة، وبارك الله لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بشهر رمضان في صيامه وقيامه.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري رحمة الله عليه:

{من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه}

أما في الرواية التي أخرجها النسائي رحمة الله عليه فقد ورد قوله صلوات الله وسلاماته عليه:

{من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه}.

فورد عنه صلى الله عليه وسلم أن صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا هو سبب مغفرة الذنوب،،وأن قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا هو سبب لمغفرة الذنوب أيضًا.

وربما نمر بهاتين الكلمتين: (إيمانًا واحتسابًا) في الصيام والقيام، مرورًا عاجلاً لكنني أيها الإخوة وفي هذا الشهر المبارك أحببت أن أقف مع إحدى اللفظتين:

{إيمانًا، واحتسابًا}.

أما الإيمان فمعروف عندكم جميعًا، وهو شدة التصديق بالغيب، بكل ما أخبر الله سبحانه وتعالى به، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان بالغيب:

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}[البقرة: ٣]

فالإيمان الذي هو نور يقع في القلوب، يجعل صاحب هذا القلب متعلقًا بالله سبحانه، مصدقًا بالحقائق الغيبية التي أخبر بها، ومعناه معلوم عندكم جميعًا.

أما اللفظة التي نمر بها مرورًا عاجلاً فهي قوله: {واحتسابا..}

والإيمان والاحتساب يتلازمان، يلازم أحدهما الآخر، والإيمان يولِّد الاحتساب.

فما هو الاحتساب أيها الإخوة؟

ما هو الاحتساب الذي به يكون الإنسان مغفورًا له، فيغفر له ما تقدم من ذنبه؟

الاحتساب طلب وجه الله سبحانه وتعالى، وطلب ثوابه.

طلب وجه الله سبحانه وتعالى: {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}[الأنعام: ٥٢].

وطلب ثواب الله سبحانه وتعالى.

وحين نتحدث عن الثواب في شهر رمضان فإننا نتحدث عن شيء لا يعلمه إلا الله، لأن الله سبحانه وتعالى عرّفنا بالثواب على كل طاعة إلا الصيام فإنه سبحانه أخبر أنه له.

{الصيام لي وأنا أجزي به} فثوابه لا يعلمه إلا هو.

ويكون هذا الاحتساب عند كل ترك من أجل الله، وعند كل فعل من أجل الله.

تترك ما يريد الله سبحانه وتعالى أن تتركه احتساباً أي طلبًا لوجه الله، وطلبًا لثوابه وهذا الاحتساب حاضر في مقصودك، وحاضر في قلبك.

لماذا تترك شهوتك، ولماذا تترك طعامك؟

لماذا تترك ما حرّم الله سبحانه وتعالى؟

هل لأن هذا الترك أصبح من العادات ؟ أم أن تركك هو طلب لوجه الله وإرادة لثوابه؟

لماذا تقوم في الليل، ولماذا تنفق المال، ولماذا تتصدق؟

هل لأنك تعودت أن تنفق المال في شهر رمضان أم أنك تستشعر وأنت تنفق المال في هذا الشهر أنك تريد وجه الله وتطلب ثوابه؟

هذا هو الاحتساب في مفهومه العام الذي يؤكد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصيام والقيام.

وأصل الكلمة الحِسبة.

والحِسبة الأجر، والاحتساب طلبه.

وإذا سألت كيفِ أطلب أجرًا وأنا أستشعر أن هذا هو من فضل الله علي.

وقد قال سيدنا شعيب عليه السلام كما ينقل القرآن: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ}[هود: ٨٨]

فما صيامك إلا فضل من الله عليك، لأنه وفَّقك للصيام، وما قيامك إلا فضل من الله تعالى عليك لأنه وفَّقك للقيام فكيف تطلب أجرًا على عمل خالقه هو الله.

لستَ الذي تخلق هذا العمل، فكيف تطلبُ عليه الأجر؟

وهنا أيها الإخوة لطيفة من اللطائف ودقيقة من الدقائق ما أحلاها.

فالذي يطلب الأجر استشعارًا لفاقته لمن يعطيه، فطلبُه هذا عبودية، يطلب لأنه يتلذذ بهذا الطلب، ولأنه يعلم أن هذا الطلب يُرضي من يطلب منه.

إنه لا يطلب كالأجير الذي عمل عملاً فهو يطلب على هذا العمل أجرًا ..

إنه يطلب لأنه يريد أن يُشعر نفسه بالاحتياج..

فالذي يسأل هو المحتاج.

من الذي يطلبُ و يمد يده ؟

أليس هو المحتاج، وعندما تطلب وتمد يدك إلى الله تستشعر أنك محتاج إليه.

فالاحتساب حقيقته أن تشعر أنك فقير.

وأن تشعر أنك ذو فاقة بين يدي الله.

لا أنك فعلت فعلاً ثم أنت تطلب على هذا الفعل ما يكافئه، وما يستحقه من الأجر، لا...

الاحتساب انطراح في أعتاب الله..

الاحتساب أن تستشعر أنك عبده.

وأحسن أحوالي وقوفي ببابكم

وأني على أبوابكم أتملق

لا أتملق إلا على بابك يا رب.

واخترت لك في موسم رمضان هدية فساعات اليوم أربعة وعشرون، واخترت لك من كتاب الله وهدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من نماذج الاحتساب أربعا وعشرين حالة، لعلنا ونحن

في شهر رمضان في هذه الدورة العظيمة التي نبتغي بها وجه الله سبحانه تبارك وتعالى نتدرب فيها على هذا الاحتساب.

وأقول لك:

١- احتسب إيمانك فإن لك عند الله تعالى الأمن.

واقرأ قوله تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام: ٨٢]

فالأمن أجر الإيمان، فاطلبه إن كنت ممن آمن، اللهم آمنا في أوطاننا وأمِّن قلوبنا يا رب العالمين.

٢-احتسب عملك الصالح: فإن لك عليه حياة طيبةً في الدنيا، وهو من الأجر العاجل واقرأ قوله تعالى:

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧].

٣- احتسب تقواك وأنت تبتعد عن كل المحرمات، احتسب تقواك فإن لك في التقوى النجاة واقرأ قوله تعالى:

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا}[الزمر: ٦١]

٤- احتسب إحسانك إن أنت أحسنت، فإن لك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة الحُسنى التي هي جنّة الله وزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، واقرأ قوله تعالى:

{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[يونس: ٢٦]

٥-احتسب عبادتك في شبابك إن كُنت شابًا، فإن لك من الأجر أن الله تعالى يُباهي بك مخلوقاته، بل ويُباهي بك ملائكته، جاء في الحديث:

{إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد الملائكة، يقول: انظروا إلى عبدي، ترك شهوته من أجلي}

٦- احتسب تعبك في سبيل الله، فإن لك ألا يصيبك بعده تعبٌ ولا نَصَب.

واقرأ قوله تعالى:

{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[الحجر: ٤٨]

٧- احتسب حُزنك في الدنيا، إن أنت حَزِنت من أجل الله، فإن لك في الآخرة سرورًا.

واقرأ قوله تعالى:

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}[الروم: ١٥]

أي هم في سرور دائم.

٨- احتسب محاسبتك لنفسك على دقائق الأعمال، فإن لك في الآخرة عطاءً بغير حساب.

واقرأ قوله تعالى:

{يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}[غافر: ٤٠]

٩- احتسب عصيانك للفُسّاق وطاعتك لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لك على ذلك في الجنة صُحبةً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واقرأ قوله تعالى:

{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩]

١٠- احتسب هضمك لرغبات نفسك الكثيرة، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاك عوضًا عن ذلك الجنة.

قال سبحانه:

{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} [التوبة: ١١١]

١١- احتسب صبرك على الطاعة في الحَر والبرد، فإن لك ألا تُصاب بعده بِحَرٍ ولا برد.

واقرأ قوله تعالى:

{لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} [الإنسان: ١٣]

١٢- احتسب إعراضك عن الدنيا، وأنت تجد الناس يتكالبون عليها، فإن لك في الجنة نعيمًا ومُلكًا كبيرًا.

واقرأ قوله سبحانه:

{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان: ٢٠]

١٣- احتسب وقوفك بين يديّ مولاك في ظلام الليل، وأنت تنطرح في أعتابه، وتتململ بين يديه، فإن لك على ذلك في الآخرة نورًا.

واقرأ قوله:

{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [التحريم: ٨]

١٤- احتسب زيارتك لأخيك، ومحبّتك له، وبَذْلَك له، ونَصْرك له، فإن لك على ذلك محبّة الله.

إن الله يقول في الحديث القدسي:

{ حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي}

١٥- احتسب غضّك بصرك، فإن لك بذلك حلاوة إيمان تجدها في قلبك.

وَرَد في الحديث:

{النظرة سهم من ، فمن تركها من مخافة الله أعطاه الله – عز وجل – إيمانا، يجد حلاوته في قلبه}

وفي رواية: {نظر المؤمن في محاسن المرأة – أي الأجنبية– سهام إبليس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها}

١٦– احتسب تركك للزنى بكل أنواعه، فإن لك على ذلك قاصراتِ الطَرْف:

{وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}[ص: ٥٢]

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا}[النبأ: ٣١–٣٣]

{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}[الرحمن: ٥٦]

١٧– احتسب إعراضك عن المال الحرام، الذي به تنال بيتًا مُرفّهًا أو قصرًا، فإن لك على ذلك في الجنة غُرفًا.

واقرأ قوله:

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ}[الزمر: ٢٠]

١٨– احتسب ترك الذهب والحرير فإن لك في الآخرة ذهبا ولؤلؤا وحريرا

قال تعالى:

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾(٢٣)الحج

١٩– احتسب إعراضك عن خمرة الدنيا المُنكَرة، فإن لك في الآخرة خمرة جِنان.

قال تعالى:

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ}[ص: ٥١]

{وَكَأْسًا دِهَاقًا، لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا}[النبأ: ٣٤–٣٥]

٢٠- احتسب صَبْرك على إغلاق أهل الدنيا الأبوابَ في وجهك، لأنك مُلتزمٌ بدِينك، لأنهم لا يريدون أبناء الدِين، احتسب صبرك على ذلك، لأن أبواب الجنة ستُفتَّح كلها لك.

واقرأ قوله تعالى:

{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ}[ص: ٤٩-٥٠]

٢١- احتسب قطيعتك لمن حارب الله ولو كان قريبك، يُكتبْ لك بذلك كتابُ إيمان في قلبك، وتُؤيدْ بروح من الله.

واقرأ قوله تعالى:

{لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ}[المجادلة:٢٢]

٢٢- احتسب إعراضك عن أصحاب المناصب الدنيوية، فإن لك مَقعد صِدق عند مليك مُقتَدِر.

واقرأ قوله تعالى:

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}[القمر: ٥٤-٥٥]

٢٣- احتسب نَهْيك عن السوء، فإن لك في الدنيا النجاة إذا أنزل الله بأهل السوء العقوبة.

واقرأ قوله تعالى:

{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ}[الأعراف: ٦٥]

٢٤- احتسب إطعامك للطعام، فإن لك عليه في الآخرة نضارة وجه وسرور قلب.

واقرأ قوله تعالى:

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا ، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}[الإنسان:٨-١١]

فوجهوهم ناظرة وقلوبهم في سرور.

بعدد ساعات اليوم، أربع وعشرون، تذكّرها واجعلها في كل يوم بابا من أبواب الاحتساب، لأنه من صام وقام إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه فإذا كان لديه هذا الاحتساب يُغفر ذنبه.

اللهم أخرجنا من شهر رمضان وقد غفرت لنا ذنوبنا وجعلتنا كيوم ولدتنا أمهاتنا يا ربّ العالمين.

أعتق رقابنا من النار، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول واستغفر الله.

الإنسان بين ضعفه وعون ربِّه

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] فبيَّن سبحانه وتعالى أن بدء النزول القرآني كان في رمضان، وأنه أُنزل إلى الإنسان، وأولُ ما نزل – كما في الصحيح – قولُه تبارك وتعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} [العلق: ١]

نزل بها سيدنا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو متحنِّثٌ معتكفٌ في خلوته في غار حراء، فقد حُبِّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنَّثُ فيه، حتى فَجِئَهُ الحَقّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتّى بَلَغَ مِنّي الجَهْدَ، ثُمّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطّنِي الثّانِيَةَ حَتّى بَلَغَ مِنّي الْجَهْدَ، ثُمّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطّنِي الثّالِثَةَ حَتّى بَلَغَ مِنّي الْجَهْدَ، ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبّكَ الأَكْرَمُ، الّذِي عَلّمَ بِالْقَلَمِ، عَلّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ

يَعْلَمْ} وحينما نربط بين شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس، وبين أول ما نزل في شهر رمضان من القرآن، نجد أن ما نزل في الآيات يشير إلى خصوصيَّةٍ بين الإنسان والقرآن:

ففي سورة البقرة قال: {أُنزلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ} أي للإنسان. وفي سورة العلق قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ} ثم قال بعدها: {عَلَّمَ الإِنْسَانَ}.إذًا، لا بد من قراءة متأملة في أول ما نزل، لأن أول ما نزل يكون عادة كالعنوان للرسالة الكبيرة، التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يفهم المنطلق الذي ينبغي أن ينطلق منه. وهنا نتساءل: لماذا حصلت هذه الحادثة التي تلفت الانتباه؟يقول المَلَكُ للحبيب سيِّدِنا محمَّد صلى الله عليه وسلم:

"اقرأ"، ويجيبه سيِّدُنا محمَّدٌ صلى الله عليه وآله وصحبه: "ما أنا بقارئ"، وتتكرر

هذه الحادثة ثلاث مرات.

ما سرُّ ذلك؟ وما صلة هذا بأول ما نزل؟

إنه تأكيدٌ على ماهيَّة الإنسان، وإثباتٌ لتمام فقره وعجزه

وحاجته وعبديته لله سبحانه وتعالى. إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحدث عن ماهية الإنسان حين يقول له الملك: "اقرأ"، فيقول: "ما أنا بقارئ". إنه صلى الله عليه وسلم يظهر ماهية الإنسانية التي يظهر من خلالها إعجاز الوحي السماويّ، وأن ماء الأرض هو من ماء السماء، وأن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يبتدع شيئًا ولم يخترع شيئًا.

فقد قال الله سبحانه وتعالى فيه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣– ٤]

وهو يقول له: "اقرأ".كيف يقرأ وماهية الإنسان أنه ليس بقارئ، وأنه ليس بعالم،

وأنه ليس بقادر، وأنه فقرٌ تامٌّ إلى الله سبحانه وتعالى..؟ إنه صلى الله عليه وسلم يظهر الماهية الإنسانية.

لذلك قال سبحانه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} أي: ما ينطق عن رأيه ولا هواه ولا بواعث نفسه، {إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى}.

وقال في سورة الحاقَّة: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: ٤٤-٤٦] وجاء في المغازي لابن إسحاق أن ناقة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ضلت، حيث قال زيد بن الصيت: يزعم محمد أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن رجلاً يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله).

من هنا يكون المنطلق، لأن الذي يتوهم أن لديه علمًا أو قدرةً أو حولاً أو قوةً .. والذي يتوهم لنفسه شيئًا استقلاليًّا، فإنه في غاية الوهم، وفي غاية البعد عن الحقيقة. أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد خلقه الله سبحانه كالكأس الذي صُنع من الدُرَّة، والذي ليس فيه شائبة، والذي لم تداخله شوائب النفوس ولا نزعاتها، فكل ما سيوضع في هذا الكأس إنما هو من ماء السماء، وبعدها يشرب أهل الأرض من هذا الماء السماوي.

لذلك قال: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ).وبعد تأكيد الأمر ثلاثًا قال له جبريل ناقلاً عن الله سبحانه وتعالى:

- طالما أنك على هذا الوصف، إذًا: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ} فعبديَّتُك هذه وفقرُك وحاجتُك وأنك لا تملك حولاً ولا قوَّةً استقلالاً .. لا يعطِّلك إذا كنت تستعين بالله.

فإذا كنت تستعين بربك فأنت تقرأ بحوله وقوته، لا بحولك ولا قوتك. وتعلِّم الناسَ كلَّهم بحوله وقوته، لا بحولك ولا قوتك.

وتبيِّن للناس كلِّهم لا بحولك ولا قوتك، إنما بحوله وقوته.

إن تمامَ فاقتك وتمامَ احتياجك اللذَين هما ماهيتك،

لا يعطِّلانك عن أداء المهمة حينما تعلم أن المهمة ستحققها كاملةً وأنت تستعين بربك، لأن الذي يستعين بربه يعينه ربُّه.

– ثم قال: {خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ} مؤكدًا ما سبق،

فالإنسان في أصله ضعفٌ ظاهر وعجزٌ تامّ.

فهو الذي خلق الإنسان، وكان الإنسان معلَّقًا.

وهل للمعلَّق دعاوي؟

وقبل أن يمشي على رجليه ألم يكن معلَّقًا؟

وهل من مشهدٍ يمكن أن يعبِّر عن ماهية الإنسان في ضعفه وعجزه كالمعلَّق؟

أشار بهذا إلى ذلك النابت المغروس في الرحم في بطن الأم، المعلَّقِ الذي لا حول له ولا قوة، والذي يستند استنادًا تامًّا إلى الله.

- ثم قال: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} فعليك أن تلاحظ أن ربك هو الأكرم.

وفرقٌ كبير بين الكريم والأكرم، فالأكرم هو الذي له الكرم المطلق، والذي له الكرم المطلق لا تنفد خزائنه، فاستعن بربك ولا تخشى، فأنت تستعين بالأكرم الذي لا تنفد خزائنه، فهو يعطي ويعطي ويعطي .. ولا تنفد خزائنه أبدًا.

إذًا: اقرأ، وعلّم، وبيّن .. وربُّك الأكرم الذي يعينك وأنت تقوم بأداء وظيفتك ومهمتك.

ولئن كنت مخلوقًا من علقٍ فإن هذا يتناسب مع ماهيتك، فلست بقارئ، ولا بقادر، لكن عليك أن تقرأ وأنت تلاحظ ربك الأكرم، وتلاحظ أنه هو وحده الذي يعين، وهو وحده الذي يُمد، وهو وحده الذي ينعم، وهو وحده الذي يُعلم، وهو وحده الذي يُقرئ، وهو وحده الذي يقدر ..

– ثم قال: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} وأوَّلُ ما خلق

الله القلمُ –كما جاء في الحديث – فقال له: اكتب، فكتب ما يكون إلى يوم القيامة،

فهو عنده في الذكر فوق عرشه.

ولماذا أتى في هذا الموطن بذكر هذا المخلوق؟

ليقول للمخاطَب: كما خُلق القلمُ وما عنده من العلم شيءٌ

لكنه علّمه فكتب بتعليم الله لا بعلم نفسه، فستكون كذلك حين تستمدُّ من الله سبحانه

وتعالى وتأتمر بأمره.

قال صاحب الحِكَم:

"مَا تَيَسَّرَ مَطْلَبٌ أَنْتَ طَالِبُهُ بِنَفْسِكَ، وَلا

تَعَسَّرَ مَطْلَبٌ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ".

– ثم قال تعالى: {عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فكما علَّم القلمَ الملكوتيَّ المخلوق، يعلِّمُ الإنسانَ البشريَّ المُلكيَّ

الملكوتيّ.

فالقلمُ مخلوقٌ ملكوتيٌّ نورانيٌّ، وقد علّمه، وأنت أيها الإنسان مخلوقٌ مُلكيٌّ ملكوتيٌّ، أي كثيف لطيف، فأنت المخلوق الأكمل في الموجودات، وقد خلقك على استعداد عظيم، لكن لا تتوهم أنَّ لك شيئًا استقلالاً، إنما أنت في أصل ماهيتك محض عَجْز، وبإعانة ربّك أنت فوق كل المخلوقات.

– ثم قال سبحانه: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى} ما أعجب حاله! فمع استعداده هذا يتجاوز حدَّ ماهيته، فالطغيان تجاوُزُ الحدّ، وبدلاً من أن يعترف في حضرة ربّه بتمام العجز والفاقة، تجده صاحب الدعاوي، فتراه يقول: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} [الزخرف: ٥١] ويقول: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [القصص: ٧٨]..

ما أعجب حاله! لو أنه اعترف في حضرة ربّه بعبديته وفقره وعجزه، فإن مولاه سيملأ كأسه الفارغ، لكنه تجاوز حدّه، فحَرَم نفسه من الإعانة.

– ثم قال: {أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} فيستغني بكل ما يراه محسوسُه، وكلُّ ما يراه حِسُّه مخلوقٌ مثله، ومملوكٌ مثله {ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: ٧٣]، {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١].

- {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} فالرجوع إليه في كل الأحوال، لأنك محتاج إليه في كل حال وفي كل شأن، عَلِمتَ أم لم تَعْلَم.

أتستطيع فِعْلَ شيءٍ من غير إعانة ربِّك ومن غير إمداده؟

ألم يقل سبحانه: {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا}[الإسراء: ٢٠]؟

فالناس كلهم فريقان:

*** فريقٌ عَلِم هذه الحقيقة، فاعترف بعجزه وفاقته وماهيته، فاستعان استعانة تامّة بربّه، فأفلح.**

*** وفريقٌ عانده ونازعه، وادّعى وتوهّم أنه صاحب مُلك حقيقي، وصاحب وَصْفٍ حقيقي، فما رضي أن يعترف بماهيته، وما رضي أن يستعين بربّه.**

- {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى} وبعد

كل هذا، أليس عجيبًا أن ترى مَنْ يمنع هذا العبد الضعيف المُستَمِد، من الاستعانة بربّه؟

لماذا صلَّى؟

ولماذا دعا؟

ولماذا توجّه إلى ربّه؟

حتى يُظهر هذه الحقيقة، وليقول لربّه: أنا عبدك فأعنّي،

وليقول: لا حول ولا قوة إلا بالله {وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩]

فالذي حصل لك من المُلك إنما هو بقوة الله وعطائه.

قال: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا} فما أعجب من

يمنع عبدًا لا يملك شيئًا.

{إِذَا صَلَّى} إذا تقرَّب إلى ربّه مستعينًا ومستمِدًّا.

وبعد كل هذا التقديم الذي قدّمه، يُظهِرُ العجبَ ممن يمنع العبدَ الذي لا يملك، أن يستمدَّ من الذي يملك وحده.

- {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى} في حال استعانته هذه، أما الذي غفل عن حاجة الإنسان إلى الإعانة فهو في الضلال.

فهو في الهُدى، والغافل عن احتياجه إلى ربّه في الضلالة.

فهذا هو المهدي المهتدي الذي هداه الله.

{أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى} ففهم وعرف أنه ينبغي أن يستعين.

- {أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى} أي أمر نفسه بالتزام أحكام

الله سبحانه وتعالى والتزامِ شريعته، فهو في باطنه مهديٌّ إلى ضرورة استعانته واستمداده من ربّه، وفي ظاهره يأمر نفسه ويأمر الناس بالتزام الشريعة التي هي الطريق إلى القُرب، والتي هي مُختصر معنى قوله: {صلّى}.

فالشريعة هي طريق القُرب، وهي الطريق الأوحد الذي يتقرّب به الإنسان إلى الله، وذلك في عباداتها ومعاملاتها، وفي كلِّ أحكامها: الاجتماعية الفردية والجماعية، والاقتصادية، والسياسية ..

ففي كل ذلك، إن هو لَزِم الشريعة يتقرّب إلى الله.

فهو يكون على الهدى حين يعترف بعجزه ويستعين بربه، ويأمر بالتقوى حينما يأمر نفسه ويأمر الناس بالتزام طريق الشريعة، الذي هو الطريق الأوحد المُوصِل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى باري الكون، والذي هو وحده سلطانه.

- {أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} فأعجب منه مَنْ كذّب بهذه الحقيقة، أي بماهية الإنسان هذه، وبهذا الأمر الساطع الواضح، الذي تدلّ عليه دلائل العقول، وتشهد له حقائق النقول، وتستشعر به القلوب والأرواح.

أعجب من ذلك مَنْ كذّب بهذه الحقيقة، فادّعى له شيئًا

استقلاليًّا، ونازع الربوبية.

{أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ} بهذه الحقيقة، وبماهيته ذات الفقر

والعجز، والتي يجب عليه من خلالها أن يطلب الإعانة، {وَتَوَلَّى} عن طريق الشريعة.

فالهدى والتقوى. والتكذيب والتولّي، أضداد.

{أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ} بماهية فقره وحاجته إلى ربه.

{وَتَوَلَّى} عن الطريق الأوحد المُقرِّب الذي هو الشريعة.

- {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}

ألا يستحيي؟

من الذي ينعم عليه صباح مساء؟

ألا يخجل ومولاه مع جحوده وكُفرانه يعطيه صباح مساء؟

يُنعم عليك وحده، وتُشرك الناس معه .. وتتوهم أنك أنت صاحب المُلك والناس ..!!

إذا أحسن إليك مُحسِنٌ مرة ومرتين وثلاثة وأربعة ... وبعدها قال لك قائل: إن الذي يُنعم عليك صباح مساء يراك، أفلا تستحيي ولا تخجل؟

فما أعجب حالك!!

ألم يبقَ لديك أيُّ حياء أو خجل، وأنت تُصِرُّ على التكذيب بحقيقة فقرِك إلى الله، وتُصِرُّ على التولِّي وعلى الإعراض عن شريعة الله التي هي الطريق المُقرِّبة إليه؟

– {كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ} عن هذه الغفلة المُطبِقة على قلبه.

– {لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} سوف نوقظه بابتلاءٍ وعذاب.

(إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم،

أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب).

مَنْ لم يُقْبِلْ عَلَى اللهِ بمُلاطَفَاتِ الإِحْسَانِ،

قِيْدَ إِلَيْهِ بِسَلاسِلِ الامْتِحَان.

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ

الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]

- {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ} كذبت حين أنكرت تلك الحقيقة التي هي

فقر الإنسان وحاجته إلى الله.

- {خَاطِئَةٍ} لأنها تولّت عن طريق الشريعة.

- {فَلْيَدْعُ نَادِيَه} فليدعُ أنصاره بعد ذلك، الذين

تَوهَّم أنهم ينصرونه، وأنهم يملكون، وأنهم يقدرون، وأن لهم من المملكة شيئًا ..

- {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} فالذي لا يتيقظ من الابتلاء

والامتحان والتذكير والإيقاظ .. لن يتيقّظ إلا على زبانية جهنم الذين سيُوقظونه.

وانظروا ذلك الأكرم، حيث لم يقل: سوف أعذّبه، لكنه قال:

سأدعو من جنودي مَنْ يُعذّبه، فهو الأكرم.

والأكرم لا يُعذِّب، فهو يُخوّف عباده بعباده، ويقول

للإنسان: يا مَنْ لا يخاف إلا من المملوك الذي خلقتُه، سيكون الجزاء من جنس العمل،

فستخاف من المملوك الذي خلقته.

أما الذي لا يخاف إلا مقام ربّه فله جنتان {وَلِمَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٤٦].

- ثم قال: {كَلاَّ لا تُطِعْهُ} إذا دعاك إلى منهجه المُنكِر

المُكذِّب، المُخْطِئ في السلوك، المُبتَعِد عن الشريعة.

- {وَاسْجُدْ} بباطنك، مُستغرِقًا في تعلّقك بربّك وحده.

- {وَاقْتَرِبْ} وتقرّب إلينا بشريعتنا، وتقرّب إلينا بطريق

القُرب الذي وضّحناه، والذي بيّناه.

هذه أول سورة نزلت، وقد نزلت في رمضان، لتكون المُنطلَق

الذي يختصر قضية الإنسان من مُبتداه إلى منتهاه، ويختصر واجباته، ويختصر ما ينبغي

أن يعرفه.

مَنْ تدبّر هذه السورة وفهمها وتخلّقَ بها وامتزج بأنوارها

وارتقى إلى أسرارها ... يتخرّج من مدرسة رمضان ناجحًا.

والذي يقرأ القرآن مرات ومرات، ويقول: ختمت القرآن كذا مرة،

ولا يتدبّر منه ولا آية، ولا يفهم، ولا يصل إلى قلبه شيء، ثمّ يتوهّم أنه قرأ

القرآن في شهر رمضان!

أي شيء قرأه هذا؟

وما فَهِم من ماهيته ولا من رسالته شيئًا.

هذه السورة تختصر القضية كلها، وتضعك على الصراط سلوكًا وحالاً واعتقادًا، فإذا فهمتها من مُبتداها إلى مُنتهاها، انتهت المشكلة، ولن تجد بعد ذلك خوفًا.

{أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ} الذي تولاّهم الله وتولّوه وحده، {لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ} بماهية الإنسان الذي هو تمام الفقر والحاجة إلى الله، وأن الله سبحانه وحده هو المُمد للكون، {وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢-٦٣] وفق الشريعة.

اللهم فَهِّمنا كتابك، وصفِّ قلوبنا يا ربّنا، وصفِّ نفوسنا، حتى نكون في شهر رمضان أصحاب القرآن، وممنْ يفهم القرآن، ويتدبَّر القرآن، ويتأدّب بآداب القرآن، ويتخلّق بأخلاق القرآن، ويعرف بمعارف القرآن، ويتحقق بحقائق القرآن ..

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

اللهم رُدّنا إلى دينك ردًّا جميلاً.

أقول هذا القول واستغفر الله.

الحِكَمُ الغائيَّةُ للعبادات وآثارُها السلوكية

ها أنتم أيها الإخوة الأحبة في مبتدى العشر الثالث من شهر رمضان، هذا الشهرِ العظيمِ الذي يتوجَّه فيه القلبُ إلى الله، فإن كان صاحبَ شهورٍ أقبل على خيره، وإن كان صاحبَ معصيةٍ تاب وأناب، وإن يُعظِّم هذا الذي يدرك شهر رمضان برحمته ومغفرته وعتقه من النار للشهر، ثم يخرج بعدها دون أن يُغفر له، فقد خسر خسرانًا عظيمًا.

شهر رمضان الذي كدنا أن نودعه هو شهر العبادات كلها: فهو شهر الصيام، وهو الشهر الذي يُكثِر أهلُ الإيمان فيه من الصلاة، وهو الشهر الذي اعتاد الناس أن يُخرِجُوا فيه زكاة أموالهم، وهو الشهر الذي يتهيأ الناس منذ بدئه لحج بيت الله.

إذًا، فشهر رمضان هو شهر عبادات الإسلام كلِّها.

لهذا أحببت في عجالة أن أقف وقفة سريعة مع المقصود أو الحكمة الغائيَّة لكلٍّ من هذه العبادات الأربعة، والأثرِ السلوكيِّ الذي يدل على أن الإنسان قد قام فعلاً بهذه العبادات، لأن العبادة مقدِّمةٌ تنتج أثرًا.

١- أما الصلاة التي نكثر منها في هذا الشهر العظيم، وتمتلئ مساجدُنا بالمصلين فيه، فإن المقصود (أو الحكمة الغائيَّة) منها أن يكون قلبُ الإنسان مفعمًا في كل أوقاته بذكر الله.

يقول تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤] أي: حينما يقف الإنسان ليصليَ في حضرة ربِّه، فالمقصود أن يغلب ذكرُ الله تعالى في قلبه على ذكر الأشياء كلِّها، حتى يستديم هذا الحال، وحتى يكون غالبًا عليه.

* أما الأثر السلوكي الذي يدل على أننا فعلاً صلَّينا فميزانه قوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]

فإذا رأينا بعد كثرة الصلاة، وامتلاء المساجد، وصلاة التراويح ... أننا ننتهي عن الفحشاء والمنكر، فقد صلَّينا.

وإذا رأينا بعدها أننا لا نرتدع عن الفحشاء والمنكر بكلِّ أنواعها: القولية والفعلية والخلقية والمالية ... فما صلَّينا، إنما تحركت أجسادنا، لأن المقصودَ والحكمةَ الغائيَّة التي هي: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} لم تتحقق، ولم تنتج ذلك الأثر.

٢- فإذا انتقلنا إلى العبادة الثانية التي هي الزكاة، والتي نكثر من إخراجها في هذا الشهر المبارك، فإن المقصود والحكمة الغائية منها أن يتطهر الباطنُ من التعلُّق بالمال الذي تمسكه اليد، فالمال جُعل لليد لا للقلب، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [التوبة: ١٠٣] وما قال: تطهر أموالهم، لكنه قال: تطهرهم.

فبقاء المال في القلب إنما هو نجاسة عليه، لهذا قال: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} فتطهيرُ القلب من المال الذي أمسكَتْ به اليد قبل تطهير المال.

* وأما الأثر السلوكي لعبادة الزكاة فإنه منع الحرمان، حتى لا يبقى في المجتمع محروم، يقول تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: ١٩] فكانت الزكاةُ سببَ إلغاءٍ للحرمان في المجتمعات الإسلامية، إن هي تحققت حقيقةً بالإسلام.

٣- وإذا انتقلنا إلى العبادة الثالثة التي تُنسب إلى شهر رمضان ويُنسب إليها وهي الصيام، فإن المقصود والحكمة الغائية إنما هي التقوى، والتقوى نور في القلب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]

والتقوى إذا وجدت في القلب لم يقدر صاحبها على اقتحام حدود محارم الله، وهي نور إذا وجد في القلب يجعل صاحبه كارهًا للمعصية محبًّا للطاعة {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} [الحجرات: ٧] فإذا وجدت التقوى في القلب كَرِه المعصيةَ بأنواعها، وأحبَّ الطاعةَ والقرباتِ بأنواعها.

* أما الأثر السلوكي الذي يدل على أننا صُمنا فعلاً، فهو التحوُّل إلى الخيرية العامة، يقول تعالى: { وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ} [البقرة: ١٨٤]

فينتقل الإنسان من التلبُّس بوصف الشرير إلى التلبس بوصف الخَيِّر، فهو منبع الخير إن هو صام.

وإذا لم يكن متلبسًا بهذا الوصف فما صام، وما حظُّه من الصيام إلا الجوع والعطش.

٤- أما العبادة الرابعة التي نتهيأ في هذا الشهر لقضائها والتوجُّه إليها، والتي هي عبادة الحج، فإن المقصود والحكمةَ الغائيَّة منها أن تجعل فخرَك بربِّك فوق فخرِك بِنَسَبِكَ، بأن تقول: "أنا عبد الله"، ليكون هذا عندك أحبَّ إليك من أن تقول: "أنا ابن فلان، أو ابن العائلة الفلانية"، وأن تتحول دعواك من دعوى الجاهلية والعصبية إلى النسبة إلى الله.

ورحم الله من قال:

لا تدعُني إلاَّ بِ: يَا عبدَها

فإنها أشرفُ أسمائي

وقال آخر:

ومما زادني شَرَفًا وَعِزًّا دُخولي تحت قولك: يا عبادي

وكِدْتُ بأخمصي أطأُ الثُّرَيَّا وأن صيَّرْتَ أحمدَ لي نبيّا

فهذا هو مقصود الحج، يقول تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [البقرة: ٢٠٠] أي انتسبوا إلى العبودية لله، بدلاً من أن تنتسبوا إلى انتماءاتكم.

وهل يحاول عدوُّنا اليومَ أن يستثمر إلا هذه النسب الجاهلية التي ينتسب بها الإنسان إلى قومه وعِرقه؟

وهل يجد أعداؤنا اليوم ما يفرقوننا به إلا هذا؟

* وأما الأثر السلوكي للعبادة الرابعة والأخيرة فهو قيامُ أمَّة، فحينما يحضر من فجٍّ عميقٍ أسودُ وأحمرُ، عربيٌّ وعجميٌّ ... يظهر مفهوم الأمة، فهذا هو الأثر السلوكي الذي عبَّر عنه قوله تعالى: {جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ}[المائدة: ٩٧] أي جعلها مركزَ أمَّتِهم، وجعل هذه العبادة سببَ ترابطِهم لأنَّها تُنتج أمَّةً لا تمييزَ فيها، وتنتج أمَّةَ مساواة.

فما أعظمك يا شهر رمضان وأنت ظرفٌ للعبادات الثلاثة، ومنطلقٌ للعبادة الرابعة.

المحرومُ من حُرم بركتك.

اللهم لا تحرمنا أنوار شهر رمضان، ولا تحرمنا أسرار شهر رمضان، واجعلنا من عتقائك من النار.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

لماذا أنزل إلينا القرآن؟

قال ربنا تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥] فقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم في رمضان، وها نحن نودع رمضان.

ولا بد للعاقل أن يتساءل: ماذا أخذنا من هذا القرآن الذي أنزل إلينا في رمضان؟

نعم، اختار الله سبحانه وتعالى أشرف الأزمنة التي يكون فيها الإنسان وعاءً نظيفًا مستعدًّا في روحه وجوارحه، فأنزل إليه في هذا الظرف المتميِّز القرآنَ العظيم، حتى يكون باستعداده هذا مهيَّأً للانفعال تلاوةً وفهمًا وتدبُّرًا وعملاً وأدبًا وخُلُقًا وحقيقةً وإحسانًا ... ليكون في مثل هذا الظرف منفعلاً للقرآن.

وباختصار يستطيع الإنسان إذا أراد أن يُقَيِّم أو يُقَوِّم فائدتَه من شهر رمضان من خلال هذا التساؤل:

ما الذي فعل القرآن بي في شهر رمضان؟

ما الذي ظهر من نتائج نزول القرآن إليَّ في حياتي، وفي عباداتي، وفي معاملاتي، وفي أخلاقي ..؟

هل فهمت أن القرآن نزل إلي في شهر رمضان لأجعل منه بعد شهر رمضان منطلق رسالتي في الحياة، ولأكون بعد شهر رمضان تلميذَ القرآن، وحاملَ الدعوة التي تنوِّر العالم بالقرآن ..؟

إذا كان حظي في شهر رمضان من القرآن أنني تلوت حروفه، فهذا يشترك فيه من صام بجسده، ومن صام بقلبه وعقله.

أما الذي فهم من قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} أنه نقطة الانطلاق كما كانت نقطة انطلاقٍ للإنسان الكامل سيِّدِنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، كان القرآن في شهر رمضان منطلقَ رسالته ومنطلقَ دعوته.

إن تأملاً بسيطًا في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنسَانَ} [الرحمن: ١-٣] يكفي ليجعل هذا الإنسانُ رسالتَه وحياته ومماته للقرآن وحده.

{الرَّحْمَنُ} الذي على العرش استوى، والذي برحمانيَّتِهِ يرعى الكون كله، لما أراد رعاية الكون بعد أن خلقه {عَلَّمَ الْقُرْآنَ}، ثم {خَلَقَ الإِنسَانَ} ليحمل هذا القرآن، وليكون السيد على الكون بحمله للقرآن.

هذه هي الرسالة التي ينبغي علينا أن نعيدها على قلوبنا في شهر رمضان خاصَّةً صباحَ مساء:

– لنفهم أن فائدة شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ارتقاء في العلم، لأن القرآن يقول: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه:١١٤]، ويقول: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]

– ليفهم أن فائدة شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن عمل: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥]

– ليفهم أن الفائدة من شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أن يكون في عمله هذا مخلصًا: {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة:٥]

– ليفهم أنه في عمله هذا وإخلاصِه مطالَبٌ أن يكون مع الله صادقًا: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد: ٢١]

هذه هي فائدة شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن.

القرآن الذي يحوِّلنا من الاعوجاج إلى الاستقامة إن نحن استفدنا وانتفعنا واهتدينا واقتدينا به: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]

فَلَئِنْ كان العالم يعيش اليوم حالة انحرافٍ خلقيٍّ عن المسار الإنساني، ويعيش حالة الاعوجاج السلوكي، فإنه لن يستقيم إلا بالقرآن: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}

العالم الذي يعيش غياب العدالة، ويعيش حالة الظلم، ويعيش حالة البغي، ويعيش الإفساد ... هو بحاجة إلى القرآن، لأن القرآن يقدم إليه العدالة: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد:٢٥] أي ليتحقق العدل، وليكون منهجَ كلِّ الناس، وهذا العدل يشرحه ويوضحهُ القرآن ويضع له ضوابطه.

قال الحبيب المصطفى كما أخرج أبو داوود في سننه: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟)

فمن قرأ القرآن وعمل بما فيه تعدَّى أثرُه إلى أصوله وفروعه، فما بالك بالذي يتبنّى منهج القرآن؟ وما بالك بالذي يتخلّق بالقرآن؟

إذا كان الذي يقرأ القرآن ويعمل به، ينتفع أصلُه البشري وفرعُه من هذه القراءة: {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} فعلينا إذًا أن نُصحح العلاقة مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال التزامنا بالقرآن، لأن علاقتَنا وصِلَتَنا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ستكون علاقة حميمية حُبِّيَّة حينما نقرأ القرآن فنعمل به ونتخلّق به.

وحينما لا نكون مُنتفعين في شهر رمضان بالقرآن تلاوةً وفهمًا وعملاً وتدبُّرًا وتخلقًا وتحققًا ... فإننا سنجعل بيننا وبين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم خصومةً، لأنه سيقف عند الله يشكونا إليه: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: ٣٠]

فلا يكفي عند ذكر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن نمسح وجوهنا وصدورنا متبرّكين بذكره، لأنه سيقف في موقفٍ يشكونا فيه إلى ربّه، ويقول: {يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي}

وهذه العبارة حُجّةٌ علينا نحن العرب أولاً، لأنه صلى الله عليه وسلم يشكو العرب: {إِنَّ قَوْمِي}

فيا من يتحدَّث بالقومية، سيشكوكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن لم تجعلوا قوميَّتَكم هذه سببًا لحمل القرآن.

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي} أعرضوا عن القرآن في سياستهم، وفي معاملاتهم، وفي مجتمعاتهم وتطبيقاتهم، وفي سلوكياتهم ...

يا أمة العرب، ويا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويا من يفهم لغة القرآن، أليس عيبًا أن تُعْرِضوا عن هذا القرآن؟

أليس عيبًا أن تستوردوا مناهج تتناقض مع هذه القرآن؟

أليس عيبًا علينا على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات، خصوصًا في البلاد العربية، أن لا يكون القرآنُ إمامَنا؟

إنه ظلمٌ لإنسانيتنا.

القرآن هو الذي يعيد العرب إلى السُدَّة.

وقد قال ابن خلدون رحمه الله في مقدّمته: العرب لا يجمعهم إلا الدِّين.

اجتمع الغرب على المصالح، لكننا لا نستطيع باستعداداتنا وعنفواننا وجاهليتنا الجديدة القديمة أن نجتمع، حتى نجتمع على حبل الله الذي هو القرآن.

نُنادي منذ أزمنة طويلة بالوحدة، ونكذب على أنفسنا، لأن سبب الوحدة هو القرآن ولا نأخذ به: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا} [آل عمران: ١٠٣] وحبلُ الله القرآنُ.

هذه فائدة شهر رمضان.

فلا يكفي في إعلامنا أن نُشعر الناس بشهر رمضان من خلال المسلسلات التي أكثرُها يُشوّه القرآن ويُشوِّه بيئة القرآن.

ولا يكفي أن نهُزَّ في الإعلام بالفوانيس.

ولا يكفي أن نُشعر الناس بشهر رمضان من خلال مُمثِّلةٍ أو مُطربةٍ أو صاحبة طهيٍ وطَبخٍ تجيد الطبخ وصنعَ الأطعمة في شهر رمضان، فتُعلِّمُ الناس ذلك..

يمرُّ شهر رمضان وكأنه فرصة ترفُّه، وكأنه فرصة لزيادة المحسوس، وكأنه فرصة من أجل أن يُسلِّيَ الإنسانُ نفسَه عن جوعه وعطشه، فهو في مصيبة: لقد تَرَكَ الطعام، أنقذوا هذا المسكين الذي

يصوم ويترك طعامه، إنه بحاجة إلى أن يُسلِّي نفسه في هذا الشهر الذي يصبر فيه على الطعام، فليسلِّ نفسه بما يشهده من الساخر، وبما يشهده من سبب الانحطاط.

هذا واقعنا في شهر رمضان، فهل تستفيدون يا شباب من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا ساسة من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا تُجّار من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا أساتذة من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا طُلاب من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا رجال من شهر رمضان؟

وهل تستفيدون يا نساء من شهر رمضان؟

هذا هو السؤال..

فشهر رمضان يُلوِّح لنا بالوداع، وما بقي منه إلا أيام، نستطيع فيها أن نُعيد موثقنا وعهدنا.

لنقل: يا شهر رمضان، عهدًا أن تكون منطلقنا من القرآن الذي أُنزل فيك، لنكون حَمَلة رسالة القرآن إلى أُسَرِنا ومجتمعاتِنا والعالمِ من خلال رُقيٍّ إنساني ينهض بالإنسان إلى مستواه الحضاري الذي أراده الله تعالى له.

اللهم إنَّا نسألك يا حيّ يا قيّوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا.

فهِّمنا القرآن، وخلِّقنا بالقرآن، ووفِّقنا للعمل بالقرآن، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

.

عن أي شيء تحدَّثت أمثالُ القرآن؟

يرى قارئ القرآن الكريم وهو يقرأ فيه

تكرار ضرب الله تعالى للأمثلة، وهذه الأمثال في كتاب الله تبارك وتعالى تُشكِّل نوعًا من أنواع التعبير، التي من خلالها يُوصَّل المعنى، وتُبلَّغ الدعوة، ويُفهَّم المقصود.

والقرآن الكريم تارة يعبّر بعبارة

صريحة موجهة توجيهًا مباشرًا، وتارة أخرى يذكر قَصص التاريخ لتكون للإنسان عبرةً يستفيد منها، لأن التاريخ سُنّة متكررة ودورة متعاقبة، أما الأمثال فهي نوع ثالث، ونلاحظ أن القرآن الكريم قدَّمها إلينا بصور متعددة.

يمكننا أن نتعرف إلى قيمة الأمثال من

خلال القرآن نفسه، فقد بيّن الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب المنير أن المقصود من

ضرب هذه الأمثال التذكُّر.

وهل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى إلا

إخراجُ الناس من الغفلة إلى التذكر؟

وهل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى إلا

إعادةُ الإنسان إلى الأصل الذي كان عليه يوم أن خُلِقَ؟

{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء

كُلَّهَا} [البقرة: ٣١]، {الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ

الْقُرْآنَ، خَلَقَ لإِنسَانَ} [الرحمن: ١-٣]،

{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم} [التين: ٤].

فبيَّن ربُّنا تبارك وتعالى في القرآن

أن مقصود كلِّ هذه الأمثال إنما هو التذكر، وقال: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الزمر: ٢٧].

وبيّن أنه سبحانه وتعالى يضربها للناس

وهو العليم، وليس المثل الذي يضربه جاهلٌ كالمثل الذي يضربه عليمٌ، فقال سبحانه:

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

[النور: ٢٥].

وبين ربُّنا سبحانه وتعالى إعراضَ

أكثرِ الناس عن فهم الأمثال التي يضربها لهم، وذلك بقوله سبحانه:

{وَلَقَدْ

صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ

النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا} [الإسراء: ٨٩].

وبين حال الإنسان وهو يسمع الأمثال

ويُصرُّ على جداله بالباطل، بقوله سبحانه: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا

الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلاً} [الكهف: ٥٤].

وأرجع ربنا سبحانه عدم التأثر

الإنساني بهذه الأمثال القرآنية التي ضربها إلى الجهل وعدم العلم، فقال سبحانه:

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن

جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ،

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٥٨-٥٩]

فلأنهم أعرضوا عن طريق العلم أُقفلت قلوبهم.

وقال مصرِّحًا في موضع آخر: {وَتِلْكَ

الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}

[العنكبوت: ٤٣].

من كل هذه المقدمة ندرك قيمة الإنسان

في القرآن، وأنها موضوعٌ ينبغي لكل داعية أن يتنبَّه إليه، لأنه أوصل المعنى وبلّغ

المراد بطريقة غير مباشرة، تصل إلى الأفهام ثم تدور فيها، فإذا وجدت عقلاً فاهمًا

يبحث عمّا ينفعه وجد فيها ضالته، ووجد فيها ما يبحث عنه من الحكمة، ووجد فيها ما

يبحث عنه من الخلاص، ووجد فيها ما يبحث عنه من الحقيقة.

ثم إن القرآن الكريم استعمل وهو يضرب

الأمثال كل صغير وكبير، لأنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل صغير وكبير، وهو الذي

خلق السماوات والأرض، وهو الذي خلق الأمم، وهو الذي خلق الأنعام، وهو الذي خلق

الدواب، وهو الذي خلق كل كائن صغير ... وهكذا قال سبحانه:

{إِنَّ اللَّهَ

لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا

الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا

الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ

بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ}

[البقرة: ٢٦].

ومن تأمل البعوضة فإنه يجد فيها

نظامًا عجيبًا لا يقل في أهميته وانتظامه وتناسقه وبدائع حكمته عن النظام الذي يجده

في الكائن الكبير: حيوانيًّا أو إنسانيًّا أو فلكيًّا...

إنه يجد حكمة وانتظامًا ظاهرًا يدل

على أن الذي صنع ذلك إنما هو العظيم الحكيم العليم سبحانه.

لكن السؤال بعد هذا:

ألا يستطيع الإنسان أن يفهم شيئًا

عابرًا من خلال بعض النماذج التي ضربها الله سبحانه وتعالى لنا في هذا القرآن من

هذه الأمثال؟

اخترت اثني عشر مثلاً ضربه القرآن

الكريم بعدد الشهور، لنقرأها قراءة عابرة تفسح لنا جميعًا بعد ذلك أن نتدبر قرآن

الله سبحانه، وأن ندرس ونتأمل في هذا الكتاب العظيم الذي لا ريب فيه.

أما النموذج الأول من الأمثال التي

أوردها من كتاب الله تبارك وتعالى، فإنه مثل أراد الله سبحانه وتعالى أن يوجهنا فيه

إلى وجود نوره في قلب الإنسان:

فليس من يصل إلى قلبه نور الله سبحانه

وتعالى كالذي لا يصل إليه، وليس الذي أقفل قلبه فما وصل إليه نور الله كالذي انفتح

قلبه فكان كالمرآة التي تشرق فيها أنوار الله تبارك وتعالى.

هذا المثل الأول الذي جاء في سورة

النور هو: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى

نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور: ٣٥].

إنها صورة مرسومةٌ مصوَّرةٌ تصويرًا

عجيبًا، لكنَّ المراد منها أن يلاحظ الإنسان أنه سبحانه يوجهه إلى قلبه، فهذا

الإنسان يوجَّه في هذا المثل لينظر إلى قلبه: أي قلب هو؟

فالمطلوب التربوي من هذا المثل أن

يكون نور الله تبارك وتعالى في قلب هذا الإنسان، ليصير كتلك المشكاةِ والكوكبِ

الدرِّيِّ مضيئًا، لا بنفسه، إنما بأنوار الله تبارك وتعالى التي أشرقت عليه.

فهو مَثَلٌ أراد ربُّنا سبحانه وتعالى

من كلِّ هذا التصوير فيه أن يوصل إلى الإنسان هذا السؤال:

أيُّ قلبٍ قلبُك؟

هل قلبك هو القلب الذي تنوَّر بنور

الله، أم أنه ما يزال محرومًا من هذا النور العظيم البديع الجميل الجليل؟

المَثَلُ الثاني: مَثَلٌ يراد منه التركيز على أثر ذلك النور القلبي في السلوك العملي:

وذلك في سورة إبراهيم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء} [إبراهيم: ٢٤].

فالكلمةُ الطبية كلمةُ التوحيد "لا إله إلا الله"، وهي نور القلب، والقلب الذي تدخل إليه كلمة "لا إله إلا الله" وأنوارها وأسرارها هو القلب الذي ينتج عنه أثر سلوكي وعمل صالح.

ولماذا كان فرعها في السماء؟

{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] فالعمل الصالح الذي هو الأثر عن تلك الكلمة الطيبة، والذي هو نتيجة الإيمان، يرتفع إلى السماء.

انظر كيف صور لنا ربنا في صورة عجيبة

بديعة، وباختصار شديد، ما يراد منّا أن نفهمه، ثم بيّن بعد ذلك حال القلب الذي لم تكن فيه كلمة التوحيد، والذي لم يدخل إليه نور الله، كان مليئًا بظلمات الجهالة والشرك بالله سبحانه، فهذا لا يثمر عملاً صالحًا، ولا ترتجِ الخير ممن ليس في قلبه إيمان أبدًا.

وكمَّل ذلك في نفس المثال بقوله:

{وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} [إبراهيم: ٢٦]

مثالها الشجرة الطفيلية التي لا جذور

لها في الأرض، إذا أمسكت بها استطعت اقتلاعها، لأنها لم تنبت من قرار، وهكذا فإنها لا تثمر ولا تعطي أثرًا ولا عملاً صالحًا ولا نفعًا على ساحة المجتمع والواقع.

المثل الثالث: النتيجة النفسية

للتوحيد:

النتيجة النفسية التي يمكن للإنسان

الموحِّد أن يشعر بها، جاء بها ربنا سبحانه في مثل مصوّر يحمل صورة جميلة، ينبغي لنا أن نقرأها ونحن نتدبرها:

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَّجُلا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٢٩].

إنه سبحانه يأتي بمثال لعبدٍ اشترك فيه جماعة، وعبدٍ هو لسيد واحد، أيهما سيكون في حالة الراحة النفسية؟

إنه مثال لا يراد منه عبد وسيد وشركاء.. إنما المطلوب من هذا المثال أن يتنبه الإنسان للأثر النفسي الذي هو الراحة.

فالذي يعبد ربًّا واحدًا، ولا يتوجه إلا إلى الله وحده، يكون في حالة من الراحة، لأنه لا يتشعب في العلائق، ولا تأخذه العلائق يمنة ويسرة، وكأنه يقول لنا: أريحوا أنفسكم بالتوجه إلى الواحد، ولا

تتعبوها بكثرة العلائق.

المثال الرابع: النتيجة العملية

للشرك:

إذا فُقِدَ التوحيد وتعلّق بالعلائق

فما هي النتيجة؟ وما الذي سيجنيه؟

وذلك مبيّن في سورة العنكبوت بقوله

سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ

الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} العنكبوت: ٤١]

فكلُّ ما تبنيه المادِّية من غير

توجُّهٍ إلى الله سبحانه وتعالى بيتٌ لا استقرار له، وهو بيت ضعيفٌ واهٍ معرّضٌ

للانهيار في أي وقت.

ماذا أنتجت المادِّية التي لا تنبعث

من الإيمان بالله سبحانه وتعالى؟

أراد ربنا سبحانه وتعالى أن يقول لنا

في هذا المثل: لا تستندوا إلى غيره سبحانه، ولا تتوكلوا على سواه، لأن غيره لا يقدر على نصرتكم، ولا يقدر على تأييدكم، فتوجهوا بقلوبكم إليه وحده، وها هم الذين يدعون من دون الله، ما يبنونه هو كما تبنيه هذه العنكبوت.

وقد اختلفوا في تفسير هذا المثل

الحسِّيّ:

فقال بعضهم: إنه بيت واهٍ لأنك تستطيع

تخريبه بيدك.

وقال غيرهم: إنه بيت يفقد النظام، لأن

هذه العنكبوت الأنثى تقتل ذكرها بعد أن تبني بيتها، فهو بيت لا نظام فيه.

لهذا فإن العالمَ الذي لا نظام فيه

عالمٌ مهدَّدٌ بالانهيار والسقوط في أي وقت.

وهكذا يتبين من التفسيرين أن الذين لم

يستندوا إلى الله سبحانه وإلى شريعته مُهدَّدون بالسقوط في أي لحظة، لأنهم وقفوا مع ماديتهم المُجرَّدَة وحدها.

المَثَل الخامس: فيه توصيف الضعف

الخَلقي:

يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ

ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن

يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} فقد استطاعوا أن يصنعوا مركبة فضاء،

وعجزوا عن ذبابة، لأن الذبابة لا يقدر على خلقها إلا الله.

{وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ

شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: ٧٣]

فالخَلق كلهم حالة ضعف وفقر واحتياج.

وهذا مثلٌ من الحِس، يُراد منه أن

يستشعر هذا الإنسان ضَعْفَ كلِّ مخلوق مهما شعر بالقوة، لأنه بالنظر إلى ذاته فقيرٌ

إلى الله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ} [فاطر: ١٥].

ومن تأمَّل في هذا لا يمكن أن يبقى

لديه عُجبٌ أو غرور، ولا يمكن أن يبقى لديه تعزز بالنفس وأوصافها .. لأنه سيقف بعد

هذا المَثَلِ وهو يقول: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}.

المَثَل السادس: التعريف بسلطنة

المليك الأوحد:

يقول سبحانه: {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا

مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي

مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: ٢٨]

انظر في الأمثال كم يُكرر

{يَعْلَمُونَ} وكم يُكرر {يَعْقِلُونَ}:

ففي مثال العنكبوت قال: {لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ}، وفي مثال الرجل الذي فيه الشركاء المتشاكسون قال:

{بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لا يَعْلَمُونَ}، وفي هذا المثال يقول: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

إذًا، الأمثال لا يستطيع أن يفهمها

وينتفع بها ويُوظِّفها توظيفًا صحيحًا إلا أهل العِلْم، فكُن منهم.

هذا المثال يقول للإنسان: إذا كنت

تملك عبدًا أو أَمَةً فأنت لا ترى مشاركةَ أحدٍ لك فيما تملك، فإذا كنت لا ترى

مشاركةَ أحدٍ لك في عبدك أو جاريتك، فكيف تنسب مشاركة غير الله إلى الله؟

ويُقاس على هذا كلُّ ما تملكه، فإذا

كُنتَ تملك شيئًا ما، فأنت لا ترضى أن يُشاركك أحدٌ فيما تملك، فكيف ترضى أن تنسب

إلى اللهِ مليكِ الكون، الذي يملك الكون كله، مشاركةَ غيره إليه؟

المثال السابع: يُحفِّزُ العبوديةَ

المُنتِجَة، لا العبوديةَ البطَّالة، ولكلمة عبد دلالتان:

١- أنه لا يملك، والله يملك.

٢- العبد يقوم بعمل، أو يفعل شيئًا

على مستوى الحِس.

والعبد نوعان: عبدٌ كسول عاجز هو

كالبلية لسيده، وعبد يستطيع أن يُقدِّم شيئًا كثيرًا.

يقول تعالى: {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً

عَبْدًا مَّمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا

حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ

أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ

أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: ٧٥-٧٦]

صحيح أنك عبد، لكن ماذا أنتجْتَ من

دائرة عبوديتك؟

استشعرت عبوديتك، فهل أنتج استشعارُك

لعبوديتك عملاً وسلوكًا على أرض الواقع، أم أنك بقيت تتحدَّث عن الأحوال؟

المثال الثامن: مثالٌ يُراد منه أن

نعلم أن هذا الكتاب الذي أُنزل إلينا، لا من أجل أن نُقدِّسه تقديسًا رمزيًّا،

إنما من أجل أن نجعله منهجًا لنا، وأن نستفيد منه في حياتنا، لا مجرَّد أن نضعه في

أشكال مُحترمَة، وأن نتغنَّى به بالنغمات المتعددة.

يقول ربنا سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ

حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: ٥]

فلا يكفي أن نقول: نُقدِّس القرآن،

ونحترم القرآن، ونُسمع الناس القرآن .. بل ينبغي أن نستفيد من القرآن، وأن نعمل بالقرآن، وأن نتخلَّق بالقرآن، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان خُلُقُه القرآن.

المثال التاسع: يُراد منه تنبيه

الإنسان:

فإذا فُتحت لك فرصةُ هداية فلا

تضيِّعها، فلو ضيّعتها تخسر عمرك كله.

يقول تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ

الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ} [البقرة: ١٧]

وقف أمام نور القرآن، ووقف أمام نور

الهداية، الذي هدى به سيِّدُنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وصل إلى معرفة أن القرآن حق، وإلى

معرفة أن الإسلام عظيم.. لكنه بعد ذلك ضيّع تلك الفُرصة، فإذا هو في ظُلمات، حيث

جاء النور إليه، ثم خسر كلَّ هذا النور، فضيّع فرصة هدايته.

المثال العاشر: يتحدث عن سرعة زوال

هذه الدار الدنيا التي نحن فيها، دارِ التكليف.

يقول سبحانه: {وَاضْرِبْ لَهُم

مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} [الكهف: ٤٥].

ويقول سبحانه: {اعْلَمُوا أَنَّمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}

[الحديد: ٢٠].

ففي المثال الأول قال: {فَأَصْبَحَ

هَشِيمًا} فأشار إلى نهاية الزرع، وهنا قال: {ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا} فأشار إلى

نتيجة الشجر، فهذا يكون حطبًا متكسرًا، وذاك يكون هشيمًا محترقًا.

قال: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ} لا نهاية له، {وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} لا نهاية لهما {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ}

[الحديد: ٢٠].

رحم الله من قال:

وما من كاتب إلا سيبلى

فلا تكتب بكفك غير شيء

ويُبقي الدهر ما كتبت يداه

يسرك في القيامة أن تراه

المثال الحادي عشر: يسوقنا إلى ضرورة

اغتنام العمر بالإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: **١١٦-١١٧**].

وقال: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم: ١٨].

كل هذا يندرج في ضرب الأمثلة في

نتيجةٍ هي التوجيهُ إلى عملٍ يستند إلى الإيمان، فالذين كفروا وعملوا فكان عملهم لا يستند إلى الإيمان، فإنه كالريح التي فيها نارٌ تحرق، فأحرقت ما على الأرض من الشجر، حيث ظهر الشجر وظهر الثمر ثم جاءت النار فأحرقته، أو كرمادٍ وجاء يوم عاصف.

إذًا، فهذه المجموعة إنما يراد أن

نفهم منها هذه الحقيقة:

اغتنام العمر بالعمل الصالح المستند

إلى الإيمان هو الواجب على العاقل.

المثال الأخير الثاني عشر: يرمي إلى

تبليغ قلوبنا ضرورة ترك اللُّهاث خلف المادة الأرضية، كأنه يقول للإنسان: لا تلهث صباحَ مساءَ مقبلاً ومدبرًا في عمرك خلف المادة وحدها، وهذا في قوله سبحانه:

{وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}

[الأعراف: ١٧٦].

إنه المثال للإنسان اللاهث خلف

المادَّة، أقبَلَتْ عليه أو أدبَرَتْ.

هذا هو مثال الكلب: إذا أقبلْتَ عليه

يلهث، وإن أدبرْتَ عنه يلهث.

وكذلك عبّاد المادة: إن أقبَلَتِ

المادَّةُ عليهم كانوا في ذلك اللهاث، وإن أدبَرَتْ كانوا في ذلك اللهاث، فهم سواء، إن أدبرت أو أقبلت عليهم المادة، هُمْ في همٍّ وغمٍّ، كان في أيديهم المال أم لم يكن.

مثالٌ يضربه الله سبحانه وتعالى لنا

لنرى صورة المادِّيِّ الذي يعيش حياته وهو في هذا اللهاث.

إن المؤمن يستمد حياته من قوله تعالى:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ

الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}القصص: ٧٧].

أحسَنَ اللهُ إليك من غير مقابل،

فأحسِنْ من غير مقابل.

إذًا: الأمثال في القرآن كثيرة، وما

أردت إبلاغكم كل الأمثلة إنما بعضها، لأن تكرير العرض في الأمثال المتعددة التي يتعدد تصويرها وتبليغها يعطي السامعَ مَلَكَةً يستطيع بعدها أن يتأمل في كل الأمثال، وأن يحاول فهم المراد.

فإذا قرأتم القرآن فقفوا عند كلِّ

مَثَلٍ يضربه القرآن الكريم، وافهموا المراد منه، فإنه يحمل وراءه علمًا كبيرًا

{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا

الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣] فكن يا أيها الإنسان القارئ للقرآن من العالمين لتفهم أمثال القرآن.

ردنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً،

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

القرآن منهج حياة وليس عنوانًا على الممات

إنه لجميل أن نتعلم تلاوة القرآن العظيم، وأن نجوِّد قراءته، وأن نجمِّل أصواتنا به.. لكن ينبغي علينا أن لا نبتعد عن هذا القرآن إلى درجةٍ نحوِّله فيها إلى عنوان على المآتم والجنائز، أو إلى ممارسةٍ معتادةٍ تُفتتح بها المناسبات..

القرآن العظيم أنزله الله سبحانه وتعالى، وهو أحسن الحديث، وهو أقدس الكلام، لأنه كلام الله، أنزله فكان كالماء الذي تتنزَّلُ خيراته على الأرض فينبت به الزرع.

ألم يقل ربنا سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]؟

فبين بهذا أن القرآن العظيم هو كالماء

الذي ينزل من السماء فتحيا به الأرض، وجعل الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأمته كالزرع حين قال: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩].

هذا القرآن أنزله الله سبحانه وتعالى

لتستقي منه كلُّ ذرَّةٍ من ذرَّاتنا، وكلُّ حالٍ من أحوالنا، وكلُّ ركنٍ من أركان واقعنا..

وحين يتحول هذا القرآن في أمتنا إلى

مجرَّد كتاب يُتلى، من غير أن تتفاعل هذه الأمة مع معانيه، نقترب من ذلك المثال الذي ضربه الله سبحانه وتعالى في أمة اليهود التي أعرضت عن كتابها: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥] فهو يحمل الكتاب لكنه لا ينتفع به.

أعداء الإسلام يخاف من هذا القرآن

حينما تتفاعل الأمة معه..

لا يخافون منه حينما يُتلى ونُعرض عن معانيه، لكنهم يخافون حين نتلوه ونتفاعل مع معانيه.

قال يومًا من الأيام رئيس وزراءٍ بريطانيٍّ: "ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق".

وفي ذكرى دخول فرنسا إلى الجزائر بعد مائة سنة، قال الحاكم الفرنسي الذي يحكم الجزائر: "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيلَ القرآن العربيَّ من وجودهم، ونقتلعَ اللسان العربي من ألسنتهم".

ولئن قرأ الأعاجم هذا القرآن فكان عسيرًا عليهم أن يتفاعلوا مع الألفاظ التي يقرؤونها لأنهم بحاجة إلى شرح المعنى بلغتهم، فإننا نحن العرب لا نُعذَرُ في حال من الأحوال، عُمَّالاً، أو تُجَّارًا، أو صُنَّاعًا، أو حُكَّامًا، أو أساتذة، أو طلابًا، أو رجالاً، أو نساءً ... إن نحن

أعرضنا عن المدارسة في هذا القرآن.

هذا القرآن إلهيُّ المصدر وقد قال

الله سبحانه وتعالى فيه، وهو يلفت انتباه السامعين إلى ذلك: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا

كَثِيرًا} [النساء:٨٢] فلو كان من صنع البشر، لوجد الإنسان فيه بعض تناقضٍ، كما هو

مُلاحظٌ في تآليف المصنفين.

أفلا يتدبرون القرآن ومصدره إلهيٌّ؟!

أفلا ينفذون إلى معاني القرآن وهو

تنزيل من ربِّ العالمين إلى العالمين؟!

وقال سبحانه: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ

آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت: ٣] فبمقدار ما ترتقي في

العلم تتفاعل مع القرآن: بمقدار ما ترتقي في علم اللغة تتفاعل مع ألفاظ القرآن،

وبمقدار ما ترتقي في العلوم الكونية التطبيقية تتفاعل مع معاني القرآن ودلالاته،

وبمقدار ما ترتقي في صفاء قلبك وركوعك وسجودك واستسلامك لله سبحانه، تفهم أخلاق

القرآن، وآداب القرآن، وبمقدار ما ترتقي في كل نوع من أنواع العلوم الظاهرة والباطنة ... تستطيع أن تأخذ من القرآن.

{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} تفصيلاً، ما فرّط في شيءٍ ولا ترك شيئًا.

وكان حبر الأمة ابن عباسٍ رضي الله

عنهما يُقسِم أنه لو ضاع عقالُ بعيره لوجده في القرآن.

{قُرْآنًا عَرَبِيًّا} فقد اختار الله

سبحانه وتعالى اللغة العربية التي تعطي اللفظةُ الواحدةُ فيها دلالاتٍ كثيرةً،

وفيها من الخصوصيات ومن الثراء في المعاني ما لا يوجد في غيرها من لغات العالم،

لتبقى دلالاتُ هذا القرآن تغني العقول والقلوب والأرواح.

فليس اختيار اللغة العربية لاعتبار

قومية أهلها، إنما هو لخصوصياتها وما تؤديه من الوظائف الإنسانية، ولم يكن القرآن

في يوم من الأيام قوميًّا، لكنه سبحانه اختار لغةً تؤدي وظيفةً لا تقدر أن تؤديها

أي لغة أخرى.

وهكذا عندما تعلَّم الأعاجمُ لغتَنا

حملوا القرآن وأفادوا فيه.

من هو البخاري، ومن هو مسلم

النيسابوري، والفيروزابادي، والفخر الرازي، وأبو حامد الغزالي الطوسي...؟

كلُّهم من الأعاجم، لكنهم كتبوا

باللغة العربية كلامًا لم يكتبه الذين اشتغلوا من العرب بالحُكم وقتها، وكان

الأمراء والملوك يدينون بالفضل لأولئك الأعاجم لأنهم يفهمون ما لا يفهمون.

فاختيار اللغة العربية لم يكن لأي

اعتبار عرقي أو قومي، إنما كان لأنها تؤدي في دلالاتها وظيفةً ينبغي أن تقدم

للإنسان إلى آخر الزمان، حين يرث الله الأرض ومن عليها.

تنبهوا إلى عمق الدلالات في هذه

الآية، فقد قال ربُّنا: {فُصِّلَتْ} وقال:

{ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} على عمومها.

هل يمكن لأمَّةٍ تتلو دون أن تتعلم،

أن تستفيد من القرآن؟

هل يمكن لأمَّةٍ تكرِّرُ على الألسن

هذا القرآن العظيم دون أن تدخل إلى تفصيلاته، أن تنهض؟

لا ..

وأكثر من هذا في الدلالة والتأكيد على

ما نذكره، قولُه سبحانه: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩]

يصف الله سبحانه وتعالى هذا القرآن

فيقول: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} أي دلائل وبراهين وعلامات ساطعة.

بيناتٌ ليس فيها غموض، وليس فيها ما

هو بعيد المنال، إنه موردٌ ثرٌّ عذبٌ.

وقال: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ

فِي صُدُورِ} وما قال: على ألسن.

فإذا تفاعل القلب معه صار صاحب قرآن،

وإذا تحرّك اللسان به دون أن ينفذ إلى القلب كان صاحبُه من غير فهم:

{لَهُمْ

قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأعراف: ١٧٩]

قال: {فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ} إنهم حملة القرآن بوصفهم الحقيقي، (الذين أوتوا العِلْم) فلمّا أوتوا العِلْم كانوا أهلاً لحمل القرآن.

إذًا، إذا لم نتحوَّل إلى أمّة عِلْم،

لا نستطيع حمل القرآن، وإذا بقينا على جهالتنا وتخلُّفنا وضيق أفكارنا وسطحية ذهنيتنا .. لا نستطيع أن نحمل القرآن، ولا نستطيع أن نتفاعل معه.

وقال سبحانه: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤] فنحن مدعوُّون إذًا إلى

تدبُّر القرآن، وإلى المدارسة، وإلى بحث التفصيلات، وإلا فإن مشكلتنا هي وجود الأقفال التي مَنَعَتْ وصولَ هذا الماء العذب إلى القلب، حتى يتنبَّه هذا القلبُ من غفلته، وحتى تنبت فيه الشجرة الطيبة، التي أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء.

واختصر الله سبحانه وتعالى لنا وظيفة

القرآن في آية فقال: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}

[الإسراء: ٩] وما أجد تعبيرًا يختصر الوظيفة كهذا التعبير:

{يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ} ما قال: يهدي إلى القويم، بل يهدي إلى الأقوم، فالذي يتَّبع القرآن، ويتدبَّره، ويفهمه، ويتأدّب بأدبه، ويتخلّق بخُلُقه .. يكون على الأقوم، والأقوم ضدُّ الأعوج، وهذا القرآن ليس فيه أي اعوجاج، فكيف يكون المقوّم مُعوجًّا؟!

لهذا قال سبحانه: {قُرْآنًا

عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر: ٢٨].

واختصر وظيفتنا بعد أن دلَّنا على

وظيفته وواجبنا الذي ينبغي علينا أن نفعله أمام هذا القرآن بقوله:

{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨]

القرآن يهدي إلى الأقوم، وواجبنا

أمامه: {فَاتَّبِعْ قُرْآَنَهُ} في سوقك، وفي معاملتك، وفي أخلاقك .. وفي كل مجالٍ

من مجالات حياتك.

وقال واصفًا من أعرض عن الاتباع:

{وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآَنُ لا يَسْجُدُونَ} [الانشقاق: ٢١] أي لا

يستسلمون لله سبحانه وتعالى، مُذعنين له في تمام الاستسلام.

فحال العُقلاء الاتباع، وحالٌ غيرهم

الإعراضُ.

نعم، إنه مصدر العِلْم، ويحمله أولو

العِلْم، ويتناسب معه أولو العقل، وهو سبحانه الذي قال: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢] فهو الطريق إلى التعقُّل.

وما أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون

هذا القرآن لنا نحن العرب وحدنا، إنما أراد أن يكون عالميًّا، ناسخًا لكل الكُتب

الأخرى، يحمله الرسول الخاتم سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم، العالميُّ الذي أُرسل لجميع الناس.

واليوم تُدبَّرُ مؤامراتٌ كبيرةٌ في

العالم ليُقال للناس: إن أنتم أردتم غير القرآن فالكتب السماوية الباقية هي مثلُه.

لا.. لا..

إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن

فَنَسَخَ الكُتبَ التي قبله، فما بقي بعد القرآن أيُّ كتابٍ مُعتبَر، والذين يريدون إعادة الاعتبار إلى الكُتب الأخرى يمارسون حملة تهويد، من ورائها الصهيونية العالمية، التي تريد حرب الإسلام بوسائل شتى.

هذا القرآن العالميّ قال الله فيه:

{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}

[الأنعام: ١٩]

ويأتي يومٌ يرى فيه العالمُ أن القرآن

يبلغ إلى الأرض كلِّها.

يبلغ إلى الفضاء، ويخرج ممن يقرأ

القرآن إلى الفضاء ليُغطيَ الأرض كلها بقناةٍ فضائية.

قال تعالى باختصار: {وَمَنْ بَلَغَ}.

فلئن كان في زمنٍ مضى يبلغ القرآنُ من

يسمعُه حينما يسمعُ من فَمِ ذلك التالي، فاليومَ يقول القرآن:

{وَمَنْ بَلَغَ} أي

كلُّ من بلغه هذا القرآن وبأيّ وسيلة.

إنه يُعبِّر عن العالمية بكلمة

مُختصرَة.

فكلُّ من هو على الأرض بَلَغَهُ

القرآن، وبلغه إنذار سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والعالَم كله بشرقه وغربه

مُكلَّفٌ باتباع القرآن.

نحن لا نُكره أحدًا، فعنوان شريعتنا:

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦] لكن التكليفَ عامٌّ لكل من هو على وجه الأرض، غربيًّا كان أو شرقيًّا، رُغم أنف الكاذبين الذين يحاولون أن يساووا بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

فكلٌّ من يمشي على وجه الأرض هو

مُكلَّف بالقرآن.

إذا كان سيدنا عليٌّ رضي الله تعالى

عنه يقول: (لو شئتُ أن أكتب في معاني الفاتحة، لحمَّلتُ سبعين وِقرًا، أو أربعين، من الكُتب على الجِمال)، فكيف بالقرآن العظيم كله؟!

هل نستطيع أن نتحدّث عن القرآن وهو

الذي لا تنتهي عجائبه؟

هل نستطيع أن نتحدّث عن القرآن وهو

الذي لا تنتهي دلالاته؟

لا.. إنما هي وِقْفَةٌ عاجلةٌ خاطفةٌ،

نُذَكِّر فيها أنفسنا بهذا القرآن العظيم، لندخل إلى فهمه وتدبُّره، بعد أن بدأنا نعتني بقُرَّائه وحُفَّاظه.

إنها لخطوة على الطريق أن نعتني

بقُرَّائه وحُفّاظه، والخطوة التي بعدها هي المدارسة والتدبُّر والاتباع.

وأختم بحديث المصطفى صلى الله عليه

وسلم، الذي أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي عن سيدنا عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(أَلا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ،

فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ،

فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا

بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ

قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ،

وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ

الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، واجعلنا من أهل تلاوته وتدبُّره والعمل به يا ربَّ العالمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

الصيامُ درسُ انضباط

تشريع الصيام لم يغب عن رسالةٍ من الرسالات، فلم يُرسل الله سبحانه وتعالى مع الرسل إرشادًا أو توجيهًا إلا وأنزل معه أمرًا بالصيام، قال الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ١٨٣] فالأمة الخاتمة لا تنفرد عن الأمم السالفة بهذا التشريع وتلك الفريضة.

فما سرُّ ذلك مع الاختلاف الكثير في الأحكام والشرائع؟

ولماذا لازمت فريضة الصيام كلَّ الرسالات؟

ينبغي علينا ونحن نصوم شهر رمضان أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، لنتجاوز السلوك والممارسة وحدها إلى فهم مقاصدها ومعرفة حِكَمِها، فالإنسان وحده هو الكائن الذي لا يُقاد من ظاهره إنما يقاد من باطنه، فإذا صُمنا من غير أن نفهم أسرار الصيام ومقاصدَه فإن الصيام يكاد أن لا يعدوَ عادةً قد تعوَّدنا عليها وتلقيناها عن الآباء والأجداد.

والنفوس بطبعها تحبُّ الفوضوية، وتشتهي ما تريد، وترغب في أن تمد يدها حيث أرادت... فحين يكون الإنسان في حُكم نفسه يكون أفظع من البهائم، وأضلَّ من الأنعام لأنه يملك ما لا تملك الأنعام، ويستطيع أن يوظف كل الطاقات والاستعدادات التي يملكها خدمةً لنفسه، وما حال العالم فيما نعيشه اليوم إلا برهانٌ ساطع على ما نذكره، فلماذا امتدت اليد من وراء المحيطات لتسرق بترول عالمنا الإسلاميّ؟

ولماذا طمع المترفِّهون الذين لا يعانون من الجوع ولا من العطش في قوت الجياع؟

ولماذا امتدَّ نظر أولئك – الذين ملكوا بعد عدوانهم على أرضهم، بعد أن هاجروا إليها فقتلوا أهلها – لما استقرت أمورهم، إلى أموال الفقراء وأرض الضعاف؟

إنها فوضوية النفوس التي عانينا منها في عالمنا الإسلاميّ حينما رضينا بالجهل بسبب فوضوية النفوس، ورضينا بالكسل، ورضينا بالتخلُّف، ورضينا بالخنوع... بسبب فوضوية النفوس، وبسب فوضوية النفوس أيضًا طمع الطامعون فينا...

إذًا، فلا بد لهذا الإنسان بما فيه من النفس والعقل والقلب والروح والجسد من تهذيبٍ يهذِّبه، وترويضٍ يروِّض نفسه ليتعلم بعد الفوضويةِ الانضباطَ والانتظام.

ومن هنا لم يغب تشريع الصيام عن رسالةٍ من رسالات السماء.

وقال الله تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] فحينما هيَّأ الناسَ في شهر رمضان فاهتدوا، صفت نفوسهم بالصيام، وحينما صارت موافقةً أمرَ الله تعالى استعدَّت لسماع بينات القرآن وتفصيلات الفرقان.

وكم يقول خطباء المساجد كلَّ جمعة: افعل هذا ولا تفعل ذاك، ولماذا لا يؤثّر، ولماذا لا تتغير أحوالنا؟

لأننا بحاجةٍ إلى الهداية، لكننا مع هذه الهداية نتوقف بعد خطوتين، فنملأ المساجد في صلاة التراويح، ويلتزم الجميع بيوتهم عند الإفطار.

إنها خطوات تقرِّبنا من حالة التزام الانضباط، لكننا نتوقف بعد خطوات.

نرتفع في هدايتنا هذه، لكننا لا نصل إلى المرحلة التي تُنتجها الهداية، وهي التزام البينات، والتمثُّل بما في الفرقان من تفصيلات الأحكام.

نحن في هذا الموسم العظيم نشعُر بحالةٍ من الروحانية، وبدرجة من القرب، وبسموٍّ لم نعهده، وأجسادُنا وسلوكُنا يلتصق بالمادة التصاقًا.

نعم، فشهر رمضان لا يشبه غيره من الشهور، فهو موسم خصوصية بكلِّ معنى كلمة الخصوصية، لكن هذه الهداية لا نحسن توظيفها لنحولها إلى حالة التزام وانضباط وقد تهيأ لدينا هذا الاستعداد.

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} فما أنزل القرآن إلا في شهرٍ تستعدُّ النفوس فيه لسماعه: صامت فصفت، ولما صفت أصبح لديها الاستعداد للتطبيق والانضباط، فبيَّن لها وفصّل في القرآن.

{وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} فقال: افعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك.

وفصَّل سلوكَ الإنسان في كل المستويات، فلم يغادر صعيدًا على مستوى سلوك الإنسان إلا وفصّل فيه.

واقرؤوا في هذا القرآن العظيم على سبيل المثال لا الحصر:

- {لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً} فمنطلق سعادتك التوحيد، أي أن تتوجه إلى الله الواحد، وإذا لم يكن هذا منطلقًا لك فستبقى في شتاتٍ وتجاذُبٍ تتجاذبك فيه العلائق.

- {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} أي أمر ربُّك أن لا تكون عبادتك السلوكيَّة متوجهةً إلا إليه.

- {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} فبدأ يدخل إلى سلوك الإنسان الاجتماعيِّ وعلاقاته لينظمها.

- {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا} وقد كنت يومًا من الأيام أبحث عن دلالات كلمة: "أُفٍّ" فوجدت أنها الكلمة الأولى التي تثير ضجيجًا في ساعة سكون، فهو لم يقل: "قعقع"، ولم يستعمل ألفاظًا تثير ضجيجًا شديدًا، لكنه استعمل لفظةً ما هي إلا ابتداءُ الضجيج بلغة أصوات الحروف، لكن الذي يصل إلى حالة الكبر يؤذيه غير السكون، فاستعمل القرآن الكريم هذا التوجيه.

{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ}وعند بلوغ الكِبَر لا يتحمَّل الإنسان باستعداداته النفسية ما كان يتحمله في شبابه.

{أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا} وفي هذا ردٌّ صريحٌ على من يشترط تقارب السن بين الزوجين، لا... فرسول الله صلى الله عليه وسلم المشرِّعُ تزوَّج عائشة رضي الله تعالى عنها وقد تجاوز الخمسين، وهذا تشريعٌ من الله تعالى فيه من الحكم الكثيرة، وكذب الجاهلون الذين يريدون قلب الحقائق وتصويرَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه شخصية عنيفة وشهوانية.

فداك نفسي يا رسول الله، كذب أولئك الذين يحاولون الإساءة إلى حضرة جنابك.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهي أكبر منه بخمسة عشر عامًا، وتزوج عائشة وهي أصغر منه، وهذا لا يعني منع اقتراب السن من السن، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَودة التي كانت قريبة في السن منه.

إنه التشريع الواسع الذي يغطي سلوكيات الإنسان، والذي يفتح الفرصة للإنسان في سلوكه لينظم سلوكه من أوسع الأبواب.

الحرية لا كما يقول ذلك الأرعن الأسود في البيت الأبيض: إننا ندعو إلى الحرية، ويفهم الحرية سرقة الثروات، ويفهمها إباحية، لا.. فالحرية أن يتحرر الإنسان من نفسه، وأن يكون منضبطًا ومنتظمًا.

هذه هي حقيقة الحرية التي نفهمها نحن، والتي نقارع بها أولئك اللصوص الذين يكذبون على الإنسانية، فنحن أصحاب الحرية، ونحن الذين شعارنا: "لا إكراه في الدين"، ونحن الذين نحمل راية الحرية، لكننا لا نتاجر بالشعارات الكاذبة.

– {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} لا من التكلُّف، بأن يكون جبَّارًا ثم يتكلف، لا.. بل من الرحمة، وذلك حين يروِّض قلبه ويهذِّب نفسه ليكون متَّصفًا بالرحمة، فتُنتج الرحمة في قلبه تواضعًا لأبويه.

– {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} واجعل هذا في كل صلاة تُصليها، وادع لأبويك فإن الله سبحانه يُلهم أولادك أن يدعوا لك في حياتك وبعد مماتك.

– {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} فالقضية لا تحتمل الدعوى، وانظر إلى هذا الخطاب القرآنيِّ الذي يسبر أعماق الإنسان.

– {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا} إنه يعرض حُكمًا من الأحكام، لكنه يدعّمه بعد ذلك بمراقبةٍ لله، حتى نفهم أن ديننا ليس قانونًا يتعامل مع ظاهر الإنسان وحده، إنما يعمِّر الباطن، فينتج التصحيح في السلوك الظاهر.

– {وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} فانتقل إلى حكمٍ آخر من أجل أن يكون معلمًا للإنسان الالتزام والانضباط.

– {وَالْمِسْكِينَ} والمسكين قد يكون أشدَّ فقرًا من الفقير، وقد يكون أعلى في الرتبة، على خلافٍ بين أهل العلم.

- {وَابْنَ السَّبِيلِ} أي الغني الذي انقطع في بلاد الغُربة، فلو وُجد في بلادنا أمريكيٌّ أو صينيٌّ أو قادمٌ من أوروبا... فانقطع عن ماله وهو يملك ما يملكه من الأموال، نخرج من زكاة أموالنا ونعطيه.

هذا هو إسلامنا، فنحن لا نقتل الأمريكيَّ والأوربيّ، إنما نعطيه المال إذا انقطع عن ماله.

هذا هو إسلامنا، وهذا هو انضباطنا إن نحن تمسكنا بهذا الإسلام.

- {وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} أي لا تخرج إلى العبثية، فالتبذير العبثية.

- {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} وضدُّ الكفران الشكرُ لله تبارك وتعالى بتوظيف النعمة فيما خلقت من أجله.

ثم انظروا إلى المعزِّزات وهو يُدرِجُها تبارك وتعالى بين الأحكام، فخاطب أولاً قضية المراقبة لله، وخاطب ثانيًا قائدهم الأعلى ومحتسبهم الذي ينفِّذ الحسبة على مستوى السلوك، فقال:

- {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا} إنه توجيهٌ لمن كانت بيده مقاليد أمور العباد: عامِلِ الخلقَ باليسر، وأعرض عنهم عفوًا، ووجِّههم إلى الخير بالوسائل المحبوبة... فيتحوّل الحاكم من طاغية ونمرود وفرعون... إلى داعيةٍ وأمٍّ رؤوم.

هذا نموذج انضباط.

- {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} فانتقل إلى حكمٍ آخر: إياك والبخل.

- {وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} من خلال ذلك التبذير والإسراف.

- {فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} فإذا كنتَ في حالة الإقتار فتذكَّر أنه يبسط الرزق، فتمتد يدك، وإذا كنت في حالة البسط فتذكَّر أنه يقدر، وعندها سوف تعود إلى الانضباط.

إنها المعززات في الخطاب، التي هي نموذجٌ من البيِّنات والفُرقان، الذي يأتي ليُخاطب الإنسان وقد دخل في موسمِ الهدى، موسمِ رمضان.

– {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} أي خشية الفقر، فلا تنادوا بتحديد النسل من أجل توفير الثروة، وهي نزعةٌ أصبحت بديل التنمية.

وقد شاركنا مرارًا في ندوات شعارها (حدِّدوا النسل) وكُنا نقول: ليست مشكلتنا في النسل، إنما مشكلتنا في التنمية، فنحن نفشل في التنمية، وفي التثقيف، وفي التعليم، وفي توفير العمل... فنقول: حَدِّدوا النسل.

لو أننا كنا على مستوى المسؤولية وقُلنا: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا فَهِيَ لَهُ، سيعمل أولادنا.

ولو أننا فهمنا أن ملكية الأرض في الإسلام هي لله وحده، والذي يقدر على إحياء أرضٍ بزراعة أو تجارة أو صناعة فهي حقٌّ له، عندها سنبحث عن التكاثر السكانيّ.

المشكلة أننا لا نتعامل بالمعايير التي نظَّمت الإنسان بعدالةٍ لا يعرفها الإنسانيُّ بقانونه البشري.

– {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} فهم سبب رزقكم، {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}.

– {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} فيه تمزيقُ الأُسَر.

– {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ} فالإسلام يدعو إلى السلام، نعم، من جاء إلى أرضنا ليقتلنا قتلناه، وهو قتلٌ بالحقّ، لكننا لا نعتدي أبدًا: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج: ٣٩] وما قال: "يُقاتِلون".

– {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} الأمانة المالية.

– {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} والمسلمون عند شروطهم، وليس في ساحتهم التفافٌ واحتيال.

– {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} العدالة التجارية.

– {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي لا تتعدَّ حدودك العِلْمية، ووافق ما أنت فيه من المعرفة، وقف عند ما تجهله، وتوقّف فيما لا تعلمه.

– {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} إن هذا الحُكم يلغي الفضول، ويجعل الإنسان يُوجّه اهتمامه إلى سلوكه الخاص بدلاً من الاشتغال في زيد وعمرو، إنه إصلاح الفرد وتوفير الوقت الذي يصرفه في الاشتغال بالآخرين ولم يُؤمر أن ينشغل بهم إلا إذا كان راعيًا لهم.

– {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} أي تواضع.

– {إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا، ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} [الإسراء: ٢٢–٣٩]

وهذا نموذج.

فماذا، يا أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، عن سلوكنا أمام البيّنات والفرقان، وقد صُمنا فتعرَّضنا للهدى، لكن ماذا عن بيّناتهم من الهدى والفرقان؟

ماذا عن البيّنات التي بيّنت لنا منطلقات سلوكنا؟

ماذا عن تفصيلات الفرقان التي وجّهتنا إلى الانضباط؟

حينما يُنتِج صيامُنا الانضباطَ على شريعة الله وفق هذه المعايير، التي هذا نموذجٌ منها، فإننا عند ذلك نكون قد وافقنا حكمة شهر رمضان.

وحينما نبقى نُسرُّ في سحورنا وفطورنا، ونهُزُّ بالفوانيس، ونجعل الشهر عاداتٍ وخِيَمًا رمضانية... عندها نكون كمن يهتدي ثم يمحو هدايته في نفس اليوم.

المطلوب أن نهتديَ كلَّ يوم هداية تراكمية، فإذا وصلنا إلى العشر الأخير من رمضان كانت الهداية التراكمية هذه رادعةً لنا عن الفوضوية، فانتظم سلوكنا وانضبط، وعندها كيف لا يعتقنا الله

تعالى من النار، وقد انضبط سلوكنا، وهو مراد التشريع؟ فيأتي العتق من النار في العشر الأخير من رمضان، لأنه يتناسب مع التراكمية في الهدى التي أنتجت التزامًا وانضباطًا بشريعة الله.

أيها الأخوة: دعاوينا كثيرة، وطقوسنا كثيرة... لكننا مطالبون أن نرتفع إلى مستوى السلوك.

فإذا لم يُثمر الذكر سلوكًا، وإذا لم تُثمر الصلاة سلوكًا، وإذا لم يُثمر صيامنا سلوكًا... فإننا لم نعدُ كون ذلك يقترب من العادة، فيكون عبادةً باهتة ضعيفة لا تُحرِّك حركة.

رُدّنا اللهم إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

في رحاب الصيام

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب بتاريخ ٢١/٩/٢٠٠٧م

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، وهدانا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الحمد لله الذي أكرمنا بموسم الخيرات والبركات في شهر رمضان، فوفقنا إلى صيامه، وأكرمنا بقيام، فله الحمد وله المِنَّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المَلِكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، أرسله رحمة للعالمين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله، فاتقوه حقَّ تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وتزوَّدوا من دنياكم هذه لآخرتكم عملاً يرضاه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: ٧٠-٧١]

ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن آل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

جاء في الحديث الصحيح عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ رَمَضَان إيمَانَـًا واحْتِسَابَـًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِن ذَنْبِه).

وما أعظمها من نعمة، حين يخرج الإنسان من شهر رمضان من غير ذنب كيوم ولدته أمه!

ما أحوجنا وقد حملنا ما حملناه من الأوزار إلى موسمٍ كهذا الموسم، تتصفَّى فيه النفوس، وتتطيَّب فيه القلوب، وتخفق فيه الأرواح، فيخرج الإنسان منه بعد ذلك مخلوقًا جديدًا، قد كَرِهَ كلّ مخالفة لله تعالى ومعصية، وأَلِف كل طاعة وموافقة.

لكن هذا الحديث قد وضع لنا سببين اثنين للمغفرة:

١- علو الإيمان.

٢- الاحتساب.

ولما كان هذان الأمران سببَي مغفرة الذنوب، أحببت في هذه العُجالة أن أذكِّر نفسي وإخواني بهما:

١- علو الإيمان:

– (مَنْ صَامَ رَمَضَان) فأمسك عن شهوة الفم والفرج، وأمسكت نفسُه عن رعوناتها، وأمسك قلبه عن أمراضه، وتحلّى بالأخلاق الحميدة، وامتنع عن الأخلاق الذميمة، وصَبَر فكان في يومه مُتحقِّقًا بآداب الصيام، ومُلتزِمًا أوصاف أهل الإسلام في شهر رمضان.

– (إيمَانًا) فلم يكن الباعثَ له على الطاعة عادةٌ من العادات، ولا رغبةٌ في رؤية خلقٍ أو ثناء منهم عليه، لكنه لمّا صدَّق بالقرآن العظيم، ووثق بما أخبر به النبي الكريم، أصبح قلبه مؤمنًا، أي مُتعلِّقًا بحقائق الغيب.

نعم، هكذا يكون أهل الإيمان، يثقون بالغيب الذي أخبر الله تعالى عنه، أكثر من ثقتهم بالمحسوس الذي يمسكونه في أيديهم.

ألم يخبر الصادق المصدوق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة بابًا يُقال له الريان، يدخل منه الصائمون، لا يدخل منهم أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا منه أُغلق)؟

ألم يُخبر صلوات الله وسلاماته عليه: (للصائم فرحتان: فرحةٌ حين يُفطِر، وفرحةٌ حين يلقى ربّه)؟

ينتظر الصائمَ شيءٌ مُغيّب: تنتظره الجنة لتفتح له بابها المخصصَ له، وينتظره لقاءُ ربّه، فلما سمع الأخبار من الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، تعلَّق بذلك المُغيَّب، وأحبَّه فوق ما يحبه من لذائذه المحسوسة والنِّعَم التي يتنعّم بها.

صام رمضان إيمانًا، لأن قلبه تفاعل مع الغيب، وما أحوجنا يا أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى تفاعل قلوبنا مع الغيب! وهل نزل بنا ما نزل من المِحن والشدائد إلا حينما نزلت رتبة قلوبنا عن التعلّق بالغيب، وصرنا نُقدّم المحسوس؟

إذًا: حتى نضمن تلك العطية العظيمة التي يُعطيها الحنَّان المنَّان سبحانه وتعالى بمغفرة كل الذنوب التي تقدّمت في أعمارنا، نصوم رمضان إيمانًا فنزيد تعلُّق قلوبنا بالغيب، لاسيما بالموعود الذي وعد الله به من تحققوا بمعنى الصوم.

٢– الاحتساب: والاحتساب كلمة مرجعها إلى الحِسْبَة، والحِسبة: الأَجْر، فمن طلب الأجر احتسب، ولا يكون الاحتساب معتبرًا حتى يطلب الثواب من الله تعالى وحده، وحتى يطلب الأجر

من الله تعالى وحده، فصاحبُ دِينٍ يشتري بدينه دنيا لا يعرف الاحتساب، والذي يُرائي الناس بطاعاته لا يعرف الاحتساب.

فالاحتساب أن يطلب الأجر من الله تعالى وحده: (الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)، فلا يطَّلع على موافقاته أحد، فإذا اطّلع أحد على طاعاته وموافقاته لم يلتفت قلبه لذلك، ولم يطلبه أبدًا.

ما أحوجنا إلى الاحتساب ونحن نُصلّي!

وما أحوجنا إلى الاحتساب ونحن نُنفق المال!

وما أحوجنا إلى الاحتساب ونحن نرعى الأيتام!

وما أحوجنا إلى الاحتساب ونحن نتفقّد الفقراء!..

كان الواحد منهم حتى يتحقق بالاحتساب يضع المال أمام باب الفقير ويطرق بابه ثم يهرب، حتى لا يعرف ذلك الفقيرُ من الذي أعطاه المال، خوفًا من أن يشعر ذلك الفقير بشيء في قلبه، وخوفًا من الغني على قلبه أن يدخل إليه شيءٌ من المِنّة.

إنهم أرادوا الأجر من الله تعالى وحده، فلم تلتفت قلوبهم إلى سواه.

جاء مرَّة أعرابيٌّ وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، ثم شارك معه في الجهاد، ولمّا انتهى النهار، جِيءَ بالغنائم يقسمها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دُعي ذلك الأعرابيُّ إلى الغنيمة، قال: ما عاهدتك على هذا يا رسول الله، ما بايعتك على هذا، إنما بايعتك على أن أُرمى بسهمٍ هاهنا ليخرج من هاهنا. قال: (إن تَصْدقِ اللهَ يصدُقْك)، وترك الأعرابيُّ الغنيمة، وكان اليوم الثاني، وإذا بالأعرابي يُؤتى به وقد رُميَ بالسهم حيث أشار بأصبعه فخرج من الموضع الذي أشار إليه، ونال شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (صَدَقَ اللهَ فَصَدَقه).

ما أحوجنا يا أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى هذين الأمرين ونحن في شهر التزكية والتصفية! ما أحوجنا إلى الإيمان، وما أحوجنا إلى الاحتساب!

وإياك أن تطلب الأجر في الاحتساب وأنت تستشعر أنك تستحقه، إنما استشعِر وأنت تطلب الأجر من الله أنه أكرم الأكرمين، وأنه الحنان المنان، وأنك الفقير بين يديه، والمحتاج إليه، إنما أراد منك أن تطلب لتُظهر فاقتك وحاجتك بين يديه.

ورحم الله من قال:

وأحسن أحوالي وثوقي بفضلكمج

وأني على أبوابكم أتملَّقُج

لا أتملّقُ على أبواب غيركم، إنما أتملّقُ على أبواب الله وحده.

رُدّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

البكاء من خشية الله

البكاء من خشية الله

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٨/٩/٢٠٠٧م

ها نحن في العشر الأوسط من شهر رمضان الذي كان بدؤه رحمة، ونحن في واسطته في زمان المغفرة، وعمّا قريب يدخل العشر الأخير الذي فيه العتق من النار، فما أعظمها من عطايا! وما أجزلها من مِنَن! وما أحلى الحديث وما أكثر شجونه حين نتحدث عن شهر رمضان وما فيه!

ولئن كان الله تبارك وتعالى قال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ} [البقرة: ١٨٥]، فإنه تبارك وتعالى استثار فينا همّة الاستباق مع الأمم السابقة التي انفعلت لكتاب الله تبارك وتعالى وكلامه، فما من أمة من الأمم إلا وخاطبها الله تبارك وتعالى بصحف وكتب، دلت على كلامه سبحانه، فأخبرنا أن تلك الأمم التي سبقتنا كانت إذا تلت آيات الله انفعلت لها خشوعًا وتذللاً وخضوعًا، وذرفت أعينها بالدمع إجلالاً للمتكلم سبحانه وتعالى.

استثار الله تبارك وتعالى فينا هذا الحال حين حكى لنا فقال وهو يخبر عن السابقين: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم: ٥٨].

أيكون مَن قبلنا خيرًا منّا؟ يسمعون آيات الله فيخرون سُجَّدًا وبكيًّا، ونسمع آيات الله ونقرأها فلا نخر سُجَّدًا وبكيًّا؟!

وقال سبحانه وهو يحكي حال من قبلنا أيضًا: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

ولما اجتمع أهل الكتاب بالنبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه القرآن، فاضت أعينهم بالدمع، وحكى الله تبارك وتعالى ذلك في القرآن فقال: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: ٨٣].

كُلُّ هذا يثير فينا رغبة في المنافسة، ورغبة في المماثلة، ورغبة في المشاكلة، فحينما نشترك في الوصف، وحينما نعرف الحق كما عرفوه، وحينما يكون حالُنا مع القرآن حالَ الذين أوتوا العلم، سوف نخرُّ للأذقان سُجَّدًا، وسوف نخر للأذقان نبكي ويزيدنا خشوعًا...

فالعلم والمعرفة بالقرآن – حالاً لا معرفةً ذهنية – من خلالها نحفظ مرادفاتِ الكلمات، إنما نسمع القرآن ونتلوه ونحن بين يدي المُخاطِب المتكلم سبحانه الذي هو الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر... نسمع هذه الآيات ونحن في حضرة تعظيمه سبحانه وتعالى.

وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يسمع القرآن تذرف عيناه، فقد جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قال: فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١] قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ، أي يكفي ما قرأت، ويقول عبد الله بن مسعود: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَيْنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ.

فكان حاله صلى الله عليه وسلم تطبيقًا عمليًّا، لأنه صلى الله عليه وسلم إمامُ أهل العلم والمعرفة بالله وبكتابه، وحالُه حالُ الحاضر، لا يعيش بذهنه مع الكلمات فقط، لكنه يحضر مع جلال معناها.

وهكذا كان حالُ أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فقد أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ} [النجم: ٥٩-٦٠] بكى أصحاب الصفّة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنهم يسمعون الله تبارك وتعالى يقول لهم: {وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ} فكيف لا يبكون؟!

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد، وأهلُ الصفة يبكون بكاءً شديدًا، فلما جرت دموعهم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم، فدخل إلى المسجد وبكى معهم.

وصلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه زمن خلافته إمامًا مرَّةً في صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأ: {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤] فبكى رضي الله تعالى عنه وهو في الصلاة بكاء شديدًا، حتى انقطع وما قدر على إتمام السورة فركع.

وسمع أحدُ أصحاب عبدِ الله بن عمر عبدَ الله بنَ عمر رضي الله عنهما يقرأ القرآن فقرأ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُون، أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} فلما وصل إلى قوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ١-٦] بكى حتى خرَّ على الأرض.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: ١٦] كان يبكي بكاء شديدًا.

أما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد حكى عنه عبدُ الله بن أبي مُلَيكة قال: صحبته من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل (أي نزل يستريح) قام شطر الليل في صلاته يقرأ القرآن، فسأله (سأل الراوي سائل): كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: ٥٠] فجعل يرتِّل ويكثر في ذاكم النشيج، أي يكثر البكاء والنحيب.

وقال صلى الله عليه وسلم كما أخرج الترمذي في سننه: (لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ).

إنه عظَّم الله تبارك وتعالى في قلبه، ولامست خشيتُه شغاف فؤاده، فلما استشعر بقلبه عظمة الله تبارك وتعالى بكى، وكيف لا يبكي الضعيف في حضرة القوي؟

وكيف لا يبكي الذليل في حضرة العزيز؟

وكيف لا يبكي الفقير في حضرة الغني؟

وكيف لا يبكي المحتاج في حضرة الصمد؟

وكيف لا يبكي العبد في حضرة ربه؟...

لا تبكِ إلا بين يدي ربك، فبكاؤك بين يدي ربك عِزُّك.

انطرح في أعتاب الله، وارتمِ بين يديه، وأنزل حاجاتك بين يديه، وقل له: أنا عبدك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك مسألة المسكين..

أظهِر فقرك ومسكنتك بين يدي ربك، وأنت تستشعر عظمته وجلاله.

وقال صلى الله عليه وسلم: (عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

فإذا قرأنا القرآن العظيم، ولم نجد في عيوننا دمعة، ولم نجد في قلوبنا خشية وارتعاشًا، فإن ذلك يعني أن القرآن هو في محلِّ اللسان، ولمَّا يتجاوزْ إلى القلب بعدُ، لأن الله تبارك وتعالى لما أخبر عن محله عند الذين أوتوا العلم قال: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩] ولم يقل: في ألسنتهم، إنما قال: في صدورهم.

فإذا قرأنا القرآن فتدبَّرنا معانيَه، ولم نعش بمجرد عقولنا معه، إنما ولجنا إلى حضرته بقلوبنا، فاستشعرنا تفاعلاً شعوريًّا باطنًا مع كل آية نسمعها من الله تبارك وتعالى، فإذا تفاعلت قلوبنا مع معاني القرآن، واستشعرت عظمة المتكلم سبحانه وتعالى به، عند ذلك سيكون القرآن في صدورنا لا في مجرد ألسنتنا.

وعندها لن نعدم وجود الدمعة في العين، وعندها سنسجد ونحن نستشعر لذة السجود، وعندها سنبكي ونستشعر لذة البكاء..

اللهم اجعلنا ممن يعظِّم القرآن، وممن يتدبَّر القرآن، واجعلنا من أهل القرآن في شهر رمضان، إنك يا مولانا نعم المجيب، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفرالله

الحمد لله الذي أعزَّنا بالإسلام، وهدانا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبيّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله، فاتقوه حق تقواه، وتزودوا من دنياكم هذه لآخرتكم عملاً يرضاه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن آل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

ها هو العشر الأخير من شهر رمضان، وها هي بشارات العِتق من النار تلوح في سماء الوعد الإلهيّ، تستنهض الهِمم، وتُصفِّي القلوب، وتُزكِّي النفوس، وتُشوِّق الأرواح.

والعِتق من النار يعني تحوّلاً حقيقيًّا، لأن الإنسان إما أن يكون من أهل الجنة، وإما أن يكون من أهل النار، فالعتق من النار يعني تحولاً في مقاصد الإنسان لتكون جِنانية، ويعني تحوّلاً في سلوك الإنسان ليكون جنانيًّا، ويعني تحولاً في أحوال الباطن وفي الأخلاق الإنسانية ليتحوّل هذا الإنسان من ظُلمانيٍّ جهنميّ، إلى نورانيٍّ جِنانيّ.

العتق من النار لا يعني تحولاً من مجرد الاكتفاء برُكيعات في الليل إلى قيام طويل يُكثر فيه الإنسان الوقوف والتلاوة، ويستزيد فيه من الذِكر، فهذا لا بد منه، لكن يتبعه تحولٌ سلوكيّ.

ومن هنا نجد القرآن العظيم يُحدِّثنا فيقول: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]

فإذا وقفنا في القيام نقرأ القرآن، وأردنا أن نزن بعد ذلك قراءتنا وتلاوتنا وتفاعلنا مع ما نحضر بين يديه من كلام الله، فما علينا إلا أن ننظر إلى ذلك التحوّل، هل استقام السلوك؟

وهكذا علينا أن نلاحظ ونحن نتدرب على الذكر وعلى التلاوة وعلى القيام، ويتدرب بعضنا على خدمة بعض – لا سيما في وقت الاعتكاف، حينما يتسابق المتسابقون في الخدمة – هل نُدرِّب

أنفسنا مع ذلك على ترك الفضول، وعلى ترك الاشتغال بما لا يعني، وعلى ترك خمولنا وكسلنا في بناء حضارتنا الإسلامية، وفي تعلُّمنا، وفي بحثنا...؟

أما نتذكّر تلك القصة، حينما جاءت امرأتان إليه صلى الله عليه وسلم صائمتان، فقال: قِيئا، فقاءتا لحمًا ودمًا، كانتا تُكثران العبادة، أتقنتا عبادة الله تعالى، لكنْ كانت الغيبة والنميمة في معاملتهما مع الناس، فلم تُفرز عبادتهما تحوّلاً.

هل نتدرّب – ونحن نتدرّب على العبادة في هذه الأيام التي يحصل فيه التحوّل – على مفهوم إتقان العمل؟

نعم، أقصد إتقان العمل بكل أبعاده، ولا أعني عمل الآخرة، بل أعني عمل الدنيا والآخرة، فلم يحصل انفصال بين الدنيا والآخرة أبدًا، بل إن سلامة الدنيا يُهيِّئ لسلامة الآخرة.

وإنَّ تفوُّقَ المسلم في علمه وعمله وخُلُقه وفهمه وعطائه... يُمهِّد لاستقرار أحواله الدينية.

ولماذا تسلّط علينا أعداؤنا اليوم؟

هل لأننا قصّرنا في الصلاة؟

هل لأننا قصّرنا في الصيام، أم لأننا لم نتحوّل ذلك التحوّل السلوكيّ الذي يكون مع الصلاة والصيام، فضعفنا ولم يعد لنا قيمة أو اعتبار؟

{إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} وهل الفحشاء والمنكر ينحصران في السرقة والزنى وشرب الخمر؟

ألا يُعتبر تخاذلنا الذي نعيشه اليوم من أكبر الفحشاء والمنكر؟

كنت أتأمل في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد: ٣١]

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}إنه تبارك وتعالى يدعونا إلى تحوّل سلوكيّ، فشتان بين من يكون القرآنُ الكريم تلاوةً في لسانه، ومن يكون مُسيِّرًا للجبال.

فكم منا من يقرأ القرآن، لكنه لا يُسيّر نفسه، فضلاً عن أن يُسيّر الجبال؟!

تُرى هل سنتحول تحولاً سلوكيًّا لنتعاون في المصنع، ولنتعاون في المختبر، ولنتعاون في البناء...؟

فإذا لم نُدخِل في اعتبار بنائنا التدريبيّ هذا الاعتبار، نبقى ندور في فلك لا يُنتج تحولاً.

فلا أريد أن نبقى نتسابق على خدمة بعضنا في الطعام، دون أن نقدر على التكافل والتكامل، ولا نقدر على أن نرتقي إلى سويةٍ من خلالها نصبح أصحاب تأثير: نُسيّر الجبال، ونُقطّع الأرض بالقرآن، ونُكلّم الموتى بالقرآن.

بالله عليكم إذا كنا نعجز عن تكليم الأحياء بالقرآن، أنقدر على تكليم الموتى بالقرآن؟!

إنها وقفة عابرة، أردت من خلالها في موسم العتق من النار أن أُذكّر نفسي أولاً وأن أُذكّركم يا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يكون الميزان في أيدينا، فلا نخدع أنفسنا بعبادة مُتقنة لا تكون معها معاملة متقنة، ولا نخدع أنفسنا بتدريبٍ على عبادة متقنة لا يكون معها تدريب على معاملة متقنة.

رُدّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

أتقنوا العبادة والمعاملة

التهيأ لدخول موسم كريم علينا، هو موسم شهر رمضان، وشهر رمضان فرصة تجدد، لأنه بالنسبة للمؤمن إعادة ارتباط بالمنهج الذي أراده الله تعالى له.

ألم تقرؤوا قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ} [الرحمن: ١-٣] فجعل القرآن أصلاً، وما خَلَق الإنسان إلاَّ والقرآن موجود، ليرتبط الإنسان بالقرآن منذ خِلقته الأولى.

وهذا الارتباط نبَّه الله سبحانه إليه حين جعل الشهر الكريم المبارك زمانًا لائقًا لتنزُّل القرآن، فقال سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥].

وشهر رمضان يمكن تعريفه بتعريفات كثيرة، فقد يكون معناه في اللغة شدة الحرارة، وقد يكون من معانيه الحدّة، وقد يكون من معانيه الرقَّة... لكن الله سبحانه وتعالى حين عرّف هذا الشهر عرّفه بما يتناسب مع إرشاد الإنسان إليه، وبما يتناسب مع كونه موردًا يرد الإنسان إليه فيرى فيه كل شيء.

ووقفت أتأمل قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ) والحديث في الصحيح، ودَرَج الناس على تفسيره بأنه من إكرام الله سبحانه وتعالى للإنسان، فقد خلق بيئة وظرفًا يتهيأ من خلالها الإنسان من أجل أن يغتم فرصتها.

ولكن لاح لي معنىً آخر من خلال تكليف الله للإنسان في شهر رمضان، فرأيت هذا الوجه الآخر والمعنى المتضمَّن في هذا الحديث كالآتي:

- إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ: لماذا فُتِّحت؟

لكثرة ما يصعد إليها من أعمال المؤمنين.

إذًا: ما الذي فتح أبواب السماء حتى أصبحت هذه الأبواب مفتوحة لا تُغلق؟

إنها كثرة أعمال العبادة التي ترضي الله سبحانه وتعالى، والمعاملة التي يرتضيها مولانا سبحانه في هذا الشهر، فهو القائل سبحانه: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]، فلما كثر في هذا الشهر ارتفاع العمل الصالح، لم يكن لأبواب السماء أن تغلق لكثرة ما يصعد إليها من أعمال أهل الإيمان التي ترضي الله.

وانظروا كيف يكون المعنى التكليفيّ الذي يدعونا إلى أن نساهم في فتح أبواب السماء، لا أن أبواب السماء فتّحت وهي تنتظرك.

- وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ: لماذا؟

لأن المؤمنين بسر الصيام والقيام يعرضون فيه عن المعاصي والمخالفات، وهكذا يكون الإغلاق إغلاقًا مِنْ صُنعك أنت أيها الإنسان.

نعم، هكذا فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام رسول الله، فلقد سمع عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا)، فقال: (والله لأدخلنها قائمًا)، فهل يكذّب الصحابيُّ الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه من ذلك، أم أنه يفهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُحسن توظيفه؟

فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: أنه في سيره إلى الجنة يسير الهوينى.

هكذا فهم الصحابيُّ كلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أي أنه في طاعاته، وفي بذله، وفي إنفاقه، وفي إرضاء ربه... يتحرك باتجاه الجنة لكن حركةً بطيئة.

فقال: والله لأدخلنها قائمًا، فذهب وأنفق من ماله ما أنفق في سبيل الله، لأنه فهم المراد.

وهكذا نكون في كل لحظة سائرين إلى الجنة، أو متقهقرين والعياذ بالله إلى النار.

وهكذا نكون سبب فتح أبواب السماء، وسبب إغلاق أبواب جهنم.

فمعنى: "وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ" لأن المؤمنين بسبب الصيام والقيام وحسن الأخلاق يعرضون فيه عن مخالفة أمر الله فتُغلق أبواب جهنم.

- وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ: كيف سُلسلت؟

سُلسلت بطاعاتك وبأنوارك، وأنت الذي قصدت في هذا الشهر أن تكون صاحب أنوار، وأن تخرج عن الأكدار والأغيار إلى الأنوار.

فأنت الذي سلسلت الشياطين، لأنك لم تترك للشيطان مُدخلاً إليك، فأنت الذي كنت سبب تقييد الشيطان، فمن أين يأتي الشيطان وأنت الذي أحطت نفسك بالأنوار فقُيّدت الشياطين، أي أنها لم يعد لها مُدخل تستطيع من خلاله أن تدخل إليك؟

هذا شهر رمضان في البيئة المؤمنة التي يكون فيها أهل الإيمان فاهمين واعين معنى ارتباط القرآن بشهر رمضان.

لكن هل هذا هو واقع هذه الأمة تمامًا؟

هل نحن اليوم نعيش نفس الظرف الذي يتحدث الحديث عنه، أم أن هناك اختلاطات كثيرة تحصل اليوم؟

ورأيت فيما رأيت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا أخرجه الإمام أحمد يقول فيه صلى الله عليه وسلم: (مَا أَتَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ رَمَضَانَ، وَلا أَتَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ مِنْ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ لِمَا يُعِدُّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ مِنْ الْقُوَّةِ لِلْعِبَادَةِ، وَمَا يُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ غَفَلاتِ النَّاسِ وَعَوْرَاتِهِمْ).

وانتبهوا لكلمة "يُعِدُّ"، إنه الاستعداد والتهيؤ، فإن المؤمن يستعد بالنية لأنه يطلب أن يكون هذا الشهر فرصة تغيير له وتجديد، ويستعد أن يكون هذا الشهر بالنسبة إليه شهر القرآن فهمًا وتدبُّرًا وتخلقًا وتحققًا وتطبيقًا، ويريد أن يكون هو القرآن الناطق، ويريد أن يكون فيه حبل القرآن، ويريد أن يكون فيه سؤ القرآن، لا مجرد أن يُردد هذا المصحف بلسانه، ثم هو يتناقض بعد ذلك تناقضًا تامًّا في سلوكه مع القرآن.

لا، يُعد المسلم لأن يكون في هذا الشهر مرتبطًا في أقواله وأفعاله وأحواله بالقرآن، حتى يكون مظهر قوله للقرآن، ومظهر فعله ومظهر حاله، وليكون مطبقًا ومحقّقًا وليكون هو المظهر الحقيقي للقرآن.

هذا هو الوجه الذي هو الإعداد والاستعداد.

– (مَا أَتَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ رَمَضَانَ، وَلا أَتَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ مِنْ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ لِمَا يُعِدُّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ مِنْ الْقُوَّةِ لِلْعِبَادَةِ) إنه الاستعداد.. ... بالقوة.

إنه الاستعداد والتخطيط... حتى يكون هذا الشهر شهر عبادة، والعبادة معناها –كما تفهمونه مرارًا وتكرارًا – إنما هي الائتمار بأمر الله في كل حركة من حركاتنا، وفرعٌ منها الصلاة والصيام، لكن لا تنفصل العبادة عن المعاملة، وذلك حين تتقن العمل، وتبتعد عن الغش، وتبتعد عن الانحرافات السلوكية.

فالترك عبادة.

– وَمَا يُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ غَفَلاتِ النَّاسِ، إنه إعجاز، أما تدركون أن هناك من يسهر قبل شهر رمضان أشهرًا طويلة من أجل إشغال الناس في شهر رمضان لاسيما على المستوى الإعلاميّ؟ من أجل أن يحولوا الناس عن مقاصد شهر رمضان إلى الغفلات والعورات.

– وَعَوْرَاتِهِمْ، ليتحول شهر رمضان إلى شهر تسلية، وإلى شهر أفلام ومسلسلات، وإلى شهر فكاهات، وإلى فرصة لتذويب الثقافة الإسلامية، وإلى شهر موائد وإعداد طعام، وإلى فرص للضحك، وإلى فرص للإمتاع النفسانيّ الذي لا يعيد الإنسان إلى إنسانيته بل يبعده عنها.

إذًا: أنت أمام أحد الخيارين:

*** فإما أن تكون مستعدًّا لتدخل شهر رمضان قاصدًا وعازمًا أن تكون فيه مرتبطًا بالقرآن.**

*** أو أن تكون التائه الذي ينتظر إمتاعًا، وينتظر العطلة السنوية التي يخرج فيها عن جِديته وإنتاجه.**

متى كانت غزوة بدر التي غيرت مجرى التاريخ؟ ألم تكن في رمضان؟

ومتى كانت غزوة فتح مكة التي فُتحت فيها أم القرى (مكة)، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الفتح على راحلته ساجدًا لله؟ ألم تكن في رمضان؟

شهر رمضان يمكن أن يُغيّر الأمة إذا فهمت الأمة المضمون فيه، ويمكن أن يكون فرصة للاسترخاء عندما نتلتحق بالفريق الآخر: فريقِ المنافقين.

ليس المقصود في هذا الشهر صورة عبادة، بأن تجوع وتقوم... لا، إنما المقصود أن تكون مرتبطًا بالله.

ألم تقرؤوا: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} إنها صورة العبادة.

وقال: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}.

إذًا: قد لا تكون صورة العبادة الصيام والقيام في الشكل المعتاد موجودة، لأن الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، فالله سبحانه ينظر إلى قلوبكم.

ليس المراد أن تكثر في هذا الشهر صور عبادة، فما هو مطلوب الطاعات الباطنة حين يتوجه القلب إلى الله.

إنه شهر العلاج السلوكيّ، ألم يأتِ في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ) أي وقاية، (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ) أي عليه ألا يكون بذيئًا في فعله أو قوله، (وَلا يَصْخَبْ) لأن عباد الرحمن يمشون على الأرض هونًا، (فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) إنه إعلان الهوية الذي فيه تغيير السلوك، والذي فيه هوية القرآن في الإنسان.

نحن على أبواب هذا الشهر، فجدُّوا واختاروا في الإعداد والاستعداد.

ردَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.تعداد لرمضان

أسباب التقوى

يتكرر في هذا الشهر المبارك ذكر قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣] ففي هذا النص بيانٌ صريحٌ يوضح لنا حِكمة الصيام، فالمقصود من الصيام حصول التقوى، والتقوى: نورٌ يُستودع في القلب يردع الإنسان عن مخالفة أمر الله، ويدعوه إلى الاستقامة على الطريق.

ووجدتُ أنَّ هذا النص الذي يبيّن لنا سببًا من أسباب التقوى، يسوقنا إلى النصوص الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم وبيَّن فيها ربُّنا تبارك وتعالى أسباب التقوى.

التقوى.. التي نفقِدها اليوم، والتي أصبحت نادرة في زمنٍ ملأت المادة فيه القلوب.

التقوى.. التي هي شطرٌ من شطرَي مقدمات الولاية: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:٦٢-٦٣].

التقوى.. التي هي أحد شطرَي النصر والنجاة من العدو: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: ١٢٠].

التقوى.. التي هي سبب الخروج من كل ضيق: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣].

التقوى.. التي هي سبب تفريق الإنسان بين الحقّ والباطل، والتي بها يستطيع الإنسان أن يستفتي قلبه وإن أفتاه المفتون: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: ٢٩] أي ما تفرقون به بين الحقّ والباطل.

هذه التقوى، التي الصيامُ سببٌ من أسبابها، ورد في القرآن الكريم ذكر أسبابها، وهي كما وردت في القرآن عشرة، لأن سببًا من الأسباب تكرر مرتين، فكان ورود ذكر الأسباب إحدى عشر مرة، منها مرتان تكرر فيها في القرآن الكريم ذكر أحد الأسباب، وهذه الأسباب هي:

١- العبادة والعبودية لله:حتى وإن كنت في ظاهر الأمر لا تستشعر معناها، لكن العبادة سوف تقودك إلى التقوى لأنها سبب من أسبابه، كما إذا كنت تصوم ولا تستشعر بالتقوى، أو تصلي ولا تستشعر بالتقوى، أو تزكي ولا تستشعر بالتقوى، أو تنفق ولا تستشعر بالتقوى...

داوم على ما تفعله..

فإن كنت تفعل الخير – وفعلُ الخير عبادة – ولا تستشعر التقوى، أدِمْ عبادتك، لأن المداومة على العبادة تولد التقوى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} والخطاب عامّ، فلم يقل: يا أيها الذين آمنوا، فقد لا يكون الإيمان دخل إلى قلبك بعد، ولا تستشعر معنى التقوى، {اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:٢١].

٢– السير على طريق الله:وهو أن تضع لنفسك تصميمًا وقرارًا تتخذه وتقول فيه: لن أسير إلاَّ على منهج الله، وشتان بين من يفقد هذا القرار ويترك هواه يحرّكه يمنة ويسرة، وبين من يجعل هواه تبعًا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أباح الله سبحانه وتعالى أمورًا وحرَّم أمورًا، واختبر الإنسان بما أباحه وحرمه، فعلى الإنسان أن يجعل من قراره هذا منطلقًا للسير على صراطٍ واضح، الحلالُ فيه بيّن والحرامُ بيّن.

فمفهوم العبادة لم يأتِ عبثًا من خلال التصورات، إنما وضَّح الله سبحانه وتعالى ذلك بمنهجٍ حلالُه بيِّن وحرامُه بيّن، وسمى هذا المنهج صراطًا مستقيمًا، صراطَه: أي طريقَه، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} فقد وضعتُ لكم طريقًا فيه الأقوى والأحسن، {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} أي ما يدعو الهوى إليه، {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} فتتشتت يمنة ويسرة، فلا تخف من الحلال، وإياك أن تضع قدمك بسبب الهوى في السبل التي هي الخروج عن صراط الله، {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

إذًا: السبب الأول تكرير العبادة، والسبب الثاني أن يكون لديك تصميم وإرادة، وأن تكون متبعًا لا مبتدعًا، وأن تنظر إلى صراط الله فتقتدي ولا تحيد بسبب الهوى.

أما السبب الثالث الذي كره مرتين: مرةً في سورة البقرة، ومرّةً في سورة الأعراف، فهو:

٣– الانتباه وتكرير التنزيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وحيًا إلى الإنسانية: الانتباه الذي يكون فيه الإنسان جادًّا لا هزيلاً، قال تعالى: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي كونوا في الاتّباع الذي تحدثنا عنه أصحابَ جديّة، ولا تتعاملوا مع ما أعطاكم إياه بهزل أو بسطحية، إنما تعاملوا معه

بجدّية وتفاعل، كما قال: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢]، ثم قال: {وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} وها هنا يشير إلى التكرير، فكما قال: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ} [الأنفال: ٤٥] قال: {وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} أي للتنزيل، فتكريرك لتلاوة ما أنزل الله سبحانه وتعالى من الوحي سوف ينتج ويُعقب شيئًا من التدبّر، لأن الإكثار من ذكر الشيء ولو باللسان لابد أن يتبعه شيء من الفهم وشيء من التدبّر.

ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٦٣].

٤- فهم التبيين: فالذي جاء بعد التكرير للَّفظ محاولةُ فهمٍ لذلك التنزيل، فالتكرير سبب للتقوى لأنه قد ينتج فهمًا، لكن النص الذي جاء بعده يشير إلى البيان والوضوح، ويشير إلى المعنى والمضمون، قال تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]وها هنا تبيين وتوضيح.

وها هنا عندما أقول: تنبهوا إلى التبيين والتوضيح فلابد أن ننتبه إلى رسالتين:

الأولى: معنى يلوح لك من خلال القرآن.

الثانية: معنى يلوح لك من خلال سطور الوجود، ومن خلال قراءةٍ تقرؤها كل يوم، فالله سبحانه وتعالى يعاملك بمعاملات مختلفة، وأنت تقرأ حوادث الكون، وتقرأ ما يحصل في الكون، وهي من آيات الله، فآيات الله قد تكون في القرآن وقد تكون في الأكوان، وحين تستطيع الفهم عن الله في تلك الآيات القرآنية والكونية سيقودك هذا إلى التقوى.

٥- سماع الإنذار: وهذا غير سماع التبشير، فالقرآن الكريم ورد فيه التبشير وورد فيه الإنذار، فالبشارة أو التبشير هي بالموعود الحسن الذي فيه الثواب، والذي فيه النعيم، وما رأيتُ في القرآن أن هذا أورده القرآن سببًا من أسباب التقوى، أما الإنذار والتعرض للإنذار فإنه سبب من أسباب التقوى.

فعندما تسمع الإنذار يحصل في قلبك خشية، فالإنذار هو من صفات الله الجلالية، لأنه الإنذار بعقابه، أو الإنذار بأنه {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] ما يسميه علماء التوحيد: "الجائز في حقه تعالى"، وهذا الإنذار يجعل في حياة الإنسان خشية وأدبًا مع الله، قال

تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٥١] فبيَّن أن التعرض للإنذار سببٌ من أسباب التقوى، والإنذار جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل في القرآن، ويُسمع ممن ينقل القرآن وينقل حالَ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

٦- التذكير: والتذكير قد يكون بالأقوال، وقد يكون بالأفعال، وقد يكون بالأحوال.

قال تعالى: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٦٩] فأشار بهذا إلى أن التذكير هو سبب من أسباب التقوى، ألا ترون أن سلوك الشاب الذي يحضر مجالس التذكير يختلف عن سلوك الشاب الفرديّ الذي لا يجتمع بإخوانه في مجالس التذكير؟

ألا ترون أن استقامة الشباب يساعد عليها وجودهم في مجالس التذكير، وأن الإنسان حين يعيش فرديته بعيدًا عن مجالس التذكير سرعان ما ينحرف، وسرعان ما يزِل ويشرد؟

٧- التعرض للموعظة: والموعظة هي ما يرقق القلوب، فالتذكير عامٌّ والموعظة خاصة، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأعراف: ١٦٤] فأخبر بهذا أن الموعظة التي ترقق القلوب هي سبب من أسباب حصول التقوى.

٨- أن يجتمع مع الإنذار القرآن: وعندما أشار في السبب الذي ذكر آنفًا إلى الإنذار وحده، وأشار إلى تكرير الكتاب وحده، نجد ها هنا ورودًا في القرآن يجتمع فيه ذكر التنزيل مع الإنذار، وهكذا كأنه سبحانه يقول: أنذروا بالقرآن، أي: ليكن فيما تنذرون به أن تُسمعوا الناس إنذار القرآن، قال تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٦٣] فجمع في هذا النص السببين: المنذر البشريّ، مع المنذر الذي هو تنزيل كلام الله تبارك وتعالى في الكتاب.

والسببان اللذان بقيا من الأسباب العشرة: الأول زجر بالعبادة عن العادة، والثاني زجر في المعاملة:

٩- زجر في العادة والعبادة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣] وما وجه الربط بين الصيام والتقوى؟

هي حالة زجر عن العادة بالعبادة.

١٠- زجر في المعاملة: وهو قوله تبارك وتعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩] فعندما وضع ربنا سبحانه وتعالى حُكم القصاص، بأن يُقتَلَ القاتلُ بأمر السلطان الذي يكون من المسلمين على المسلمين، فإنه بهذا يضع حكمًا زاجرًا في المعاملة.

أما ذلك النص الذي نقرؤه ويربط بين الصيام والتقوى فإنه زجر للعادة بالعبادة، فقد تعودْتَ أن تأكل، وتعودت أن تشرب، وتعودت كلما اشتهيت شيئًا أن تُنفذ شهوتك... وها هنا يزجر وينظم عادتك بالعبادة.

إذًا: هو يدرّبك على أن تكون عادتك تابعةً للعبادة، وعلى أن تكون عادتك منضبطة بأمر الله سبحانه وتعالى، فهو تدريبٌ يَرِد في كل سنة مرة، فتصوم شهرًا من أجل أن يكون التدريب مستمرًّا لك حتى تصل في يوم من الأيام إلى تسليم عادتك لربك، فإذا سلمت عادتك لربّك صار هواك تبعًا لما أراده الله سبحانه وبيّنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا تكون الأسباب التي وردت في القرآن للتقوى عشرة، {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}.

رُدَّنا اللهمَّ إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

علامات التقوى

قرأنا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣] وفهمنا في الأسبوع الماضي أن الصيام سببٌ من أسباب التقوى، وقادنا هذا النص إلى ما ذُكر في كتاب الله تبارك وتعالى من أسباب التقوى الأخرى.

واليوم – وقد تجاوزنا العشر الأول من رمضان – رأيت أن أجعل هذه الساعة المباركة ساعة مراجعة للحساب، أيُعقل أن يكون التاجر قد تجاوز ثلث عمله وهو لا يراجع حساباته؟

فربنا سبحانه وتعالى يجعل حكمة الصيام التقوى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} فهل للتقوى علامات نستطيع من خلالها أن نراجع أنفسنا: هل ظهرت فينا ثمرة الصيام أم لا؟ أم أننا نصوم ونقوم ولا تظهر نتائج صيامنا وقيامنا؟

وفي القرآن الجواب على كل سؤال، وقد أحصيت علاماتٍ ستة من كتاب الله تبارك وتعالى يستطيع الإنسان من خلالها أن يجيب على هذا السؤال:

صمتُ في هذا الشهر العظيم، وثمرةُ الصيام كما يبين القرآن التقوى، فهل ظهرت فيّ التقوى أم لا؟

فإن ظهرت أحمدُ اللهَ تبارك وتعالى وأشكره، وإن لم تظهر ففيما يزال من الشهر بقية لعلّي أصحح فيها حقيقة الصيام والقيام.

وأحب أن يضع كل واحد منا نفسه على هذا الميزان حتى تكون المراجعة عملية، وهذه العلامات هي:

١– أن يشعر يتغير في باطنه مختصرُه ومضمونُه زيادةُ تعظيم لدين الله:

قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢] وجمهور المفسرين على أن المقصود من شعائر الله في هذه الآية دينه.

فقد كنت تعظم القانون الذي وضعه الإنسان، وتعظم دين الله، فرأيت بعد الصيام أن تعظيم دين الله أصبح تعظيمًا يفوق كل تعظيم..

وكنت تعظم دين الله وتعظم الدنيا، فرأيت بعد الصيام أنك تعظم دين الله تعظيمًا يفوق تعظيمك للدنيا..

وكنت تعظم الأولاد، وتعظم الأسرة، وتعظم الصديق... فلما دخلت في مدرسة الصيام نظرت إلى قلبك فوجدت أنه يعظم دين الله تبارك وتعالى تعظيمًا يفوق كل تعظيم..

وماذا يعني هذا؟ أهي شعارات أم أنها قضية عملية؟

فعلى مستوى المعاملة، وعلى مستوى العبادة، وعلى مستوى كل سلوك... نجد توجيهًا في دين الله تبارك وتعالى يخص تلك العبادة أو المعاملة، ولا يوجد في حياتنا سلوكية إلاَّ ونجد في كتاب الله تبارك وتعالى توجيهًا يخصها، فإذا أردت أن تعامل الزوجة رأيت في القرآن توجيهًا، وإذا أردت أن تعامل الولد رأيت في القرآن توجيهًا، وإذا أردت أن تتعامل مع الناس بالمال وجدت في القرآن توجيهًا، وإذا أردت أن تتعامل مع الحاكم وجدت في القرآن توجيهًا، وإذا أردت أن تتعامل مع المحكوم وجدت في القرآن توجيهًا، وإذا أردت أن تتعامل على مستوى الاجتماع والاقتصاد، أو على مستوى السياسة، أو على مستوى الأحوال الشخصية، أو على المستوى الشخصي... ستجد في دين الله تبارك وتعالى توجيهًا...

فإذا كان انفعال قلبك لهذا التوجيه على جهة التعظيم، فقد ظهرت العلامة الأولى، وإذا كنت تنظر إلى هذا التوجيه الذي يوجهك فيه ربّنا تبارك وتعالى فتراه أمرًا يتساوى مع ما تسمعه من كلام الناس، فالعلامة الأولى من علامات التقوى لم تظهر فيك.

٢- أن يظهر فيك شعور تقديم خيرية الآخرة على خيرية الدنيا:

قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ٣٢] فدلَّت هذه الآية على أن المتّقي يكون في حالةٍ يشعر فيها بخيرية الآخرة على الدنيا، فيشعر في باطنه أن الذي ينتظره في الآخرة لا يمكن في حالٍ من الأحوال أن يُقارَن

بالعاجل الذي تمتد يده إليه في الدنيا، فالدنيا دارُ اختبارٍ وامتحان، فقد تنال فيها بعضًا من الحظ والنصيب وقد لا تنال، لكنها ممرٌّ إلى الآخرة، والدين يضبط حالة مرورنا في هذه الدنيا ويوجهها، لكنه لا يجعل الدنيا مقصودًا في رحلة السفر.

وعندما نقرأ في القرآن قصة سحرة فرعون نموذجًا من النماذج التي ينبغي على من يريد اختبار التقوى في قلبه أن يكررها كثيرًا، لأنها قصة عملية واقعية ليست من نسج الخيال، فإننا نقرأ قوله تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} [طه: ٧٠].

فرعون يملك مُتع الدنيا ويعدهم بكل شيء منها، ويعدهم أن تكون متع الدنيا تلك طوع أيديهم، لكنهم يرون الحق ساطعًا يخرجه موسى عليه الصلاة والسلام بإذن الله.

إنه الحق الذي يقول: لا إله إلاّ الله..

الحق الذي يقول: لا ربّ إلاّ الله..

الحق الذي يقول: لا عظيم إلاّ الله..

إن الكون كله أداة بيد الله، وما فرعون وما يملكه إلاّ أداة من أدوات قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذه حقيقة يغيب عنها أسرى العادة والمحسوس.

ففي قوله: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} ظهرت حقيقة التقوى، ونحن نسجد في صلاة التراويح فهل سجودنا يماثل سجود السحرة الذين ألقوا سجدًا؟

{قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ} [طه: ٧٠-٧١] إنه قاطع طريق، فكل شيء بإذن الواحد، وفرعون يريد أن يجعل إذنه قاطعًا بين العبد وربه.

يا فرعون أنت وما تملكه من متاع، وما تزعمه من إذن، إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى، ومندرج في منظومة الاختبار الدنيويّ.

{إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [طه: ٧١] وهاهنا يجابهُ السحرةَ بأكذوبة توجّه إليهم وتُفترَى عليهم وهي: ما ظهر لكم مندرج في سحركم.

ويأتي الترهيب، فلا يتوقف الأمر عند منع العطاء، إنما يتجاوزه إلى التهديد الذي يصل إلى حد الإيذاء البدنيّ، لا إلى مستوى قطع المنافع، إنما يتجاوزه إلى مستوى قطع الأوصال.

{فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ} [طه: ٧١]

وهكذا يفعل الجزارون.. وهكذا يفعل كثير من الحكام، الذين ما هم في حقائقهم إلا صور، لكن حقائقهم جزارون يذبحون شعوبهم، ويكذبون عليهم، والله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان ساوى بين الحاكم والمحكوم، علا أو لم يعلُ، كبيرًا كان أو صغيرًا... فما هو إلاّ عبد من عباد الله، لكن الإنسان يطغى حين يرى بيده المحسوس.

{وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه: ٧١] إنه التعذيب والتنكيل..

إنه يهدد بإزاحة هذا القفص البدنيّ وتحطيمه وتهشيمه.

{وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: ٧١] فمن الذي سيبقى؟

سوف أزيحكم وأبقى.. هل تقدرون على تعذيبي؟ فأنا أقدر على تعذيبكم.

وهكذا يقف المقطوع عن النظر البعيد، وهكذا يقف الجاهل الذي حُرم أن يرى غير الدنيا.

وسنرى يا فرعون، وما هي إلاّ أيام وتكون غريقًا في البحر.

من أنت؟

أنت الذي تظن – بسبب كونك مخدوعًا بالحس – أنك مهيمن على الأشياء؟

أما نظرت إلى الجبابرة الذين سبقوك؟

من أنت؟

إن كنت أيها الإنسان أعلمَ من غيرك ففي يدك اختبار هو العلم، فتصرَّفْ فيه على أنك عبدٌ لله.

إن كان في يدك الحكم، أو المال، أو العيال... فتذكر أنها أماناتٌ وضعها الله في يدك، وما أنت إلاّ عبد من عباد الله مختبر فيما آتاك الله، فاتَّقِ الله فيما آتاك.

إذا آتاك عيالاً أو حكمًا أو منصبًا أو جاهًا... فأنت مختبر، ولا تتوهم إن كنت غنيًّا أنك فوق الفقير، وإن كنت عالمًا أنك فوق الجاهل.. لا، إنما اختبر الله كلاً منكم بشيء، وسوف تكون النتيجة هناك في الآخرة عندما يقف الجميع ويقول الله سبحانه وتعالى: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} [غافر: ١٦] فهناك لن يكون من فارق بين غنيٍّ أو فقير أو حاكم أو محكوم، بل سيكون الجميع على قدم المساواة.

لكن ما الذي قاله سحرة فرعون بعدما سمعوا ما سمعوه من تهديد ووعيد؟

وها هنا تظهر حقيقة: {وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأنعام: ٣٢].

إنه الاختيار الذي أنت مطالب به في كل لحظة، وينبغي أن تسأل نفسك في الموقف وفي اللحظة: هل هذا الموقف الذي أقفه أنفعُ لي في الآخرة أم أنه أضرُّ لي في الآخرة وأنفع في الدنيا؟

هذا هو السؤال الذي يعطيك العلامة الثانية من علامات التقوى.

وها هنا ينجح السحرة في الامتحان ويقولون: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا} [طه: ٧٢] فيقسمون بالله أنهم لن يؤثروا فرعون ومُلكَه على ما ظهر لهم من الحقّ، وهاهنا تظهر حقيقة التقوى، وهاهنا يرى هذا المتقي.

ورحم الله أبا العلاء المعرّي الذي كان يقول في شعره:

جَهِلَ الديانةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ لهُ

أطماعُهُ لم يُلْفَ بالمتمَاسِكِ

فالمطامع تحرفه وتصرفه، ولا يُرى ثابتًا على منهاجه.

ثم قالوا: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه: ٧٢] هاهنا تظهر حقيقة التقوى.

إذًا: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ} حقيقة يراها المتقي.

وكذلك: {وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}

وَ: {إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}

ولما جرحت أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق صار يكرر أبياتًا لعبد الله بن رواحة الصحابيّ الجليل ويقول فيها:

إنْ أنتِ إلاَّ أصبعٌ دَمِيتِ

وفي سبيلِ اللهِ ما لَقيتِ

فينبغي على المؤمن الذي يريد حقيقة التقوى أن يرتقي إلى هذا المستوى فيقول لجسده: ما أنت أيها الجسد إلاّ مطية أرحل من خلالها إلى الآخرة، فالمقصود عندي هو الآخرة، مقصودي هو الله.

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}

يقول السحرة: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: ٧٠-٧٣]

٣- أن تشعر بالطمأنينة والأمان: وقد قال أهل المعرفة رحمة الله عليهم: "العارف مطمئن".

أي أن يزول من باطنك الاضطراب، فتكون مستشعرًا حالة السكينة وحال الأمن، حتى وإن تخرب ظاهرك، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى

وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف: ٣٥] إنهم يعيشون حالة السرور بربهم، ويعيشون في بواطنهم حالة السكينة والطمأنينة.

نعم، لأنهم تولَّوا ربهم وحده، فتولاهم الله، فكانوا أولياءه، ألم تقرؤوا في كتاب الله قوله: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢-٦٣].

إذًا: هذا الشعور الباطن بالسكينة إنما أنتجته الثقة بالله، وأنتجته الطمأنينة بالله، وأنتجه الاعتماد على الله، وأنتجه التوكل على الله..

ومما قرأت في سيرة الولي إبراهيم بن الأدهم رحمة الله عليه أنه مرة كان يصلي، وإذا سبع كبير جلس إلى جانبه، فلما انتهى إبراهيم بن أدهم من الصلاة نظر فوجد السبع يمكث إلى جانبه يزمجر، لكن باطن إبراهيم لا يهتز، ويقول إبراهيم بن أدهم لهذا السبع: "إن كنت أُمرت فينا بأمر فامضِ لما أمرت به، وإلاّ فانصرف أيها الخبيث".

- إن كنت أمرت فينا بأمر، أي أرسلك الله سبحانه وتعالى لتنفذ أمرًا من أجل أن نرحل من هذه الدنيا إلى الآخرة، ولتخلصنا من قضية الاختبار هذه التي نحن فيها في حالة من المشقة والمجاهدة.

- فامضِ لما أمرت به، لما تنتظر؟

- وإلاّ فامضِ أيها الخبيث.

فما كان من ذلك السبع إلاّ أن حنى رأسه ثم أدار ظهره وولى.

إنها الطمأنينة بالله..

إنها حال استقرار الباطن التي لا يعرفها المضطربون بسبب المادة.

نعم، لقد حدث مثل هذا في زمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد رأى سفينة مولى رسول الله سبعًا في الصحراء، فجاء إليه ثم قال له: دلني على الطريق فإنني ضللت الطريق، فما كان من ذلك السبع إلاّ أن مشى أمامه فدله على الطريق.

وقطع يومًا سبع من السباع الطريق على الناس، فجاء إليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فأزاحه بيده عن طريق الناس.

إذًا: العلامة الأولى: تعظيم دين الله.

العلامة الثانية: تقديم الآخرة على الدنيا، فيشعر في باطنه بهذه الخيرية، خيرية الدار الآخرة على الدنيا.

العلامة الثالثة: الطمأنينة والسكون الباطن الذي يشعر به اعتمادًا على الله واستنادًا إلى عظيم قدرته، وجلال مقام ربوبيته.

٤- أنه لا يخاف إضرار العدو به: وهذه قضية في غاية الدقة، حينما نفهمها أنها إضرار العدو بالمال أو الجسد لا نستطيع فهمها، لكن حينما نفهمها كما فهمنا قصة سحرة فرعون سنرى أن فرعون لم يكن قادرًا على الإضرار بهم.

والتفسير المادّيّ للنصّ الذي سأقرؤه مُشكل، لأن الله سبحانه وتعالى يقول فيه: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: ١٢٠] فمهما كاد الأعداء بدينكم سيبقى دينَكم.

مهما كاد الأعداء ليكونوا متفوقين على قدرة الله فلن يكونوا متفوقين..

مهما كاد الأعداء من أجل أن يجعلوا الإسلام مساويًا لغيره فلن يكون هذا، والله لا يساوي بين الإسلام وغيره، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ} [آل عمران: ١٩] وقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

مهما كاد أعداء الله من أجل أن يقلبوا الحقائق فلن يصلوا إلى ذلك..

نعم، ربما يؤثّرون على الأبدان، وعلى الأموال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ} أي الخوف الظاهر لا الباطن {وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥] فهذا من سنة الله سبحانه، أما الإضرار الذي هو نتيجة نهائية، فهل استطاع فرعون أن يضر بالسحرة؟ لا..

لقد قُتل السحرة وغرق فرعون وفاز السحرة، وصاروا في الجنة عند الله، وصار فرعون في الدرك الأسفل من النار.

فتأتي العلاقة الرابعة هذه زيادة في البيان على ما تقدم في العلامة الثالثة، لأن العلامة الثالثة أمن واستقرار عام، أما العلامة الرابعة فإنها تخص ما يمكن أن يضطرب به قلب مؤمن، وهو كيد العدو.

٥- الأوبة العاجلة إلى الله عند حصول الزلل:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ١٠١]

لا تستمروا على الزلل.. ولا تستمروا على المعصية..

فإن غلبتك نفسك لحظة تذكَّرْتَ الله فرجعت إليه، وانطرحت في أعتابه باكيًا نادمًا ساجدًا، وتقول له: عدت إليك يا رب.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} فلا يدومون على الزلل، لأن المعصوم من الزلل هم رسل الله، أما المؤمنون فلربما تزل أقدامهم لحظة بسببٍ ما، لكنهم سرعان ما يعودون، وسرعان ما يتوبون، وسرعان ما يؤوبون، وسرعان ما تعود إليهم حقيقة تعظيم دين الله تبارك وتعالى التي تقدمت في العلامة الأولى..

٦- انفعال السماء والأرض للمتقي بالبركة: فيرى المتقي بعد ثباته على التقوى أن بركة السماء تخصه بأمر، وأن بركة الأرض تخصه بأمر، ونقرأ هذا في قوله تبارك وتعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ} على التنكير، ولم يقل: البركات، ليكون كلٌّ مختصًّا ببركة من البركات، {مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] لكانت زياداتٌ خاصة جاءتهم من السماء وجاءتهم من الأرض.

ومصداق هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِنْ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: "اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ" فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ

فِي حَرَّةٍ (الأرض السوداء البازلتية)، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ (مسيل ماء) قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلانٌ (لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ)، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: "اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ" لاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ.

وهكذا رأينا تفسيرًا عمليًّا يحكيه لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تنفعل السماء، وكيف تنفعل الأرض.

وهذا مثال من الأمثلة لا يراد منه الحصر إنما يراد منه إيراد المثل.

أخيرًا نعيد هذه العلامات الستة حتى نتذكرها ونجعلها ميزانًا لصيامنا: هل تظهر نتائج صيامنا التي هي علامات التقوى أم أننا ننقطع عن الطعام والشراب ونحن بعيدون عن حقيقة التقوى التي محلها القلب؟

قال صلى الله عليه وسلم: (التقوى ها هنا، التقوى هاهنا، التقوى ها هنا) وكان يشير إلى صدره صلى الله عليه وسلم.

١- الشعور بتعظيم دين الله تبارك وتعالى تعظيمًا يفوق كل تعظيم.

٢- أن تشعر بخيرية الآخرة على الدنيا.

٣- وجود الأمن والسكينة والطمأنينة في باطنك.

٤- أن تشعر بالأمن من كيد العدو.

٥- الأوبة العاجلة إلى الله تعالى عند كل زلل.

٦- انفعال السماء والأرض للمتقي، وهذا قد يظهر كما قلت في أمثلة كثيرة، وتراه بعينك علامة حسية تُطَمْئِنُكَ وتثبّتك على منهج التقوى وعلى منهج شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

وقد كان بعض الأخوة يتحدثون عن العلاقة بين القرآن ورمضان على أنها العلاقة بين هذا الصائم وتلاوة القرآن، وقلت: لا، إن العلاقة بين رمضان والقرآن إنما هي علاقةٌ بالأمور الثلاثة التي جاء القرآن بها، والتي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي: يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم.

هذه هي العلاقة مع القرآن، فإذا تحصلت هذه العلاقة مع القرآن فقد صحت صلتك التي تصل فيها بين رمضان والقرآن، أما أن تجعل الصلة –كما هو الحال اليوم عند المسلمين – بين القرآن ورمضان تلاوة القرآن فقط، فهذه ليست العلاقة بالقرآن.

فالعلاقة بالقرآن: تلاوة، ثم علم، ثم تزكية، فإذا تحصَّل لك ذلك في رمضان فقد صحت صلتك بالقرآن في رمضان، وإذا لم تصح فإنك ما فارقت المنافقين بوصف من الأوصاف، لأن المنافقين يقرؤون القرآن ولا يتجاوز حناجرهم.

وأذكر هذا لأنه ذو صلة بموضوع البحث الذي هو علامات التقوى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

لعلكم تشكرون

ها هو الشهر الأغرّ المبارك الكريم الجليل الجميل يلوح لنا بالوداع... ها هو الشهر الذي طاب فيه القيام ولذّ فيه الصيام وتوجهت فيه القلوب إلى الله، وأسلمت الوجوه له... ها هو يقترب من نهايته.

وللشهر ثمرات أوجزها القرآن بمعانٍ ثلاثة:

١- التقوى: {كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

٢- الهداية: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} [البقرة: ١٨٥].

٣- الشكر:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

هكذا حكا لنا القرآن الكريم ثمرات الشهر الثلاثة حتى لا نحار ونحن نسأل أنفسنا ما الذي حصّلناه من هذا الشهر العظيم؟

١- أما التقوى: فهي أن يكون الإنسان معاهدًا ربه عهدًا ليس فيه نكوص، بأن يلتزم صراطه المستقيم، فلا يضع نفسه إلاَّ في محلٍّ يرضاه، ويجتنب المحظور الذي يكرهه ربه، ولا يفعل إلا ما يرضي مولاه، حتى ولو كان هذا الفعل مما يرضي النفوس أو مما يرضي بعض من كان معه أو من حوله.

فالعهد الأول الذي نقطعه على أنفسنا ونشعر بيسره وسهولته: العهد مع الله تبارك وتعالى على التقوى.

٢- وأما الثمرة الثانية التي حكاها القرآن فهي الهداية: وقد فصّلنا فيها في الأسبوع الماضي، فهو سبحانه قال: {وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} لكنه فصّل في هذه الهداية، وأنها – حين تُدقِّق فيها – نوعان:

هداية للقلوب، وهداية للسلوك، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] فأتى بالهدى مرتين:

– أما الهداية الأولى التي فيها يهتدي الناس فهي حينما تتوجه قلوبهم إلى الله بعد أن كانت متوجهة إلى الدنيا، وإلى الأشياء، وإلى الأشخاص...

– وأما الهداية الثانية فهي هداية السلوك، لأنه تدرَّبَ في هذا الشهر العظيم من خلال القرآن والفرقان وأحكامه كيف يستقيم على أمر الله وفق الأحكام الشرعية التي فصلها: {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}.

والفرقان هو الذي به تفرّق بين ما يضرّك وينفعك، وبه تفرق بين المعصية والطاعة، ولا يكون هذا إلاَّ حين تعاهد عهدًا لا نكوص فيه ولا رجعة أن تلتزم أحكام الشريعة في كل أصعدة الحياة، بأن ترجع إلى فقه الإسلام وإلى أحكام القرآن لتأخذ توجيهًا لقلبك أولاً في الهدى الأول فتقول لقلبك:

"لا تتوجه إلا إلى الذي فطرك"، فالفطرة فيك، والفطرة لا تتوجه إلاَّ إلى الذي فطرها، قال تعالى: {وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: ٣٦].

ثم هو بعد ذلك ينضبط بأحكام الشريعة المبينة والمفصلة في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي أمضى الفقهاء عمرهم في تفصليها وتبينها.

أما الثمرة الثالثة فهي الشكر: الذي هو خلاصة الشهر، والشكر باختصار إنما هو استعمال النعمة التي أنعم الله تعالى عليك بها فيما يحبه ويرضاه.

حقيقة الشكر تختصر في استعمال النعمة التي أعطاك الله سبحانه تعالى إياها فيما يرضيه، فقد أنعم علينا بنعم حسية وأخرى معنوية، وقال ذلك في القرآن وبينه، فهو سبحانه وتعالى قال لنا:

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨] فبين أنه سبحانه وتعالى ما وهبنا هذه الحواس إلا من أجل أن نستعملها في ما يرضيه: {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}أي لعلكم تستعملونها في ما خُلِقَتْ من أجله، فلا تضعونها إلاَّ في المحل الذي يرضاه.

وأنعم علينا بعد أن أعطانا هذه الحواس بنعم كثيرة، منها نِعَمٌ كونية كثيرة، كالتوازن الكوني الذي فيه نعيش، واقرؤوا قوله تعالى:

- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ} أي من الغيث الذي يتنزل من السماء، {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} السفن في البحار وفق سنن كونية خلقها سبحانه، {وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ} من أجل أن يكون ذلك سب رزق لكم، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الروم: ٤٦].

- وقال تعالى: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

- وقال: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ١٤].

فانظروا كيف أنه سبحانه نبهنا إلى الشكر عند ذكر حواسنا، ونبهنا إليه عندما أمرنا أن ننظر إلى عطاءاته ونعمه الكثيرة المنتشرة في هذا الكون، لكن أعظم نعمة ينبغي على الإنسان أن يتنبه إليها إنما هي التعريف.

فحينما يمن الحقّ على عبده بالتعريف فإن ذلك أكبر نعمة، ولعلها أعظم نعمة في هذا الشهر العظيم، والتي أشار إليها ربنا بقوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩]

وذلك حينما تتضح لقلبك الآيات، وحينما ترى بقلبك عظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله، وحين ترى أنك محتاج إلى السجود بين يديه، وحين ترى أنك عبد له لا ينبغي أن تعبد غيره، وحينما لا تعترف لغيره بالربوبية، ولا ترى سيدًا لا يستحق السيادة على الحقيقة إلاَّه...

فهذه هي نعمة التعريف التي من خلالها نتخرج من مدرسة رمضان، فما سجدنا إلاَّ لله، وما صمنا إلاَّ لله، والناس جميعًا ينتظرون لحظة غروب الشمس، والشمس لا تغرب إلا بأمر الله، ولا يتناولون الطعام حتى تغرب الشمس لأنهم يأتمرون بأمر الله وحده، فالمائدة أمامهم والطعام أمامهم لكنهم لا يأكلون، لماذا؟

لأنهم ينتظرون إذن الله سبحانه وتعالى لهم، فيقفون في صلاة القيام يركعون له وحده، ويسجدون له وحده.

إنها مدرسة تدرب الإنسان على أن يكون بعد هذا التعريف صاحب شكر.

وكيف يكون الشكر بعد التعريف؟

كيف يمكن للإنسان أن يشكر بعد أن عرّفه الله سبحانه وتعالى؟

إنَّ شُكر التعريف ينبغي أن يكون مجانسًا، فالمعرفة أداتها العقل وأداتها القلب وأداتها الروح:

– فوجِّه عقلك فيما يرضي ربك..

– ووجه قلبك فيما يرضي ربك..

– واجعل روحك فداءً لما يحبه ربك، واجعل روحك فداء لدين الله، واجعلها عاشقة لله ورسوله ودينه: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: ٢٤].

ألم يجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان؟

ألم تكن غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان؟

ألم يجعلوا أرواحهم فداء لله؟

ألم يقل رسول الله قبل غزوة بدر في شهر رمضان: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"، وهو يقرأ عليهم قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: ١١١]؟

هكذا يكون شكر التعريف.

فإذا كان شكر الحواس أن تُستعمل فيما يرضي ربّنا، فإن شكر التعريف لا يكون إلاَّ حينما نوجه عقولنا ونوجه قلوبنا ونجعل أرواحنا فيه وله وحده سبحانه وتعالى.

فحينما نجعل عقولنا وقلوبنا وأرواحنا له سبحانه وتعالى ونوظفها من أجله سبحانه، عند ذلك نكون ممن يشكر نعمة التعريف.

نعم، الثمرة الثالثة التي هي الشكر ثمرةٌ كبيرة، ولو أن الإنسان تحقق بها فإنه بعد ذلك لن يخاف أبدًا، لأنه سبحانه وتعالى وضع لنا سنة من سننه من فضله وكرمه فقال: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] فلن ينقص حالك بعد شهر رمضان إذا تحقَّقت بالشكر، وسوف يضيع منك ما حصلته في رمضان إذا كنت بعيدًا عن الشكر، أما إذا كنت متحققًا بحقيقة الشكر فسيكون حالك بعد شهر رمضان أفضل من حالك في شهر رمضان، لأنه سبحانه يقول: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.

وهو سبحانه الذي نبه إلى صعوبة الشكر، فلا تحسب أن الشكر قضية يسيرة، فهو القائل: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

نعم، لأن الذي يفهم كيف يستمرّ بعد النعمة في شُكر ربّ النعمة ومسدي النعمة والمعرِّف والمعلِّم سبحانه وتعالى... قليل.

الذي يفهم حقيقة الشكر ويتعامل بعد النعمة مع ربه بالشكر قليل.

لهذا أنتم مدعوون بعد هذا الشهر إلى الشكر حتى تزداد أحوالكم صفاءً ونقاءً، وحتى تزدادوا بهاءً وارتقاءً، لأن الذي يحفظكم بعد شهر رمضان إنما هو الشكر: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] بهذا المعنى التفصيليّ الذي من خلاله يفهم الشكر.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله

وداع شهر رمضان

ها هو الشهر الأغرّ المبارك الكريم الجليل الجميل يلوح لنا بالوداع... ها هو الشهر الذي طاب فيه القيام ولذّ فيه الصيام وتوجهت فيه القلوب إلى الله، وأسلمت الوجوه له... ها هو يقترب من نهايته.

وللشهر ثمرات أوجزها القرآن بمعانٍ ثلاثة:

-1التقوى: {كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

-2الهداية: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} [البقرة: ١٨٥].

-3الشكر:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

هكذا حكا لنا القرآن الكريم ثمرات الشهر الثلاثة حتى لا نحار ونحن نسأل أنفسنا ما الذي حصّلناه من هذا الشهر العظيم؟

-1أما التقوى: فهي أن يكون الإنسان معاهدًا ربه عهدًا ليس فيه نكوص، بأن يلتزم صراطه المستقيم، فلا يضع نفسه إلاَّ في محلٍّ يرضاه، ويجتنب المحظور الذي يكرهه ربه، ولا يفعل إلا ما يرضي مولاه، حتى ولو كان هذا الفعل مما يرضي النفوس أو مما يرضي بعض من كان معه أو من حوله.

فالعهد الأول الذي نقطعه على أنفسنا ونشعر بيسره وسهولته: العهد مع الله تبارك وتعالى على التقوى.

-2وأما الثمرة الثانية التي حكاها القرآن فهي الهداية: وقد فصّلنا فيها في الأسبوع الماضي، فهو سبحانه قال: {وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} لكنه فصّل في هذه الهداية، وأنها – حين تُدقِّق فيها – نوعان :

هداية للقلوب، وهداية للسلوك، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] فأتى بالهدى مرتين:

-أما الهداية الأولى التي فيها يهتدي الناس فهي حينما تتوجه قلوبهم إلى الله بعد أن كانت متوجهة إلى الدنيا، وإلى الأشياء، وإلى الأشخاص...

-وأما الهداية الثانية فهي هداية السلوك، لأنه تدرَّبَ في هذا الشهر العظيم من خلال القرآن والفرقان وأحكامه كيف يستقيم على أمر الله وفق الأحكام الشرعية التي فصلها: {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.{

والفرقان هو الذي به تفرِّق بين ما يضرّك وينفعك، وبه تفرق بين المعصية والطاعة، ولا يكون هذا إلاَّ حين تعاهد عهدًا لا نكوص فيه ولا رجعة أن تلتزم أحكام الشريعة في كل أصعدة الحياة، بأن ترجع إلى فقه الإسلام وإلى أحكام القرآن لتأخذ توجيهًا لقلبك أولاً في الهدى الأول فتقول لقلبك :

"لا تتوجه إلا إلى الذي فطرك"، فالفطرة فيك، والفطرة لا تتوجه إلاَّ إلى الذي فطرها، قال تعالى: {وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: ٣٦.[

ثم هو بعد ذلك ينضبط بأحكام الشريعة المبينة والمفصلة في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي أمضى الفقهاء عمرهم في تفصليها وتبينها.

أما الثمرة الثالثة فهي الشكر: الذي هو خلاصة الشهر، والشكر باختصار إنما هو استعمال النعمة التي أنعم الله تعالى عليك بها فيما يحبه ويرضاه.

حقيقة الشكر تختصر في استعمال النعمة التي أعطاك الله سبحانه تعالى إياها فيما يرضيه، فقد أنعم علينا بنعم حسية وأخرى معنوية، وقال ذلك في القرآن وبينه، فهو سبحانه وتعالى قال لنا: }وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨] فبين أنه سبحانه وتعالى ما وهبنا هذه الحواس إلا من أجل أن نستعملها في ما يرضيه: {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}أي لعلكم تستعملونها في ما خُلِقَتْ من أجله، فلا تضعونها إلاَّ في المحل الذي يرضاه.

وأنعم علينا بعد أن أعطانا هذه الحواس بنعم كثيرة، منها نِعَمٌ كونية كثيرة، كالتوازن الكوني الذي فيه نعيش، واقرؤوا قوله تعالى :

} -وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ} أي من الغيث الذي يتنزل من السماء، {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} السفن في البحار وفق سنن كونية خلقها سبحانه، {وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ} من أجل أن يكون ذلك سب رزق لكم، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الروم: ٤٦.[

-وقال تعالى: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣.]

-وقال: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ١٤.]

فانظروا كيف أنه سبحانه نبهنا إلى الشكر عند ذكر حواسنا، ونبهنا إليه عندما أمرنا أن ننظر إلى عطاءاته ونعمه الكثيرة المنتشرة في هذا الكون، لكن أعظم نعمة ينبغي على الإنسان أن يتنبه إليها إنما هي التعريف.

فحينما يمن الحقّ على عبده بالتعريف فإن ذلك أكبر نعمة، ولعلها أعظم نعمة في هذا الشهر العظيم، والتي أشار إليها ربنا بقوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩]

وذلك حينما تتضح لقلبك الآيات، وحينما ترى بقلبك عظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله، وحين ترى أنك محتاج إلى السجود بين يديه، وحين ترى أنك عبد له لا ينبغي أن تعبد غيره، وحينما لا تعترف لغيره بالربوبية، ولا ترى سيدًا لا يستحق السيادة على الحقيقة إلاَّه...

فهذه هي نعمة التعريف التي من خلالها نتخرج من مدرسة رمضان، فما سجدنا إلاَّ لله، وما صمنا إلاَّ لله، والناس جميعًا ينتظرون لحظة غروب الشمس، والشمس لا تغرب إلا بأمر الله، ولا يتناولون الطعام حتى تغرب الشمس لأنهم يأتمرون بأمر الله وحده، فالمائدة أمامهم والطعام أمامهم لكنهم لا يأكلون، لماذا؟

لأنهم ينتظرون إذن الله سبحانه وتعالى لهم، فيقفون في صلاة القيام يركعون له وحده، ويسجدون له وحده.

إنها مدرسة تدرب الإنسان على أن يكون بعد هذا التعريف صاحب شكر.

وكيف يكون الشكر بعد التعريف؟

كيف يمكن للإنسان أن يشكر بعد أن عرّفه الله سبحانه وتعالى؟

إنَّ شُكر التعريف ينبغي أن يكون مجانسًا، فالمعرفة أداتها العقل وأداتها القلب وأداتها الروح:

-فوجِّه عقلك فيما يرضي ربك..

-ووجه قلبك فيما يرضي ربك..

-واجعل روحك فداءً لما يحبه ربك، واجعل روحك فداء لدين الله، واجعلها عاشقة لله ورسوله ودينه: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: ٢٤.[

ألم يجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان؟

ألم تكن غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان؟

ألم يجعلوا أرواحهم فداء لله؟

ألم يقل رسول الله قبل غزوة بدر في شهر رمضان: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"، وهو يقرأ عليهم قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: ١١١]؟

هكذا يكون شكر التعريف.

فإذا كان شكر الحواس أن تُستعمل فيما يرضي ربّنا، فإن شكر التعريف لا يكون إلاَّ حينما نوجه عقولنا ونوجه قلوبنا ونجعل أرواحنا فيه وله وحده سبحانه وتعالى.

فحينما نجعل عقولنا وقلوبنا وأرواحنا له سبحانه وتعالى ونوظفها من أجله سبحانه، عند ذلك نكون ممن يشكر نعمة التعريف.

نعم، الثمرة الثالثة التي هي الشكر ثمرةٌ كبيرة، ولو أن الإنسان تحقق بها فإنه بعد ذلك لن يخاف أبدًا، لأنه سبحانه وتعالى وضع لنا سنة من سننه من فضله وكرمه فقال: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] فلن ينقص حالك بعد شهر رمضان إذا تحقَّقت بالشكر، وسوف يضيع منك ما حصلته في رمضان إذا كنت بعيدًا عن الشكر، أما إذا كنت متحققًا بحقيقة الشكر فسيكون حالك بعد شهر رمضان أفضل من حالك في شهر رمضان، لأنه سبحانه يقول: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ.{

وهو سبحانه الذي نبه إلى صعوبة الشكر، فلا تحسب أن الشكر قضية يسيرة، فهو القائل: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣.[

نعم، لأن الذي يفهم كيف يستمرّ بعد النعمة في شُكر ربّ النعمة ومسدي النعمة والمعرِّف

والمعلِّم سبحانه وتعالى... قليل.

الذي يفهم حقيقة الشكر ويتعامل بعد النعمة مع ربه بالشكر قليل.

لهذا أنتم مدعوون بعد هذا الشهر إلى الشكر حتى تزداد أحوالكم صفاءً ونقاءً، وحتى تزدادوا بهاءً وارتقاءً، لأن الذي يحفظكم بعد شهر رمضان إنما هو الشكر: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] بهذا المعنى التفصيليّ الذي من خلاله يفهم الشكر.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله

عيد الفطر

الله أكبر ما أجلَّ إنعام اللهّ!

الله أكبر ما أرشد هداية الله!

الله أكبر والعقل يعجز عن شكر الله!

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه ومصطفاه.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وأوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله، فهو القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فقد أوجب ربنا تبارك وتعالى بفضله وكرمه في شهر رمضان على عباده الصيام، فساقهم بمنته إلى تقواه، وندبهم فيه إلى القيام، فعمَّر قلوبهم بأنواره وهُداه، فلما أقبل العيد كان عنوانَ نقاء وطهارة.

أقبل العيد وهو يحمل رغبة فيهم، بعد العبادة الروحية الشائقة، أن ينتقلوا إلى عبادة عملية فاعلة ومُنتِجة، وما سُمِّي العيدُ عيدًا إلاَّ لعَوده، وعَودُ العيد في ثقافتنا الإسلامية لا يعني التكرير المُستنسَخ في الصورة والمضمون، لكنه وإن تكرر في بعض صوره فإنه مُتجدد في مضموناته.

فالإسلام – كما يفهم العقلاء الذين يتدبَّرونه ويقرؤونه قراءة فاهمة واعية – يدعوهم إلى التطوّر والارتقاء، ويأبى أن يكون عَود العيد تكريرًا لمحفوظ جامد.

وقد أخرج الديلمي حديثًا وفيه: (مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ).

نعم أيها الأحبة، إن المؤمن الذي يصدق في إيمانه وإسلامه لا تكون حياته أيامًا متساوية، ولا يأتي في زمانه عيدان متطابقان، لأنه يفهم أن دينه يدعوه إلى تواصل الارتقاء.

وقد قال أجدادنا العرب في أمثالهم: "والعَودُ أحمدُ"، والعودُ: البدء الثاني.

وهكذا كان تراثنا ينبض بالرغبة في أن يكون العَود مختلفًا عن سابقه.

إن تراثنا الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ)، يدعو أن يكون العَودُ أحمدَ من سابقه، وها نحن في عود العيد.

فعَود العيد يعني تجدُّدًا، ويعني إبداعًا، ويعني زيادة سَيْر نحو الحضارة والنهضة.

وعَود العيد بهذا المفهوم يقتضي المراجعة، لأن المراجعة ميزانٌ يستطيع الإنسان من خلاله أن يرى عَود العيد في حياته ومسيرته، فالظروف متغيرة، والأزمان تحمل في طياتها كلَّ يوم جديدًا، والأمة الواعية هي الأمة التي تتابع مسيرتها إلى النهضة، وتبقى رافضة أن تتراجع إلى الوراء، مهما كان الظرف المحيط عصيبًا.

أقول هذا والظروفُ التي تحيط بأقاليمنا ظروفٌ عصيبة، فعالمنا يمر اليوم بظرفٍ كأنه لم يُسبَق من قبل.

ولعلي أقرأ سببين كبيرين من الأسباب في سياق المراجعة التي يطلبها عَود العيد:

١- مؤامرات تُحاك في الأقاليم القريبة والبعيدة.

٢- الانحراف المعرفيّ الذي لا صلة للإسلام به: الذي يزعم بعض من ينتحله أنه مُنتسِب فيه إلى الإسلام، وهذا يتطلب من النُّخَب جهدًا فاعلاً ومُنتجًا، حتى نعيد الإنسانَ، في الساحة الإسلامية خصوصًا وفي العالم عمومًا، إلى توازنه المعرفيّ الذي أراده الله سبحانه وتعالى له، وهو القائل: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن: ٧-٩].

عَود العيد في مراجعاته يدعو الفرد إلى مراجعة ذاتيّة في سلوكه الخاصّ وفي سلوكه العامّ، ويدعو الأسرة والأرحام في تزاورها الذي اعتادته في عَود العيد أن تراجع علاقاتها وما تقتضيه من تكافل اجتماعيٍّ وأُسَريّ..

عَود العيد يطلب من الأصحاب والأصدقاء وهم يهنئون بعضهم بعضًا أن يكونوا في مراجعةٍ لروابطهم ومقتضياتها الإنسانية..

عَود العيد الذي يلتقي فيه المواطنون مع أصحاب المسؤولية في لقاءٍ ما هو إلاَّ مراجعةٌ وطنية نتساءل فيها جميعًا عن واجباتنا أمام ربنا ووطننا ووحدتنا الوطنية، التي هي درعنا الحصين أمام المؤامرات التي تُحاك كل يوم من أجل تفريغ هذه الأمة وتقسيمها وتجزيئها وبذر بذور الشر فيها..

وإن أمة تلتزم بإيمانها بربها، وبحبها لوطنها، وبتمسكها بوحدتها الوطنية، أمةٌ لا يستطيع أعداؤها مهما حاولوا أن يُفرِّقوها أو أن يصرفوها عن أهدافها النبيلة.

مثل هذا اللقاء يُنتج مع عَود العيد تجدُّدًا في الأفكار، ويُنتج من بعدها أداءً عمليًّا فاعلاً ومُنتِجًا، يجعلنا جميعًا في لقاءٍ حميميّ نسعى فيه ونُجدِّف في المركب الواحد تجديفًا مشتركًا، حتى يبقى هذا الوطن المبارك في أرض الشام شامخًا مُعتزًّا بإيمانه بالله، ومُعتزًّا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له، الذي دعا في يوم من الأيام: (اللهم بارك لنا في شامنا).

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفرالله

عناوين رمضان

قرأت في كتاب الله تبارك وتعالى النصّ الذي يتحدّث عن شهر رمضان، ونحن على أعتاب الدخول في هذا الشهر المبارك العظيم، فرأيت في هذا النص العظيم بعض العناوين الرمضانية التي يَحسُن لنا أن نلاحظها ونحن نتهيأ لدخول هذا الشهر العظيم.

يقول الله سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥]

ففي هذا النص عناوين عشرة:

١- {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ}: وهو ينبّه إلى أننا ندخل ظرفًا زمانيًّا ظهر القرآن الكريم فيه، وإذا كان هذا الظرف محلاً لظهور القرآن فينبغي علينا أن نُظهر فيه القرآن.

وقوله: {أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ} أي أَظهر الله سبحانه وتعالى فيه الكلام، ففيه تنبيه للأمة من أجل أن يظهر فيها القرآن وهي في هذا الظرف الزمانيّ.

وظهور القرآن في الظرف الزمانيّ يبدأ بظهوره تلاوةً، وبعد ذلك بظهوره في القلوب فهمًا، وبعدها بظهوره على أرض الواقع سلوكًا وخُلُقًا.

وعلينا أن نحرص على هذه الظهورات كلها، فظهور القرآن تلاوةً يعني أننا نجالس صاحب الكلام ونسمع منه، ومهما تحدّثنا عن قيمة الفهم والدراية والتطبيق السلوكيّ فإن ذلك ينبغي ألا يصرفنا عن عبادة التلاوة، فالتلاوة تعني أننا نجلس بين يدي الله ونسمع القرآن لنكون في أبهى مجلس، وهذا قبل أن يكون ما نقرؤه سلوكًا وخُلُقًا، بل بمجرد التلاوة، لأن التلاوة تعني ظهور كلام الله بين الخَلق، وإذا ظهر كلام المَلِك الجليل بين الخَلق فإن لظهوره سرًّا عظيمًا.

يروى أن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ناجى ربّه وهو في منامه فقال: بمَ يتقرّب المُتقرِّبون إليك يا رب؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقال: بِفهم أو بغير فهم؟ فقال: بفهم أو بغير فهم.

وهل تفهم البلبلَ الذي يُغنّي ويُغرِّد، أم أنك تُطرب بما تسمعه من غير فهم؟

هذا ما يقوله البلبل فتُطرب له، فكيف لا تُطرب لما يقوله الله؟

إذًا: علينا أن نراعي ظهور القرآن تلاوة، وظهوره فهمًا.

ونحن العرب مطلوبٌ منا أولاً قبل غيرنا (لأن القرآن الكريم نزل بِلُغتنا) أن نَفهم وأن نُفهم، فلا ينبغي على شابٍّ يدخل المسجد وينتمي إلى الإسلام وينتمي إلى الدعوة إلى الله أن يمر بلفظة في كتاب الله من غير أن يعرف معناها العربي، وهذا على أقل حدّ، وقلت مرات ومرات للشباب: لا أقلَّ من أن نفهم معنى مفردات القرآن فهمًا عربيًا.

أما الانفعال البشري الذي هو الاستماع بعد السماع، فيكون من خلال تحريم ما حرّمه القرآن، وتعظيم ما عظّمه القرآن، من خلال ظهور القرآن في سلوكنا الاجتماعيّ، وفي سلوكنا الاقتصاديّ، وفي معاملاتنا...

وكنت أتأمل في كتاب الله تبارك وتعالى، وعجبت لهذا التلّون العجيب الذي حكى فيه القرآن قصص بعض الرسل حيث قال: {مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ} [غافر: ٧٨]

فإذا قرأتَ سيرة قوم نوح وجدتَ رسولاً من رسل الله يجابه التجبُّر والتكبُّر، ويجابه غطرسة النفس من أجل أن يُقدّم لها علاجًا.

وإذا قرأت سيرة لوط وقومه رأيتَ رسولاً من رسل الله يدعو إلى الله مقوِّمًا للسلوك.

وإذا قرأتَ قصة موسى عليه الصلاة والسلام ترى فيها خطاب رسولٍ من رسل الله لسياسيٍّ متغطرس أراد أن يُبدّل النظام ليكون نظامَ هوى ونظامَ نفوسٍ عابثة.

وإذا قرأتَ قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام رأيتَ فيها تقويم العقيدة، وَرَدَّ الناسِ من عبادة غير الله إلى عبادة الله.

وإذا قرأتَ قصة شعيب عليه الصلاة والسلام رأيت فيها تقويمًا اقتصاديًّا.

وهكذا، ما تقرأ من قصةٍ يحكيها القرآن إلا وترى فيها تغيرًا، ليتغير الإنسان على كل الأصعدة في واقعه.

وهكذا يظهر القرآن سلوكًا، حينما ننفعل لمعاني القرآن سلوكًا، وحينما ننفعل لمعاني القرآن خُلُقًا، فالقرآن هو الذي جاء بالقيمة الأخلاقية العظيمة، وليس في القرآن من التحريف ما يوجد في الكتب السابقة، فأنت تقرأ في الكتب السابقة (على سبيل المثال في كتب يهود) أن لوطًا شرب الخمر ثم زنى ببناته، لكنك لا تقرأ مثل هذه التُّرَّهات التي أضافتها الأصابع البشرية إلى كلام الله، فلا تجد خلطًا ولا تحريفًا ولا تبديلاً، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]

فأنت تجد في القرآن القِيم الخُلقية في أبهى مظاهرها.

وأنت تقرأ في سورة يوسف، فمع أنها قصة تتعلق بحالة غريزية وبثورة جنسية، لكنك تقرؤها بألفاظٍ ترتقي بالإنسان إلى أعلى درجات القيمة الخُلقية، فأنت تقرأ خطاب امرأة العزيز ليوسف، وفِعلَ يوسف: {وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: ٢٣]

فيمكن للإنسان أن يقرأ هذا الكلام ليرى أن لغة القرآن الخُلقية تتحدى بآدابها وسموها كل اللغات.

إذًا: ظهورُ القرآن ينبغي أن يكون في هذا الشهر، وينبغي أن نعير هذه الظهورات اهتمامًا تطبيقيًّا، ليظهر القرآن فينا تلاوة، وليظهر القرآن فينا فهمًا، وليظهر القرآن فينا سلوكًا وخُلقًا.

٢- {هُدًى لِلنَّاسِ}: وهذا يلفت نظرنا إلى الاستعداد للدعوة، لأنه سبحانه وتعالى ينبهنا إلى قضيةٍ هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

إذًا: الناسُ اليومَ في ضياع وفي اضطراب، وفي تخبُّط: الفقراء والأغنياء، والحكام والمحكومون، والاجتماعيون والاقتصاديون والسياسيون... في حالةٍ من الحيرة والاضطراب، وهاهو شهر رمضان يأتي بكل ما يحمله من مضمونات، فهل يتحرك من يفهم القرآن للدعوة من أجل هداية الناس؟

وهذا الشهر كان منطلقًا إلى الهدى والهداية، فهل سننطلق إلى الهداية للناس لنفهم مضمونات هذا الشهر العظيم، أم أننا سنقبع في الصوامع ونتقوقع في الكهوف؟

إذًا: قوله: {هُدًى لِلنَّاسِ} عنوانٌ يلفت انتباهنا إلى قضية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى التي يُقصد منها كلُّ الناس من غير استثناء.

٣- {وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى}: وهكذا يلفت انتباهنا إلى موضوع التبيين الذي قدّمه القرآن، وحتى نملك التبيين الذي هو التوضيح لابد لنا من أمرين اثنين، فلا يمكن أن يحصل في مضمونات شهر رمضان للدعاة أو لمن يلتصق بمعاني شهر رمضان حتى يملكوا أمرين: فهمًا، وأداة للتبليغ التي هي اللغة.

فلا يمكن للإنسان أن يكون مُبيِّنًا حتى يملك هذين العنصرين:

- الفهم المُستمَدّ من التفسير.

- واللغة.

فينبغي أن لا يكون شبابنا ممن يلحَن في اللغة العربية، وأن تكون اللغة العربية مقدّسة عند شباب الإسلام، فلا ينبغي أن أسمع من شابّ وهو يقول: أنا أحمل في قلبي همّ الدعوة إلى الله وأريد الانتماء إلى الإسلام والاقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام... ثم هو يلحن في لغته العربية وهو عربيّ.

فلو فعلها أجنبيّ لقلنا له: قوِّمْ لسانَك وتعلّم العربية، لكن هذا الشاب الذي أكرمه الله فكان في بلاد العرب، ما باله يلحن باللغة العربية، فينصب المرفوع ويرفع المنصوب؟!

إنه مَعيبٌ في شباب الإسلام أن يكون مثل هذا.

وهكذا ينبغي أن نعطي قدسيّةً للأداء التبليغيّ اللغويّ العربيّ، لأن التبليغ لا يكون إلا بهذين العنصرين: الفهم المستمد من التفسير، وأداة التبليغ التي هي اللغة العربية.

{وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى} والهدى: اسم من أسماء القرآن، قال تعالى: {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى} [الجن: ١٣] قال ذلك الجن حينما سمعوا القرآن.

٤- {وَالْفُرْقَانِ}:والفرقان: اسم من أسماء القرآن، لكنه يُنبّه إلى مسألة مهمة وعنوان مهمّ، فالفرقان ما يُفرِّق بين الحقّ والباطل، ولا يمكن للمسلم أن يُفرّق بين الحق والباطل حتى يتعلّم الفقهَ الإسلامي المستمدّ من القرآن، وهذا الفقه الإسلامي هو الفرقان، لأنك لا تستطيع أبدًا أن تُفرّق بين الحقّ والباطل حتى تتعلّم الفقه الإسلامي، وستبقى جاهلاً حتى تستمدّ من الكتابِ المنيرِ فرقانَه، فإذا استمدّ الإنسان من الكتاب المنير فرقانه وتعلّم فقهه يستطيع عند ذلك أن يُميز بين الحقّ والباطل.

٥- {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}: والصيام عبادة روحانية، لأنه قطع العلاقة بين الجسد وما يطلبه هذا الجسد، فهو ارتقاء إلى ما تطلبه الروح، فالإنسان كائن من جزأين اثنين: فهو كائن روحانيّ، وهو كائن ماديّ، والصيام يقطع الصلة بين الجسد وما يطلبه وغرائزِه، ولو كان هذا القطع مؤقتًا، لكنه تنبيه الإنسان إلى الروحانية، فمطلوبٌ من الإنسان أن يرتقي فوق مادته وجسده ليكون وهو في الصيام روحانيًّا.

إذًا: شهر رمضان ظرفٌ زمانيٌّ لعبادة روحانية تكشف عن الإنسان غبار مادته.

٦- {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}: وهو ينبّهنا إلى أن الروحانية لا تنحصر أسبابها في الصيام، فإذا فقدت الوسيلة فلا تكن عبد الوسيلة، فالمقصود منك أن تكون عبد الله، والمقصود منك أن ترتقي بروحك صائمًا كنت أم غير صائم، فإذا لم تكن قادرًا على الصيام بسبب مرض (والمرض يجهد الجسد) أو كنت على سفر (والسفر مشقة) فإن الله سبحانه وتعالى يريدك أن تكون في حال الصائم ولو لم تكن صائمًا.

فهذا الكلام الجليل في الكتاب المنير يُنبّهنا إلى أن الصيام وسيلة من وسائل الروحانية، ولا تنحصر كل أسباب الروحانية في الصيام.

٧- {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}:وهو يُنبّهنا إلى أن مقاصد الشريعة الإسلامية تسعى إلى تيسير الحياة، وإلى تناغم السلوك وانسجامه، فلا نجد إسلامنا مضيِّقًا على الناس، إنما نجده موسِّعًا، فلا نجد في إسلامنا ضيقًا أو تضييقًا، قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]

فالحرج نوجده بعاداتنا البالية وبتقاليدنا العفنة، والإسلام يُنظّم المجتمع من غير أن يكون هذا المجتمعُ مجتمعَ عُقَد، واليومَ نعاني من عُقَدٍ كثيرة في المعاملات وفي السلوك، فيعاني الشباب من عُقَدٍ جنسية، ويعاني الكبار من عقد اجتماعية...

وهذا لم يؤسسه الإسلام في مجتمعات الإسلام، إنما أسسته العادات التي لا تمت بصلة إلى الإسلام، وأسسته الألسن التي تنطلق بالغيبة وتتحرك بالنميمة، وأسسته العقول التي لا تستمد فكرها من القرآن ولكنها تستمد من الهوى ومن رغبة المجتمع التي لم تُؤسَّس أصلاً من خلال هَدْي القرآن وهدي رسول الله عليه الصلاة والسلام...

وهذا عنوان ينبغي أن نتدرّب عليه في شهر رمضان حتى ندرك مقاصد الإسلام، وحتى نفهم ما ترمي الشريعة إليه في غاياتها وحكمها.

٨- {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ}:والعدّة: عدد مضبوط.

إنه سبحانه وتعالى يلفت انتباهنا إلى قضيةٍ غفلنا اليوم عنها، فقد ربط الله سبحانه وتعالى الإنسان بالكون، وأراد من المسلم أن يكون شديد الملاحظة لتغيرات الوقت، وهو يقتضي معرفة المعادلات الرياضية التي أسس سبحانه وتعالى الكون في حركته عليها.

إنها سنة الله سبحانه، قال تعالى: {لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [يونس: ٥]

وقال: "لِتَعْلَمُوا" لينبّهَنا إلى أن معرفة الفَلَك الشرعيّ إنما هو من العلوم الإسلامية الجليلة.

وهاهنا يقول: {وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ} لكننا اليوم نفقد هذه القيمة، مع الاضطراب السياسيّ الذي يعمّ عالمنا الإسلاميّ، ومع الاضطراب التي انعدمت فيه الوحدة السياسية والوحدة الثقافية والعِلمية.

لذلك لا نرى اليوم اهتمامًا بهلال شهر شعبان، بل نرى ونسمع في الأخبار والإعلام اهتمامًا بهلال شهر رمضان، وهلالُ شهر رمضان يُبنى على هلال شهر شعبان، وقد رأيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن نأخذه وأن ننبّه من خلاله إلى هذه القضية، فالمصطفى عليه الصلاة والسلام يقول كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم رحمهما الله: (احصوا هلال شعبان لرمضان).

وهذا يقتضي من هذه الأمة الإسلامية ضبطًا للعِدّة.

ولا يعني قوله سبحانه: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ} ألاّ نتنبّه لأول العِدّة، فأول العِدّة ينبغي أن يُتنبّه إليه كما يُتنبّه لآخرها: (احصوا هلال شعبان لرمضان).

وفي حديث أخرجه الحاكم تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفّظ من هلال شعبان ما لا يتحفّظ من غيره، ثم يصوم لرؤية رمضان، فإن غُمّ عليه عدّ ثلاثين يومًا ثم صام.

وفي الحديث الذي أخرجه أبو داوود كَتَبَ عمر بن عبد العزيز إلى أهل البصرة: بَلَغَنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن أحسن ما يُقدّر له أنّا إذا رأينا هلال شعبان لكذا وكذا فالصوم إن شاء الله لكذا وكذا، إلا أن يروا الهلال قبل ذلك"، فيكون تصحيحًا للرؤية التي رآها الناس في شعبان أو تصحيحًا للحساب.

لكننا نرى غيابًا، وهذا يدلّ على قلة الاهتمام بعبادة الصيام على المستوى السياسيّ، فينبغي أن نكون في حالة العناية بضبط المواقيت لعبادة الصلاة، وكذلك ينبغي أن نكون في حالة الاهتمام بضبط عبادة الزكاة، وينبغي أن تُؤسَّس في البلاد الإسلامية مؤسساتٌ لضبط قضية الزكاة.

والآن نرى أن الزكاة أمر سائب وفي فوضى واضطراب.. لاسيما وأن الناس يؤخِّرون عبادة الزكاة إلى شهر رمضان، وقد لا يكون هذا الشهر الذي هو ثلاثون يومًا كافيًا لتغطية حاجات الأمة كلها.

نعم، فالإنفاق في رمضان مطلوب، لكن لماذا فهم الناس وهم يقرؤون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في شهر رمضان جوادًا وأسرع من الريح في الإنفاق أن ذلك عبادةُ الزكاة؟

إنه فهمٌ مغلوط، فعبادة الزكاة تجب حين يحول الحول على المال، والحولُ يحول على المال عندما تبدأ الحركة المالية في كل يوم من أيام السنة، ففي كل يوم من أيام السنة تبدأ حركةٌ ماليةٌ عند شخصٍ ما، وعند تمام الحول ينفق، وهذا فيه سرٌّ عظيم وفيه ضبط كبير، وذلك حتى تخرج الزكاة إلى مصارفها، وحتى تبقى الأمة في السنة كلها في حالة توازن.

نعم، أنت مطلوبٌ منك أن تكون كريمًا في رمضان، ومطلوبٌ منك أن تكون منفِقًا في رمضان، وهذا لا يعني أن تؤخِّر عبادةَ الزكاة إلى شهر رمضان، فليت المؤسساتِ السياسيةَ تعتني بالضبط، وليت المؤسسات التي تعتني بضبط الزكاة تستفيد من المؤسسات التي أسسها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، والذي حارب الناس على منع الزكاة هو أبو بكر الصديق الخليفةُ الأول حيث قال: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه لرسول الله لقاتَلتُهم على منعه، والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة".

هكذا نطق الصّدّيق رضي الله عنه، وذلك حتى تنضبط الأمور.

أما اليوم فهناك فوضى في مواقيت الصلاة، ونرى على مستوى المحافظات اضطرابًا كبيرًا، ونرى التقويمات المتناقضة في المحافظات كلها على مستوى بلادنا وعلى مستوى غير بلادنا.

فهناك فوضى في الضبط لعبادة الصلاة، وفوضى شديدة لضبط عبادة الزكاة، وفوضى في ضبط عبادة الصيام.

٩- {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}:وفيه إعادة نسبة الفضل لصاحب الفضل سبحانه، فالذي تفضّل على الأمة بهذه النعمةِ (نعمةِ شهر رمضان) إنما هو الله.

{وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} فما كان لكم أن تهتدوا إلى هذه النعم العظيمة في هذا الظرف الزمانيّ القصير، ظرفِ شهر رمضان، لولا هداية الله، ولولا تشريع الله، ولولا فضل الله، ولولا عطاء الله، ولولا إكرام الله، ولولا إحسان الله...

أكرمكم بهذا الشهر، فعظّموا الذي أكرمكم.

١٠- {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}:وهو تحقيق الشكر لتوظيف النعم لما خُلقت له، حتى نخرج من شهر رمضان وفي نهاية هذه الدورة التدريبية وقد تعلّمنا معنى الشكر.

والشكر: توظيفُ النعمة، وما أكثر نِعم الله علينا أن نوظّفها لما خُلقت له!

فوظفوا المال الذي أعطاكم إياه ربكم تبارك وتعالى لما خُلق له..

ووظفوا العين لما خُلقت له..

ووظفوا اللسان لما خُلق له..

ووظفوا اللباس لما خُلق له..

وقد رأى الصدّيق أبو بكر رضي الله عنه الصديقة عائشة رضي الله عنها مرّة تنظر إلى ثيابها الجديدة وقد أعجبتها، وبدأت تمشي وهي تنظر إلى ثيابها معجبة بها، فقال لها: لا يا عائشة، أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن؟ فتواضعت عائشة رضي الله تعالى عنها.

إنها ملاحظة الأنفاس..

فقوله: "أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن؟" أي: أنت في حالة مُبكية، لأن الله لا ينظر إليك في هذه الثواني وفي هذه الدقيقة.

فهل نراعي نظر الله إلينا في دقائقنا وأنفاسنا؟

هكذا يكون الشكر.

الشكر يكون حينما نعلم لماذا لبسنا هذا الثوب.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يعلم أن زيادة الثوب على الأصابع من المنهيّ عنه، فكان يقول لابنه عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه: "ضع كفك على كفك وهات الشفرة"، ثم يأمره بقطع ما زاد من كم الثوب، ثم يقول له ابن عمر: لو أصلحت ما قطعناه بالمقص، فيقول له: لا، فالأمر أيسر من ذلك، والوقت قصير، والرحلة إلى الله قريبة.

وبقي عمر يُرى في كُمّه ذاك حتى مات، حتى لقد أصبحت الخيوط تخرج من كُمّه، وربما وصلت إلى الأرض، وهو العملاق الطويل.

يا شباب، من هؤلاء؟ أمِن عالم الأرض، أم من عالم السماء؟

من هؤلاء الذين داسوا على زخرف الدنيا ونحن نعبد هذا الزخرف اليوم؟

ما هذا يا أمير المؤمنين يا عمر، يا من أمسكتَ بمفاتيح بيت المقدس وفي ثوبك اثنتا عشر رقعة؟

هكذا يكون الرجال، أما أشباه الرجال فهم الذين يتركون المسجد الأقصى يغتصبه اليهود وهم مشغولون بتزيين الثياب.

سيدنا عمر احتقر الثياب وداس على زخرف الدنيا وكان عبدًا لله وحده، فأمسك بمفاتيح بيت المقدس، ونحن عبدنا زخرف الدنيا وسجدنا للدنيا ونسينا بيت المقدس.

أمثالنا لا يمسك بمفتاح بيت المقدس حتى يظهر النوع الذي ظهر حينما احتقروا الدنيا تلك.

عمر الذي لم يكن يعير الثوب اهتمامًا لم يكن يتعمد ذلك، لكنه أقل من أن يأخذ منه اهتمامًا.

عمر الذي قال له رسول الله: "البس جديدًا، ومت شهيدًا" لكنه لبس الجديد ولم يعره اهتمامًا.

هل سنقبل على شهر رمضان بهذه العناوين الرمضانية؟

هل سنتفاعل مع هذه العناوين الرمضانية؟

هل سيظهر القرآن فينا تلاوةً وفهمًا وسلوكًا وخُلُقًا؟

هل سنكون في هذا الشهر متدرّبين على الدعوة؟

هل سنملك التبيين بالفهم واللغة؟

هل سنتعلم الفرقانَ الأحكامَ التي نفرّق فيها بين الحقّ والباطل؟

هل سنرتقي إلى العبادة الروحانية، وهل سنفهم أن الروحانية أسبابها كثيرة؟

هل سنتعلم مقاصد الشريعة في تيسير الحياة على الناس؟

هل سنجتهد لنتعلم مفهوم الضبط في الزمان والمكان؟

هل سنعيد نسبة الفضل إلى الله وحده في نعمه كلها؟

هل سنحقق الشكر ونحن نوظف النعمة لما خلقت له؟

ها أنتم مقبلون على شهر رمضان، فاجعلوها ورقة عمل في شهر رمضان.

رُدّنا الله إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

الرحمة مطلع رمضان

نبارك لكم أيها الإخوة الأحبة وللأمة الإسلامية جمعاء بقدوم شهر رمضان المبارك، ونحن اليوم في آخر أيام شهر شعبان بحسب معظم البلاد الإسلامية، وفي أول يومٍ من أيام رمضان في بعضها الآخر، وما أروعه من موسم! وما أحلاها من خصوصية تنتظرها الأرواح، وتشتاق إليها القلوب، وتتطهر وتتزكى بها النفوس!

جاء في حديثٍ صحيح صحّحه السيوطي رحمه الله في جامعه الصغير وعزاه إلى ابن أبي الدنيا، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: (أول شهر رمضان رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار).

فما أحلى ظرفًا زمانيًّا يكون عَشْرُه الأول رحمة، وعَشْرُه الثاني مغفرة، وعَشْرُه الثالث عِتقًا من النار!

ونحن في عتبات هذا الشهر العظيم، شهرِ الله، الذي يغفر فيه لعباده، والذي يرحم فيه عباده، والذي يتفضّل فيه على عباده بالعتق من النار، ما أروعِ أن نواكب هذه الخصوصيات!

أما وإننا في عتبات الشهر وأوله، أي في معنى الرحمة، فإنه يحلو الحديث عن الرحمة، وما أحوجنا إلى الرحمة!

وما أحوجنا إلى رحمة الله تبارك وتعالى التي يرحم بها نفوسنا وقلوبنا وأرواحنا وأجسادنا!

وما أحوجنا إلى الرحمة التي تسري فينا ليرحم بعضنا بعضًا!

أما تذكرون حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرحمن، ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»؟

وحينما تتنزّل الرحمة من الله تبارك وتعالى فإنها تعني إكرامًا وإنعامًا، فهي من معاني إكرام الله تبارك وتعالى لعباده وإحسانه إليهم.

وهي باستعدادها وسَعتِها صالحةٌ لاستيعاب الكون كله، فهو سبحانه الذي قال:

{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} أي هي مستعدةٌ وصالحةٌ لاستيعاب الكون كله، لكنه قال سبحانه: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأعراف: ١٥٦]

فالرحمة الواسعة الصالحة لاستيعاب كلِّ المخلوقات، أعطى الله سبحانه وتعالى منها لبعض عباده، وهو القائل سبحانه: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} [العنكبوت: ٢١]

وهو القائل سبحانه: {رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ١٤٧]

وهو القائل: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [العنكبوت: ٢٣]

إذًا: مع كون الرحمة صالحةً لاستيعاب الخَلق كلهم، لكنه سبحانه وتعالى أكرم بها بعض عباده، والإنسان الذي ينال رحمة الله تبارك وتعالى رابحٌ فائز، والذي لا ينال رحمة الله ويفوز بها فهو من الخاسرين.

واقرؤوا قوله تعالى: {فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [البقرة: ٦٤] فبرحمة الله يفوز الإنسان ويربح ويُفلح.

ونحن في أول شهر رمضان، وأولُه رحمة، ووجود الرحمة يتناسب مع إظهار العبد للفرح، فقد كان يفرح بالمادة، لكنه يرى عطاء الله وكرمه ورحمته في موسم الرحمة، فيفرح بالرحمة وهو يتذكّر قوله تبارك وتعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨]

هذا هو عنوانُ أولِ شهر رمضان سلوكيًّا، والعنوان الشعوريّ الذي نُظهره في أول شهر رمضان أننا نحوّل الفرح من الفرح بالمادة المجموعة، إلى الفرح بفضل الله وبرحمته.

{قُلْ} والمُخاطَب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقل لهم حتى يفهموا وحتى يُغيّروا وجهة قلوبهم، وقل لهم مُعلِّمًا، وقل لهم مُرشِدًا..

{بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} فهذا مما يستحق أن يُفرح به.

{هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} فقد كانوا عمرَهم كلَّه يجمعون من المادة ويجمعون ويفرحون بالمادة ويستبشرون.

لكن أهل الإيمان الذي فهموا عن الله سبحانه، وأدركوا موطن الفرح ووجهته، توجّهوا إلى فرحٍ آخر، فرحٍ بفضل الله وبرحمته.

إذًا: إظهار الفرح أيها الإخوة وأنتم تتحركون إلى صلاة التراويح، وأنتم تصومون لله تبارك وتعالى، وأنتم تنفقون من أموالكم في سبيل الله...

والإنفاق لا يتوقف عند الزكاة، فالزكاة فريضة عليك، وعليك أن تخرجها حينما يحول الحول، لكن عندما تُكثر من النفقة في شهر رمضان، وترى توفيق الله تعالى لك بهذا، فافرح وأَظهِر هذا الفرح.

افرح إذا وفّقك للقيام، وافرح إذا وفّقك للتقوى، وافرح إذا وفّقك لاجتناب الملاهي، وافرح إذا جعل ليلك توجُّهًا إليه، وافرح إذا جنّبك أن تكون كما يريد الملحدون وكما يريد المادّيون على فُتات مسلسلاتٍ فضائية بدلاً من أن تتوجّه بقلبك إلى الله سبحانه، وبدلاً من أن توظّف وقتك هذا من أجل أن يكون إقبالاً على الله.

يُشغل الإنسان بالراقصات، ويُشغل بالتُّرَّهات، ويُنتظر قدومُ شهر رمضان من بعض الذين في عقولهم سفه، ليكونوا أمام سفه يقدّم إليهم المفاسد كلها.

أين خصوصية رمضان؟ أين خصوصية الطهارة؟

أتكون ليالي شهر رمضان التي يَغفر الله فيها لعباده، والتي يرحم فيها عباده، ظرفًا للعهر؟!

أتكون ظرفًا للتُّرَّهات؟!

إنه الإشغال في حدّه الأدنى.

وإذا كنا ننظر إلى هذه الظاهرة التي عمّت العالم الإسلاميّ، فإننا نصفها في أقل تقدير بأنها الشاغل عن رمضان، فضلاً عمّا فيها من المنهيات الشرعية والمخالفات، وفضلاً عن أنها تشغل عن ذكر الله، وفضلاً عن أنها تشغل عن قراءة القرآن، وفضلاً عن أنها تشغل توجّه القلب إلى الله...

اجعلوا هذا الظرف الزمانيّ خَلوةً بينكم وبين ربكم.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج في شهر رمضان كله إلى غار حراء يَتَحنّث.

فأين غار حراء يا شباب؟

اجعلوا حياتكم وأنتم بين الناس في غار حراء كما قال الجريري أبو محمد رحمه الله: "العزلةُ أن تدخل الزحام، وألا يزاحموك في سرّك"، بأن يكون سرُّك موصولاً بالله وحده.

اعزموا، قبل أن يدخل الشهر عند المغرب في هذا اليوم، على أن تكونوا في الشهر كله عبادَ الله وحده.

فإذا كنتم في هذه النية يكون لكم رمضان.

وأما إذا كانت العادات في شهر رمضان طاغية على مفهوم العبادة، فإننا نكون قد حُرمنا من شهر رمضان، ومرّت الفرصة التي لا تتكرر في العام إلا مرة واحدة وقد لا تتكرر وقد تموت قبل أن يدركك رمضان القادم.

قال تعالى: {وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢]

وقال سبحانه: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩]

وأنتم في وقت الرحمة، ألا نرجو في وقت الرحمةِ الرحمةَ التي نرجوها في كل وقت؟

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩] فالمصيبة هي في المعرفة، وفي عِلم الإنسان بربه، وحينما يطغى عِلم الإنسان بالمادة على عِلمه بربه تنصرف وجهته، وينتظر فرصة اللهو في رمضان.

أما عبد الله فإنه ينتظر الله في رمضان.

ومن أسباب الرحمة الخاصة كما ينقل إلينا القرآن الكريم:

١- الاستماع للقرآن والإنصات له:

فحتى وأنت تقرأ القرآن استمع له، ولا تتوهم أن معنى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ} أن يقرأه غيرُك، فالقارئ هو الله سواءٌ كنت تاليًا أو كان غيرُك تاليًا، فهو القائل: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨].

فالقارئ هو الله، فاستمع.

فسواءٌ كنتَ أنت تاليًا أو كان غيرُك تاليًا استمع وأنصت إلى الله فإنه يقرأ.

قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ} وهكذا أوردها بصيغة المجهول، حتى يتميّز الذين يعلمون من الذين يجهلون، لأن الجاهل يقول: من يقرأ؟ أما العالِم فإنه يعلم أن الذي يقرأ هو الله.

{فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤] فإذا أردتم الرحمة فاجلسوا بين يدي الله واسمعوا له، واعزموا في شهر رمضان أن تقرؤوا القرآن مرارًا، لا قراءةَ لسان إنما قراءة قلب وروح وعقل وانضباط وامتثال...

وإذا جالست محتَشَمًا فكيف تجلس؟

تذكّر هذا وأنت تجلس لتسمع من الله، فإن أنت فعلت هذا ستكون داخلاً في الرحمة.

٢- وقال سبحانه: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} [التوبة: ٦١]

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمةٌ للذين آمنوا منكم، كونَه صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين، لأنه حمل الرحمة للعالَم، لكن الرحمة التي للذين آمنوا هي رحمة خاصة.

وكما أخبرَنا سبحانه وتعالى أننا بالقرآن نُرحم، فبمحمد صلى الله عليه وسلم نُرحم.

تذكّر هذا وأنت في كل صلاة تقول وأنت في تشهّدك: (السلام عليك أيها النبيّ)، فأنت تجلس بين يدي الله، وتجلس بين يدي محمد صلى الله عليه وسلم تُسلّم عليه وتستمطر بسلامك الرحمة: {وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا}

فالقرآن حين تستمع له وتنصت هو سبب رحمة، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم حينما تفنى في حبه وتستغرق في معناه هو سبب رحمة لك، وأيُّ رحمة.

٣- وقال سبحانه: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]

ادخل في الإحسان ظاهرًا وباطنًا، سلوكًا وقولاً وحالاً.

فالقرآن سبب رحمة، ومحمد صلى الله عليه وسلم سبب رحمة، والإحسان بمعناه الذي شرحه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، هو سبب رحمة.

٤- والطاعة لله سبحانه وتعالى ورسوله: والامتثالُ لأمره والاجتنابُ للمخالفات، سببُ رحمة، قال سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: ١٣٢].

وكيف تسمح لنفسك أن ترتكب مخالفةً في وقت الرحمات؟

انضبط واستمع من الله ورسوله.

٥- وقال سبحانه وتعالى:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} [التوبة: ٧١]

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}

التفت إلى أُسرتك وأمُرها بالمعروف وأمرها بالطاعة وجنّبها المنكرات.

مر أصحابك وجنبهم المنكرات، وكن إمامهم بالتقوى.

{وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ} وإقامةُ الصلاة أن توجَد صورتها مع روحها، وأن تقف بين يدي الله في القيام وأنت موصول به لا بالدنيا، فإذا دخلت في الصلاة فاقطع عن قلبك علائق الأغيار.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} فإذا كنت ممن يُقصّر في إيتاء الزكاة فتدارك نفسك.

واليومَ في مدينة حلب وحدها لو أُخرجت فقط زكاة الأراضي المُعدّة للبيع لكفى ما يخرج من زكاتها فقراءَ سورية.

وهناك بعض من يستند إلى فتاوى لا صلة لها بالواقع، وقد أصدرت دائرة الإفتاء في حلب فتوى بأن إخراج الزكاة على كل الممتلكات (بما فيها الأرض التي هي مُعدّة لبيع) واجبٌ على المسلم في كل سنة، حتى لا يلتفت الإنسان إلى أقاويل قد يقولها له زيد أو عمرو.

فلو أُخرجت زكاة الأراضي في مدينة حلب لكفى ما يخرج من زكاتها فقراء سورية، فكيف لو أُخرجت زكاة الأرض في بلاد الشام كلها؟ وكيف لو أُخرجت في عالمنا الإسلاميّ؟

نحن أمة أعطاها الله سبحانه مقومات نهضتها، فأعرضت عن تلك المقومات.

نحن أمةٌ في تشريعنا النظريّ ما يضمن حضارتنا، لكننا اليوم نُعرض عن مفردات تشريعنا ونتعلّل، ويكذب علينا الكذّابون، ويبحث بعضُ من لا دين له عمن يُنجده بفتوى يترك بسببها الزكاة.

ثم قال: {وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} من غير تردّد.

واختصر الصّدّيق رضي الله عنه الأمر حينما سُئل عن قولة قالها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن كان قال فقد صدق"، وانتهت القضية.

وأعجَبُ من الذين يُناقشون بعض الجزئيات مع ثبوت فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، ومع ثبوت توجيهه إليها، لكنها الأهواءُ عمّتْ فأعمتِ.

ونهج سبيل واضح لمن اهتدى

ولكنها الأهواء عمّت فأعمتِ

ثم قال: {أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} [التوبة: ٧١]

٦- وقال سبحانه: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦]

اجعلوا باب رمضان باب التوبة، وتوبوا إلى الله من كل الذنوب.

"كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبٌ صُوَرُ الأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةٌ في مِرآتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إلى اللهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بشَهَواتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ اللهِ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرُ مِنْ جَنَابَةِ غَفَلاتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَرْجُوْ أَنْ يَفْهَمَ دَقَائِقَ الأَسْرَارِ وَهُوَ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَفَواتِهِ؟"، وهذه من أسباب الرحمة.

ومن أسباب الرحمة أيضًا:

٧- انتفاء الخلاف بين الإخوان: فلا تترك بينك وبين أحد قطيعة حتى تدخل في الرحمة، لأن الله سبحانه إذا رحم عباده ونظر إليهم بالرحمة والعطاء والمغفرة لم ينظر إلى مُشاحن ولا إلى قاطع رحم.

واقرؤوا قوله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} واشعروا بهذه الرابطة، ولنشعر جميعًا بهذه الرابطة، رابطةِ الإيمان، التي هي أقدس رابطة.

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} فلابد أن تكون هناك شحناء، وهذا طبعٌ بشريّ وهذا لابد منه، فلابد أن يوجد الاختلاف، وهاهنا يتدخّل أهل الإصلاح وأهل التربية والدُعاة، من أجل أن يحذفوا هذا الاختلاف بالإصلاح.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} في هذا الإصلاح، لأنه سبحانه وتعالى لا يرضى أن تتركوا الاختلاف.

{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠] بإصلاحكم هذا، وبانتفاء اختلافكم.

لعلنا نكمل مبحث الرحمة في رمضان فيما يأتي إن شاء الله، فالرحمة في رمضان مبحث مُطوَّل يستغرق وقتًا، لكنني أحببت في مبتدى شهر الرحمة وفي ظرف الرحمة أن أتحدث ولو عن جزءٍ من هذا المبحث.

رُدّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله

نتائج الرحمة

جاء في الحديث عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

(أول شهر رمضان رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار).

وما نزال في عشرِ رمضان الأول عشرِ الرحمة، وقد تحدّثتُ في الأسبوع الماضي عن أسباب الرحمة، وقبل أن نودّع عشر الرحمة نجول في نتائجها، لأن الحديث عن نتائج الرحمة تجعل الإنسان متسائلاً وهو يجوز عشر الرحمة: هل حصّلت شيئًا من نتائج هذه الرحمة؟

وليس لنا في مثل هذا الموضوع أن نخترع اختراعًا، ولا أن نغرف من آراء عقولنا ما يحلو لنا، إنما علينا أن نغوص في بحر القرآن لنستخرج بعض الدُّرَر التي تفيدنا وتنفعنا وتوجهنا، فالرحمة ليست صناعة بشرية، فقد تكون آثارها في البشرية، لكن تنزّل الرحمة إنما هو فعل من أفعال الله.

واستخرجت لكم من الكتاب المنير عشر نتائج:

١ – الانعتاق من هيمنة النفس الأمّارة: ونستفيد هذا العنوان من قوله تبارك وتعالى:

{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ} [يوسف:٥٣] فإذا تنزّلت الرحمة على القلوب انعتق الإنسان من عبوديته لنفسه وهواه.

ومع الأسف الشديد فإن قلوب الناس غالبًا ما تشتغل في شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار بالمادة والأشياء، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا الشهر فرصة عظيمة حتى يتحرّر هذا الإنسان إلى العبودية لله سبحانه وتعالى وحده.

إذًا: تمضي الأيام الأولى من رمضان وينبغي أن نسأل فيها أنفسنا عن نتيجتها: هل حصلت فينا أم لا؟

عشرة أيام يصوم فيها الإنسان ويقوم، ويقرأ القرآن، ويدرّب نفسه على الطاعة ويجنبها المعصية... هي كفيلة عند أهل الفهم عن الله لأن تعتق نفسه من رقّ الأشياء.

فإذا كان الإنسان في هذا العشر ممن إذا أمرته نفسه بالسوء خالفها وزجرها فإنه حصّل النتيجة الأولى وهي الانعتاق من هيمنة النفس الأمارة.

٢- الانعتاق من سلطان الشيطان: ونستفيد هذا العنوان من قوله تبارك وتعالى:

{وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: ٨٢]

والسلوك في طريق الشيطان هو اتباعه، وطريقُ الشيطان عنوانُه مخالفةُ الله تبارك وتعالى ومخالفة أمره، والـ: "أنا" والكبر والعجب... {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} [ص: ٧٦].

فإذا رأى الإنسان نفسه في هذا العشر متواضعًا وطائعًا فقد حصّل النتيجة الثانية.

٣- المفاصلة مع أهل الضلال: ونستفيد هذا العنوان من قوله تبارك وتعالى:

{وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ} [النساء: ١٣] فأفهمنا الله سبحانه وتعالى أنه برحمته يجنّب عباده وأصفياءه وأولياءه إضلال الضالّين.

وفرِّقوا بين المجاملة العابرة والركونِ الذي يتضمن المحبة والميل.

فإذا وجد الإنسان نفسه تميل إلى أهل الضلال وتركن إليهم فليعلم أنه محروم من هذه النتيجة.

{ولا ترْكَنُوا إلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ} [هود: ١١٣].

وإذا وجد أن قلبه لا يأنس إلا بأهل الله وأهل الإيمان، ويحبّ لله ويبغض لله، عندها يستبشر بهذه النتيجة.

٤- النجاة من العذاب الدنيوي: فالله سبحانه وتعالى يُنزل بسبب الذنوب أنواع الاضطراب الذي يحيط بالإنسان من فوقه أو من تحته، فيجد الإنسان الكون معاديًا له.

ونستفيد هذا العنوان من آيتين في القرآن هما قوله سبحانه وتعالى:

{وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [هود: ٥٨]

وقوله سبحانه: {وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا} [هود: ٦٦]

فالأشياء تنفعل للطائعين، لأن الله سبحانه وتعالى سخّر الأرض والسماء للإنسان، فإذا عصى اللهَ يعصيه كلُّ شيء، وفرِّقوا بين الكون بأسره وبني البشر، لأن الكون بأسره منفعل اضطرارًا لا اختيارًا، وأما بنو البشر فإنهم بالتكليف أصحاب اختيار.

لكن ما يأتيك من الإيذاء من بني البشر قد يكون رحمة، وحينما تكون طائعًا لله فالكون يكون مسخَّرًا لك.

لا تلتفت إلى بني البشر لأن إيذاءهم يصيب بدنك ولا يصيب قلبك، أما إحسانهم فقد يصيب قلبك، فلا تلتفت إليهم، ووجِّه قلبك إلى الله.

٥- أن يكرمك الله سبحانه وتعالى بأخٍ صادق مُعين لك في الحقّ: ونستفيد هذا العنوان من قوله تعالى:

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} [مريم: ٥٣]

فالأخوّة الصادقة التي ليس فيها نفاق ولا مداهنة ولا كذب ولا التواء ولا خداع... رحمةٌ عظيمة من الله.

والذي يفرح بالمداهنين من حوله خفيف العقل، والذي يفرح بالصادقين من حوله الذين يحملون إليه النصيحة الصادقة هو العاقل ...، وكان عمر رضي الله عنه يفرح إذا أُهديت إليه عيوبُه، فكان يقول رحمه الله: "رحم الله امرَأً أهدى إليّ عيوبي".

أما الذين يداهنون وينافقون من أجل إدخال السرور على قلب شخصٍ ما فإنهم (ومَن فرح بفنائهم) سُذّج، وأقلُّ ما يقال فيهم أنهم بُله، فالدنيا ممرّ، وما نَفَعَ في المقرّ خيرٌ مما أمتَعَ في الممرّ.

٦- الأخلاق اللطيفة: فإذا وجدتَ أنك في نتيجة هذا العشر عشرِ الرحمة قد تلطفَتْ أخلاقك وتنوَّرت أوصافك، فاعلم أنك من أهل النتائج الخيّرة، نتائجِ الرحمة.

ونستفيد هذا العنوان من قوله تبارك وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ} [آل عمران: ١٥٩]

فإذا تنزَّلت الرحمة على قلبك ظهر ذلك لِينًا في أخلاقك.

٧- التراحم بين أهل الإيمان: ونستفيد هذا العنوان من قوله تعالى:

{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩] فإذا أشرقت رحمة الله تبارك وتعالى من السماء على الأرض ظهر أثرها في السلوك الإيمانيّ بين أهل الإيمان وظهر التراحم.

(الراحمون يرحمهم الرحمن).

وثمة صلةٌ بين الرحمة المتنزّلة وأثرِها بين أهل الإيمان، ولو كان مجتمعُنا مجتمعَ إيمانٍ لرأينا في أسواقنا نتائج الرحمة، ولرأينا في صناعاتنا نتائج الرحمة ولرأينا بمناسبة حلول شهر رمضان انخفاض شديد بالأسعار، بحيث يبيع الناس بما يقترب من رأس المال من باب الرحمة، فيبيعون صناعاتهم بما يقترب من رأس المال من باب الرحمة، ولكنّا رأينا أن الإنسان يبحث عن نفع أخيه، ويبحث عما يصلح أخاه.

٨- استقرار المجتمع بعيدًا عن أذى العدو: ونستفيد هذا العنوان من قوله تبارك وتعالى وهو يحكي عن ذي القرنين بعدما بنى السدّ الذي منع يأجوج ومأجوج من شنّ الغارات على الذين بنى السد لهم، إذ قال لهم ذو القرنين: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: ٩٨] فتسليط العدو عذاب، وكفُّ أيدي العدوّ رحمة.

٩- الكفاية المالية: ونستفيد هذا العنوان من قوله تعالى:

{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} [الكهف: ٨٢]

فلا تتوهموا أن الأسباب ترزقنا وأنها تمنحنا الكفاية المالية، فالرزاق واحد هو الله.

{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: ٧٨-٨٠]

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: ١٦]

فمتى يستقر اليقين في قلوبنا بأن الرزاق هو الله؟

عندها لا نُرخِص نفوسَنا للخلق..

وعندها لا نذلّ إلا لله..

وعندها نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا..

١٠- فهم القلب لأسرار القرآن وحقائقه: فإذا قرأت القرآن فوجدت قلبك واعيًا فاهمًا لمعانيه وحقائقه، فاعلم أن نتيجة الرحمة قد ظهرت فيك، قال تبارك وتعالى:

{وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢]

وهذه الرحمة إذا دخلت إلى القلب شُفي القلب من أمراضه، وأمراضُ القلب ترجع إلى التفاته إلى غير ربّه، قال تعالى: {يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وقال في حق أهل النفاق: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة: ١٠].

فالشفاء الذي ينزله الله سبحانه في القرآن هو شفاءٌ للقلوب، وحينما تتنزل الرحمة إلى القلوب تشفى هذه القلوب من أمراضها وتعود إلى فطرتها وتتوجّه إلى التوحيد، وعندما تنشغل بالمحسوس يصيبها المرض:

{فيْ قلوبهمْ مرضٌ} لأنهم يلتفتون إلى المحسوس، ويتّكلون عليه، ويعتمدون عليه.

{فزادهمُ اللهُ مرضَا} فالذي يتكل على الحلسوس لا يشبع من المحسوس.

والمحسوس مثله كماء البحر كلما شربتَ منه ازدتَّ عطشًا:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على

حبّ الرَّضاع وإن تفطمه ينفطمِ

فشفاء قلب المؤمن بالقرآن، وعندما يخرج هذا القلب عن التفاته إلى الأشياء فلا يتوجه إلا إلى الله، ولا يعنيه إلا الله، ولا يشغله إلا الله... فإذا وصل هذا القلب إلى هذا الحال كان سليمًا من الأمراض.

وإذا كان هذا القلب يضطرب بصورة المحسوس فإن هذه النتيجة لم تصل إليه بعد.

اللهم سلّمنا لرمضان، وسلّم رمضان لنا، وتسلّمه منا متقبلاً، واجعلنا يا ربنا فيه من المرحومين، ومن أهل المغفرة والعتق من النار.

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

أسباب المغفرة

ها نحن نتوسط هذا الشهر المبارك، شهرَ الكرم، وشهرَ العطايا، وشهرَ الإحسان، وشهرَ الرحمة، وشهرَ المغفرة، وشهرَ العتق من النار...

وفي أوائل شهر رمضان كنا نجول في معاني الرحمة وفي أسبابها ونتائجها، إذ أولُ رمضان –كما أَخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم – رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، والظرف الزمانيّ يسوقنا من الحديث عن الرحمة إلى الحديث عن المغفرة، وحينما نتحدث عن الرحمة والمغفرة فإن هذا لا يعني الانفصال بينهما، فالرحمة والمغفرة ذُكرَتا معًا كثيرًا في كتاب الله تبارك وتعالى.

والمولى سبحانه وتعالى يَتقرَّب إلينا أكثر مما نَتقرَّب إليه، ويحبّ توبتنا ورجوعنا إليه، ويحبّ أن يغفر لنا.

أما تذكرون ذلك الحديث الذي نطقت به شفتا أكرمِ خلق الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى)؟

فالرحمة والمغفرة تنهمران وتفيضان، اللهمّ إلا من أبى.

نعم، قرر القرآن الكريم حقيقة دعوةِ الله تبارك وتعالى عبادَه إلى المغفرة بقوله:

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [إبراهيم: ١٠]

إنه سبحانه وتعالى المليكُ العظيم، الذي يدعو عبادَه المخلوقين المملوكين ليغفر لهم.

فما أكرمك يا الله!

نحن الضعفاء والمملوكون لك، وأنت تدعونا لتغفر لنا؟!

إنه لأمرٌ مُذهِل يزلزل القلوب التي تعرف عظمة الخالق تبارك وتعالى، والتي تشهد جلال الله.

واقرؤوا قوله سبحانه: {وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٢١]

وإذنُه لا يكون إلا في طريق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويستطيع الإنسان أن يتعرّف إليه من خلال سيرةِ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وحياتِه.

وقال سبحانه: {وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً} [البقرة: ٢٦٨]

وقال أيضًا: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: ١٣٣]

فكأنه يبسط لنا موائد المغفرة، ثم هو بعد ذلك يقول: سارعوا إليها.

وقال: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الحديد: ٢١]

وهكذا فإن الدعوة إلى المغفرة مفتوحة في كل وقت، لكنها آكدُ في هذا الظرف، ظرفِ الرحمة والمغفرة.

وقلت: إن الرحمة والمغفرة تنهمران إلا عند وجود الموانع التي تمسك بهما، فحينما يمسك الإنسان بالموانع فإنه يقول للمغفرة: لا أريدك.

وموانع المغفرة أربعة:

١- أكل الأموال المُحرَّمة: فإذا اعتاد الإنسان أن يأكل المال الحرام فإن هذا يمنع المغفرة، واقرؤوا قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} [الأعراف: ١٦٩] أي: يأكلون المال الحرام ويقولون متمنّين: "سيُغفر لنا"، والأمنية هي الرجاء الذي لا يقترن بعمل، إنما هي رغبة وشهوة تتناقض مع السلوك.

٢- النفاق: أي: حينما يكون ظاهرُ الإنسان إسلاميًّا، ويكون باطنُه ظلمانيًّا مُحارِبًا لله ورسوله، فيكون ظاهرُه برّاقًا بالإقبال على الإسلام، ويكون باطنُه إعراضًا عن الله ورسوله.

واقرؤوا قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٨٠]

ونزلت هذه الآيات عندما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين، فبيّن الله سبحانه وتعالى أن النفاق يمنع المغفرة.

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم نال رضوان الله تبارك وتعالى بذلك الاستغفار، وأدّى طاعة الله سبحانه، ولكن الله تبارك وتعالى بيّن أن المغفرة لن تصل إلى ذلك المنافق، لأنه محارب لله ورسوله.

٣- الشرك بالله: قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]

٤- الرِّدّة عن الإسلام والكفرُ بالله: واقرؤوا قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً} [النساء: ١٣٧]

فإذا تجاوز الإنسان موانع المغفرة فما عليه إلا أن يبحث عن أسبابها التي تقرّبه من المغفرة، وأسبابُ المغفرة مذكورة في كتاب الله تبارك وتعالى، وسوف أذكر لكم منها عشرة:

١- الاستغفار: واقرؤوا قوله تعالى:

{وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء: ١١٠]

وقال: {وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ} أي: يا ربنا حُطَّ عنا ذنوبنا، وأزِلْ عنا ذنوبنا، {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [البقر: ٥٨]

وقال سبحانه: {وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ} [الأعراف: ١٦١]

وقال: {وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: ١٩٩]

وقال أيضًا: {وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء: ١٠٦]

وقال: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٧]

كلُّ هذا إنما هو من الأسباب المقرِّبة للمغفرة، وذلك حينما يُكثر الإنسان من الاستغفار ويغتنم بذلك خصوصية الزمان، ففي وسط شهر رمضان خصوصيةٌ للاستغفار، فأكثروا في وسطه من الاستغفار، فهو ظرف زمانيّ للاستغفار، لاسيما في الأسحار، وعندما توجد خصوصية أخرى تكون الخصوصية مع الخصوصية.

٢- الإيمان: فعندما يتعمّر القلب بالإيمان فإن هذا يكون من أسباب المغفرة، وعندما نتحدث عن الإيمان وأسبابه فإن هذا الحديث هو للإنسان المكلَّف.

فإذا قال الله سبحانه: "آمِنُوا" فمعناه: خذوا بالأسباب التي تجعل قلوبكم أكثر إيمانًا وأقرب يقينًا.

قال سبحانه: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا} أي: أخذنا بالسبب الأقوى الذي هو الإيمان، {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٦]

وقال سبحانه: {إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا} [طه: ٧٣]

وقال: {إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٥١]

وكلُّ هذه الآيات مؤكّدة لهذا المعنى، وهو أن الإيمان من أسباب المغفرة، بل ومن أعظم أسبابها.

٣- فعل الطاعات: واقرؤوا قوله تعالى: {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} فأخذوا بسبب من أسباب المغفرة ثم طلبوا تلك المغفرة فقالوا: {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥] فما طلبوا المغفرة إلا بعد أن سمعوا وأطاعوا، أي بعد فعلهم لطاعة الله تبارك وتعالى.

٤- ترك المخالفات الشرعية: وكما نتحدث عن الفعل نتحدث عن الترك، فالله سبحانه وتعالى كلّفنا بفعلٍ وكلّفنا بترك، والصيام تركٌ كما نعلم، ونتيجةُ التركِ الجزئيّ تركٌ عامّ، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} وهذا التركُ الجزئيّ هو من أجل الترك العامّ: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]

فالتقوى هي الترك العامّ لكل المخالفات الشرعية.

وأجمَلَ اللهُ سبحانه وتعالى كلَّ الأفعال التي يتقرّب بها الإنسان إلى الله بمصطلح البر، وأجمَلَ كلَّ التروك بمصطلح التقوى، ثم قال: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢] أي: وتعاونوا على الفعل والترك، حتى تكونوا على الصراط المستقيم الذي أمركم الله تبارك وتعالى به.

فالحديث عن الترك، وأن هذا الترك سببٌ من أسباب المغفرة نقرؤه في قوله تعالى:

{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الأنفال: ٢٩]

فالتقوى التي هي ترك المخالفات الشرعية سببٌ من أسباب مغفرة الله تبارك وتعالى.

وقال سبحانه: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} أي: التاركون للمنهيات.

{فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} [محمد: ١٥]

٥- الذكر: لأن ذِكر الله يمحو عن القلب الغفلة، فإذا محيت الغفلة عن القلب، وكان الإنسان في حضرة ربه حاضرَ القلب، ولم يكن قلبه غافلاً عن جلال الله وهيبته، فإن هذا الحضورَ المعبَّرَ عنه بالذكر هو سبب من أسباب المغفرة.

واقرؤوا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ} [آل عمران: ١٣٥]

فإنهم بعد وقوعهم في التلطُّخ والتلوّث بالمخالفات، اعترى قلوبهم ما يعتري قلوب الصالحين من الخشية والهيبة لجلال الله تبارك وتعالى وعظمتِه، وعند ذلك طلبوا من الله المغفرة فغفر لهم.

٦- اتباع القرآن، والخشية التي تَنتج عن الانفعال لهذا القرآن:

واقرؤوا قوله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} أي اتبع القرآن، {وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ} وهذا هو الانفعال لما قرأ في الكتاب المنير، {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس: ١١]

واقرؤوا قوله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: ١٢]

٧- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

فالمؤمن لا يستطيع الانفكاك في حال من الأحوال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإننا ونحن نصلّي في الفريضة خمس مرات نقول: السلام عليك أيها النبي، بصيغة المخاطَب.

فلا يقول أحد: (السلام على النبي)، أو (السلام عليه)، إنما يخاطبه بكاف الخطاب: (السلام عليك أيها النبي)، وهكذا تكون صلة المؤمن مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا يستحضر النورانية المحمدية في كل أحواله، وهذا الاستحضار للنورانية المحمّدية هو من أسباب المغفرة، وإنما هو مُسرِّعٌ ومُقرِّب، لأنه مع الوسيلة العظمى سيدِنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ربنا تبارك وتعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} [النساء: ٦٤]

ولا يعني: "جَآؤُوكَ" أي: إلى المدينة المنورة كما يفهم بعض الناس، إنما هي معنىً مستمر لا ينفك عن كل مؤمن في كل مكان وزمان، فقد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم ونورُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عامّ.

وأعجَبُ من الذين يحصرون أنفسهم في بقعةٍ ويتوهمون أن نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحصر فيها، والنصُّ القرآنيّ صريحٌ يقول الله سبحانه وتعالى فيه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]

والرحمة معنىً نورانيٌّ عامّ، فإذا كانت الرحمة النورانية – وهي محمد صلى الله عليه وسلم – تعمُّ العالَم كله، فكيف تنحصر هذه الرحمة في بقعة من الأرض؟! هذا لا يكون أبدًا.

والله سبحانه قال: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥] وأهل التفسير من العلماء على أن معنى النور هنا: محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

وقال الله سبحانه لحبيبه صلى الله عليه وسلم:

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} {محمد: ١٩]

وقال سبحانه وتعالى وهو يدل أهل الإيمان على مقام الأدب مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٣] إذًا: أهل الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يكونون في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكون هذا من أسباب المغفرة لهم.

وقال سبحانه وتعالى وهو يدلُّنا على سبب المغفرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي} أي: فلتكن أنظارُكم معلّقةً بي ولترقُّب حركاتي وسكناتي، ولتكن قلوبُكم ملاحظة لأحوالي وأخلاقي، وعندها: {يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١] لأن هذا المؤمن الذي تعلّق نظر بصره وبصيرته بمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه يعرّض نفسه لسبب المغفرة.

وقال ربنا سبحانه وتعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} وداعي الله هو سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم، {وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١]

٨- أن يغفر بعضنا لبعض: فإذا سَرَت هذه الأخلاق فينا يكون ذلك سببًا من الأسباب المقربة لنا إلى المغفرة.

واقرؤوا قوله سبحانه: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢]

أي بِصَفْحِكم.

فإذا رأى ربنا تبارك وتعالى أهل الإيمان يغفر بعضهم لبعض، ويصفح بعضهم عن بعض، ويعفو بعضهم عن بعض... فإن هذا من أسباب المغفرة.

لن تكون الأكرم من ربك، فإذا غفرتَ فإنه سبحانه يغفر لك، وإذا عفوت فإنه تبارك وتعالى يعفو عنك، وإذا صفحت فإنه سبحانه وتعالى يصفح عنك..

واقرؤوا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: ٣٧]

واقرؤوا قوله تعالى أيضًا: {وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن: ١٤]

٩- الإنفاق:

أَخرِج ما في الجيب أيها المؤمن، يأتِك ما في الغيب..

إياك أن تكون ممن يمسك الأموال..

أنفقْ يُنفَقْ عليك..

واقرؤوا في الكتاب المنير قوله تعالى:

{إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} أي: بالإنفاق في سبيل الله تبارك وتعالى، {يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧]

١٠- أن تُشرِك والديك والمؤمنين بالدعاء وأنت تستغفر في حضرة الله:

فلا تجعل استغفارك فرديًّا، بل أشرِك في دعائك أهل الإيمان.

واقرؤوا قوله تعالى: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [ابراهيم: ٤١]

فأنت بهذا الدعاء تنال المغفرة.

ليس من شأنك أن يُغفرَ لهما أو لا يُغفر، إنما شأنك أن تطلب من الله سبحانه أن يغفر لهما ويصفح عنهما، فإنك بهذا الدعاء تنال المغفرة أنت، أما النتائج فإنها لله سبحانه وتعالى، وإنما هذا الإشراك في الدعاء يدل على الخروج عن حس الأنانية وعن الفردية التي لا تتناسب مع مقام الإيمان.

وجَمَع كل ما تقدّم من أسباب المغفرة بقوله تبارك وتعالى:

{وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٩]

اللهم إنا نسألك في هذه الساعة المباركة أن تجعلنا ممن تغفر لهم وترحمهم.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا في وسط شهر رمضان ممن غَفَرت لهم، ورَحِمتَهم، وأكرمتَهم، ووهبتَهم ما تهبه لأحبابك وأوليائك وأصفيائك.

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

البيوت المرفوعة

كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، وما ترك هذا الاعتكاف حتى قُبِض صلى الله عليه وسلم، فكان الاعتكاف من آكد السنن وأدومها في حياته الشريفة صلى الله عليه وسلم.

وحينما يُقبل أهل الإيمان على هذه السنة الشريفة المنيفة، يستشعرون فيما يستشعرون أُلفةً خاصة ببيت الله، فالاعتكاف فيه من الخيرات والبركات ما لا يعلمه إلا الله، ففيه تكثر المناجاة، وفيه يسمع العبد كلام ربه، وفيه تقل الذنوب وتختفي العيوب، وفيه يخرج الإنسان عن نفسه، ويتعلم الصدق والإخلاص في حضرة ربّه...

لكن الذي أحببت أن أقف في معناه من ثمرات هذا الاعتكاف المسنون عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الألفة التي يجدها أهل الإيمان مع بيت الله، فقد اعتاد الإنسان في حياته ألفة البيت الذي يسكنه مع أهله، لكنه في سنة الاعتكاف القصيرة هذه التي لا تتجاوز العشرة أيام يجد قلبه معلقًا بالمسجد، ويتمنى أن يقضي فيه عمره، مع أن الله سبحانه وتعالى كلَّفه أن يخرج بعد انقضاء المدة ليكون مصدر السعي المبارك في الأرض.

وتعلُّقُ القلب بالمسجد الذي هو بيت الله سببٌ من أسباب الظلّ الذي يجده أهل الإيمان يوم القيامة تحت عرش الرحمن، فلما عدّ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الأنواع السبعة التي يظلّلها الرحمن في ظلّ عرشه عدّ فيها رجلاً قلبُه معلَّقٌ بالمساجد، فكيف والحالُ أن هذه السُنَّة الكريمة تسوق المعتكف ليكون من أنواع متعددة من تلك التي عدّها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في المظلّلين تحت عرش الرحمن؟

أليس هو الذي يذكر الله خاليًا فتفيض عيناه؟

أليس هو الشاب الذي نشأ في عبادة الله؟

أليسا الرجلين الذَين تحابّا في الله واجتمعا عليه؟

وهو الذي قلبُه تعلّق ببيت الله المسجد؟

ولربما كان من الذين أخرج صدقة فما علمت شماله ما تنفق يمينه.

فيكون الخمسة من السبعة الذين ذكرهم إمامنا ومولانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حاكيًا عن ذلك اليوم الذي تشتد فيه الأهوال، ويغوص الناس فيه في العرق حتى يكاد يلجمهم.

والألفة التي يجدها قلب المؤمن مع بيت الله تسوقنا إلى آياتٍ نقرؤها في كتاب الله تبارك وتعالى في سورة النور يقول الله سبحانه وتعالى فيها:

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: ٣٥- ٣٨].

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن الله سبحانه وتعالى يجعل مَثَلَ نوره في بيوته، لأنه سبحانه وتعالى قال:

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وبدأ يتحدث عن مَثَلِ نوره الذي هو المشكاة التي فيها المصباح، والمصباح في زجاجة، وما كاد يشرح هذا المثل حتى انتقل بعدها مباشرة إلى واقع وجوده على الأرض.

فإذا أردت أن تشهد مثل نور الله فادخل إلى بيت الله لتجد مثل نور الله في بيت الله، وأفضل البقاع في الأرض المساجد، وشرُّ البقاع في الأرض الأسواق.

فبيت الله مشكاة، والمؤمن فيها مصباح، والمصباح في المؤمن ذكر الله، والزجاجةُ هي المؤمنُ في بيت الله لأنه في المسجد بروحه لا بجسده، فلم يدخل هذا البيت المبارك بمجرّد جسده كما يفعل المنافقون، لكنه دخل إلى بيت الله بروحه التي عبر عنها بالزجاجة، فالمصباحُ في هذه الزجاجة الدرّية ذكرُ الله.

إذًا:

الرجال هم تلك الزجاجة.

والبيوت هي تلك المشكاة.

والتسبيح في قلوب الرجال بالغدو والآصال هو المصباح المضيء.

فإذا أردت أن ترى مَثَلَ نور الله فادخل إلى بيت الله، وابحث فيه عن الزجاجة التي فيها مصباح متوقِّد يُوقَد من شجرة التوحيد التي أشار إليها في موضع آخر عندما قال:

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤].

إنها شجرة التوحيد التي تنبعث من كلمة "لا إله إلا الله" التي أصلها في القلب.

وهكذا يستمد القلب من الشجرة، وحينما يستمدّ القلب من الشجرة يستمدّ من إمداد الله.

فإذا كان مَثَلُ نور الله في بيت الله، وإذا كان المؤمن يجد الألفة مع مَثَلِ نور الله وهو في بيت الله، وإذا كان الله تبارك تعالى قد أكرم هذا المؤمن وأذاقه معنى مَثَلِ نوره في هذه الأيام العشرة... فإن ذلك يربط الإنسان بالعام كله حتى يستصحب هذا المثل، لتكون علاقته ببيت الله علاقةً مستمرة دائمة، فإذا خرج من هذا الاعتكاف خرج وقلبُه معلَّقٌ ببيت الله.

وسمي بيت الله المسجد لأن المؤمن يسجد فيه لله وحده، فالأرض كلُّها مسجد، لكن الخصوصية تزداد في بيت الله، لأن هذا البيت المطهَّر لا يعتاد المؤمن فيه المعصية بل يُقبل فيه على الطاعة.

فإذا أراد أن يخرج في آخر هذا الشهر، وإذا أراد الصائمون الذين حُرموا من بركة الاعتكاف، استصحاب هذا المثل، فما عليهم إلا أن يلاحظوا هذه المعاني الثلاثة: المشكاة، الزجاجة، المصباح.

فكلما ضعف النور في قلبك أُدخل في المشكاة، وادخل في بيت الله، وحتى تكون أنت الزجاجة أوقِد في قلبك الحضورَ مع الله في ذكرك، واذكر ربك في قلبك، واذكر ربك في نفسك معظمًا، ومجلاًّ هائبًا، وراجيًا خائفًا... وستجد أن المصباح يشرق في قلبك، وستجد أنك الطاهر، وستجد أنك قد تحولت إلى زجاجة أو كوكبٍ دُرِّيّ...

إننا بحاجة إلى هذه النماذج خارج المسجد كما أننا بحاجة إليها في المسجد، فهي تُصنع في المسجد لكنها تضيء للناس خارج المسجد.

كان المسجد النبويُّ منطلقَ الحياة في زمن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد كان يضيء للحياة، وكانت الحياة تستمد أسرارها وأنوارها من المسجد، فإذا أراد المؤمن أن يعيد هذا في حياته ومجتمعه فما عليه إلا أن يتذكر هذا المثلَ لنور الله، وما عليه إلا أن يسأل نفسه:

هل أنا الزجاجة؟

هل أنا الكوكب الدرّيّ الذي يشرق بأنوار الله أم أن الذنوب قد أغلقت هذه الزجاجة حتى لم يعد يشرق منها هذا النور؟

فإذا سأل المؤمن نفسه هذا السؤال راقب قلبه، وراقب سلوكه، وراقب استمداده، وراقب إشراقه وتأثيره في الآخرين... لأنه كوكب دُرِّيٌّ يضيء لغيره.

اللهم لا تخرجنا من شهر رمضان إلا وقد غفرت ذنوبنا، وسترت عيوبنا، وفرّجت كروبنا، وقبلتنا في أوليائك وأصفيائك وأحبابك.

يا الله تقبل منا واقبلنا واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

خطبة عيد الفطر

حمدَك اللهمّ لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

نحمدك وقد وفقتنا لصيام هذا الشهر العظيم، الذي ودَّعَنا وودَّعْناه.

نحمدك وقد وفّقتنا للوقوف بين يديك في قيامه.

نحمدك يا ربنا ونعظّمك ونكبّرك وأنت الذي هديتنا بالقرآن.

نحمدك يا ربنا ونعظّمك ونكبّرك وأنت الذي حرّكت قلوبنا بمحبتك، وحركت ألسنتنا بذكرك.

فلك الحمد ولك الشكر، وما توفيقنا إلا بالله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولاشيء ولا شيء بعده.

لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، فجزاه الله عنا خير ما يجزي نبيًّا عن أمته.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه ووالاه.

وأوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأنهاكم عن معصيته ومخالفة أمره.

هنّأكم الله بالعيد..

هنّأكم الله بهذا اليوم يومِ الجائزة الذي تصافحكم فيه الملائكة..

هنّأكم الله وهنّأ أمتَنا الإسلامية بهذا اليوم الذي تفرح فيه بعد أن أقامت شعيرة الله تبارك وتعالى في الصيام والقيام.

كان المصطفى صلى الله عليه وسلم في العيد يومًا مسجّىً في سريره وعنده السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في يوم العيد عيدِ الفطر، فدخل أبوها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فوجد عندها جاريتين تغنيان وتضربان بالدف، فقال لها: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،؟

فكشف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الغطاء عن وجهه الشريف وقال: (يا أبا بكر إنّ لكلّ قوم عيدًا، وهذا عيدنا)، وكان يومها عيد فطر.

وهكذا نبّه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى مفردة من مفردات العيد، وهي مفردة الفرح.

ومن أعظم عناوين مفردات العيد: الفرح، والتواصل، والبرّ.

١- أما الفرح: فإنه قضية معنوية يجهلها المادّيون، ففرح العيد هذا ليس الفرح بجديد الثياب، ولا بما يكون في يد الإنسان من المادة.

ألم يقل ربنا تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}؟ فهو يشير بهذا إلى نعمة القرآن العظيم وآثارها في النفس الإنسانية والسلوك البشري.

ثم قال بعدها: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٧-٥٨}.

وهكذا تجلّى في هذه الآيات معنى الفرح الذي يستقر في قلوب أهل الإيمان، إنه فرحٌ بالله..

الفرح في القرآن فرح بالله، لأن القرآن كلام الله، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف (كما يقرر أهل العلم)، فإذا فرح بوصفه فرح به.

والآثار التي ينتجها القرآن في سلوك المسلمين آثارٌ تُظهر على أرض الواقع إصلاحًا، وتُظهر إحسانًا، وتُظهر سَعةً ظاهرة وباطنة، وتُظهر نهضةً وحضارة ومجتمعًا يحبه الله تبارك وتعالى، ويحب أوصافه، ويحب أقواله وأفعاله وأحواله...

إذًا قوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} هو فرح أهل الإيمان.

نفرح اليوم بعدما مررنا بشهر القرآن، وأخذَتْ أرواحُنا وقلوبنا واستمدّت من معانيه وأنواره وأسراره، فكيف لا نفرح في يومٍ أُمِرنا فيه أن نفرح بفضل الله وبرحمته؟

أكرم عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، وتُلِيَ القرآنُ الكريم، ووقف الناس يستمعون في الصلاة إليه، وامتثلوا أمره نهارَهم كله، وصامت جوارحهم، وصامت قلوبهم، فأيُّ نعمة أعظم من هذه؟ وأي فضل أكبر من هذا يُفرح به؟

أما الفرح بالمادة فنقرؤه في كتاب الله تبارك وتعالى في قوله: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآَخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ} [الرعد: ٢٦].

وهكذا قلَّل الله تعالى في القرآن من شأن الفرح بالمادة.

وقال في الآية التي سبقتها: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} أي هو خيرٌ مما يجمعون من المادة.

فتجلت بهذا التبيين المفردة الأولى التي هي مفردة الفرح في يوم العيد بعد فضل الله تبارك وتعالى ورحمته.

٢- التواصل: الذي تترك فيه النفوس ضغائنَها، والذي تتطهر به النفوس وترتقي وتتزكى، والذي يجمع أبناء الرحم ويجمع إخوانًا في الله بعضَهم إلى بعض، فيجمع الصاحب والصديق، ويجمع القريب والحبيب، وهو الذي يعيد إلى الأمة في العيد لُحمتَها ورونقها، لأن الشتات والفرقة

ذهاب الريح وذهاب القوة، كما بيَّن ذلك ربّنا تبارك وتعالى بقوله: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦].

ينبغي على الإنسان أن يستثمر فرصة العيد حتى يصل القاطع.

مَن قَطَعَك صِلْه وكن في يوم التواصل مظهرًا إيمانيًّا محمديًّا.

التواصل هو الذي تعطي فيه من منعك، وتصل فيه من قطعك.

التواصل يجمع المتفرق، ويجعل من هذا المجموع جسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

صل رحمك في العيد، وصل صاحبك وصديقك، وأظهر مفردة التواصل في سلوكك كما يحبها الله تبارك وتعالى ويريدها.

٣- البِرّ: ولئن كان الفرح بالله تبارك وتعالى وبفضله ورحمته في القلوب، ولئن كان التواصل بالنفوس الطاهرة، فإن البرّ يتوجه إلى الأبدان.

وهكذا تظهر النعمة على عباد الله، واللهُ سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

فبالبرّ يتّسع الضيق، وبالبرّ يخرج الإنسان إلى معنىً قد لا يلتفت إليه في غير يوم العيد، لأنه تبارك وتعالى في الرزق فيرضى به، لكنه حينما يجد في العيد البرّ منبعثًا منه أو منبعثًا إليه فإنه يرى صورة التكافل الاجتماعيّ، ويقلّ الفقر، وتضمحلُ الفاقة، وتُقضى الحاجات...

فما أروعه من عيد حينما يعود بعوائده على عباد الله!

وما أكرمه حينما يجد فيه المؤمن هويته الباطنة والظاهرة! يجد هويته الباطنة من خلال الإيمان ولوازمه، ويجد هويته الظاهرة من خلال التماسك الاجتماعيّ الذي يدعو إليه الإسلام.

ومن كان غافلاً عن زكاة الفطر فليتذكر أن صيامه مرتهَن بها، ولئن كان بعضهم وسّع وأجاز إخراجها بعد الصلاة لكن الجمهور على إخراجها قبل الصلاة، فإن فاتته يقضيها قضاء.

زكاة الفطر مظهر من مظاهر البر، لكن البر في العيد يتضمن من معاني البر مادة ومعنىً، فمن البر كلمةٌ طيبة، ومنه تبسُّمُك في وجه أخيك، ونُصحٌ بالمعروف، وكلماتٌ ينتظرها أخوك منك تجبر بها كسر قلبه...

فليكن هذا العيد تجربةً سلوكية نختبر فيها سلوكنا، ونختبر فيها أخلاقنا وأحوالنا، ولئن كنّا قد خرجنا من شهر تكثر فيه الاستقامة وتعظم فيه من الله تعالى الكرامة، فإن ربّ شهر رمضان هو رب العام كله.

وهو القائل: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} [الشعراء: ٢١٨]، وقال: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤]

فلنعاهد ربّنا على أن نكون في الظاهرة السلوكية كما كنّا في شهر رمضان، وإن كانت المدعّمات أقلّ، لكن بالصحبة والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر تدوم الاستقامة ظاهرًا ويبقى في سرّك حال مع الله.

اللهم أعد عوائدك علينا يا ربنا وعلى المسلمين نصرًا وفوزًا وكرمًا وفضلاً وإنعامًا.

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

دروس الفرقان

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المبارك، في اليوم السابع عشر، كان يوم الفرقان الذي فصل الله سبحانه وتعالى به بين الحقّ والباطل.

ففي مثل هذا اليوم بالضبط من الشهر الأغرّ كان يوم بدر، وكانت الغزوة التي أراد الله سبحانه وتعالى من خلالها أن يعطي للأمة درسًا معنويًّا يبقى في ذاكرتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

معادلاتنا نحن أمةَ الإسلام ينبغي أن تفهمها الأمة جيدًا في الذي يفرّق بيننا وبين الماديين، وهي أننا أمة منصورة بالمعاني منكسرة بالمباني، أما المعادلات المادّية فلا تتحدث إلا عن تقابل الأقوى ماديًّا مع الأضعف، فينكسر بالمعادلات المادية من كان الأضعف ماديًّا، وينتصر الأقوى ماديًّا.

لكن الدرس الذي في مثل هذا اليوم كان تأسيسًا لمعادلة الأمة التي تُنصر بمعانيها، وتُنصر بإيمانها، وتُنصر بما تحمله من الثقة واليقين بالله، وتنصر بتأييد الله تبارك وتعالى لها..

فمهما كانت العُدد، ومهما كان العَدد عظيمًا أو كبيرًا فإنه لن يتغلب على قوة الله تبارك وتعالى، فإذا كان في ذاكرة الأمة هذا المعنى فارتبطت بالله تبارك وتعالى ووجهت القلب إلى الله سبحانه يأتيها عند ذلك التأييد.

وحين تكون الأمة مع ربها فهذا لا يعني أنها تقصّر في الأسباب كما يفهم بعض الناس من أن المطلوب هو أن نكثر من الصلاة والصيام، وأن نكثر من الدعاء... فهذا مطلوب، لكنه سبحانه وتعالى حينما يكون مع هذه الأمة وقد أخذت بالأسباب المتاحة فإنها ولو ضعُفت في أسبابها ستبقى مُعانَةً ومؤيَّدة من الله تبارك وتعالى.

واسمحوا لي أن أقرأ على حضراتكم من كتاب الله تبارك وتعالى بعضًا من الجوانب التي حكاها القرآن عن هذا اليوم، يومِ الفرقان، يوم بدر، فالقرآن عرض لهذا اليوم في مواضع كثيرة، لكنني أختار صورة واحدة من الصور، ووجهًا واحدًا من وجوه المعاني في مثل هذا اليوم:

يقول الله تبارك وتعالى وهو يصف ويوجه في سورة الأنفال:

- {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}

وانظروا كيف بدأ الله سبحانه وتعالى الحديث في هذا اليوم المبارك يوم بدر وهو يوجّه الأمة إلى التخلي عما غنمته من المادة، فالغنيمة التي كانت بعد المعركة وجّه ربنا تبارك وتعالى إلى توظيفها لتكون سبب بناء، وسبب مؤازرة، وسبب إعانة..

نعم، لسنا أمة الأنانية، فنحن الأمة التي تعيش آلام بعضها وآمال بعضها..

نحن الأمة التي أخرجها الإسلام من الأنانية إلى الجماعية، فشعر الغني بألم الفقير، وشعر القوي بألم الضعيف، وشعر الحاكم بألم المحكوم، وشعر الذي يملك بألم الذي لا يملك...

- {إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} هذا اليوم الذي سمّاه الله سبحانه وتعالى يوم الفرقان، وهو يوم بدر، لأن الله سبحانه وتعالى فصل فيه، فكان بدايةَ الفصل في تاريخنا بين الحقّ والباطل، وأصبح للحق كلمته وسيفه الذي لا يضرب بظلم، لكنه يضرب ليحقّق العدالة.

- {يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} فكان وصول الجمعين، جمعِ الباطل وجمعِ الحقّ، إلى نقطةٍ أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزة، ويتحرك هذا الجمع وذاك للّقاء، فيكون اللقاء في أرضٍ يُنزل الله سبحانه وتعالى عليها غيثًا من السماء، فتكون تثبيتًا لأقدامِ جمع أهل الحقّ، وتكون منزلقًا تحت أقدام أهل الباطل.

وهكذا لو أن قائدًا عسكريًا أراد أن يحدد موقعة اللقاء لما استطاع: {وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ}.

فأراد الله سبحانه وتعالى بإعانته أن يوصل الجمعين إلى هذه النقطة التي تكون من الناحية العسكرية أحد أسباب التفوق، وهذا بإعانة الله تبارك وتعالى.

– {وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} أي ليعزّ أهل الدين وأهل الحقّ وأهل الإعانة وأهل الإيمان...

– {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}

هذا سرٌّ من أسرار المعادلة أحببت أن أجعله النقطة التي نقف في دقائق عندها.

إنه سبحانه وتعالى يتحدث عن سرٍّ من أسرار معادلات هذه الأمة.

فيستخف أعداء الأمة بالأمة، ويستخف أهل الباطل بأهل الحقّ، ولكنه في نفس الوقت يقلّل شأن أهل الباطل في أعين أهل الحقّ.

وانظروا إلى المعادلة بدقّة:

فربّنا تبارك وتعالى يجعل أهل الحقّ في أعين أهل الباطل قليلاً، ويجعل أهل الباطل في أعين أهل الحقّ قليلاً.

أما استخفاف أهل الباطل بأهل الحقّ فإنه سيقودهم إلى تسليط أنواع البلاء والإيذاء عليهم، وسيقودهم إلى لقاء أهل الحقّ، وسيقودهم إلى موقف المفاصلة والمجابهة، وأما تقليل شأن أهل الباطل في أعين أهل الحقّ فإنه دليل إيمانهم ووثوقهم بالله تبارك وتعالى.

أما المعادلة الآن فمتغيرة، إذ يستخف أهل الباطل بأهل الحقّ، ونحن نعظّم شأن أهل الباطل.

المعادلة غير موجودة الآن بعناصرها المطلوبة، ولا يتحقّق النصر حتى يتحقق العنصران:

– استخفاف أهل الباطل بأهل الحقّ وهو حاصل.

– لكن العنصر الثاني في المعادلة مفقود، لأننا نعظّم أهل الباطل، ونعظّم قوة الباطل، ونرى عَدد أهل الباطل وعُددَه ونغفل عن عظمة الله المؤيّد، ونغفل عن قوة الله المعين، ونغفل عن شأن الحقّ الذي إذا قذف الله به على الباطل دمغه: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} [الأنبياء: ١٨] أي يكسر دماغه.

فهناك قوة في المبدأ مبدأِ الحقّ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى مبدأ الحقّ أقوى من الباطل، ولكننا غفلنا عن قوة مبدأ الحقّ، وغفلنا عن عظمة الله سبحانه وتعالى، وبدأنا بالاشتغال القلبيّ بتعظيم المادة وأهلها.

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً} وكان عدد المشركين يوم بدر ألفًا، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينظرون إليهم فيقولون: هم مائة.

وهكذا يذكر التاريخ أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه سمع من جنديٍّ من جنوده يوم لقائه مع الروم قولته: ما أقل عدد المسلمين! وما أكثر الروم! فغضب خالد.

وكان عدد أفراد جيش المسلمين عشرين ألفًا وعدد أفراد جيش الروم مائتي ألفًا، ولكن خالد غضب وقال:

لا... بل قل: ما أكثر المسلمين وما أقل الروم!

إنها المعادلة الصحيحة، لأن المستعزّ بالله، والمستنصر بالله، والمستقوي بالله، والمستعين بالله.. لا يرى للأشياء شأنًا، ولا يرى لها قوة، لأنه يراها في قبضة الله تبارك وتعالى.

– {لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} فقلّلكم في أعينهم، فكان هذا التقليل سبب قدومهم، ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً في إعزاز الحقّ، وإذلال الباطل.

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} [الأنفال: ٤١–٤٥]

وهكذا ختم هذا النصّ بالسرّ الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يعظّم شأن الحقّ، ألا وهو ذكرُ الله، وعندما نتحدث عن ذكر الله تبارك وتعالى فلا يعني أننا نتحدث عن سُبحة طويلة، إنما نتحدث عن وجود تعظيم الله في القلوب حينما يذكر القلبُ الله.

فلماذا تصوم؟ ولماذا تقوم؟ ولماذا تريد العتق من النار في هذا الشهر المبارك؟ ولما نتذكر يوم بدر؟ ولماذا نتذكر تنزُّل القرآن ليلة القدر...؟

أمِن أجل طقوس، ومن أجل مناسبات... أم من أجل أن نجدّد إيماننا وثقتنا؟

ومن أجل أن ندخل في الشهر بأشكال وحركات، ونخرج من هذا الشهر بمعانٍ وبركات..

ومن أجل أن يكون خروجنا في نهاية الشهر بزيادة إيمان وزيادة يقين وزيادة ثقة بالله تبارك وتعالى..

ولماذا نرفع أيدينا في القنوت ونتوجه إلى الله بالدعاء؟

ولماذا ننطرح بالسجود في عتبات الله؟

إلا من أجل أن نستمدّ، لأننا علمنا أننا لا بد أن ننطرح في عتبات الله تبارك وتعالى.

نعلن أننا لا نستغني عن ربنا..

ونعلن أننا محتاجون إلى ربنا..

ونعلن أننا بحاجة إلى مدد ربنا....

فلا نعتزّ بغير الله، ولا نستقوي بغير الله، ولا نستنصر بغير الله..

إنه درس رمضانيّ ينبغي علينا أن لا ننساه في يوم السابع عشر من رمضان، فكلما جاء هذا اليوم ذكّرنا بالمعادلة التي من خلالها يكون نصرنا، والتي من خلالها يكون عِزُّنا، والتي من خلالها

تكون غلبتنا لا بالعَدد والعُدد، إنما تكون بالتزامنا مبدأَ الحقّ الذي يوازن في دعوته حينما يدعونا إلى الأخذ بالأسباب:

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠] وما قال: فوق استطاعتكم، إنما قال: "مَا اسْتَطَعْتُمْ"، ولكنه ثبّت في قلوبنا أن النصر من عند الله.

رُدّنا اللهم إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

إلى عتق من النار

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب

ونحن في آخر جمعة في شهر رمضان الأغرّ..

ونحن نودع الأنفاس الأخيرة التي يتنفسها هذا الشهر العظيم في هذا العام المبارك، ولا ندري أنحيا العام الذي بعده أم لا؟

ونحن في موسم العتق من النار..

نُراجع أوراقنا قبيل خروج الشهر..

وفي العام الفائت في مثل هذه الأيام قلت لأهل الإيمان: إن العتق من النار يعني تبدّل الأفعال والأوصاف، فإذا وجد الإنسان في نفسه كراهيةً لكلّ فعلٍ يُغضِب الله تبارك وتعالى ويسوق إلى النار، وإذا وجد محبةً لكلّ سلوك يرضي الله تبارك وتعالى ويسوق إلى الجنة، فقد أعتقه الله من النار.

هذا على مستوى السلوك والأفعال، وتم التفصيل فيه في العام الفائت.

وفي هذه الجمعة المباركة أحببت أن ألفت نظر نفسي ونظر إخواني إلى تبدّل الأوصاف، فالأوصاف قد تكون أوصافًا جهنّمية وقد تكون أوصافًا جِنانية.

وكنت أتفكّر في الوصف الجامع الذي من خلاله يختصر الإنسان كلّ الأوصاف الجِنانية، فأهل الجنة نزع الله تبارك وتعالى من قلوبهم كلّ غلّ وحقد، وكانوا عباد الله، فهم أهل التواضع، وأهل الأدب، وأهل الخشية، وأهل التوجه إلى الله.. لكنني كنت أتساءل عن الوصف الجامع لكل هذه الأوصاف النورانية التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يتعرف إلى وصفه هل وصفه قد اقترب من أهل الجنان أم أنه ما يزال بعيدًا؟

والذي وقع في قلبي أن الوصف الجامع لكل الأوصاف النورانية الجنانية إنما هو وصف الرحمة، لأن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم اختصر المعادلة في حديثٍ يعرفه أهل الاختصاص بحديث الأولية، يقول فيه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

فإذا وُجدت الرحمة في قلب المؤمن دلّ ذلك على أن قلبه قد رقّ من خشية الله، وأنه قد طمع في جنة الله، وطمع في عفوه وكرمه وفضله... فقد اختصر الحديث النبوي سرّ الرحمة التي تتنزل غيثًا على أهل الإيمان فيكونون عتقاء من النار ومن سخط مولاهم وسيدهم.

نعم، ألم يسمِّ الله تبارك وتعالى حبيبه سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرحمة؟

ألم يقل ربّنا تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] ؟

ألم يسمّ الله سبحانه وتعالى الجنة رحمة؟

ففي سورة آل عمران نقرأ قوله تعالى:

{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ} أي في جنة الله، {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧] فسمى الله سبحانه وتعالى الجنة رحمة الله.

فاختصر الله سبحانه وتعالى الجنة بكل ما فيها من النعيم والجود والإحسان بكلمة واحدة هي: الرحمة.

وروي أن الأقرع بن حابس جاء فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبّل أولاد ابنته فقال: أوَ تقبّلون الصبيان؟

فنظر إليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم متعجبًا وقال: (أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟)

نعم، حينما يستقرّ وصف الرحمة في قلب المؤمن تجده مِعطاءً يعطي الكون كله من غير تردّد، فيعطي من أحسن ومن أساء.

ألا يرحم الله سبحانه وتعالى أهل الإساءة وأهل الإحسان؟

فإذا تخلّق المؤمن بأخلاق الله فإنه يصير من أهل الرحمة.

وعندما حكى الله سبحانه وتعالى لنا عن عبدٍ أحبَّه واختاره وخصّه بالمكرمات (في قصة الخضر الذي ذهب إليه موسى عليه الصلاة والسلام) وَصَفَه بوصفين اثنين هما الرحمة والعلم فقال:

{آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: ٦٥]

فإذا وُجد العلم من غير رحمة كان الوصفُ الضدَّ الذي هو القسوة الذي حذّر منه ربّنا تبارك وتعالى بقوله:

{وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} [الحديد: ١٦]

فضدّ الرحمة القسوة، وإذا وجدت القسوة في القلب صار من السهل على الإنسان أن يكون سبب إضرار بالإنسان، لكنه حينما يتحول عن القسوة إلى وصف الرحمة يصير من غير تكلّفٍ صاحبَ عطاء وصاحب نفع، وصاحب جود وإحسان..

فهذا وصفٌ جامع نستطيع من خلاله أن نختبر أوصافنا، فإذا وجدنا ونحن في أسواقنا، ونحن في تجارتنا، ونحن في صناعتنا، ونحن في معاملاتنا... إذا وجدنا أن بعضنا بدأ يرحم البعض الآخر فإن أبواب الجنة قد فُتحت لنا بعد شهر الصيام المبارك.

وإذا وجدنا أن بعضنا أصبح يرحم بعضنا الآخر فليفهم أن أبواب جهنم قد أغلقت في وجهه وأصبح من عتقاء الله من النار.

فإذا وجدنا أن بعضنا بدأ يرحم بعضنا الآخر، فبدأت الكلمة الطيبة تظهر في ألسنتنا بدلاً من أن يقطّب بعضنا في وجه بعض، وبدلاً من أن يكون بعضنا سبب إزعاج وإيذاء لبعض.. فقد فُتحت أبواب الجنة.

وكذلك إذا وجدنا البسمة في وجوهنا، وهي صدقة يتصدّق بها الإنسان، إذ من الصدقات أن يكون وجه الإنسان طلقًا، إذا نظر الناس إليه استبشروا، فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكون مبشّرين لا منفّرين.

فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ رضي الله تعالى عنه إلى اليمن فاشتكى أهل اليمن من إطالته الشديدة للصلاة في الفريضة، وفيهم المرضى، (ففي النافلة يستحبّ للإنسان أن يطيل القراءة في إمامة الناس، أما في صلاة الفريضة فيكره ذلك، إذ فيها المريض وفيها ذو الضعف والحاجة)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (أفتّانٌ أنت يا معاذ؟).

وهكذا ابتعَثَنَا الله لنكون رحمة..

ابتعثنا الله تبارك وتعالى لنكون كالغيث، ينزل على الأرض فتستفيد منه النبتة النافعة والنبتة الضارّة..

هل رأيتم أن الغيث حينما ينزل على الأرض يفرّق بين نبات نافع ونبات ضارّ؟

إنه حينما ينزل تخضرّ الأرض كلّها بسببه، فتخضرّ الريحانة المرّة، ويخضرّ الثمر الحلو، والجميع ينتفع بهذا الغيث، فتحيا الأرض به.

وكما تحيا الأرض بهذا الغيث يحيا كلّ الناس بأهل الإيمان، فالمؤمن كالغيث أينما سار نفع.

إذًا: ونحن في نهاية الدورة التدريبية الترويضية في شهر رمضان المبارك نقول: الوصف الجامع الذي من خلاله نتيقن أن الله تباك وتعالى أكرمنا بالعتق من النار إنما هو وصف الرحمة.

اللهم املأ قلوبنا بالرحمة، واجعلنا رحمةً مرسَلة بين الناس، واجعلنا رحمة للعالمين، بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

رُدّنا اللهم إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

خطبة عيد الفطر

خطبة عيد الفطر للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب

١٠/٩/٢٠١٠

الله أكبر ما تجدّدت رياض الإيمان في شهر رمضان...

الله أكبر ما تزكّت النفوس في صيامه...

الله أكبر ما تلذّذت الأرواح بمناجاته وصلاته...

الله أكبر ما فرحت القلوب في يوم الجائزة هذا بعطاء الكريم ونواله...

الله أكبر ما تزاور الناس في العيد حتى زالت من قلوبهم الضغائن والأحقاد...

الله أكبر ما اجتمعت القرابة والأُسَر ووُصل في هذا اليوم الرحم...

الله أكبر ما ثبّت الله أهل الإيمان على الاستقامة بعد أن أكرمهم بدورة رمضان...

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبيّ الأمّيّ وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

للإنسان من ربّه نصيبٌ من الهداية والرشاد، وقد كان هذا الموسم (الذي نحن في يوم جائزته) موسمَ الهداية والرشاد.

ألم يكن مناسبة الهدى الذي جاء به القرآن:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ} [البقرة: ١٨٥]؟

والهداية والرشاد يقتضيان أن يكون المؤمن في حالةٍ من الاستقامة والاعتدال، قال تعالى:

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]

وطالما أنه يهدي للأقوم فإن هذا يعني أن نتائج الدورة التدريبية لن تكون إلا اعتدالاً.

وقد جسّد الشهر الكريم هذا الاعتدال والتوازن والوسطية

بين المادة والروحانية من خلال نهارة وليله:

– فقد كان نهار هذا الشهر الكريم يرفع الإنسان إلى روحانية صمدانية، تكون الروح فيها في حالة من التناغم مع الملكوت، فيترك في نهاره كلّ اللذائذ الحسّيّة المادّيّة والرغبات الشهوانيّة.

– فإذا ما صفا باطنه ردّه في الليل إلى المادّيّة، وإذا هو يعود عودة ثانية إلى رغباته وشهواته لكن بأسلوب مهذّب.

وبين الروحانية والمادية يُظهِر هذا الشهر الكريم في دورته التدريبية هذه توازنًا ووسطيةً ما أحوج أمتنا وما أحوج الذي ينتسب إلى الإسلام أن يستفيد منها!

نعم، الوسطية التي يؤسّسها هذا المنهج التربويّ الإسلاميّ الأصيل يُنتج أفرادًا لا يعانون من الإفراط ولا من التفريط:

*** فلا ينحصر الإفراط فيمن شأنُه استغراقٌ مادّيٌّ في رغباتٍ مادية، وفي أشغال مادية، وفي مقاصد مادية... لكنه يكون أيضًا في الصعيد الدينيّ عندما يوجّه الإنسان نظره إلى ظواهر الدين المادّية، والممارسات العمليّة فقط، غافلاً عن لطائف هذا الدين ومقاصده وأخلاقه وأسراره وأنواره...**

وينشأ عن هذا الإفراط في الوقوف طويلاً مع الظواهر:

تشدُّدٌ لا يعتدّ الإسلام به، أو تطرّفٌ تلفظه كلّ الأخلاق.

* وفي الجانب الآخر لا يكون التفريط على الصعيد المادّيّ وحسب ممثّلاً في كسل أو ترهّل، لكنه يكون أيضًا على مستوى الصعيد الدينيّ حينما ينشغل الإنسان بالروحانيات عن واجبه الحضاريّ الذي يَطلب منه أن يكون واقعيًّا، وأن يؤدّي دورًا مُنتجًا وفاعلاً في مجتمعه.

فإذا تخلّص الإنسان بهذه الوسطية التي يؤسّس لها منهجُ شهر رمضان التربويّ المستمدّ من وسطية الإسلام {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]

عندها يظهر النموذج الإسلاميّ في نهاية هذا الشهر الكريم نموذجًا معتبرًا يحبّه الله ورسوله.

وأما الأمر الثاني الذي يستفيد المؤمن منه في دورة شهر رمضان ويقطف في هذا اليوم ثماره فهو الاتّباعية:

فربّنا تبارك وتعالى أمَرَنا في هذا الشهر الكريم أن نصوم ونهانا أن نفطر، فوافقْنا أمر الله تبارك وتعالى، واجتنبْنا ما نهانا عنه، ولما جاء هذا اليوم الكريم أمَرَنا فيه بالإفطار ونهانا فيه عن الصيام.

إنها عملية تربويّة تسوق الإنسان إلى إبعاد الدين عن مزاجه وعقله وهواه، والذي يعاني منه عالمنا الإسلاميُّ اليومَ في غالب أحيانه إنما هو امتزاج الدين بالآراء والأهواء.

ألم يوجه قائدُ وطننا علماءَنا حينما طلب منهم أن يعلموا الإسلام كما أنزله الله، وحينما نلتزم بالإسلام كما أنزله الله تبارك وتعالى، فلا نخلط فيه الأهواء، ولا نمزج فيه العادات، ولا نخلط فيه بين الفكر الأرضيّ والنقاء السماويّ... عندها نتخرج من هذه المدرسة متّبعين.

وبهذين المعنيين (الوسطية والإتباع) يمكننا أن نكون في الريادة العالمية ونحن على أرض الشام التي بارك الله سبحانه وتعالى فيها، كما كنّا في الريادة حينما وقفت قيادتُنا داعمةً للمقاومة وتخاذَلَ الآخرون..

وحينما آوت قيادتُنا أصحاب الجهاد على أرض فلسطين وانهزم الآخرون..

وحينما وجّهت إلى مقاومة التهويد، والتهويدُ يمارَس في بيت المقدس الذي تشتاق إليه قلوب الملايين..

وحينما وجّهت إلى تمكين اللغة العربية في زمنٍ أصبح المسلمون فيه منبهرين بغير لغة قرآنهم، تأخذهم جواذب العلمنة يمينًا وشمالاً...

وفي مثل هذا نقف في الريادة في مواقفنا الدينية:

نموذجًا يبحث الناس عنه في زمن صراع التيارات..

نموذجًا تشرئب الأعناق إليه لترى من خلاله، لا مَن يداهنون باسم الدين، ولكن من يقف متّبعًا في الوسط بعيدًا عن الإفراط والتفريط..

الدروس في هذا اليوم كثيرة، وأخلاق هذا اليوم عظيمة، وصِلاته رحيمة، وبَذلُه يمثّل نموذج خُلُق الإسلام.

إنه يوم الجائزة ويوم التواصل، فلا يفطر فيه الإنسان، وهو يتّبع قرآنه ونبيّه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، على مجرّد الطعام، ولكنه يمثّل في يوم فطره نموذجَ مَن تخرّج من هذه المدرسة الرمضانية وقد أحبّه اللهُ، وأحبَّ اللهَ، وأحبّه رسولُ الله، وأحبَّ رسولَ الله.

رُدّنا اللهم إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

القسم الرابع

دروس الدكتور محمد راتب النابلسي

الإستعداد لشهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تمهيد.

أيها الأخوة الكرام ؛ مع أنه بقي لشهر الصوم أقل من أسبوعين أردت أن يكون موضوع الدرس عن شهر الصيام والسبب كما قلت في درس سابق في غير هذا المسجد إن أردت أن تكون في

هذه النقطة بسرعة مائة لابد من أن تنطلق قبل هذه النقطة كي تتصاعد سرعتك في هذا النقطة ، يعني إذا أردت أن يصح صيامك من أول يوم لابد من أن تستعد لهذا الشهر الكريم منذ الآن ، الأشياء العظيمة الجليلة يستعد لها من وقت طويل.

أولاً :

هل تصدق أنك أمام فرصة سنوية كي يغفر لك كل ذنب اقترفته في الماضي ، عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقي المنبر فقال:

((آمين آمين آمين ، فقيل : يا رسول الله ما كنت تصنع هذا ؟ فقال : إن جبريل صلى الله عليه وسلم قال : رغم أنف من دخل عليه رمضان ثم لم يغفر له))

[أخرجه البزار في مسنده]

إن لم يغفر له فمتى.

لو أن إنساناً عليه مائة ألف دين لأشخاص عديدين ، أتيح له أن تسقط كل هذه الديون بلقاء واحد مع إنسان ، إن التقيت مع فلان كل هذه الديون تسقط ألا تحرص على هذا اللقاء ؟ إن كانت ديون لأشخاص وكان هناك فرصة كي يزاح عنك كل هذه الديون ألا تحرص على هذا اللقاء .

نحن بعد أسبوع وأكثر أمام فرصة كي يغفر لنا كل ذنب ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[أخرجه البخاري]

ألا تحب أن الماضي كله أن تسامح به ، أن تغفر لك كل ذنوب الماضي ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

الحج فرصة والصيام فرصة ، ونحن مع هذه الفرصة ، بإمكانك أن تفتح مع الله صفحة جديدة في رمضان ، أو بإمكانك أن تفتح مع الله صفحة جديدة في شوال ، إذا صمت رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله لك ما تقدم من ذنبك.

هذا أول شيء يشجع.

ثانياً :

الشيء الثاني من منا يحب المصيبة ؟

من منا يحب أن يعذب ؟

من منا يحب أن يفتقر ؟

من منا يحب أن يمرض ؟

من منا يحب أن يهان ؟

عندما كان سيدنا معاذ رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث البارحة سألني أخ على الهاتف قال أريد حديثاً أضعه في إمساكية وسأخصص له أكبر مساحة قلت له أمهلني ، راجعت الأحاديث وجدت هذا الحديث خير حديث يكتب على إمساكية رمضان.

عَنْ مُعَاذٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ ، فَقَالَ:

))يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا((

]أخرجه البخاري ومسلم والترمذي[

ونحن على أبواب شهر عبادة من أفضل الشهور ، إذاً هناك فرصتان:

فرصة أن يغفر لك كل ذنب سابق ، أن تفتح مع الله صفحة جديدة ، أن تسقط كل الديون ، أن تسوى كل الحسابات ، أن تغفر كل الذنوب.

ومع فرصة أخرى أنك إذا عبدت الله وحده العبادة التي أرادها الله عز وجل فلن يعذبك الله ،

وهذه أكبر أمنية للإنسان ، أن يعيش سليماً معافى في بدنه ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، أن يكون له مأوىً يأوي إليه ، وزوجة ترضيه ، وأولاد أبرار هم قرة عينه ، فلذلك نحن أمام فرصة ، فرصة أن تطوى كل أعمالنا السابقة وأن تغفر، وأن نفتح مع الله صفحة جديدة ، ومع فرصة أن يضمن الله لنا أن لا يعذبنا لأننا نقبل على عبادته في هذا الشهر.

تقوية الإرادة.

هذا شيء والشيء الآخر الذي أريد أن يكون واضحاً لديكم ، في وسط المسلمين هناك مشكلة وهي أن الحق معروف والحق بين ، والباطل بين ، الحلال بين والحرام بين فما لهؤلاء الناس يقعون في الحرام وتضعف نفوسهم عن أن يأكلوا الحلال بعضهم يعزوا ذلك إلى ضعف الإرادة ، والله جل جلاله هو المربي ، هو الذي يربينا في رمضان تتقوى إرادتنا السبب ، الله جل جلاله ينهانا في رمضان عن الطعام والشراب ، والطعام والشراب مباح ، بربكم في الإفطار لو أن إنساناً شرب كأس من الشاي مع قطعة من الجبن ماذا فعل ؟ هل فعل شيئاً هل يشعر بوخز الضمير ، هل يشعر بخجل إذا وقف بين يدي الله عز وجل ، لأنه شرب كأس ماء وأكل قطعة جبن مع الخبز ؟ لا ، الله جل جلاله يمنعنا في رمضان عن أن نأكل الطعام الذي خلقه لنا ، يمنعنا عن أن نشرب ، يمنعنا عن أن نلتقي بمن أحلها لنا ، لا طعام ولا شراب ، ما الذي يحصل أنت أيها المؤمن تدع الطعام والشراب ، فلأن تدع الغيبة والنميمة ، ولأن تدع الكذب والبهتان ، ولأن تدع قول الزور ، أكل أموال الناس بالباطل أولى ، تتوازن أبداً أن تدع الطعام والشراب وتكذب ، أن تدع الطعام والشراب وتغتاب ، أن تدع الطعام والشراب وتأكل أموال الناس بالباطل.

فربنا سبحانه وتعالى نهاك عن المباحات كي تقوى إرادتك على فعل الطاعات .

أضرب لكم مثلاً بسيطاً ، حينما نمضي ثلاثين يوماً في صلاة التراويح كل يوم عشرين ركعة في أول أيام العيد حينما تصلي العشاء تراه خفيفاً جداً أربع ركعات ، اثنين سنة ، ثلاثة وتر ، انتهت الصلاة ، أما في رمضان ساعة الصلاة عشرين ركعة الصلاة و وتر وسنة وفرض ، فلذلك تجد الصلاة سهلة جداً بعد رمضان ، لأن الله ألزمك أن تصلي التراويح ، تجد من السهل جداً أن تستقيم على أمر الله لأن الله منعك من المباحات ، إذاً كأن رمضان شهر تقوى فيه الإرادة ، شهر والله هو المربي يربيك على ترك المباحات ، فلأن تدع المباحات من باب أولى ، ولا أتألى على

الله أكثر ، المسلمين يتورعون في رمضان على إطلاق البصر في رمضان يقول لك أنا صائم وإلا الصيام ليس له معنى ، ربنا عز وجل عودك بشهر أن تغض بصرك وفي هذا الشهر أن تضبط لسانك وفي هذا الشهر أن تقرأ القرآن ، وفي هذا الشهر أن تصلي الفجر في مسجد لأنه يوجد سحور استيقظت لتتناول طعام السحور والفجر أذن والجامع قريب والليل في رمضان كالنهار ، فتأتي إلى المسجد وتصلي في جماعة ، عودك أن تصلي في جماعة لعلك تعتاد على الصلاة في جماعة طوال العام.

أمرك أن تدع المباحات لعلك تتعود على ترك المحرمات طوال أشهر العام ، يعني هو الله ما أرادنا أبداً أن نصعد في رمضان ثم نعود إلى ما كنا عليه هذا الشاعر الذي قال:

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقةً تسعى إلى مشتاقِ

هذا الشاعر ما فهم حكمة الصيام ، هذا كالناقة عقلها أهلها ثم أطلقوها فلا تدري لما عقلت ولما أطلقت.

رمضان قفزة نوعية للمؤمن.

أيها الأخوة الكرام ؛ أحياناً يوجد رسم بياني يوضح الأمور ، رمضان للمؤمن درج يقفز قفزة نوعية في رمضان ويستمر على هذه القفزة وذاك المستوى طوال العام إلى رمضان الثاني يقفز ويستمر ، يقفز ويستمر ، فهو يتابع الترقي ، كل عام يوجد شهر يسمونها بعض الناس دورة مكثفة ، أحياناً ممكن إنسان يأخذ شهادة عليا بأربع سنوات ، أحياناً تجري بعض الجامعات دورة مكثفة يعني اثني عشر ساعة تدريس في اليوم وكل يوم ويوم الجمعة تدريس ، ومحاضرات ووسائل معينة وأطروحات في ستة أشهر يمكن أن تأخذ من العلوم ما تأخذه في سنتين ، رمضان أيها الأخوة دورة تعبدية مكثفة.

الذي أرجوه والذي أتمناه على أخوتنا رواد هذا المسجد وطلاب العلم الشرعي فيه أن يجعلوا من هذا الشهر شهر عبادة كما أراد الله ، الناس فعلوا العكس ، شهر رمضان شهر ولائم ، شهر سهرات حتى السحور ، شهر إحياء الليالي في المسامرات والأحاديث وكأن هذا الشهر شهر استجمام ، شهر علاقات كثيفة جداً ، هو شهر عند الله هو شهر عبادة ، شهر عزلة ، شهر انكفاء على الذات ، شهر تلاوة قرآن ، شهر قيام الليل ، شهر ملازمة المساجد، فالإنسان في

هذا الشهر ، كما قلت قبل قليل لماذا جعلت هذا الدرس قبل عشرة أيام من بدء الصيام ؟ من أجل أن نهيء أنفسنا ، يعني القضايا الكبرى لا تحل في رمضان ، القضايا التي فيها مشاحنة وفيها أخذ ورد حلها الآن أو أجلها لما بعد رمضان ، اجعل هذه الشهر شهر عبادة خالصاً ، رتب برنامج ، أيام الإنسان قلت لكم سابقاً يقول لك يوجد بائع في الميدان يبيع فول طيب وهو ساكن في المهاجرين ، يركب سيارته وينزل من المهاجرين إلى الميدان ليشتري كيليين فول ، يعني الفول أغلى عليك من دينك ، أيام أقرب مسجد ، مدهامتان الله أكبر ، قال رجل للإمام أطلت الصلاة ، قال له : كلمة واحدة ، فقال له : مدهامتين في ركعة واحدة ، وإنسان يصلي التراويح في مسجد يسمع جزء وكما قال الإمام الغزالي أفضل قراءة للقرآن أن تقرأه أو أن تستمع إليه وأنت في الصلاة وفي مسجد واقفاً ، يعني أكمل عبادة.

فإن أتيح لك أن تسمع القرآن كله في رمضان فما قولك ، أيها الأخوة يجب أن نبرمج هذا الشهر بما يرضي الله ، أنا لست ضد الولائم لكن إذا كان وليمة والطعام طيب من أجلنا هذه الكوساية ، لا يوجد استطاعة إلى التراويح ، برك ، إن شاء الله نصليها قبل أن ننام ، يوجد سلسلة ، أنت معاهد الله أن تقوم رمضان ، الله جل جلاله فرض علينا شهر الصيام ، والنبي الكريم سن لنا قيامها ، ينبغي أن لا يشغلك شيء عن أداء الصلاة في رمضان ، برمج عملك ولقاءاتك ، وبرمج علاقاتك على أن تصلي التراويح في المسجد وأن تختار كما تختار بائع فول من الميدان من أجل كيليين فول تدفع بنزين أربع أمثال ثمن الفول ، ابحث عن مسجد ترتاح في الصلاة فيه ولو كان بعيداً من أجل أن تستفيد في هذا الشهر في أعلى درجة.

فوائد التمر للصائم.

الشيء الذي أريد أن أقوله لكم أنا في درس في العام الماضي كان هناك ندوة أجريتها فتحدثت عن التمر ، والإنسان يكون تارك الطعام اثني عشر ساعة وهو جائع وسيأكل ، ولكن لو أنه أكل ثلاثة تمرات ، أنا والله في رمضان الماضي والذي قبله والذي قبله ، أول شيء ثلاث تمرات ونصلي المغرب ونجلس للطعام ، الإنسان وكأنه في الإفطار ، هذه التمرات الثلاثة هذه تصل من الفم إلى الدم في عشر دقائق ، وهذا من أغرب خصائص التمر ، يعني سكر التمر سكر أحادي سهل الهضم فتضع التمرة في فمك وانظر إلى الساعة بعد عشر دقائق تشعر أنك قد شبعت لأن

هذا السكر يصل إلى الدم ويصل إلى مركز تبليغ الشبع في الإنسان فإذا أكل ثلاث تمرات يجلس إلى الطعام وكأنه في الإفطار لا يوجد جوع كبير ، صار في إقبال على الطعام معتدل ، إن أكلت قليلاً من أجل التراويح ، من أجل أن تقف نشيطاً ، من أجل أن تتمنى أن يقرأ الإمام ضعف ما يقرأ ، والله أخوة كرام وكثيرون أكدوا لي أنهم يتمنون أن يضاعف الإمام قراءته في رمضان لشدة السرور ، وهذا السرور يحتاج إلى خفة ، إلى جسم غير مثقل في الطعام ، فأكبر عدو للصائمين وجبة الإفطار ، هذه تعيقه عن عبادته ، هذه تجعله يبرك ، هذه تجعله يصلي التراويح في البيت ثماني ركعات ومدهامتان ، هذه تجعله ينصرف عن المسجد ، فوجبة الإفطار مهمة جداً يجب أن تختار إفطاراً خفيفاً ، ويجب أن تأكل التمر والتمر متواجد والحمد لله ، أن تأكل التمر وتصلي المغرب وفق السنة النبوية الشريفة وأن تحرص على صلاة التراويح في المسجد ، وأن تحرص على سماع الدرس بعد الصلاة.

رمضان شهر العبادة والمغفرة.

هذا شهر عبادة ، شهر قرب ، أيام الإنسان يكون عنده امتحان يلغي كل علاقاته ، يلغي كل السهرات ، كل المواعيد ، النزهات ، يقول لك عندي امتحان ، نحن أمام فرصةْ فرصة سنوية إن صح صيامنا غفر الله لنا ما تقدم من ذنبنا ، يعني فرصة أن تفتح مع الله صفحةً جديدة.

أيها الأخوة:

))مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

إذاً فرصة.

))حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ((

يوجد معك ضمانتان ، ضمانة مغفرة وضمانة عدم تعذيب ، والله عز وجل ما أرادنا أن نصعد ثم نهبط ، هؤلاء الذين يفعلون ذلك كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، يعني ولى رمضان ، عاد إلى ما كان عليه من تفلت أو تسيب ، أو تقصير ، أو إلى ما شابه ذلك ، والله سبحانه وتعالى ما أرادنا أن نصوم على أن الصيام عادة من عاداتنا ، سلوك صار مألوف لا يعني شيئاً ، لأن الفرق

بين الطقوس والعبادات فرق كبير جداً ، العبادات في الأديان السماوية ، أما الطقوس في الأديان الوضعية حركات وتمتمات لا تعني شيئاً ، ذكرت البارحة كلمة في الأحمدية :

أنه لو أن مدير عام في مؤسسة ، أمر موظف أن يركب سيارة إلى حلب وقال له حينما تصل إلى حلب تركب سيارة أخرى وتعود بها إلى دمشق.

قال له : لماذا.

قال له : هكذا.

هذا الأمر يتناسب مع مدير شركة ، بلا معنى ، لا تلتقي بأحد ، ولا تتصل بأحد ، ولا تعطي شيئاً لأحد ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ، انتقل إلى حلب ثم عد إلى دمشق ، هذا الأمر لا يليق بإنسان عاقل أقل العقل ، فكيف يليق هذا بإله عظيم ؟ دع الطعام والشراب ، واسهر إلى السحور ، وتابع مسلسلات ، والحفلة إكراماً لشهر رمضان المبارك ، وهذه المعصية إكراماً لشهر رمضان المبارك ، وهذه الوليمة المختلطة إكراماً لشهر رمضان المبارك ، هذا الكلام ليس مقبول إطلاقاً ، رمضان هذا الشهر العظيم صار في الوحل.

حدثني أخ كان في بلد عربي قال لي كل شيء جيد في الإعلان مهيء في رمضان ، الناس يعزفون عن الصلاة في المساجد ليتابعوا هذه الأشياء ، صار رمضان موسم سياحي ، موسم معاصي ، موسم اختلاط ، موسم سهرات حتى الفجر ، ليس هذا هو الصيام.

أيها الأخوة ؛ نرجو الله سبحانه وتعالى أن نصوم كما أراد الله عز وجل.

قال بعض العلماء : هناك عالم بالشريعة ، وهناك عالم بالطريقة ، وهناك عالم بالحقيقة.

عالم الشريعة يقول لك الصيام أن تمتنع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع نية هذا تعريف عالم الشريعة.

لكن تعريف الصيام عند عالم الطريقة يجب أن تضبط لسانك ويجب أن تضبط جوارحك ويجب أن تضبط بيتك ، ويجب أن تقرأ القرآن ، ويجب أن تصلي القيام من أجل أن تقبل على الله في رمضان ، هذا عالم الطريقة ، هذه الطريقة التي تحقق فيها الصيام.

إذا قال لك عالم الشريعة : الصلاة حركات وسكنات وقراءات تفتتح بالتكبيرة وتنتهي بالتسليم

هذا تعريف عالم الشريعة.

أما عالم الطريقة يقول لك الصلاة ذكر لله عز وجل ، قال تعالى:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

]سورة العنكبوت الآية : ٤٥[

عالم الطريقة يقول لك : واسجد واقترب ، عالم الطريقة يقول لك الصلاة وعي وعقل ، لأن الله جل جلاله يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾

]سورة النساء الآية : ٤٣[

فالذي لا يعلم ما يقول في الصلاة هو في حكم السكران.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

))إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ((

ألا يسأل أحدكم يا رب لما لا تسلسل هؤلاء الشياطين طوال العام ، مرتاح ، وتدعهم علينا بعد رمضان ؟ الجواب : إنك حينما تطيع الله عز وجل تسلسلهم أنت ، ما قال سلسلهم الله ، وسلسلت الشياطين ، من سلسلها ؟ أنت بطاعتك لله سلسلتها.

لو فرضاً حي راقي أخلاقياً وراقي دينياً جاء إنسان فتح محل فيه معاصي ، فيه خمر ، فيه شيء من القمار والألعاب ، هذا المحل بيد من إغلاقه ؟ بيد أهل الحي إذا امتنعوا عن دخوله يغلق ، أهل الحي لا يحتاجون إلى أن يتوسطوا إلى المسؤولين الأخلاق والآداب العامة أن يغلق هذا المحل ، أنتم بامتناعكم عن دخوله يغلق ، هذا إغلاق حكمي ، حتى يكون كلام النبي منطقي ومنسجم مع العقل السليم من الذي يسلسل الشياطين في رمضان المؤمنون حينما يتوبون إلى الله

ويغضون أبصارهم ويضبطون ألسنتهم ، ويصبرون على بعض أذى الناس ، وحينما يحسنون وحينما يطعمون ، وحينما يقرؤون القرآن هم باستقامتهم وأعمالهم الصالحة يبطلون عمل الشياطين وكأن الشياطين مسلسلة.

أيام يقول لك رجل باللغة الدارجة شيء يربط اليدين ، أي أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، المؤمن عندما يتوب إلى الله عز وجل هو الذي سلسل الشياطين.

))إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ((

الاصطفاء.

الحقيقة يوجد فكرة دقيقة ، الله اصطفى مكان ، واصطفى زمان ، واصطفى إنسان.

اصطفى بيت الله الحرام ، الصلاة في هذا البيت تعدل مائة ألف صلاة ، والإقبال على الله في هذا البيت إقبال شديد مكثف ، اصطفى هذا المكان لينسحب هذا الاصطفاء على كل مكان ، أنت تأتي بيت الله الحرام في الحج أو العمرة تصلي صلاة من نوع آخر ، صلاة فيها إقبال ، فيها سرور تشعر بالقرب من الله عز وجل ، أراد الله حينما اصطفى هذا المكان أن ينسحب على كل شهور العام.

واصطفى زماناً ، اصطفى رمضان ، واصطفى المكان لينسحب على كل مكان ، واصطفى هذا الزمان والله أعلم ليكون هذا الاصطفاء مستمراً في كل شهور العام.

أجمل شيء إنسان ألزم نفسه في رمضان أن يصلي الفجر في جماعة ، والله أنا العبد الفقير أسعد أي سعادة حينما أرى أحد أخوان المسجد ألزم نفسه أن يصلي الفجر في جماعة ، يصلي الفجر في جماعة طوال العام أنت في رمضان تغض البصر ما أروعك لو تسحب هذه الطاعة على كل شهور العام.

أنت في هذا الشهر تضبط جوارحك ، الله عز وجل اصطفى هذا الشهر لينسحب على كل شهور العام.

واصطفى النبي الكريم ، اصطفاه على كل الخلق ، صفوته من خلقه ليكون هذا النموذج مطبق عند كل إنسان.

اصطفى بيت الله الحرام ليتسع هذا الاصطفاء إلى كل مكان ، واصطفى شهر رمضان لينسحب هذا الاصطفاء على كل شهور العام ، واصطفى النبي محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هذا النموذج متكرراً عند كل إنسان ، هذه حكمة الله.

أحب الأعمال إلى الله أدومها.

أيام الإنسان يلزم نفسه ما لا يطيق ، يسمي الناس هذا الإلزام لزوم ما لا يلزم ، أجمل ما مر معي في موضوع الصيام أن أعرابي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ:

))تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ – قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ فَلَمَّا وَلَّى – قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا((

لذلك أحب ما تقرب إليه العباد إلى الله ما افترض عليهم ، أحياناً يخطر على بال بعض الناس أن يبالغوا في الصيام ، جميل جداً ، أما حينما يرتكب الموبقات مع هذه النوافل ، إن الله لا يقبل نافلة ما لا تؤدى الفريضة ، ما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بأحب مما أدوا ما افترضه الله عليهم .

الشيء الثاني ، إن الله لا يمل حتى تملوا ، افعلوا ما تطيقون:

))عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ قَالَتْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا((

هذا الحديث يعطيك الحد الأدنى ، أي العبادات الأساسية ، الصلاة والصوم والحج والزكاة وضبط الجوارح وضبط الأعضاء وضبط البيت والإنفاق ، هذا إذا تم فأنت من أهل الجنة ، الحد

الأدنى ، هناك حد أقصى ، هناك أصحاب اليمين وهناك السابقون السابقون ، هناك المقتصدون وهناك السابقون ، هناك المقصرون وهناك المقتصدون وهناك السابقون.

عَنْ سَهْلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ((

هذا الحديث أيضاً ورد في البخاري ، يعني الصائمون لهم باب يدخلون منه إلى الجنة هو باب الريان ، يوجد شيء في الموضوع دقيق ، هو الأمر الإلهي حينما اتضحت حكمته وضوحاً جلياً وحينما تتصل ثماره بمصلحتك ، يقل عنصر العبادة فيه ، يعني الله أمرك أن تكون أميناً ، أو أن تكون صادقاً ، الصدق منجاة ، الصدق فيه عز ، الصدق فيه شرف ، في مكانة علية ، الصادق محترم بين الناس ، الصادق لا يحتاج أن يحلف الأيمان ، الذي ألف الناس منه الصدق لا يستحلفونه ، ولا يكذبونه ، الصدق واضح جداً ، الأمين الأمانة غنىً ، الأمين غني بالمعنى المادي لأنه موثوق يثق الناس به ، يعطونه أموالهم ليتجر لهم به ، الأمانة لصالح الإنسان ، فكلما اتضح الأمر الإلهي اتضحت حكمته بجلاء واتصلت منفعته بك شخصياً أقبلت عليه ببساطة ويسر لأنه في النهاية أنت الرابح الأول ، أما حينما تكون في شهر تموز أو آب والحرارة تسعة وأربعين والنهار سبعة عشر ساعة تدخل إلى البيت الساعة الثالثة لا تشتهي شيئاً إلا كأس ماء ، تدخل إلى الحمام يوجد صنبور ماء من العداد الماء مثل البوظ لا تستطيع أن ترتشف قطرة واحدة ، أنا ماذا أفعل أشرب كأس ماء ، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

))قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ((

قال الأب لابنه إياك أن تكذب ، فقال الابن : سمعاً وطاعةً يا أبي ، إياك أن تتكاسل ، قال الابن : سمعاً وطاعةً ، إياك أن تهمل أسنانك ، قال : سمعاً وطاعةً ، أما الابن جائع جداً والطعام طيب جداً ، قال له : لا تأكل ، هذا الأمر غير معقول ، فإذا ابن ذو ثقة كبيرة بوالده يقول سمعاً وطاعةً يا أبي ، أعلى أمر تعبدي من يذكره على الإطلاق ؟ أن يذبح ابنه سيدنا إبراهيم ، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

]سورة الصافات الآية : ١٠٢[

وابنه ليس صغيراً ، يساعده وهو نبي ، وبلغ معه السعي ، هذا أعلى أمر تعبدي لأنه غير منطقي أب نبي كريم أبو الأنبياء وله ابن نبي وهو يساعده في الدعوة إلى الله ، اذبحه ، أعلى توكل توكل سيدنا إبراهيم قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

]سورة إبراهيم[

إنسان يسافر يهيئ كل شيء كل من حول البيت يلبون طلبات البيت ويوجد طعام وشراب وكهرباء ووقود ، وبالهاتف يأتي كل شيء إلى البيت ومع ذلك يقلق الأب ، إنسان يضع زوجته وابنه في الصحراء ويذهب ، هذا أعلى توكل.

فكلما اتضحت حكمة الأمر ، اتصلت منفعته لصالحك ينخفض فيه مستوى التعبد ، وكلما غابت عنك حكمته وابتعدت عنك منفعته وأمرت به يرتفع مستوى التعبد في الأمر ، الصوم من أرقى العبادات لأنك تدع الطعام والشراب وسائر المفطرات المباحة تقرباً من الله عز وجل ، أنت رأيت الطعام والشراب والمباحات أقل عندك شأناً من طاعة الله عز وجل ، كثير من الرجال مسلمين نشؤوا في بيئة إسلامية لا يصومون هل من المعقول أن يحرم نفسه الطعام والشراب في

رمضان من أجل دخينة ، ليس مستعد أن يغير مجرى حياته أبداً ، أن يترك شيئاً لله ، يوجد في أوساط المسلمين أناس لا يصومون لكن لا يصوم سراً ، أما جهراً ينافق أحياناً ، الذي لا يصوم جهراً هذا فاجر الذي لا يصوم سراً هذا عاصي.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ:

))كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ((

الناس يفعلون العكس إذا صام يضيق خلقه كثير ، وينفجر لأتفه سبب يقول لك أنا صائم ، يعلو صوته ، يقسو كلامه ، قد يضرب ، لأنه صائم مع أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

))وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ((

أنت انظر إلى شعور الصائمين يوم العيد ، انقضت أيام الصيام وجاءت أيام الإفطار وصام إيماناً واحتساباً وارتقى عند الله عز وجل وكتب الله له الأجر وقبله منه والآن يأكل كما يأكل كل الناس وقد حاز صواب الصيام ، وانظر إلى المفطر الذي أفطر في رمضان ، الآن يأكل الناس معه كما يأكل في الإفطار لكنه أفطر يوماً من رمضان فلن يجزه صيام الدهر كله ولو صامه ، قال تعالى:

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

]سورة البقرة الآية : ١٨٤[

حتى لو كان يوجد عذر ، إذا الإنسان معذور في سفر أو مرض بإمكانه أن يصوم ، الأولى أن يصوم ، لكن ذكرت لكم من قبل أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه في غزوة في

رمضان طبعاً الإفطار جائز ، الإفطار رخصة ومن أخذ بالرخصة لا شيء عليه ، والصيام أيضاً جائز ، أنا سمعت عن أناس وهم في مشقة كبيرة يصومون ، والله يعينهم على الصوم ، هذه عزيمة ، الإفطار رخصة والصوم عزيمة.

فأصحاب النبي رضي الله عنهم أجمعين كانوا مع النبي الكريم في غزوة فبعضهم صام وبعضهم أفطر ، أروع ما في الموضوع أن الصائمين لم يأخذوا على المفطرين ، وأن المفطرين لم يأخذوا على الصائمين ، بل إن الذين أفطروا خدموا أخوانهم الصائمين خدمةً عالية فقال عليه الصلاة والسلام:

))عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَصَامَ بَعْضٌ وَأَفْطَرَ بَعْضٌ فَتَحَزَّمَ الْمُفْطِرُونَ وَعَمِلُوا وَضَعُفَ الصُّوَّامُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ قَالَ فَقَالَ : فِي ذَلِكَ ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ((

أنت في سفر أو في مرض لا سمح الله ، السفر رخصة والمرض رخصة ، إن أمكنك أن تصوم مع السفر والمرض فصم لقول الله عز وجل:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

]سورة البقرة الآية : ١٨٤[

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

خلاصة القول:

يعني نحن كما قلنا في بداية الدرس مقبلون على شهر عظيم ، على شهر عبادة فرصة سنوية لمغفرة كل الذنوب ، وفرصة سنوية لاكتساب رضوان الله عز وجل ، وكما قال الإمام الشافعي : إن الله لا يعذب أحبابه ، أي أنك إذا صمت رمضان إيماناً واحتساباً أنشأ الله لك حقاً عليه أن لا

يعذبك ، وهناك للصيام معاني كثيرة جداً لا مجال لذكرها في درس واحد ، الصيام يعلم النظام ، تصور اثني عشر مليون إنسان يفطرون في دقيقة واحدة ويأكلون طعام السحور في وقت واحد ويتوجهون إلى المساجد في وقت واحد ، شيء جميل أن ترى أمةً لها نظام فالله عز وجل جعل من هذا الشهر مظهر تنظيمي رائع للأمة الإسلامية ، ترى من أقصاها إلى أقصاها ، من المغرب إلى الصين يتناول طعام السحور ويدع الطعام والشراب ويفطر مع أذان المغرب ويصلي التراويح ويقرأ القرآن نظام رائع ، انظر إلى دمشق مع أذان المغرب كأن التجول ممنوع شيء جميل ، كل الناس في البيوت يأكلون ، هذا مظهر حضاري ، مظهر نظام هذه من حكم الصيام الجانبية يعلمك على النظام يعمل روح جماعية أيام الإنسان يصعب عليه أن يصوم يوم وحده ، أما في رمضان الصوم سهل جداً لأن الناس كلهم صائمون .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع في هذا الدرس وأن نطبق ما تكلم فيه في رمضان وأن يكون هذا الشهر عتقاً لنا من النار.

والحمد لله رب العالمين

الصيام والتجهيز لرمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام ، مع درس جديد من دروس التربية الإسلامية ، وسيكون محور هذا الدرس ما نحن قادمون عليه بعد عدة أسابيع من فريضة تعد ثاني أكبر العبادات في الإسلام .

أصول الإسلام :

لكن بادئ ذي بدء : العبادات في هذا الدين العظيم كما قال الإمام الشافعي : معللة بمصالح الخلق ، إن صح أن هناك مثلثاً لهذا الدين العظيم :

المقطع الأول : العقائد .

المقطع الثاني : العبادات .

المقطع الثالث : المعاملات .

المقطع الرابع : الآداب .

فالدين عقيدة ، وعبادة ، وأحكام تعاملية ، وآداب .

١ – العقيدة :

والعقيدة تقع على رأس هذه الأقسام ، وإن صحت العقيدة صح العمل ، وإن فسدت العقيدة فسد العمل .

٢ – العبادات :

المقطع الثاني : هي العبادات ، العبادات كما قال الإمام الشافعي : معللة بمصالح الخلق ، فالصلاة بنص القرآن الكريم :

﴿ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(سورة العنكبوت الآية : ٤٥)

أ . الصلاة :

الله عز وجل ملك الملوك ، خالق السماوات والأرض ، يمكن أن يأمرنا أن نصلي ولكن رحمة بنا أعطانا تعليلاً للصلاة ، كلما كان الآمر أكمل أعطى المأمور التعليل قال :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

(سورة العنكبوت الآية : ٤٥)

إذاً : الصلاة معللة بمصالح الإنسان ، تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء والمنكر سبب هلاكه في الدنيا والآخرة .

الآن هذا التعليل مهمته أنه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فما قطف ثماراً من الصلاة ، لئلا تقوم بأفعال لا معنى لها ، لئلا تقوم بأفعال لا فائدة منها ، لئلا تقوم بأفعال مفرغة من مضمونها ، قال :

﴿ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((الصلاة طهور))

[ورد في الأثر]

مستحيل أن يكون المصلي حقوداً ، الحقد مرض ، مستحيل أن يكون المصلي ظالماً ، الظلم مرض ، مستحيل أن يكون المصلي مستكبراً ، الكبر مرض ، واحد .

الشيء الثاني : الصلاة حبور ، سعادة ،

((**أرحنا بها يا بلال**))

[أبو داود]

فالذي لسان حاله يقول : أرحنا منها لم يقطف ثمار الصلاة ، فرق كبير بين أرحنا بها ، وبين أرحنا منها .

والصلاة نور ، من خلال الصلاة ترى الخير خيراً والشر شراً ، ترى الخير خيراً فتتبعه ، وترى الشر شراً فتجتنبه ، والدليل :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ**﴾

(**سورة الحديد الآية : ٢٨**)

فالصلاة نور ، والصلاة طهور ، والصلاة حبور ، والصلاة ميزان ، هل تستطيع ، وبلا مجاملة إن ارتكبت إثماً ، أو اعتديت على إنسان على ماله أو على عرضه أن تصلي ، بإمكانك أن تقف ، وتقرأ الفاتحة وسورة ، بإمكانك أن تركع وتسجد ، لكن ليس بإمكانك أن تتصل بالله ، لأن ذنبك حجبك عن الله عز وجل ، فالصلاة ميزان صارت .

((**الصلاة مكيال فمن وفى استوفى**))

[رواه ابن المبارك عن أبي هريرة]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾

(**سورة النساء الآية : ٤٣**)

فالذي لا يعلم ماذا يقول في الصلاة إذاً هو لم يصلِ الصلاة التي أرادها الله .

((**ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منه**))

[أخرجه أحمد عن عمار بن ياسر]

الصلاة قرب ، وفي القرآن الكريم :

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

(سورة العلق)

الصلاة دعاء :

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

(سورة الفاتحة)

الصلاة ذكر :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

(سورة طه)

الصلاة معراج المؤمن ، الصلاة أصل الطاعات ، وغرة العبادات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات .

إذاً العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، هذه الصلاة .

ب . الصيام :

الصيام منطلق حديثنا .

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا))

[رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس]

((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))

[أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة]

معنى ذلك أنه في الصيام بحسب الواحد الديان :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(سورة البقرة)

لعلك إذا صمت ، وتركت كل المعاصي والآثام ، وأقبلت على الواحد الديان ، واشتققت منه النور رأيت الحق حقاً والباطل باطلاً :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

إذاً العبادات معللة بمصالح الخلق .

ت . الزكاة :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾

(سورة التوبة الآية : ١٠٣)

الغني يطهر من مرض الشح ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(سورة الحشر)

ومن أدى زكاة ماله أذهب الله عنه الشح ، والفقير يطهر بالزكاة من مرض الحقد ، لأن الفقير يحقد ، فإن أعطيت له الزكاة لا يغدو حاقداً ، والمال يطهر من تعلق حق الغير به .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

(سورة التوبة الآية : ١٠٣)

التزكية أي أن نفس الفقير تنمو ، لأنه شعر أن المجتمع لم ينسه ، ونفس الغني تنمو حينما يشعر أنه أدخل الفرحة على قلوب الآلاف ، والمال ينمو ، التعليل :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

(سورة التوبة الآية : ١٠٣)

ث . الحج :

((من حج بمال حرام ، ووضع رجله في الركاب ، وقال : لبيك اللهم لبيك ينادى أن لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك))

[ورد في الأثر]

لذلك قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾

(سورة المائدة الآية : ٩٧)

أنت لمجرد أن تعلم أن الله يعلم فقد حققت الثمرة من الحج .

بل والنطق بالشهادة من أركان الإيمان ، أن تشهد أنه إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل وما حقها ؟ قال أن تحجبه عن محارم الله))

قلت كلمة في بداية الدرس : العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، لو أردنا أن نقف موقفة متأنية عند الصيام .

من تعريفات الصيام :

من تعريفات الصيام :

أنه عبادة الإخلاص ، كيف ؟ قد يأتي رمضان في الصيف ، واليوم في الصيف طويل ، قد يقترب من ١٧ ساعة ، والحر شديد ، والعطش يكاد يميت الإنسان ، تدخل إلى بيتك ، وليس في البيت أحد ، الثلاجة فيها ماء عذب فرات بارد ، ولا تستطيع أن تضع قطرة ماء في جوفك ، لماذا ؟ من يحاسب ؟ لا أحد في الأرض يحاسبك ، لذلك :

((كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))

[متفق عليه]

أول شيء الصوم عبادة الإخلاص .

حِكمة الصيام : دورة تعبّدية

١ – دورة تعبدية :

لكن ما حكمته ؟ أنت في أشهر العام تأكل الطعام والشراب ، هل تشعر بذنب إذا تناولت طعام الإفطار ؟ هل تشعر بذنب إذا شربت كأس ماء ؟ في أيام الإفطار هل تشعر بذنب إذا قاربت زوجتك ، وهي حلال لك ؟ أبداً إطلاقاً ، ولا واحد بالمليون ، الأشياء المباحة الحلال التي أبيحت لك ، ولا شيء عليك لو مارستها محرمة في نهار رمضان ، إذا كان تناول الطعام والشراب وهو مباح في غير رمضان ، محرماً في رمضان ، فلأن أن تدع المعاصي والآثام من باب أولى ، كأن الله عز وجل قوى فيك الإرادة ، أنت ممتنع عن الطعام والشراب فهل يعقل أن تكذب ؟ هل يعقل أن تغتاب ؟ هل يعقل أن تقول الباطل ؟ هل يعقل أن تغش المسلمين ؟ أنت تارك الطعام والشراب الحلال تاركه ، فلأن تدع الحرام من باب أولى ، فكأن الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر قوى لك الإرادة على أن تصوم رمضان .

الإنسان أحياناً يستثني دورة محدودة ، قد لا يحتمل أن يدرس لخمسين سنة قادمة ، أما دورة في ثلاثين يوما فقط يستطع .

٢ – شهر المغفرة :

بالمناسبة :

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

للتقريب : المفاهيم المعاصرة واحد عليه ٨ ملايين دينا ، أمواله كلها محجوزة ، عليه محاكمة ، وعليه سجن ، قيل له : افعل هذه الأفعال ثلاثين يوماً فقط ، وبعدها أنت معفى من كل شيء ، ٨ ملايين ألغيت ، والمحكمة ألغيت ، والحجوزات ألغيت ، هل يتردد الواحد منا ثانية ؟ أنت في رمضان تفتح مع الله صفحة جديدة .

((من صام رمضان . هذا في الصحاح . إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

إذاً أنت أمام فرصة ذهبية ، كيف ؟ تفتح مع الله صفحة جديدة .

دع الأشغال وحلَّ المشكلات إلى ما بعد رمضان :

لكن هناك فكرة دقيقة ، يجب أن تكون سرعتك في رمضان مئة ، أنت هنا صفر ، أو واحد ، أنت لا تقدر أن تمشي على الواحد ، لـ٢٩ شعبان ، وتقفز فوراً للمئة ، لا تستطيع ، المفروض أن تهيئ نفسك ، هناك مشكلة حلَّها قبل رمضان ، مشكلة عويصة أجّلها إلى ما بعد رمضان ، محاولة كسوة بيت افعلها قبل رمضان ، لأن رمضان شهر عبادة ، شهر تفرغ ، والحقيقة النبي عليه الصلاة والسلام كان يعتكف في رمضان ، وهو انقطاع عن العالم الخارجي كلياً ، أنا قد لا أحثكم على أن تعتكفوا ، الحياة معقدة ، الحياة معقدة جداً ، ولكن معنى الاعتكاف أن تنقطع عن العالم الخارجي ، عن عالم القيل والقال ، والسؤال والجواب ، والنقد ، والهموم والأحزان ، هذا شهر دورة تدريبية مع الله ، لأن العبادة فيها شحنة .

٣ – شهر الشحنة الإيمانية :

أوضح مثل على ذلك : الهاتف المحمول يحتاج إلى شحن ، فإن لم تشحنه تنطفئ شاشته ويسكت ، أصبح قطعة بلاستيك لا قيمة لها إطلاقاً ، وأنت كمؤمن تحتاج إلى شحن ، الشحن كم نوعا ؟ عندنا شحن يومي ، كلما وقفت في الصلاة من أجل أن تُشحن شحنة روحية ، لذلك :

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦)إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾

(سورة المزمل)

حينما تُشحن في صلاة الفجر تشعر طوال اليوم أنك ترى الحقيقة ، وأنك مالكٌ لجوارحك ، وأن كلامك سديد ، وأن قلبك مستنير ، وأن نفسك مطمئنة ، وأن رحمة الله تحفّ بك ، وأن توفيق الله عز وجل يؤيدك .

إذاً الصلاة شحنة ، لكن طبيعة الصلاة ثلث ساعة ، شحنة من الصباح إلى الظهر ، الظهر شحنة ثانية إلى العصر ، العصر شحنة ثالثة ، إلى المغرب ، المغرب شحنة إلى العشاء .

صلاة الفجر ، كنت في الفراش ، فالسنة قبلية وأنت نائم ، فالسنة قبل الفرض تدريب ، الفرض صحوت ، باعتبار تعبك طوال النهار السنة في العشاء بعدية ، السنة أقرب إلى النوم ، الفجر السنة قبلية ، العشاء سنة بعدية ، في الفجر نفسك صافية ، وفي العشاء ركعتان تكفيان ، الظهر كنت في المحل التجاري ، واحد أخذ عليك مبلغا ، والثاني أزعجك ، ما اشترى ، والرابع طالبك بدينه ، أنت مشوش ، تصلي أربع ركعات ، اثنتين قبل ، واثنتين بعد ، دائماً الركعات القبلية تهيئة ، والبعدية ترميم ، ما فاتك من الفرض ترممه في السنة البعدية ، لذلك صلوات النهار طويلة ، أما الفجر قصيرة ، صحوت صافي الذهن ، شحنة ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما))

[أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة]

رمضان ثلاثون يوما من الصيام ، ومن قراءة قرآن ، ومن الذكر ، ومن صلاة الفجر في المسجد ، ومن صلاة العشاء في المسجد ، وكل يوم عشرون ركعة تراويح ، وثلاثون يوما من الإنفاق ، وغض بصر ، وضبط لسان ، رمضان شحنة من العام إلى العام ، الحج شحنة إلى بقية العمر ، شهر من السفر وترك الأهل والأولاد ، واستقبال الكعبة ، والطواف ، والسعي ، ووقوف بعرفات ، ووقوف بمنى ومزدلفة ... إلخ .

إذاً : العبادات شحنات ، وكلما كان الأمد أطول كانت الشحنة أشد ، هذا معنى من معاني الصيام .

٤ – الصيام تقوية النفس على الإرادة :

الصيام بادئ ذي بدء : عودك على أن تطيع الله ، لأنك تركت المباحات ، فلأن تدح المنهيات من باب أولى .

إذاً المسلم يصوم بفمه وجوارحه في رمضان ، وفي شوال يفطر بفمه فقط ، وتبقى جوارحه صائمة إلى نهاية العام ، وغض بصره ، وضبط لسانه ، وتحري الحلال ، هذا طوال العام ، هذا واحد .

إذاً : الصيام تقوية الإرادة على طاعة الله ، لكن نحن نتمنى من أعماق أعماقنا ألاّ يكون صيامنا صيام حديث ، موسم رمضان في المجتمعات المعاصرة موسم الأفلام ، موسم الفن ، موسم السهرات ، موسم الولائم ، موسم التخمة ، موسم السهر إلى ساعة متأخرة من الليل ، المؤمن يجعل من هذا الشهر شهر عبادة ، لا شهر لقاءات وولائم ، وما شاكل ذلك ، والطبقة المخملية . والعياذ بالله . صيام رمضان عندها فلكلور ، تأتي إلى الخيام الرمضانية تبدأ الخيمة بتناول طعام الإفطار ، وتنتهي بالرقص والموسيقى والغناء ، رمضان عند الشاردين موسم فني فقط ، وكل الأعمال الساقطة يكتبون عنها : " إكراماً لقدوم شهر رمضان المبارك " ، نحن كمؤمنين هذا الشهر شهر عبادة ، يمكن أن تقفز قفزة نوعية في هذا الشهر .

٥ . الشعور بالافتقار إلى الله :

شيء آخر : الله عز وجل قال :

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾

(سورة النساء)

لكنه قد لا يرى ضعفه ، له منصب رفيع ، قوي الشخصية ، معه اتصالات ، ألف إنسان يخضعون له ، لكن برمضان الساعة ١٢ نشف لسانه ، خواطره كلها كأس ماء بارد ، كأس عرق سوس ، كأس عصير ، شيء بارد ، كأن الله أراد في رمضان أراد أن يشعرنا بافتقارنا إليه ، لما قال الله عز وجل في الأنبياء :

﴿ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾

(سورة الفرقان الآية : ٢٠)

ما معنى ذلك ؟ هذا الذي يأكل الطعام أي هو مفتقر في استمرار وجوده إلى أن تناول الطعام ، إذاً هو ليس إلهاً ، الله عز وجل قال :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾

(سورة الإخلاص)

الصمد ، يعني أن وجوده ليس مفتقراً إلى غيره ، أما أنت فإن أغلقت أنفك تختنق ، أنت مفتقر للهواء ، وأكثر من ثلاث دقائق تموت ، وأنت مفتقر للماء ، ومفتقر للطعام ، ومفتقر للنوم ، ومفتقر لزوجة ، مفتقر إلى بعض الأدوات والأجهزة ، لذلك في رمضان يشعر المؤمن بافتقاره إلى الله عز وجل ، فما هي العبودية ؟ أن تفتقر إلى الله .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٢٣)

يعني مفتقرون ، أما في حنين فلم يكونوا مفتقرين ، فقالوا :

((لن تغلب اليوم من قلة))

[أخرجه البيهقي عن أنس]

نحن كثر .

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾

(سورة التوبة)

أيها الإخوة ، إحساسك بالجوع والعطش نوع من الافتقار إلى الله ، أنت . عفواً . لا تعرف قيمة هذا القميص الذي ترتديه إلا في الحج ، حيث ترتدي منشفتين ، هنا قميص له أكمام ، له أزرار ، فضفاض ، هناك ترتدي منشفتين ، لا تعرف قيمة الثياب إلا في الحج ، لذلك من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام :

((اللهم أرنا نعمك بوفرتها لا بفقدها))

[ورد في الأثر]

الشيء بالشيء يذكر : نحن كنا ننعم بما يسمى بتوازن القوى في العالم ، بوجود معسكرين كبيرين بينهما حرب باردة ، وكلما تحرك معسكر ليأخذ ما ليس تصدى له المعسكر الآخر ، فكل الدول الضعيفة تنعم برخاء بأمن واستقرار ، لوجود معسكرين ، لكن يوم كنا نعيش هذه الحرب الباردة ما كنا نعرف أن في الأرض معسكرين ، أما حينما انفرد قطر واحد رأينا منه الأهوال ، رأينا منه القهر ، والنهب ، والسلب ، والإذلال ، رأينا منه أنه فرض علينا ثقافته وإباحيته .

إذاً البطولة أن ترى النعمة بوفرتها ، لا بزوالها ، جميع الأغبياء يعرفون النعم عند غيابها ، لكن الأذكياء الموفقون يعرفون النعم بفورتها .

لذلك مرة سأل وزير ملكا ، وقد طلب كأساً من الماء ، قال له : يا أمير المؤمنين ، بكم تشتري هذا الكأس من الماء لو منع منك ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : فإذا منع إخراجه ؟ قال : بنصف ملكي الآخر ، مُلك طويل عريض يساوي كأس ماء .

لذلك نحن في رمضان مفتقرون إلى الله ، بكأس ماء ، لقمة طعام .

٦ . الشعور بمعاناة الفقر والجائع :

شيء آخر : فكرة ، ومعاناة : لو أن لك صديقا نشأ خلاف بينه وبين زوجته ، وزوجته تركته إلى بيت أهلها ، أنت عندك فكرة أن زوجة صديقك ذهبت إلى بيت أهلها ، هذه فكرة لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تؤثر على سلامتك وسعادتك ، أما الصديق فيأتي ظهراً فلا يجد زوجة ، وطبخا ، ولا طعاما ، الأولاد يحتاجون إلى عناية ، الصديق عنده المعاناة ، وأنت عندك فكرة هجر الزوجة ، الفرق كبير .

مثلاً : لو أريتك خارطة لقصر ، وفيها كل شيء ، الطوابق ، والغرف مساحاتها ، الشرفات ، هذه فكرة ، أما أن تملك هذا القصر فشيء ثانٍ .

لو قلت لك : مئة مليون دولار ، هذه واضحة ، بين أن تملكها وأن تنطق بها فرق كبير جداً ، مئة مليون دولار ، النطق بها سهل جداً .

لذلك في رمضان تعرف معاناة الفقير أبداً ، الفقراء في أول الثورة الفرنسية ما وجودوا خبزا ، تقول ماري أنطوانيت : يأكلون (الكاتو) ، إذا ما وجد أحدنا خبزا يأكل (الكاتو)، وهو أطيب ، فلا معاناة إطلاقاً .

لذلك قالوا :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

***

أنت في رمضان يمكن أن تعاني مشكلة الفقير ، أنت جائع ، الذي ملأ معدته بالأكل لا يعنيه ، أما الجائع فمنظر الأكل ، ورائحة الطعام تعنيه ، إذاً : يمكن أن تشعر بجوع الفقير في رمضان ، وأن الجوع شيء لا يحتمل ، الله عز وجل ذكر نعمتين عظيمتين من نعمه ، فقال :

﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

(سورة قريش)

أكبر نعمتين على الإطلاق أن تأكل فلا تجوع ، وأن تأمن فلا تخاف ، الآن أكبر عقابين للأقوام الفاسدة :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

(سورة النحل)

أكبر نعمتين الشبع والأمن ، وأكبر نقمتين الجوع والخوف ،

﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

إذاً أنت في رمضان فضلاً عن أنك تستعين بالصيام على طاعة الله التامة لأنك تركت الحلال ، تركت المباح فلأن تدع الحرام من باب أولى .

وأعانك الله بالصيام على أن تشعر بجوع الفقير ، أعانك الله بالصيام على أن تشعر بعبوديتك لله عز وجل .

الصيام عبادة جماعية :

شيء آخر ، الصيام عبادة جماعية ، تصور بلدنا خمسة ملايين في دمشق يأكلون في ثانية واحدة عقب إطلاق مدفع الإفطار ، الطرقات فارغة ، عبادة جماعية ، النظام محبب ، فكأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نُنظم ، تجد في رمضان النظام ، الإمساك عن الطعام يتم مع أذان الإمساك ، الصلوات في المسجد ، الفجر في المسجد ، العشاء في المسجد ، الإفطار في وقت واحد ، لذلك الصيام عبادة جماعية ، يعلّم التعاون ، يعلّم النظام .

حدثني مرة أخ والده ضابط ، نحن من ثلاثين سنة نتناول طعام الغداء مع دقات ساعة بيك بن ، الساعة الثانية ، في البيت نظام صارم ، وجبات الطعام لها أوقات .

النظام حضارة أيها الإخوة ، أحياناً يأتي سائح أجنبي يرى الطرقات عند المغرب فارغة ، ما هذا ؟ يشعر أن هناك عبادة جماعية ، الله عز وجل أرادنا أن نكون منظمين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾

(سورة الصف)

الصلاة أيضاً فيها نظام ، فيها أقات .

مرة قال لي أحدهم : أنا أصلي قبل دخول العصر ، وهذا أكثر راحة لي ، هناك نظام صارم جداً في الصلوات الخمس ، وفي الصيام .

حج رجلٌ بيت الله الحرام ، له منصب رفيع بمصر ، في أثناء العودة بالطائرة قال : والله هناك عناية بالغة ، لكن لو أقاموا الحج على خمس دورات ، كل شهرين دورة لا يكون هناك ازدحام ، أين هو من فهم هذه العبادة ؟! هي عبادة اجتماع .

أنا كنت في القاهرة بمؤتمر إسلامي ، طربت طرباً شديداً لاقتراح وزير أوقاف مسلم قال : لو أن كل حاج باستمارته تكتب حرفته ، وعلى الكمبيوتر نفرزه ، مثلاً : مدرسو الجامعات يعقدون مؤتمرا بمنى لحلّ المشكلات ، والهموم المشتركة ، عندكم صناعيين يقيمون مؤتمرا ، وللمزارعين مؤتمر ، وللتجار مؤتمر ، ولأصحاب الوظائف المعينة مؤتمر ، الحج كأن الله أرادك أن تلتقي بكل المسلمين .

والحقيقة في الحج يرى الإنسان من كل الجنسيات .

إذاً : أراد الله من الصيام أن تكون عبادة جماعية ، والعزائم التي يقوم بها المؤمن ، ويفتقر إليها بعض المؤمنين تؤدى في رمضان بيسر وسهولة .

إذاً : أيها الإخوة ، هذه بعض الملامح التي تلوح في الأفق بهذا الشهر الكريم الذي هو فرصة ذهبية لا تعوض إلا بعد عام آخر ، كي تصطلح مع الله .

الخلاصة :

بالمناسبة ، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض ، أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، إذا رجع العبد إلى الله أنسى الله الملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ، إذا تاب العبد توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه ، والملائكة ، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ، ورمضان فرصة لفتح صفحة جديدة مع الله ، فرصة جديدة للإقبال على الله .

والحمد لله رب العالمين

رمضان من العبادات الشعائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباع، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتناب واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

((عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقي المنبر فقال آمين آمين آمين. فقيل: يا رسول الله ما كنت تصنع هذا ؟ فقال: إن جبريل صلى الله عليه وسلم قال: رغم أنف من دخل عليه رمضان ثم لم يغفر له، ثم رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة، ثم قال: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك. فقلت: آمين.))

[رواه البزار]

إن لم يغفر له فمتى ؟ فرصة ذهبية سنوية تعقد فيها الصلح مع الله وتتوب إليه وترجع إليه وتقبل عليه ليفتح لك ربك كما وعدك صفحة جديدة فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والأربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وفي رواية " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " ولكن أيها الأخوة لا بد من وقفة متأنية عند موضوعين خطيرين هما محور هذه الحلقة أو هذا اللقاء إن شاء الله تعالى.

هناك عبادات شعائرية واضحة جداً منها الصلاة والصوم والحج وهناك عبادات مالية كالزكاة، وهناك عبادات تعاملية من أوضح ما في العبادات التعاملية أنها مجموعة قيم أخلاقية فحينما سأل النجاشي سيدنا جعفر رضي الله عنه عن الإسلام قال:

يا أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأتي الفواحش ونأكل الميتة ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه.

كأن هذه الكلمات أركان الأخلاق، إن حدثك فهو صادق، وإن عاملك فهو أمين، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف.

حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه فدعانا إلى الله لنعبده ونخلع ما كان يعبد آباءنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.

إذاً الإسلام في حقيقته مجموعة قيم أخلاقية، الإسلام في حقيقته انضباط، الإسلام في حقيقته إيقاع الشهوة وفق منهج الله، لذلك الشهوة أودعها الله فينا وما أودعها فينا إلا لنرقى بها مرتين مرة صابرين ومرة شاكرين، تمر بك امرأة حسناء فتغض بصرك عنها، ترقى إلى الله صابراً، يرزقك الله زوجة صالحة تسرك إن نظرت إليه ترقى إلى الله شاكراً، تتعفف عن مال حرام ترقى إلى الله صابراً، يرزقك الله مالاً حلالاً طيباً ترقى إلى الله شاكراً، فهذه الشهوات ما أودعها الله في الإنسان إلا ليرقى بها مرتين، مرة صابراً، ومرة شاكراً إلى رب الأرض والسماوات، لذلك حينما قال الله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٤)

إذاً العبادات في الإسلام عبادات تعاملية كأن تكون صادقاً وأميناً مستقيماً وعفيفاً وتنجز الوعد وتلبي حاجة الإنسان، هذه القيم الأخلاقية التي هي مجموعة فيما يسمى بالعبادات التعاملية وأما العبادات الشعائرية فهي كالصلاة والحج والصيام ونحن مقبلون على شهر الصيام، ولكن أيها الأخوة دققوا فيما سأقول، لا يمكن أن تقطف ثمار العبادات الشعائرية ما لم تصح عباداتك التعاملية، طالبني بالدليل لو الدليل لقال من شاء ما شاء الصلاة عبادة شعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادة التعاملية، كيف ؟

((عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مَنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً. قَالَ ثُوْبانُ: يَا رَسُولَ اللهِ ! صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَنَعْلَمُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ أَنْتَهَكُوهَا.))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

إذاً لا قيمة لصلاتهم وهم ينتهكون حرمات الله، لا يمكن أن أقول لمصلي عاصي إياك أن تصلي مستحيل وألف ألف مستحيل ولكن أقول له ضم إلى صلاتك الاستقامة والعمل الصالح، إذاً الصلاة عبادة شعائرية لا يمكن أن تقطف ثمارها إلا إذا صحت عباداتك التعاملية، لذلك قال تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾

(سورة طه الآية: ١٤)

وقال تعالى:

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

(سورة العلق الآية: ١٩)

وقال عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة عقل، وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها.))

الصلاة يقظة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

(سورة النساء الآية: ٤٣)

﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

أي أكبر ما فيها أن تذكر الله أو أن أكبر شيء في الصلاة أن ذكر الله لك إذا ذكرته في الصلاة أكبر من ذكرك له، أنت حينما تذكره تؤدي طاعة، أما إذا ذكرك الله عز وجل أغدق عليك نعماً لا تعد ولا تحصى، أغدق عليك نعمة الأمن، وقد يفتقد هذه النعمة أقوى الأقوياء.

﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

(سورة الحشر الآية: ٢)

يمكن أن تستشعر معنى هذه الآية كل يوم، كل يوم:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) ﴾

(سورة الأنعام الآية: ٨١ . ٨٢)

ما قال الله عز وجل، أولئك الأمن لهم، لو أن الله قال أولئك الأمن لهم ولغيرهم، أما حينما قال بأسلوب القصر والحصر: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؛ أي أن نعمة الأمن لا يذوقها إلا المؤمن، قد تملك الدنيا وقد تخضع لك الدنيا، وقد تتحكم بالدنيا كلها، وقد أفقدك الله نعمة الأمن، هذه النعمة وسميها إن شئت السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء، هذه من نعم الصلاة كان عليه الصلاة والسلام: إذا حزبه أمراً بادر إلى الصلاة وما الخوف إلا بسبب الشرك الخفي.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾

(سورة الشعراء الآية: ٢١٣ . ٢١٥)

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي))

أما إني لست أقول أنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية وأعمال لغير الله،

((فالصلاة طهور))

كما قال عليه الصلاة والسلام بالصلاة يطهر قلبك من الحقد والخوف والنفاق والضياع والانقباض لذلك في قلب المؤمن من السعادة ما لو وزعت على أهل بلد لكفتهم، وفي قلب المقطوع عن الله عز وجل من اللقلق والخوف ما يكفي أن يشقى به أهل بلد بأكمله، ما معنى أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((إن بيوتي في الأرض المساجد وأن زواره هم عمارها فطوبى لعبد تتطهر في بيته ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر))

أنت في ضيافة الله في بيت الله، لن تجد في هذا البيت كأس من الشاي، ولا قطعة من الحلويات، ولكن الله سبحانه وتعالى يكرمك بنعمة الأمن التي افتقدها الأقوياء اليوم، ويكرمك بنعمة الحكمة، الحكمة ضالة المؤمن، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثير أنت بالحكمة تسعد بأية زوجة، ومن دون حكمة تشقى بأرقى زوجة بالحكمة تكسب المال، وبالأحمق تبدد المال، بالحكمة تجعل العدو صديقاً ومن دون حكمة تجعل الصديق عدواً، إذاً الصلاة طهور والصلاة نور يريك الله في الصلاة الحق حقاً والباطل باطلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾

(سورة الحديد الآية: ٢٨)

نور، طهور ونور وحبور، أرحنا بها يا بلال، وفرق كبير بين الفرض وبين الحب، بالحب تقول أرحنا بها، بالفرض تقول أرحنا منها وكان عليه الصلاة والسلام يكون معنا نحدثه ويحدثنا، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

أيها الأخوة:

ولكن:

((ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل صلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب وآوى الغريب، كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلما، والظلمة نورا، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم علي فأبره أكلأه بقربي وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت آذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو من ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا

***

إذاً: الصلاة عبادة شعائرية ولكنك لن تستطيع قطف ثمارها إلا إذا صحت عباداتك التعاملية، من صدق وأمانة وعفة وإنجاز وعد وإحقاق حق وإنصاف وما إلى ذلك.

الصيام:

((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

[أخرجه أحمد في مسنده والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة]

لذلك قالوا هناك صيام العوام ترك الطعام والشراب، فقط رمضان عند معظم الناس الشاردين عن الله عادة من عاداتهم، تقليد من تقاليدهم، شهر اجتماعي، السهرات واللقاءات والولائم والمسلسلات إلى ساعة متأخرة من الليل، ثم يأكلون وينامون، رمضان عند الناس الشاردين شهر اجتماعي، شهر لقاءات، شهر سهرات، شهر ولائم، الوجبات الثلاثة تنتقل من النهار إلى الليل فقط، ولكن من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، صوم العوام ترك الطعام والشراب، صوم المؤمنين ترك كل مخالفة لله عز وجل صوم الأتقياء ترك ما سوى الله.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) ﴾

(سورة المؤمنون الآية: ١ ـ ٦)

إذاً: الصيام عبادة شعائرية لكنك لن تقطف ثمارها إلا إذا صحت عباداتك التعاملية.

الحج: من حج بمال حرام، وضع رجله في الركاب وقال: لبيك اللهم لبيك، يناديه منادي أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، هذا الحج.

حتى الزكاة: إن لم يرافقها طاعة لله عز وجل لن تستطيع قطف ثمارها الكاملة.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٣)﴾

(سورة التوبة الآية: ٥٣)

الشيء الأساسي في هذه المحاضرة والذي أتمنى على الله أن يكون واضحاً لديكم هو أن هذه العبادات الشعائرية إنما شرعت لنا كي نكون في أعلى درجة عند الله، فإذا غيرنا وبدلنا وابتدعنا وعدلنا وتطورنا وحذفنا وأضفنا تنقلب هذه العبادات إلى تقاليد وعادات وفلكلور وتراث لا يقدم

ولا يؤخر، أرجعوا لهذا الشهر رونقه الذي كان عند أصحاب رسول الله أرجعوا إلى هذا الشهر رونقه فابتعدوا عن العادات والتقاليد التي لا ترضي الله عز وجل، سهرات، اختلاط مسلسلات، غيبة، نميمة، ولائم طعام طيب، سهر حتى السحور فيما لا يرضي الله، ونحن والحمد لله صائمون، ليس هذا هو الصيام الذي أرادوه الله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام:

هذه الأدلة التفصيلية ولكن الأدلة الكلية سأل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه من المفلس الحديث:

((عن أَبي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: " أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ ؟ " قالُوا المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله من لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: " المُفْلِسُ مِنْ أَمّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةِ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فيقعُدُ فَيَقْتَصّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمّ طُرِحَ في النّارِ))

[أخرجه الترمذي]

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾

(سورة النجم الآية: ٣ . ٤)

فالمفلس من صلى وصام وحج، لكنه تحلل من العبادات التعاملية ولم يأتمر بما أمر الله ولم ينتهِ عما نهى عنه الله.

((قال رجل: يا رسول الله إن فلانة، فذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: "هي في النار))

[أخرجه أحمد والبزار عن أبي هريرة]

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) ﴾

((هي في النار))

((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت))

[أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وابن ماجه عن أبي هريرة]

ماذا نفهم من هذه الآيات وتلك الأحاديث وهذه النصوص ؟ نفهم أن في الإسلام عبادة شعائرية وفي الإسلام عبادة تعاملية، والعبادة التعاملية تشبه تماماً العام الدراسي بأكمله، العام الدراسي دوام، في انتباه، في متابعة، في وظائف، في مذاكرات، والعبادات الشعائرية تشبه ساعات الامتحان الثلاث، لو أن طالباً لم يداوم، ولم يحضر درساً، ولم يقرأ كتابه المقرر، ولم يذاكر، وجاء الامتحان فدخل إلى الامتحان، ومعه ست أقلام وحب أسبرين، ترمس شاي، كل وسائل الراحة معه، لكن ما درس شيء، ما قيمة هذه الساعات الثلاث لا قيمة لها أطلاقاً، إن العبادة الشعائرية تشبه ساعات الامتحان الثلاثة بينما العبادات التعاملية تشبه العام الدراسي بأكمله فلذلك الذي يؤلم أشد الألم، والذي يتأسف له أشد التأسف أن تجد أن المسلمين اختصروا الدين إلى عباداته الشعائرية، ولم يحفلوا بعباداته التعاملية فحجبوا عن الله مع أنهم يصلون، وفرق كبير جداً بين الاتصال بالله وبين أداء الصلوات.

((ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل صلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي))

أيها الأخوة الكرام:

رمضان شهر الإخلاص، السبب: أن الأب أحياناً ولله المثل الأعلى، يأمر ابنه بتنظيف أسنانه، هذا الأمر واضح جداً تعود نتائجه على الابن، تحفظ له أسنانه، يتمتع بأسنانه طوال عمره، قد يأمر الأب ابنه أن يكون صادقاً هذا يحفظ له مكانته في المجتمع، قد يأمر الأب ابنه أن يكون أميناً هذا يجعل معظم الناس يرغبون بالتعامل معه، وقد يغتني بأمانته فالأمر بالأمانة واضح، والأمر بالصدق واضح، والأمر الصحي واضح لكن إذا حضر الطعام، طعام الأب والابن جائع، والطعام

طيب من مال حلال أعطى الأب ابنه أمراً ألا يأكل، الحكمة غير واضحة إطلاقاً، لكن الأب كبير والأب رحيم، والأب حكيم، وهذا أمر، يقول له ابنه سمعاً وطاعة يا أبي، امتناعه عن تناول الطعام من نوع آخر، لذلك ورد في الحديث القدسي.

((عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: قال اللَّه عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))

[متفق عليه]

ألم يكن أن دخلت البيت في أيام الصيف الحارة وبعد العصر ويكاد الإنسان يموت من العطش، دخل إلى الحمام فيه صنبور ماء بارد، هل تستطيع أن تلتقط نقطة واحدة، مستحيل من يراقبك ؟ الله جل جلاله لذلك قالوا هذه عبادة الإخلاص، يعني من باب الطرفة.

لو أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع الصيام، وأرادت حكومة من حكومات الأرض أن تفرضه على الناس، هل تستطيع تطبيقه ؟ لا أحد يأكل في الطريق لكن يأكلون في البيت، يشربون في غرفهم، إذاً لحكمة بالغة بالغة جعل الله بعض أوامره متوافقة مع شرائع الأرض كالسرقة محرمة في الإسلام ومحرمة في القوانين، فالذي لا يسرق لعله خائف من مديره العام، لكن ولحكمة بالغة بالغة جعل الله بعض أوامره لا تنطبق على قوانين الأرض كغض البصر، هل في الأرض كلها تشريع يمنعك أن تنظر، أبداً فإذا كنت في غرفتك وفتح باب الشرفة الذي يقابلك وخرجت الجارة بثياب متبذلة وهي لا تشعر أنك تراها، أنت إذا غضضت بصرك عنها وأنت في غرفتك المظلمة عملت هذا من أجل من ؟ من أجل الله وحده، لذلك قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾

(سورة غافر الآية: ١٩)

ليس في الأرض جهة تكشف خيانة العين إلا الله:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾

فالصيام وغض البصر عبادة الإخلاص، أنت حينما تدع الطعام والشراب تدع المباح، تدع شيئاً أحله الله لك خارج رمضان، تدع كأس الماء البارد وأنت في أشد حالات العطش، تدع أن تقترب ممن أحلها الله لك، لا تفعل هذا إلا خوف الله عز وجل، فالصيام عبادة الإخلاص، ولكن وما حكمة الصيام ؟.

الحقيقة أنك في رمضان تدع المباحات، فهل يعقل أن تدع المباح لتقترف الحرام مستحيل، كأن الله رب إرادتك وقوى إرادتك، يعني انظر يا عبدي قبل أن تنظر إلى هذه المرأة الحسناء في رمضان، أنت تركت الطعام والشراب وهما مباحان لك من أجل، فلئن تمتنع عما هو محرم من باب أولى، كأن الله سبحانه وتعالى قوى لك إرادتك في رمضان ولكن ما قوى هذه الإرادة في رمضان إلا كي تنسحب على بقية أشهر العام لا أن يقول أحد المسلمين كما قال بعض الشعراء مصر.

رمضان ولى هاتيها يا ساقي مشتاقةً تسعى إلى مشتاق

***

هذا الذي يعود بعد رمضان إلى ما كان قبل رمضان لم يذق طعم الإيمان، هذا الذي يعود بعد رمضان إلى ما كان قبل رمضان جعل الصيام تراثاً، وجعله عادة وتقاليد، ولم يجعله عبادة بل إن المؤمن الصادق يدع ما حرمه الله عليه في رمضان ولا يفطر إلا فمه عند حلول العيد يبقى محافظاً، ليست البطولة أن تدع المعاصي والآثام في رمضان، ثم تتابعها على مدار أشهر العام، ليست البطولة أن تغض بصرك في رمضان ثم تملئ عينيك من الحرام بقية أشهر العام ليس البطولة أن تدع اللغو والرفث في رمضان وأن تعود إليه ما بعد رمضان، هذا صيام التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، يعني الصيام كالدرج كل عام تقفز قفزة نوعية تتابع، قفزة تتابع، قفزة تتابع، هكذا الصيام، ليس الصيام من أجل مدافعة التدني بل هو من أجل متابعة الترقي.

ثم إن الصيام له حكمة أخرى... الحكمة أنك تعرف في الصيام افتقارك إلى الله، يعني وأنت من أنت، أنت عظيم القدر، جليل المكانة لامع الاسم، في أول يوم من أيام رمضان لا تشتهي إلا كأس ماء ولقمة طعام، أنت مفتقر إلى هذا الطعام، وإلى هذا الشراب، ولكن ما دمت تأكل كلما

جعت وتشرب كلما عطشت، لا تشعر بضعفك، مرة قيل لأحد الخلفاء الكبار الذين كانوا إذا نظروا إلى السحابة يخاطبونها ويقولون اذهبِ إلى أين شئت يأتيني خراجك، طلب كأس ماء هذا الخليفة، سأله وزيره يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس إذا منع منك ؟ قال بنصف ملكي قال فإذا منع إخراجه ؟ قال بنصف ملكي الآخر، كأس الماء لا تعرف قيمته إلا في رمضان أن تأكل فاكهة كلما اشتهيت، لا تعرف قيمتها إلا في رمضان، أن تملئ بطن جائعاً لا تعرف قيمته إلا في رمضان، فكأن الله سبحانه وتعالى أراد في رمضان أن يعرف الإنسان قدر ربه وعجزه عن متابعة أموره لذاته فمن عرف نفسه عرف ربه.

أيها الأخوة الكرام:

العبودية افتقار إلى الله، العبودية أن تقول يا رب إنك تعلم وأنا لا أعلم، إنك تقدر وأنا لا أقدر، أصحاب النبي عليهم رضوان الله في بدر انتصروا وهم قلة وقد قال الله عز وجل:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٤٩)

ولكنهم هم هم ومعهم سيد الخلق في حنين قالوا لن نغلب من قلة.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥)﴾

(سورة التوبة الآية: ٢٥)

أي ؛ في كل يوم تمتحن مئات الامتحانات، إذا قلت أنا تخلى الله عنك، فإذا قلت الله تولاك، صنعوا باخرة في عام ١٩١٢ م هذا الباخرة أكبر باخرة في الأرض عملاقة، طبعوا كتيباً وزعوه على ركابها في هذا الكتيب قيل إن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة، فغرقت في أول رحلة وكان غرقها درس من السماء إلى الأرض، أرسلوا مركبة سموها المتحدي بعد سبعين ثانية من إطلاقها أصبحت كتلة من اللهب، تتحدون من ؟ وأية جهة في الأرض تتأله يقصمها الله عز وجل.

((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شيئا منهما ألقيته في جهنم))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

لذلك المؤمن مفتقر، وغيره معتد بقوته، معتد بهيمنته، والله له بالمرصاد.

﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

(سورة الحشر الآية: ٢)

ماذا قالت عاد ؟ الأولى طبعاً، لا أتكلم عن الثانية، الأولى.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾

(سورة النجم الآية: ٥٠)

ماذا قالت ؟

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾

(سورة فصلت الآية: ١٥)

لماذا لأنها تفوقت في كل الميادين.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾

(سورة الفجر الآية: ٦ ـ ٨)

لذلك أيها الأخوة من أدق ما قرأت في القرآن الكريم أنك إن بحثت في محرك البحث عن آيات القرآن الكريم عند كلمة أشد تجد تسع آيات حصراً ثماني آيات كلما أهلك الله أمة أو قوم ذكرها بأنه أهلك قوم أشد منهم قوة، إلا عاد لأنها كانت أشد الأمم، قال:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

(سورة فصلت الآية: ١٥)

يعني ما فوق عاد إلا الله، وأية أمة قلدت عاد الأولى وليس فوقها إلا الله يقول الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾

لذلك أيها الأخوة من علامات إيماننا نتابع عن عاد

﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) ﴾

تفوق في شتى الميادين، غطرسة:

﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

اثنان.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾

(سورة الشعراء الآية: ١٢٨)

تفوق عمران مذهل.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾

(سورة الشعراء الآية: ١٢٩)

قوة عسكرية بطاشة.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)﴾

(سورة الشعراء الآية: ١٣٠)

تفوق علمي.

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾

(سورة العنكبوت الآية: ٣٨)

هذه صفات عاد الأولى، وما قال الله عاد الأولى إلا لأنه بعلمه سيكون هناك عاد ثانية لذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)﴾

ماذا فعلوا ؟ قال:

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)﴾

(سورة الفجر الآية: **٦ ـ ١٢**)

عدوان وإفساد، ملئوا الأرض عدواناً وإفساداً.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾

(سورة الفجر الآية: **١٣ ـ ١٤**)

أيها الأخوة الكرام:

لا تقلقوا على هذا الدين ولو تآمر عليه أهل الأرض إنه دين الله ولكن ينبغي أن نقلق جميعاً ما أن سمح الله لنا أن ننصره أو لم يسمح سمح لك أن تكون جندياً في خدمة هذا الدين أو لم يسمح، هنا الندم، هنا الألم، أما إنه دين الله، وقد ينصره بأعدائه، يعني بقينا شهراً نسمع من أعداء هذا الدين أن هذا الإسلام عظيم، إسلام العدل، إسلام المحبة إسلام السلام، الذين يكيدون له هكذا ينطقون، إذاً لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله، قرأت قبل أن آتيكم خبراً أن أربعة وعشرين ألفاً من هؤلاء في الغرب دخلوا في هذا الدين بعد الأحداث التي جرت، الكتب الإسلامية مفقودة كلياً، كان الدين في طي الكتمان فظهر في بؤرة الاهتمام، هذه حكمة الله عز وجل، لذلك نحن كمؤمنين نؤمن أن كل شيء وقع أرادوا الله وأن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وإن حكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، وأن لكل واقع حكمة، هذا إيماننا.

أيها الأخوة الكرام:

بقي شيء أن هذا الصيام فضلاً عن أنه يقوي الإرادة، وفضلاً عن أنه يشعر بالعبودية وفضلاً عن أنه يعرف الإنسان بضعفه، وفضلاً عن أنه عبادة الإخلاص، يعني أقول لكم لو أنه أحد جاءه الشيطان قال له أنت لست مخلصاً فقام وصلى الليل ولم يخبر أحداً هل يستطيع الشيطان أن يقول له أنت لست مخلصاً ؟ مستحيل، لو أنه أنفق بيمينه ولم تعلم شماله ما أنفقت يمينه، هل يستطيع الشيطان أن يأتيه ليوسوس له بأنه غير مخلص مستحيل، إذاً الصيام عبادة الإخلاص.

((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))

واحد في عليه عشرين مليون كل ممتلكاته محجوزة وعليه محاكمات وعليه سجن وعليه أحكام عرفية، إن قيل له أفعل كذا وكذا بثلاثين يوم فأنت بريء من كل ما عليك هل يتردد ؟.

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده والأربعة عن أبي هريرة]

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[أخرجه البخاري ومسلم والأربعة عن أبي هريرة]

نرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون من عتقاء شهر رمضان.

أيها الأخوة الكرام:

لا بد من أيها الأخوة الكرام نعرف هذه الحقيقة، والله يعني خلال أسبوعين أو ثلاثة عدة أشخاص وافتهم المنية وهم في أوجه نشاطهم الموت يأتي بغتةً، هل نحن مستعدون له، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أذكروا ذكر هاذم اللذات مفرق الأحباب مشتت الجماعات.))

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارق، وأعمل ما شئت فإنك مجزي به.))

إنك أيها الإنسان بضعة أيام كلما انقض يوم انقض بضع منه، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني إني لا أعود إلى يوم القيامة، هذا الوقت الثمين هو نحن أنت وقت، أنت زمن، أو إن رأس مالك هو الزمن، وعاء عملك، أو إن أثمن شيء تملكه هو الزمن، هذا الزمن إما أن ينفق استهلاكاً وإما أن ينفق استثماراً، إذا أكلنا وشربنا ونمنا واستمتعنا واستجمينا وجلسنا وتسامرنا ولم نعمل الصالحات ولم نطلب العلم، ولم ندخر للآخرة شيئاً، نحن ننفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً، فنحن في خسر كما قال الله عز وجل:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾

(سورة العصر الآية: ١ ـ ٢)

لكن إذا أنفق هذا الوقت إنفاقاً استثمارياً فآمنا تعرفنا إلى الله تعرفنا إلى منهجه، حملنا أنفسنا على طاعته، عملنا الأعمال الصالحة دعونا إليه، صبرنا على قضائه وقدره، صبرنا عن معصيته، صبرنا على طاعته، نجونا من الخسارة، لذلك أيها الأخوة لا بد من أن نعرف الله.

في رأس الإنسان غدة هي ملكة الغدد، تأمر كل الغدد الصماء اسمها الغدة النخامية وزنها نصف غرام، مربوطة بالجسم بمئة وخمسين ألف عصب، هي ملكة الغدد، هذه الغدة الصماء التي هي ملكة الغدد والتي تفرز تسع هرمونات كل هرمون لو تعطل لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، أحد هذه الهرمونات هرمون النمو، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمض أميني وعندي كتاب ألفه رجل من أمريكا هو الله يتجلى في عصر العلم يقول هذا العالم الكبير إن ذرة واحدة من الحمض الأميني لا يمكن لذرات الكون مجتمعة أن تصنعها صدفة، ١٨٨ حمض أميني، ينبغي أن تكون كثافة هذا الهرمون في الدم عشرة ميكروغرام في كل لتر فإذا قلت هذه النسبة تقزم الإنسان وإذا ازدادت تعملق الإنسان، هذه الغدة التي تفرز هذا الهرمون وزنها نصف غرام فقط، مربوطة بالجسم بمئة وخمسين ألف عصب.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾

(سورة الذاريات الآية: ٢١)

الهرمون الثاني هرمون الكظر فوق الكليتين غدتان اسمهما غدتان الكظر، الدماغ ملك الجهاز العصبي، والغدة النخامية ملكة الجهاز الهرموني، الإنسان إذا رأى أفعى في بستان تنطبع صورتها على شبكيته إحساساً، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى الدماغ انقلبت إلى إدراك لأن المفهومات التي حصلها الإنسان من خلال دراسته وتحصيله أو تجاربه أو خبراته هذه تنبئه أن هذه الأفعى لدغتها قاتلة، شبكية العين تحس بصورتها، بينما الدماغ يدرك خطرها والدماغ ملك الجهاز العصبي من خلال ضابط اتصال، لأنه النخامية ملكة أيضاً، ند لند، من خلال ضابط اتصال هو الجسم تحت السرير البصري يلتمس الدماغ من الغدة النخامية أن تتصرف، لأن خطراً مباغتاً ألم بها، الغدة النخامية عندها وزير داخلية اسمه الكظر تأمره أن يتصرف، الكظر يفرز هرمون يسرع ضربات القلب، القلب هكذا سرعة هكذا، قلب هكذا سرعة هكذا فالخائف يرتفع نبض قلبه، هرمون ثاني إلى الرئتين يزداد وجيبهما كي تتناسقان مع ضربات القلب العالية، الهرمون الثالث يأتي إلى أوعية الدم المحيطية، فتضيق لمعتها كي يتوافر الدم إلى العضلات، فالخائف ليس بحاجة إلى لون وردي بحاجة إلى أن ينجو من الخطر لذلك هذه الغدة الكظر تفرز هذا الهرمون لتأمر أوعية الدم المحيطية أن تضيق لمعتها كي يذهب الدم الفائض إلى العضلات، فالخائف يصفر لونه، الهرمون الرابع يأمر الكبد أن يطلق كمية من السكر أضافية، لو فحصنا دم خائف لوجدنا أن دمه ينطوي على كمية سكر زائدة، والخائف قد يأكل ضربة، قد يجرح لذلك الغدة، غدة الكظر تأمر الكبد أن تطلق هرمون التجلط، حتى لا يسيح دمه، من ضربة واحدة، كل هذا يجري في ثوان معدودات.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾

(سورة غافر الآية: ٦٤)

بقي هرمون الجنس، لي صديق يعمل في التجارة الخارجية، في شركة في ألمانيا هناك مديرة للمبيعات، لها شكل حسن، قال لي في آخر زيارة وجدت ملامح الرجولة على وجهها نبت شعر في ذقنها واخشوشنا صوتها، عجبت، سألتها، قالت لي والله أنفق نصف دخل على دواء يشبه

هرمون تفرزه الغدة النخامية، هرمون الجنس يعطي الصفات الثانوية، هرمون توازن السوائل لو هذا الهرمون لأمضينا الوقت كله مع الصنبور ودورة المياه، قد برميل ماء لولا هذا الهرمون، توازن السوائل هرمون اللون، الحديث عن هذه الغدة يطول وزنها نصف غرام مرتبطة بمئة وخمسين ألف عصب هي ملكة الغدد.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾

أيها الأخوة الكرام:

لئلا أطيل عليكم أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يحملنا علة تطبيق ما تعلمنا، فقد قيل تعلموا ما شئتم فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم، اللهم وفقنا لما تحب وترضى واجمع بيننا على خير وجنبا كل مكروه واحفظنا بحفظك الكبير ودمر أعداءك أعداء الدين يا رب العالمين، الله اجعل تدميرهم في تدبيرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين.

أسئلة وأجوبة

سؤال: يقول السائل أخ كريم يقول هل معالجة المرض المستعصي واجب أم مندوب ؟ هذا سؤال دقيق جداً.

الجواب: مندوب. والدليل أن امرأة تصاب بالصرع جاءت النبي عليه الصلاة والسلام قالت يا رسول الله أدعو لي، قال إني شئتِ صبرت . من دون معالجة . وإني شئت دعوت لك فاستنبط العلماء أن معالجة المرض العضال مندوب، السبب ؛ الآن يصاب مثلاً إنسان بفشل كلوي العملية تكلف مليون، واحتمال نجاحها بالمئة ثلاثين، ندمر أسرتين ثلاثة لننجي إنسان قد يموت بعد حين، أحياناً زرع كبد يكلف ثمانية ملايين يبيع بيته وبيت أولاده ويشحد ونجاح العملية بالمئة عشرين، صار في أمراض في عضال الله جعلها بوابة خروج، نحن أردنا أن نجعلها مرض عادي، هي بوابة خروج، فلذلك أيها الأخوة أحياناً يكون المرض نسب نجاحه بالمئة عشرين، ويكلف كل شيء يملكه الأب، عندنا في الشام امرأة فشلت كليتها أجبر أبوها أختها أن تقدم لها

كلية إجبار، طلقها زوجها وماتت الأولى وعطبت الثانية، فالأمراض العضال كلام دقيق معالجتها مندوبة، أما التهاب زائدة واجب، العملية سهلة وناجحة، وأنت ملك أسرتك وملك المسلمين، أما في عمليات تدمر عشر أسر ما كلفنا الله ما لا نطيق، فالأب إذا قصر بمعالجة ابنه يلي معه مرض عضال، لا يحس أن هو مخالف للشرع أبداً، المعالجة ليست واجبة بل مندوب فقط، النبي عليه الصلاة والسلام كان من أصحابه صاحب عند ولد وسيم الصورة فكان يقف على كتفيه أمام النبي فيأخذه هذه الصحابي يضعه في حجره، النبي تبسم سأله أتحبه ؟ فهذا الصحابي أديب جداً، قال يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، بعد حين أفتقده النبي، أين فلان ؟ قال هذا الولد الذي كنت تراه في حجره هلك مات، فالنبي استدعاه عزاه . اسمعوا ما قال له . قال له يا فلان أيهما أحب إليك أن تمتع به عمرك . يعيش معك طوال الحياة، وابن بار ويخدمك . أيهما أحب إليك أن تمتع به عمرك أم أن يسبقك إلى الجنة فأي باب من أبوابها فتحها لك، قال: بل يسبقني إلى الجنة، قال: هي لك يعني مؤمن، واحد في عنده ابن محبوب والثاني عند ابن محبوب الأول مات ابنه، والثاني لم مات، تمتع به طوال حياته فالأول لأنه قبل قضاء الله وقدره بالرضا صار هذا الابن سبقه إلى الجنة، ويفتح له أي باب شاء، فأنا الذي أريده، الأمراض المستعصية التي لا دواء لها حتى الآن، أو دواءها مظنون بنسب قليلة ومبالغها فلكية، تدمر عشر أسر مثل هذه الأمراض لسنا مجبورين على معالجتها، بل إن معالجتها من باب الندب استناداً إلى قول هذه المرأة أدعو لي، قال: إما أن تصبري، وأما أن دعوت لك.

والحمد لله رب العالمين

العبادات معللة بمصالح الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

أشكر لكم حضوركم، وأشكر للقائمين على هذا المسجد دعوتهم الكريمة، وأرجو الله أن أكون عند حسن ظنكم.

بادئة ذي بدء كيف نفرق بين الطقس وبين العبادة ؟ الطقس في البيانات كما يقال الوثنية شيء لا معنى له، حركات وسكنات وتمتمات ولكن العبادة كما قال الإمام الشافعي معللة بمصالح الخلق، فالشريعة كما قال بعض العلماء مصلحة كلها، عدل كلها، حكمة كلها رحمة كلها وأية قضية خرجت من الرحمة إلى القسوة، من العدل إلى الجور، من الحكمة إلى خلافها فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

لنأخذ الصلاة مثلاً:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

)سورة العنكبوت: ٤٥(

معللة، تنهى نهياً ذاتياً، تنهى على مبدأ الوازع لا على مبدأ الرادع الدين الإسلامي أساسه الوازع الداخلي، الدين أساسه الوازع، بينما القوانين الوضعية أساسها الرادع، واضع القانون الوضعي له عقل ومن ينفذ عليه القانون له عقل، فالحياة صراع بين عقلين، أوضح مثل أنه حددت السرعة في بعض البلاد، اخترع المواطن جهاز يكشف وجود جهاز الرادار، فبطل هذا الردع، لا بد للدولة الآن أن تصنع جهازاً يكشف جهاز السيارة، وهكذا.

بينما سيدنا عمر مر براعي معه شياه قال بعني هذه الشاة وخذ ثمنها قال ليست لي قال قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب وخذ ثمنها، فقال هذا الراعي والله إنني لأشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله.

أعظم ما في هذا الدين أنه مبني على الوازع الداخلي، بينما القوانين الوضعية مبنية على الرادع الخارجي.

سيدنا عمر قال له أحدهم . يعني متقرباً إليه .: والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله، فنظر فيهم نظرةً كادت تأكلهم، حدق فيهم واحداً واحداً إلى أن قال أحدهم لا والله لقد رأينا من هو خير منك، قال من هو ؟ قال أبو بكر، قال والله لقد كذبتم جميعاً بسكوتكم وصدق كنت أضل من بعيري وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك.

أرأيت إلى هذه الموضوعية، قال له الصديق يا عمر ابسط يدك لأبايعك قال أي أرض تقلني وأي سماء تضلني، إذا كنت أمير على قوم فيهم أبو بكر، مقامات محفوظة، قال له يا عمر أنت أقوى مني، قال يا أبا بكر أنت أفضل مني، ثم قال عمر قوتي إلى فضلك، فتعاونوا أرأيت إلى هذا النظام البديع.

وقف عمر على المنبر فنزل درجة وقال :ما كان الله ليراني أن أرى نفسي في مقام أبي بكر، لكن يروي التاريخ أن سيدنا عثمان لم ينزل درجة لحكمة بالغة رآها، أحد خلفاء بني أمية سأل وزيره لمَ لم ينزل عثمان درجة كما فعل عمر ؟ قال والله يا أمير المؤمنين لو فعلها لكنت في قعر بئر أنت، هذا الإسلام معلل بمصالح الخلق.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

طبيب يعالج امرأة لم يستطيع أن يحاسبه في الدنيا على نظراته إلى جسمها إلا الله.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾

)سورة غافر الآية: ١٩(

فإذا نظر إلى مكان لا تشكو نمه يحاسب ولا يحاسبه إلا الله، لذلك ليس كل مصلٍ يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكفى شهواته عن محارمي ولم يصر على معصية وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلما والظلمة نورا يدعوني فألبيه فيسألني فأعطيه ويقسم علي فأبره، أكلاءه بقربي وأستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل الفردوس لا يبث

ثمرها ولا يتغير حالها.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

))الصلاة طهور((

بالمعنى الواسع لا يمكن أن تجد مصلٍ حاقداً أن تجد مصلٍ متآمراً مخادعاً أبداً.

﴿ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

عبادة معللة بمصالح الخلق الصلاة طهور الصلاة نور، توريك الحق حقاً والباطل باطلاً، طالبوني بالدليل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾

)سورة الحديد الآية: ٢٨(

معك نور الله لذلك الله نور السماوات والأرض، خلق الأكوان ونورها بالشمس والقمر، المعنى الأول خلق الأكوان ونورهما بالقرآن القرآن نور، تعليمات الصانع.

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤(﴾

)سورة الرحمن الآية ٢ ـ ٤(

أيعقل أن يعل الإنسان البيان قبل أن يخلق، هكذا الآية:

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣(﴾

قال علماء التفسير: هذا ترتيب رتبي لا ترتيب زمني، بمعنى أنه لا معنى لوجود من دون منهج يسير عليه.

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (٢)﴾

لو اشتريت آية بالغة التعقيد غالية الثمن عظيمة الربح، ولم ترسل لك الشركة كتاب التعليمات، إن استعملتها من دون توجيهات الكتاب أصابها الخلل وخسرت ثمنها، وإن خفت عليها جمدت ثمنها، أليس هذا الكتيب أهم من هذه الآلة، هكذا، الإنسان من دون منهج يسير عليه لا معنى لحياته، فلذلك الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾

(سورة طه الآية: ١٤)

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

(سورة العلق الآية: ١٩)

الصلاة طهور، الصلاة نور، الصلاة حبور أرحنا بها يا بلال.

أيها الأخوة: دققوا في هذه الآية:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢)﴾

(سورة المعارج الآية ٢٠ . ٢٢)

ضعف في أصل خلقه.

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢﴾

كيف ؟ يعني ثلاث نقاط في خلق الإنسان، خلق ضعيفاً، وخلق عجولاً، وخلق هلوعاً خلق ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره، ولو خلقه قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه خلقه هلوعاً شديد الخوف لولا أنه يخاف لا يتوب، إذا لاح لإنسان شبح مرض لا ينام الليل يلجأ إلى الله عز وجل، يعاهده على التوبة، لولا أنك هلوع لا تتوب إلى الله.

﴿ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠﴾

والله عز وجل ثبت مليارات القوانين ثبتها تعزيزاً لنظام الأرض، يمكن أن تقول لعام ثلاثة آلاف في الثالث عشر من أيلول تطلع الشمس الساعة الخامسة وأربع دقائق الدوران ثابت، خصائص المواد ثابتة، الذهب ذهب الفضة فضة الحديد حديد، النحاس نحاس خصائص البذور ثابتة، القوانين ثابتة، ولكنه حركة الصحة والرزق بيده، حركة الصحة والرزق كي يربينا بهما.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١﴾

)سورة السجدة الآية: ٢١(

إذاً :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩﴾

شديد الخوف.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢﴾

الآن في تمييز دقيق أنا أقول إنسان هذه الكلمة على كم واحد تنطبق في الأرض الآن ؟ تنطبق على ستة مليارات، يكفي أن أضيف أمام كلمة إنسان كلمة مسلم ضاقت الدائرة إلى مليار ونصف، من ستة مليارات إلى مليار ونصف، يكفي أن أضيف كلمة عربي كم مليون ؟ ٢٥٠ مليون أو ٣٠٠، من مليار ونصف إلى ٣٠٠ مليون، يكفي أن أضيف كلمة مثقف ضاقت إلى مليون، يكفي أن أضيف مثقف طبيب ضاقت إلى نصف مليون أو إلى ٢٠٠ ألف إنسان مسلم عربي مثقف طبيب قلب ١٠٠ ألف أو ٥٠ ألف، طبيب جراح قلب ٥٠، طبيب جراح قلب مقيم في لبنان ٥، كلما أضفت كلمة ضاقت الدائرة هذا بعلم المنطق.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩)﴾

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)﴾

كلما أضفت صفةً ضاقت الدائرة، هذا المصلي وهذه كل صفاته هذا ليس جزوعاً ولا منوعاً هذا مطهر الصلاة عماد الدين، هذه عبادة.

طيب الصيام :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

)سورة البقرة الآية:١٨٣(

تمشي في طريق في حفرة، في أثمة، في حشرة، في أفعى كيف تتقي هذه الأخطار ؟ بشيء واحد بمصباح كشاف، فإذا ألقى الله في قلبك النور اتقيت كل هذه الأخطار لذلك الصيام من أجل أن يكون دورةً تدريبيةً في ثلاثين يوماً أنت في الصيام تدع الصيام والشراب وهو مباحاً في الإفطار،

تدع الأهل وهم مباحون لك في الإفطار، تدع ما هو مباح تقرباً إلى الله عز وجل، فلأن تدع ما هو محرم من باب أولا، فكأن الله حملك للصيام على تقوية إرادتك التي ينبغي أن تكون أداة طاعة الله ومعرفته.

أيها الأخوة الكرام :

كلام دقيق جداً يعني الصيام عبادة الإخلاص، كيف ؟ كل أمر تعبدي، أو كل أمر تعاملي مصلحتك فيه واضحة وضوح الشمس، لكنه في الأمر الشعائري المصلحة ليست واضحة لماذا تدع الطعام والشراب وهما مبحان ؟ تدع الطعام والشراب تقرباً من الله عز وجل، لذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

الصيام يحجمك، يعرفك بحجمك الحقيقي أنت مفتقر إلى كأس ماء تشربه، وإلى لقمة تقيت بها جسمك والأنبياء على عظمتهم، وعلى أنهم قمم البشر كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، هم مفتقرون باستمرار وجودهم إلى تناول الطعام، ومفتقرون في كسب ثمن طعامهم إلى أن يمشوا في الأسواق، هم بشر، ولولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر هو بشر انتصر على بشريته فكان قمة البشر.

أيها الأخوة:

الصيام يقوي الإرادة لأنه يأمرك أن تدع الطعام والشراب وهما مباحان فكيف تتوازن إذا تركت الطعام والشراب وارتكبت المعاصي والآثام من غيبة ونميمة وكذب واختيال، ومن مصائب المسلمين والعياذ بالله أن رمضان أصبح في حياتهم عادةً من عوائدهم، أصبح رمضان شهر اجتماعي، فيه الولائم والسهرات، ومتابعة المسلسلات حتى قبيل الفجر وكأنه لا علاقة له بالعبادة، فالذلك حتى يكون هذا الصيام حرزاً من النار ينبغي أن نعيده كما أراده الله عز وجل.

أيها الأخوة:

صعد النبي المنبر فقال آمين، ثم صعد الثانية فقال آمين، ثم صعد الثالثة فقال آمين قالوا علامَ أمنت يا رسول الله ؟ قال:

))جاءني جبريل فقال لي رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له((

إن لم يغفر له فمتى.

نحن عندنا والله أعلم أربع مناسبات ذهبية في كل واحدة منها تفتح مع الله صفة جديدة أحد هذه المناسبات صيام رمضان، من صام رمضان إيماناً واحتساباً مؤمناً بشرعيته مؤمناً بأن الله فرضه، مؤمناً بحكمة الله واحتساباً وكان مخلصاً بهذا الصيام غفر له ما تقدم من ذنبه، يعني فتحت مع الله صفحة جديدة، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

إذاً: الصيام والقيام فرصتان ذهبيتان كي تنجو بهما من الواحد الديان، من ذنوب تراكمت سابقاً، الهجرة تهجر ما كان قبلها، التوبة إذا تاب العبد توبة نصوحة أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلها خطياه وذنوبه.

الصيام: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

القيام: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

الحج: من حج البيت فلم يفسق ولم يفجر رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، والتوبة والقيام والحج والتوبة، خمس فرص ذهبية يمكن أن تنتفع منها وأن تفتح مع الله صفحة جديدة ورغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له إن لم يغفر له فمتى.

أيها الأخوة :

علة الصيام:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

كيف تتقي الأخطار ؟ تتقيها بتقوى الله عز وجل.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢)﴾

)سورة الطلاق الآية: ٢(

والله أيها الأخوة يمكن أن يكتب محل هذه الآية مجلد، من اتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي، من اتق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال، من اتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم، من اتق الله في تطليق زوجته طلقها وفق السنة لا وفق البدعة مو ثلاثة مرة واحدة يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها، كنت مرة في أمريكة يعني يتكلمون أخوتنا هناك نصف كلامهم بالإنكليزي، كلمة عربي كلمة إنكليزي، أردت أن أقلدهم قلت لهم ومن يتق الله يجعل له أوت مخرج يعني.

أيها الاخوة :

فصارت الصلاة معللة بتطهير النفس، والصلاة طهور، الصيام معلل بالتقوى.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

)سورة التوبة: ١٠٣(

سمى الله الزكاة في هذه الآية صدقةً لأنها تؤكد صدق إيمانهم يعني إسلام من دون بذل ظاهرة صوتية، قد نأتي بمكبرات صوت وشريط كاسيت نملئ الدنيا صخباً، لو أغلقنا المفتاح ما عاد في شيء، فالإسلام من دون عمل، من دون التزام، من دون تزكية ظاهرة صوتية لا معنى لها.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

تؤكد صدق إيمانهم، وصدق بذلهم المال محبب.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

)سورة آل عمران: ١٤(

المال محبب، فأنت حينما تبذل هذا المال ابتغاء وجه الله ترقى.

أخوانا الكرام:

في عندنا قاعدة أن الطبع يتناقض مع التكليف من هذا التناقض يكون ثمن الجنة الطبع يقتضي أن تأخذ المال، والتكليف يقتضي أن تنفقه الطبع يقتضي أن تملئ عينيك من محاسن امرأة والتكليف يقتضي أن تغض البصر، الطبع يقتضي أن تنام والتكليف يقتضي أن تستيقظ لتصلي، الطبع يقتضي أن تخوض في فضائح الناس أحاديث محببة للإنسان والتكليف يقتضي أن تصمت، فمن هذا التناقض بين والطبع وبين التكليف يكون ثمن الجنة، لكن التكليف يتوافق مع الفطرة، دقق: الفطرة جبلة النفس الفطرة متوافقة توافقاً تاماً مع منهج الله.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾

)سورة الروم الآية: ٣٠(

يعني أن تقيم وجهك للدين حنيفاً هذه الدقائق وهذه التفصيلات هي نفسها جبلتك لذلك الإنسان لا يسعد إلا إذا اصطلح مع الله، في النفس حاجة، في النفس فراغ لا يملئه إلا الإقبال على الله، لا يملئه المال، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، فالذلك الزكاة.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

قال علماء التفسير: تطهر الأغنياء من الشح، وتطهر الفقراء من الحقد، وتطهر المال من تعلق حق الغير به.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

الزكاة هي النمو، فالغني إذا أدى زكاة نفسه يشعر بخطورته في الحياة، يشعر بشأنه، يشعر بعمله العظيم كيف مسح دموع البأس من الفقراء.

﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

فالغني إذا أنفق ماله يعلو عند الله ويعلو عند الناس، ويعلو عند نفسه، والفقير إذا أخذ الزكاة يشعر أن الناس مهتمون به، وأنه ليس هيناً على المجتمع، أن المجتمع حريص على طعامه وشرابه وكسوته وتعليم أولاده تسمو نفسه لا يغدو مجرماً، فالزكاة تطهر الفقير من الحقد، والغني من البخل، والمال من تعلق حق الغير به وتنمو بها نفس الغني والفقير، والمال نفسه ينمو،
بالاغتصاب حينما يفتقد الناس القوة الشرائية ماذا يبيع الأغنياء يتوقف السوق، إذا أعطى الأغنياء زكاة مالهم للفقراء تشكل ما يسمى قوة شرائية تعود عليهم بالربح، هذه الزكاة معللة بمصالح الخلق، الحج.

﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾

)سورة المائدة: الآية ٩٧(

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً(١٢(﴾

)سورة الطلاق الآية: ١٢(

أخوانا الكرام :

ومضة من ومضات آيات الإعجاز الله عز وجل قال :

﴿نَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾

)سورة البقرة: الآية ٢٦(

هل في الأرض شيء أهون على الخلق من البعوضة، قد تقتلها دون أن تشعر أنك قتلت مخلوقاً، بعوضة، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

))والله لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء((

هذه البعوضة الحقيرة، ما فيها ؟ قال فيها ثلاثة قلوب قلب مركزي، وقلب لكل جناح، قلب ينبض، دماغ فيها، شرايين وأوردة قلب مركزي وقلب لكل جناح، وجناح البعوضة يرف أربعة آلاف رفة في الثانية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

البعوضة فيها جهاز رادار تطير في سماء الغرفة تتجه إلى جبين الشخص مباشرة دون أن تتجه إلى سواه، وفيها جهاز تحليل ما كل دم يعجبها، تحلل الدم فإذا وافقها امتصت منه وأنت لا تضربها إلا بعد أن تطير، معناها فيها جهاز تخدير، تخدر الإنسان، ولأن خرطومها دقيق جداً فيها جهاز تمييع للدم، جهاز رادار، وجهاز تحليل، وجهاز تخدير وجهاز تمييع إن أرادت أن تقف على سطح أملس تستخدم ما يسمى بالمحاجم على الضغط ضغط الهواء، وإن أرادت أن تقف على سطح خشن تستخدم المخالب، في قوائمها محاجم ومخالب، وتشم رائحة عرق الإنسان من كم متر ؟ من ٦٠ كيلو متر هذا معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

)سورة الملك: الآية ٣(

لا يختلف خلق البعوضة عن خلق الحوت، كلاهما دقيق، في الإنسان غدة صغيرة وزنها نصف غرام ملكة الغدد اسمها الغدة النخامية في عندنا نظام عصبي على رأسه الدماغ ونظام هرموني على رأسه الغدة النخامية، ملكة الغدد، وزنها نصف غرام، مرتبطة بالجهاز العصبي ولاسيما بالجسم تحت السرير البصري بـ ١٥٠ ألف عصب.

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

)سورة الذاريات الآية: ٢١(

هذه الغدة النخامية ماذا تفرز ؟ تفرز هرمون النمو، هرمون النمو مؤلف من ١٨٨ حمض أميني وفي كتاب شهير عنوانه الله يتجلى في عصر العلم، يقول مؤلف هذا الكتاب كتاب مترجم: إن ذرات الكون بأكملها غير كافية لصنع ذرة واحدة من حمض أميني أخوانا طلاب العلم في الشهادة الثانوية أو في الجامعة ولاسيما في قسم الكيمياء يعلمون ما معنى حمض أميني من أعقد الذرات، هذا هرمون النمو فيه ١٨٨ حمض أميني، وينبغي أن يكون في كل جسم منا عشرة مكروغرام في كل لتر عنده خمس لترات يكون خمسين مكروغرام من هذا الهرمون، لو قلت نسبة هذا الهرمون لتقزم الإنسان، لو زادت لتعملق الإنسان هذا الهرمون هرمون آخر تفرزه هذه الغدة التي وزنها نصف غرام والتي هي ملكة الغدد والتي ترتبط مع الجسم بـ ١٥٠ ألف عصب هرمون غدة الكظر إنسان يمشي في بستان يشاهد أفعى، صورة الأفعى انطبعت على شبكية العين إحساساً انتقلت هذه الصورة إلى الدماغ إدراكاً بحسب المفهومات التي تولدت من خلال التجارب والدراسة والمشاهدات الأفعى خطيرة، لدغتها قاتلة فالدماغ يدرك الخطر الدماغ ملك الجهاز الهرموني إلى جانبه ملكة النظام العصبي، إلى جانبه ملكة الجهاز الهرموني يلتمس منها أن تواجه هذا الخطر هي الغدة ملكة في عندها وزير الداخلية الكظر فوق الكليتين غدتان فوق كل كلوة غدة، الكظر يتصرف يرسل هرمون إلى القلب، تزيد ضربات القلب القلب ينبض نبض طبيعي الدم يمشي بهذه السرعة، لو أنه أسرع، لأنه بحاجة إلى دم كثير إذاً لابد من رفع ضربات القلب، وهناك تناسب بين ضربات القلب ووجيب الرئتين هرمون ثاني إلى الرئتين يزداد وجيبهما،

فلو قست نبض الخائف لوجدته مئة وأربعين درجة، ولو قست وجيب الرئتين لارتفع إلى الضعف، الخائف يلهث، ونبضه سريع، ثم إن هذه الغدة الكظر بأمر ممن ؟ من الملكة النخامية ترسل هرمون إلى الأوعية المحيطية تضيق لمعتها، كان وجهه متورد أصبح أصفر، فالخائف يصفر لونه، لأنه ليس بحاجة إلى لون جميل الآن، بحاجة إلى أن ينفد من الخطر فيذهب هرمون ويعصب الأوعية المحيطية فتضيق لمعتها كي يتوفر الدم للعوزات هرمون رابع، هذا الهرمون الرابع تفرزه غدة الكظر فيضاعف السكر في الدم، لو فحصنا دم خائف فيه كمية سكر مضاعفة، الهرمون الخامس هرمون التجلط يصبح الدم عنده استعداد يتجلط لو أنه صار في خطر ضرب سال الدم كله من ضربة واحدة، مع الأسف الشديد أن النيكوتين الذي في الدخان يفعل فعل الهرمون الكظر تماماً فالمدخن عنده استعداداً للجلطة ٨ أمثال غير المدخن لأن هرمون التجلط ارتفعت نسبته فبأي لحظة تلتصق ببعضها الصفائح وتكون جلطة وقد تكون قاتلة فلذلك حدوث الجلطة للمدخنين ٨ أمثال غير المدخنين، ونسب المدخنين في العالم الغربي تنزل ونسب المدخنين في العالم الإسلامي ترتفع، وأول دولة مدخنة في العالم في مصر، نشتري السموم.

ومرة في الشام عقد مؤتمر لمكافحة التدخين، اتصل أستاذ جامعي كبير بوزير الصحة وقال له: إن الدخان الذي يباع لكم هو أسوء أنواع الدخان في العالم، يعني قمامة الدخان بالغلاف المعروف، نشتري بأموالنا سموماً تقضي علينا، الهرمون الرابع هرمون التجلط هذا وظيفة من وظائف الغدة النخامية، هرمون الغدة الدرقية، في عندنا هرمون غدة الكظر، في عندنا هرمون الغدة الدرقية، الدرقية جهاز معقد جداً، يقوم بالاستقلاب، والاستقلاب ؛ تحويل الغذاء إلى طاقة، فإذا قصرت الغدة النخامية بحسب الغدة الدرقية على إفراز هرمونها أصيب الإنسان بالسمنة غير الطبيعية، لأن الغذاء يخزن ولا ينقلب إلى طاقة، هذه نخامية ٦ هرمونات هرمون توازن السوائل لولا هذا الهرمون لاضطر الإنسان أن يمضي الوقت كله على صنبور الماء ودورة المياه، قد يشرب باليوم برميل ماء، أما هذا الهرمون يعطي التوازن للسوائل تشرب لتر ونصف تقريباً وتفرز الكليتان لتر ونصف، في هرمون اللون، هرمون الولادة هرمون الجنس، لي صديق سافر إلى ألمانيا والتقى بموظفة كبيرة في المعمل تعمل كمديرة للمبيعات فوجئ وجد وجهها قد نبت فيه الشعر وصوتها خشناً، سألها قالت له أدفع نصف دخلي كي أبقى على هذه الحال إن

هرمون الجنس في الغدة النخامية توقف عن الإفراز، هذه الغدة وزنها نصف غرام، مربوطة بالجسم بـ١٥٠ ألف عصب تفرز ٩ هرمونات، أي هرمون لو قلت نسبته لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

أيها الأخوة الكرام:

العبادات معللة بمصالح الخلق ذكرت الصيام، وذكرت الصلاة وذكرت الحج وذكرت الزكاة وذكرت علة وجوبنا على وجه الأرض أن نعرف الله.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً(١٢)﴾

)سورة الطلاق: الآية ١٢(

إذاً نعرف الله إما من آياته الكونية في السماوات والأرض ومن أنفسكم، وإما من أفعاله كل إنسان أو كل جهة تتأله يقسمها الله، صنعت باخرة في عام ١٩١٢هذه الباخرة وزع على ركابها نشرة صغيرة إن القدر لا يستطيع إغراق هذه الباخرة فغرقت في السفرة الأولى وكل جهة تتأله يقسمها الله مركبة اسمها المتحدي أصبحت كتلة من اللهب بعد سبعين ثانية قوة عظمة.

﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

)سورة الحشر: الآية ٢(

وهذا نراه رأي العين، فتعرفه من أفعاله، فتعرفه من خلقه وتعرفه من كلامه ومعرفة الله أصل الدين، وكل العبادات في الإسلام من أجل أن تتقرب من الله عز وجل والعبادات معللة بمصالح الخلق والصيام هدفه الأول أن يلقي الله من خلاله في قلبك النور فترى به الحق حقاً والباطل

باطلاً، وأصل كل عمل في الأرض رؤية وراءه، إن صحت هذه الرؤية صح العمل، وإن فسدت فسد العمل، بل إن أزمة الإنسان يوم القيامة أزمة علم فقط، يقول أهل النار وهم في النار:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾

)سورة الملك الآية: ١٠(

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً بما علمنا وأن يلهمنا الخير، هل من مداخلة حول هذا الموضوع ؟ يعني موضوعنا العبادات معللة بمصالح الخلق، بينما الطقوس حركات وسكنات وتمتمات لا تعني شيئا.

سؤال...:

الجواب :لو أردت الجنة مقبولة، لأن الله بالأساس خلقك للجنة إلا من رحم ربك وذلك خلقهم، أنت المخلوق الأول في الكون .

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

)سورة الأحزاب الآية: ٧٢(

الإنسان قبل حمل الأمانة ما الأمانة ؟ نفسك التي بين جنبيك.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)﴾

)سورة الشمس الآية: ٩(

كيف تزكيها ؟ توصلها بخالقها، لذلك إذا كان بلد عظيم يدعي الكمال وحقوق الإنسان والرفق بالحيوان وحريات الشعوب، وليس له اتصال بالله هذا ادعاء باطل والدليل: إذا استنفزته أصبح

وحشاً، أما الخوف الإسلامي الأصيل الناتج عن العبادة لا يتبدل.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٥٩(

بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد لنت لهم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

نصلي لأن اتصالنا بالله هو سبب كمالنا، وكمالنا تزكية أنفسنا ثمن الجنة التي خلقنا من أجلها.

سؤال...:؟

الجواب :الموت الأول موت العدم، والموت الثاني موت بعد الحياة الدنيا، والأحياء الأول الإحياء في الدنيا، والإحياء الثاني الإحياء يوم القيامة.

سؤال...:

الجواب :لمجرد أن تلغي اختيار الإنسان ألغيت الدين، وألغيت الثواب، والعقاب والجنة، والنار، وجعلت إرسال الأنبياء عبثاً، وإنزال الكتب لعباً، إن الله أمر عباده تخيراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً، وما من عقيدة تشل المسلمين إلا عقيدة الجبر، وهي عقيدة فاسدة، جاء رجل إلى عمر شارب خمر، قال أقيموا عليه الحد، قال: والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر علي ذلك، طاسات معدودة بأماكن محدودة، كلام العوام، كل كلام غلط هذا، كل شغل سيدك هيك مقدر عليك، لا تعترض، هذا كلام إبليس كله الإنسان مخير لمجرد أن تلغي اختياره ألغيت الدين ألغيت الجنة والنار، ألغيت الثواب والعقاب ألغيت حكمة الكتب، وإرسال الأنبياء.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

)سورة الكهف الآية: ٢٩(

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣(﴾

)سورة الإنسان الآية: ٣(

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

)سورة البقرة الآية: ١٤٨(

يعني ممكن نعمر حيطين بعرض أكتاف إنسان تماماً فإذا مشي مست يده اليمنة الجدار الأيمن ويده اليسرى الجدار الأيسر، وتقول له خذ اليمين، أي يمين هذا ؟ إذا مسير ما في أمر ونهي لوجود الأمر والنهي في القرآن معنى ذلك أنك مخير.

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

الدليل هو تعود على من على الإنسان، والدليل :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

لو كان على الله الآية ما لها معنى بصير، أنت تقول لواحد راكب بالمقعد الخلفي خود على يمينك بالسيارة يروح على اليمين ما لها معنى واحد راكب خلف خود على اليمين وين يمينه، بيد المقود، إذا كان الله مسير ما بقول.

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

قال لك:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

هو على من إذا على الله عز وجل ما لها معنى فاستبقوا الخيرات .

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلى بالماء

***

إن الله، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة، أبداً، لمجرد أن نعتقد أن الإنسان مسير في كل شيء، انتهى الدين انشلت هذه الأمة، بركت انتهت، أنت مخير فيما كلفت، أنت مسير في أمك وأبيك، مو بيدك، هم قدراك، قدرك، مسير في مكان ولادته مسير في زمان ولادته مسير في قدراته، لكن كل هذا التسير لصالحك ثم إنك مخير، فيما كلفت، في الأمر والنهي الآن بعد أن أعطاك الاختيار من أجل أن يعالجك يسيرك. إذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، الآن سيربيك لمصلحتك بسيرك، أنت مسير ؟ مخير ومسير مسير في المرة الثانية لدفع ثمن أخيارك، الموضوع طويل يحتاج إلى محاضرة بكاملها، لكن أنت أثرت هذا الموضوع جزاك الله خير.

في سؤال آخر...:

الجواب :بالضبط تماماً ولله المثل الأعلى أنت طبيب تزور مريض في المستشفى في لوحة أمام السرير، الضغط: ٢٠٠، وقفوا الملح ضغطه عشرين وقفوا الملح، ضغطه ستة كثروا ملح، فأنت عم تسيره من خلال اختيارك، هو كثر ملح، باختياره قام ارتفع ضغطه أنت أعطيت أمر بإيقاف الملح، واضحة تمام.

يعني الله عز وجل في ضوء حالك كل هو في شأن، أنت سافر يزيدك عطاءاً، في انحراف يؤدبك، شأنه معك بحسب حالك.

سؤال...:

الجواب :هل تعرف أنت القبر، ما بتعرف، علم الله في القدر علم كشف لا علم جبر، بالضبط كلامي، لا يمكن أن يكون علم الله مؤثر في حركة الإنسان أنت مخير، يعني لك أن تأي إلى هذه المحاضرة ولك ألا لا تأتي، ما أحد أجبرك، فالصلاة والصيام والحج والزكاة وغض البصر صدق كذب أمانة خيانة، كل أنت مسير فيه.

سؤال...:

الجواب :والله بارك الله سؤال طيب، نحن إذا نقلنا يا أيها الذين أمنوا، يا ما أمنتم بحكمتي . يا من أمانتم بعلمي، بقدرتي، برحمتي، طبعاً علة أي أمر أنه أمر، علة أي أمر تعبدي أنه أمر، أنا معك بهذا لكن في أوقات ضعف الإيمان نحن نبين حكم العبادات، ولاسيما أن الله بينها.

الآن الله عز وجل لحكمة أرادها نحن نكتفي أنها محرمة لماذا لا نعلم، أمر تعبدي أما إذا الله قال :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

الله بين الحكمة قال لك:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

الله بين، إذا الله بين أنا أبين، إذا الله سكت ما بين ما بين،.

سؤال...:

الجواب واحد يعني علم الله علم كشف لا علم جبر يعني مثلاً صف فيه خمسين طالب أستاذ له في التعليم خمسين سنة قال لأحد أصدقاءه هذا الطالب لا ينجح، يعني الأستاذ منعه يدرس، ما منعه، والأستاذ لا علاقة له بالأسئلة، بكلوريا والأستاذ قال ما بينجح ما له علاقة بالنتائج بيكون الأستاذ علمه بهذا الطالب هو الذي حمله على أن لا يدرس، لا أبداً علم كشف هذا، فإذا إنسان من بني البشر قال لك هذا ما بينجح هذا بينجح الأولي، علم كشف يعني هل تستكثر على الله

خالق الأكوان أن يعلم ما سيكون، ولكن الله قال أنا أعلم إذاً هو يعلم، وقال أنت مخير إذاً أنا مخير انتهى الأمر.

سؤال...:

الجواب :كمان بدي شيء يناسبهم على التغليب.

يعني الله عزوجل وعد الرجال بحور العين وعد النساء بالنصف الآخر الذي يحببنه ما في مشكلة قياس لأنه.

الآن نحن عنا قاعدة آية بالقرآن موجهة إلى الذكور موجهة حكماً إلى النساء فكما أن الله وعد المؤمنين بحور العين وعد المؤمنات بمن يملئ حياتهن سعادة.

بعدين هذه القضية معلق بالغيب أنا ما فيني خوض بالتفاصيل فيها أمر كله غيبي أقف عندما وقف الله عز وجل، قال حور عين، لعل الإنسان بالجنة والنار بصير مجرد إنسان بالدنيا كان ذكر وكان انثى لعل بالجنة بيكون الإنسان رجع إلى حالة موحدة، له طرف له نصف حلو آخر، واضحة.

سؤال...:

الجواب :ورود النار غير دخولها، فرق كبير بين ورودها ودخولها، دققوا: مرة كنت بإيران برحلة فتنا لمعرض ثعابين بيني وبين الثعبان عشر سانتي، ثعبان بس في بللور ست ميلي، ولا تحركت شعرة وأنا دخلت إلى هذا المعرض رأيت الثعبان عن قرب وفي أدق تفاصيله ولم أخف، لأنه في حاجز، العلماء قالوا ورود النار غير دخولها، لماذا أسماء الله الحسنة كلها محققة في الدنيا إلا اسم العدل. ظلم في تمتلئ الأرض ظلماً وزوراً ألا ترون فاسم الله العدل لا يحقق في الدنيا تحقيقاً كاملاً فأنت من أجل أن تتحقق منه، كل مؤمن يجب أن يطلع على النار ليرى الذين ظلموا أين هم، أو ليرى مكانه في النار لو لم يكن مؤمناً تضاعف سعادته لو لم أكن مؤمناً هنا مكاني، فهذا الورود ورود إعلامي فقط، مو عقابي، الدخول عقابي أما الورود إعلامي، وإن منكم إلا واردها.

يعني إذا كان شريكين اقترح واحد يشتغل بالتهريب والثاني رفض فصلوا الشركة يلي اشتغل بالتهريب ألقوا القبض عليه، ووضع بالسجن راح شريكه يزوره مجاملة يشوف حاله وهو عما يزوره

ممتلئ غبطة ليش ولو كنت معه كنت هون قعدت معه، فكل إنسان يرد النار يرى مكانه في النار لو لم يكن مؤمناً. تتضاعف سعادته بهذه الآية:

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

أما الذي أتقوا:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾

نعم واضحة.

سؤال...:

الجواب :والله شيء يحير يا أخي يا ربي ليش بيفلتوا علينا بغير رمضان الشياطين ...

سؤال:

الجواب :لا للمؤمن هذا خاص للمؤمن، في رمضان تصفد الشياطين بس ما في سؤال يحيرنا، يا رب أنت في رمضان صفدته ريحتنا منهم عالطول خليون، كنا ارتحنا.

سؤال...:

هنا الموضوع أهم موضوعك، ليش الله يصفدهم برمضان يفلتهن بغير رمضان هل تعرف ليش إذا كان بياع خمر بحي ما حدى اشترى منه شو بيساوي بسكر، الله ما يصفدهم بس لما المؤمن يستقيم ما عاد له شغل الشيطان تصفيد حكمي، يعني أنت بس استقيم أيها المؤمن أنهيت الشيطان، كأنه مصفد صار فحاول تصفده طول السنة حاول، أنت لما برمضان صفدته، أي قيدته، كمل لا تفلت عليك بعدين.

سؤال...:

الجواب :بتحل آية وحدة:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ ﴾

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

الله تكفل بالهدى، والله لو يعرف في ذرة خير يتأثر لا بد من أن يصل له الحق.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ ﴾

مرة التقيت مع مندوب شركة هولندي تكلمت عن الله قليلاً، قال لي: هذا الموضوع لا يعنيني ولا أهتم به ولا يشغل بالي، أنا يعنيني امرأة جميلة وبيت واسع ومركبة فارهة، ما تذوقت بحياتي قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾

ما فيهم خير.

﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

بمجرد أن الله أسمعك الحق علم أن فيك خير هي بشارة لكم جميعاً إن شاء الله تعالى لمجرد أن الله أسمعك الحق علم فيك خيراً. وحسن الظن بالله ثمن الجنة.

سؤال...:

الجواب :والله جاء وانتهى، هذا اليوم، نحن موجودون فيه هذا اليوم، مالك شايف النساء الكاسيات العاريات وعما الربا وعما الفساد والاختلاط ويكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون الأمين ألا ترى نحن في هذا الزمن الصعب القابض على دينه كالقابض على جمر يقول النبي:

))أشتقت لأحبابي، قالوا أو لسنا أحبابك، قال لا أنتم أصحابي أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على جمر، قال أجرهم كأجر سبعين قالوا منا أم منهم، قال منكم، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير فيك تساوي شيء أنت، إن سكت استباحوه وإن تكلم قتل.

موته كعصاة الغنم لا يدري القاتل لما يقتل، ولا المقتول فيما قتل((

في تاريخ البشرية يقتل القاتل، يقتل من سلب الأموال، من انتهك الأعراض، أما يقتل على الهوية فقط، لأنه مسلم أليس كذلك ؟ نحن في آخر الزمان.

أقم الإسلام في بيتك وفي عملك فإذا أقمت الإسلام فيما تملك كفاك ما لا تملك.

والحمد لله رب العالمين

معالم الإيمان في شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، الحمد لله الذي علمنا عدد السنين والحساب وفضل الأزمان والأمكنة بعضها على بعض وبارك في شهر

رمضان الذي أنزل فيه القرآن وبعد:

فقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة من الصيام في كتابه الكريم قال:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

)سورة البقرة الآية: ١٨٣(

في حين نرى أن رمضان أسيء فهمه في هذه الأيام فهو عند البعض شهر كريم ولكن للطعام والشراب، وعند آخرين للرقص والغناء والسهرات الماجنة والعياذ بالله، وعند آخرين للكسل والرخاء، وقد جاء محاضرنا ليبن لنا معالم الإيمان في شهر الصيام، تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

أشكر لكم حضوركم، وأشكر للقائمين على هذه الندوة دعوتهم الكريمة، وأرجو الله عز وجل أن أكون عند حسن ظنكم.

بادئة ذي بدء من مسلمات العقيدة أن علة وجود الإنسان على وجه الأرض العبادة لقوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾

)سورة الذاريات الآية: ٥٦(

علة وجود الإنسان على سطح الأرض أن يعبد الله، والعبادة أيها الأخوة: طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف جانب معرفي وجانب سلوكي وجانب جمالي، فمن تحرك على هذه الخطوط الثلاثة تفوق ومن ركز على واحد منها تطرف، في العبادة جانب معرفي وجانب سلوكي وجانب جمالي الجانب السلوكي هو الأصل:

))تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم اللّه حتى تعملوا بما تعلمون((.

]أخرجه ابن عدي في الكامل والخطيب في التاريخ عن معاذ وابن عساكر عن أبي الدرداء[

))وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به((.

]أخرجه الطبراني في الكبير عن واثلة[

والعلم حجة لك لا عليك.

وعالم بعلمه لم يعملن معذَّبٌ من قبل عُبَّادِ الوثن

***

الأصل هو الالتزام، والإسلام من دون التزام، من دون تطبيق منهجه الكامل والشامل ظاهرة صوتيه ليس غير، ظاهرة صوتيه لا تصنع شيئاً، ولا تفعل شيئاً، ولا ترد خطراً، ولا تحقق عزة، ولا كرامة، لكن المسلمون فيما يبدو اكتفوا من الإسلام بالعبادات الشعائرية، وظنوها هي الإسلام مع أن في الإسلام عبادات تعاملية لا نقطف ثمار العبادات الشعائرية إلا إذا صحت العبادات التعاملية، فلذلك أيها الأخوة الكرام في تعريف العبادة جانب سلوكي هو الأصل سببه الجانب المعرفي، نتيجته الجانب الجمالي، فالمؤمن يعني أنه في مرتبة علمية، حقيقية، لأن المؤمن عرف الحقيقة الكبرى في الكون، واسجمم معها وتوازن مع نفسه والمؤمن مرتبة تعني مستوى أخلاقي فالمؤمن تحكمه منظومة من القيم الأخلاقية، الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن، ليس الفرق بين المؤمن وغير المؤمن في هذه العبادات، فرق كبير وجوهري، فرق في المعاملات.

النجاشي سأل سيدنا جعفر عن الإسلام قال أيها الملك :كنا قوم جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الرحم ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه فدعان إلى عبادة الله عز وجل وألا نشرك به شيئاً وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، هذا هو الإسلام منهج أخلاقي، يبنى على دعائم عبادة شعائرية، بني الإسلام على خمس، فحينما اكتف المسلمون بهذه

الخمس، وتعاملوا في حياتهم اليومية في سفره، في حضرهم، في أفراحهم، في أتراحهم، في كسب أموالهم، في حرفهم، في تجاراتهم، تعاملوا وفق منهج الغرب ضيعوا حضارتهم وضيعوا إسلامهم ولم يلحقوا بالغرب، فلذلك أيها الأخوة الجانب الجمالي هو الثمرة في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة القرب.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾

)سورة محمد الآية: ٥ . ٦(

عرفوها في الدنيا هي جنة القرب، ماذا يفعل أعداء بي يقول بعض العلماء: بستاني في صدري، إن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة فماذا يفعل أعدائي بي، إذاً في التعريف جانب معرفي لا بد من طلب العلم، طلب العلم هي الحاجة العليا في الإنسان، هي الحاجة التي تؤكد إنسانيته، وفي التعريف جانب سلوكي هو الالتزام، من دون هذا الالتزام . دققوا . لسنا على شيء حتى نقيم القرآن الكريم وسنة النبي الشريف، لسنا على شيء، وجانب جمالي المؤمن في سعادة لا توصف، ملك من الملوك ترك الملك وطلب العلم فقال :لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلون عليها بالسيوف، هو هذا يصدق لأنه كان ملك، لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلون عليها بالسيوف.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رآوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضح قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياق لقربا

***

في جانب معرفي وجانب سلوكي وجانب جمالي، ولكن ألح على فكرة دقيقة جداً هي محور هذه المحاضرة، الصيام من العبادات الشعائرية، والحج من العبادات الشعائرية، والصلاة من

العبادات الشعائرية والعبادات الشعائرية لن نقطف ثمارها إلا إذا صحت عباداتنا التعاملية طالبوني بالدليل، لا يجرؤ إنسان في العالم الإسلامي أن يقول في الدين برأيه، طالبوني بالدليل:

نبدأ بالصلاة...

))أَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مَنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضاً. فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً. قَالَ ثُوْبانُ: يَا رَسُولَ اللهِ ! صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَنَعْلَمُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتَكُمْ. وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ أَنْتَهَكُوهَا((.

]أخرجه ابن ماجه عن ثوبان[

ما قيمة صلاتهم إذاً، سقطت قيمة الصلاة لأنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها.

نأتي إلى الصيام...

))من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه((

]أخرجه أحمد في مسنده وصحيح البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة[

المسلم في رمضان يدع المباحات، يدع الطعام وهو مباح في الأصل، يدع أهله هم مباحون له في الأصل، فلأن يدع المحرمات من باب أولى، فكيف يوازن مسلم يدع الطعام والشراب ويغتاب وينم ويطلق بصره ويمضي رمضان كمناسبات اجتماعية، سهرات ولقاءات ومسلسلات وحفلات وسهر حتى قبيل الفجر، وهو يظن أنه يحسن صنع.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤(﴾

)سورة الكهف الآية: ١٠٣ . ١٠٤(

نأتي إلى الحج ...إنسان حج بمال حرام فلما وضع رجله في الركاب وقال لبيك اللهم لبيك ناده منادي أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، ماذا بقي ؟

بقي النطق بالشهادة...

))من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل: وما إخلاصها ؟ قال تحجزه عما حرم الله((.

]أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن[

فمن نطق بلا إله إلا الله ولم تحجزه عن محارم الله ما استفاد منها شيئاً، لذلك المسلمون في العيد يقولون الله أكبر، يكبرون وهذا من السنة ولكن هذا الذي يغش المسلمين ماذا رأى ؟ رأى أن هذا المال الذي يأتيه من غش المسلمين أكبر عنده من طاعة الله، إذاً هذا الذي قال الله أكبر وهو يغش المسلمين ما قالها ولا مرة ولو نطق بها ألف مرة، وهذا الذي يطيع زوجته ويعصي ربه وقال الله أكبر في العيد ما قالها ولا مرة لأنه رأى طاعة زوجته أكبر من طاعة الله عز وجل، امرأة طلبت من بعض الصحابة شيئاً لعله فوق طاقته وألحت عليه قال :اعلمِ أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت أحداهن على الأرض لغلب نور وجها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلهن أهون من أن أضحي بهن من أجلك.

أم سيدنا سعد حملته على أن يكفر، قالت له إما أن تكفر بمحمد وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال :يا أمي لو أن لك مئة نفس خرجت واحدة واحدة ما أكفرت بمحمد فكلي إن شئت أو لا تأكلي، بعدين أكلت.

المشكلة أيها الأخوة أن واقع المسلمين ليس إسلامياً، أما شعائرهم راقية، والله مساجد زرت مسجد في المغرب مكلف مليار دولار، مكلف مساجد، مؤتمرات، قاعات محاضرات، أشرطة، كتب، لكن الإسلام ليس في بيوتنا، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

)سورة الأنفال الآية: ٣٣(

العلماء حاروا في هذه الآية، النبي انتقل إلى رحمة الله، قال العلماء: ما دامت سنة نبينا صلى الله عليه وسلم في بيوتنا، في أفراحنا في اتراحنا، في أموالنا، في تجارتنا، في سفرنا، نحن في أمن من عذاب الله، لو أنه زلت أقدامنا واستغفرنا في أمن أيضاً.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)﴾

)سورة الأنفال الآية: ٣٣(

أنت في أمن مرتين، أنت في بحبوحة مرتين، أنت في رعاية الله مرتين، مرة إذا كنت مطيعاً لله ومرة إذا استغفرت الله من ذنب أذنبت به إذاً هذه النطق بالشهادة هكذا بقي الزكاة.

الزكاة... دققوا:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٣)﴾

)سورة التوبة الآية: ٥٣(

يجب أن نضيف لإنفاق الالتزام، الطاعة، من السهل أن تنفق ولست ملتزماً، حقك محفوظ عند الله، يعني مر معي نص في الأثر: ما أحسن عبد . مسلم أو كافر . إلا وقع أجره على الله في الدنيا أم في الآخرة أبداً، إن عملت عملاً طيباً من أجل الدنيا نلت جزاءه في الدنيا.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)﴾

)سورة البقرة الآية: ٢٠٠(

ما أحسن عبد من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧)﴾

)سورة النساء الآية: ٧٧(

الفتيل خيط في نواة التمرة.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (١٢٤(﴾

)سورة النساء الآية: ١٢٤(

رأس مؤلف من نواة كالإبرة النقير.

﴿مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣(﴾

)سورة فاطر الآية: ١٣(

غشاء رقيق للنواة.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧(﴾

)سورة الأنبياء الآية: ٤٧(

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (٨(﴾

)سورة الزلزلة الآية: ٧ . ٨(

إذاً هذه العبادات الشعائرية، من صلاة وصيام وحج وزكاة ونطق بالشهادة، بالأدلة الصحيحة من السنة، لن نقطف ثمارها إلا إذا صحت عبادات التعاملية، أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع من حولنا، ومع من دوننا، ومع من فوقنا، أما إذا كانت حياتنا كلها كذب بكذب، كلها نفاق بنفاق، كلها دجل بدجل، أن لنا أن نكون مع الله، لذلك معية الله نوعان معية عامة ومعية خاصة، المعية

العامة وقال الله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

)سورة الحديد الآية: ٤(

بعلمه، لكن المعية الخاصة. إن الله مع المؤمنين، إن الله مع الصادقين، معية التوفيق والتأنيب والنصر والحفظ، هذه المعية لها ثمن وقال الله:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

)سورة المائدة الآية: ١٢(

هذه أدلة خاصة مرتفقة بكل عبادة، ما الأدلة العامة التي تشمل كل العبادات ؟.

))عن أَبي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: " أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ ؟ " قالُوا المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله من لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: " المُفْلِسُ مِنْ أَمّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةِ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فيقعُدُ فَيَقْتَصّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمّ طُرِحَ في النّارِ((

]أخرجه الترمذي[

ما استفاد من شيء، أت بصلاة وصيام وصدقة وطرح في النار.

))عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة، فذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: "هي في النار((."

]أخرجه أحمد والبزار[

))عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار، قال الله: لا أنت أطعمتيها ولا سقيتها حين حبستيها ولا أنت أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض((.

]أخرجه أحمد عن ابن عمر[

إذاً: المؤمن صادق، إن حدثك فهو صادق، وإن عاملك فهو أمين لا يخونك، وإذا استثيرت شهوته فهو عفيف، هذه أركان الاستقامة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢(﴾

)سورة فصلت الآية: ٣٠ . ٣٢(

أيها الأخوة الكرام:

بالمناسبة يعني زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

)سورة النور الآية: ٥٥(

أين الاستخلاف ؟.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

قانون.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾

أين التمكين ؟.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾

أين التطمين ؟. والله في الواقع لا تمكين ولا استخلاف ولا تطمين التفسير قال:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (٥٩)﴾

(سورة مريم الآية: ٥٩)

ولقد لقي المسلمون ذلك الغي وأنتم تسمعون وترون كيف يلقى المسلمون الغي لأنهم أضاعوا الصلاة، وليست إضاعة الصلاة تركها ولكن إضاعة الصلاة تفريغها من مضمونها.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾

(سورة طه الآية: ١٤)

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(سورة العنكبوت الآية: ٤٥)

فإن لم تنهِ عن الفحشاء والمنكر لن تقطف ثمارها.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

)سورة العلق الآية: ١٩(

الصلاة قرب، الصلاة ذكر .

))ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل صلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلما، والظلمة نورا يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم علي فأبره أكلأه بقربي، وأستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها((.

]أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب[

أخونا الكرام:

كاستنباط أولي من هذه الآية، ما دام ربنا يقول:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾

بالمفهوم المخالف لو أننا أتقنا الصلاة وتركنا كل شهوة لا ترضي الله هذا طريق النصر، نحن مع كتاب الله.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩(﴾

)سورة الشعراء الآية: ٨٨ . ٨٩(

ما القلب السليم ؛ القلب السليم هو القلب الذي سلم من شهوة لا ترضي الله، وسلم من تطبيق خبرٍ يتناقض مع وحي الله، وسلم من عبادة غير الله، وسلم من تحكيم شرع غير الله هذا هو القلب السليم، الآية الثانية دقيقة.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾

)سورة النور الآية: ٥٥(

الدين الذي وعدهم أن يمكنه لهم مقيد بصفة.

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾

أي دين ؟

﴿ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

طيب بالاستنباط المنطقي فإن لم يمكنهم معنى ذلك أن دينهم لم يرتضيه لهم، إذاً كحل واقعي فيما نحن فيه فالنبحث عن الدين الذي يرتضيه الله لنا، عن دين الاستقامة، عن دين الورع عن دين الحب، عن دين الإخلاص، هذا الدين هو الذي يرتضيه لنا وهو بالتالي يمكنه لنا، ارتضاه فمكنه فإن لم يرتضيه لا يمكن ديننا في الأرض، شيئاً ثلاث، يقول الله عز وجل:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦(﴾

)سورة إبراهيم الآية: ٤٦(

﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

خالق السماوات والأرض يصف مكر الكفار بأنه مكر تزول منه الجبال، ونحن ضعاف، ماذا نفعل ؟ والله في القرآن آية، لكن المسلمين لو صدقوا، وأنا أقول كلمة قاسية هم يصدقون كلام الله تصديقاً شكلياً، أما لو علموا أن خلاصهم وعزتهم وكرامتهم وانتصارهم ورفعة شأنهم في هذه الآية لبادروا إلى تطبيقها، قبل قليل قال الله عز وجل:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

يقول في آية ثانية:

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٢٠(

تلاشت خططهم وسقطت مؤامراتهم وضعفت أسلحتهم وضعف شأنهم.

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

أنا كما أقول زوال الكون أهون على الله من أن تعطل آية، لا يعقل أن يقول الله كلاماً لا معنى له، لا يعقل أن يقول الله كلام لا يعنيه، لا يعقل أن يقول الله كلام لا يحقق، هذا كتاب الله.

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

أيها الأخوة الكرام:

يعني أنا لا أصدق أن في القرآن الكريم قصص وقعت ولم تقع مرة ثانية، يعني كتاب تاريخ صار، لا، هو كتاب هداية، فإذا كان فيه بعض القصص، هذه القصص نماذج متكررة، فمثلاً قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾

)سورة الفجر الآية: ٦ـ ٨(

الحديث عن قوم عاد:

﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

يعني تفوق في كل المجالات، جيد، كلما أهلك الله قوم ذكرهم بأنه أهلك من هو أشد منهم قوة إلا عاد قال:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

)سورة فصلت الآية: ١٥(

ماذا يعني ذلك ؟ أنه ليس بينها وبين الله أحد، ليس فوقها إلا الله بلغت قمة القوة وسيطرت والكبر.

﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

ومع هذا التفوق كبر لا يحتمل.

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾

)سورة فصلت الآية: ١٥(

مع هذا التفوق في شتى الميادين كبر لا يحتمل.

﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

ومع هذا التفوق وذاك الكبر، تفوق في العمران.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩(﴾

)سورة الشعراء الآية: ١٢٨ . ١٢٩(

مع التفوق في كل المجالات، ومع الكبر الذي لا يحتمل، ومع التفوق في العمران تفوق في القوة العسكرية.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)﴾

)سورة الشعراء الآية: ١٣٠(

لا ترحمون أحد، هي الصفة الرابعة، ومع التفوق في كل المجالات، ومع الكبر الذي لا يحتمل، ومع التفوق في العمران، ومع التفوق في القوة العسكرية، تفوق علمي.

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾

)سورة العنكبوت الآية: ٣٨(

ماذا فعلوا ؟ قال:

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١)﴾

)سورة الفجر الآية: ١١(

قتلوا، ضربوا، أهانوا، أذلوا، سلبوا، نهبوا، طغوا في البلاد.

﴿طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)﴾

)سورة الفجر الآية: ١١ ـ ١٢(

أشاعوا التفلت الإباحية.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾

)سورة الفجر الآية: ١٣ . ١٤(

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾

)سورة الحاقة الآية: ٥ . ٧(

كل هذا الكلام يستنبط من آية أخرى.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى (٥٠)﴾

)سورة النجم الآية: ٥٠(

أولى معناها في وحده ثانية، تشبهها، أليس كذلك ؟ هناك عاد ثانية تشبهها تماماً وإن شاء الله مصيرها كمصير الأولى، القرآن في نماذج نماذج ثابت متكررة، طبعاً أخوانا التجار إذا قال لك أحد الأشخاص هذه الدفعة الأولى هو ينتظر دفعة ثانية، ما دامت قلت الأولى.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

)سورة الأحزاب الآية: ٣٣(

معناها في جاهلية ثانية أمر وأدهى، هكذا القرآن.

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾

وعاد الأولى هذه صفاتها، تفوق كبر حضارة عمرانية ضخمة جداً هذا البناء الذي دمر يستهلك في اليوم ثلاثة ملايين دولار كهرباء يومياً من معالم الحضارة الحديثة، نعم.

أيها الأخوة الكرام:

ولكن الإنسان أحياناً يؤخذ بالعاطفة وهذا شأن العالم الإسلامي يفور ثم يصاب بخيبة أمل، لو كان متوازن في البداية لتوازن في النهاية، إن لم يتوازن في البداية لم يتوازن في النهاية، نحن في دار عمل ولسنا في دار جزاء، قد تهزم وأنت الرابح، وقد تنتصر وأنت الخاسر الدليل، ما مقياس التفوق في الإسلام قال:

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٨٥(

هذا كلام الله، أنا قد أحصل مالاً وفيراً، قد أكون أقوى الأقوياء وقد أكون أغنى الأغنياء، وقد أكون غارق في متع لا تنتهي، وقد أكون مهيمناً، ولكن إن لم أزحزح عن النار في النهاية، وإن لم أدخل الجنة لست فائزاً، لذلك هناك من يضحك كثيراً، يضحك أولاً قليلاً ويبكي ثانياً كثيراً، وهناك من يبكي قليلاً ويضحك كثيراً، فالعاقبة للمتقين، هذه واحدة مقياس التفوق قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾

)سورة الأحزاب الآية: ٧١(

فمن أوتي القرآن مثلاً وظن أن أحد أوتي خير منه فقد حقر ما عظمه الله، أنت حينما تكون على عقيدة سليمة، وعلى منهج قويم وتخاف الله رب العالمين ترجو رحمته وتخشى عذابه، إن لم تشعر أنك فائز فوزاً عظيماً هذه مشكلة، كأنك تشك في مصداقية القرآن الكريم فالعبرة أن تأتي مقاييسنا في التفوق وفق مقاييس القرآن، هنا البطولة، لكن الناس ليسوا كذلك يظنون أن القوي هو المتفوق، لا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)﴾

)سورة إبراهيم الآية: ٤٢(

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٩٦ـ ١٩٧(

أيها الأخوة الكرام:

حينما تستطيع أن تأتي مقاييس التفوق عندك متطابقة مع مقاييس التفوق عند الله عز وجل فأنت من المهتدين، من الناجين، دخل عمر على سيدنا رسول الله وقد نام على الحصير فأثر في خده الشريف، فبكى عمر قال يا عمر ما يبكيك ؟ قال رسول الله ينام على الحصير وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير، قال:

))يا عمر إنما هي نبوة وليست ملك، أما ترضى أن تكون الدنيا لهم والآخرة لنا((.

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

فنحن إذا اعتمدنا مقاييس القرآن لا نندم كثيراً على ما فاتنا ولكن نعرف ما بأيدينا، في نقطة دقيقة وأخيرة أرجوا الله ألا أطيل عليكم الأخيرة.

أن الأب مثلاً إذا أمر ابنه أن يعتني بأسنانه، الأمر واضح، واضح جداً، والابن قد يقبل على تنفيذ هذه الوصية لصالحه، وإذا أمره أن يكون صادقاً لصالحه، وإذا أمره أن يجتهد في دراسته لصالحه، لو أن الأب أملى على ابنه مئات الأوامر كلها لصالحه واضحة جداً والابن مقبل على تطبيقها، طبعاً يعني لم نكشف خضوعه لأبيه لأنه خضع لمصلحته، ونفذ وصايا والده لأنها في صالحه، لكن مثلاً لو أن الابن جاء إلى البيت والطعام جاهز، والطعام طعام والده، وطعام حلال، والابن جائع، وهو ابنه، قال له لا تأكل ؟ الأمر غير واضح الإنسان لا يمتحن في الأمر الواضح، يمتحن في الأمر غير الواضح، لذلك أوامر الله عز وجل في معظمها يحقق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة وفي بعضها القليل تمتحن بها عبودية الإنسان، هل هو راض عن الله.

إنسان يطوف حول الكعبة، يقول يا رب هل أنت راضي عني كان وراءه الإمام الشافعي قال يا هذا هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك، قال يا سبحان الله كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه، قال إن كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله، فأنا حينما أصبر حينما يكون الأمر واضح جداً لا يحتاج إلى صبر، يعني مثلاً:

طالب على مشارف التخرج، معلق على التخرج نيل الدكتوراه نيل اللصنص ومعلق على التخرج أن يعين في وظيفة مرموقة، ومعلق على التخرج يتزوج امرأة تحلو له ومعلق ومعلق، وترك النزهات وترك السهرات مع أهله، هو لا يصبر، هو في باله خطه، لكن من هذا الذي نأمره أن يصبر إذا كان الأمر غير واضح، الله ماذا قال:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

)سورة القلم الآية: ٤٨(

حينما تتضح الأمور، حينما تأتي الأخبار على خلاف ما تريد حينما تصاب بخيبة أمل، حينما تحلم شهرين أن يكون هناك شيء ثم ترى شيء آخر، في مثل هذه الحالة أقرأ قوله تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾

كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءت الأمور كما يتمنى يقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فإذا جاءت على غير ما يتمنى يقول الحمد لله على كل حال فالذي يتوازن في البداية يتوازن في النهاية، والذي يوحد يستسلم والذي يعلم معنى العبودية لله لا يسخط على الله أبداً.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٤٦(

أحياناً يخلق الله من الضعف قوة، ومن الإحباط أملاً، ومن الفقر غناً، ومن عدم النصر نصراً، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق للمسلمين كل ما يصبون إليه والحمد لله رب العالمين.

جزكم الله خيراً وبارك الله فيكم وردتنا بعض الأسئلة التي تتكرر.

سؤال :أخ كريم يسأل قال أنني أخاف لدرجة أن حياتي كلها تعيسة نحو عائلتي أي زوجي وأولادي.

الجواب :والله الحقيقة المرة يا أخوان أفضل ألف مرة من الوهم المريح، الخوف الطبيعي مقبول أما الخوف غير الطبيعي غير مقبول لأن الله عز وجل قال:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

)سورة التوبة الآية: ٥١(

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٥(﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٧٣ ـ ١٧٥(

أمر إلهي، يعني بصراحة لو أن جندي في جيش، جيش ضخم ووالده قائد هذا الجيش وجاء عريف هدد هذا الجندي فارتعد خوفاً أليس أحمق ؟ جندي في جيش والده قائد هذا الجيش وجا عريف بسبعة فهدده وتوعده فانهارت قواه ونسي أن أباه بيده كل شيء، هذا يعد جندي أحمق الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

)سورة فصلت الآية: ٣٠(

في خوف مرض، أنا أخاف الله لكن لا لدرجة أن تصبح حياتي جحيماً مستحيل، أنا أشعر أن لي عند الله شيء، يعني في ميزة.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾

(سورة الزمر الآية: ٦١)

وهذا الإله العظيم . دققوا الآن . إذا سلمك إلى جهة قوية لا تحبك لتفعل بك ما تشاء هذا إله لا يعبد، قال:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾

(سورة هود الآية: ١٢٣)

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٧٥)

الخوف إذا كان بلغ حداً غير معقول خرج عن دائرة القبول.
سؤال :ما معنى وأجملوا في الطلب.
الجواب :لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير " شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغنائه عن الناس، هذا معنى أجملوا في الطلب.

((إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب))

[أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم]

وفي رواية واستجملوا مهنكم. اختر مهنة راقية.

سؤال :قال كيف نقنع أحد أتباع الأصنام وهو صيني أنا الإنسان يحيى بعد الموت.

عامة الناس لا يخاطبون إلا بأصول الدين، الإيمان بالجنة والنار هذا إيمان إخباري بعد أن تؤمن بالله، وتؤمن بكتابه، وتؤمن برسوله ينتهي دور العقل ويأتي دور النقل فمستحيل أن تقنع إنسان ملحد بوجود الجن، ما في دليل، ولا الملائكة، ولا اليوم الآخر، هذا طريق مسدود أقنعه بوجود الله أولاً، ثم أقنعه بأحقية هذا القرآن ثانياً، ثم أقنعه بأن هذا الذي جاء بالقرآن هو رسول الله، الآن انتهى دور العقل يأتي دور النقل قال لم في يوم آخر، أما أن تقنع إنسان ليس مؤمناً بالله أن هناك يوم آخر ما في دليل، ولا يستطيع إقناعه نبي، في تسلسل تقنعه بوجود الله ثم بأحقية القرآن ثم بصحة رسالة النبي وبعد إذن يأتي النقل ليجيبه عن هذه الأسئلة.

سؤال :أين موقع الإنفاق في فعل الطاعات في رمضان خاصة.

الجواب :ما يدفع للأيتام والمساكين، الحقيقة كان عليه الصلاة والسلام أجود من الريح المرسلة في رمضان، رمضان شهر الإنفاق لماذا ؟ لأن النبي كان ينفق في رمضان كثيراً، شهر قربة، فرصة ذهبية لا تعوض، تفتح مع الله صفحة جديدة، أساسها صيام رمضان قيام رمضان، والإنفاق، وتلاوة القرآن، هذا رمضان.

سؤال :كيف نواجه ما يحل بالإسلام والمسلمين اليوم في كل بقاع الأرض ؟

الجواب :الذي قلته في هذه المحاضرة، لا بد من أن نقيم الإسلام في بيوتنا، وفي أعمالنا، نؤدي الذي علينا ثم لنطالب الله بالذي لنا، أما الذي علينا مقصرون فيه، لا يمكن إلا أن نصطلح مع الله، يعني:

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

كله قرآن هي ما عنا حل غير القرآن الكريم، هو كتابنا ومنهجنا ودستورنا وطريق سعادتنا وطريق فوزنا وطريق أمننا وطريق تفوقنا.

سؤال :أرجو ذكر شيء عن صلة الرحم وبخاصة الوالدة، لعل في هذا الشهر الكريم يكتب لزوجي أن يصالح أمه، فهو يقاطعها من ثلاث سنوات.

الجواب :والله شي لا يحتمل، أنا أعتقد أن قلب الأم وحده آية من آيات الله الدالة على عظمته، ورد في بعض الآثار القدسية:

))أن الأم حينما تموت يقول الله عز وجل: عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها، فاعمل صالحاً نكرمك لأجلك((

يعني جزء من إكرام الله لك من أجل أمك، هذه الأم التي قدمت لك كل شيء، أول من يمسك بحلق الجنة أنا، يقول عليه الصلاة والسلام في الأدب المفرد في البخاري:

))فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي . مو معقول . قلت من هذه يا جبريل قال هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاد فأبت الزواج من أجلهم((.

والله البارحة كنت أنا في أمريكا قبل عام طبيب دعاني إلى طعام وحدثني عن هذه القصة أخوتنا الكرام حينما جاءوا من فلسطين في وقت مبكر كان وضعهم المادي سيء جداً فعندنا في الشام حي اسمه المخيم يعني قال لي بيتنا غرفة واحدة فيه عشر أشخاص، لا كهرباء ولا ماء والطريق إلى الزفت حوالي يعني ٢٠٠متر الطين ٣٠سم الطين سائل في الشتاء، وأنا طالب طب ما في طريق أمشي في الطريق طين فكانت أمي تمسك لي حذائي وإبريق ماء وتسير في الطين أنا وإياها عند الزفت تغسل لي رجلي وألبس جواربي والحذاء وأذهب إلى الجامعة وتنتظرني الساعة الثلاثة مساء . ما عندي غير حذاء واحد للجامعة . والله ذكر هذا وبكى قال لي أنا ما أربع سنوات توصله إلى أول طريق الزفت وتنتظره مساء، حتى يبقى حذائه نظيف للجامعة، ولم تكحل عينيها برؤيته طبيباً توفيت، لكنها قبل أن تتوفى قالت له يا بني أوصيك بأخواتك البنات، أيضاً ظهرت منه

بطولة لا توصف، قال لي أخواتي البنات جميعاً اشتريت لكل واحد منهن بيت في الشام، ولها معاش شهري، وأخوتي الذكور كذلك، قال حينما وصلت إلى أمريكا أعطوني ٦٠٠دولار معاش قالت لي زوجتي يكفينا مئتين أرسل الـ ٤٠٠ لأخوتك، هذه الأم أليست آية، قال لي مرة طلب مني كتاب ما معي ثمنه فباعت أساورها أو أسوارها لتشتري لي كتاب في الطب، فهذه المرأة التي قدمت لك كل شيء ألا تستحق أن تقدم لها كل شيء، لذلك الأم في الإسلام لو كانت مشركة ينبغي أن تبرها، لو أنها مشركة.

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

يعني العاق شيء غير معقول أبداً غير معقول إنسان يقاطع أمه، ولو كان على حق، هذه أدي الذي عليك وأطلب من الله الذي لك.

سؤال :ما هو أفضل شيء نتقرب به إلى الله في رمضان ؟

الجواب :طاعته وتلاوة القرآن والإنفاق في سبيل الله وقيام الليل في رمضان التراويح يعني، لأنه من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

سؤال :ما هي التوجيهات للفتيات الناشئات ؟

الجواب :يعني المرأة تقول دائماً أن الرجال فضلوا علينا بالعبادات لهم الجمع والجماعات، ولهم الجهاد في سبيل الله، نحن ما لنا ؟ نقول للأخوات الكريمات أنتن لكن عبادة تستقلون بها أنا سأسميها عبادة أعفاف الشباب من خلال الحجاب، فحينما تستر الفتاة مفاتنها عن الغادي والرائح وتكون لزوجها ومحارمها لا أن تكون سلعة مبتذلة، نحن عنا بالشام السيارة نمرتها حمراء عمومي وإذا كانت سوداء خصوصي، ما تكون عمومي هذه الفتاة، هي لمحارمها ولزوحها فقط ليست، للطريق مفاتنها فحينما تستر الفتاة مفاتنها في الطريق سهامت في أعفاف الشباب، أما إذا أظهرت مفاتنها وبين الشباب والزواج عشرين سنة قادمة، ماذا يفعل ؟ سينحرف فكلما ضاقت فرص النكاح ارتفعت فرص السفاح أبداً .

يعني بالمناسبة إذا قلت سألني واحد غني بماذا توصيني أقول له بإنفاق المال، أنت أول عبادة لك إنفاق المال، سألني واحد قوي من منصب رفيع ماذا توصيني إحقاق الحق وإنصاف المظلوم، أنت قوي لأنك سألني واحد عالم أقول له علم العلم أنت عالم، لو سألتني امرأة قال

اعلمِ أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله، بهذا أوصيكن. وقبل قليل قلت فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي يعني مثلاً يعني سامحوني بهذا المثل لو أن فتاة تحب الله كثيراً وقامت قيام الليل وبكت في الصلاة وصار لها التجلي وفي الساعة الثلاثة تعبت كثيراً فقالت لأولادها أنتم دبروا حالكم اذهبوا على المدرسة طيب الابن ثيابه غير منتظمة، أكل قتلة من المعلمة وابن ثاني وضع سندويشته من غير كيس نايلون نزع الكتب كلها أكل قتلة ثانية والثالث حذائه غير، أنا أقول حينما تستيقظ الساعة الخامسة وتصلي الفجر قبل الشمس وتيهئ طعام لأولادها وتراقب ثيابهم، وتراقب وظائفهم،تعتني بهم، أقرب إلى الله من الأولى، لأنها عبدت ربها فيما أقامها أقامها أماً، إن عبدت ربها فيما أقامها فهي قريبة من الله، فنقول للمرأة إذا كان فتاة سهامي بإعفاف الشباب واستري هذه المفاتن، هي دعيها لمن يحل له أن يراها، يحل له أن يراها زوجك، وإن كانت أم نقول لها حسن رعايتك لزوجك وأولادك يعدل الجهاد في سبيل الله.

سؤال :يقول أنه يريد كتاب يساعدنا على تربية أولادنا .

الجواب :والله أنا العبد الفقير لي ثلاثون شريط في تربية الأولاد، يعني وأذعيت مرات كثيرة في لبنان وفي غير لبنان أنا أقدمها هدية للمركز هنا ليكون متداولاً.

سؤال :أنا طالب جامعي والفتن تحيط بي من كل صوب في رمضان.

الجواب :هذا كلامي ما الفتن عنده يعني ؟ فتن النساء عنده، فلذلك غض البصر، لو قال لي شاب تنصحني بماذا، أقول له بغض البصر أول عبادة بالنسبة له، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، اتقوا النساء .

سؤال :هل يجب على والدي تزوجي إذا كان يستطيع ذلك ؟

الجواب :أنا والله أقول يجب، لأنه كفاك إثماً أن تضيع من تقوت الغرباء أنت لهم وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك، والله أيها الأخوة الأبوة الكاملة تكفي لدخول الجنة، عند ولدين زوجتهم حصنتهم، بزوجة مؤمنة طائعة، أمنت له بيت، هذا الأب الذي يفكر بتزوج أولاده بعده مقدس، والله عند بالشام آباء أبطال، ساكن بأحد أحياء دمشق الراقية ساكن ببيت ما عنده غيره يبيعه يشتري فيه أربع بيوت بالريف، يسكن بالريف هو، آخر عمره، حتى يزوج أولاده، هذا مو

بطل، الأبوة الكاملة بطولة، في أب أناني، مرتاح ببيته ما بغيره، دبر حالك ابن أنا عصامي الآن ما في عصامي، الأمور صعبة جداً، فكل أب يفكر بتزوج أولاده حتى إذا عنده بنات أمن لكل بنت بيت، صار في شيء مغري، بنت مع بيت، ما المانع، والله من الدين هذا.

سؤال :من يفرق بين الذكر والأنثى.

جواب :والله هذا ليس من الدين أخوانا كلام خطير، يعبد الرجل ربه ستين عام ثم يضار بالوصية فتجب له النار، لا يعطي البنات شيء بس الذكور ليش ؟ أنت أفهم من الشرع أخي هذه لها زوج، بروح المال لزوجها، زوجها أقرب الناس لها، يعبد الرجل ربه ستين عام ثم يضار في الوصية فتجب له النار، كان عليه الصلاة والسلام يمسك بفاطمة حينما ولدت قال شمها وضمها وقال ريحانة أشمها وعلى الله رزقها، كان يقف لفاطمة إذا دخلت عليه، أنا والله أقف لابنتي، تأسياً برسول الله، لشدة كرامة المرأة في الإسلام، قال:

))أكرموا النساء والله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيم غالباً((

قال:

))إنهن المؤنسات الغاليات((

كان إذا دخل بيته بساماً ضحاك قال:

))أوصيكم بالنساء خيرا((

هن وصية رسول الله، هؤلاء الأزواج القساة هؤلاء مقطعون عن الله عز وجل.

سؤال :قال أحب أخاً في الله ولكنني أشعر أن درجة حبه لي أقل بكثير من حبي له.

الجواب :النبي قال:

))لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له((

نصحية النبي، صاحب إنسان يحبك كما تحبه، أيام تصاحب شخص غني كبير وأنت موظف، كل ما شافك كم يعطونك من معاش يصغرك، هذا اقطعوه، صاحب إنسان يقدر علمك وإخلاصك، قال:

))لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له((.

سؤال :كيف يجزى الكافر إذا عمل عملاً صالحاً ؟

الجواب :والله في كفار لهم أعمال صالحة لا تصدق، يحبوا الوجاهة والمصلحة الله يعزهم بالدنيا ويكرمهم لكن أرادوا الدنيا فأخذوها وما لهم في الآخرة من خلاق، الله أكرم وأجل من أن تفعل عمل صالحاً مطلقاً ولا يكرمك عليه، أكرم وأجل، ولو كان كافر، مرة أبو جهل أو أبو سفيان جاء أبو جهل إلى بيت رسول الله قبل البعثة فسأل فاطمة أين أبوك ؟ فقالت ليس في البيت قام ضربها، وحش، علم أبو سفيان حملها وذهب إليه وقال اضربيه، فالنبي قال يا ربي لا تنساها لأبي سفيان لا يضيع شيء، واحد أقام من على ثوب النبي ريشة قال جزاك الله خيراً، عود نفسك تشكر أي إنسان من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أنا بس أتألم إذا كان كافر عمل عمل صالحاً وكان يبتغي به الدنيا يا حوينتك لو ابتغيت به وجه الله لكنت في أعلى عليين لذلك هناك أقوياء يدعون الكمال وحقوق الإنسان والإنسانية وحقوق الحيوان، أيام يزرعوا سن لكلب زرع عند بالشام زرع السن خمسين ألف بالسوري مو بالبناني، ٥٠ ألف زرع سن، في بلاد الغرب تزرع أسنان للكلاب، تزرع لهم مفاصل يزرع لهم شريان في قلبهم، لهم طبيب نفسي، معه كآبة الكلب لأنه.

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

***

فهؤلاء الذين يدعون الكمال والرقي وحقوق الإنسان، هؤلاء لا بد أن يضعهم الله في ظرف صعب يظهرون كالوحوش، وقد ظهروا ٩٠ بالمئة من المسلمين مأخوذون بالغرب، الآن ظهروا

وحوش تماماً، وهذا أكبر نصر، لن تؤمن بالله إلا إذا كفرت بالكفر، من هوي الكفرة حشر معهم، ولا ينفعه عمله شيئاً، لن تؤمن بالله أي إذا كفرت بالكفر، الآن كفرنا بالكفر نحن الحمد لله.

أنا تكلمت كلمة سامحوني فيها، قلت مهما بلغ مظهرك الديني مهما كان مظهرك الديني صارخاً فإذا أعنت كافراً على مسلم خرجت من ملة الإسلام كلياً، هكذا قلت لو بلغت اللحية إلى أسفل السرة وأعنت كافراً على مسلم خرجت من ملة الإسلام كلياً، هذا الدين، ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها، فإذا سفكت دماء المسلمين بأيدي المسلمين إذا التقى المسلمان بسيفهما كانا على شفى النار، فإذا اقتتلا سقطا في النار الاثنين معاً، نحن في مشكلة كبيرة جداً، نحن بأسنا بيننا يا أخوان.

سؤال :أليس من الضروري أن توازن المرأة بين دعوتها وبين رعاية زوجها وأولادها ؟

الجواب :أنا رأي الموازنة كلام ذكي هذا، أما الأصل رعاية زوجها وأولادها الأصل الأولى، يعني أنت يجب أن تعبد الله فيما أقامك لكن في وقت، والزوج متسامح والأولاد زوجتهم، وما في أحد نفقتم والتفتت إلى الدعوة ما في مانع، أما أولاد صغار يريدون رعاية ومهملين في الطرقات، وين هذه الداعية ؟ في المحل الفلاني، هي تركت مهمتها الأساسية وتبعت شيئاً، كان يغنيها لو أنها أحسنت رعاية زوجها وأولادها.

سؤال :عن الزكاة ؟

الجواب :والله يا أخوانا موضوع الزكاة أنا لي رأي أرجو أن يكون واضحاً لديكم كل مبلغ على حدى متى جاء ومتى ذهب شغلة بدها هيئة محاسبة بواحد رمضان أو بواحد واحد مثل ما بدك، ادفع زكاة ما تملك بهذا الوقت، يأتيك مليون قبل بيوم ادفع زكاتهم، دفعتهم قبل يوم راح عليك زكاتهم، ما تدفع زكاتهم شو معك بواحد رمضان أريح طريقة سهلة بسيطة واضحة، ما فيها إشكال.

لكن مثلاً أخوانا التجار يفتح صفحة زكاة بدفتره بواحد شوال في عملية جراحية في إنسانه فقيرة ممكن يدفع الزكاة سلفاً، يدفعها بهدوء على مدار العام، بتكون حالة واضحة جلية محققة خالصة عندك قناعة فيها، أنا أدفع سلفاً بواحد رمضان علي مئة دافع ثمانين بدفع عشرين أما تدفع مبلغ كبير بيومين هتكبو كب، تعطيه لناس لا يستحقونه، بالمناسبة عند الإمام الشافعي دفع زكاة ماله

لمن لا يصلي لا تسقط عنه الزكاة، أبداً لأنها تأخذ من أغنيائهم وترد إلى فقراءهم، هؤلاء مو فقراء المسلمين، لا يصلي، جحود بحقها، نعم.

سؤال:... ؟

الجواب :يعني إذا واحد ببيته وعنده زوجته تحتاج إلى معطف في الشتاء أمام دفع المعطف من زكاة ماله، والله مريحة هذه الطريقة، معناها ما دفع زكاة ماله، ما دفع أطلاقاً أي إنسان أنت ملزم بالإنفاق عليه لا تجوز عليه الزكاة، إطلاقاً، أكثر الناس بدو المزاريب لجو، ما بحط مبلغ لبرى أبداً، بنتها ناقصها مكيف من الزكاة، صهره بدو سيارة من الزكاة ما دفع زكاة معناها.

سؤال :كيف يرتضتي الله عزوجل الحياة الإسلامية لفتاة غير متزوجة، وقد بلغت السابعة والعشرين.

الجواب :والله مرة زارني أخ في عنده سبعين سنة عندي بالبيت قطعة كاتو عملت له كاتو وشاي، مسك الشوكة قطع لقمة ودعى دعاء والله أعرفه، قال: سبحان من قسم لنا هذا ولا ينسى من فضله أحداً والله بكيت، أنا أخاطب أي فتاة يعني تأخر من يخطبها، الله لا ينسى من فضله أحد أصبر، ما دمتي طائعة لله فأنت والله في الجنة، اصبري كثير في حوادث يتأخر حتى يأتي الإنسان المناسب.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾

(سورة البقرة الآية: ٢١٦)

الدنيا كلها صبر يا أخوانا، الصحابة صبروا.

﴿مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (٥)﴾

(سورة التحريم الآية: ٥)

صفات رائعة جداً، الله وصف المؤمنات فهي صابرة لكن لتعلق أملها بالله عز وجل لكن شوف سلوك الشرك لازم تظهر مفاتنها حتى يخطبوها الناس، هذا والعياذ بالله سلوك كل شرك السلوك هذا، أما مؤمنة تطيع الله وتعلق أملها على الله وترجو الله ثم يخيب الله ظنها، والله هذا من سابع المستحيلات، يمكن يأتي واحد بعد سنتين يعني أفضل من ألف واحد يأتي قبل سنتين.

سؤال:

الجواب :والله بارك الله بك، والله هذه مشكلة أن هذه الفتاة تحجبت، حفظت كتاب الله طلبت العلم الشرعي، تنتظر مؤمن، والله هذا المؤمن إذا بحث عن إنسانة متفلتة والله وكأنه خرج من دين الله، هذه لمن هي المؤمنة الطيبة الطاهرة العفيفة الحصان التي درست الشرع هذه لمن هذه لشاب مؤمن، فكمان الشاب مؤاخذ مؤاخذة كبيرة والله يعني في قصة أرويها أنا بالشام حصلت في إنسانة في عند عرج هيك ثمانية سانتي، تلبس كندرة ثمانية سانتي من الأمام زحافية تلبس مكسي تطلع تمام، انخطبت ما حكت ما معها من علة، الحماية بتخوف، هي عندهم شريك بجهنم لهن الحموات، إلا ما تطلقها، الابن لا يطلقها، قال لها ما بكسر خاطرها خلص هذه زوجتي، أنا أقبل بها، يقسمون بالله خلال سنتين صار معه مئتين مليون ليرة، ما كسر خاطرها، ما كل ربح هو الجمال، ما كل ربح هو المال أيام عمل بطولي بتكون عند الله في أعل عليين.

سؤال :قال سمعت من الدعاة إلى الله من يقول كلاماً يعده من باب التيسير، يجوز لمسلم بتأجير مكان لإقامة بيع العنب لمن يصنع خمراً ؟

جواب :هذا ما عاد تيسير هذا تحليل صار، هذا الإسلام كان مكعب حديدي بعدين قاموا النتوءات صار كرة حديدية، بعدي كرة لزجة بعدي سائل، الآن غاز صفي، ما في شيء غير لوحات، بصراحة الإسلام ظاهرة صوتية الآن، صوت بس، ما فيه شيء أبداً، في شدة يقيموا الحجاب بأمريكا، في شدة قاتل مسلم معليش أنت جندي أمريكي قاتل، هذه فتاوى، أنا عما أقول خذوا دينكم عن الأرضيات يا أخوان مو عن الفضائيات.

سؤال :أخ يعمل في الإعلانات وهذه قائمة على عرض نساء شبه عاريات .

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

هذا العمل تحت قدمك أركله بقدمك لحكمة بالغة بالغة جعل الله كسب المال الحرام سهلاً، والحلال صعب، الحلال صعب وقليل، والحرام سهل وكثير بتشتغل وحدة أثنى عشر ساعة بالليل تأخذ مبلغ، تأتي البغي بتأخذهم بخمس دقائق، فالعبرة بالحلال.

سؤال :ما حكم الأم المتحجبة والأب الملتزم وبناته سافرات متبرجات وتمشي معها في الطريق.

الجواب :كما أن الأم البنت المحجبة الطاهرة العفيفة والشاب الملتزم أكبر شهادة لوالديه وهي شهادة رسوب للأم، إذا بنت سافرة مع أمها المحجبة مع الأم ما ربتها، هذا دليل أن الأم لن تعتني بها، ولم تعلمها مبادئ الدين.

لا بد من أن نكون مع بعضنا بعضاً متحدين متعاونين كما يقول الأخ الكريم، لأن الفرقة هي ضعف، وكلما اشتد الإخلاص تعاونا، وكلما ضعف الإخلاص تنافسنا، وأعدائنا يتعاونون على خمس بالمئة قواسم مشتركة ونحن نتقاتل على خمس وتسعين بالمئة قواسم مشتركة.

سؤال :كلمة بخصوص غلاء المهور.

الجواب :نعم أخوانا الكرام يعني والله سمعت عنا قرية من قرى دمشق اجتمعوا وجهاء القرية وأخذوا قرار، مهر الفتاة ساعة وخاتم محبس فقط، تيسير للزواج، كلما رفعنا مستوى الحياة اتسع السفاح وضاق النكاح التوجيه القرآني.

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾

)سورة القصص الآية ٢٧(

فكلما خففنا العبء على الشباب نكون قد وسعنا دائرة النكاح، وقللنا من دائرة السفاح.

بعدين بالمناسبة أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة.

يعني إذا الأب أمر ابنه أن يطلق زوجته وهي طاهرة مستقيمة مسلمة بلا سبب ولم يفعل لا شيء عليه، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول لي إنسان أن سيدنا عمر أمر أبوك عمر ؟ إذا أبوك عمر نفذ أمره.

يعني المسيح الدجال هو إنسان حقيقي سيأتي لكن بالمفهوم الواسع يعني لو فرضنا مثلاً أسرة

فقيرة جداً، جداً فقيرة، وخمس أولاد يموتون من الجوع، جاب الأب فروج لحاله كبير أكله وشبع، وأنا أحبكم يا أولادي هذا أكبر دجال، لو بقي ساكت كان أهون، فمشكلة العالم الآن كله كذب كل ما يقال خلاف الواقع، فظاهرة هذا العصر ظاهرة الكذب والنفاق نعم.

قال أذكروا محاسن موتاكم . دققوا بما فعله النبي جاء عكرمة مسلماً مين عكرمة ابن أبي جهل أعدا أعداء الإسلام قال النبي الكريم:

))جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه لأن سب الميت لا يبلغ الميت لكنه يؤذي الحي((

هذا أدب النبي اللهم صل عليه، فإذا كان عدو لدود للمسلمين النبي كف عن ذكر مساوئه، فكيف إذا مؤمن، يعني غلب عليه الصلاح لازم أنبش أخطاءه بعد الموت، لا هذا خلاف الأصول.

يقول أخ أي أشرطة خاصة بك تقود بناء زوجة صالحة أنا لي عشرين شريط متعلق بالأسرة بحقوق الزوج والزوجة والأولاد، وحقوق الزوج على زوجته، والزوجة على زوجها والآباء على أبناءهم والأبناء على آباءهم، هؤلاء مجموعهم عشرة وفي معهم عشرة أسباب الشقاق الزوجي ثمانية عشر سبب، إن شاء الله أيضاً أضعها في خدمة الأخوان الكرام، أنا وعدتهم بالتربية والآن الزواج. خمسين شريط صاروا.

سؤال :ما حكم بعض علماء الذين يظهرون على شاشات التلفزيون ويفتون بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان.

الجواب :بس كحسم للموضوع إذا التقيت برسول الله فرضاً وسألته فتوى وانتزعت من فمه الشريف فتوى لصالحك، ولم تكن محقاً لا تنجوا من عذاب الله، لعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر، فإذا قضيت له بشيء فإنما أقضي له بقطعة من النار، لا تهتم، أنا أقول له بدك فتوى أو تقوى فتوى مؤمنة تطول بالك، أنا أطمئن كل واحد بدو فتوى، في لكل معصية فتوى، الحمد لله ما في مشكلة عنا، بدك ربا في فتوى، بدك تمثيل في رقص في، موسيقا في غناء في، شو بدك، في فتوى لكل معصية إن أردت الفتوى مؤمنة، بدك التقوى بدك تصبر.

سؤال :واحد تاب إلى الله ثم نقض توبته هل له من توبة.

الجواب :له توبة ما دام في نفس من لنا غير الله عز وجل، لو الله أغلق باب التوبة هلكنا كلنا،

في توبة دائماً لكن أول توبة أهون شيء الثانية أصعب، الثالثة أصعب وأصعب كلما ما تكرر الذنب بتصير في حجب كثيرة.

يعني كما قلت أخت تتمنى زوج صالح أنا والله أقول ولا ينسى من فضله أحد، لنعقد الأمل على الله عزوجل أنا في عندي حل، والله خلال ست وعشرين سنة في الدعوة ما في إنسان وضعني في ظرف صعب جداً ما في حل، ما لك إلا الله، قم قبل صلاة الفجر، وصلي قيام الليل لأن الله عزوجل يقول . وهذا كلام الله عز وجل . لا ينطق عن الهوى، إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه، هل من طالب حاجة فأقضيها له، حتى ينفجر الفجر، في أقوى من الله عز وجل في أقرب من الله، فإذا كانت القضية أصبحت في طريق مسدود ما لنا إلا الله عز و وجل.

والحمد لله رب العالمين

تفسير ايات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

العبادات معلَّلةٌ بمصالح الخلق :

أيها الأخوة المؤمنون... مع الدرس الثاني والستين من دروس سورة البقرة، ومع الآية الثالثة والثمانين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الشرائع على تنوعها تنبع من مصدر واحد

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى له مقولةٌ رائعة، يقول: "العبادات معلَّلةٌ بمصالح الخلق"، ففرقٌ بين العبادة والطَقْس، الطقس حركات، وسكنات، وتمتمات، وإيماءات لا معنى لها، وضعها رجال الأديان الوضعيَّة كي يجذبوا عقول الناس وقلوبهم، إلا أن العبادات من عند خالق الأرض والسماوات معللةٌ بمصالح الخلق.

فلأن الإنسان خُلق ليعرف الله، وليحْمل نفسه على طاعة الله، وليتقرّب إلى الله، فالله سبحانه وتعالى جعل من هذه العبادات وسائل للتقرب إلى الله عزَّ وجل، فلا خيرَ في دينٍ لا صلاة فيه، ولا خيرَ في دينٍ لا صيام فيه، أو في دينٍ لا حجَّ فيه، أو لا زكاة فيه. حينما يقول الله عزَّ وجل:

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾

معنى ذلك أن الإنسان هو الإنسان، وأن الله واحدٌ لا شريك له مهما تعددت الاتجاهات، أو اختلف أهل الأديان، ومهما تقاتلوا فالإنسان واحدٌ، هو الإنسان، والله واحد، أيْ أنَّ خصائص الإنسان واحدة، وقوانينه واحدة، بُنَى نفسه واحدة، وسِماته واحدة، لذلك: ما كان حلالاً عندنا ينبغي أن يكون حلالاً عند غيرنا في الشرائع السابقة لأن الدين واحد.

الدين واحد أما الشرائع فمختلفة :

بالمناسبة: قد تستغربون أن الله سبحانه وتعالى وصف أنبياءه واحداً وَاحداً بأنه مُسْلِم، فالدين هو أن تستسلم لله، وأن تخضع له، والدين هو غاية الخضوع وغاية الحب، والدين معرفة وطاعة وسعادة . هذا هو الدين . فالدين واحد، والشرائع مختلفة، وكل أمَّة لها ظروفها، أما أنه على مستوى الأصول فالأصول واحدة، والدليل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

إلا أن الله سبحانه وتعالى شرَّفنا وكرَّمنا بنبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم، فهو آخر الأنبياء وخاتَمهم، وشريعته آخر الشرائع، لذلك تولَّى الله بذاته حفظَ دينه..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[سورة الحجر: ٩]

من لوازم حفظ دينه حفظ قُرآنه، ومن لوازم حفظ قرآنه حفظ سُنَّة نبيِّه، والصيام عندنا كما أنزله الله هو إلى الآن كذلك، أما هناك أديان أخرى، أو شرائع أخرى أصابه تعديلٌ، وتبديلٌ، وإطالةٌ، وحسمٌ، وقصرٌ إلى أن أصبح صياماً غير الذي كلَّف الله به هؤلاء الأقوام السابقة.

على كلٍ ما دام الإنسان هو الإنسان، وما دام خالق الأكوان واحد لا بد أن تتحد الشرائِع، ووحدة المصدر دليل وحدة الفروع، فإذا كانت هذه الأديان، أو هذه الشرائع من عند الله عزَّ وجل فينبغي أن يكون فيها توافقٌ وانسجام، وهذه الآية تؤكّد هذه الناحية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

من فوائد رمضان أنَّه يقوي الإرادة :

لعلَّ موضوع الصيام موضوعٌ طويل، لكنه . بشكلٍ مختصر . قد يعرفُ الإنسان الحقيقة وقد تضعف نفسه عن تطبيقِها، وقد يعرفُ الخير، وربما لا يتَّجه إليه، وقد يعرف الشر، وينجذب إليه، قد يعرف ما ينفعه فلا يُقبل عليه، وقد يعرف ما يضره فينسحبُ إليه، فماذا نسمي هذه الحالة؟ حالة ضعف إرادة، بالضبط كما لو رأيت طبيباً يدخِّن، يمكن أعلم إنسان بمضار التدخين هو الطبيب، ومع ذلك قد يدخن لأنه ضعفت إرادته عن التعامل مع معقولاته، ومع مسلَّماته، فلعلَّ الصيام جعله الله تقويةً لإرادتنا.

الله عزَّ وجل أحلَّ لنا الطيبات وحرَّم علينا الخبائث، أحلَّ لك أن تأكل، وأن تشرب، وأن تنام، وأن تقترن بزوجتك، لكنه في نهار رمضان حرَّم عليك ما أباحه لك في غير رمضان؛ حرَّم عليك الطعام والشراب، وسائر المُفطرات، من أجل ماذا؟ قال بعض العلماء: من أجل أن تقوى إرادتك، فأنت في رمضان تركت المُباحات، فلأن تدع المحرمات من باب أولَى.

هل تصدقون أن إنساناً في رمضان يطلق عينيه في الحرام؟ وإنْ فعل هذا فلا معنى لصيامه، وترى الناس في رمضان يغضّون أبصارهم، ويضبطون ألسنتهم، ويرتادون المساجد، وتراهم في رمضان يصلّون الفجر في مَسجد، فلعلَّ الله عزَّ وجل حينما فرض علينا الصيام فلكي نألف ترك المُباحات، فلأن نقوى في رمضان على ترك المحرَّمات من باب أوْلَى، وحملك على ترك المباحات في رمضان، فقد حرَّم عليك أن تشرب كأس الماء في رمضان، وليس في الأرض شريعةٌ تحرِّمه، فأنت ممنوع أن تشرب، وأن تأكل، وأن تقترِن بمن سمح الله لك بالاقتراب منها في رمضان، وأنت في هذا الوقت تركت المباحات، وتركت الذي أحلَّه الله لك، فتجد نفسك قوياً على ترك ما حرَّمه الله عليك، فهذه واحدة من فوائد رمضان، إنَّه يقوي الإرادة.

شهر رمضان يحجِّم الإنسان ويقوي به معاني العبوديَّة لله عزَّ وجل :

الصيام يشعر الإنسان بافتقاره إلى الله

الإنسان أيها الأخوة قد يعيش في وَهْم، وقد يكون قوي البُنية، كثير المال، فهو واهمٌ أنه إنسان قوي يفعل ما يريد، ويأتي رمضان . فهذا الإنسان الكبير الذي له شأنٌ خطير، والذي يهابه الناس، وينصاعون لأمره . تجده هو نفسه مفتقراً لكأس ماء، وإذا صام الإنسان في أشهر الصيف الحارة والطويلة، بدءاً من الظهر كل خواطره كأس ماء، أو كأس عصير، وقد تكون شخصاً مهماً جداً، ولك مكانة كبيرة أشعرك بعبوديَّتك لله عزَّ وجل، وأشعرك أنك مفتقرٌ إليه، وأن وجودك متوقفٌ على إمداده، فلولا هذه اللّقيمات التي تأكلها، وهذا الماء الذي تشربه لانعدمت الحياة.

إذاً تعريفٌ آخر لهذا الشهر الكريم: إنه يُحَجِّم الإنسان، يضعه في حجمه الحقيقي، ويقوي به معاني العبوديَّة لله عزَّ وجل، ويعرِّفه بضعفه، فأنت ضعيف، ومفتقر لكأس ماء، ولِلُقيمات. والقصة التي نرويها كثيراً أن بعض الخلفاء سأله وزيره فقال: يا سيدي بِكَمْ تشتري هذا الكأس من الماء إذا مُنِعَ منك؟ قال: بنصف مُلْكِي. قال: فإذا مُنِعَ إخراجه؟ قال: بنصف مُلكي الآخر. إنه إنسان مفتقر لشربة ماء، فأنت في رمضان تقوى إرادتك على طاعة الله، لأن الله حَمَلَك على تركِ المُباحات، المألوفات التي لا تحرِّمها شريعة، فلأن تَدَعَ المحرَّمات فهذا من باب أولى.

النقطة الثانية: أنك في رمضان تشعر بقيمة إمداد الله لك وأنت عبدٌ، فالإنسان توجد في جسمه أجهزة دقيقة جداً، وأدق قناةٍ في الجسم قناة الدمع، وهذه لوسُدَّت . مع أنها ليست خطيرة . فالدمع يفيض دائماً على وجنتيك، وأنت مضطر إلى منديل لتمسح الدمع دائماً، هذا الدمع قلوي ربما أثَّر على خديك فأصاب الجلد بالالتهاب، لو أن قناة الدمع سُدَّت لأصبحت حياة الإنسان لا تطاق، وأحياناً الإنسان يجور في قصّ ظفره قليلاً، فإذا وضع يده في شيءٍ حامض شعر بحُرقة، لأن الأعصاب معيَّرة تعييراً دقيقاً جداً، أعصابك معيَّرة. وأجهزة الهضم، والإفراز، والدوران، والأعصاب، والجهاز الحركي، فالإنسان يدقق في أجهزته، في عظامه، وعضلاته، وفي جهازه

الهضمي، وعمل الكبد، وعمل البنكرياس، شيء لا يصدَّق، فهذا كله يعمل بانتظام وأنت في غفلةٍ عن هذا النظام الدقيق.

الإنسان حينما يفتقرُ إلى الله يتولاَّه الله وحينما يستغني عن الله يتخلَّى الله عنه:

إذاً أنت في رمضان تشعر أن الله سبحانه وتعالى امتنَّ على عباده بهذا الطعام والشراب، ولذلك قال تعالى واصفاً الأنبياء أنهم:

﴿ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾

[سورة الفرقان: ٢٠]

كلامٌ دقيق، أيْ هم مفتقرون في وجودهم إلى شيءٍ يُضاف إليهم، أما ربنا عزَّ وجل:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾

[سورة الإخلاص: ٢.١]

وجوده لا يستمدُّ من شيءٍ آخر، وجوده صمديّ، وذاتيّ، أما أنت فمفتقر إلى الطعام، والهواء، والماء، واللباس، والمأْوَى، وإلى زوجة، ووَلَد، وإذا أردنا أن نعدِّد ما أنت مفتقرٌ إليه سنجد ملايين

مملينة، مفتقر إلى من يقصُّ لك شعرك، وإلى أداةٍ تقصُّ أظافرك، وإلى من يخيط لك ثيابك، وهكذا. إذاً كأنك في رمضان تعرف حجمك الحقيقي، وتعرف ضعفك.

لا تنسوا أيها الأخوة أن الإنسان حينما يفتقرُ إلى الله يتولاَّه الله، وحينما يستغني عن الله يتخلَّى الله عنه..، "ومن اتكل على نفسه أوكله الله إليها ". والدرسان الشهيران درس بدر، ودرس حُنين، ففي بدر أعلن المؤمنون افتقارهم إلى الله فنصرهم. وفي حنين قال أحدهم: " لن نُغْلَبَ من قِلَّة "، فتخلَّى الله عنهم:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٥]

عندما قَبِل الإنسان حمل الأمانة أصبح في خطر :

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

أيْ: تتقون غضبَ الله، ومعصيته، وشقاء الدُنيا، وعذاب الآخرة، وأنك أمام خطر، فكلمة اتقى أي يوجد خطر، اتقى من وقى، والوقاية من الخطر، ولأنك قبلت حمل الأمانة فأنت في خطر:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب: ٧٢]

لأنَّك قبلت حمل الأمانة فأنت في خطَر، وعندما يركب الإنسان طائرة وهناك احتمال أن تسقط، الأصل في خطر، هو بين السماء والأرض، وهذا الإنسان الذي قَبِلَ حمل الأمانة إنه إن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمَت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان، لأنك إنسان ومعنى ذلك أنك قبِلت حَمل الأمانة، ولأنك قبلت حمل الأمانة إما أن ترقى إلى أن تكون فوق الملائكة، وإما أن يسقط الإنسان . لا سمح الله ولا قدَّر . فيكون دون الحيوان، هذه هي، فنحن في خطر.

الشهوة قوة دافعة :

الإنسان بالأساس فيه شهوات:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾

[سورة آل عمران: ١٤]

فيه شهوات، ومعنى شهوة أي قوة دافعة؛ إنسان بلا طعام ولا شراب يصبر يوماً أو يومين، وبعد ذلك إن رأى طعاماً اندفع إليه ليأكله، ليحافظ على وجوده، فالشهوة قوة دافعة، وهذه القوة

الدافعة يمكن أن تُلبَّى بزاوية مفتوحة جداً، فهناك منهج إلهي أعطاك زاوية محدودة، أنت تلبِّي حاجة الجوع بطعامٍ تشتريه من مالٍ اكتسبته بطريقٍ مشروع.

وأنت فيك شهوات، وهذه الشهوات لولا العلم لأصبحت قوى مدمِّرة، ولصارت قوى عدوانيَّة، وهذا الكأس ربما لا تشتهيه لو أبقيتَه سنواتٍ وسنواتٍ على المنضدة، فهو لا يتحرَّك، أما أنت فحركي، كائن من لحم ودم فيك شهوات، لا بد أن تتحرك كي تأْكُل، وهذه الحركة من يضبطها؟ إنه منهج الله عزَّ وجل، ولذلك جاء في الشرائع افعل ولا تفعل، الآن العالَم كله يتحرَّك ليأكل، ولكن كيف يتحرَّك؟ قد يعتدي، وقد يسرق، قد يحتكِر، قد يُقيم تجمُّعات اقتصادية فيعيش هؤلاء في ترفٍ ما بعده ترف، وتعيش الشعوب في فقرٍ ما بعده فقر، حركة لأخذ كل شيء.

النقطة الدقيقة هي: أن الإنسان أودِعَت فيه الشهوات، صار إنساناً متحركاً، وهذه الحركة من يضبطها؟ تصوَّر لو أن مركبة تنطلق بسرعة عالية، لو لم يوجد فيها سائق، أو لا يوجد فيها مقود فالحادث حتمي، بل الحادث محقَّق وحتمي..

يا أيها الأخوة... كلمة " لعلَّكم تتقون " أيْ أنك في خطر، وكلكم يرى ويسمع عن إنسان قد يسرق، أو يزني، أو يقتل، أو يغتصب، أو إنسان يحتال، أو يدلِّس، في حركة واسعة جداً كلها على أساس المعاصي والآثام لأن الإنسان يريد أن يأكل أَطيب الطعام، وأن يسكن أجمل بيت، وأن يركب أجمل مركبة، وأن يقترن بأجمل زوجة، إذا لا يوجد منهج، أو لا توجد قناة نظيفة لهذه الحركة صار هناك عدوان.

طرق الوقاية من السقوط :

يا أيها الأخوة... إنه شهر رمضان من أجل أن تُرَشَّد هذه الحركة بمنهجٍ قوي. وكيف تُرشَّد هذه الحركة؟

١ . أول وقاية من السقوط عن طريق البيان :

منهج الله نور للمؤمن

إما بمنهجٍ بياني افعل ولا تفعل، أو بذوقٍ رفيع، أو بمشاهدةٍ لحقائق الأشياء، فالإنسان أحياناً يملك قدرة رؤية صحيحة، وهذه الرؤية تمنعه من أن يسقط، تماماً كما لو أنك تركب مركبة والطريق وعر جداً، فيه حُفر كبيرة، ووديان سحيقة، وأكمات، والليل مظلم، والآن منهج الله هو المصباح الذي يُريك الأكمة، والعقبة، والحفرة، وكل الأخطار، فما دمت حريصاً على سلامتك . بحسب فطرتك . ومعك مصباحٌ كشَّاف كشف لك أبعاد الطريق، فأنت في سلام، ولذلك أول وقاية من السقوط عن طريق البيان.

٢ . الوقاية الثانية عن طريق الذوق :

هناك وقاية ثانية عن طريق الذوق، وكلّما اتصلت بالله عزَّ وجل نَمَت أحاسيسك الأخلاقيَّة، فتأبى الموقف اللا أخلاقي؛ وتأبى العدوان، أما حينما تنمو مشاعرك الإيمانية إلى درجة أعلى فتشاهد الحقيقة، ولذلك الأنبياء الكرام:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

[سورة يوسف: ٢٤]

المؤمن في عنده رؤية صحيحة، المؤمن يرى الحقيقة؛ ويرى ما وراء الكسب الحرام، وما وراء الزنى، وما وراء العدوان، ويرى أن هناك إلهاً عظيماً، سوف يحاسب، وسوف يُعاقب. وهذه الرؤية تجعله ينضبط بمنهج الله عزَّ وجل.

لذلك لعلَّكم تتقون، أيْ تتقون الخَطَر؛ خطر الشقاء في الدنيا، وخطر الشقاء في الآخرة، وأن يكون الإنسان معرَّضاً لسخط الله، ومعرَّضاً لعدل الله.. " لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربَّه "..

ولأنك من بني البشر فأنت في خطر، ولأنك قبلت حمل الأمانة، والأمانة نفسك التي بين جَنْبَيْك:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: ٩.١٠]

فإذا انتبهت إلى هذه الناحية، جعلت من الشرع موجِّهاً لك، وشعرت من اتصالك بالله عزَّ وجل نوراً يهديك سواء السبيل.

التقوى تكون بالنور أو بالبيان :

يا أيها الأخوة الكرام... لأنك إنسان أنت في خطر؛ خطر هذه الشهوات التي أودعت فيك، والخطر أن تدفع الإنسان إلى السقوط، فصار الصيام من أجل أن تتصل بالله، ومن أجل أن تقوى على طاعته، وأن تستنير بنوره..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ 

[سورة الحديد: ٢٨]

إذاً التقوى تكون بالنور، أو بالبيان، فإما أن يقال لك: هنا يوجد منعطف خطر، بياناً، أو أن ترى هذا المُنعطف، لا بد من أن تتقي الوقوع في هذا المنعطف..

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾

لحكمةٍ إلهيةٍ بالغة جُعِلَ هذا الصيام أياماً معدودات في شهر رمضان..

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

والله عزَّ وجل جلَّ في علاه قال:

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

هو وحده يعرف وسْع النفسِ، فلذلك ربنا عزَ وجل هو وحده يعطي الرُخَص، أما أن تعتقد أنك وحدك تعرف وسعة نفسك فهذا خطأٌ خطير جداً.

علَّة الإفطار في رمضان السفرُ أو المرض :

السفر علة الإفطار في رمضان

الله عزَّ وجل هو وحده يعلم وسْعَ النفس، لذلك هنا:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾

أيْ أنَّ علَّة الإفطار في رمضان السفرُ أو المرض، مُطلق السفر ومطلق المرض، أما لو قلنا: العلة هي المشقة. فكل إنسان له طاقة، وهناك من يسافر ثماني ساعات دون أن يَشُقَّ عليه ذلك، وهناك من يسافر ساعة فيحرَج، فلكي لا يكون هناك فوضى في الشرع؛ فمطلق السفر ومطلق المرض يجيز الإفطار في رمضان..

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾

هذه النقطة الدقيقة: وهذا الذي يُطيق الصيام مع السفر وأفطر، أو يُطيق الصيام مع المرض وأفطر، هذا يجب عليه أن يدفعَ فديةً عن إفطاره، أو هذا الذي بلغ سناً متقدمةً جداً وشَقَّ عليه الصيام، إنه يصوم ولكن مع مشقةٍ بالغة.

هناك نقطة دقيقة: الإنسان أحياناً يفعل الشيء وعنده احتياط، وأحياناً يمشي الإنسان ساعة، وهذه الساعة تستنفذ كل قُواه، نقول: هذا أطاق المشي، لكن هذا المشي استنفذَ كل طاقته، أحياناً يمشي الإنسان ساعة، وفي قدرته أن يمشي عشر ساعات، النقطة الدقيقة: أنك إما أن تصوم والصيام يستنفذ كل طاقتك، وإما أن تصوم والصيام يستنفذ بعض طاقتك، فإن كان الصيام قد استنفذ كلّ طاقتك فهذا مما ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾

كأن يعمل إنسان بفرن في أيام الصيف، وجهاً لوجهٍ مع النار، في حالات كثيرة جداً يشقّ على الإنسان الصيام، قال: هذا يدفع فديةً عن إفطاره، أو الذي سافر وأفطر، وكان يطيق الصيام في السفر. أو مرض فأفطر وكان يطيق الصيام مع المرض، هاتان الحالتان إما من يجهَد في الصيام، أو الذي يطيق الصيام مع السفر فأفطر، على هذين النموذجين..

﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

لا بأس إذا أطعمت أكثر من مسكين، فأقله إطعام مسكين، ولا حدَّ لأكثره.

حينما يودي بك الصيام إلى الخطر فالإفطار واجب :

قال تعالى:

﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾

لكن..

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

أيْ إذا أفطر الإنسان بعذر ضعيف، أو من غير عذر فلا يجزئه صيام الدهر، فربنا عزَّ وجل مع أنه أعطانا بعض الرُخَص، لكنه ينصحنا أنك إذا أطقت الصيام عليك أن تصوم..

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

لكنَّ الفقهاء قالوا: حينما يودي بك الصيام إلى الخطر فالإفطار واجب.

قد يقول أحد المؤمنين الأتقياء: أنا أُفَضِّل الصيام، لكنه مصاب بقرحة، أو مصاب بأمراض تحتاج إلى أدوية أساسية في حياته، فإذا صام، وتفاقم مرضه، أو تأخَّر شفاؤه، أو شعر بمشقةٍ لا تحتمل فهذا الأولى أن يُفطر، وأحياناً في سفر يستمر اثنين وعشرين ساعة، يسير مع الشمس، فقد تخرج من دمشق فجراً، والنهار يستمر أكثر من أربعة وعشرين ساعة، لأنك تسير مع الشمس، فقد يشق عليك أن تبقى بلا طعامٍ، وأنت في سفر هذه المدة الطويلة..

الله عزَّ وجل خلق الكون ونوَّره بمنهجه وهو القرآن :

على كلٍ الذي يُطيق الصيام مع السفر وأفطر فعليه فدية، ويطيق الصيام مع المرض وأفطر فعليه فدية، أو أنَّ الذي يستنفذُ الصيام كل طاقته.. بعض العلماء قالوا: " وعلى الذين لا يطيقونه "، لو أنك قلت: يطيقونه أي: أخذ كل طاقتك، أو أنت قد تصوم ومعك بقية طاقة، فقد تجد إنساناً بعمر معين يشتغل ساعة فيتعب، إذ مع التقدم بالسِن الطاقة تقل فقد تستنفذها في ساعة، أما الشاب فقد يعمل أربع ساعات، ولديه إمكانية أن يعمل عشر ساعات أُخَر، فهذا الموضوع متعلِّق بوضع كل إنسان، يقول الله عزَّ وجل:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

قال بعض العلماء: في هذا الشهر أُنْزِلَ القرآن، أي بدأ نزوله في رمضان، أو في هذا الشهر نزل هذا القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، لأن القرآن نزل على ثلاثةٍ وعشرين عاماً،

فكيف نوفِّق بين هذه الآية وبين أن القرآن نزل منجَّماً؟ قال العلماء: القرآن الكريم بدأ نزوله في رمضان، أو أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في رمضان..

﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

والله عزَّ وجل خلق الكون ونوَّره بمنهجه، نوَّره بهذا القرآن.

الله عزَّ وجل خَلَق الإنسان وأعطاه شهوات وأقام له منهجاً :

قد تصلك آلة معقدة، ومعها نشرة، وهي مهمة جداً، وبهذه النشرة بإمكانك أن تستعمل الآلة، فكما أن الله عزَّ وجل خلق، نَوَّر. ولذلك هناك آية ثانية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾

[سورة الأنعام: ١]

هذه واضحة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾

[سورة الكهف: ١]

ومعنى ذلك أن الكون كلُّه في كفَّة، والقرآن في كفَّة، مثل تركيبي: آلة معقدة جداً . كمبيوتر للتحليل . ثمنه ثلاثون مليوناً، كل تحليل بألفي ليرة، تضع نقطة دم على هذا الجهاز تأخذ سبعة وعشرين تحليلاً بضغطة واحدة على الزر، وكل تحليل بألفي ليرة، وهناك من يحتاجه بالمئات، ومن الممكن أن تحصل في اليوم على مئة ألف ليرة من هذا الجهاز، لكن الشركة التي أرسلت لك هذا الجهاز نسيت أن ترسل لك كُتيِّب الاستعمال. الآن دقِّق: إن استعملته بلا توجيهات الصانع أتلفته، وإن خفت عليه جمَّدت ثمنه، أليس هذا الكُتيِّب الصغير بأخطر من الجهاز؟

هناك من يركب الطائرة، ويذهب ليأتي بهذا الكتيِّب، فهناك حالات دقيقة جداً، قد يكون هذا الكتيب الذي فيه تعليمات الصانع، تعليمات التجريب والقيادة أخطر من الجهاز، جهاز إلكتروني من الممكن أن يصاب بالعطب لأتفه خطأ، فحرصك على سلامة هذا الجهاز، وعلى حسن مردوده تستعمله وَفق التعليمات. فلذلك الله عزَّ وجل خَلَق الإنسان، وأعطاه شهوات، وأقام له منهجاً: افعل، ولا تفعل. ذكرت في الخطبة الآن كيف أن المسلمين . والله شيء مؤلم جداً . أن هذا الدين العظيم أصبح عندهم خمس عبادات شعائريِّة؛ صوماً، وصلاة، وحجاً، وزكاة، وإعلان الشهادة، وانتهى الأمر، أما الدين فيه أكثر من مئة ألف بند، والله عزَّ وجل ذكر عن الموازين فقال:

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾

[سورة المؤمنون: ١٠٢]

هناك ميزان لحرفتك، وميزان لزواجك، ولعملك، ولأفراحك، ولأتراحك، وهناك ميزان لإقامتك، وميزان لكسب مالك، فهذه كلها موازين، فهل عرفت هذه الموازين؟!

الله عز وجل أمر الناس بالعبادات الشعائرية وبيَّن لهم التعليل :

أيها الأخوة الكرام... هذا الشهر الكريم الذي:

﴿ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ﴾

الهدى افعل، وهناك تعليل، الله عزَّ وجل علَّل، فمثلاً قال لك:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]

أمرك بالزكاة، وأعطاك التعليل فقال لك:

﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

تطهِّر الغني من البُخل، والفقير من الحقد، وتزكّي نفس الغني فيشعر بعمله العظيم في تلبية حاجات الفقراء والمساكين، وتزكي نفس الفقير فيشعر بقيمته في المجتمع، فهناك تشريعٌ إلهي وجَّه الناس إلى معاونته..

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت: ٤٥]

أمرك بالصلاة التي هي هُدى وبيَّن لك التعليل..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

بيَّن لك التعليل. فأكثر العبادات، كالحج:

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾

[سورة المائدة: ٩٧]

يجب أن تعلم أن الله يعلم، هذا في الحج، وفي الصيام كي تتقي، وفي الزكاة كي تطهر وتنمو، وفي الصلاة كي تبتعد عن الفحشاء والمنكر، هذا الذي وقع.

الشهر هو الهلال وهو ثلاثون يوماً :

فمن شهد منكم الشهر فليصمه

إذاً..

﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

طبعاً الشهر هو القمر، وهذا في اللغة اسمه استخدام، أيْ أنني حينما أرى القمر ينبغي أن أصوم، ولكن هناك تفصيلات دقيقة جداً في كُتب الفقه عن أنك يجب أن تصوم مع المجموع، وأن تفطر مع المجموع، فقد ورد أن:

((الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

عندنا مشكلة تصادفنا كل سنة في أول يوم في رمضان، وهي: يا أخي صيامنا صحيح، لا ليس صحيحاً، نحن صمنا على القمر، أم على الدول المجاورة؟ أنت مهمتك أن تصوم مع المجموع، وانتهى الأمر، حتى إن العلماء أجازوا لك لو أنك رأيت القمر وأنت في مجتمع، ولم تثبت هذه الرؤية، فعليك أن تبقى مع المجموع..

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

هذا الشهر هو القمر، فكيف يصام القمر؟ هذا باللغة، قال: هذا أسلوب اسمه الاستخدام، تأتي بكلمة، وتعيد عليها ضميراً على معنىً آخر من معانيها، فطبعاً الشهر هو الهلال، وهو ثلاثون يوماً، فأول معنى:

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ ﴾

رأى الهلال..

﴿ فَلْيَصُمْهُ ﴾

أي الشهر، ثلاثين يوماً.

رمضان من أجل الهدى والتكبيرات في العيد هي تكبيرات الهداية :

قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

الله عزَّ وجل رفع الحرج عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم. الدين يسر:

((لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً))

[عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن الحسن]

والأمر إذا ضاق اتسع، فأحياناً تجد إنساناً يصلي قاعداً، أو يصلي مستلقياً، وقد يصلي بحركة أجفانه، أو بهزِّ رأسه، ولكن بالطبع كل صلاة يوجد لها مبرِّر، فالضرورة تقدَّر بقَدَرِها..

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾

في رمضان..

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾

الآن هنا موضع الشاهد: معنى هذا أن رمضان من أجل الهدى، أن تهتدي إلى الله عزَّ وجل، وأن تقوى إرادتك، وأن تعرف عبوديتك لله عزَّ وجل، أيْ أن تعرِّف نفسك بضعفك أمام الله عزَّ وجل، وأن تقوى إرادتك، معنى ذلك أنك اهتديت إلى الله عزَّ وجل، وما هذه التكبيرات في العيد إلا تكبيرات الهداية..

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أعيادنا تأتي عقِب عبادات كُبرى :

أخواننا الكرام... من قال: الله أكبر في أول أيام العيد، وأطاع مخلوقاً، وعصى خالقاً ما قالها ولا مرة ولو ردَّدها بلسانه ألف مرَّة، ففي الواقع أنك أطعت القوي في نظرك، فلو أنك تعرف أن الله عزَّ وجل بيده كل شيء ما عصيته، لذلك:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾

دائماً الأعياد عندنا ـ نحن المسلمين ـ تأتي عقِب عبادات كُبرى، عقِب عبادة الصيام يأتي عيد الفطر السعيد، وعقِب الحَج، وهو العبادة التي فُرِضَت في العمر مرة واحدة يأتي عيد الأضحى المُبارك، العيد أي عدت إلى الله، واصطلحت معه..

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

إن رمضان كله من أجل القُرب، ولذلك ملخَّص هذا الشهر..

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

أي أنك تصوم من أجل أن تقترب إلى الله، وأنت تصلي كي تقترب، وتحج كي تقترب، وتدفع زكاة مالك كي تقترب.

ليس بين الله وبين عباده حجاب في الدعاء :

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾

أكثر من عشر آيات:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٢]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾

[سورة البقرة: ٢١٩]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة البقرة: ٢١٩]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢١٧]

أكثر من عشر آيات فيها: يسألونك.. قل ثم الجواب إلا هذه الآية الوحيدة..

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾

لا توجد " قل "،قال بعض علماء التفسير: استنبط العلماء من هذا أنه ليس بين الله وبين عباده حجاب في الدعاء، فهناك أناس يقولون: قم باستخارة، هذه لم ترد في السنة أبداً، اعمل لنفسك استخارة، فليس بينك وبين الله حجاب.

الله تعالى يعلم سرنا وعلانيتنا :

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

وهو:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة ق: ١٦]

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، لا تخفى عليه خافية، فهو:

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾

[سورة طه: ٧]

يعلم سرّك ويعلم ما خفيَ عنك.

الآية التالية تبين شروط الدعاء المستجاب :

قال تعالى:

﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

استنبط علماء التفسير من هذه الآية شروط الدعاء المُستجاب وهي: أن تؤمن بالله، وأن تستجيب له طائعاً، وأن تدعوه مخلصاً. إيمان استجابة، ودُعاء بإخلاص، إلا أن العلماء استثنوا رجلين من هذه الشروط، من هما؟ المُضَّطر والمظلوم، فقالوا: المضطر لا يستجيب الله له بحال الداعي، وقد يكون غير مستجيب لله، بل يستجيبُ الله بحال المَدعو، وهو الرحمة، والمظلوم يستجيب الله له لا بحال الداعي، وقد يكون غير ملتزمٍ، بل يستجيب الله له باسم العَدْلِ، الله عزَّ وجل يستجيب للمضطر والمظلوم..

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾

[سورة النمل: ٦٢]

هذه حالة:

﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾

[سورة النمل: ٦٢]

والحالة الثانية:

((اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب))

[أخرجه البخاري عن ابن عباس]

وهناك رواية أخرى:

((اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً))

[رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده والضياء عن أنس]

عبد الشكر وعبد القهر :

الدعاء هو العبادة

أخواننا الكرام... الدعاء هو العبادة..

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾

هذه الياء ياء النَسَب، ياء النسب أي نُسِبَ العباد إلى الله نِسبة تشريف، كأن تقول: هذا ابني، هذا المحل لي، توجد ياء النسب، الله عزَّ وجل نسب عباده إلى ذاته العليّة نسبة تشريف..

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾

بالمناسبة: العِباد جمع عبد الشكر، بينما العبيد جمع عبد القَهر، وكل واحد منا عبد لله مقهور بوجوده، واستمرار وجوده، وعمل أجهزته إلى الله، أما إذا عرف الإنسان الله طواعيةً، وأقبل عليه، واستجاب لأمره، وأحبَّه، وعاش في كنفه فهذا عبد الشكر، فلذلك عبد الشكر يجمع على عباد..

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾

[سورة الفرقان: ٦٣]

أما عبد القهر يُجمع على عبيد:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

[سورة فصلت: ٤٦]

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾

هؤلاء الذين عرفوني، وأحبوني، وأطاعوني..

﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

أي الدعاء الصحيح.

شهر رمضان فرصة للتعرف إلى الله سبحانه والتقرب منه :

أيها الأخوة... قضية الصيام ونحن على مشارف رمضان، فقد اقترب رمضان، وهي فرصةٌ سنويةٌ كي ينتقل الإنسان نقلةً نوعيةً إلى الله عزَّ وجل، فإذا حرص على صيام هذا الشهر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

أي ما كان بينك وبين الله يُغْفَر في رمضان، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهذه فرصة، وينبغي لنا أن نستعِدَّ لها قبل رمضان، والسبب إن أردت أن تكون في هذه النقطة بسرعة مئة، فليس بإمكانك أن تقف عندها على الصفر وفجأةً ترفعها للمئة، إذاً ينبغي أن تنطلق قبل مسافة بحيث يؤدي التسارع إلى سرعة مئة في هذه النقطة، فإذا أراد إنسان الاصطلاح مع الله في أول يوم برمضان فيمكن أن يمضي أياماً وأسابيع قبل أن تصح صلاته مع الله عزَّ وجل، فالأولى أن يبدأ استعداده لرمضان في وقتٍ مُبَكِّر حتى يأتي هذا الشهر عبادة كاملة يقفز فيها الإنسان قفزتين، قفزةً في معرفته بالله عزَّ وجل، وقفزةً في القرب منه:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين

الآداب العامة في رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ زياد :

تقديم وترحيب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نجدد التهنئة بحلول شهر رمضان المبارك ، أعاده الله علينا بالخير واليمن والبركة .

يسرني أن أرحب في مستهل لقاءنا اليوم بفضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق ، وأستاذ مادة الإعجاز العلمي في كليات أصول الدين والشريعة .

أهلا ومرحباً بكم ، ومن أبرز دعاة وعلماء دمشق ، أهلاً ومرحباً ، نجدد التهنئة بحلول هذا الشهر الكريم المبارك .

فضيلة الشيخ ، هناك آداب على المسلم أن يتمتع بها لكي يرقى بصومه ، ويبتعد عن خدش هذه العبادة التي هي صلة بين العبد وربه كالصلاة ، والزكاة ، وأيضاً الحج ، والعبادات الشعائرية كما تطلقون عليها كمصطلح ، كيف بنا بداية نتلمس حكمة الصوم بعد أن علمنا أنها أولاً وابتداء أنها خضوع لله سبحانه وتعالى .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مقدمة في مفهوم العبادة :

أستاذ زياد ، جزاكم الله خيراً ، الصوم بادئ ذي بدء عبادة ، ولابد من وقفة متأنية حول مفهوم العبادة :

١ – مِن صفات الإنسان الخَلقية : الجزع والهلع والضعف :

الله عز وجل خلق في الإنسان نقاط ضعف لصالح إيمانه ، ولصالح سعادته في الآخرة ، هذه النقاط .

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

(سورة المعارج)

ومعنى هلوعًا أنه شديد الجزع ، وخلق ضعيفاً ، وخلق منوعا ، هذه النقاط تدعوه إلى أن يبحث عن إله عظيم يحتمي به ، يتصل به ، يعتمد عليه ، يتوكل عليه ، هذا هو الباعث الفطري إلى التدين ، البشر عبر الحقب والدهور بعضهم اخترع إلهاً وتوهمه إلهاً ، وعبده من دون الله ، وهذه الديانات الوثنية الأرضية ، أما عباداتها فحركات وسكنات وتمتمات ، تسمى عند علماء الاجتماع

طقوس ، لا معنى لها إطلاقاً ، بينما حينما يصل الإنسان إلى الإله الحقيقي ، خالق السماوات والأرض ، الذات الكاملة ، واجب الوجود صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، حينما يصل إليه ويتصل به ، ويعتمد عليه ، ويقبل عليه ينهي ضعفه ،

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١)إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

(سورة المعارج)

إذاً الباعث إلى التدين في الأصل أن في خلق الإنسان في أصل كيانه نقاط ضعف ثلاثة ، هو جزوع ، وضعيف ، وعجول .

٢ – العبادة ضرورية :

القرآن دليلنا في الحياة

حينما يرى الإنسان هذا الكون ، وما فيه من عظمة لا تنتهي ، كأن هذا الكون يشف عن إله عظيم ، هذا الإله قوي ، وغني ، ورحيم ، وحكيم ، وكمال الخلق يدل على كمال التصرف ، فلا بد لهذا الإله العظيم من أن يرسل إلى عباده رسلاً ، ولا بد لهذا الإله العظيم من أن ينزل على رسله كتباً ، بين أيدينا كلام الله عز وجل ، هذا الكتاب يعرفنا بحقيقة الكون ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة الإنسان ، ويأمرنا بعبادات كي نشحن بها متصلين بالله عز وجل .

الصيام أحد هذه العبادات ، ويمكن أن أعرج قليلاً على أن العبادات منها ما هو تعاملي ، كالصدق ، والأمانة ، والعفة ، والوفاء بالوعد ، وإنجاز العهد ، ومنها ما هو شعائري ، كالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة .

فالصلاة شحنة إلى الصلاة التالية ، وصلاة الجمعة شحنة إلى الأسبوع القادم بينما الصيام شحنة سنوية ، في هذا الصيام يدع الإنسان المباحات ، يدع الطعام والشراب ، يدع ما هو مباح له في أصل الشريعة ، فلأن يدع ما هو محرم عليه من باب أولى .

ذلك أن العبادة في أصلها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

الإنسان يبحث عن سلامته وسعادته ، يشقى حينما يضل الطريق ، بل إن أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط .

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

(سورة الملك)

الإنسان يرتاح في مكان العبادة

هذا الكيان البشري لا يسلم ولا يسعد إلا إذا طبق تعليمات الصانع ، هذا الخالق العظيم له تعليمات ، وما من آلة بالغة التعقيد غالية الثمن ، عظيمة النفع إلا معها تعليمات التشغيل والصيانة ، والإنسان أعقد آلة على وجه الأرض ، فحينما يتعرف الإنسان إلى خالقه ويتعرف من خلال الكتب التي أنزلها ، إلى سر وجوده ، و إلى غاية وجوده ، وإلى مهمته في الحياة الدنيا ، وإلى أنه يحمل رسالة ينبغي أن يؤديها ، حتى يسعد في جنة عرضها السماوات والأرض ، الإنسان حينما يتيقن أنه مخلوق للجنة يحرص على طاعة الله ، ويتقي أن يعصي الله ، بل يبني حياته على العطاء ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣)إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾

(سورة الليل)

كلام دقيق جداً الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم وأنسابهم ، وطوائفهم ، ودياناتهم ، لا يزيدون عن نموذجين عند الله عز وجل ،

﴿ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

صدق أنه مخلوق للجنة ، فاتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء .

الطرف الآخر كذب بالحسنى ، كذب بالجنة وآمن بالدنيا .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

(سورة الروم)

لما كذب بالجنة ، وآمن بالدنيا استغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ .

الأستاذ زياد :

كيف تكون هذه الطاعة في منتهى الرقي ، لا يخدشها أي تصرف ، قد يكون فقهاً تصرفاً جائزاً ، ولكن تعبدياً فيه ما يخدش هذه العبادات .

الصيام :

الدكتور راتب :

١ – الصيام تقويةٌ لإرادة الإنسان :

الصائم يمتنع عن المأكولات الشهية

حينما تضعف إرادةُ الإنسان عن أن يحمل نفسه على طاعة الله يأتي رمضان ليقوي هذه الإرادة ، الله عز وجل منعه أن يأكل ويشرب ، والطعام والشراب مباح في كل أشهر العام ، منعه أن يقرب أهله ، وشيء مباح في الليل ، وفي بقية أشهر العام ، معنى ذلك أن الله منعه من المباحات ، فإذا اقترف المعاصي والآثام اختل توازنه ، ليس معقولاً أن تدع الطعام والشراب وهو مباح ، وأن يكذب الإنسان ، وأن يملئ عينيه من الحرام ، وأن يتصرف تصرفاً لا يليق بالإنسان .

إذاً : كأن الله بهذه العبادة أراد أن يقوي إرادتنا إذ أن الإنسان إذا أطاع الله سعد في الدنيا والآخرة .

بل إن الناس جميعاً لا يزيدون عن رجلين ، رجل عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة ، ورجل غفل عن الله ، وتفلت من منهجه فشقي في الدنيا والآخرة .

الصيام أستاذ زياد جزاكم الله خيراً يقوي إرادة الإنسان في طاعة الرحمن ، هذا شيء مهم جداً .

٢ – الصيام قفزة نوعية للمسلم :

وكأن الله أرادنا في رمضان أن نقفز قفزة نوعية ، أي أن نحمل أنفسنا على الصلوات التامة ، أن نؤديها أداء متقناً ، أن نستيقظ على صلاة الفجر ، أن نذكر الله قليلاً أو كثيراً ، أن نتلو القرآن ، أن نغض أبصارنا عن محارم الله ، أن نضبط ألسنتنا ، أن نضبط آذاننا ، أن نضبط دخلنا ،وإنفاقنا ، أن نضبط بيوتنا ، حينما يشمر الإنسان ليصطلح مع الله ويفتح معه صفحة جديدة ، صدق أستاذ زياد أن هذا الشهر العظيم كما قال سيد الأنبياء والمرسلين :

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

فكأن هذا الإنسان المسلم وهو على مشارف رمضان متاح له أن يفتح مع الله صفحة جديدة بالمصطلح الحديث .

الأستاذ زياد :

وفي كل سنة تمر علينا ، ويتجدد هذا اللقاء ، ويمن الله علينا ، بأن يبلغنا رمضان هذا فرصة جديدة دائماً ، لكي نكون بتجدد العهد مع الله سبحانه وتعالى ، وهو الغني عن طاعتنا وعبادتنا ، وهو لصالح الإنسان .

٣ – فرضُ الصيام لسعادة الإنسان :

الدكتور راتب :

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

(سورة الزمر الآية : ٧)

ذلك لأنه خلقنا ليسعدنا ، خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض ، ورد في بعض الأحاديث القدسية :

((إني والجن والإنس في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر غيري خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكر أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ،))

[أخرجه الحكيم البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء]

الله عز وجل يدعونا في رمضان إلى الصلح معه ، يدعونا في رمضان أن نتوب إليه ، يدعونا في رمضان أن نقبل عليه ، يدعونا في رمضان أن نذوق طعم القرب منه ، أكل وشرب واستمتع بمباهج الدنيا ، عليه في رمضان أن يذوق طعم القرب في رمضان .

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لمــا وليت عنا لغيرنا

ولـو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثيـاب العجب وجئتنا

ولـو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنـا

ولـو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً بقربنــا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنــــا

***

هي دعوة من الله عز وجل .

خاتمة وتوديع :

الأستاذ زياد :

جزاكم عنا الله خير جزاء ، أشكركم فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، نجدد اللقاء بإذن الله تعالى في أيامنا المقبلة خلال هذا الشهر الكريم المبارك ، وفي هذا البرنامج ، أشكر الإخوة المشاهدين لحسن متابعتهم ، غداً يتجدد اللقاء ، أسأل الله لكم صياماً مقبولاً ، ودعاءاً مستجاباً .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

اللمسات البيانية في آيات الصيام- د. فاضل السامرائي

اللمسات البيانية في آيات الصيام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ

اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) البقرة)

موقع آيات الصيام كما جاءت في سياقها في القرآن الكريم: آيات الصوم هذه (يا أيها الذين آمنوا) إلى أواخر آيات الصوم وقعت بين آيات الشدة وذكر الصبر وما يقتضي الصبر. قبلها قال (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)) والصوم نصف الصبر كما في الحديث والصبر نصف الإيمان وتقدّمها أيضاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى (١٧٨)) هذه شدة وتحتاج إلى صبر وقبلها (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)) هذه شدة وتحتاج إلى الصبر وبعدها آيات القتال (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ (١٩٠)) (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ (١٩١)) (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ (١٩٣)) الصوم من المشاق والقتال من المشاق والقتال يقتضي الصبر (اصبروا وصابروا ورابطوا) والصوم نصف الصبر. بعدها ذكر آيات الحج لأن الحج يقع بعد الصيام بعد شهر رمضان تبدأ أشهر الحج فذكر (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٧)) ثم ذكر المريض في الحج كما ذكر المريض في الصوم وذكر الفدية في الحج ومن الفدية الصيام (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ (١٩٦)) إذن موقع آيات الصيام تقع بين آيات الصبر وما يقتضي الصبر وعموم المشقة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)) الفعل كُتب مبني للمجهول وجاء مع (عليكم) تحديداً مع أنه ورد في القرآن (إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ (١٢٠) التوبة)؟

نلاحظ ربنا تعالى قال يا ايها الذين آمنوا ناداهم بنفسه ولم يقل (قل يا أيها الذين آمنوا) لم يخاطب الرسول وقال له قل وإنما ناداهم مباشرة لأهمية ما ناداهم إليه لأن الصيام عبادة عظيمة قديمة كتبها تعالى على من سبقنا فنادنا قال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ولم يأمر الرسول r بالقول إذن نادنا مباشرة ولم ينادينا بالواسطة. استعمال كتب فيه شدة ومشقة وما يستكره من الأمور عموماً لما يقول كُتب عليكم يكون أمر فيه شدة وشقة وإلزام، في أمور مستثقلة ومن معاني كتب ألزم ووجب وفرض مثلاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى (١٧٨)) فيه شدة، (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)) شدة، (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ (٢١٦))، (وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) الحشر) أما (كُتب له) فهو في الخير (إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ (١٢٠) التوبة) هذا خير، وفي يتامى النساء قال (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ (١٢٧) النساء) (وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢١) التوبة) كلها خير (وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ (١٨٧)). إذن كُتِب عليكم فيه شدة ومشقة وإلزام والصوم مشقة يترك الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل فيه مشقة لذا قال كتب عليكم ولم يقل لكم. قال تعالى (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١٢) الأنعام) أي ألزم نفسه تعالى بذلك، كتب على فيها إلزام. أحياناً تأتي كتب بدون على أو لكم. كُتب عليكم فيها شدة ومشقة وإلزام.

بناء الفعل للمجهول (كُتِب) لأن فيها مشقة لأن الله تعالى يظهر نفسه في الأمور التي فيها خير أما في الأمور المستكرهة وفي مقام الذم أحياناً يبني للمجهول مثل (حبب إليكم الإيمان وزينه في لقوبكم) و(زّين للناس حب الشهوات) مبني للمجهول التي فيها شر لا ينسبها لنفسه ومثلها آتيناهم الكتاب وأوتوا الكتاب: في مقام الذم يقول أوتوا الكتاب مطلقاً وفي مقام الخير يقول آتيناهم الكتاب. لما كان هناك مشقة على عباده قال كُتب ولم يقل كتبنا. في الأمور التي فيها

خير ظاهر يظهر نفسه (كتب الله لكم) (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ (٢١) المائدة) هذا خير (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ (٢٢) المجادلة) (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (١٢) الأنعام) (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الأعراف) إذن البناء للمجهول في الأمور التي فيها مشقة وفيها شدة. قوله تعالى (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ (٤٥) المائدة) هذه فيها إلزام لهم، كتب على بني إسرائيل الأمور التي شددها عليهم شدد عليهم لأنهم شددوا على أنفسهم. حرف الجر يغير الدلالة وأحياناً يصير نقيضها مثل رغب فيه يعني أحبّه ورغب عنه يعني كرهه، وضعه عليه يعني حمّله ووضعه عنه أي أنزله.

دلالة استخدام الصيام لا الصوم: هذا من خصائص التعبير القرآني لم يستعمل الصوم في العبادة وإنما استعملها في الصمت فقط (إني نذرت للرحمن صوماً). الصوم هو الإمساك والفعل صام يصوم صوماً وصياماً كلاهما مصدر وربنا استعمل الصوم للصمت وهما متقاربان في اللفظ والوزن (الصوم والصمت) واستعمل الصيام للعبادة أولاً المدة أطول (صيام) والمتعلقات أكثر من طعام وشراب ومفطرات فهو أطول فقال صيام. (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) لم يستعمل الصوم في العبادة وهذا من خواص الاستعمال القرآني يفرد بعض الكلمات أحياناً بدلالة معينة كما ذكرنا في الرياح والريح في الغيث والمطر في وصى وأوصى ومن جملتها الصوم والصيام. في الحديث الشريف يستعمل الصوم والصيام للعبادة "الصوم لي وأنا أجزي به"، " الصوم نصف الصبر" لكن من خواص الاستعمال القرآني أنه يستعمل الصيام للعبادة.

ختمت الآية (لعلكم تتقون) فما اللمسة البيانية فيها؟ قال (كما كتب على الذين من قبلكم)، قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) هذا يدل على علو هذه العبادة وعظمتها وربنا سبحانه وتعالى كتب هذه العبادة على الأمم التي سبقتنا معناها هذه العبادة عظيمة ولا نعلم كيفيتها لكن كان الصيام موجوداً. ثم يدل على الترغيب في

هذه العبادة لأهميتها بدأ بها تعالى في الأمم السابقة ثم أن الأمور إذا عمّت هانت والصيام ليس بِدعاً لكم وإنما هي موجودة في السابق فإذن هذا الأمر يدل على أهميتها ويدل على تهوينها أنها ليس لكم وحدكم وإنما هي مسألة قديمة كما كتبت عليكم كتبت على الذين من قبلكم. كلمة (تتقون) أطلقها ولم يقل تتقون كذا كما جاء اتقوا النار أو اتقوا ربكم يحتمل أشياء مرادة تحتمل تتقون المحرمات وتحذرون من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة ويهذبها (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يتسطع فعليه بالصوم فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) الصوم من هذه الناحية وقاء للشاب يكسر الشهوة ويحُدّها. تتقون المفطرات والاخلال بأدائها أي تحفظون الصيام وتتقون المفطرات الإخلال بأشياء تؤدي إلى ذهاب الصوم، لعلكم تتقون تحتمل تصلون إلى منزلة التقوى وتكونوا من المتقين فإذن فيها احتمالات عديدة وهي كلها مُرادة. إذا كان تتقون المعاصي فهي تحتمل لأن الصوم يكسر الشهوة وإذا كان تتقون المفطرات تحتمل وإذا كانت تصل إلى منزلة التقوى أيضاً تحتمل. في هذا السياق تكرر ذكر التقوى والمتقين قال (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)) (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)) (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)) (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)) (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)) تكررت التقوى في السياق وهي مناسبة لأنه في أول السورة قال تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)). في عموم السورة إطلاق التقوى. وسورة البقرة تردد فيها التقوى ومشتقاتها ٣٦ مرة. التقوى فِعلها وقى وقى نفسه أي حفظ نفسه وحذر، المتقون أي حفظوا نفسهم من

الأشياء التي ينبغي أن يبتعدوا عنها. قسم يقول أن التقوى هي أن لا يرك الله حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك يعني الابتعاد عن المحرمات والانهماك في الطاعات هذه هي التقوى. جاءت التقوى في سورة البقرة على الإطلاق ومنها قوله (لعلكم تتقون) يعني تتقون أي شيء عموماً.

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) لماذا معدودات وليس معدودة؟

فيها أمران من حيث اللغة قد يكون معدودات تقليلاً لها لأن معدودة أكثر، معدودات قليلة. الجمع في غير العاقل معدودات تدل على القلة ومعدودة تدل على الكثرة هذا قياس في اللغة. في غير العاقل المفرد يدل على الكثرة والجمع يدل على القلة حتى يذكرون بقولهم: الجذوع انكسرت (الجذوع كثرة فاستعمل انكسرت بالمفرد) والأجذاع إنكسرن (الأجذاع قِلّة فاستعمل انكسرن بالجمع) وفي الآية (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (٣٦) التوبة). جمع القلة يكون من واحد إلى عشرة، قالوا (أياماً معدودات) تقليلاً لهن تهويناً للصائم. وقسم يقول أنها في أول فرض العبادة كانت ثلاثة أيام في كل شهر ولم يبدأ بالشهر كاملاً ثم نُسِخ وجاء شهر رمضان فصارت معدودات، ثم قال شهر رمضان بعد هذه الأيام. المعدودات تدل على القلة (حتى العشرة) ومعدودة أكثر من عشرة وإذا رجعنا إلى طتب التاريخ العرب تؤرخ بالليالي (لثلاث خلون، لأربع خلون يأتي بها بالجمع) (لإحدى عشرة ليلة خلت يأتي بها بالمفرد تدل على الكثرة) حتى نلاحظ في العدد نقول ثلاثة رجال، عشرة رجال، إحد عشر رجلاً، مائة رجل، مليون رجل.

أياماً ما هو اليوم؟ المشهور الأيام بمقابل الليالي (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا (٧) الحاقة)

(فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) لماذا على سفر؟

يقال لأنه أباح للمتهيء للسفر أن يفطر إذا اشتغل بالسفر قبل الفجر، على سفر أي لم يسافر وإنما هو متهيئ للسفر مثل (وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ (٢٨٣)) أي تتهيأون. (على سفر) لا تعني أنه سافر بالفعل وكثير من الفقهاء قالوا على سفر أي أباح للمتهيء للسفر وإن لم يكن مسافراً وقالوا لو كان للمسافر يعني المهتيئ للسفر لا يحق له الإفطار. لذا قال أو على سفر معناه أباح للمتهيء للسفر أن يفطر.

(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

كلمة يطيقونه فيها كلام قسم قال المقصود في بدء فرض الإسلام عند بداية الفريضة أنهم لم يكونوا متعودين على الصوم فمن شاء يصوم ومن شاء يفدي في زمن الرسول r لما نزلت هذه الآية كأنهم فهموا أنهم مخيّرون بين الصوم والافطار. ما المقصود بـ (يطيق)؟ قسم قالوا هذه الآية نسخت لأنه فعلاً في أول الاسلام كانوا مخيرين من شاء يفطر ويفدي ومن شاء يصوم. وقسم قال أطاق أي تكلفه بمشقة وصعوبة وتكون الهمزة للسلب يعني سلبت طاقته وجهده. الفعل الثلاثي طاق أي تحمل وأطاق فيها خلاف ما هذه الهمزة؟ هل أطاقه بمعنى قدر عليه؟ أو همزة السلب أي سلب طاقته؟ يعني الذي لا يستطيع الصوم يسلب طاقته بحيث لا يتمكن أن يصوم فيفدي (طعام مسكين) وإذا كانت بمعنى التحمّل يصوم (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ) الصيام أفضل. الفدية مرهونة بعدم الصيام وعدم الصيام هو أحد أمرين إذا كان كما يقولون أنه في أول الاسلام كان المسلمون مخيرين في الافطار ودفع الفدية أو الصوم والصوم خير وإن كان غير ذلك أن الهمزة للسلب تبقى على دلالتها وليست منسوخة فالذي لا يستطيع أن يصوم والصوم يسلب طاقته

بحيث لا يتمكن من الصوم فرب العالمين رخص الله تعالى بالفدية كالشيخ الكبير الهِرم والمريض الذي لا يرجى شفاؤه. تبقى على دلالتها مستمرة ليس فيها نسخ إذا جعلت للسلب والحكم عام ساري إلى يوم القيامة.

سؤال من المقدم: (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ) ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الآيى التي ذكرنا جزءاً منها في الحلقة الماضية (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) فذكرنا ما المقصود بـ على سفر والذين يطيقونه وفمن تطوع خيراً فهو خير له بأن زاد على القدر المذكور أو فعل أكثر من المطلوب يُطعم مسكينين أو أكثر أو جمع بين الصيام والفدية وبين الإطعام والصيام وقال وأن تصوموا خير لكم يعني أيها الأصحاء أن تصوموا خير لكم ملتفتاً من الغيبة إلى المخاطب تحوّل الضمير من الغائب (على الذين يطيقونه) إلى المخاطب (وأن تصوموا). كان يمكن أن يقال في غير القرآن لم يقل وأن يصوموا لكنه التفت من الغيبة إلى الخطاب لئلا يخص المرضى والمسافرين لأنه لو قال لو يصوموا خير لهم هذا يخص المرضى والمسافرين وتتداخل مع قوله (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) لكن هذه أعم كل من هو مرخص له بالإفطار من صام خير له وليس فقط هؤلاء وخاصة وإذا صح الكلام أنه في أول الصيام كان مخيراً بين الفدية والإطعام قبل أن يفرض شهر رمضان، كان مخيراً إما يصوم أو يخرج فدية لما قال أن تصوموا خير لكم دخل الجميع فيه لكن لو قال وأن يصوموا لكان يخص المرضى والمسافرين فقط بينما لما قال وأن تصوموا شمل الجميع المرخّص لهم وغيرهم وليس خاصاً بالمرضى والمسافرين فهذا الالتفات كان للجمع وهذا اسمه إلتفات في الخطاب.

فكرة عامة عن الآية: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)):

الملاحظ أنه ذكر الفريضة أولاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لم يحدد وقتاً ولا مدة ولا شيء وإنما ذكر الفريضة ثم بعدها ذكر الأيام مبهمة قال (أياماً معدودات)، إذن ذكر الفريضة ثم ذكر أيام معدودات مبهمة لم يُحّددها ثم بيّن بقوله (شهر رمضان) هذا فيما بعد، الآن تعيّن الوقت للصيام وحدد بقوله (شهر رمضان) إذن أصبح الفريضة هي صيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي الذي ابتدأ فيه نزول القرآن من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل منجماً فيما بعد على مدى ثلاث وعشرون سنة. (أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) فيها دلالتان إما ما ذكرناه الآن أي ابتداء إنزال القرآن فيه أو أنزل في شأنه القرآن أي في تعظيمة، أُنزل في الكلام عنه (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وفي بيان تعظيم هذا الشهر. إذن (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) فيها دلالتان أنه نزل فيه وأنه أُنزل في شأنه القرآن وهو من باب تعظيم هذا الشهر كما نقول قال فيه كلاماً طيباً

والاحتمالان مرادان لما قال (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أي أنزلناه في ليلة القدر وأنزل في تعظيمها قرآن. (الذي أنزل فيه) يعود الضمير على الشهر كله. فقال (أُنزل فيه القرآن) ولم يقل أنزلنا فيه القرآن لأنه يتكلم على شهر رمضان وليس على مُنزِله لو قال أنزلنا يكون الكلام عن الله سبحانه وتعالى وليس على الشهر لو قال أنزلنا يعود إلى ضمير المتكلم لكنه يريد الكلام على الشهر قال أنزل تعظيماً لهذا الشهر وليس على منزل هذا القرآن. بينما قال أنزلنا الحديد تعظيماً لله تعالى وعظمته والنعمة التي أنعمها على خلقه. (تنزيل من حكيم حميد) أنزل إليك ثم قال من لدن حكيم حميد لأن الكلام عن الكتاب وتعظيم الكتاب وليس عن الله سبحانه وتعالى. لهذا قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) السياق في الشهر وليس على مُنزل القرآن لو قال أنزلنا يكون الكلام عن الله سبحانه وتعالى. سياق الكلام على شهر رمضان وليس على مُنزل

القرآن أي ليس الكلام عن الله تعالى فالكلام كله يتعلق بالشهر وليس بالمنزل لهذا قال أُنزل فيه القرآن الفعل مبني للمجهول والفاعل مُضمر محذوف ليس له ذكر لأن الكلام على الشهر الذي أُنزل فيه القرآن وليس على الذي أنزل القرآن. كل السياق هكذا لذا قال أنزل فيه القرآن.

سؤال من المقدم: في الآية قبلها قال (أياماً معدودات) جمع قلة والشهر ثلاثون يوماً وجمع القلة حتى العشرة فكيف نفهمها؟

يجوز من باب البلاغة للتكثير يجوز وضع أحدهما مكان الآخر كما يستعمل القريب للبعيد والبعيد للقريب لكن قلنا هنالك أمران الأمر الأول أنه تهوين الأمر على الصائمين أنه شهر، أياماً معدودة وهو لا يقاس بالنسبة للأجر أنت تدفع هذه الأيام بالنسبة لما في الأجر فهي قليلة جداً، أنت تدفع هذه الأيام بالنسبة للأجر لا يقاس بأجره العظيم لما فيه من عظمة الأجر جزاء هذا الذي تعمله شيء قليل وليس كثيراً هذا ثمن قليل لما سيعطيك ربك هذا ثمن قليلة فهي معدودات. ومن ناحية قالوا أن الصيام كان فعلاً ثلاثة أيام في الشهر (أياماً معدودات) وكان مخيراً بين الفدية والصيام، فإذن كان فعلاً اياماً معدودات (ثلاثة أيام) إذن تؤخذ من باب التهوين وأنها هي قليلة بالنسبة لما سيعطيك الله تعالى فهي قليلة وتهوينها على الصائم وهي فعلاً كانت كذلك فهي إذن هي أيام معدودات.

سؤال من المقدم: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) ما إعراب كلمة هدى؟

فيها احتمالان أن تكون حال أي (هادياً للناس) أُنزل القرآن هادياً للناس أو مفعول لأجله أي لأجل هداية الناس. المفعول لأجله لا يشترط أن يسبق بلام وإنما هذا معنى المفعول لأجله وليس

لازماً (فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله) لم يقل لابتغاء مرضاة الله، معنى اللام أو معنى من ولكن هي في المعنى هكذا (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ (١٩) البقرة) من الحذر، (حذر) مفعول لأجله. المفعول لأجله بيان عِلّة الفعل وسبب حدوث الفعل أي السبب الذي من أجله حدث الفعل سواء كان علّة مبتغاة كما تقول أدرس طلباً للنجاح هذه علة مبتغاة غير موجودة أو هي الدافع للنجاح. تقول قعد جبناً ليس لابتغاء الجبن لكن الجبن سبب قعوده، الجبن هو علة القعود. إما أن يكون هنالك أمر غير موجود يبتغيه الشخص كابتغاء مرضاة الله وإما يكون السبب الدافع قتل نفسه أسفاً مثلاً أو قعد خوفاً، هذه العلة الدافعة للفعل وليست لابتغاء الفعل. إذن المفعول لأجله نوعين إما أن يبتغي شيئاً غير موجود أو أن يكون هو الدافع لطلب الفعل علّة موجودة في نفسه دفعته إلى القيام بهذا الفعل. (هدى للناس) في الآية هداية للناس الهداية غير موجودة لولا القرآن، لولا القرآن لم تكن هنالك هداية فإذن هي ابتغاء علة لم تكن حاصلة لكن بالقرآن يحصل هذا الأمر. فإذن فيها أمرين: إما حال وإما مفعول لأجله، بهذه الطريقة يجمع معنيين معنى الحالية ومعنى المفعول لأجله ولو أراد الحالية لقال هادياً للناس وهناك فرق بين الحال والمفعول لأجله الحال يبين هيئة صاحبه. إذا أراد الحالية قال (هادياً) إذا أراد التنصيص على الحالية يقول هادياً. ما الفرق بين هادياً وهدى؟ هادياً إسم فاعل وهدى مصدر وهناك فرق كبير بينهما حتى لو كان التنصيص على الحاليّة في غير هذا فهناك فرق كبير المصدر وإسم الفاع، فرق كبير بين أقبل راكضاً وأقبل ركضاً وكلتاهما حال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً (١٥) الأنفال) ما قال زاحفين هذه حال، (يأتينك سعياً) لم يقل ساعيات مع أنها حال لكن لماذا اختار؟ إسم الفاعل أو الوصف عموماً يدل على الحدث وذات الفاعل أي شيئين لما تقول قائم القيام مع الشخص الذي اتصف به، الحدث وذات الفاعل، إذن قائم فيها شيئين الحدث وهو القيام وذات الفاعل لكن القيام هو المصدر المجرد ليس فيه نفس الارتباط الذي مع اسم الفاعل. لما تقول أقبل راكضاً، راكضاً يدل على الحدث وصاحب الحدث، أقبل ركضاً تحوّل الشخص إلى مصدر، هو صار ركضاً. ولذلك هذا ليس قياساً عند الجمهور مع أنه يقع كثيراً وربنا تعالى لما ذكر إبراهيم (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا (٢٦٠) البقرة) ما قال ساعيات اي ليس

فيهن شيء يُثقلهن من المادة يتحولن من أقصى الهمود إلى حركة أي هنّ أصبحن سعياً ولو قال ساعيات يعني فيها صفة من الصفات فيها الحدث وصاحب الحدث، هناك فرق أقبل ماشياً أقبل مشياً ليس فقط ماشياً وإنما تحوّل إلى مشي.

(الذي أُنزل فيه القرآن هدى) يذكرون في الإخبار المصدر عن الذات أو العكس أو الوصف: محمد ساعٍ، محمد سعيٌ، محمد شاعٍ عادي لكن محمد سعيٌ هذا لا يجوز إلا على ضرب من التجوز أي محمد تحوّل إلى سعي لذا قالوا هذا لا يجوز إلا على ضرب من التجوّز لذلك لما قال تعالى لنوح u(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (٤٦) هود) لم يقل عامل أي إبنك تحول إلى كتلة عمل غير صالحة لم يبق فيه شيء من البشرية. في موطن آخر (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٣٥) الأنعام) عمل غير صالح تحول إلى كتلة عمل غير صالح ليس فيها شيء من الإنسانية والبشرية ولذلك هذا لا يجوز إلا على ضرب من التجوّز والمبالغة. طبيعي أن تقول إنه عملاً بالنصب هذا تعبير طبيعي، إنه عملٌ لا يجوز إلا على ضرب من التجوّز والمبالغة. قال تعالى (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى (١٨٩) البقرة) البِر مصدر ومن اتقى شخص، كيف البر هو الذي اتقى؟ البارّ هو الذي يتقي وليس البِرّ، البارّ من اتقى وليس البر، البِرّ عمل وهو فعل الخير، لو تحول البر إلى شخص لكان شخصاً متقياً. فهم القرآن وأسراره هذا اختصاص والآخرين غير مكلفين بهذا وبوابة الدخول لفهم القرآن معرفة اللغة العربية والقدامى اشترطوا فيمن من ينظر في القرآن يريد أن يفسِّره قالوا التبحر في علم اللغة والبلاغة والتصريف والاشتقاق ولم يقولوا معرفة اللغة.

(هدى للناس) هدى لها إعرابان إما حال وإما مفعول لأجله والاثنان مطلوبان لأنه لو أراد الحالية لقال هادياً.

المعنى الدلالي للمفعول لأجله هو بيان العلة. (بينات) (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات) أي وأُنزِل آيات بينات واضحات الدلالة، (وبينات) الواو حرف عطف، بينات معطوفة على هدى، العطف يصح من دون تقدير، مثل أقبل محمد وخالد أي أقبل محمد وأقبل خالد، لا يحتاج إلى تقدير فعل مغاير هنا افعل واحد إذن أُنزِل آيات بينات واضحات الدلالة أُنزل هدى للناس وأُنزل آيات بينات واضحات الدلالة من الهدى والفرقان (بينات صفة منصوبة)، الصفة لا نقصد إعرابها نعتاً ولكن هي صفة يعني إما إسم فاعل أو إسم مفعول أو صفة مشبهة أو صيغ مبالغة أو إسم تفضيل هذه تسمى صفات وهذه صفة مشبهة (فيعل) مثل ميّت، جيّد، طيّب، ليّن، هيّن، بيّن، هذه صفات مشبهة. هنا أُنزل آيات بينات واضحات الدلالة فتكون بيّنات حال لأنها مصدر والمفعول لأجله لا بد أن يكون مصدراً هذا ليس مصدراً وإنما صفة مشبهة والحال إسم فضلة منصوب أما المفعول لأجله فلا بد أن يكون مصدراً مصدر فضلة مفيد عِلأّة (فضلة يعني لا مسند إليه ولا مُسند، والركن هو المسند والمسند إليه)، (بينات) حال. الفرقان أي الفارق بين الحق والباطل أي أُنزل بينات من الهدى، هو هدى للناس هذا للعموم وفيه آيات بينات تبين الحجج الدامغة على أنه من عند الله هذه هدى وفيها أحطام عظيمة جداً تهدي الناس. هدى للناس هذه عامة، وبينات من الهدى والفرقان خاصة. في أول سورة البقرة قال (هدى للمتقين) هنا قال (هدى للناس) والآيتين في البقرة فإذن القرآن فيه هداية عامة وفيه هداية خاصة (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)، هداية عامة (هدى للناس) (وبينات من الهدى) فيه آيات بينات تستدل منها على أن هذا القرآن قطعاً من فوق سبع سموات، فيه دلائل آيات واضحة تحتج بها على أن هذا القرآن هو من عند الله وهناك آيات أحكام هادية للناس في معاملاتهم تفرق بين الحق والباطل إذن هناك هداية عامة وهداية خاصة واستخدم الكلمتين بالمعنيين هنا، هدى للناس هدى عام وبينات من الهدى هدى خاص إذن نوعين هداية هداية عامة وهداية خاصة. الفرقان يفرق بين الحق والباطل، والفرقان تأتي ليس خاصة فقط بالقرآن، (قرآناً فرقناه) نزل مفرّقاً بين الحق والباطل. الفاروق صفة مبالغة (فاعول) والفرقان مصدر وهي أقوى.

سؤال من المقدم: (فمن شهد منكم الشهر) كيف يشهد الشهر؟ هل يراه مثلاً؟

(فمن شهد) أي من كان حاضراً غير مسافر، من كان مقيماً وليس مسافراً شهد الشهر ليس شاهد الهلال أو رأى الهلال. تقول أشهِدت معنا؟ أي كنت حاضراً معنا؟. (فمن شهد) أي من كان حاضراً (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) وشرط الشهادة أن تكون حاضراً وليس مسافراً لأنه ذكر المسافر فيما بعد. أي من شهد منكم الشهر أي من حضره. ثم قال (وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) لم يقل من كان منكم مريضاً كما قال ومن شهد منكم الشهر. قال في الأولى كُتب عليكم الصيام باستخدام عليكم فلماذا قال منكم؟ قال كُتب عليكم، الفرق في الاية الأولى قال (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) تقدمها قوله (كما كتب على الذين من قبلكم) لو قال فمن كان مريضاً ما قال منكم كات يُظن أن هذا حكم الأولين وليس لنا هذا الحكم (أي منكم وليس من الذين من قبلكم). هنا قيّد فلا بد أن يذكر (منكم) لئلا ينصرف المعنى للذين من قبلكم، إنما ليس لها نفس المكان في الثانية (ومن كان مريضاً) وليس في القرآن ولا حرف زائد مطلقاً. لم يقل تعالى (وأن تصوموا خير لكم) كما قال في سابقتها لأنه إذا قرأنا الآية نفسها (وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) قال يريد بكم اليسر فكيف يقول أن تصوموا خير لكم؟ وهذا من تمام رأفته ورحمته بنا سبحانه وتعالى.

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥))

(فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) المؤمنون). نلاحظ الآية (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) الزخرف) الفاكهة التي يزرعها في البساتين ليست فقط للأكل وإنما يعصر منها

ويجفف والاستفادة منها لا يكون بالأكل فقط وإنما لها فوائد كثيرة منها الأكل، تعمل منها مربيات وأشياء كثيرة وتبيع أما في الجنة فلا تبيع منها ولا تجفف (لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ) للأكل فقط. أما قوله (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) لها فوائد كثيرة والأكل واحد منها. ومن هذا نفهم قوله (ولتكملوا العدة). أول شرط لمن ينظر في القرآن التبحر في علم اللغة وفي علم الاشتقاق

(وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) (ما) تحتمل معنيين بمعنى التي والمصدرية بمعنى الهداية ونرجح المعنيين فهما مرادان، أي على الذي هداكم وعلى هدايته لكم. السياق أحياناً يعين على فهم دلالة واحدة. (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (٢٣) الأحزاب) بمجرد أن قال (عليه) تحدد معنى (الذي) ولو لم يقل عليه لاحتملت ما الموصولة أو المصدرية فطالما لم يحدد يُطلق.

سؤال (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)) هذه الآية جاءت بين آيات الصيام فلماذا؟

بعدها قال (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ (١٨٧)) هذا يدل على أن الصيام من دواعي الإجابة وقوع هذا الدعاء بين آيات الصيام إرشاد العباد إلى أن يلحوا بالدعاء ويكثروا منه لأن الصائم مجاب الدعوة في صومه وعند فطره فإذن وقوع هذه الآية بين آيات الصوم إرشاد للعباد على أن هذه فرصة ودعوة لهم بأن الصائم لا ترد دعوته.

سؤال من المقدم: ما دلالة استخدام (وإذا) بدل (وإن)؟

قبل هذه لم يقل فقل لهم إني قريب وإنما تكفل تعالى بالإجابة مباشرة كما خاطبهم مباشرة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ما قال قل لهم كتب عليهم الصيام كذلك في الدعاء لم يقل قل لهم وإنما قال (فإني قريب) مع أنه في آيات أخرى عندما يكون هناك سؤال يقول قل، مثلاً (يسألونك عن المحيض قل هو أذى) أما في هذه الآية تكفل الله تعالى بالإجابة مباشرة (فإني قريب). هو يُدعى سبحانه وتعالى بلا واسطة وهو يجيب مباشرة حتى نلاحظ معظم سألك في القرآن يأتي بعدها (قل). ثم إنه قال (أجيب دعوة الداع) لم يقل إن شئت أو إن شاء ربك وإنما قال أجيب دعوة الداع كأنه أجاب بينما نلاحظ في آية أخرى (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) الأنعام) لم يقطع بينما في آية الصيام فالإجابة لا بد أن تكون إما يعجل له أو يُدّخر له أو يرد عنه بمقدارها من الأذى كما في الحديث، أجيب دعوة الداع لم يعلقها بشيء.

أما استخدام (إذا) لأنه أراد سبحانه وتعالى أن يكثر الناس من الدعاء لأن (إذا) تفيد الكثير والمقطوع ولم يقل (إن)،فالمطلوب أن يكثروا من الدعاء ويلحوا في الدعاء، (إن) احتمالات وتستعمل للشك لمحتمل الوقوع والنادر الوقوع والمستحيل الوقوع أما (إذا) فهي لمقطوع الوقوع أو كثير الوقوع. (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ (١٨٠) البقرة) هذا مقطوع الوقوع وقال (إذا جاء نصر الله والفتح) (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ (٨٦) النساء) هذا كثير الوقوع، وقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) هذه قليلة. قال (إذا سألك) وقال (إذا دعان) هذه إشارة أن المطلوب من العبد الإكثار من الدعاء وعليه أن يكثر من الدعاء وفيها الدعاء شرط الإجابة (أجيب دعوة الداع إذا دعان) جعل الله تعالى الدعاء شرط الإجابة ومن باب التوكيد قدّم الإجابة على الدعاء. مثلاً إذا جئت إليّ أُكرمك، أنت بنيت كلامك على الإجابة حتى النحاة يقولون لما تقول أكرمك إن جئتني، هو قال له أُكرمك هذا شبه متفق عليه من قبل النحاة. بنى على الإخبار بالإكرام وهنا ربنا بنى على الإجابة، الإجابة بفضل الله متحققة والله تعالى يريد من العباد أن يدعوا والدعاء شرط الإجابة. وقال تعالى أجيب دعوة الداع وليس أجيب الداعي لأن الدعوة هي

المطلوبة بالذات. يجيب ماذا تريد أنت أي يجيب الدعوة. وربنا يغضب إذا لم يدعوه العبد ويحب الملحاح في الدعاء وغضب ربنا على أقوام لأنهم لم يدعوه (وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ (٤٣) الأنعام) (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) المؤمنون) (قل أعوذ برب الفلق) أي ادعُ وقلها لا في نفسك فقط، عندما يقول أعوذ يعني أنه يحتاج لمن يعينه فينبغي أن يقولها.

رمضان شهر التوبة والمغفرة

رحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

مع آية الصيام:

أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس رمضان، ومع آية الصيام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

)سورة البقرة(

– 1الشرع يخاطب الناس بأصول الدين:

أولاً: من عادة الله عز وجل أنه إذا خاطب الناس يخاطبهم بأصول الدين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

)سورة البقرة الآية: ٢١(

– 2الشرع يخاطب المؤمنين بفروع الدين:

لكن إذا خاطب المؤمنين يخاطبهم بفروع الدين، السبب أن هذا المؤمن مؤمن أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض، وأنه رب العالمين، وأنه لا إله إلا الله، وأنه الغني، وأنه القوي، وأنه العليم، وأنه المقتدر، وأنه الحكيم، وأنه العدل، وأنه المعطي وأنه المانع، بعد أن آمن بالله رباً، وخالقاً، ومسيراً، بعد أن آمن بأن أسماءه حسنى وصفاته فضلى، بقي عليه أن يتوجه عليه، وأن يعبد، فتأتي الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

– 3تطبيق عملي لخطاب الله المؤمنين بـ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

لكن كتطبيق عملي: هل كلما قرأت في القرآن آية مفتتحة بـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

تعني أو تفهم أنك معني بهذه الآية ؟.

حينما يقول أب: يا فلان، وفلان واقف أمامه، ألا ينبغي أن يستجيب له ؟ ألا يتعقد أنه معني بهذا الخطاب ؟.

حينما تقرأ القرآن، وتقرأ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ولا تشعر أنك معني بهذا الخطاب، فهناك مشكلة كبيرة في إيمانك، أنت معني بهذا الخطاب، لأنك آمنت بالله، طبعاً أنا لا أخاطب طلاب الجامعة وهم في الجامعة، أقول لهم: انتسبوا للجامعة، هذا كلام لا معنى له إطلاقاً، ولكن أخاطب الشباب عامة الذين لم يلتحقوا بالجامعات فأقول لهم: انتسبوا للجامعات، أما طالب الجامعة فأخاطبه بالدوام، تنظيم وقته، بزيارة المكتبة، بإنجاز أعماله يومياً، بمراجعة أستاذه، هناك آلاف الأوامر التفصيلية، أنا أخاطب الطلاب في الجامعة، بتفاصيل النظام والدراسة، والمطالعة، والبحث العلمي، أما أخاطب الطلاب الذين لم يلتحقوا بالجامعات أقول لهم: يا أيها الطلاب التحقوا بالجامعات.

4 – الاستجابة لنداء الله بالصيام:

فإذا خاطب الله عامة الناس يخاطبهم بأصول الدين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾

هذا مؤمن، أقول له:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ ﴾

ينبغي أن تصوم، لأنك آمنت بي، آمنت بعلمي، وحكمتي، وقدرتي، ورحمتي، وعدلي، وأنني ربك، وأنني إلهك، وأنني خالقك، لذلك الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الوقفة عند:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وقفة مع قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

– 1العبادات معلَّلة بمصالح الخلق:

بينت لكم في درس سابق أن العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق، فالله عز وجل إله من حقه أن يأمر بلا تعليل، كما هي الحال في الجيش، نفذ فقط، افعل، ما مِن أمر عسكري معه تعليل، القوي من شأنه ألا يعلل، أما الرحيم فمن شأنه أن يعلل، فقد بيّن لك حكمة الصيام بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

– 2ماذا نتقي ؟

الوقفة عند:

﴿ تَتَّقُونَ ﴾

نتقي ماذا ؟ ما الذي يتقى ؟ هل يتقى الطعام الطيب ؟ لا هل يتقى بيت جميل مريح ؟ لا، هل تتقى زوجة مخلصة ؟ لا، ما الذي يتقى ؟ يتقى وحش يتقى مرض، يتقى إفلاس، يتقى سجن، كلمة التقوى تعني أن هناك خطراً ينبغي أن تتقيه، فما هو الخطر ؟ هنا يدخل في أعماق الصيام، ما الخطر الذي يتربص بنا ؟ وجاء الصيام من أجل أن تتقيه ؟

– 3مصيرك أيها الإنسان إلى حفرة فلا تغترّ، واعتبر!!!

الحقيقة أن الإنسان كائن متحرك، كل واحد منا له عمر، ولد من أبوان، ترعرع، وكبر، دخل الحضانة، والابتدائي، والإعدادي، والثانوي، نال الشهادة الثانوية، إما أنه دخل جامعة، أو التحق بوظيفة، الآن عمره أربعون سنة، الأمور ماشية، كل واحد له عمر عند الله، ٤٠ . ٤٥ . ٥٠ . ٥٥ .

٦٠ . ٦٧ . ٧٢ . ٨١ . يأتي الأجل، إلى أين ؟كان ساكنا في بيت، له زوجة، له أولاد، له مركبة، له محل تجاري، ومكتب هندسي، طبيب، أستاذ جامعي، تاجر، صانع، موظف، فلاح، له عمل، له بيت، فجأة يؤخذ يلف بالقماش، قد تكون مساحة بيته ٤٠٠ م، قد يكون ثمن بيته ٨٠ مليونا، قد يكون عنده مكاتب وشركات وفروع للشركات، وحجم مالي كبير، وأموال منقولة، وغير منقولة، مثلاً، من هذه المكانة الكبيرة، الثروة الطائلة، الهيمنة إلى حفرة لا تزيد على ٦٠ سم، بطول متر و ٩٠، ملفوف بالقماش الأبيض، وأرخص أنواع الأقمشة، خام أسمر، ويوضع الحجر فوقه، ويهال عليه التراب، وانطوى، كان إنسانا واختفى، كان إنسانا فصار حديثا، والله فلان مات . رحمة الله عليه . صار خبرا، كنت إنسانا لك شأنك، لك مكانتك، لك هيمنتك، عندك أولاد، أمرك نافذ فيهم، مدير، وزير، صاحب معمل، صاحب متجر، عندك أتباع، عندك مريدون، شيخ لك أتباع، فجأة تصبح خبرا على الجدران، المرحوم، عميد أسرتهم، الطبيب، المحامي العام سابقاً، الوزير السابق، انتهى، ماذا بعد الموت ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

– 4الموت نقلة مفاجئة من كل شيء إلى لا شيء:

لعلكم:

﴿ تَتَّقُونَ ﴾

هذا المصير، لأن الموت في القرآن مصيبة، بل هو أكبر مصيبة، لأنك بالموت تفقد كل شيء في ثانية واحدة، الآن هناك أغنياء عندهم أموال تقدر بمئات الملايين، بل بألوف الملايين، القلب وقف، انتهى، الألف مليون أصبحت إلى غيره، أنت هيمنتك، وحجمك المال، وسيطرتك، ومكانتك، ووظيفتك منوطة بدقات قلبك، يقول لك: سكتة قلبية مفاجئة، يأتي الطبيب فيأخذ مرآة، يضعها على أنفه، ما جاءها بخار ماء، يأتي بمصباح، يفتح عين هذا الإنسان، ويشعل المصباح، في بؤرة عينه، لم تصغر الحدقة، ما تحركت، يمسك يده، يضعها على نبضه، ليس

هناك نبض، يقول لهم: عظم الله أجركم، انتهى، ملف وانطوى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

هذه النقلة المفاجئة من الحياة إلى القبر، أول ليلة يوضع الإنسان في قبره ينادى: أن عبدي، رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

قد يكون ملكا، ملك بلد فيه أكبر احتياطي نفط في العالم، يحفر له في الرمل، يضعونه، ويضعون حجرا، وانتهى، أين القصر الذي له ؟ أين قصوره ؟ أين سياراته ؟ أين طائرته الخاصة ؟ أين القصر الذي تحت البحر، وفوق البحر، وبالساحل، وبأسبانيا قصر، أين هذا ؟.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

هذه النقلة المفاجئة من كل شيء إلى لا شيء.

أيها الإخوة، هذا الموت مصير كل حي، الخفير، والوزير، والملك والمليونير، والمديونير، أعني المديون، هذا مصير جميع البشر.

5– لكن ماذا بعد الموت؟!!

ماذا بعد الموت ؟ إما جنة يدوم نعيمها، أو نار لا ينفذ عذابها.

الصيام: من أجل أن يكون الموت عرساً لك، من أجل أن يكون الموت تحفة لك، من أجل أن تكون عند الموت أسعد إنسان في الأرض، لو قرأتم تاريخ الصحابة لعلمتم أنهم كانوا في أسعد لحظات حياتهم عند مجيء أجلهم.

" وا كربتاه، يا أبتِ، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه ."

اقرؤوا تاريخ الصحابة، تجدون أن أسعد لحظات حياتهم حين لقاء ربهم، لأنهم اتقوا وهم أحياء

أن يعصوه، فكان الموت عرساً لهم، فكان الموت تحفة لهم.

– 6لا بد من التفكر في الموت ؟!!

إخواننا الكرام، ليس من باب التشاؤم، ولا من باب السوداوية أن تفكر في الموت، يا ترى أين أموت في بيتي ؟ وأنا في الطريق ؟ في عملي ؟ وأنا مسافر ؟ أموت ليلاً أموت صباحاً ؟ أموت بين أهلي ؟ أموت وحدي، أين أُغسل ؟ في المطبخ ؟ في الحمام ؟ في الصالون ؟ أين أدفن ؟ ماذا بعد الموت ؟ ما مصير هذا البيت بعد موتي، ما مصير هذه الشركة بعد موتي ؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

))أكثروا ذكر هادم اللذات((

]رواه الديلمي عن أنس[

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

))عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به((

]أخرجه الشيرازي والبيهقي، عن سهل بن سعد البيهقي عن جابر[

إخواننا الكرام، هذا الذي يضع هذا المصير، نصب عينيه لا ينام الليل، لا يرتكب معصية، هذا الصيام من أجل أن تتذكر هذا اليوم، ومن أجل أن تتقي هذا الخطر، الذي ينتظر كل إنسان، الخطر يحتاج إلى إعداد، لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣ (﴾

)سورة العصر(

– 7كل إنسان خاسر إلا...

إله، خالق، رب العالمين، يقول لك في القرآن الكريم:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

الله يقسم أنك خاسر، كيف يا رب، أنا خاسر ؟ العلماء قالوا: مضي الزمن يستهلك الإنسان، مضي الزمن فقط، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، مايس، حزيران، تموز، آب، أيلول، الآن نحن بتشرين، تشرين الثاني، كانون أول ٢٠٠٧، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان مايس، حزيران، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون أول ٢٠٠٨، نمشي بعقد من صفر لتسعة، بعد ذلك ٢٠١٠، ٢٠١١، في لحظة من هذه اللحظات وقت الوفاة، نحن نمر كل يوم نقرأ عشرات النعوات، في الشام كل يوم ١٥٠ متوفى، وثلاثون أو أربعون نعيا، كل يوم نقرأ نعيا، لازم أن نعلم علم اليقين في أحد الأيام سيقرأ الناس نعينا، هذا الكلام قاله سينا عمر، قال:

" واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا."

كل يوم تتجه إلى المسجد، لكن في مرة واحدة تدخل المسجد وأنت في نعش، لا لتصلي ليصلى عليك، هل هذا الكلام صحيح ؟ كل يوم ندخل المسجد لنصلي، لكن في أحد الأيام ندخله في نعش ليصلى علينا، كل يوم تخرج من بيتك قائماً، في مرة ستخرج في هيئة المسطح في النعش، ولا ترجع، بوم يدفن الميت يجلس أهله الساعة الـ١١، لا يقولون: تأخر والله، لم يرجع، انتهى، لا يتأخر، لا يرجع أبداً، نفتح الخزانة كل ثيابه تصدقوا بها، حتى لا يتذكروه، هكذا يفعلون، كل شيء متعلق به يتصدقون به، بعد جمعتين أو ثلاث ينسونه، كان إنسان صار خبرا، قال الله عز وجل:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾

)سورة المؤمنون الآية: ٤٤(

كان إنسانا فصار خبرا، فهذا الصيام من أجل أن تجعل المصيبة الكبرى الموت عرساً لك، وأن تجعل المصيبة الكبرى الموت أحلى أيام الحياة.

" وا كربتاه يا أبتِ، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه."

قصة وعبرة: هكذا تكون الخاتمة الحسنة:

كنت مرة في تركيا، وأعارني أحدهم كتاباً كتاب باللغة العربية، قرأت قصة عالم كبير من علماء تركيا الأجلاء المخلصين العاملين، ألّف كتيبا صغيرا عن حرمة تقليد الأجانب، ولا سيما وضع قبعة الغرب على الرؤوس، الغرب لهم قبعة معروفة، بعد عشر سنوات كمال أتاتورك منع الزي الإسلامي وألزم الناس بالزي الغربي، فجاء من يهمس في أذنه في كتاب يجعل هذا العمل كفراً، هاتوا المؤلف، وضعه بالسجن، يعني في كل الدساتير بالعالم لا يمكن أن يطيق القانون بمفعول رجعي، هذا العالم الجليل الوقور، المخلص أودع بالسجن، بدأ يكتب المذكرة، أنه أنا الكتاب ألفته لكني نلت موافقة المعارف، ولما نلت هذه الموافقة استحصلت على موافقة طبع، ولما طبع الكتاب استحصلت على موافقة تداول فالكتاب في موافقة على التأليف، وعلى الطبع، وعلى التداول، فما ذنبي ؟ القصة يرويها صديقه، يكتب كتب أكثر من ثمانين صفحة للدفاع عن نفسه، ما في ذنب إطلاقاً، هذا زميله في السجن يراقبه.

مرة استيقظ بحالة من السرور لا توصف، بحالة من البشر، من التفاؤل وجه متألق، عينان زئبقيتان، أمسك هذه المذكرة ومزقها، لمَ مزقتها ؟ ظللت تكتبها شهراً قال له: لا حاجة لي بها، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي: أنت غداً ضيفنا، ثاني يوم شُنق، لكن هو الشبكية شُنق، أما في الحقيقة انتقل إلى رحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

فالموت بين أن يكون مرعبا، وبين أن يكون الموت أكبر مصيبة، انتقال من كل شيء إلى لا شيء، بين أن يكون الموت انتقال من لا شيء إلى كل شيء.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠(﴾

)سورة آل عمران(

هكذا المؤمن مع الموت:

أيها الإخوة، الصيام من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى فرحة الموت، من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى عرس، من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى تحفة، سأوضح لكم ذلك:

لو أن إنسانا عرضنا عليه عرضا، هو ذكي جداً، لكنه فقير، لا يملك نقيرا، قلنا له: ائتِ بدكتوراه لتكون وزير صحة دائما، بمقاييس بلدنا، وزير، سيارة ٦٠٠، بيت بالمالكي، فيلّا، شاليه على البحر، دخل فلكي، أناقة، مثلاً، للتقريب فقط، هذا فقير، لا نعرف، ائتِ بالدكتوراه، وتسلم هذا المنصب، وتمتع بكل الدخل الكبير، والبيت الواسع، والمكانة، والشأن، راح لفرنسا، اضطر أن يعمل بالمطعم في غسيل الصحون بالليل حارس، وبالنهار يداوم، ويقرأ أربع ساعات كل يوم، أمضى ثماني سنوات صبرا، ودواما، ودراسة، وتعلم لغة، وغسيل صحون، وحراسة، إلى أن نال الدكتوراه في ثماني سنوات قدر ثمانين سنة، تعب، هم، قلق، فحص في الغلة الفرنسية، أساتذة أشداء، مناهج صعبة، كتب كبيرة، والمطعم إدارته حازمة جداً، ويجب أن يكون يقظا، بعدما أنهى الدراسة، ونال الشهادة، وصدق الشهادة، وقطع بطاقة العودة، وجمع أمتعته، وركب المركبة، وتوجه إلى المطار، ودخل إلى بهو المطار، وأبرز جوازه، وأبرز البطاقة أعطوه بطاقة صعود إلى الطائرة، حينما يضع رجله على سلم الطائرة أليست هذه اللحظة أسعد لحظات حياته ؟ هذا يوم فاصل، انتهى الشقاء، وبدأ النعيم، انتهى التعب، وبدأت الوجاهة.

هكذا المؤمن عند الموت، " غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه."

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

تقون هذه الحفرة، القبر، ظلمة القبر، ثعبان القبر، ضمة القبر، ماذا قال الله عزوجل:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

)سورة غافر(

الفراعنة من ٦٠٠٠ سنة كل يوم يعرضون على النار صبحاً ومساء إلى قيام الساعة، وبين أن يكون القبر روضة من رياض الجنة، هذا الصيام فرصة لتحول أكبر مصيبة إلى أسعد لحظة، اتقوا القبر، وعذاب القبر، اتقوا عذاب النار، اتقوا عذاب الواحد الديان، اتقوا العقاب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

إذاً هو دورة مكثفة لطاعة الله، والصلح معه، والائتمار بأمره، والانتهاء عما عنه نهى وجزر، والإقبال عليه، وأن تذوق طعم القرب.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لـما وليت عنا لغيرنا
ولـو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عند ثياب العجب وجئتنا
ولـو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنا
فـما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا لـه قد جهلتنا

***

أيها الإخوة الكرام، المؤمن في رمضان في أعلى حالات القرب، ولكن يستطيع أن يتلافى ما فاته في رمضان بعد رمضان.

والحمد لله رب العالمين

الصيام والتقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عباده الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

مع آية الصيام:

أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس رمضان، ومع آية الصيام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

)سورة البقرة(

1– الشرع يخاطب الناس بأصول الدين:

أولاً: من عادة الله عز وجل أنه إذا خاطب الناس يخاطبهم بأصول الدين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

)سورة البقرة الآية: ٢١(

– 2الشرع يخاطب المؤمنين بفروع الدين:

لكن إذا خاطب المؤمنين يخاطبهم بفروع الدين، السبب أن هذا المؤمن مؤمن أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض، وأنه رب العالمين، وأنه لا إله إلا الله، وأنه الغني، وأنه القوي، وأنه العليم، وأنه المقتدر، وأنه الحكيم، وأنه العدل، وأنه المعطي وأنه المانع، بعد أن آمن بالله رباً، وخالقاً، ومسيراً، بعد أن آمن بأن أسماءه حسنى وصفاته فضلى، بقي عليه أن يتوجه عليه، وأن يعبد، فتأتي الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

– 3تطبيق عملي لخطاب الله المؤمنين ب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

لكن كتطبيق عملي: هل كلما قرأت في القرآن آية مفتتحة ب:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

تعني أو تفهم أنك معني بهذه الآية ؟.

حينما يقول أب: يا فلان، وفلان واقف أمامه، ألا ينبغي أن يستجيب له ؟ ألا يتعقد أنه معني بهذا الخطاب ؟.

حينما تقرأ القرآن، وتقرأ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ولا تشعر أنك معني بهذا الخطاب، فهناك مشكلة كبيرة في إيمانك، أنت معني بهذا الخطاب، لأنك آمنت بالله، طبعاً أنا لا أخاطب طلاب الجامعة وهم في الجامعة، أقول لهم: انتسبوا للجامعة، هذا كلام لا معنى له إطلاقاً، ولكن أخاطب الشباب عامة الذين لم يلتحقوا بالجامعات فأقول لهم: انتسبوا للجامعات، أما طالب الجامعة فأخاطبه بالدوام، تنظيم وقته، بزيارة المكتبة،

بإنجاز أعماله يومياً، بمراجعة أستاذه، هناك آلاف الأوامر التفصيلية، أنا أخاطب الطلاب في الجامعة، بتفاصيل النظام والدراسة، والمطالعة، والبحث العلمي، أما أخاطب الطلاب الذين لم يلتحقوا بالجامعات أقول لهم: يا أيها الطلاب التحقوا بالجامعات.

4 – الاستجابة لنداء الله بالصيام:

فإذا خاطب الله عامة الناس يخاطبهم بأصول الدين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾

هذا مؤمن، أقول له:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ ﴾

ينبغي أن تصوم، لأنك آمنت بي، آمنت بعلمي، وحكمتي، وقدرتي، ورحمتي، وعدلي، وأنني ربك، وأنني إلهك، وأنني خالقك، لذلك الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الوقفة عند:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وقفة مع قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

1 – العبادات معلَّلة بمصالح الخلق:

بينت لكم في درس سابق أن العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق، فالله عز وجل إله من حقه أن يأمر بلا تعليل، كما هي الحال في الجيش، نفذ فقط، افعل، ما مِن أمر عسكري معه تعليل، القوي من شأنه ألا يعلل، أما الرحيم فمن شأنه أن يعلل، فقد بيّن لك حكمة الصيام بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

2 – ماذا نتقي ؟

الوقفة عند:

﴿ تَتَّقُونَ ﴾

نتقي ماذا ؟ ما الذي يتقى ؟ هل يتقى الطعام الطيب ؟ لا هل يتقى بيت جميل مريح ؟ لا، هل تتقى زوجة مخلصة ؟ لا، ما الذي يتقى ؟ يتقى وحش يتقى مرض، يتقى إفلاس، يتقى سجن، كلمة التقوى تعني أن هناك خطراً ينبغي أن تتقيه، فما هو الخطر ؟ هنا يدخل في أعماق الصيام، ما الخطر الذي يتربص بنا ؟ وجاء الصيام من أجل أن تتقيه ؟

3 – مصيرك أيها الإنسان إلى حفرة فلا تغترّ، واعتبر!!!

الحقيقة أن الإنسان كائن متحرك، كل واحد منا له عمر، ولد من أبوان، ترعرع، وكبر، دخل الحضانة، والابتدائي، والإعدادي، والثانوي، نال الشهادة الثانوية، إما أنه دخل جامعة، أو التحق بوظيفة، الآن عمره أربعون سنة، الأمور ماشية، كل واحد له عمر عند الله، ٤٠ . ٤٥ . ٥٠ . ٥٥ . ٦٠ . ٦٧ . ٧٢ . ٨١ . يأتي الأجل، إلى أين ؟ كان ساكنا في بيت، له زوجة، له أولاد، له مركبة، له محل تجاري، ومكتب هندسي، طبيب، أستاذ جامعي، تاجر، صانع، موظف، فلاح، له عمل، له بيت، فجأة يؤخذ يلف بالقماش، قد تكون مساحة بيته ٤٠٠ م، قد يكون ثمن بيته ٨٠ مليونا، قد يكون عنده مكاتب وشركات وفروع للشركات، وحجم مالي كبير، وأموال منقولة، وغير منقولة، مثلاً، من هذه المكانة الكبيرة، الثروة الطائلة، الهيمنة إلى حفرة لا تزيد على ٦٠ سم، بطول متر و٩٠، ملفوف بالقماش الأبيض، وأرخص أنواع الأقمشة، خام أسمر، ويوضع الحجر فوقه، ويهال عليه التراب، وانطوى، كان إنسانا واختفى، كان إنسانا فصار حديثا، والله فلان مات رحمة الله عليه . صار خبرا، كنت إنسانا لك شأنك، لك مكانتك، لك هيمنتك، عندك أولاد، أمرك نافذ فيهم، مدير، وزير، صاحب معمل، صاحب متجر، عندك أتباع، عندك مريدون، شيخ

لك أتباع، فجأة تصبح خبرا على الجدران، المرحوم، عميد أسرتهم، الطبيب، المحامي العام سابقاً، الوزير السابق، انتهى، ماذا بعد الموت ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

4 – الموت نقلة مفاجئة من كل شيء إلى لا شيء:

لعلكم:

﴿ تَتَّقُونَ ﴾

هذا المصير، لأن الموت في القرآن مصيبة، بل هو أكبر مصيبة، لأنك بالموت تفقد كل شيء في ثانية واحدة، الآن هناك أغنياء عندهم أموال تقدر بمئات الملايين، بل بألوف الملايين، القلب وقف، انتهى، الألف مليون أصبحت إلى غيره، أنت هيمنتك، وحجمك المال، وسيطرتك، ومكانتك، ووظيفتك منوطة بدقات قلبك، يقول لك: سكتة قلبية مفاجئة، يأتي الطبيب فيأخذ مرآة، يضعها على أنفه، ما جاءها بخار ماء، يأتي بمصباح، يفتح عين هذا الإنسان، ويشعل المصباح، في بؤرة عينه، لم تصغر الحدقة، ما تحركت، يمسك يده، يضعها على نبضه، ليس هناك نبض، يقول لهم: عظم الله أجركم، انتهى، ملف وانطوى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

هذه النقلة المفاجئة من الحياة إلى القبر، أول ليلة يوضع الإنسان في قبره ينادى: أن عبدي، رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

قد يكون ملكا، ملك بلد فيه أكبر احتياطي نفط في العالم، يحفر له في الرمل، يضعونه، ويضعون حجرا، وانتهى، أين القصر الذي له ؟ أين قصوره ؟ أين سياراته ؟ أين طائرته الخاصة ؟

أين القصر الذي تحت البحر، وفوق البحر، وبالساحل، وبأسبانيا قصر، أين هذا ؟.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

هذه النقلة المفاجئة من كل شيء إلى لا شيء.

أيها الإخوة، هذا الموت مصير كل حي، الخفير، والوزير، والملك والمليونير، والمديونير، أعني المديون، هذا مصير جميع البشر.

– 5لكن ماذا بعد الموت؟!!

ماذا بعد الموت ؟ إما جنة يدوم نعيمها، أو نار لا ينفذ عذابها.

الصيام: من أجل أن يكون الموت عرساً لك، من أجل أن يكون الموت تحفة لك، من أجل أن تكون عند الموت أسعد إنسان في الأرض، لو قرأتم تاريخ الصحابة لعلمتم أنهم كانوا في أسعد لحظات حياتهم عند مجيء أجلهم.

" وا كربتاه، يا أبتِ، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه ."

اقرؤوا تاريخ الصحابة، تجدون أن أسعد لحظات حياتهم حين لقاء ربهم، لأنهم اتقوا وهم أحياء أن يعصوه، فكان الموت عرساً لهم، فكان الموت تحفة لهم.

– 6لا بد من التفكر في الموت ؟!!

إخواننا الكرام، ليس من باب التشاؤم، ولا من باب السوداوية أن تفكر في الموت، يا ترى أين أموت في بيتي ؟ وأنا في الطريق ؟ في عملي ؟ وأنا مسافر ؟ أموت ليلاً أموت صباحاً ؟ أموت بين أهلي ؟ أموت وحدي، أين أُغسل ؟ في المطبخ ؟ في الحمام ؟ في الصالون ؟ أين أدفن ؟ ماذا بعد الموت ؟ ما مصير هذا البيت بعد موتي، ما مصير هذه الشركة بعد موتي ؟ يقول عليه الصلاة

والسلام:

))أكثروا ذكر هادم اللذات((

]رواه الديلمي عن أنس[

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

))عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به((

]أخرجه الشيرازي والبيهقي، عن سهل بن سعد البيهقي عن جابر[

إخواننا الكرام، هذا الذي يضع هذا المصير، نصب عينيه لا ينام الليل، لا يرتكب معصية، هذا الصيام من أجل أن تتذكر هذا اليوم، ومن أجل أن تتقي هذا الخطر، الذي ينتظر كل إنسان، الخطر يحتاج إلى إعداد، لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣ (﴾

)سورة العصر(

– 7كل إنسان خاسر إلا...

إله، خالق، رب العالمين، يقول لك في القرآن الكريم:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

الله يقسم أنك خاسر، كيف يا رب، أنا خاسر ؟ العلماء قالوا: مضي الزمن يستهلك الإنسان، مضي الزمن فقط، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، مايس، حزيران، تموز، آب، أيلول، الآن

نحن بتشرين، تشرين الثاني، كانون أول ٢٠٠٧، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان مايس، حزيران، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون أول ٢٠٠٨، نمشي بعقد من صفر لتسعة، بعد ذلك ٢٠١٠، ٢٠١١، في لحظة من هذه اللحظات وقت الوفاة، نحن نمر كل يوم نقرأ عشرات النعوات، في الشام كل يوم ١٥٠ متوفى، وثلاثون أو أربعون نعيا، كل يوم نقرأ نعيا، لازم أن نعلم علم اليقين في أحد الأيام سيقرأ الناس نعينا، هذا الكلام قاله سينا عمر، قال:

" واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا."

كل يوم تتجه إلى المسجد، لكن في مرة واحدة تدخل المسجد وأنت في نعش، لا لتصلي ليصلى عليك، هل هذا الكلام صحيح ؟ كل يوم ندخل المسجد لنصلي، لكن في أحد الأيام ندخله في نعش ليصلى علينا، كل يوم تخرج من بيتك قائماً، في مرة ستخرج في هيئة المسطح في النعش، ولا ترجع، بوم يدفن الميت يجلس أهله الساعة الـ١١، لا يقولون: تأخر والله، لم يرجع، انتهى، لا يتأخر، لا يرجع أبداً، نفتح الخزانة كل ثيابه تصدقوا بها، حتى لا يتذكروه، هكذا يفعلون، كل شيء متعلق به يتصدقون به، بعد جمعتين أو ثلاث ينسونه، كان إنسان صار خبرا، قال الله عز وجل:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾

)سورة المؤمنون الآية: ٤٤(

كان إنسانا فصار خبرا، فهذا الصيام من أجل أن تجعل المصيبة الكبرى الموت عرساً لك، وأن تجعل المصيبة الكبرى الموت أحلى أيام الحياة.

" وا كربتاه يا أبتِ، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه."

قصة وعبرة: هكذا تكون الخاتمة الحسنة:

كنت مرة في تركيا، وأعارني أحدهم كتاباً كتاب باللغة العربية، قرأت قصة عالم كبير من علماء تركيا الأجلاء المخلصين العاملين، ألّف كتيبا صغيرا عن حرمة تقليد الأجانب، ولا سيما وضع

قبعة الغرب على الرؤوس، الغرب لهم قبعة معروفة، بعد عشر سنوات كمال أتاتورك منع الزي الإسلامي وألزم الناس بالزي الغربي، فجاء من يهمس في أذنه في كتاب يجعل هذا العمل كفراً، هاتوا المؤلف، وضعه بالسجن، يعني في كل الدساتير بالعالم لا يمكن أن يطيق القانون بمفعول رجعي، هذا العالم الجليل الوقور، المخلص أودع بالسجن، بدأ يكتب المذكرة، أنه أنا الكتاب ألفته لكني نلت موافقة المعارف، ولما نلت هذه الموافقة استحصلت على موافقة طبع، ولما طبع الكتاب استحصلت على موافقة تداول فالكتاب في موافقة على التأليف، وعلى الطبع، وعلى التداول، فما ذنبي ؟ القصة يرويها صديقه، يكتب كتب أكثر من ثمانين صفحة للدفاع عن نفسه، ما في ذنب إطلاقاً، هذا زميله في السجن يراقبه.

مرة استيقظ بحالة من السرور لا توصف، بحالة من البشر، من التفاؤل وجه متألق، عينان زئبقيتان، أمسك هذه المذكرة ومزقها، لمَ مزقتها ؟ ظللت تكتبها شهراً قال له: لا حاجة لي بها، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي: أنت غداً ضيفنا، ثاني يوم شُنق، لكن هو الشبكية شُنق، أما في الحقيقة انتقل إلى رحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

فالموت بين أن يكون مرعبا، وبين أن يكون الموت أكبر مصيبة، انتقال من كل شيء إلى لا شيء، بين أن يكون الموت انتقال من لا شيء إلى كل شيء.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠(﴾

)سورة آل عمران(

هكذا المؤمن مع الموت:

أيها الإخوة، الصيام من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى فرحة الموت، من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى عرس، من أجل أن تقلب مصيبة الموت إلى تحفة، سأوضح لكم ذلك:

لو أن إنسانا عرضنا عليه عرضا، هو ذكي جداً، لكنه فقير، لا يملك نقيرا، قلنا له: ائتِ بدكتوراه

لتكون وزير صحة دائما، بمقاييس بلدنا، وزير، سيارة ٦٠٠، بيت بالمالكي، فيلّا، شاليه على البحر، دخل فلكي، أناقة، مثلاً، للتقريب فقط، هذا فقير، لا نعرف، ائتِ بالدكتوراه، وتسلم هذا المنصب، وتمتع بكل الدخل الكبير، والبيت الواسع، والمكانة، والشأن، راح لفرنسا، اضطر أن يعمل بالمطعم في غسيل الصحون بالليل حارس، وبالنهار يداوم، ويقرأ أربع ساعات كل يوم، أمضى ثماني سنوات صبرا، ودواما، ودراسة، وتعلم لغة، وغسيل صحون، وحراسة، إلى أن نال الدكتوراه في ثماني سنوات قدر ثمانين سنة، تعب، هم، قلق، فحص في الغلة الفرنسية، أساتذة أشداء، مناهج صعبة، كتب كبيرة، والمطعم إدارته حازمة جداً، ويجب أن يكون يقظا، بعدما أنهى الدراسة، ونال الشهادة، وصدق الشهادة، وقطع بطاقة العودة، وجمع أمتعته، وركب المركبة، وتوجه إلى المطار، ودخل إلى بهو المطار، وأبرز جوازه، وأبرز البطاقة أعطوه بطاقة صعود إلى الطائرة، حينما يضع رجله على سلم الطائرة أليست هذه اللحظة أسعد لحظات حياته ؟ هذا يوم فاصل، انتهى الشقاء، وبدأ النعيم، انتهى التعب، وبدأت الوجاهة.

هكذا المؤمن عند الموت، " غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه."

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

تقون هذه الحفرة، القبر، ظلمة القبر، ثعبان القبر، ضمة القبر، ماذا قال الله عزوجل:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

)سورة غافر(

الفراعنة من ٦٠٠٠ سنة كل يوم يعرضون على النار صبحاً ومساء إلى قيام الساعة، وبين أن يكون القبر روضة من رياض الجنة، هذا الصيام فرصة لتحول أكبر مصيبة إلى أسعد لحظة، اتقوا القبر، وعذاب القبر، اتقوا عذاب النار، اتقوا عذاب الواحد الديان، اتقوا العقاب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

إذاً هو دورة مكثفة لطاعة الله، والصلح معه، والائتمار بأمره، والانتهاء عما عنه نهى وجزر، والإقبال عليه، وأن تذوق طعم القرب.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لـما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عند ثياب العجب وجئتنا

ولـو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنا

فـما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا لـه قد جهلتنا

***

أيها الإخوة الكرام، المؤمن في رمضان في أعلى حالات القرب، ولكن يستطيع أن يتلافى ما فاته في رمضان بعد رمضان.

والحمد لله رب العالمين

مراتب الصيام: صيام الفم – صيام الجوارح – صيام القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الصيام:

أيها الأخوة الأكارم ، ترتيب كتاب الفقه بعد الحديث عن الوضوء والغسل والجنابة والحيض وما إلى ذلك تأتي أبحاث الصلاة ، وبعد أبحاث الصلاة يأتي بحث الصيام ، وسوف نقدم الصيام على الصلاة لقرب قدوم شهر رمضان المبارك ، وقبل قراءة ما في الكتاب عن الصيام لابد من التذكير لأن الصيام ثلاث مراتب صيام الفم ، وصيام الجوارح ، وصيام القلب، فانظر أين أنت من هذه المراتب.

صيام عامة الناس صيام عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، فإذا بقيت عاداتهم هي هي وأخلاقهم هي هي ، صلتهم بالله على فتورها وانقطاعها فكأنهم لم يصوموا ، هذا الصيام لا يعتد به في الإسلام إطلاقاً .

))مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ((

]الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

عامة الناس أصبح عندهم الصيام عادة من عوائدهم ، له ترتيب في رمضان يسهر حتى السحور ، يأكل وينام ، يتابع كل ما يستجد في شهر رمضان المبارك ، وإكراماً لشهر رمضان المبارك هناك أشياء تستجد في البرامج يتابعها جميعاً إلى أن يأتي السحور يتسحر وينام ، لا نقول له : لا تصم ، صيامه كعدم صيامه لأنه لم يرقَ إلى الله عز وجل والله غني عن هذه العبادة ، الله عز وجل غني عن عبادة تبدأ بترك الطعام وتنتهي بتناوله ، هذا أمر إلهي ، هذا صيام العامة ، صيام عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، عاداته هي هي ، أخلاقه هي هي ، انقطاعه عن الله هو هو ، بل إن غضبه يزداد في رمضان ، لأنه جائع وصلت معي إلى هنا ، بل إن غضبه يزداد في رمضان ، هذا الصيام لا يريده الله عز وجل ، هذا صيام الجهلاء ، صيام عن الطعام والشراب ، لكن صيام الجوارح صيام المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام:

"خمسة يفطرن الصائم وينقضن الوضوء : الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الغموس"

الفرق بين مدافعة التدني ومتابعة الترقي:

الصوم من أجل أن تسمو نفسك إلى الله عز وجل ، فإذا سمت إلى الله طهرت واصطبغت بصبغته ، وصارت ذات أخلاق رفيعة ، أما صيام القلب فأن يصوم عما سوى الله عز وجل هذا صيام المتقين ، صيام المسلمين ، وصيام المؤمنين ، وصيام المتقين ، صيام المتقين عما سوى الله ، مشغول به عما سواه ، ملتفت إليه عما سواه.

فليتك تحلو والحياة مريـرة وليتك ترضى والأنـام غضاب
وليت الذي بيني و بينك عامر وبيني وبين العالمين خـراب
إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تـراب
***

فرق كبير بين مدافعة التدني ومتابعة الترقي ، هناك إنسان طول حياته يدافع التدني ، نفسه تطلب المنكر ولا يسمح لها دائماً ، هناك صراع لأنه ما عرف الله ، ولا ذاق طعم القرب منه ، ولا ذاق حلاوة الإيمان ، هذه الحالة اسمها مدافعة التدني ، نفسه تأمره بالسوء وهو يخاف من الله تعالى ، وهو في صراع دائم ، هذه النفس الأمارة بالسوء ما علّمها صاحبها ، ما عرفها بدين الله ، ما فقهها بدين الله ، ما أعانها على الاتصال بالله ، أكثر عليها المخالفات فانقطعت وفجرت ، فجرها حجبها ، حجابها أشقاها ، هذه النفس الأمارة بالسوء ، وهناك نفس أمارة هذه نفس المؤمن يتكلم كلمة لا ينام طول الليل ، يقول : غضب مني لأني استغبته ، نقلت قصة من فلان إلى فلان وقع بينهما شر ، النمام لا يدخل الجنة ، لا ينام يقول لك : ما نمت ، يتقلب طول الليل وثاني يوم قدم إلى هذا هدية وإلى هذا هدية ، واستسمح وهو متألم من نفسه ، هذه مرتبة جيدة قال تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ *وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

]سورة القيامة : ١–٢[

الذي عنده هذه النفس اللوامة فهو بخير ، عنده حساسية في نبض ، كنت يوم الجمعة بأحد أسواق دمشق ، رأيت الناس متحلقين نظرت فإذا رجل قالوا : لقد مات وكان طبيب فقال : لقد مات ، يوجد شخص يفعل الذنب ، يستغيب ، يتكلم بالفاحشة ، يوقع بين اثنين ويقول لك : ماذا فعلت ؟ هذا خالص ، ليس معنى هذا أنه خلص من عذاب الله ، أي ميت لا يوجد نبض.

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

]الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

أي يشعرون بذنوبهم ، هذا ماذا يقول لك ؟ هل فعلت شيئاً ؟ خرب الدنيا وقال : هل فعلت شيئاً ؟ ويقول لك : الله غفور رحيم.

العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني:

من يومين قال شخص لآخر : لماذا تعقدها ربنا عز وجل قال:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

]سورة الزمر : ٥٣[

الله عز وجل قال : لا تقنطوا وأنت تيئس ، فعرض له القصة ، فقلت له : تابع الآيات ، الآية التي بعدها مباشرةً قال تعالى:

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ *وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ *أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾

]سورة الزمر : ٥٤-٥٦[

ارجع له بالتوبة واستسلم له بالأوامر ، إذا لم تلحق نفسك عدت إليه تائباً وأطعته طاعةً تامة يأتيك العذاب فجأةً ، أين قول هذا الرجل لا تيأس الناس ؟

آيات قرآنية:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

]سورة النحل : ١١٠[

أنت تعامل إلهاً تظن أن جنة عرضها السموات والأرض تأتي بفرنكين تدفعهم لفقير وركعتين بلا وضوء ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله غالية ، ادخل إلى محل سجاد واطلب منه سجادة تبريزية إيرانية ترصف ، كاشاني ، واسأله عن ثمنها يقول لك : ثمانية وثلاثون ألفاً ، قل له : تأخذ ثمنها خمسمئة ليرة لا أملك غيرهم ؟ يسمعك كلاماً قاسياً هذا البائع ، يطردك ، سجادة تحتاج إلى ثمن وجنة عرضها السموات والأرض تريدها وأن تعطي نفسك ما تشتهي ثم تتمنى على الله الأماني ، هذا هو العاجز ، وهذا هو الغباء بعينه ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

الآن المسلمون في مشارق الأرض ومغاربهم كلما تحركوا يا رب ترزقنا الجنة ، شيء جميل ، يا رب نحن عبيد إحسان وليس عبيد امتحان ، يا رب لا يسعنا إلا عفوك وكرمك ، الله عز وجل قال :

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

]سورة الزخرف : ٧٢[

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

]سورة الحجر : ٩٢[

اللهم لا تسألنا عن شيء ، خالق كل شيء لا تسألنا عن شيء ، هذا الدعاء خلاف القرآن ، هذا دعاء ليس عن رسول الله قاله إنسان لا يعلم القرآن الكريم.

أنواع الصوم:

عندنا صوم الفم صوم العوام ، وعندنا صيام المؤمنين صيام الجوارح ، وصيام المتقين عما سوى الله ، فإذا كان يمضى من وقتك اثنتا عشرة ساعة لا يأتيك من الخواطر إلا عن الله عز وجل فأنت من هؤلاء ، مشغول بالله ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

]سورة الأحزاب : ٤١[

الإنسان إذا ما تكلم بصوت عال يتكلم في نفسه ، اركب إلى حلب ، لا تعرف أحداً وأنت ساكت ، لست ساكتاً تقول في بالك مليون قصة سوف أعمل كذا وكذا ، سوف أشتري بيتاً ، وأتزوج ، تتكلم ولست ساكتاً ، راقب نفسك ماذا تقول طوال الطريق ، ليس في السفر ، في الشام من الشيخ محي الدين إلى المرجة اركب الباص وانظر ماذا تقول ، تتكلم مليون قصة ، في المساء افحص هذه القصص هل كلها متعلقة بالدنيا والله مشكلة.

من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له ، راقب نفسك تأتيك خواطر متعلقة بالآخرة ، هل تخاف ألا تكون في الآخرة من الفالحين ؟ هل أنت قلق على إيمانك ؟ قلق على استقامتك ؟ قلق على صلاتك ؟ هل ترى نفسك لست جيداً ؟ هل تخاف أن يكون فيك طرف من نفاق ؟ إذا سمعت قصة عن رسول الله هل تبكي ؟ إذا قرأت كتاب الله هل تتأثر ؟ هل تتفاعل معه ؟ هل تعرف مقامك عند الله ؟ إذا خواطرك من هذا النوع هنيئاً لك ، هذا صيام القلب عما سوى الله عز وجل.

وعندنا صيام الجوارح ، وعندنا صيام الفم ، عامة الناس صيامهم صيام الفم كالناقة عقلها أهلها فلا تدري لا لم عقلت ؟ ولا لم أطلقت ؟ لماذا صام ؟ لا يدري يقول لك ثبتوها ، كل عام وأنتم بخير ، ثم ثبتوا العيد إلى أين ؟ إلى اللاذقية نأخذ شاليه على البحر ، أخذ معه أجهزة ستريو إلى البحر وعيّد ، المنافق كالناقة لا تدري لا لم عقلت ؟ ولا لم أطلقت؟ هذا صيام الجهلاء صيام

العامة ، نعوذ بالله أن نكون منهم ، إن شاء الله الدرس القادم نبدأ أحكام الصيام حكماً حكماً تمهيداً لشهر رمضان المبارك.

* * *

العقل و شرفه:

والآن إلى فصل مختار من إحياء علوم الدين ، انتهينا من موضوع العلم ، فضل العلم ، وفضل طلب العلم ، وفضل تعليم العلم ، وصفات العلماء المخلصين ، اثنتا عشرة صفة قضينا فيهم ثلاثة أشهر ، كل أسبوع صفة ، والآن إلى باب كبير آخر من أبواب هذا الكتاب القيم وهو في : "العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه. "

قال الإمام الغزالي : العلم يجري منه – أي من العقل – مجرى الثمرة من الشجرة، أي العلم من العقل كمجرى الثمرة من الشجرة ، أي العلم ثمرة والعقل شجرة ، فالعلم من إنتاج الشجرة أي من إنتاج العقل.

والنور من الشمس ، العقل شمس والعلم نور ، والرؤية من العين ، العين عقل والرؤية علم ، فكيف لا يشرف به وهو أصله ، سماه الله نوراً ، سمى العقل نوراً فقال تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

]سورة النور : **٣٥**[

وسماه روحاً ، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

]سورة الشورى : **٥٢**[

انظر ما أجمل هذه الصفات ! نور و روح ، وسماه حياةً ، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

]سورة النور : ٣٥[

وربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

]سورة البقرة : ٢٥٧[

صفة العاقل:

وقال عليه الصلاة والسلام:

))اعلموا أن العاقل من أطاع الله((

]ذيل تاريخ بغداد لابن النجار عن أبي هريرة[

لو التقيت بإنسان يحمل أعلى شهادة في العالم ، ورأيته لا يصلي أو يشرب الخمر أو لا يحتاط من حيث النساء فسمه جاهلاً ، ولو اطلعت على أعلى شهاداته ، لأن النبي عليه الصلاة السلام يقول:

))العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر ، حقير الخطر ، دني المنزلة ، رث الهيئة((

]أبو داود عن أبي هريرة[

أي إذا دخلت إلى موظف من أعلى مستوى يوجد عنده مستخدم ، هذا المستخدم رث الهيئة مثلاً ، ليس قذراً ، ثيابه رخيصة ، وشكله ذميم ، و لا أحد يخاف منه ، لا يستطيع أن يفعل شيئاً

، قليل الخطر ، دميم المنظر ، منخفض المنزلة ، رث الهيئة ، لكنه يطيع الله ورسوله ، فهذا يسمى عند الله عاقلاً ، يقف حاجباً على باب موظف كبير جداً ، أناقة من أعلى مستوى ، غرفة فخمة ، اختصاصه دكتوراه ، متفلسف ، متحذلق ، معه حجة لكنه لا يصلي يعصي الله ورسوله ، ليس عاقلاً ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

))العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر ، حقير الخطر ، دني المنزلة ، رث الهيئة ، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر ، عظيم الخطر ، شريف المنزلة ، حسن الهيئة ، فصيحاً ، نطوقاً((

كل هذه الصفات مع المعصية تساوي الجهل وكل تلك الصفات مع الطاعة علم.

الفرق بين الأحمق و الفاجر:

أثنى الصحابة الكرام على رجل عند النبي عليه الصلاة والسلام ، والنبي كان صاحب فطنة ، أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا ، فقال صلى الله عليه وسلم : كيف عقل الرجل ؟ فقالوا : يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة – عن قيام الليل ، عن صلاته ، عن صيامه – وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟ – ما علاقة هذه بهذه ؟ – فقال عليه الصلاة والسلام:

))إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر((

]إحياء علوم الدين عن أنس[

أي إنسان يصوم ويصلي وله ورد صباحي طويل ، وله قيام ليل لكن جاهل ، عقله ضعيف ، يرتكب أخطاء ، ينفر الناس من الدين أضعافاً مضاعفة عن فاجر يفجر أمام الناس لماذا ؟ لأن الفاجر يراه الناس فاجراً لا يقتدون به ، إذا إنسان فاجر قال لك : لا يوجد آخرة وأنا أريد أن أعيش كما يحلو لي ، وهذا الذكاء ، أعوذ بالله ما هذا الكلام ؟ فاجر ، عاص ويفتخر بالمعصية ، لكن إنسان يصلي ويصوم ارتكب معك نقصاً شديداً ، كذب ، خان عهدك ، غشك في البيع

والشراء ، أنت تنفر ليس منه بل من دينه.

فهذا الجاهل يصيب بجهله كما قال النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من فجور الفاجر:

))وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى عند ربهم بقدر عقولهم((

لذلك النبي الكريم له حديث سبحان الله ، أنا خطر في بالي تعليق على الحديث ، أن إنساناً يوجد عنده بيت على الهيكل ، هذا البيت يطين ، ويدهن ، ويبلط ، وتمدد له كهرباء وماء ، ومرافق عامة ، ثم يفرش ، عنده قوام بيت ، أما إذا كان لا يملك بيتاً على الهيكل ذهب و شارط طياناً على أي شيء تشارطه ؟ وأحضر اسمنتاً ورملاً ناعماً ، أين بيتك الذي تريد أن تبلطه ؟ اشترى البلاط ، اشترى الدهان لا يوجد عنده بيت.

ما معنى قوام الشيء ؟ أي أساسه ، إذا إنسان لا يوجد عنده بيت كيف يقوم بكسوته ؟ رسول الله قال : " قوام الرجل عقله " إذا لا يوجد عنده عقل لا يوجد عنده شيء ، مهما زين نفسه ، واعتنى ببيته ، عقل لا يوجد ، والعقل قوام الرجل ودليل العقل آثاره ، العاقل من أطاع الله ، يخاف من الله فهو عاقل ، لا يسأل يكون جاهلاً ليس له عقل ، لا يوجد قوام هيكل فارغ ، يوجد إنسان رأى براد في السوق المستعملة وليس غالي الثمن بألف ليرة وثمنه أكثر من ثلاثة آلاف اشتراه ، قال له شغله ؟ فوضعه في الكهرباء أنار الضوء ، أخذه على البيت وضع المأخذ بالكهرباء ليس له صوت ، محرك لا يوجد ، قوام هذا البراد المحرك ولا يوجد محرك ، وضع ثمنه على هيكل فارغ .

النبي الكريم قال : قوام الرجل عقله لا يوجد عقل لا يوجد شيء ، يقول عليه الصلاة والسلام:

))ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى((

]بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[

لا يوجد كسب ، الآن الكسب أنواع ، يقول لك : هذا عنده أموال غير منقولة أي عنده أراض ، محاضر ، أبنية ، أراضي زراعية ، مزرعة ، الأموال غير المنقولة كسب هذه معروفة ، أو أموال منقولة عنده من كل أنواع الأموال ، أما النبي الكريم يقول:

))ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله((

أي العقل هو الأساس ، لذلك النبي الكريم قال:

))تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذَّرَّة في جنب أُحُدٍ وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين((

]الترمذي من رواية طاوس[

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

))إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه((

]أحمد عَنْ عَائِشَةَ[

العقل هو حجر الأساس:

سلسلة كل الأحاديث تبين أن حجر الأساس هو العقل ، لما الإنسان يسأل أخاه ماذا استفدت من هذه الدروس ؟ تكلم لنا عن درس الجمعة ؟ يمتحن عقله إذا له عقل مفكر والله هذا إيمانه جيد ، يقول لك : ما هذا الخطيب ؟ شيء يطير العقل ، ماذا سمعت منه ؟ والله خطبة عظيمة ما شاء الله ، صوت عال ، ما تذكرت شيئاً ؟ والله الخطبة ممتازة ، ما تذكرت آية حديثاً ؟ يقول : لا يوجد لهذا الخطيب مثيلاً ، أين عقل هذا الرجل ؟ اذكر آية حديثاً، الإنسان عندما يسمع درس العلم ماذا استفدت منه ؟ هذا الوقت ثمين ، اذهب ونم إذا كنت لا تستطيع أن تعقل ما سمعت ، لأن الوقت ثمين.

....))ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه((

لما رجع المسلمون من غزوة أحد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الناس يقولون:

))فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه و سلم : إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم((

]أخرجه ابن المجبر عن أبي هريرة[

هذا قال : أنا لو قاتلت بشجاعة فسيثني الناس عليّ ، هذا عقله خرب ، خسر حياته ، لو إنسان هدفه إعلاء كلمة الله على قدر عقله يكسب الأجر الكبير.

))عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله : بما يتفاضل الناس في الدنيا قال : بالعقل ، قلت وفي الآخرة ، قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يجزون بأعماله ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله عز وجل من العقل((

]عن عائشة[

عملهم بقدر عقلهم ، إذاً بالدنيا يتفاضل الناس بالعقل ، وفي الآخرة يتفاضلون بالعقل.

العقل كسبي و الإنسان مسؤول عن استعماله:

هل العقل كسبي أم فطري ؟ هنا سؤال دقيق إذا كان فطرياً لا يوجد ذنب له ، هذا أعطاه الله بالمئة ثمانين أخذ بالمئة ثمانين ، وهذا أعطاه بالمئة عشرة ، لا العقل كسبي العقل موجود إما أن تستعمله وإما ألا تستعمله ، أغبى الناس في الآخرة قد يكون أذكاهم في الدنيا ، العقل موجود فهو مسؤولية على عدم استعماله لا على عدم وجوده.

لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال الله عز وجل : " وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وبك أثيب وبك أعاقب"

قيمة الإنسان عند الله برجاحة عقله:

دائماً ملخص الملخص قيمتك عند الله برجاحة تفكيرك ، الأمور واضحة تماماً:

))أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح((

]أخرجه ابن المجبر من حديث ابن عمر[

وقال عليه الصلاة والسلام:

))أتمكم عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً((

]أخرجه ابن المجبر من حديث أبي قتادة[

هذا الفصل على قيمة العقل ، فنحن لا نريد من هذا الفصل قراءة الأحاديث بقدر ما نريد الإفادة منها ، فكل إنسان يمتحن عقله بقدر طاعته لله عز وجل ، كل معصية لها عند الله عقاب ، وكل طاعة لها عند الله ثواب ، فإذا كانت استقامته تامة وعمله صالح فعقله راجح، أما إذا كان باستقامته خلل.

كنت أضرب مثلاً قلته كثيراً ولكن الآن مناسب يعاد مرة ثانية ، باص المهاجرين كان في المرجة يقف في أيام الصيف الحارة ، كان يقف باتجاه الشرق ، وإذا صعد راكب إلى الباص يرى الشمس على اليمين ، و الظل على اليسار ، أنا كنت أصعد وأمتحن عقل هؤلاء الركاب ، يصعد راكب ويجلس في الشمس ، والشمس في تموز ، ويصعد راكب يجلس في الظل ، الذي جلس في الظل عطل فكره ، لم يفكر ، وجد ظلاً فجلس بحكم الفطرة ، والذي جلس في الشمس أعمل عقله ، الذي جلس في الظل قد يتهم في نفسه من كان في الشمس بالغباء ، هذا الباص بعد دقيقتين سوف يلف ساحة المرجة ، وسوف يصبح الذي جلس في الشمس في الظل إلى نهاية الخط ، والذي جلس في الظل سيبقى في الشمس إلى آخر الخط.

تعريف العقل أن تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه ، فلان ذكي ما معنى ذكي ؟ أي أنه تصور المستقبل ، الطالب الذكي تصور الامتحان وهو في أيلول تصور الامتحان ورهبة الامتحان ودرس حتى هيأ نفسه ماذا يفعل.

صيادان مرّا أمام غدير فيه ثلاث سمكات قال : كيسة وأكيس منها وعاجزة ، تواعدا أن يرجعا ليصيدا ما فيه من سمك ، فسمع السمك قولهما – وهذه قصة رمزية – أما أكيسهما فإنها ارتابت وتخوفت وقالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ، هل يوجد أحد من الحاضرين وأنا معكم لن يموت ؟ كلا ، إذاً العقل يحتاط إلى الأمور قبل الموت ، والأحمق من يأتيه الموت فجأة ، قال تعالى:

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾

]سورة القيامة : ٣١-٣٣[

هذه السمكة الكيسة جداً قالت : العاقل يحتاط إلى الأمور قبل وقوعها ، فلم تعمل شيئاً حتى خرجت من الغدير فنجت وارتاحت ، وأما الكيسة ولكن الأقل ذكاء فبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا المكان قد سد ، فقالت : فرطت وهذه عاقبة التفريط ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء فأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت ، لكن حرقت أعصابها وخاطرت ، غامرت احتمال نجاحها خمسون بالمئة ، لو وضعها في مكان بعيد ماتت ، وأما العاجزة الغبية فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت.

ملخص الدرس كله قول النبي عليه الصلاة والسلام : "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. "

عرف النبي الكريم الذكي بأنه إنسان ضبط نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والغبي من أتبع نفسه هواها ، أنا مع الناس ، والناس كلها هكذا ، هل أنا أفضل منهم ؟ هل معقول كل الناس إلى جهنم ؟ هذا كلام فارغ ، الله عز وجل أوامره محددة وليس لك علاقة بسلوك أحد ، عليكم أنفسكم والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

* * *

ثابت بن قيس:

ثابت بن قيس رضي الله عنه سيد من سادات الخزرج المرموقين ، ووجه من وجوه يثرب المعدودين ، وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد ، حاضر البديهة ، تطبيق لدرسنا ذكي الفؤاد ، حاضر البديهة ، رائع البيان ، جدير الصوت إذا نطق بزّ القائلين ، وإذا خطب أسر السامعين ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام ، إذ ما كاد يستمع إلى آيات الذكر الحكيم يرتلها الداعية المكي الشاب مصعب بن عمير بصوته الشجي وجرسه الندي حتى أسر القرآن سمعه بحلاوة وقعه ، وملك قلبه برائع بيانه ، وخلب لبه بما حصل به من تشريع ، فشرح الله صدره للإيمان ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره بالانزواء تحت لواء نبي الإسلام.

ولما قدم النبي صلوات الله عليه إلى المدينة مهاجراً استقبله ثابت بن قيس في كوكبة كبيرة من فرسان قومه أكرم استقبال ، أي إذا الإنسان أكرم النبي الكريم فهذا إكرام لله عز وجل ، إذا لك أخ مؤمن أكرمته فكأنما تكرم الله عز وجل ، هكذا الحديث الشريف :

))من أكرم أخاه المؤمن فإنما أكرم الله((

]الأصبهاني في ترغيبه عن جابر[

ورحب به وبصاحبه الصديق أجمل ترحيب ، وخطب بين يديه خطبة بليغة افتتحها بحمد الله عز وجل ، والثناء عليه ، والصلاة والسلام على نبيه ، وختمها بقوله أنا نعاهدك يا رسول الله على أن نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا ونساؤنا فما لنا لقاء ذلك؟ فقال عليه الصلاة والسلام : الجنة ، ما كادت كلمة الجنة تصافح آذان القوم حتى أشرقت وجوههم بالفرحة ، وزهت قسماتهم بالبهجة ، وقالوا : رضينا يا رسول الله ، رضينا يا رسول الله ، ومنذ ذلك اليوم جعل النبي صلوات الله عليه ثابت بن قيس خطيبه كما كان حسان بن ثابت شاعره ، فصار إذا جاءه وفود العرب لتفاخره أو تناظره بألسنة الفصحاء المقاول من خطبائها وشعرائها ندب إليهم ثابت بن قيس لمصاولة الخطباء وحسان بن ثابت لمفاخرة الشعراء.

بشارة النبي العظمى لثابت بن قيس:

كان خطيب النبي الخاص ، ولقد كان ثابت بن قيس مؤمناً عميق الإيمان ، تقي صادق التقوى ، شديد الخشية من ربه ، عظيم الحذر من كل ما يغضب الله عز وجل ، فلقد رآه النبي عليه

الصلاة والسلام ذات يوم هرعاً ، جزعاً ترتعد فرائسه خوفاً وخشيةً فقال له : ما بك يا أبا محمد فقال : يا رسول الله أخشى أن أكون قد هلكت ، قال : ولم ؟ – ترى عامة الناس تفعل الموبقات وتقول لك : نمنا نوماً عميقاً مريحاً ، هؤلاء ميتون– أما سيدنا ثابت فقال أخشى أن أكون قد هلكت ، فقال سيدنا ثابت : لقد نهانا ربنا عز وجل عن أن نحب أن نحمد بما لا نفعل وأجدني أحب الحمد ، ونهانا عن الخيلاء وأجدني أحب الزهوة –كان أنيقاً جداً – فما زال النبي عليه الصلاة والسلام يهدئ من روعه حتى قال : يا ثابت ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ فأشرق وجه ثابت بهذه البشرى وقال : بلى يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن لك ذلك.

مرة النبي الكريم بشر صحابي بالجنة اسمه عكاشة ، هناك صحابي ثان قال له : وأنا ؟ فإذا قال له : أنت لست من أهل الجنة حطمه صلى الله عليه وسلم ، وإذا قال له : أنت منها كذب عليه ، حل هذه ، فقال له : وأنا ؟ فقال له صلى الله عليه سبقك بها عكاشة ، أي جواب بمنتهى اللطف أما سيدنا ثابت فبشره بالجنة.

وعندما نزل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

]سورة الحجرات : ٢[

تجنب ثابت بن قيس مجالس النبي عليه الصلاة والسلام على الرغم من شدة حبه له ، وكثرة تعلقه به ، ولزم بيته حتى لا يكاد يبرحه إلا لأداء المكتوبة ، النبي الكريم وفي لأصحابه ويعرف من غاب.

افتقده النبي عليه الصلاة والسلام وقال من يأتيني بخبره ؟كان محباً وكم هم يحبونه والله الذي لا إله إلا هو كان يحبهم أضعاف ما يحبونه ، فقال أحدهم : أنا يا رسول الله فذهب إليه فوجده في منزله محزوناً منكساً ، فقال : ما شأنك يا أبا محمد ؟ قال : شر ، قال وما ذاك ؟ ماذا فعلت ؟ قال : أنك تعرف أني رجل جهير الصوت – صوتي عال – وإن صوتي كثيراً ما يعلو على صوت

النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزل في القرآن ما تعلم : " لا ترفعوا أصواتكم " ولا أحسب إلا حبط عملي وأنني من أهل النار ، كم كانوا يخافون على أنفسهم من مخالفة القرآن الكريم !! الآن يخرب بيته ويقول ماذا فعلنا ؟ فرجع الرجل إلى النبي الكريم وأخبره بما رأى وما سمع فقال له : اذهب إليه وقل له : لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة ، فكانت هذه بشارة عظمى لثابت ، ظل يرجو خيرها طوال حياته.

هل يوجد عندنا هذا القلق ؟ هذا ميزان هؤلاء أصحاب الجنة ، هؤلاء ملوك الدار الآخرة ، هل يوجد عندنا هذا القلق ؟ من منا يخاف على نفسه ، الذي يخاف له البشرى والذي لا يخاف أعانه الله.

قصة استشهاد ثابت بن قيس:

وقد شهد ثابت بن قيس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها سوى بدر وأقحم نفسه في غمار المعارك طلباً للشهادة التي بشره بها النبي ، فكان يخطئها في كل مرة إلا أن وقعت حروب الردة بين المسلمين ومسيلمة الكذاب على عهد سيدنا الصديق ، وقد كان ثابت بن قيس إذ ذاك أميراً لجند الأنصار وصار مولى أبي حذيفة أميراً لجند المهاجرين ، وخالد بن الوليد قائداً للجيش كله أنصاره ومهاجريه وما فيهم من أبناء البوادي ، وقد كانت الريح والدولة في جل المعارك لمسيلمة ، أول أمر طغى مسيلمة حتى بلغ بهم الأمر أن اقتحموا فسطاط خالد – خيمته – وقطعوا حبال الخيمة ومزقوها ، فرأى ثابت بن قيس يوم ذاك من تضعضع المسلمين ما شحن قلبه أسىً وكمداً وسمع ما ملأ صدره هماً وغماً عند ذلك تحنط وتكفن ووقف على رؤوس الأشهاد وقال : " يا معشر المسلمين ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ، بئسما عودتم أعداءكم من الجرأة عليكم ، وبئسما عودتم أنفسكم من الانخذال لهم، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك – أي مسيلمة – وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء – أي المسلمون – " ثم هب هبة الأسد الضاري كتفاً لكتف مع الغر الميامين ، البراء بن مالك الأنصاري وزيد بن الخطاب و هو أخ أمير المؤمنين وغيرهم وأبلى بلاءً عظيماً ملأ قلوب المسلمين حميةً وعزماً ، وشحن أفئدة المشركين وهناً ورعباً ، وما زال يجالد في كل اتجاه ويضارب بكل سلاح حتى أثخنته الجراح فخر صريعاً على أرض المعركة قرير العين بما كتب الله

له من الشهادة التي بشره بها النبي عليه الصلاة والسلام ، القصة ما انتهت مع أنه استشهد رضي الله عنه.

وصية ثابت بن قيس:

وهذه أغرب قصة وكانت على ثابت درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين من عام المسلمين فنزعها عنه وأخذها لنفسه ، وفي الليلة التالية لاستشهاده رآه رجل في منامه فقال للرجل : أنا ثابت بن قيس في المنام فهل عرفتني ؟ قال : نعم ، قال : إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم إني لما قتلت أمس مر بي رجل صفته كذا وكذا فأخذ درعي ومضى بها نحو خبائه في أقصى المعسكر من الجهة الفلانية ، ووضعها تحت قدر له ، ووضع فوق القدر رحلاً فائت خالد بن الوليد وقل له أن يبعث إلى الرجل من يأخذ الدرع منه فهي ما تزال في مكانها ، وأوصيك بأخرى فإياك أن تقول هذا حلم قل لخالد : إذا قدمت على خليفة رسول الله في المدينة فقل له : إن على ثابت بن قيس من الدين كذا وكذا ، وإن فلاناً وفلاناً من رقيقه عتيقان لوجه الله تعالى فليقض ديني وليحرر غلامي ، استيقظ الرجل فأتى سيدنا خالد بن الوليد فأخبره بما سمع ورأى ، فبعث خالد من يحضر الدرع من عند آخذها فوجدها بمكانها وجاء بها كما هي ، ولما عاد خالد إلى المدينة حدث أبا بكر رضي الله عنه بخبر ثابت بن قيس ووصيته ، فأجاز الصديق بوصيته وما عرف أحد قبله ولا بعده أجيزت وصيته بعد موته ، طبعاً كل إنسان وصى تنفذ بعد موته هذه وصاها بعد موته ، أملاها بعد موته ونفذت ، النبي الكريم يقول : " لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة " أحوال الكشوف الآن مفقودة لأن الدنيا غلبت على الناس ، هموم الدنيا وزينتها غلبت على القلوب ، أما لو أن الدنيا بعدت لسمعت العجب العجاب.

رجل يمشي مع عالم صادق الناس تكلموا له عليه ، أن هذا يتهيأ أشياء غير صحيحة ، تشوش واضطرب وطالب العلم صادق فنام وقال : يا رب إن كان هذا على حق فأعلمني بذلك ولكن أنا توقعت أنه صادق جداً ، نام في الليل رأى النبي عليه الصلاة والسلام قال له : " والذي نفس محمد بيده هذا أحيا سنتي بعد موتي."

إذا أنت عندك صدق كاف والله ترى النبي الكريم وتسمع منه ، إذا عندك سؤال دقيق جداً وتريد جواباً شافياً ترى النبي عليه الصلاة والسلام يقول لك كذا وكذا وهذا سيدنا ثابت ، الإنسان

عندما الله عز وجل يفتح له قلبه يرى رؤيا صحيحة تأتي كفلق الصبح يستبشر أما حب الدنيا فرأس كل خطيئة ، حبك الشيء يعمي ويصيب ، رضي الله عن ثابت بن قيس وأرضاه وجعل في أعلى عليين مثواه.

القصة بشكل موجز سيدنا ثابت كان ورعاً ، وكان حريصاً على رضاء الله عز وجل ورضاء نبيه ، لأنه كان قلقاً هو الآن آمن والآمن اليوم قلق يوم القيامة.

* * *

معرفة الله عز وجل أساس الدين:

حديث شريف قال عليه الصلاة والسلام:

))أفضل الأعمال العلم بالله((

]كنز العمال عن أنس[

سماه النبي عليه الصلاة والسلام عملاً ، أين ذاهب ؟ أحضر مجلس علم حتى أتعرف إلى الله عز وجل ، أفضل الأعمال العلم بالله السبب ؟ قال عليه الصلاة والسلام : " إن العلم بالله ينفعك معه قليل العمل وكثيره وإن الجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره"

أقل عمل مع العلم بالله ينفعك ، وأكبر عمل مع الجهل بالله لا ينفعك ، فالأساس العلم بالله ، إن العلم بالله ينفعك معه كثير العمل وقليله ، والجهل بالله لا ينفعك معه لا كثير العمل ولا قليله ، لأنه مبني على جهل ، ولو إنسان عمّر جامعاً ولا يعرف الله عز وجل وله معاص فالطريق إلى الله مسدود ، أما إذا عرف الله عز وجل ودفع ليرة سورية واحدة هذه ترفعه إلى أعلى عليين ، فالموضوع مبني على معرفة الله ، ومعرفة الله عز وجل أساس الدين.

والحمد لله رب العالمين

الصوم : تعريفه ـ شروطه ـ أركانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تعريف الصوم :

أيها الأخوة الأكارم ، مهدنا في الدرس الماضي لموضوع الصوم ، و اليوم نتحدث عن بعض أحكامه .

أولاً : تعريف الصوم هو الإمساك نهاراً عن إدخال شيء عمداً أو خطأ ، بطناً أو ما له حكم البطن ، و عن شهوة الفرج بنية من أهله ، هذا تعريف من نوع جامع مانع ، الإمساك أي ترك الطعام و الشراب ، نهاراً : لأن الطعام و الشراب في الليل مباح ، عن إدخال شيء عمداً أو خطأً : من تمضمض و بالغ في المضمضة و دخل شيء من الماء إلى جوفه فقد أفطر و عليه أن يبقي نفسه صائماً ، و أن يعيد صيام هذا اليوم عمداً أو خطأً ، بطناً ، و الإمساك عن شهوة الفرج بنية : لولا النية – النية تفرق العبادة عن العادة – لولا النية لاختلط الأمر بين العبادات و العادات ، من أهله : المرأة النفساء ليست أهلاً للصيام و كذلك الحائض ، و سبب وجوبه شهود جزء منه ، لو الإنسان أسلم بخمسة عشر من رمضان عليه أن يصوم الأسبوعين المتبقيين و سبب وجوبه شهود جزء منه ، و كل يوم منه سبب لوجوب أدائه ، كل يوم من أيام هذا الشهر الكريم سبب لأدائه ، و هو فرض أي الصيام أداءً و قضاءً ، أي إذا كانت المرأة تقضي بعض أيام رمضان في أشهر السنة لا يستطيع زوجها أن يأمرها بالإفطار هذا فرض ، ولا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق ، يقول لها : هذا ليس رمضان هي تقضي ما فاتها من رمضان ، و هو فرض أداءً و قضاءً على من اجتمع فيه أربعة أشياء :

أولها الإسلام ، و ثانيها العقل ، و ثالثها البلوغ ، و رابعها العلم بالوجوب لمن أسلم بدار الحرب ، كيف؟ أي في أثناء المعارك أو في أثناء الحرب دخل أحد الكفار في الإسلام ، و قد شهد أنه لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله لكنه ، و هو في زحمة المعركة لم يبلغ أنه لا بد من صيام رمضان ، فالعلم بوجوب الصيام أحد الشروط التي يجب أن تتوافر في الصائم ، الإسلام و العقل و البلوغ و العلم بالوجوب لمن أسلم بدار الحرب ، أما من كان في ديار الإسلام فلا يقبل منه الجهل ، ليس من المعقول إنسان في بلد إسلامي و يأتي رمضان و يقول لك : لا أعلم أن هناك صياماً هذا مرفوض ، لكنه إذا أسلم بدار الحرب كان العلم بالوجوب أحد الشروط اللازمة للصيام ، أما المقيم في دار الإسلام فهذا لا يعتد به .

شروط الصيام :

و يشترط لوجوب أدائه الصحة من مرض و حيض و نفاس ، و الإقامة أي أن يكون مقيماً و ليس مسافراً ، فالمسافر قال تعالى :

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

[سورة البقرة : ٢٧]

و يشترط لصحة أدائه ثلاثة : النية لابد من النية –كما قلنا قبل قليل – النية تميز العبادة عن العادة ، و الخلو عما ينافيه من حيض و نفاس و عما يفسده ، و لا يشترط الخلو عن الجنابة أي من أصبح صائماً و كان في الليلة جنباً فصيامه صحيح يغتسل و يتابعه ، و ركنه : الكف عن قضاء شهوتي البطن و الفرج و ما ألحق بهما ، و حكمه : سقوط الواجب عن الذمة و الصواب في الآخرة و الله أعلم ، الصيام فرض إذاً لابد من أدائه ، حكمه أنك إذا صمت سقط عنك هذا الفرض و لك في الآخرة ثواب ، و هناك أهداف أخرى بيّنها القرآن الكريم و الله أعلم .

يتضح لكم أن هذه المعلومات أساسية و واضحة لكن إذا أردنا أن نقف عند بعضها الذي نحن بحاجة إليه ، أولاً : من أفطر مخطئاً عليه أن يعيد اليوم ، بالغ في المضمضة و الوضوء إلا أن تكون صائماً ، فإن كنت صائماً و بالغت في المضمضة و دخل شيء من الماء في جوفك عليك أن تعيد صيام هذا اليوم ، و أن تمسك بقية النهار هذا حكم ، هذا معنى خطأً ، طبعاً عمداً معروف ، إفطار قطعي ، النية أساسية في الصيام ، الأهلية أساسية في الصيام ، خلو الإنسان من مرض أو حيض أو نفاس أو سفر ، أي أدرك المؤمن من هذا الشهر يوماً عليه أن يصوم بقية الشهر ، كل يوم سبب لأدائه ، لا جهل في دار الإسلام إن كنت مقيماً بين المسلمين لا يعتد بالجهل ، لكنك إن كنت مقيماً في دار حرب و حديث عهد بالإسلام علمك بوجوب صيام هذا الشهر شرط أساسي من شروطه .

الجنابة لا تفسد الصيام ، و الدرس القادم إن شاء الله نتابع فيه أنواع الصيام الستة؛ فرض و واجب و مسنون و مندوب و نفل و مكروه .

أما النية فهي من عمل القلب لكن بعض الفقهاء شدد في اللفظ و بعضهم قال : نية القلب تكفي .

* * *

الطهارة :

من الفصول المختارة من إحياء علوم الدين كتاب الطهارة و قال المؤلف رحمه الله و رضي عنه : اعلم أن الطهارة لها أربع مراتب ، الأولى : تطهير الظاهر من الأحداث و الأنجاس و الفضلات ، الأحداث هناك حدث أصغر و حدث أكبر ، و الأنجاس العينية ، و الفضلات كحلق شعر الإبط و ما شاكل ذلك ، و قص الأظافر ، فجمعت في هذه الكلمات الثلاث تطهير الظاهر من الأحداث و الأنجاس و الفضلات ، و الثانية : تطهير الجوارح من الذنوب و الآثام ، و الثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة و الرذائل الممقوتة ، و الرابعة : تطهير السر عما سوى الله عز وجل – أربعة مراتب – و هذه هي الغاية القصوى ، قال : فمن قويت بصيرته سمت إلى هذا المطلب – الرتبة – سريرته ، و من عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة إلا المرتبة الأولى ،

هذه ظاهرة تجد مسلمين كثيرين لا يعنون إلا بطهارة الظاهر بل إنهم يصابون بأمراض نفسية اسمها الوساوس المتسلطة ، كم من قضية رفعت إليّ من أن إنساناً أصيب بأمراض من هذا النوع أصبحت حياته جحيماً لا تطاق ، يتوضأ و يعيد الوضوء و يدخل دورة المياه و يخرج و يشك في نوع طهارته فيدخل ثانية و يخرج ، يتحرى مصلاه إن داس عليه طفل صغير يعيد الصلاة ، هذه أمراض نفسية أي مثل هذا الإنسان يعالج في مصحات ، فالإنسان عندما ينسى مراتب الطهارة و يكتفي بالمرتبة الأولى و هو تطهير الظاهر من الأحداث و الأنجاس و الفضلات فقد غفل عن حقيقة الطهارة لماذا ؟ لأن الإسلام بني على النظافة ، النظافة أي إياكم أن تظنوا النظافة المادية فقط ، كنت قد ضربت لكم مثلاً : قلت من قبل أن إنساناً يعمل في مصلحة فيها زيت و شحم و أشياء تلوث الثياب – مكنسيان مثلاً – و مرتدياً أفرول كما يسمونه أصله أزرق صار أسود اللون من الشحم و الزيت و الفحم و الوحل ، و انبطح تحت سيارة ليفك بعض أجزائها ، و أتقن عمله ، و أخذ أجراً معتدلاً ، فهذا العمل في الإسلام نظيف إلى أقصى الحدود ، وقد تقبع في غرفة مؤسسة بأفخر الأثاث ، و فيها أجمل المفروشات ، و هي مكيفة ، و فيها كل وسائل الراحة ، فإذا كان هذا العمل مبنياً على إيذاء الناس في هذه الغرفة فهذا عمل قذر ، فالنظافة إذا أطلقت إياكم أن تظنوا أنها تنصرف إلى النظافة المادية ، ذاك العمل نظيف ، و النبي عليه الصلاة و السلام أثنى على من يعمل بيده و هو من الكسب الحلال ، وسيدنا عمر يقول : " إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني " ، و الإمام علي كرم الله وجهه يقول : " قيمة الرجل ما يحسنه " ، إن كان يحسن عملاً فله عند الله قيمة لأنه عنصر معطاء ، فالنظافة المقصود بها هي الطهارة الداخلية ، فالكذاب قذر ، المخادع قذر ، النمام قذر ، المتكبر قذر ، الذي يحتقر الناس قذر ، و هناك أعمال قذرة مبنية على إيقاع الأذى بالناس ، على أخذ أموالهم ، على إيقاع الرعب فيهم ، هذه أعمال كلها قذرة ، و الأعمال التي يحتاج فيها الإنسان إلى ثياب خاصة هذه الأعمال هي عند الله نظيفة ، و عند الناس نظيفة ، و أنعم بها من أعمال، فبني الإسلام على النظافة ، يجوز إنسان يذهب إلى أوربا يجد هناك مظاهر نظافة من أعلى مستوى ، لكن لو عاشرهم و أقام بينهم لرأى من قذارتهم ما لا يوصف ، من تفسخهم الاجتماعي ، من انحلالهم الخلقي ، من اختلاط الأنساب عندهم ، أي كيف تقبل أيها الإنسان أن إحصائية أجريت في

أمريكا قبل أشهر عن بعض العلاقات المحرمة بين الأقارب فوجد أن ثلاثين في المئة من النساء هناك يمارسن علاقات محرمة مع محارمهن كالآباء و الأخوات ، ما تفسير ذلك ؟ هؤلاء ليسوا بناتهن ، و هؤلاء ليسوا أخواتهن بسبب اختلاط الأنساب ، لا يوجد عندهم عدة ، و لا هذا التشريع الحكيم الذي جاء به النبي الكريم ، فيظن أن هذه أخته هي ليست أخته ، يُظن أن هذه ابنته و هي ليست ابنته ، فهذه هي القذارة الحقيقية ؛ التفسخ ، و الانحلال ، و اللؤم ، و كسب المال الحرام ، و الكذب ، و الغش ، و النميمة ، هذا كله يسبب قذارة النفس ، فمن قويت بصيرته سمت إلى هذه الأهداف همته ، و من عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة إلا المرتبة الأولى فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف في المبالغة في الاستنجاء و غسل الثياب ، انظر المؤلف قال : زمانه الشريف ، أي أنت هذا العصر الذي تعيشه و هذا العمر الذي تستهلكه هو ثمين جداً ، أي كل دقيقة أحياناً يقول لك : هذه المركبة الفضائية كلفت كل دقيقة منها ثلاثة عشر مليون دولار مثلاً ، ما معنى ذلك ؟ أي هذه المركبة الفضائية بذل من أجل إطلاقها إلى القمر علم الأرض كله ، أي جميع العلوم ؛ الرياضيات ، الفلك ، الفيزياء ، الكيمياء ، كل هذه العلوم تضافرت و ساهمت في هذه المركبة الفضائية ، أحصيت نفقاتها فإذا هي رقم كبير كبير ، قسم هذا المبلغ الكبير على أيام بقائها في الفضاء ، و على ساعات بقائها ، و على دقائق بقائها ، فقيل : إن الدقيقة الواحدة كلفت ثلاثة عشر مليون دولار .

العمر ثمين جداً :

هل تصدق أيها الأخ الكريم أن الثانية الواحدة من حياتك تكلف ألوف ألوف الملايين من أجل أن تشرب هذا الكأس من الماء ، لابد من الشمس ، لا بد من السحاب ، لابد من البحار من أجل أن تأكل ، هذه المناخات المتقلبة من حر و قر و أمطار وثلوج و غيم و شمس ساطعة و شمس محجوبة ، هذه كلها تسهم في صنع الطعام و الشراب ، في صنع الخضراوات و المحاصيل و الفاكهة ، فأنت مثلاً قلبك من أجل تركيب دسام في القلب صناعي اسمع العمليات تقدر بمئتي ألف ، بثلاثمئة ألف ، تركيب كلية كلف ثمانمئة ألف ليرة ، زرع كلية مأخوذة لإنسان ، فالإنسان عندما تكون أجهزته سليمة مادام زرع كلية يكلف ثمانمئة ألف، و عملية بالقلب ثلاثمئة ألف ، ووضع دسام صناعي بأربعمئة ألف ، معنى ذلك أن الإنسان يكلف في كل ثانية

ألوف الملايين ، و معنى هذا أن العمر ثمين جداً ، فمن استهلك هذا العمر في سفاسف الأمور ، في اللهو و الباطل ، و أهداف غير صحيحة ، و في طرق مسدودة ، و أعمال لا طائل منها ، في لعب و تفاخر بالأموال و الأولاد ، فهو من أخسر الناس ، لأن ساعة اللقاء لا يندم فيها المرء إلا على ساعة مرت في الدنيا لم يذكر الله فيها ، فالإنسان يدقق في وقته كيف يصرفه ؟ أي ما مضى فات ، و المؤمل غيب ، و لك الساعة التي أنت فيها ، ما مضى صليت أم لم تصلِّ ، صمت أم لم تصم ، فكرت أم لم تفكر ، أحسنت أم أسأت ، ما مضى مضى و انتهى أمره ، و التفكير فيه مضيعة للوقت ، و المؤمل غيب ، سأفعل هذا بعد غد ، في نهاية الشتاء سوف أتوب ، في مطلع العام الدراسي سوف أتوب ، بعد أن أنجز هذا العمل سوف أتوب ، و المؤمل غيب ، و لك الساعة التي أنت فيها ، لا تملك إلا هذه الساعة ، فإذا عرفت الله عز وجل قم و بادر إلى طاعته قبل ألا تدري ما سيكون ، إذاً فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف في المبالغة في الاستنجاء و غسل الثياب ظناً منه بحكم الوسوسة ، و قلة العلم أن الطهارة المطلوبة هي هذه فقط طهارة الثياب ، و جهلاً بسير المتقدمين الذين كانوا يستغرقون الزمان في تطهير القلوب ، ممكن أن تجد مسلماً نظيفاً و لكن عنده حقد ، عنده استعلاء ، عنده حسد ، ليس معقولاً ، ما قيمة هذه النظافة الظاهرة؟ لابد من تطهير القلب ، لذلك سيدنا عمر قال : " تعاهد قلبك " ، يجب أن تراقب قلبك ماذا يُكِن للناس ؟ هل يكن لهم المحبة أم الحقد ؟ ماذا يكن ؟ قال تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء : ٨٨-٨٩]

عملية الطهور في كل المراتب تعد شطر الإيمان :

و قد انتهى الأمر إلى قوم يسمون الرعونة نظافة ، فترى أكثر زمانهم يمضي في تزيين الظواهر و بواطنهم خراب محشوة بخبائط الكبر ، و العظم ، و الجهل ، و الرياء ، و النفاق ، و لو رأوا النظافة مقتصرة على الاستجمار على الحجر أي رأوا النظافة مقتصرة على أمور التطهير المادية ، و هذا لا ينبغي أن يكون في هذا الفهم القاصر .

في الحديث عن النبي عليه الصلاة و السلام يقول :

((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))

[مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ]

فسر بعضهم هذا الحديث أن كل مراتب النظافة هذه ؛ مرتبة الجوارح ، و مرتبة تطهير الجوارح من الذنوب ، تطهير القلب من الأخلاق المذمومة ، تطهير السر عما سوى الله ، الطهور شطر هذه المراتب ، أي هذا القلب هذا السر من أجل أن يكون الله فيه ، ماذا ينبغي أن تفعل أولاً ؟ أن تطهره عما سوى الله ، فعملية التطهير نصف الإيمان ، و هذه الجوارح من أجل أن تكون قائمة بأمر الله ، ماذا ينبغي أن تفعل ؟ ينبغي أن تطهرها عن الذنوب و الآثام ، هذا القلب الذي هو موضع الأخلاق المذمومة كيف تحليه بالأخلاق الحميدة؟ لابد من تطهيره من هذه المذمومة ، إذاً عملية الطهور في كل المراتب تعد شطر الإيمان ، أي نصف الإيمان بالذات .

الإسلام نظيف ظاهراً و باطناً :

و هناك حديث آخر يقول عليه الصلاة و السلام :

((مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ))

[الترمذي عَنْ عَلِيٍّ]

طبعاً الحديث يؤخذ على ظاهره ، لابد من الطهارة ، و الطهارة أحد شروط الصلاة ، و لكن لا ينبغي أن يقتصر الفهم على هذا المعنى ، مفتاح الصلاة الطهور بمعنى من كان غاشاً للمسلمين ، من كان مستغيباً لهم ، من كان ناماً فيما بينهم ، من نظر إلى عوراتهم ، من غشهم في بيعهم و شرائهم ، لا يستطيع أن يصلي ، و بعضهم حمل قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

[سورة الأعراف : ٣١]

بعضهم حمل قوله تعالى هذا على أن الزينة العمل الصالح ، البس أجمل الثياب و تعطر و تزين و هذا شكل الآية ، المعنى الآخر في الآية : لابد من عمل صالح تقدمه بين يديك في أثناء

الصلاة ، فلو أغثت ملهوفاً ، أعنت فقيراً ، تصدقت ، عدت مريضاً ، أجبت سائلاً ، ثم ذهبت لتصلي فإن هذا العمل الذي قدمته يعينك على الاتصال بالله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

على كلٍّ كل هذه المعاني التي ذكرناها لا تنفي المعاني الظاهرة للنظافة ، الإسلام نظيف ظاهراً و باطناً ، و إن رأيت إنساناً نظيفاً ظاهراً فادعه إلى نظافة الباطن لأن الأولى لا تكفي .

* * *

المساجد و الأسواق :

و الآن إلى بعض الأحاديث الشريفة يقول عليه الصلاة و السلام :

((. . . . خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ))

[الحاكم عن ابن عمر]

كلمة خير اسم تفضيل بمعنى أخير لكن لكثرة استعمالها اختصرت و أصبحت خير، فأنت في المسجد يطهر قلبك ، و تسمو نفسك ، و تشحذ عزيمتك ، و يلين قلبك ، و تنعقد توبتك ، و تطمح إلى أن تكون من أهل الجنة ، و تحس بالصفاء ، و يبعد عنك الانقباض و الضيق ، و هكذا قال بعض الصحابة : " نكون مع رسول الله و نحن و الجنة كهاتين فإذا عافسنا الأهل و الأولاد ننسى "، هذه الحال تذهب عنا ، لكن في الأسواق هذه الحاجة جميلة لا تملك ثمنها إن اشتريتها ديناً أصابك ذل الدين ، و إن امتنعت عنها شعرت بالحرمان ، و إن كان في الطريق فهناك نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات تلعنهن لأنهن ملعونات ، الإنسان تغيرت وجهته ، فالنبي الكريم قال :

((. . . . خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ))

[الحاكم عن ابن عمر]

إن لم تكن لك حاجة ماسة بالسوق لا تذهب إليه ، لأن السوق كما قلنا : موطن الفتنة ، إما فتنة في الحاجات أو فتنة فيمن حول الحاجات ، إياكم و فضول النظر فإنه يوقع في النفس الهوى ، حتى الحاجات التي لست بحاجة إليها لا تتأمل فيها كثيراً فقد تبذل في نفسك الهوى، هناك شيء آخر النبي الكريم كان إذا وقع بصره على شيء من زينة الدنيا يقول :

((اللهم لا عيْشَ إلا عَيْشُ الآخِرَةِ . . .))

[البخاري عن أنس بن مالك]

هذا الدعاء يذكرك بالآخرة و ما فيها من نعيم مقيم ، و كيف أن أهل الجنة في الجنة ينعمون إلى أبد الآبدين ، فكلما لاحت لك زينة الدنيا تذكر الآخرة و ما فيها من سعادة عظمى .

خير الأعمال و الأصحاب عند الله :

و يقول عليه الصلاة و السلام :

((خير الأعمال الصلاة في أول وقتها))

[عن عثمان بن عمر وهو صحيح على شرط الشيخين]

يبدو أن الصلاة في أول وقتها تسعد صاحبها ، ومن أخّر الصلاة عن وقتها أذهب الله البركة من عمره ، أي لا ينعم بالوقت ، إذا الإنسان صلى الظهر بوقته ، والعشاء بوقته ، يستريح فإذا أصابه النعاس نام فوراً ، فإذا أخّر العشاء وأصابه النعاس ولم يكن قد صلى فالصلاة أصبحت عبئاً عليه ثقيلاً ، فخير الأعمال الصلاة في أول وقتها ، و خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك ، و إذا نسيت ذكرك ، إذا ذكرت الله أعانك فزادك قال لك : و الله إنه شيء جميل ، أكمل حدثنا ، أي شجعك على الحديث ، كنت معه بنزهة أو بسفر هذا الوقت الثمين أمضيتموه في معرفة الله ، إذا ذكرت الله أعانك هذه نصيحة لوجه الله ، إن حدثت صديقاً عن الله و قال لك : هذا الموضوع دعنا منه الآن ، لا تصاحبه ، هذا قد يسبب لك ضياعاً وفساداً ، إذا قال لك : دعنا

من هذا الموضوع مازال باكراً علينا ، من مات و رأى ماذا يوجد بعد الموت ؟ الله كريم ، غداً نحج و نتوب ، هذه الأقوال إن قيلت فهذا الصاحب لا ينبغي أن تصاحبه .

و عض عليه بالنواجذ بمعنى الزم صحبته ، و يقول عليه الصلاة و السلام :

((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

أي صاحبان هذا قدم لهذا خدمة كبيرة ، هذا عند الله خير من هذا ، الأكثر نفعاً هو الأفضل عند الله عز وجل ، أي يوجد أصحاب يبني صحبته على ابتزاز صديقه ، أي إذا تناولوا الطعام بمطعم يحب أن يدفع عنه ، حيث يتأخر بالدفع قليلاً حتى يدفع عنه ، إن ركبوا سيارة و ذلك أخرج بطاقة ليضعها يبقى ساكتاً ، فمادام الإنسان بهذه الصحبة يبتغي أن يستفيد من صاحبه فهذا أسوأ الأصحاب ، أما خيرهم عند الله من بادر بإكرام صاحبه حيث :

((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

التوحيد يسعد النفوس :

و قال عليه السلام :

((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

[الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

أي خير قول يقوله الإنسان : لا إله إلا الله هذه كلمة التوحيد ، و ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، و بالتوحيد تصفو القلوب ، الآن كل مشاكل الناس من الشرك ، بالشرك يوجد خوف و يأس ، مع الشرك يوجد قنوت ، لكن مع التوحيد يوجد بشرى و أمل و طمأنينة و راحة و سعادة

و استغناء ، إذا رأيت أن أمورك بيد فلان و فلان لئيم فهذا أكبر الشقاء أي أن ترى أمورك بيد فلان ، و فلان لا يعرف الله عز وجل ، لكنك إذا رأيت الأمر كله بيد الله وأنك عبد لله وأنك إذا أطعته أراحك من عناء الدنيا ، و حماك من شرار خلقه ، هذا هو التوحيد ، و بالتوحيد تسعد النفوس :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإن منحنا بالرضا من أحبنا

لذ بحمانا و احتم بـجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

***

طبعاً الحياة مخيفة ، الأخطار من كل جانب ، يكفي إنسان يركب سيارته و يكون نظامياً و إذا برجل نائم يدخل به و يقول لك : ابنه توفي و خمسة كسور متحركة ، أي احتمال الشر قائم في الحياة ، أما إن كنت مع الله عز وجل فيحفظك من مثل هذه المصائب .

((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

[الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

التوكل على الله و الاستسلام له يدخل السعادة على قلب الإنسان :

خير الدعاء الاستغفار ، الاستغفار هذه الوجهة إلى الله عز وجل التي تطهر النفس من ذنوبها ، و الذنوب الأعمال أو الشهوات التي علقت بها ، فإذا جاء النور الإلهي طهرها من هذه الذنوب و نقاها من هذه الأدران .

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي))

[أحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ]

أي لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ، أحياناً الإنسان تسمعون ببعض القراءات في المساجد أن الناس في نهاية الآية يصرخون بأعلى أصواتهم : الله ، لو خشع قلبهم لخشعت أصواتهم ، لو خشعوا لبكوا ، أما هذا الصياح على طرب فهذا صياح الطرب لا صياح الخشوع ، خير الذكر الخفي و خير الرزق ما يكفي ، أي : اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً، النبي الكريم تمنى لأحبابه أن تكون أرزاقهم كافية لهم من دون إسراف و لا مخيلة و لا تبذير و لا بذخ و لا كبر و لا فخر و لا خيلاء و لا استعلاء .

خير الزاد التقوى و خير ما ألقي في القلب اليقين ، طبعاً إذا الإنسان هيأ بيتاً و هيأ له فرشاً جيداً و مرافق جيدة و وضع ببيت المؤونة – إن صحّ التعبير –كل ما لذّ و طاب و جاءه الموت ، هذا الزاد لا قيمة له ، لكن أعماله الصالحة إن كانت كثيرة فهي خير زاد له، إذا جاء ملك الموت فالنبي الكريم قال :

((خير الزاد التقوى))

[الطبري عن عكرمة]

و قال :

((خير ما ألقي في القلب اليقين))

[شعب الإيمان عن ابن مسعود]

أي يقين هذا ؟ اليقين بلقاء الله ، اليقين بعدالة الله ، اليقين برحمة الله ، اليقين بأن ما في كتاب الله حق و سوف يقع ، اليقين بأن العاقبة للمتقين ، اليقين بأن أهل الباطل لابد خاسرون ، هذه الكلمات العظيمة من يومين قرأت في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾

[سورة الزخرف : ٧٩]

أي إذا أهل الدنيا أبرموا أمراً فالله عز وجل موجود ، أمره هو النافذ ، و الله سبحانه و تعالى يبرم أمراً ، أي الأمرين نافذ ؟ أمر الله عز وجل لو أبرم ، و لو أن هؤلاء الأجانب ائتمروا على هذه البلاد المستضعفة مثلاً ، أبرموا أمراً ، أما فإنا مبرمون ، و قال تعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة يونس : ٢٤]

أمرنا لا أمرهم ، أجمل شعور للمؤمن يرى أن الله عز وجل ربه و إلهه رحيم سميع بصير غني ، فالتوكل عليه ، و التفضيل له ، و الاستسلام له ، شيء يدخل السعادة على قلب الإنسان .

أويس القرني :

في موضوع هذه الأحاديث التي تبدأ بكلمة خير مرّ معي هذا الحديث :

((نَادَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ صِفِّينَ : أَفِيكُمْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ أُوَيْسًا الْقَرَنِيَّ))

[أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى]

من سنتين أو أكثر فيما أذكر حدثتكم عن قصته ، و قد رجاني بعضهم أن أعيد القصة لما فيها من دقة ، و من موعظة ، و قد استجبت لهذا الطلب ، و سأتلوه على مسامعكم و قد جاءت مناسبة لهذا الحديث خير التابعين أويس .

أذن مؤذن الحج فهرع الناس رجالاً :

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

[سورة الحج : ٢٧]

ينشدون البيت العتيق و الحرم الآمن المقدس الذي رفع قواعده إبراهيم و إسماعيل، و طافت به الملائكة ، و طهره النبي صلى الله عليه وسلم ، و فاضت رحاب مكة بالوافدين ، و تعطرت شعابها بأنفاس العابدين الركع الساجدين ، و دنت الأرض من السماء– تعبير لطيف – و التقى الصفاء بالصفاء ، و حان اليوم العظيم ، و تهيأت عرفات ، و خشعت القلوب ، و عنت الوجوه للحي القيوم ، فلا تسمع إلا هاتفاً بالدعاء ، و مسبحاً بالنجوى ، و متعطراً بالطاعة ، إنه يوم الإسلام الأكبر فلا رفث و لا فسوق و لا جدال ، و إنما إيمان و طهارة ، و ترفع عن الدنايا ، و تطلع إلى السماء ، و لكن ما بال عمر أمير المؤمنين وما خطب فارس قريش و عالمها علي بن أبي طالب ما بالهما ؟ و ما خطبهما ؟ إنهما يطوفان و يدوران بوفود العرب في تلطف و تطلع ، و يخصان حجيج اليمن برعاية واضحة ، و استقصاء شامل ، و عجب الناس لعمر و هو يقتحم قوافل اليمن سائلاً عن رجالهم ، متفرساً في وجوههم ، متسائلاً عن أسمائهم و أنسابهم ، و عجبوا أكبر العجب لعلي كرم الله وجهه في سمته و وقاره ، و هو يفحص ملامح اليمنيين ، و يستروح أنباءهم ، و يمازح فتيانهم كأنه ينشد ثأراً أو نسباً ، و نظر علي إلى عمر ، و ابتسما فكلاهما يعلم سر صاحبه و ما ينشدان ، و لقد ترقبوا مواسم الحجيج عشر سنوات فما عثروا على ضالتهما، و ما بلغا آمالهما ، لقد أسرّ النبي عليه الصلاة و السلام إليهما أمراً هاماً ، هما أحرص الناس عليه ، و لكن السنين مضت ، و العمر يتقدم ، و الأمنية الكبرى لم تتحقق ، إن كليهما ليذكر وجه محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الحبيب الأمين و هو يهتف بهما : يا عمر و يا علي إذا لقيتما أويساً القرني فاطلبا إليه أن يستغفر لكما فإنه مجاب الدعاء ، عشر سنوات في مواسم الحج يسألون ، يتفرسون ، يتأملون ، يتفحصون وقد أعيتهم الحيلة ، و إن صورة أويس لواضحة في قلبيهما ، لقد وصفه النبي عليه الصلاة و السلام فقال : " إنه أشهل ، ذو سهوبة ، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة ، آدم ، يضرب بذقنه إلى بطنه ، واضع يمينه على شماله يتلو القرآن ، ذو طمرين من صوف ، مجهول في الأرض ، معروف في السماء ، يقال للعباد يوم القيامة : ادخلوا الجنة ، و يقال له : قف فيشفع بإذن ربه في عدد ربيعة و مضر " ، هكذا وصف النبي الكريم أويساً القرني .

عشر سنوات و عمر و علي ينشدان في الحرم الأمين أويساً ، فقد أنبأهما النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بأنهما سيشاهدانه في مواسم الحج ، و من أصدق من النبي قيلة؟

الحوار الذي دار بين عمر و علي و بين أويس القرني :

و جاء رجل إلى عمر لينبئه بأن قافلة جديدة صغيرة هبطت من اليمن فوثب عمر راكضاً يدفئ صدره الأمل ، و في غمار القافلة شاهد علياً قد سبقه ، قافلة جديدة من اليمن ، يتحدث إلى رجل ناصع الثوب و الوجه ، تبدو عليه سمات السيادة ، و سمع علياً يهتف به : ألم يبقَ أبداً في قافلتك – تفحصهم واحداً واحداً – غير من حدثتني بأمرهم ؟ فقال سيد هذه القبيلة : أجل يا بن عم رسول الله ، و لكن صبراً لقد أُنسيته ، إن في رحالنا فتى خامل الذكر، ممزق الثوب ، يرعى لنا و نؤجره دراهم معدودات ، و ما أظنك تنشد مثله ، فصرخ عمر إنه أشهل ذو سهوبة ، بعيد ما بين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم ، يضرب بذقنه إلى صدره ، و عجب الأعرابي و نظر إلى عمر و هو لا يعرفه قائلاً : لقد وصفته أكمل ما يوصف به فهل رأيته ؟ و أضاء النور قلبي عمر و علي فقد عرفا أنهما على الأثر الصادق ، و استنطقا الأعرابي فأرشدهما إلى مكان أويس ، فانطلقا إليه يتسابقان ، و في صحراء مكة بالقرب من أبي قبيس شاهدا رجلاً يرعى إبلاً فسلما عليه ، ثم قالا له : من الرجل ؟ قال : راعي إبل و أجير قوم ، قالا : لسنا نسألك عن ذلك ، ما اسمك : قال : عبد الله ، الذي يريدانه أويس ، قالا: قد علمنا أن أهل السماء و الأرض كلهم عبيد لله و لكن ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : يا هذان ما تريدان مني ؟ من أنتما ؟ قالا : قد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أويساً القرني و قد عرفنا الشهولة و السهوبة ، عندئذٍ أحسنا السلام و التحية ، و طلبا منه الدعاء و الاستغفار ، طبعاً هو أطرق و سكت و كأنه هو ، قال : ما أخص بالاستغفار أحداً و لكن للمؤمنين و المؤمنات ، ثم من أنتما ؟ قال علي هذا عمر أمير المؤمنين و أما أنا فعلي ، الإنسان ليس له حق أن يفخم نفسه ، فاستوى أويس القرني قائماً قائلاً : السلام عليك يا أمير المؤمنين و يا بن أبي طالب جزاكما الله عن هذه الأمة خيراً ، قال عمر : عظني يا أويس؟ عمر عملاق الإسلام قال له : عظني يا أويس ؟ لأنه صدق كلام النبي الكريم ، قال أويس : ابتغِ رحمة الله عند طاعته ، و احذر نقمته عند معصيته ، و لا تقطع رجاءك عنه خلال ذلك، هذه الكلمة تكفي وحدها ، ابتغِ رحمة الله عند طاعته ، و احذر نقمته

عند معصيته ، و لا تقطع رجاءك عنه فيما بين ذلك ، فمن رجا رحمته و هو يعصيه فهو الأحمق ، و من خافه و هو يطيعه فهو اليائس ، و هتف به علي : لقد حدثنا النبي عنك صلوات الله عليه و هم لم يرك و لكنه كان يحبك و يصفك ، و يقول : إنك أفضل التابعين فكيف تتصور النبي يا أويس ؟ لم يره ، فقال : يا علي لقد كان لكما فضل التمتع و الشرف برؤيته ، و أما أنا فقد حرمت هذا الشرف و الفضل ، و لكنني أتصوره صلوات الله عليه في بصيرتي على غير ما رأيتم بأعينكم و شاهدتم ، أتصوره نوراً ساطعاً يملأ الفضاء ، و يسري في الوجود ، أتصوره و رأسه الشريف قاب قوسين أو أدنى من العرش ، و قدمه مستقرة في الأرض السابعة ، و بكى عمر و علي شوقاً للنبي عليه الصلاة و السلام ، ثم قال عمر : كيف الزمان عليك يا أويس؟ قال : كيف هو على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي و إن أمسى ظن أنه لا يصبح ؟ هذه حال عالية جداً ، انحلت كل مشاكله لم يعد هناك هموم مادام الموت قريباً ، قال : كيف بلغت هذه المكانة العليا ؟ قال : إني أعيش في مقام الخوف و هو مقام لا يبلغه الإنسان حتى يصبح من خوف ربه و كأنه قتل الناس جميعاً ، الحقيقة إن لم يوجد خوف فالمشكلة كبيرة ، يجب أن تخاف على مقامك عند الله ، يجب أن تقلق على مصيرك في الدنيا ، يجب أن تخاف ألا تكون كما يحب الله ، هذا الخوف أكبر دافع للعمل الصالح و الالتزام و الاستقامة ، و تناجيا طويلاً ثم عرض عليه عمر كسوة و نفقة فقال : ما أصنع بهما ؟ أما ترى ردائي و إزاري من صوف متى تراني أخرقهما ؟ و أخذت من عملي أربعة دراهم متى تراني آكلها ؟ معي دراهم و ألبس رداء ، إن بين يدي و يديك عقبة كؤوداً لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول ، فأعرض عن الدنيا يا عمر ، و اخشّ يوماً لا ينفع فيه مال و لا بنون ، فضرب عمر بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته : ألا ليت أم عمر لم تلد عمراً ، و همّ أويس بالانصراف فتعلق به علي و قال : إنما جئناك لنأنس بك ، قال : عجباً يا علي ، ما كنت أحسب أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره ثم ولى مدبراً ، طبعاً النبي صلى الله عليه و سلم ورد عنه الحديث عن أويس ، لم يره و لكن الله أنبأه به ، و طلب من عمر إذا لقي أويساً أن يستغفر له ، أن يسأله الاستغفار ، سيدنا عمر حريص حرصاً بالغاً على اللقاء مع سيدنا أويس ، و التقى معه هو و علي كرم الله وجهه و كان ما كان .

الحقائق المستنبطة من هذه القصة :

من هذه القصة كلها يجب أن يبقى في أذهاننا إن نسينا التفصيلات فلا ينبغي أن ننسى قول أويس ، ارجُ رحمته عند طاعته ، و احذر نقمته عند معصيته ، و ارجه فيما بين ذلك ، أي إذا الإنسان رجا رحمة الله و هو يعصيه فهذا هو الجهل و الغباء و الحمق ، و إذا قنط من رحمته و هو يطيعه فهذا هو الجهل أيضاً ، يجب أن ترجو رحمته عند طاعته ، و أن تحذر نقمته عند معصيته ، و فيما بين ذلك الخوف و الرجاء ، و الدنيا أساس كل خطيئة، أيضاً انصراف أويس القرني عن الدنيا أحد أسباب فوزه بهذا المقام ، و الشيء الثالث : أنه إذا أصبح قد لا يمسي ، و إذا أمسى قد لا يصبح ، و هناك شيء رابع : الخوف من الله عز وجل ، خوفه من الله و كأنما قتل الناس جميعاً ، و يقينه بالموت ، و زهده في الدنيا ، و رجاء الله عند طاعته ، و خوف نقمته عند معصيته ، أربع حقائق تستنبط من هذه القصة ، من هذه التفصيلات الطويلة ، قال له : ابتغِ رحمة الله عند طاعته ، و احذر نقمته عند معصيته ، و لا تقطع رجاءك عنه خلال ذلك ،

أصبحت من خوف الله و كأنني قتلت الناس جميعاً ، الشيء الثالث : كيف برجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي و إن أمسى ظن أنه لا يصبح .

آخر شيء : عندما عرض عليه كسوة و نفقة قال : هذا إزاري و ردائي من صوف متى تراني أخرقهما ؟ و أخذت من عملي أربعة دراهم متى تراني آكلها ؟ أي أنا في بحبوحة ، فكل واحد منا عنده أكل يكفيه عام في البيت ، عنده سبع أو ثماني بدلات بالخزانة و يقول لك : السنة لا يوجد عندي شيء ، انظر سيدنا أويس ، عندما الإنسان تخف حاجاته في الدنيا تصفو نفسه ، عندما يقطع أسباب الدنيا تتفتح أسباب السماء ، أما إذا كان كل همه الدنيا:

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له ، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة))

[الترمذي عن أنس]

والحمد لله رب العالمين

صيام الجوارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

صيام الجوارح عن المحرمات:

أيها الأخوة الأكارم ، إتماماً لموضوع صيام الخصوص وهو صيام الجوارح عن المحرمات تحدثنا في الدرس الماضي عن صوم العين ، وكيف أن العين عليها أن تغض عن محارم الله ، وعن كل شيء يولد في النفس الشهوة والهوى ، إياكم وفضول النظر فإنه يبذر في النفس الهوى ، وتحدثنا عن صيام الأذن:

))من استمع إلى قينة صب في أذنه الآنك يوم القيامة((

]ابن عساكر عن أنس[

فالأذن تستمع ، وقد استنبط الإمام الغزالي قاعدةً وهي أن ما حرم فعله حرم النظر إليه ، وما حرم النطق به حرم استماعه ، فالذي يستمع إلى الغيبة شريك المغتاب بالإثم ، وقد حدثتكم من قبل : الذنب شؤم على غير صاحبه فكيف على صاحبه ؟ فكيف على غير من اقترفه ؟ الذنب شؤم على غير صاحبه إن عيره ابتلي به ، وإن ذكره فقد اغتابه ، وإن رضي به فقد شاركه بالإثم "

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

]سورة الإسراء : ٣٦[

أخلاق المسلم علية ، وإذا رآها الناس عليه أحبوا أن يكونوا مثله ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، إذا طبق المسلمون أوامر دينهم مئة في المئة دخل الناس في دين الله أفواجاً ، فإذا تخلوا عن الأوامر وطبقوا العبادات خرج الناس من دين الله أفواجاً ، أي بين المسلمين وبين غير المسلمين نفور لا يعلمه إلا الله ، سببه أن المسلمين حرفوا على العبادات وتركوا مكارم الأخلاق ، فلما تركوا مكارم الأخلاق نفر الناس منهم ، الذنب شؤم على غير صاحبه ، إن عيره ابتلي به ، وإن ذكره فقد اغتابه ، وإن رضي به فقد شاركه بالإثم.

الصيام مدرسة خلقية:

فإتماماً لموضوع صيام الجوارح ، أي ترك الطعام والشراب شيء نعلمه جميعاً ، ما من مسلم على وجه الأرض إلا ويعلم أن الصيام ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية ، هذا تعريف الصيام ، ولكن هذا الصيام لا يرقى بالناس ، فالناس هم هم ، كيف يكون الصيام عبادة تلفت النظر ؟ أمر إلهي ، خالق هذا الكون يأمر بعبادة لا تقدم ولا تؤخر ولا تسمو بصاحبها ولا تغير من أخلاقه ولا تسمو بميوله؟ ليست هذه عبادة كما نفهمها نحن ، ولكن الصوم إذا صمت ثلاثين يوماً فصامت جوارحك عن كل المعاصي ، وصام قلبك عما سوى الله عز وجل ، وخرجت من شهر الصيام إنساناً آخر بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، بقيمك ، بأخلاقك ، يجب أن تقول زوجتك : والله ما كان فلان هكذا ، ما لهذا الحلم الذي يتمتع به ؟ ما لهذه الرحمة ؟ ما لهذا اللطف الذي هو فيه ؟ هذا هو الصيام ، مدرسة خلقية لأنك إذا تركت الطعام والشراب لله وهو مباح.

((عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عنه يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ]

إذا تركت الطعام والشراب وسائر المفطرات والمخالفات والمعاصي كلها صغيرها وكبيرها ، لابد من أن تشعر أن الله راض عنك ، لابد من أن تقبل في الصلاة عليه، لابد من أن تدمع عينك ، لابد من أن تشعر أن الصلاة مائدةٌ ربانية ، كيف إذا دعاك إنسان إلى طعام نفيس وقدم لك من هذا الطبق ، ومن هذا الطبق ، وقال لك : كُل هذه ، ألا تشعر أنك أكرمت ؟ كذلك الصلاة ، الصلاة ميزان فمن وفى استوفى ، من وفى الاستقامة حقها استوفى من الصلاة ثمرتها ، الدين كله صلاة ، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

]سورة مريم: ٣١[

الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، لا خير في دين لا صلاة فيه ، من ترك الصلاة فقد كفر ، بين الرجل والكفر ترك الصلاة.

الصيام من أجل الصلاة ، والزكاة من أجل الصلاة ، والحج من أجل الصلاة ، والصلاة من أجل الصلاة ، أي هذه الحركات والسكنات والقراءات والوقوف والركوع والسجود والقعود من أجل أن تصلي ، فإن لم تصلِّ فلا صليت ، قم وصلِّ فإنك لم تصلِّ أي آن الأوان أن نتعامل مع الحقائق ، المسلم عمره ثمين جداً ، يعيش عمره كله في الأوهام ، أنا أصلي والحمد لله ، أنا أصوم والله ما فطرت شهراً في حياتي ، حج أربع حجج ، وثماني عمرات ، أي آن الأوان أن تتعامل مع الحقائق ، هذه أوامر إلهية ، عبادات راقية جداً لابد من أن ترقى بك.

المغبون من تساوى يوماه:

المغبون من تساوى رمضاناه ، أي إذا كان رمضان الماضي كهذا الرمضان فأنت مغبون ، أي يجب أن تقول : هذا الرمضان أنا إنسان آخر ، معلوماتي عن الله أعلى ، صفاتي الأخلاقية أرقى ، تطبعت بطباع أحسن ، تركت بعض الصفات المذمومة ، لابد من أن تقول هذا ، والمغبون من تساوى شهراه ، هذه كلها أقوال وليست أحاديث شريفة ، والمغبون من تساوى أسبوعاه ، والمغبون من تساوى يوماه.

يوماه إذا كنت البارحة كاليوم فأنت مغبون ، من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، لأن عمر

الإنسان مثلاً ثلاث وسبعون سنة وثمانية أشهر وثلاثة أسابيع وأربعة أيام وثماني ساعات وسبع دقائق وثلاث ثواني وأربعة أجزاء الثانية ، وانتهت الحياة ، معنى هذا أن اليوم ثمين جداً ، اليوم جزء من الحياة ، كلما انقضى يوم انقضى بضع من الإنسان ، أي آن الأوان أن يتعامل الإنسان مع الحقائق.

الصيام من أجل التقوى والتقوى فوق الإيمان:

الصيام أمر إلهي ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

]سورة البقرة : ١٨٣[

معنى هذا الصيام من أجل التقوى والتقوى فوق الإيمان ، التقوى رؤية ، وإذا ملك الإنسان الرؤية الصحيحة هل يعقل أن يختار الشر ؟ أن يختار ما يؤذيه ؟ أن يختار ما يشقيه؟ أن يختار ما يبعده ؟ أن يختار طريق جهنم ؟ الحياة كلها رؤية ، وإن كنت تملك رؤيةً صحيحة فأنت من السعداء ، وإن كنت لا تملك هذه الرؤية فهذا هو عمى القلب ، قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

]سورة الحج : ٤٦[

رمضان مناسبة لتطهير النفس من أدرانها:

إذاً الصيام صيام الجوارح ، نعوذ بالله أن نقنع بصيام الفم واللسان هذا صيام العوام ، وصيام لا يقدم ولا يؤخر ، رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب ، لكن الصائم الذي تصوم جوارحه ، أي الغيبة تفطر الصائم ، خمسة يفطرن الصائم وينقضن الوضوء ؛ الكذب ، الغيبة ، والنميمة ، والنظر بشهوة، واليمين الغموس ، تفطر الصائم.

أي الإنسان أحياناً تقف سيارته في الطريق يتوقع أنه يوجد علة ، لا يوجد بنزين فيجد أن البنزين موجود ، يتوقع أنه لا يوجد كهرباء فيجد كهرباء ، كلما توقع شيئاً ووجد العكس يتوقع شيئاً آخر ، فإذا كان الإنسان لا يصلي ، صلاته شكلية ، أليست نفسه أخطر من سيارته ، ما السبب ؟ ما الذي يحول بيني وبين الصلاة الصحيحة ؟ أمعصية ارتكبتها ؟ ذنب مقيم عليه ؟ إعجاب بالكفار ؟ مودةٌ مع معرض ؟ أنقاد لمن يدعوني إلى الله ، لابد من علة حالت بينك وبين الصلة الصحيحة ، فرمضان مناسبة جميلة جداً لتطهير النفس من أدرانها وتصفية الحسابات وكأنها دورةٌ مكثفة.

الأوامر الإلهية في القرآن الكريم تقتضي الوجوب:

في الدرس الماضي تحدثنا عن صيام العين ، وعن صيام الأذن ، وعن صيام اللسان ، إتماماً لموضوع صيام الجوارح قد يكون الصيام ترك ما نهى الله عنه ، لكن من أجل أن تحدث الصلاة الصحيحة لابد من فعل ما أوجبه الله عليك ، الإنسان أحياناً يظن أن الأوامر الإلهية ؛ الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، مع أن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

]سورة البقرة : ٨٣[

هذا أمر إلهي يقتضي الوجوب ، إذا قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

]سورة النور: ٣٠[

هذا أمر إلهي يقتضي الوجوب ، إذا قال الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

]سورة النساء : ١٩[

أمر إلهي ، قد لا يقل هذا الأمر عن الصلاة ، أن تعاشر الزوجة بالمعروف فهذا أمر إلهي عظيم ، اقرأ القرآن في رمضان واستنبط الأوامر المتعلقة بالزوجة ، استنبط النواهي، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

]سورة الطلاق: ١[

أمر إلهي ولا يخرجن ، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

]سورة لقمان : ١٨[

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

]سورة القصص : ٧٧[

اقرأ القرآن ودقق في الأوامر الإلهية ، وقس نفسك بها أين أنت منها ؟ أين أنت من قوله تعالى:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾

]سورة البقرة: ٨٣[

أخي ما عجبك ضعها من يدك وانصرف أنا صائم ، هذه الكلمة معصية ، هذا زبون لماذا الغلظة معه ؟ هذه ليست مأكولك وصائم ؟ ما هذا الصيام ؟ أهكذا البائع يكون ؟ قال تعالى:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾

]سورة البقرة: ٨٣[

اتبع أوامر الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

]سورة عبس : ٢٤[

أمر إلهي يقتضي الوجوب ، قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

]سورة الطارق: ٥[

أمر إلهي يقتضي الوجوب ، قال تعالى:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

]سورة آل عمران : ١٣٧[

أمر إلهي يقتضي الوجوب ، كتاب الله بين أيدينا نقرأه بلغتنا ، والحمد لله رب العالمين.

حق الزوج على الزوجة:

إتماماً لموضوع الأمس يقول عليه الصلاة والسلام:

((حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ولو كان على ظهر قتب ، وألا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه إلا لفريضة ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وألا تعطي من بيتها شيئاً إلا بإذنه فإن فعلت كان

له الأجر وعليها الوزر، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب وترجع وإن كان ظالماً((

]أبو داود عن عبد الله بن عمر[

أي لا يقبل من الزوجة صلاة ولا صيام إن لم تؤدِ حق زوجها ، وإن كان الزوج بأوامره ظالماً في علاقته مع ربه ، أما علاقتها مع الله عز وجل ألا تصوم إلا بإذنه ، وألا تنفق من ماله إلا بإذنه ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه ، وحسابه على الله عز وجل.

))عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لامْرَأَةٍ : لا تَصُومِي إِلا بِإِذْنِهِ ((

]أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[

إذا فعلت الزوجة هذا مع زوجها تقبل الله صيامها.

حق الزوجة على الزوج:

حق المرأة على الزوج ، أن يطعمها إذا طعم ، يجب أن تطعمها مما تأكل ، لا أن تأكل أنت مع رفاقك ما لذّ وطاب وتجعلها تأكل أخشن الطعام في البيت وتقول : أنا مؤمن وأنا صائم ، أداء الحقوق جزء من الصيام ، ولا يهجر إلا في البيت ، اذهبي إلى بيت أهلك هذا خلاف الدين ، أبيح لك أن تهجرها ولكن أين ؟ في البيت ، الهجر لا يصح إلا في البيت لأنه إذا كان في البيت فالأمل بحل المشكلة قريب ، بضعة أيام ، أما إذا كان الهجر في بيت أهلها فربما انتهى الأمر بالطلاق.

حق الجار:

حق الجار إذا مرض عدته ، الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه له جار مغن أزعجه كثيراً وأتعبه كثيراً ، كان يغني هذا البيت:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة و سداد ثغر

***

يبدو أن حرس الخليفة قبضوا عليه وساقوه إلى السجن ، فذهب بنفسه إلى المحتسب – يعادل وزير داخلية تقريباً – وتوسط له ، فقال : يا فتى هل أضعناك وأنت تقول أضاعوني وأي فتى أضاعوا فهل أضعناك يا فتى ؟ فكان إسلام هذا الجار على يد الإمام الأعظم أبي حنيفة لأن عليه حقاً ، هذا جار له حق ، حق الجار إن مرض عدته .

يروون قصة – الله أعلم بصحتها – أن رسول الله له جار يهودي ، وكان هذا الجار يضع شيئاً يؤذي النبي في الطريق – مرة النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد شيئاً في الطريق فقال : لابد أن جاري مريض فزاره وعاده فشهد أنه رسول الله وأسلم.

اصنع المعروف مع أهله – أخي فلان ليس أهلاً – ومع غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله ، يكفيك فخراً أنك أهله ، إن قدر أو لم يقدر، إن شكر أو لم يشكر ، إن استجاب أو لم يستجب ، سيان فعلت هذا من أجل الله عز وجل ، لا تنسوا هذا الحديث ، و قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾

]سورة الإنسان : ٩[

إنسان عظيم له بنت قمة في العفاف والتقوى والصلاح ، يأتي إنسان ويشيع في المدينة إنها زانية ، وكان هذا الإنسان العظيم يساعده وينفق عليه ويعطيه من المال في كل وقت معلوم فلما سمع بفعلته الشائنة ، وخبثه ، وإشاعته هذا الافتراء ، تألم منه ونذر ألا يعطيه شيئاً فعاتبه الله ، فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

]سورة النور : ٢٢[

إذا أنت أمرت أن تعطي من افترى على ابنتك الطاهرة ، سيدنا الصديق حديث الإفك لما توقف عن مساعدته ، الله عز وجل عاتبه وهو ليس أهلاً للمساعدة ، اصنع المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله ، يمكن أن تصنع معروفاً مع غير أهله ويسلم على يدك ، هكذا الإسلام ، هذا هو الدين أنعم به من دين ، يجب أن يقول الناس : فلان أين يحضر مجالس العلم ؟ على قدر ما سروا من معاملتك ، وأخلاقك ، وحيائك ، وعفتك ، وشرفك ، وتواضعك ، وكرمك ، وإنصافك ، وعدالتك ، من أين مأخذ هذا العلم ؟

هذه دعوة إلى الله في السلوك لا في اللسان هذا الذي نحن بحاجة إليه ، حق الجار إذا مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوز سترته.

الأمير عبد القادر الجزائري كان رجلاً من أهل الفضل ، له جار فقير الحال ، عنده بيت عرضه للبيع فدفع له ثلاثون ليرة ذهباً ، فغضب صاحب البيت ، والله لا أبيع جيرة الأمير بمئة ليرة ذهباً ، جاء إنسان وقال للأمير هكذا قال جارك ، قال له : هذه ثلاثون ليرة ذهباً وابقَ جارنا ، وابقَ في بيتك.

حق الجار إذا مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوز سترته ، وإن أصابه خير هنأته ، أخي بيت فلان أين ؟ مرة طرقت بناء بيتاً بيتاً بيت الأستاذ فلان أين ؟ لا أعرف ، فكان في نفس البناء ، هل هؤلاء جوار لا يعرف من فوقه بالضبط ؟ طرقت الباب الذي تحت صاحب البيت لا يعرفه أين.

وإن أصابته مصيبة عزيته ، قديماً يكون رجل معه ضيف أهل الجيرة يلاحظون يقرع الباب صحن طعام ، يوضع على المائدة ستون أو سبعون صحناً من الطعام ، جارنا معه ضيف ، الضيف ينظر ويقول متى طبخ هذا كله ؟ لأن جارنا معه ضيف ، كان إذا لم يصلِّ في المسجد يتفقدونه ، الكل يقرعون عليه الباب ، قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

]سورة مريم: ٥٩[

وقد لقوا هذا الغي ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، هذا حق الجار.

رأس الدين النصيحة:

يجب أن تعرف حق زوجتك ، وحق أولادك ، وجيرانك ، وأخوانك ، وزبائنك، أخي انصحني أنا في هذا الموضوع لا أعرف ، يوجد عندك شيء لا يباع تقول له : هذه أفضل بضاعة ، والله هذا الذي أخّر المسلمين ، رأس الدين النصيحة ، إذا شعر البائع أن هذا الزبون غشيم يلبسه هموماً وليس بضاعة ويقول : ركبت هذه البيعة ، عند الله لا تركب ، من غش فليس منا ، يقول : هذا ليس مسلماً ، ولو كان عابد صنم لو أنك غششت عابد صنم لحاسبك الله أضعاف ما يحاسبك فيما لو غششت مسلماً ، أنا هكذا فهمت الدين لماذا ؟ لو غششت مسلماً يقول هذا المسلم : فلان سيئ ، أما إذا غششت غير المسلم فيقول : الإسلام سيئ هكذا الدين !! هذا دينكم ، هكذا قال لك الدين.

..." ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها"

وفي رواية : " إذا اشتريت فاكهةً فأدي له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ به ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها"

إذا الإنسان أعطى ابنه في المدرسة هذه القطع الأجنبية التي ثمنها اثنا عشر ليرة، وإذا أراد أن يأكلها أمام رفاقه ألا يشتهوا ؟ والله غلط كبير ، وكان فيها سموم ومواد مؤذية ، ثمنها اثنا عشر ليرة يأكلها ابنك أمام خمسة من رفاقه ، و يوجد واحد ليس مع أبيه اثنا عشر ليرة كل يوم ، أعطاه أبوه ليرة سورية ، وإذا اشتريت فاكهةً فأهد له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ به ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها"

حق الولد على والده:

حق الولد على والده أن يحسن اسمه ، أي هناك أسماء محرجة ، إذا اسم الابن غير جيد سوف يصيبه أزمات نفسية مع أصدقائه في المدارس ، النبي الكريم صلى الله عليه إذا اسم لم يعجبه

يبدله من أنت ؟ قال : أنا زيد الخيل ، قال : بل زيد الخير ، من أنت ؟ الحصين بن سلام قال : بل أنت عبد الله بن سلام.

أن يحسن اسمه ويزوجه إذا أدرك ، إذا كان الأب بإمكانه أن يستر ابنه في بيت صغير ويزوجه على حسابه والله هذا العمل يفوق حج بيت الله الحرام لأنه سوف ينحرف ، من تزوج ملك نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر.

الإمام الكبير عبد الله بن المبارك كان في طريقه إلى الحج رأى في الطريق طفلاً صغيراً ينقب في القمامة حتى عثر على طائرٍ ميت تبعه حتى عرف البيت ، فإذا أسرة فقيرة جداً لا تجد ما تأكل ، وهو الفقيه أعطاها كل ما يملك ، وعاد إلى بلده ولم يحج ، قرأت هذه القصة مجدداً فإذا الناس الذين في الحج رأوه يطوف في البيت ، معنى ذلك أنها كتبت له حجةً تامة.

حق الله على كل مسلم:

وحق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، لأنه إذا لك رائحة طيبة لا تؤذي أحداً ، والماء أطيب الطيب المفقود ، قال الإنسان له رائحة عطرية لا تظهر إلا إذا كان نظيفاً ، أي إذا إنسان وضع يده على جلده وشمه وكان نظيفاً هناك رائحة عطرية ، الله عز وجل خلقه كاملاً لا يوجد عدم رائحة بل رائحة عطرية تفوح من الجلد ، اللهم إن كان هذا الجلد نظيفاً.

حق المسلم على الله:

حق المسلم على الله ، من نكح العفاف عما حرم الله ، قال رجل هذه قصة وقعت لصاحب مكتبة ، يظهر أن فتاة عابثة وأخلاقها سيئة أغرته فتبعها ، وكان شاباً وحاجاً هذا الشاب فقال في نفسه وهو في الطريق : أنا بهذا العمل سوف أضيع حجتي ، عاد إلى المحل وقال : إني أخاف الله رب العالمين ، في اليوم الثاني جاءه رجل وقور وقال له : أنت متزوج يا بني ؟ قال له : لا يا سيدي ، فقال له : أنا يوجد عندي بنت تناسبك ، هذا اعتقد أنه يوجد بها عيب خطير لأنه عرض ابنته ، فقال له : أرسل أمك لتراها ، فأرسل أمه فقالت له إنها ممتازة ، في اليوم الثاني جاء إلى عنده وقال له : كيف رأيتم ؟ فقال له : ممتازة ولكن أنا لا أملك شيئاً ، فقال له : هذا ليس عملك ، هذا الرجل من وجهاء الحي توسم في هذا الفتى الصلاح زوجه ابنته ، وشاركه في العمل

، والآن هو رجل حي يرزق من كبار التجار ، هذه الثروة الطائلة وهذا الزواج السعيد بسبب كلمة قالها : إني أخاف الله رب العالمين.

أي إذا الشاب أراد أن يتزوج ليعف عن الحرام وانطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

]سورة المائدة: ٢٨[

فحق على الله أن يعينه رغم أزمات السكن العنيفة ، وأزمات المهور الغالية، والأثاث المرتفع الثمن ، رغم كل هذه الأزمات حق على الله عز وجل ، والقضية قضية نية وطلب ، اطلب هذا بقلب صادق فالله سبحانه وتعالى يعينك على هذا الزواج.

حقيق بالمرء أن يكون له مجالس يخلو بها ويذكر ذنوبه ويستغفر الله منها ، أي لابد من مجلس خاص مع الله عز وجل ، أنا جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني، لابد من جلسة خاصة مع الله تستغفر ، تذكر ، تناجي ، تسبح ، تهلل ، تقول : أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، تقرأ كلامه ، تناجيه ، تمرغ جبهتك في الأرض ، تسأله ، تستغفره.

))عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ((

]البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ[

شهود العشاء والصبح آية بين المسلم و المنافق:

و:

))عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا((

]مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

آية بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح ، لا يستطيع أن يستيقظ وقت الفجر هذا فوق طاقته ، طبعاً مضطر من أجل السحور أن تستيقظ ولكن جرب بعد رمضان إن طلبت هذا من الله عز وجل ، يا ربي أيقظني الساعة الرابعة والنصف ، جرب لابد من أن تستيقظ بهذه الدقيقة بالذات ، الله يوقظك ، هذه قال عنها علماء النفس : ساعة الرأس لا تخيب أبداً ، أحياناً الإنسان يضبط الساعة يستيقظ قبل نصف دقيقة ، لو كان استيقظ بعد دقيقة معنى هذا أن الساعة هي التي أيقظته حتى يثبت الله له أنا الذي أيقظتك وليس الساعة ، فالآن رمضان فرصة أن تصلي الصبح حاضراً ولكن بعد رمضان البطولة أن تتابع هذه الفريضة طوال العام ، لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفك النهار كله ، أي أنت الآن طوال هذا النهار في رعاية الله لا يوجد مفاجآت ، ورطات ، تبلي ، مشكلة ، حادث ، رجل دخل يؤذيك وأنت في المحل ويقول لك : هات هويتك ، لأنك أنت اصطلحت مع الله عز وجل صباحاً بينك وبين الله عامرة إذاً يجعلها الله بينك وبين الناس عامرة ، إن كانت خربة بينك وبين الله ستكون بينك وبين الناس خربة ، من أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس.

موقف سيدنا ابن العاص من أقباط النصارى في مصر:

موقف واحد لسيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه أردت أن أذكره لكم ، سيدنا عمرو بن العاص قال مخاطباً أقباط النصارى وكبار أساقفتهم في مصر : إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به ، وإنه عليه الصلاة والسلام قد أدى رسالته ومضى بعد أن تركنا على الواضحة – أي الطريق الواضح المستقيم– وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس – أي دعوتهم إلى الإسلام – فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فهو منا له ما لنا وعليه ما علينا، هذا منهج المسلمين.

فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فهو منا له ما لنا ، وعليه ما علينا ، ومن لم يجبنا إلى الإسلام عرضنا عليه الجزية وبذلنا له الحماية والمنعة ، الجزية مقابل الحماية، معفى من الخدمة الإلزامية لأنه دفع جزية ، هذا إذا بقي الذمي على دينه.

ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا وأوصانا بأهلها خيراً صلى الله عليه وسلم فقال : ستفتح

عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً ، أين هذه القرابة ؟ السيدة هاجر من مصر ، انظر الوفاء ، السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم من مصر، وسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء إذاً هذه أمه أم أبيه إذاً لها رحم.

فإن أجبتمونا إلى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذمة إلى ذمة ، صار لكم ذمة القرابة وذمة أهل الذمة ، وفرغ عمرو من كلماته فصاح بعصا الأساقفة : إن الرحم الذي أوصاكم بها نبيكم لهي قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء – على هذا المستوى لا يذكرها إلا نبي.–

قصة إسلام عمرو بن العاص:

سيدنا عمرو بن العاص قضى حياته في مواقف متعددة يروي لنا الآن كيف أسلم؟ سأل عاهل الحبشة عمرو كيف لم تؤمن به وتتبعه وهو رسول الله حقاً ؟ قال له : يا عمرو كيف لم تؤمن به ؟ وسأل عمرو النجاشي قائلاً أهو كذلك ؟ أكيد رسول ؟ فأجابه النجاشي : نعم فأطعني يا عمرو واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه ، سيدنا عمرو بن العاص كان إسلامه على يد النجاشي ، النجاشي لما أسلم النبي الكريم أكبر إسلامه جداً فلما جاءه وفد النجاشي أبى إلا أن يخدمهم بنفسه صلى الله عليه وسلم إكراماً للنجاشي فلما مات صلى عليه صلاة الغائب.

وركب عمرو البحر من فوره عائداً إلى بلاده ميمناً وجه شطر المدينة ليسلم لله رب العالمين ، وفق الطريق المفضية إلى المدينة التقى بخالد بن الوليد قادماً من مكة ساعياً هو الآخر إلى النبي الكريم ليبايعه ، ولم يكد الرسول يراهما قادمين حتى تهلل وجهه وقال لأصحابه : لقد رمتكم مكة بفلذات أكبادها ، وتقدم خالد فبايع ، ثم تقدم عمرو فقال : يا رسول الله إني أبايعك على أن يغفر الله لي ما تقدم من ذنبي ؟ فأجابه عليه الصلاة والسلام : يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، هذه لنا تب إلى الله توبةً نصوحة إن الإسلام يجب ما كان قبله.

ذكاء عمرو بن العاص:

كان سيدنا عمرو ذكي جداً ، كان آية في الذكاء ، يقولون إن سيدنا معاوية قال له: يا عمرو ما بلغ من دهائك ؟ قال له : والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه ، قال له : لست بداهية أما أنا والله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه ، ومع ذلك يعد سيدنا عمرو داهية

فكان سيدنا عمر رضي الله عنه إذا رأى إنساناً جاهلاً أبله ضعيف الذكاء كان يقول : سبحان الله ! إن خالق هذا وخالق عمرو إله واحد أي شتان بين الاثنين.

يروى أنه في ساعات الرحيل استعرض حياته فقال : كنت أول أمري كافراً وكنت أشد الناس على رسول الله ، فلو مت يومئذٍ لوجبت لي النار ، هذه ساعة الوفاة ، ثم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان في الناس أحد أحب إليه منه ، ولا أجل في عيني منه، ولو سئلت أن أنعته ما قدرت لأني لم أقدر أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، تصوروا سيدنا عمرو لو سئل أن يصف النبي الكريم لما استطاع لماذا ؟ لأنه ما كان يستطيع أن يملأ عينيه منه إجلالاً له ، فقال : فلو مت يومئذٍ لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم بليت بعد هذا بالسلطان وبأشياء لا أدري أهي لي أم علي – أي اجتهد اجتهادات لا يدري أكان مصيباً بها أم كان مخطئاً – ثم رفع بصره إلى السماء في ضراعة مناجياً ربه الرحيم العظيم قائلاً : "اللهم لا بريء فأعتذر ولا عزيز فأنتصر وإن لم تدركني رحمتك أكن من الهالكين. "

أي الإنسان يجب أن يعرف قدر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، الحياة كلها مواقف ، وقف موقفاً مشرفاً وأخلاقياً يسعد به إلى الأبد ، وكل شيء ما سوى الأخلاق ماض، ماذا أكلنا وماذا شربنا وأين سكنا وكيف تاجرنا وكم ربحنا ؟ هذا ليس لك وليس لك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ، وما سوى ذلك ليس لك.

أحد أثرياء مصر الكبار توفي فله أهل في بحبوحة كبيرة سألوا رجلاً عتالاً حمال حطب أن أنزل معه إلى القبر وخذ عشرة آلاف جنيه و آنسه ، فقال : عندما نزل إلى القبر جاء الملكان رأيا إنساناً ممدداً وإنساناً يتحرك ، فقال الملكان : لنبدأ بهذا الذي يتحرك فحزم نفسه بحبلة ، فقالوا له : هذه الحبل من أين جئت بها وكم دفعت ثمنها وممن اشتريتها ؟ يا أخي على هذه الحبلة خمسون سؤالاً ، فخرج فزعاً وقال : أعان الله والدكم ، هو على الحبل لم يتحمل والبطولة بعد الموت ، لذلك الغنى والفقر بعد العرض على الله ، لا تقول أنا غني ولا فقير.

))ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، ألا يا رب مكرم لنفسه و هو لها مهين ، ألا يا رب مهين

لنفسه و هو لها مكرم ، ألا يا رب متخوض و متنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق((

]السيوطي عن أبي البحير[

والحمد لله رب العالمين

أنواع الصيام- النية – من أكل في نهار رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أنواع الصيام:

أيها الأخوة المؤمنون ، نظراً لقرب شهر الصيام ، شهر المغفرة ، وشهر التوبة لابد من الحديث عن أحكام الصيام وعن حكم الصيام ، فأما عن حكم الصيام إن شاء الله تعالى في أحد دروس التفسير سوف أنهي درساً في الحديث عن حكم الصيام من خلال آيات الصيام، وفي درس الأحد هذا والذي يليه إن شاء الله تعالى نتحدث عن أحكام الصيام لأن التفقه في الدين حتم واجب على كل مسلم ، وأحكام الصيام مأخوذة من كتاب : اللباب في شرح الصيام على الفقه الحنفي.

الصوم أيها الأخوان ضربان أي نوعان ، واجب ونفل ، والصوم في الأصل لغةً هو الإمساك بل هو مطلق الإمساك ، قال تعالى:

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾

]سورة مريم : ٢٦[

أي إمساك عن الكلام ، وشرعاً : الإمساك عن المفطرات حقيقةً أو حكماً ، ما معنى حقيقةً أو حكماً ؟ لو أن الإنسان تناول الطعام وهو ناس وأكل ولكنه حكماً ممسك عن الطعام يبقى صائماً لأن الذي ينسى ويأكل لا شيء عليه.

الإمساك عن المفطرات حكماً أو حقيقة في وقت مخصوص بنية من المؤهل للصوم ، فإذا قلنا : واجب ونفل ، فالصيام الواجب يراد به ما يقابل النفل الذي يجب أن يؤدى، وفي معنى آخر هو الواجب الذي بين الفرض وبين النفل ، فصيام النفل واجب وصيام رمضان فرض ، وصيام النفل نفل ، الواجب إما أن يعني الفرض الواجب معاً ، وإما أن يعني حالة بين الفرض وبين النفل ، على كلٍّ الواجب ضربان أي نوعان منه ما يتعلق بزمان بعينه كصيام رمضان ، أو كصيام النذر المعين ، حينما ينذر الإنسان أن يصوم يوماً بعينه ، أو أسبوعاً بعينه ، أو شهراً بعينه ، فهذا صوم واجب يجب أن يؤدى في الوقت الذي حدد له، هذا الصوم الواجب المعين بزمن مخصص كصيام رمضان أو كصيام النذر المعين يجوز صومه بنية من الليل.

النية أحد شروط العبادة:

بالمناسبة النية أحد شروط العبادة ، لا تصح العبادة من دون نية لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

))إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ((

]مسلم عن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ[

فلذلك ينوي الصائم صيام رمضان أو صيام النذر المحدد من الليل فإن لم ينوِ حتى أصبح الصبح أجزأته النية ما بين الفجر والزوال ، ومعنى الزوال زوال الشمس عن كبد السماء ، أي

صيام رمضان أو صيام النذر المعين يجوز إذا نويت الصيام من الليل أو من الفجر وحتى الزوال أي حتى الضحوة الكبرى إلى ما قبيل أذان الظهر ، لأن أذان الظهر يأتي بعد الزوال ، بعد أن تزول الشمس من كبد السماء يدخل وقت الظهر.

النوع الثاني من أنواع الصيام:

وأما النوع الثاني من أنواع الصيام فهو ما يثبت في الذمة كقضاء رمضان وما أفسده من نفل ، الإنسان إذا بدأ بعبادة نافلة عليه أن يتمها لقول الله عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

]سورة البقرة:١٩٦[

أي إذا الإنسان بدأ بالعبادة ينبغي أن يمضي فيها إلى آخرها ، فإذا نوى صيام نفل ثم أفطر لعذر يجب أن يقضي يوماً مكانه ، والضرب الثاني ما يثبت في الذمة من غير تقيد بزمن ، لك أن تقضي هذا الصوم من أي وقت تشاء يثبت عليك في الذمة من دون زمن معين كقضاء رمضان ، السنة كلها تصح لقضاء رمضان أو ما أفسده من نفل ، صيام النفل الذي أفسده لعذر يجب أن يؤدى قضاء من دون تحديد زمن معين ، والنذر المطلق ، طالب نذر إذا نجح في الشهادة الثانوية أن يصوم أسبوعاً ولم يحدد هذا اسمه نذر مطلق ، بينما النذر المقيد هو الذي قيد بزمان ، وصوم الكفارات أيضاً.

الصوم الغير محدد بوقت معين لا يجوز إلا بنية معينة من الليل:

كل هذه الأنواع من الصيام صوم غير محدد بوقت معين ، هذا الصيام لا يجوز إلا بنية معينة من الليل ، صيام رمضان وصيام النذر المعين بوقت محدد على المذهب الحنفي لا يجوز إلا بنية من الليل ، أو بعد الفجر حتى الضحوة الكبرى ، أي إلى زوال الشمس عن كبد السماء ، أي يجب أن يكون معظم اليوم داخلاً في عبادة دينية ، لو فرضنا إنساناً أراد أن يصوم نفلاً أو قضاءً غير معين وكان اليوم قصيراً واستيقظ الساعة الثانية ظهراً هذا الصيام لا يصح لصيام النفل ، لصيام قضاء رمضان، أو ما أفسده من نفل ، والنذر المطلق ، وصوم الكفارات ، لا يجوز إلا بنية معينة

من الليل لعدم تعيين الوقت ، نحن في رمضان كلنا نعلم أننا في رمضان لذلك بعض الفقهاء قالوا : لمجرد أن تستيقظ تأكل طعام السحور فهذه نية ، والمسلم له أن ينوي صيام الشهر كله مرةً واحدة ، لكن صوم الكفارات ، أو صوم قضاء رمضان ، أو صوم النذر المطلق ، أو صوم ما أفسده من نفل ، هذا يحتاج إلى نية مبيتة من الليل كي تصح هذه العبادة ، والشرط أن يعلم بقلبه أي صوم يقوم ، كل إنسان يعلم ما إذا كان يصوم صيام نفل ، أو صيام نذر مطلق ، أو صيام نذر معين ، أو صيام أداء ، أو صيام قضاءٍ ، أو صيام كفارةٍ ، أو صيام قضاء نفل ، كل إنسان مؤمن يعلم أن هذا الصوم هو كذا.

هذه هي أنواع الصيام ، صيام فرض وصيام نذر ، وصيام الفرض منه ما هو محدد بوقت معين كصوم رمضان والنذر المحدد ، ومنه ما يثبت في الذمة من دون تحديد كأداء النذر المطلق ، أو قضاء النفل الذي بدأ فيه ثم أفسده ، أو صوم الكفارات ، أو ما شاكل ذلك.

تلمس الهلال لصوم رمضان:

الآن ينبغي للناس أن يلتمسوا الهلال في اليوم التاسع والعشرين من شعبان ، بل ينبغي عليهم أن يلتمسوا هلال شعبان في أول الشهر ، لتكون عدة الأيام صحيحة ، لأنه لو غم علينا في أول رمضان أتممنا شعبان ثلاثين يوماً ثم شرعنا بشهر رمضان ، لأن الأصل بقاء الشهر فلا ننتقل عنه إلا بدليل ، والدليل إما إتمام العدة ، أو رؤية الهلال ، هذان هما الدليلان اللذان يكفيان لانتقالنا من شهر إلى شهر.

الآن من رأى هلال رمضان وحده صام ولو لم تقبل شهادته لأنه متعبد بما علم، من رأى الهلال وحده وذهب إلى القاضي الشرعي فلم يقبل شهادته ، لأن في قبول الشهادة شروطاً سوف نأخذها بعد قليل وإن أفطر ، من رأى الهلال وحده فعليه القضاء دون الكفارة وإن كان في السماء علة من غيم أو غبار ونحوه ، قبل الإمام شهادة الواحد العدل ، من هو العدل التي تقبل شهادته في رؤية الهلال ؟ العلماء قالوا : من غلبت حسناته على سيئاته ومن تستر على معاصيه ، أي من غلب عليه الصلاح والتستر ، أي هذا الذي يفعل سيئةً ويذكرها للناس هذا سقطت عدالته ، الذي يقول : أنا البارحة أفطرت في رمضان هذا ساقط عدالته ، هذا الذي يقول : أنا البارحة لم أصلِّ ، إن غلب عليه التستر فشهادته مقبولة وإن غلب عليه الصلاح فشهادته مقبولة ، فإن

جاهر بمعصية معنى ذلك أنه لم يتستر ، إذاً مطعون في شهادته ، فإن لم يكن في السماء علة لن تقبل الشهادة حتى يراه جمع كثير يقع العلم بخبرهم ، إذا السماء صافية ولا يوجد أي عذر ولا أي علة في السماء لا تقبل شهادة الواحد ، والسبب لأن المطلع متحد والموانع منتفية والأبصار سليمة والهمم لطلب الهلال مستقيمة ، هناك همم لطلب الهلال وهناك أبصار ، فكيف نجعل أمةً بأكملها تدخل في شهر الصيام بشهادة رجل إذاً هذا الرجل لابد أن في حكمه خطأ الواحد ، لكن بعضهم قال : إذا هذا مفوض إلى الإمام أو إلى القاضي الشرعي هو بحكمته الذي يقبل شهادة الواحد أو لا يقبلها ، لكن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه رجح في آخر الزمان حينما ينصرف الناس عن تلمس هلال رمضان ، حينما ينشغل الناس في أعمالهم وينصرفون عن هذه العبادة في آخر الزمان يجوز أن يقبل القاضي الشرعي أو الإمام شهادة الرجلين أو رجل وامرأتين ، عندئذ يصبح الصيام صحيحاً ، هذا الرأي الوسط بين أن ترد شهادة الواحد وبين أن تقبل شهادة الجمع الغفير وبين تقبل شهادة الرجلين أو رجل وامرأتين.

قال بعضهم : ولم أرَ أرجح من هذه الرواية ، وينبغي العمل بها في زماننا لأن الناس تكاسلوا عن ترائي الأهلة فكان التفرد غير قائم بالغرض.

وقت الصوم:

الآن وقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني أي الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، لقوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

]سورة البقرة:١٨٧[

والخيطان بياض النهار وسواد الليل.

الصوم شرعاً:

الصوم شرعاً هو الإمساك حقيقةً أو حكماً، من تناول الطعام ناسياً فهو ممسك عن الطعام حكماً ومن أمسك عن الطعام فعلاً فهو ممسك عن الطعام حقيقةً ، الإمساك حقيقةً أو حكماً عن المفطرات كالأكل والشرب والرفث ، لأن الله سبحان وتعالى يقول:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾

]سورة البقرة:١٨٧[

المفطرات هي الأكل والشرب والرفث ، فإن أكل الصائم أو شرب ناسياً لم يفطر لأنه ممسك حكماً ، لأن الله سبحانه وتعالى أو لأن الشارع الحكيم أضاف هذا الفعل إلى الله حيث قال عليه الصلاة والسلام:

))حَدَّثَتْنِي أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ دِينَارٍ عنْ مَوْلاتِهَا أُمِّ إِسْحَاقَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ فَأَكَلَتْ مَعَهُ وَمَعَهُ ذُو الْيَدَيْنِ فَنَاوَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرْقًا فَقَالَ يَا أُمَّ إِسْحَاقَ أَصِيبِي مِنْ هَذَا فَذَكَرْتُ أَنِّي كُنْتُ صَائِمَةً فَرَدَدْتُ يَدِي لا أُقَدِّمُهَا وَلا أُؤَخِّرُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكِ قَالَتْ كُنْتُ صَائِمَةً فَنَسِيتُ فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ الآنَ بَعْدَمَا شَبِعْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتِمِّي صَوْمَكِ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكِ ((

]أحمد عنْ مَوْلاتِهَا أُمِّ إِسْحَاقَ[

لكن الفقهاء توسعوا في هذا الحكم فقالوا : إذا رأيت شيخاً فانياً قد أكل ناسياً فلا تذكره ، وإذا رأيت شاباً قوياً جلداً يأكل ناسياً في رمضان فذكره ، أي شفقةً على هذا الشيخ ، قد يكون شيخاً فانياً ويصوم وقد جهد في الصيام ، فأول يوم من الصيام هو أشد الأيام على الإنسان ، فلو شرب كأس ماء وبدأ بشربه أنت ابقَ ساكتاً أما إذا كان شاباً فذكره برمضان.

القضاء و الكفارة:

الآن من ذرعه القيء أي سبقه وغلبه إلى صنعة منه ولو ملء فيه لم يفطر ، لكن من استقاء عمداً أي تعمد القيء أفطر وعليه القضاء.

الآن من أكل شيئاً مما لا يأكله الإنسان أو مما يستقذره أفطر وعليه القضاء ، لكن ليس عليه كفارة ، إنسان أكل تراباً مادام أدخل إلى جوفه شيئاً إذاً عليه القضاء لكن لا كفارةً عليه لأن هذا الذي تناوله ليس في معنى الطعام ، لو فرضنا رجلاً أدخل إلى جوفه شيئاً عليه أن يقضي هذا اليوم ولا كفارةً عليه لأن هذا الذي أدخله ليس في قصد الطعام أو مما يشتهى.

الآن من أكل أو شرب ما يتغذى به أو يتداوى به فعليه القضاء والكفارة ، من أكل طعاماً أو شرب دواءً فعليه الكفارة لكمال الجناية أي أو من تعمد الرفث إلى النساء فعليه القضاء والكفارة ، الآن من احتقن أي صب الدواء في مكان الحقنة – التحاميل لا تفطر – أو من استعف أي صبّ الدواء في أنفه أو من قطر في أذنيه دهناً بخلاف الماء فيفطر على المذهب الحنفي ، تناول التحاميل أو وضع الدواء في الأذن أو في الأنف هذا لا يفطر الصائم، لكن لو تعمد إدخاله إلى الجوف دخلنا في حكم آخر ، لو أن الإنسان شعر بطعم الدواء في حلقه من دون أن يتعمد إدخاله لا يفطر ، أما إذا تعمد إدخاله إلى حلقه فإنه يفطر ، كل شيء يصل إلى جوف الإنسان بفعله وبإرادته فإنه يفطر ، أيضاً من داوى جائفةً أي جراحة في البطن أو آمةً جراحةً في الرأس بدواء فوصل إلى جوفه أو دماغه أفطر.

الآن من ذاق شيئاً بفمه لم يفطر ، أحياناً الإنسان يضطر أن يشتري شيئاً وقيمة الشيء يعرف من مذاقه ، طبعاً العلماء كرهوا ذلك لكن إذا كان في ضرورة بالغة ، متعهد طعام عليه إطعام أعداد كبيرة ، قد يكون هذا الجبن مسحوباً خيره ، فلو وضع شيئاً يسيراً على لسانه ليعرف نوعيته قال : من ذاق الطعام فإنه لا يفطر ، أيضاً لو أن الزوج قاس جداً فإذا كان الطعام فيه خلل ربما أقام على امرأته القيامة ، مثل هذا الزوج يجوز للمرأة أن تذوق الطعام تفادياً لشر هذا الزوج القاسي ، من ذاق الطعام فإنه لا يفطر لعدم وصول المفطر إلى جوفه ويكره له ذلك بما فيه لتعريض الصوم إلى الفساد ، ويكره للمرأة أن تمضغ الطعام لصبيها إن كان لها منه بد فإن كان لابد من أن تفعل ذلك فلا شيء عليها من دون أن يصل هذا إلى الجوف.

قال : مضغ العلك الذي لا يصل منه شيئاً مع الريق إلى الجوف لا يفطر ، كل هذا العلك مغطى بمادة سكرية فإذا تناولها الإنسان وصل السكر إلى الجوف إذاً هذا يفطر ، لو تصورنا أنه لا يوجد فيه أي مادة أخرى ، قال هذا لا يفطر ولكن يكره لأن صاحبه يتهم بالإفطار ، ويحمل على

هذا إذا الإنسان حرك فمه تحريك من يأكل هذا مكروه أنت تعرض سمعتك إلى الفساد ، تتهم بالإفطار.

حكم الصيام للمريض و المسافر:

الآن من كان مريضاً في رمضان فخاف ، الخوف معتبر شرعاً ، يوجد عندنا الخوف معتبر شرعاً وهو ما كان بغلبة الظن بتجربةٍ أو إخبار مسلم عدل أو طبيب حاذق ، أي غلبة الظن عن طريق التجربة ، إنسان معه قرحة فكلما تأخر في شرب الحليب شعر بآلام لا تحتمل ، فغلبة الظن عنده أن الصيام يؤذيه ، أو أن طبيباً مسلماً حاذقاً نصحه بذلك ، أو أن إنساناً ذو تجربة كبيرة معهود عليه بالصدق قال له ذلك هذا هو الخوف معتبر شرعاً ، فإن صام المريض وزاد مرضه بالصيام أو تأخر شفاؤه أفطر وقضى ، وإن كان مسافراً وهو لا يتضرر بالصوم فصومه أفضل ، أحياناً يسافر إلى حلب بالطائرة ساعة وأقل من ساعة ، أي الطائرة مكيفة ومن المطار إلى البيت هناك باص مكيف فلا يوجد حاجة لأن يفطر الإنسان ، ومن لا يتضرر بالصوم وكان مسافراً فصومه أفضل لقوله تعالى:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

]سورة البقرة: ١٨٤[

وإن أفطر وقضى جاز لأن السفر مطلق السفر من دون قيد يجيز لصاحبه الفطر، لكن ينصح بالصوم إذ لم يكن بالسفر مشقة ، أما المرض فلا يجوز اتخاذه عذراً للفطر إلا إذا كان معتبراً شرعاً ، بمعنى إنسان يده مجروحة مضمدها ، لا ، يجب أن يكون المرض له علاقة بالجهاز الهضمي ، له علاقة بالكليتين ، بتناول السوائل ، أو يكون له علاقة بالطعام والشراب ، أما مرض بالعظم ، أو مرض بالعضلات فهذا ليس له علاقة بالصيام ، أما مطلق السفر يجيز لصاحبه الإفطار ، بينما المرض المحدد بغلبة الظن عن طريق تجربة ، أو وصف طبيب مسلم حاذق أو له تجربة صادقة ، هذا الذي يجيز له الإفطار ، وسوف نتابع هذا الموضوع بدرس الأحد القادم ، وأرجو أن تنتهي هذه الأحكام بهذين الدرسين ليكون الصوم على بينة وعلى علم.

* * *

لمحة عن حياة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق:

والآن إلى سير التابعين الأجلاء رضي الله عنهم ، التابعي لهذه الدرس القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، هذا التابعي الجليل فتى جمع المجد من أطرافه كلها ، حتى لم يفته منه شيء ، فأبوه محمد بن أبي بكر الصديق – أي جده سيدنا الصديق – وأمه بنت كسرى يزدجر آخر الملوك ، وعمته عائشة أم المؤمنين ، وهو فوق ذلك قد توج هامته بتاج التقى والعلم ، أتحسب أن فوق هذا المجد مجداً يتنافس فيه المتنافسون ؟؟ ذلكم هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أحد فقهاء المدينة السبعة ، وأفضل أهل زمانه علماً ، وأحدهم ذهناً، وأشدهم ورعاً ، الآن يبدو أن والد هذا التابعي قد مات بمصر وكان والياً عليها قال : فجاءت عمتي عائشة رضي الله عنها فحملتنا من منزل عمي ، أكثر النساء يكثرن الخروج من البيت ويهملن أولادهن ، لكن المرأة التي تؤثر أولادها على حظها وتبقى في البيت ترعى أولادها وتعتني بهم قال عليه الصلاة والسلام:

))أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة((

]فيض القدير شرح الجامع الصغير[

وكانت تحنو علينا حنو المرضعات على الفطين ، فتغسل أجسادنا ، وتمشط شعرنا ، وتلبسنا الأبيض الناصع من اللباس ، الإسلام يرفع من قيمة الإنسان ، وكانت لا تفتأ تحضنا على الخير ، وتمرسنا بفعله ، وتنهانا عن الشر ، وتحملنا على تركه ، وقد دأبت على تلقيننا ما نطيقه من كتاب الله ، وتروي لنا ما نعقله من حديث رسول الله ، وكانت تزيدنا براً واتحافاً في العيدين ، فإذا كانت عشية عرفة حلقت لي شعري ، وغسلتني أنا وأختي ، فإذا أصبحنا ألبستنا الجديد ، وبعثت بنا إلى المسجد لنؤدي صلاة العيد – هذه المرأة الصالحة – فإذا عُدنا منه جمعتني أنا وأختي وضحت بين أيدينا ، هذا درس لكل أم ، درس لكل زوجة.

وفي ذات يوم ألبستنا ثياباً بيضاً ثم أجلستني على إحدى ركبتيها وأجلست أختي على ركبتها الأخرى ، وكانت قد دعت عمي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، فلما دخل عليها حيّته ثم

تكلمت فحمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه بما هو أهله ، فما رأيت متكلماً قط من رجل أو امرأة قبلها ولا بعدها أفصح منها لساناً ، ولا أعذب بياناً ، ثم قالت : أي أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ أخذت هذين الصبيين منك وضممتهما إليّ ، يبدو أن أخاها عبد الرحمن كان يتمنى أن يضم إليه هذين الطفلين فجاءت أخته عائشة رضي الله عنها وضمتهما إليها ، يبدو أن أخاها عبد الرحمن كان واجداً عليها قالت : والله ما فعلت ذلك تطاولاً عليك ، ولا سوء ظن بك ، ولا اتهام لك بالتقصير في حقهما ، ولكنك رجل ذو نساء – لك زوجات – وهما صبيان صغيران لا يقومان بأمر نفسيهما ، يحتاجون إلى تنظيف وإلى تغسيل وإلى إطعام فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرنه فلا يطبن بهما نفساً – سبحان الله الأم تطيب نفسها بخدمة أولادها ، غير الأم لا تطيب نفسها – فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرنه فلا يطبن بهما نفساً ، ووجدت أني أحق منهن بالقيام على أمرهما في هذا الحال، وهاهما الآن قد شبا وأصبحا قادرين على القيام بأمر نفسيهما فخذهما وضمهما إليك ، بعد أن أصبحا قادرين على خدمة أنفسهما الآن خذهما وضمهما إليك.

فأخذنا عمي عبد الرحمن وضمنا إلى بيته ، بيد أن الغلام البكري ظل معلق القلب ببيت عمته أم المؤمنين رضوان الله عليها ، فعلى أرض بيتها المضمخة بطيوب النبوة درج، وفي أكناف صاحبته تربى وترعرع ، ومن حنانها المتدفق نهل وارتوى ، فصار يوزع وقته بين بيتها وبيت عمه ، وقد ظلت ذكرياته في منزل عمته الشذية الندية ، فقد قال يوماً لعمته عائشة : يا أم – يا أمي – اكشفي لي عن قبر النبي عليه الصلاة والسلام وقبري صاحبيه فإني أريد أن أراهم ، وكانت القبور الثلاث مازالت داخل بيتها – أي الآن في الحرم النبوي الشريف مكان القبور الثلاث ؛ قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وقبر سيدنا الصديق ، وقبر سيدنا عمر في غرفة السيدة عائشة ، النبي عليه الصلاة والسلام دفن في بيتها ، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا واطئة معتدلة ، وقد مهدت بصغار الحصى الحمر مما كان في باحة المسجد ، فقلت : أين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشارت بيدها وقالت : هذا، ثم تحدرت على خديها دمعتان كبيرتان فبادرت فمسحتهما حتى لا أراهم ، وكان قبر النبي عليه الصلاة والسلام مقدماً على قبري صاحبيه فقلت : وأين قبر أبو بكر جدي ؟ قالت : ها هو ذا وكان مدفوناً عند رأس النبي عليه الصلاة والسلام ،

فقلت : وهذا قبر عمر وكان رأس عمر رضوان الله عليه عند خصر جدي قريباً من رجل النبي عليه الصلاة والسلام.

مكانة القاسم بن محمد:

ولما شبّ هذا الفتى حفظ كتاب الله عز وجل ، وأخذ عن عمته عائشة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء له أن يأخذ ، ثم أقبل على الحرم النبوي الشريف ، وانقطع على حلقات العلم التي كانت تنتشر في كل ركن من أركانه ، فروى عن أبي هريرة ، وعن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن خباب ، ورافع بن خديج ، وأسلم مولى عمر بن الخطاب وغيرهم وغيرهم ، قال : حتى بدا إماماً مجتهداً وأصبح من أعلم أهل زمانه بالسنة ، وكان الرجل لا يعد رجلاً عندهم حتى يتقن السنة ، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح القاسم بن محمد وابن خالته سالم بن عبد الله بن عمر إمامي المدينة الموثوقين ، وقد بلغ من مكانتهما في النفوس أن خلفاء بني أمية لا يقطعون أمراً ذا بال في شأن من شؤون المدينة إلا برأيهما.

من ذلك أن الوليد بن عبد الملك قد عقد العزم على توسعة الحرم النبوي الشريف ولم يكن في وسعه أن يحقق هذه الأمنية إلا إذا هدم المسجد القديم من جهاته الأربع ، وأزال بيوت زوجات النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وهي أمور تشق على الناس ، ولا تطيب نفوسهم بها ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة يقول : لقد رأيت أن أوسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبح مئتي ذراع في مئتي ذراع فاهدم جدرانه الأربعة وأدخل فيه حجر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتر من نواحيه من البيوت ، وإنك تستطيع ذلك لمكان أخوالك آل الخطاب ومنزلتهم في قلوب الناس ، فإذا أبى عليك أهل المدينة فاستعن بالقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وأشركهما معك في الأمر ، وادفع إلى الناس أثمان بيوتهم بسخاء ، وإن لك في هذا سلف صدق ، فدعا عمر بن عبد العزيز القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وطائفةً من وجوه أهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فسروا بما عزم عليه ، وهبوا لإنفاذه ، فلما رأى الناس عالمي المدينة وإماميها الكبيرين يباشران هدم المسجد بأيديهما قاموا معهما قوم رجل واحد ونفذوا ما جاء في كتاب أمير المؤمنين.

القاسم بن محمد أشد الناس تأسياً بجده الصديق:

شيء آخر : كان القاسم بن محمد أشد الناس تأسياً بجده الصديق حتى قال الناس : لم يلد أبو بكر ولداً أشبه به من هذا الفتى فلقد أشبهه في كرم شمائله ، و نبل خصاله ، و صلابة إيمانه ، و شدة ورعه ، و سماحة نفسه ، وسخاء يده ، ولقد أؤثر عنه كثير من الأقوال والأفعال تشهد له بهذا.

من هذا أن أعرابياً جاءه إلى المسجد فقال : أيكما أعلم أنت أم سالم بن عبد الله؟ فتشاغل عنه ، فأعادها عليه ، فقال : سبحان الله فأعادها كرةً ثالثة ، فقال : ذاك سالم يا بن أخي يجلس هناك ، فقال من في المجلس : لله أبوه لقد كره أن يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه وكره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، وكان أعلم من سالم.

لقد رُئي ذات مرةٍ بمنى وأهله الأنصار من حجاج بيت الله يطبقون عليه من كل جانب وهم يسألونه ، فكان يجيبهم بما يعلم ويقول لهم فيما لا يعلمه : لا أعلم ، لا أدري ، هذه الكلمة قلها أيها الأخ قل : لا أعلم وهي وسام فخر ، نصف العلم لا أدري ، من ادعى أنه يعلم كل شيء فهو لا يعلم شيئاً ، كلمة لا أعلم فيها تواضع ، نصف العلم لا أدري ، هذا هو التواضع ، وهذه هي الدقة ، فكان يقول : لا أعلم ، لا أدري ، فأخذهم منه العجب فقال لهم : والله لا نعلم كل ما تسألون عنه ، ولو علمناه ما كتمناه ، ولا يحل لنا أن نكتمه ، ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

من أخلاق العالم الحقيقي إذا سئل عن قضية أن يقول : لا أعلم ، أو دعها إلى وقت آخر ، لكن أجرأكم على الفتية أجرأكم على النار.

على الإنسان أن يقول ما يعلم دون زيادة:

في ذات مرة عهد إليه في قسم الصدقات بين مستحقيها فاجتهد في ذلك ما وسعه الاجتهاد ، وأعطى كل ذي حق حقه ، غير أن أحدهم لم يرضَ عن نصيبه الذي أعطي له فأتاه إلى المسجد وهو قائم يصلي ، وجعل يتكلم في أمر الصدقة ، فقال ابنه : والله إنك لتتكلم في رجل ما نال من صدقتكم درهماً ولا دانقاً – الدانق سدس الدرهم – ولا أصاب منها تمرةً واحدة ، فأوجز

القاسم صلاته والتفت إلى ابنه وقال : يا بني لا تتكلم بعد اليوم فيما لا تعلم، فقال الناس : صدق ابنه ولكن أراد أن يربيه ، وأن يحفظ لسانه من التوسع بالكلام.

إياك أن تتوسع في الكلام ، قل ما تعلم من دون زيادة ، طال عمر القاسم حتى نيف على الثانية والسبعين ، ولكن كف بصره وهو شيخ كبير ، وفي آخر سنة من حياته قصد مكة يريد الحج وفيما هو في بعض طريقه أتاه اليقين – الموت – فلما أحس بالأجل التفت إلى ابنه وقال : إذا أنا مت فكفني بثيابي التي كنت أصلي بها ، قميصي وإزاري وردائي فذلك كان كفن جدك أبا بكر ، ثم سوِّ عليّ لحدي ، والحق بأهلك ، وإياكم أن تقفوا على قبري وتقولوا : كان وكان فما كنت شيئاً.

هذا التواضع ، لابد من حفل التأبين كان وكان . . . قال له : ما كنت شيئاً ، الإنسان عندما يعرف مقامه عند الله يزهد بكلام الناس عنه ، يزهد بتأبين الناس له ، يزهد بثناء الناس عليه ، من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به ، ذلكم كان القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين

صيام المريض والمسافر- من أفطر في نهار رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حكم الصيام للمريض و المسافر:

أيها الأخوة المؤمنون ، لازلنا مع دروس الفقه المتعلقة بشهر الصيام ، وصلنا في الدرس الماضي إلى أنه من كان مريضاً في رمضان فخاف الخوف المعتبر شرعاً – يوجد خوف غير معتبر شرعاً ؛ وسوسة ، أو وهم ، أو ظن ، لا يستطيع المسلم أن يفطر في رمضان بناءً على رخصة المرض إلا إذا كان خوف المرض معتبراً شرعاً – وهو ما كان مستنداً لغلبة الظن بتجربة ، رجل يعاني من آلام في المعدة فكلما صام اشتدت به الآلام يغلب على ظنه أن الصيام يؤذيه بتجربة سابقة محققة عنده ، أو إخبار مسلم عدل يخبره أن الصيام يؤذيه ، أو إخبار مستورٍ حاذقٍ والجمع بينهما ، أي أن يخبره طبيب مسلم ورع حاذق، إذا اجتمع في الطبيب المهارة والورع في الوقت نفسه فإخبار هذا الطبيب بضرورة الإفطار شيء يعد خوفاً شرعياً يجيز للمسلم الإفطار ، ماذا يخبره ؟ أنه إذا صام ازداد مرضه أو تأخر شفاؤه ، إذا كان كذلك أفطر وقضى ، أي أفطر ذلك اليوم وقضى مكانه ولا شيء آخر عليه ، لأن زيادة المرض وامتداده يفضي إلى الهلاك فيحترز عنه ، هذا إذا كان مريضاً، إذاً المرض مقيد ليس مطلق المرض يجيز الفطر ، بعضهم يتوهم أن مطلق المرض يجيز الفطر ، لا ، المرض المعتبر شرعاً بتجربة ثابتة فيها غلبة الظن ، أو بإخبار طبيب مسلم حاذق ورع.

وإن كان مسافراً وهو لا يضره الصوم ، أو لا يضره السفر إذا كان صائماً فصومه أفضل ، سافر إلى مسافة عشرين كيلو متراً أو ثلاثين كيلو متراً بسيارة مريحة ، والجو شتاء لا يوجد حر ، فمثل

هذا السفر لا يضر الصائم بل إن الصيام لا يضر ، السفر إذا كان كذلك فصومه أفضل لقوله تعالى:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

]سورة البقرة: ١٨٤[

لكن إن أفطر جاز وقضى ، لأن علة المرض مشروطة ، بينما علة السفر مطلقة، فإن أفطر المسافر جاز وقضى ، لكن بعض العلماء قال : إن السفر الذي به تقصر الصلاة هو السفر الذي يجيز للمسلم أن يفطر به ، والمسافة التي تقصر بها الصلاة ثمانون كيلو متراً، وقال بعض العلماء : إن السفر أي سفر لا يعرى عن المشقة ، فجعل نفسه عذراً ، أي السفر على إطلاقه عدّ عذراً بخلاف المرض لأنه قد يخف بالصوم ، فشرط كونه مفضياً إلى الحرج عدّ السفر على إطلاقه سبباً موجباً للفطر.

حكم المريض و المسافر إذا ماتا وهما على حالهما أو بعد الصحة و الإقامة:

الآن إذا مات المريض أو المسافر وهما على حالهما ، مسلم مسافر مات في أثناء السفر ، أو مسلم مريض وهو مفطر مات في أثناء المرض قال : لم يلزمهما القضاء ولا قضاء عليهما ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾

]سورة البقرة: ١٨٤[

هذا المريض وهذا المسافر اللذان ماتا في مرضهما أو سفرهما لم يجدا عدةً من أيام أخر ، إذاً لا شيء عليهم ، الآن وإن صحّ المريض وأقام المسافر هذه العلة برأ منها وهذا السفر عاد منه ، إذا صحّ المريض وأقام المسافر ثم ماتا لزمهما القضاء بقدر الصحة والإقامة ، إذا ماتا بعد مضي شهر من انتهاء الصوم وكانا في هذا الشهر صحيحين لزمهما القضاء بعد موتهما ، لوجود الإدراك بهذا المقدار ، لو عاشا بعد رمضان أسبوعين بصحة جيدة لزمهما قضاء نصف الشهر ، يلزمهما قضاء المدة التي صحا فيها أو أقاما فيها ، لذلك إذا صح المريض أو أقام المسافر ثم أدركه

الموت وكان بوعيه لزمه أن يوصي بإطعام مسكين عن كل يوم لم يستطع أن يؤده قضاءً هذا هو الحكم.

قضاء رمضان:

الآن قضاء رمضان المسلم مخير فيه إن شاء فرقه ، وإن شاء جمعه بإطلاق النص ، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

]سورة البقرة: ١٨٤[

يا ترى هذه الأيام الأخر متتابعة أم متفرقة ؟ ما سكت عنه القرآن كان في هذا إطلاقاً ، والمطلق على إطلاقه ، وهذا رحمة من الله تعالى ، والإنسان إذا شيء ربنا سبحانه وتعالى سكت عنه لا ينبغي له أن يسأل عنه ، لأن في السؤال حرجاً ، لكن المستحب لو سألت عالماً أيهما مستحب أن نصوم هذه الأيام التي فاتتنا في المرض أو السفر متتابعةً أم نصومها متفرقةٍ ؟ لكان الجواب المستحب المتابعة ، لماذا ؟ مسارعةً إلى إسقاط الواجب ، أما إذا أخر المسلم ما عليه من أيام أفطر بها أخر قضاءها إلى أن جاء رمضان آخر فهذا له حكم آخر ، وإن أخره حتى دخل رمضان آخر صام الثاني ، لأن القاعدة الشرعية تقول : رمضان ظرفٌ لا يسع غيره ، أي في رمضان لا يسع رمضان إلا أن تصوم رمضان ، أما أن تجمع في رمضان بين صيام الفرض وصيام الكفارة أو القضاء فهذا مستحيل.

إذاً من أخر من فاته من أيام في رمضان إلى أن جاء رمضان آخر صام الثاني لأن وقته حتى لو نواه عن القضاء لا يقع إلا عن أداء ، لو نوى أن يصوم رمضان قضاءً عن رمضان آخر لا يقع إلا أن يكون أداءً لرمضان جديد ، وقضى الأول بعده ، لأن وقت القضاء على مذهب أبو حنيفة رضي الله عنه لا وجوب عليه ، وعلى بعض المذاهب إذا جاء رمضان الآخر ففي هذا إهمال ، عليه أن يقضي ما فاته ، وأن يدفع عن كل يوم ثمن إطعام مسكين ، لكن على المذهب الحنفي لا شيء عليه لأن وجوب القضاء على التراخي من دون تحديد ، أي إذا الإنسان أفطر برمضان لعذر من سفر أو مرض وجاء رمضان الثاني صام الثاني وقضى ما عليه بعد رمضان الثاني.

حكم الصيام للحامل و المرضع و الشيخ:

الآن الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما نسباً أو رضاعةً ولو أنها ترضع غير ولدها ، أو إذا خافتا على أنفسهما ، إما الخوف على النفس أو الولد أفطرتا وقضتا دفعاً للحرج ، ولا فدية عليها لأنه إفطار بسبب العجز ، فيكتفى بالقضاء اعتباراً في المريض والمسافر هذا الحكم ، أما الشيخ الفاني الذي لا يقدر على الصيام لقربه إلى الفناء أو لفناء قوته فيفطر ويطعم لكل يوم مسكيناً كما يطعم المكفر في الكفارات ، وكذلك العجوز الفاني هذا إذا كان ميسور الحال ، وإذا كان فقيراً لا يملك قوت يومه ليس عليه شيء ، والأصل فيه قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

]سورة البقرة: ١٨٤[

في بعض التفاسير أي لا يطيقونه ، أما لو قدر الشيخ الفاني على الصوم بعد انقضاء رمضان فلن تقبل منه الكفارة ، عليه أن يصوم لأن شرط الفداء تعذر القضاء.

حكم من مات وعليه قضاء رمضان:

الآن من مات وعليه قضاء رمضان فأوصى به أطعم عنه وليه ، إذا الإنسان كان على فراش الموت وقد أفطر في رمضان الماضي بعذر من مرض أو سفر ثم أدركه الموت فعليه أن يوصي بإطعام مسكين عن كل يوم أفطره ، بشرط أن تكون قيمة هذا المال لا تزيد عن ثلث التركة لأن الثلثين من حق الورثة ، لو كان الإنسان يجب أن يأكل بخمسين ليرة في اليوم فرضاً ، ثلاثون يوماً ألف وخمسمئة ، لو أن الألف والخمسمئة أقل من الثلث لا يجب عليه إلى الثلث ، لأن ثلث المال يحق للمتوفى أن يتصرف فيه أما الثلثان فمن حق الورثة.
لكل يوم مسكيناً نصف صاع من بر – قمح – أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ، لأنه عجز عن الأداء في آخر عمره فصار كالشيخ الفاني هذا الذي يأتيه الموت ولم يصم ما عليه من رمضان ، لابد من أن يوصي فإن مات ولم يوصِ بالإطعام لا يلزم على ورثته شيء ، لا ينبغي لناظر

الوصية أن يأخذ من أموال الورثة مبلغاً ليقضي به ما فاته من صوم إن لم يوصِ لا يلزمهم شيء ، لو تبرعوا عنه من غير وصية جاز ، وعلى هذا الزكاة.

صوم التطوع:

الآن من دخل في صوم التطوع أو في صلاة التطوع ثم أفسده قضاهما ، يوجد عندنا قاعدة أن النفل إذا شرعت فيه يجب أن تتمه لقوله:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

]سورة البقرة:١٩٦[

هنا الحكم ليس الفرضية ، الحكم الإتمام ، إذا شرعت في عبادة يجب أن تتمها وجوباً لأن المؤدى قربة وعمل فتجب صيانته بالمضي عن الإبطال ، وإذا وجب المضي وجب القضاء بتركه .

من يصوم نفلاً يجوز له أن يفطر بعذر:

إذاً لا يباح الإفطار عند بعض الأئمة بغير عذر في إحدى الروايتين ويباح بعذر في رواية أخرى ، أي الذي يصوم نفلاً في بعض الأحاديث : " الصائم نفلاً أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر " ، بعض العلماء يقولون : لا يجوز أن يفطر إلا بعذر ، وبعضهم قال : يجوز أن يفطر من دون عذر لأنه صيام نفل أخذاً من هذا الحديث.

لكن من العذر أن تدعى إلى طعام ، أنت صائم صيام نفل دعاك أخ كريم وتكلف تقول له : إني صائم ؟ النبي عليه الصلاة والسلام غضب من بعض أصحابه وقد دعوا إلى طعام فقال أحدهم : إني صائم ، فقال عليه الصلاة والسلام : " أخوك تكلف ودعاك وتقول إني صائم أفطر واقض يوماً مكانه"

فالعلماء أخذوا أنه يجوز لمن يصوم نفلاً أن يفطر بعذر ، من العذر الدعوة إلى الطعام ، أو زارك ضيف ، جاءك ضيف من سفر وأنت صائم نفلاً الأولى أن تفطر من أجله، وأن تأكل معه إكراماً له.

والرأي الثاني : يجوز أن تفطر من صيام النفل مطلقاً من دون قيد أو شرط ولكن المقصود من هذا الكلام أن المضي في العبادة واجب فمن بدأ نفلاً وأفطر فيه عليه أن يقضيه وجوباً لا اختياراً ، الصيام اختياري فلما بدأت فيه وأفطرت عليك أن تقضيه ، مثلاً طرح السلام سنة لكن ردّ السلام فرض ، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾

]سورة النساء:٨٦[

لك أن تسلِّم أو لا ، ولكن إذا سلم عليك وجب عليك أن ترد السلام.

تعاليم خاصة بالصيام:

إذا بلغ الصبي أو أسلم الكافر بنهار رمضان أمسكا بقية يومهما ، لو تصورنا إنساناً لا يعتقد بالدين خلال مناقشة موفقة بين إنسان غير معتقد بالدين وهو مفطر اعتقد بأحقية هذا الدين الساعة الثانية عشرة النظام الدقيق يجب أن يمسك عن الطعام والشراب بقية اليوم.

إذا بلغ الصبي أو أسلم الكافر بنهار رمضان أمسكا بقية يومهما قضاءً لحق الوقت بالتشبه بالصائم ، وصاما ما بعده لتحقق السببية والأهلية ولم يقضيا ذلك اليوم الذي فيه تم الإسلام أو تم البلوغ ، لكن الإمساك عن الطعام مراعاة للنظام العام.

الآن إذا حاضت المرأة أو نفست – أي دخلت بالنفاس – وهي الأيام التي تلي الولادة أفطرت وقضت وليس عليها أن تتشبه حال العذر لأن صومها حرام ، والتشبه بالحرام حرام ، أي إذا امرأة في الحيض أو بالنفاس من حقها أن تفطر ، إذا في حالات نادرة أحياناً يكون الطفل صغيراً غير مدرك فإذا أفطرت أمامه يصعب عليه أن توضح سبب الفطر ، هذه حالة ربما استخف الطفل بقدسية هذا الشهر لأن أمه رآها قد أفطرت ، وقد لا تستطيع لصغر سنه أن تبين له لماذا هي تفطر ، أي يوجد حالات إذا كان المرأة حاولت أن تخفي إفطارها عن صغيرها لا مانع مراعاة للحرج.

الآن إذا قدم المسافر أو برأ المريض أو طهرت الحائض أو النفساء في بعض النهار أمسكا وجوباً ، المسافر وصل الساعة العاشرة إلى بيته في أيام رمضان صباحاً كان مفطراً مادام قد وصل

إلى البيت ، ووصل إلى دار إقامته ، ينبغي أن يمسك بقية اليوم ، فإذا طهرت الحائض أو النفساء ، أو برأ المريض ، أو قدم المسافر في بعض النهار ، أمسكا وجوباً وهو الصحيح عن المفطرات من الطعام والشراب وغيرهما بقية يومهما قضاءً لحق الوقت تقديساً لهذا الشهر العظيم.

ومن تسحر وهو يظن أن الليل باق ، أي سمع القرآن فظن القرآن الذي قبل الفجر، فإذا هو قرآن بعد الفجر من إذاعة أخرى فرضاً وكان قد أذن الفجر هذه حالة ، أو أفطر وهو يرى أو يظن أن الشمس قد غربت ثم تبين أن الفجر كان ، أحياناً يسمع الإنسان أذاناً من غير محطة يكون هذا الأذان قبل نصف ساعة من أذان توقيت دمشق أو ما حولها ، أي قد يحصل خطأ في الإمساك عن الطعام بعد الوقت المناسب ، أو في الإفطار قبل الوقت المناسب ماذا يفعل ؟ قال : عليه أن يقضي ذلك اليوم الذي أفطر فيه خطأً لأنه حق مضمون بالمثل ، ولا كفارة عليه لقصور الجناية ، أي هذه الجناية ليست تامة ، كيف ليست تامة ؟ ليس فيها عزم على الإفطار ، فما دام هناك جناية ناقصة إذاً عليه قضاء وليس عليه كفارة.

ومن رأى هلال الفطر وحده لم يفطر ، الدرس الماضي : من رأى هلال رمضان وحده عليه أن يصوم ، فإذا أفطر وجب عليه القضاء ، الآن من رأى هلال الفطر وحده لم يفطر ويجب عليه الصيام احتياطاً ، النبي عليه الصلاة والسلام له أحاديث تعطينا نظاماً اجتماعياً.

))صومكم يوم تصومون((

]أبو داود عن أبي هريرة[

أنت عضو في مجتمع ، أنت مواطن في بلد مسلم إذا أعلن الصيام تصوم ، أعلن الإفطار تفطر ، أما أن تنفرد وحدك بالصيام أو الإفطار ليس هذا مما يصح في القواعد الاجتماعية ، من رأى هلال الفطر وحده لم يفطر ويجب عليه الصيام احتياطاً لاحتمال الغلط فإذا أفطر فعليه القضاء ولا كفارة عليه للشبهة ، الآن وإذا كان بالسماء علة لم تقبل في هلال الفطر إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، مرّ معنا أنه تقبل شهادة رجل واحد في الدخول في العبادة لكن الخروج منها لا تقبل إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين إذا كان في السماء علة من غيم أو غبار ، وإن لم يكن بالسماء علة لن تقبل إلا شهادة جمع غفير يقع العلم بخبرهم.

هذه بعض الأحكام الأساسية التي نصت عليها بعض كتب الفقه على المذهب الحنفي ، وهي من كتاب : " اللباب في شرح الكتاب " وسوف ننتقل في دروس أخرى إن شاء الله تعالى إلى بعض أبحاث الاعتكاف وما يتبعه من موضوعات متعلقة ، أو يأتي الصيام مناسبة لها كدفع الزكاة والصدقة.

* * *

صلة بن أشيم العدوي:

والآن إلى قصة تابعي جليل من التابعين الذين نحن في صدد الحديث عن حياتهم، تابعي اليوم اسمه صلة بن أشيم العدوي عابد من عباد الليل وفارس من فرسان النهار ، وهذا وصف بعض أصحاب رسول الله : رهبان في الليل فرسان في النهار.

كان إذا نشر الظلام أستاره على الكون ، وأسلمت الجنوب إلى المضاجع ، قام فأسبغ الوضوء ثم صف في محرابه ، ودخل في صلاته وهام وجداً بربه ، فيشرق في نفسه سناً إلهي ينير لبصيرته أرجاء الكون ، ويريه آيات الله في الآفاق ، وكان إلى ذلك مولعاً بقرآن الفجر قال تعالى:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾

]سورة الإسراء: ٧٨[

فإذا أقبل الهزيع الأخير من الليل انحنى بصلبه على أجزاء القرآن ، وانطلق يرتل آيات الله البينات بصوت ندي وجرس شجي ، فتارةً يجد للقرآن حلاوةً تأخذ بمجامع القلوب وتستأثر بمكامن الألباب من خشية الله ، وأخرى يستشعر للقرآن خشعةً تُصدع فؤاده ، ولم يكن صلة اسم هذا التابعي يفتر عن العبادة هذه قط ، لا فرق في ذلك بين حله وترحاله وشغله وفراغه ، حكى جعفر بن زيد فقال : خرجنا مع جيش من جيوش المسلمين في غزوة إلى مدينة كابل – وهي الآن عاصمة أفغانستان – رجاء أن يفتحها الله لنا ، و كان في الجيش صلة بن أشيم فلما أرخى الليل سدوله ونحن في بعض الطريق حطّ الجند رحاهم ، وأصابوا شيئاً من الطعام ، وأدوا العشاء الأخيرة ثم مضوا إلى رحالهم يلتمسون حظاً من الراحة – هذا جعفر بن زيد – فرأيت

صلة بن الأشيم يمضي إلى رحله كما مضوا ، ويسلم جنبه إلى الرقاد كما فعلوا ينام ، هذا تصرف فيه إخلاص لا يريد أن يحدث ضجيجاً أنه يصلي قيام الليل ، ذهب إلى فراشه مع من ذهب ، وأوى إلى مكان نومه فقلت في نفسي : أين الذي يرونه من صلاة الرجل وعبادته ويشيعون من قيامه حتى تتورم قدماه ؟ والله لأرمقنه الليلة حتى أرى ما يكون منه ، فما إن غرق الجند في نومهم حتى رأيته يستيقظ من رقدته وينحاز عن العسكر مستتراً بالعتمة ويدخل في غابة لفاء باسقة الأشجار وحشية الأعشاب كأنها لم تطأها قدمان منذ دهر طويل ، فمضيت في إثره فلما بلغ منها مكاناً قصياً التمس القبلة ، واتجه إليها ، وكبر للصلاة ، واستغرق فيها ، فنظرت إليه من بعد فرأيته مشرق الوجه ، ساكن الأعضاء ، هادئ النفس ، كأنما يجد في الوحشة أنساً ، وفي البعد قرباً ، وفي الظلمة ضياءً منيراً ، وفيما هو كذلك طلع علينا سبع عظيم من الجانب الشرقي للغابة فما إن رأيته حتى انخلع فؤادي هلعاً حتى أصبح على قيد خطوات منه ، فوالله ما التفت إليه ولا حفل به فلما سجد قلت : الآن يفترسه ، فلما نهض من سجوده وجلس وقف السبع بإزائه وكأنه يتأمله فلما سلم نظر إلى السبع في سكون وحرك شفتيه بكلام لم أسمعه – يبدو أنه استعاذ بالله منه – فإذا بالسبع ينصرف عنه في هدوء ويعود من حيث جاء.

من اتق الله هابه كل شيء ومن لم يتقِ الله هاب كل شيء ، ولما انبلج الفجر نهض وأدى المكتوبة ثم طفق يحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع مثلها قط ، قال : " اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار وهل يجترئ أحد عبد خاطئ مثلي أن يسألك الجنة ؟ وما زال يكررها حتى بكى وأبكاني ، ثم رجع الجيش دون أن يفطن له أحد وبدا لعيون القوم كأنه بات على الحشايا – الفرش – وعدت أنا في إثره وبي من سهر الليل وفتور الجسم وخوف السَبُعِ ما الله به عليم.

ترفق صلة بن أشيم في الدعوة إلى الله:

ولقد كان صلة إلى هذا كله لا يدع سامحة من سوامح الموعظة والتذكير إلا اغتنمها ، وكان أسلوبه في ذلك أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيستميل النفوس النافرة ، ويستلين القلوب القاسية ، من ذلك أنه كان يخرج إلى البرية في ظاهر البصرة للخلوة والتعبد فكانت تمر به طائفة من الشباب أرخت للصبا عنانها فتلهو وتلعب وتسرح وتمرح ، فكان يحييهم بأنس ويخاطبهم برفق ويقول لهم : ما تقولن في قوم أجمعوا سفراً لأمر عظيم غير أنهم

كانوا في النهار يحيدون عن الطريق ليلهوا ويلعبوا وفي الليل يبيتون ليستريحون فمتى ترونهم ينجزون رحلتهم ويبلغون غايتهم ؟ ودأب على قول ذلك المرة تلو المرة فلقيهم ذات يوم وقال لهم : مقالتهم تلك فنهض شاب منهم وقال : والله إنه ما يعني بذلك أحداً غيرنا فنحن في النهار نلهو وفي الليل ننام ، ثم انحاز الشاب عن رفاقه ، واتبع صلة بن أشيم منذ ذلك اليوم وما زال في صحبته حتى أتاه اليقين.

انظر الترفق بالدعوة إلى الله ، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

]سورة آل عمران : ١٥٩[

درس لمن أراد أن يأمر بالمعروف:

ومن ذلك أيضاً أنه كان يمضي ذات نهار في ثلة من أصحابه إلى غاية له ، فمر بهم شاب رائع الشباب ، ريان الصبا ، قد أطال إزاره حتى جعل يجره على الأرض جر الخيلاء ، فهم أصحابه بالشاب وأرادوا أن يأخذوه بألسنتهم وأيديهم أخذاً شديداً فقال لهم صلة: دعوه لي أكفكم أمره ، ثم أقبل على الشاب وقال في رفق الأب الشفيق ونبرة الصديق الحميم: يا بن أخي إن لي إليك حاجة ؟ فتوقف الفتى وقال : ما هي يا عم ؟ فقال : أن ترفع إزارك فإن ذلك أنقى لثوبك وأتقى لربك وأدنى لسنة نبيك ، هذه الموعظة بلطف ، بأدب ، بذكاء، بحكمة ، فقال الفتى في خجل : نعم ونعمة عين ، ثم بادر ورفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه : إن هذا أمثل مما أردتم ، علموا ولا تعنفوا ولو أنكم ضاربتموه وشاتمتموه لضاربكم وشاتمكم وأبقى إزاره مسدلاً يمسح به الأرض ، هذا درس لمن أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ، جاءه مرةً فتىً من فتيان البصرة فقال: علمني يا أبا الصهباء مما علمك الله فهش له صلة وبش وقال : لقد أذكرتني يا بن أخي ماضياً لا أنساه حيث كنت إذ ذاك شاباً مثلك فأتيت من بقي من صحابة رسول الله وقلت لهم" علموني مما علمكم الله ، فقالوا لي : اجعل القرآن عصمة نفسك وربيع قلبك – اقرأه وافهم أحكامه وطبقه ، واجعله

ربيع قلبك ، داوم على قراءته والتغني به – وانتصح له وانصح المسلمين به ، وأكثر من دعاء الله عز وجل ما استطعت ، فقال الفتى : ادعو لي جزيت خيراً، فقال : رغبك الله تعالى فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين التي تسكن إليه النفوس ، ويعول عليه في الدين.

عادات معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم:

كان لصلة ابنة عم تدعى معاذة العدوية وكانت هي الأخرى تابعية ، أخذت عن أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها ، ثم لقيها الحسن البصري نضر الله روحه وسمع منها، وكانت تقية نقية عابدة زاهدة ، وكان من عادتها إذا أقبل الليل أن تقول : قد تكون هذه آخر ليلة لي فلا تنام حتى تصبح ، وإذا أقبل عليها النهار تقول : قد يكون هذا النهار آخر يوم لي فلا يطمئن لها جنب حتى تمسي ، وكانت تلبس رقيق الثياب بفصل الشتاء حتى يمنعها البرد من الركون إلى النوم ، والانقطاع عن العبادة ، وكانت تحيي الليل صلاةً واقتراءً – أي التعبد بقراءة القرآن – فإذا غلبها النعاس قامت وجالت في الدار وهي تقول : أمامكِ يا نفس يوم طويل غداً تطول رقدتك في القبر ، إما على حسرة وإما على سرور ، فاختاري يا معاذة لنفسكِ اليوم ما تحبين أن تكوني عليه غداً.
وكانت هذه زوجته وأنعم بها من زوجة.

شجاعة صلة و فروسيته:

ولم يكن صلة بن أشيم أواهاً ، أواباً، عابداً فحسب وإنما كان إلى ذلك فارساً مجاهداً ، وبطلاً مجاهداً ، قلّما عرفت ساحات القتال كمياً – أي بطلاً – أشد منه بأساً أو أقوى نفساً ، أو أمضى سيفاً حتى غدا قواد المسلمين يتنافسون في اجتذابه إليهم ، كل منهم يريد أن يظفر به في عسكره ليقطف بفضل شجاعته النصر الكبير الذي يطمح إليه.
" روى جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزوة ومعنا صلة بن أشيم وهشام بن عامر فلما لقينا العدو انبرى صلة وصاحبه من صفوف المسلمين وأوغلا في جموع الأعداء طعناً بالرماح ، وضرباً بالسيوف ، حتى أثرا في مقدمة الجيش أبلغ الأثر ، فقال بعض قادة العدو لبعض : رجلان من جند المسلمين أنزلا بنا كل هذا فكيف لو قاتلونا جميعاً انزلوا على حكم المسلمين ودينوا لهم بالطاعة ، وفي سنة ست وسبعون للهجرة خرج صلة بن أشيم في غزاة له مع جيوش المسلمين

المتوجهة إلى بلاد ما وراء النهر أي في تركستان وكان في صحبته ابن له فلما التقى الجمعان وحمي وطيس المعركة قال صلة لابنه : أي بني تقدم وجاهد أعداء الله حتى أحتسبك عند الذي لا تضيع عنده الودائع ، فانطلق الفتى إلى قتال العدو كما ينطلق السهم عن القوس ، وما زال يقاتل حتى خرّ صريعاً شهيداً ، فما كان من أبيه إلا أن مضى على أثره وظل يجاهد حتى ثوى شهيداً إلى جنبه ، فلما بلغ نعيهما البصرة اتجهت النساء إلى معاذة العدوية ليواسينها فقالت لهن : إن كنتن جئتن لتهنئتي فمرحباً بكم ، أما إذا كنتن قد جئتن لغير ذلك فارجعن وجزيتن خيراً ، مادام قد قتلا في أرض المعركة ونالا شرف الشهادة فأنا ينبغي أن أهنأ بهما لا أن أعزى بهما ، هذه زوجته ، نضر الله هذه الوجوه النبيلة الكريمة ، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خيراً ، فما عرف تاريخ الإنسانية أتقى منهما ولا أنقى.

* * *

آفة السخرية:

آخر فقرة في الدرس الآفة التي نتحدث عنها من آفات اللسان هي آفة السخرية ، السخرية والاستهزاء محرم بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

]سورة الحجرات : ١١[

أية لفظة ، أو عبارة ، أو حركة ، أو تصرف ، أو مشية ، أو محاكاة ، أو إشارة، أو عبارة تؤدي إلى السخرية فهي محرمة شرعاً بنص هذه الآية ، لذلك لما سمع النبي عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة أنها قالت عن أختها صفية قصيرة قال : " يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته. "

معنى السخرية:

ومعنى السخرية : الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالتقليد في القول أو الفعل ، وقد يكون بالإشارة والإيماء ، ومرجع ذلك إلى استحقار الغير ، والضحك عليه ، والاستهانة به ، والاستصغار له وعليه ، قال تعالى:

﴿ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾

]سورة الحجرات : ١١[

وفي حق النساء:

﴿ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾

]سورة الحجرات : ١١[

كأن الله تعالى يقول : لا تدري لعلك إذا احتقرته استصغاراً له لعله يكون خيراً منك ، هذا يحرم في حق من تأذى به ، فأما من جعل نفسه مسخرةً – هكذا جاء في الكتاب –وفرح بمن يسخر به كان السخرية في حقه من جملة المزاح ، يوجد أشخاص قلة يحبون أن يضحك الناس عليهم ويستمتعون بهذا ، قال : هذا دخل في المزاح ولم يدخل في السخرية ، هو تكلم كلاماً عن نفسه أضحك القوم ، أنت لست آثماً هو يفعل هذا بنفسه ، يتحدث عن نفسه، طبعاً الإنسان إذا كان في مجلس بشكل عرضي كان راكباً سيارة عامة رجل قام وتكلم نكتة فضحك الناس فإذا ضحك ما فعل شيئاً ، ما سخر منه هو سخر من نفسه ، هذا دخل بالمزاح.

أما أن تستصغر أخاك المسلم بحيث يتأذى بهذه السخرية فهذا من باب المحرمات التي تقطع الإنسان عن ربه ، على كلٍّ كما قال عليه الصلاة والسلام:

))من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن كثر ضحكه استخف به((

]روضة العقلاء لابن حبان عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ[

إفشاء السر:

شيء آخر من آفات اللسان إفشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء ، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

))إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة((

]الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[

يحدثك حديثاً ، سمع حركة فسكت هذه الالتفاتة تعني أن هذا الحديث يجب أن يبقى سراً بينك وبينه ، هكذا المسلم ، أما بعد أن يتوسل إليك ويؤكد عليك ويقول لك : هذا الشيء بيننا بعد نصف ساعة يسمعه بالطريق ، فهذه أخلاق ليست من أخلاق المسلم ، لم يقل لك شيئاً إنما التفت التفاته تعني أن هذا الذي قاله لك سر ، طبعاً إلا إذا كان موضوع مخالفة للشرع ، لو أسرّ لك إنسان أنه سيفعل كذا بفلان والفعل مناف للدين هذا بحث آخر ، ثلاثة مجالس لا أمانة لهم ؛ مجلس فيه سفك دم حرام ، وأكل مال حرام ، أو انتهاك عرض حرام ، هذه المجالس الثلاثة ليس لها سر ، سمعت أنه سوف يأكل مال فلان اغتصاباً لا يجوز أن تسكت عنه هذا فيه حق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أداء الأمانة:

أيها الأخوة الكرام : لا زلنا في الحديث النبوي الشريف وها نحن أولاء ننتقل إلى باب آخر من أبواب رياض الصالحين إنه باب : "الأمر بأداء الأمانة" يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾

]سورة النساء: ٥٨[

حبذا لو تتبع المؤمن في القرآن الكريم مثل هذه الآيات:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

]سورة النحل: ٩٠[

فخالق الكون يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها بالعدل والإحسان ، أنت مأمور بالعدل ، أنت مأمور بالإحسان ، والآية الثانية:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾

]سورة الأحزاب: ٧٢[

تعلمون أن كلمة الأمانة لها مفهومات عديدة قد يضيق هذا المفهوم إلى ما يظنه الناس أن تعطي إنساناً شيئاً ثميناً ثم تسترده منه بعد أيام ، فهذه أمانة ، أو أن يوضع عندك مبلغ من المال وتؤديه بالتمام والكمال بعد حين فهذه أمانة ، ولكن هذا المفهوم من أضيق مفهومات الأمانة فهو يتسع ويتسع إلى أن يشمل التكليف ، نفسك أيها الإنسان أمانة في عنقك، فقد أفلحت إذا زكيتها ، وقد خبت وخسرت إذا دسيتها ، هل عرفتها بالله عز وجل ؟ هل حملتها على طاعته ؟ هل حملتها على العمل الصالح ؟ هل بينت لها حقيقة الدنيا ؟ هل عرفتها بالآخرة ؟ نفسك أمانة بين جنبيك ، لذلك ربنا عزوجل قال:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

]سورة الأحزاب: ٧٢[

فالأمانة بمفهومها الواسع أمانة التكليف أن تعرف نفسك بالله وتحملها على طاعته، وأن تعرفها بحقيقة الدنيا والآخرة من أجل أن تفلح ، وتنجح ، وتحرز المهمة التي من أجلها خلقت ، هذه أمانة التكليف وهي أوسع أنواع الأمانة.

أنواع الأمانة:

1. أمانة التبليغ:

لذلك:

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

]سورة البقرة: ٥٧[

فإذا ما عرفت نفسك بالله عزوجل ظلمتها أكبر ظلم لأنك حرمتها الدار الآخرة ، وما فيها من نعيم مقيم ، ومتعتها بالدنيا الفانية ، فإذا جاء الموت انقضت المتعة وبقي العذاب، فهذا المفهوم يضيق حتى يشمل أمانة التبليغ ، وهي الأمانة العظمى التي حملها الأنبياء ، فإذا زرت قبر النبي عليه الصلاة والسلام تقول له كما في الدعاء المأثور : "أشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغم ، وجاهدت في الله حق الجهاد. "

2. أمانة الأداء:

تضيق الأمانة إلى أمانة الأداء وهي الأمانة التي حملها العلماء " لتبيننه للناس ولا تكتمونه " تبليغ الناس الحق ، تبيين الحق كما هو من دون أن تخشى أحداً.

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّه ﴾

]سورة الأحزاب:٣٩[

لأنك لو خشيت غير الله لسكت عن الحق ولتكلمت بالباطل ، فإذا سكت عن الحق وتكلمت بالباطل فماذا بقي من تبليغ أمانة الرسالة أو أمانة الأداء ؟ أمانة التكليف.

3. أمانة التكليف:

أمانة التكليف ، يحملها كل إنسان على وجه الأرض ، أمانة التبليغ يحملها الأنبياء " إن عرضنا الرسالة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها " أمانة التبليغ العظمى حملها الأنبياء ، أمانة الأداء حملها العلماء.

4. أمانة الولاية:

أمانة الولاية : سيدنا عمر بن عبد العزيز عندما دخلت عليه زوجته فاطمة رأته يبكي قالت له : ما يبكيك ؟ قال : إني فكرت في الفقير والجائع واليتيم والأرملة والشيخ المقهور وابن السبيل وهؤلاء جميعاً فعلمت أن الله سيحاسبني عنهم جميعاً.

5. أمانة التولية:

هناك أمانة التولية ، عندما وكل سيدنا عمر والياً وقال له : ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ فقال : أقطع يده ، قال : إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عارٍ أو عاطل فسأقطع يدك ! إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، يا هذا إن هذه الأيدي خلقت لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

6. أمانة الواجب:

يضيق هذا المفهوم من أمانة التكليف ، إلى أمانة التبليغ ، إلى أمانة الولاية ، إلى أمانة التولية ، إلى أمانة أداء الواجب ، كل واحد منا في عنقه أمانة واجبه : أنت طبيب فهذا المريض أمانة في عنقك ، هل حرصت على شفائه من مرضه أم على ابتزاز ماله ؟ هذا الموكل أمانة في عنق

المحامي ، هذا الطالب أمانة في عنق أستاذه ، هذا الإنسان أمانة في عنق صاحب المتجر ، هل أعطاه سلعة جيدة ؟ هل غشه أم كذب عليه..؟ فهذا أمانة أيضاً ، الطفل أمانة في عنق والديه ، الأم أمانة في عنق الأب والابن ، هل عالجها علاجاً صحيحاً ؟ هل اختار لها طبيباً جيداً وسهر على راحتها ؟ فمفهوم الأمانة واسع جداً هذا المفهوم يكاد يستغرق كل شيء.

7. أمانة المجالس:

أمانة المجالس هذه أمانة ، كما قيل : المجالس بالأمانة ، النبي الكريم علمنا أنك إذا حدثك إنسان وسمع وقع خطوات فالتفت فهذ الحديث أصبح أمانة ، معنى ذلك أنه حريص على أن يبقى بينك وبينه سراً ، الأم والأب أولادهم أمانة في عنقهم ، الجار أمانة في عنق جاره ، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه:

((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي رواية أخرى:

((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فالآية هنا بمعنى العلامة ، فعلامة المنافق ثلاث ، العلامة الدليل ، ما دليل أن عنقود العنب قد نضج؟ كان أخضر وأصبح أصفر ، عرف من لونه ، ما دليل أن هذه الفاكهة قد نضجت ؟ لونها أو طعمها ، هناك علامات على كل شيء ، ما علامة المنافق ؟ أنه إذا حدث كذب ، ما علامة المؤمن ؟ كما قال عليه الصلاة والسلام:

((من عامل الناس فلم يظلمهم.....))

]مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب[

دققوا في هذا الحديث:

))من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، و وعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته((

]مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب[

فالحديث يقول : إذا حدث كذب ، أي يطبع المؤمن على الخلال كلها ، إلا الكذب والخيانة ، فإن الكذب والخيانة يتناقضان مع الإيمان ، فالمؤمن قد تذل قدمه ، قد تغلبه شهوة أحياناً ، ولكنه لا يكذب ، فإذا كذب فليس بمؤمن ، وإذا وعد أخلف ، وعد الحر دين ، يقول عليه الصلاة والسلام:

))لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ((

]أحمدعن أنس بن مالك[

الدين ليس صياماً و صلاة فحسب بل معاملة ووفاء أيضاً:

ما الذي أثقل الكلمة ؟ مضمونها وسحرها وجمالها وقدسيتها وقوتها ، هناك من يعد ويخلف ، يقولون : كلام فارغ ، لكن إذا وجدت المروءة بين الناس فالكلام حقيقة وفعل والوعد دين:

......))إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ((

قد يؤتمن الإنسان على المال فيخون الأمانة ، قد يؤتمن على تربية الأولاد فلم يعلمهم العلم الصحيح ، قد يؤتمن على مصلحة المسلمين فيطعمهم طعاماً فاسداً ليحقق الربح ، قد يؤتمن على أخلاق المسلمين فيكتب لهم قصة منحطة ، فالكاتب أخلاق الشباب أمانة في عنقه ، فإذا كتب قصة ليست كما ينبغي من أجل أن تباع كميات كبيرة فهذا الكاتب خان الأمانة ، وإذا علمت الطلاب علماً غير صحيح فهذا المعلم خان الأمانة ، وإذا وصفت لمريضك دواء يسكنه بسرعة ولكنه يؤذيه فهذا الطبيب خان الأمانة ، وإذا أوهمت الموكل أنك ستربح الدعوى وفي

الحقيقة هناك اجتهاد قطعي يمنع من كسب هذه الدعوى لكنك طمعت بماله وستبلغه النتيجة بعد لحظات فهذا المحامي خان الأمانة ، إذا أخفيت عيب هذه البضاعة فقد خنت الأمانة ، فالمنافق إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، هذا الحديث متفق عليه.

...))وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم((....

فالدين ليس بالصيام والصلاة فحسب بل بالمعاملة ، والصدق ، والوفاء ، والإخلاص ، وما تخلف المسلمون إلا عندما فهموا أن الدين صوم وصلاة وليس غير. وما تقدم الأجداد والسلف الصالح إلا حينما فهموا أن الدين أخلاق ، إن شاء الله سنبقى أسابيع عدة مع هذا الباب باب أداء الأمانة ، فهو غني جداً بالأحاديث الشريفة ، نكتفي في هذا الدرس بهذا القدر من شرح حديث الأمانة ، وننتقل لبعض أحكام الصيام بمناسبة قرب هذا الشهر الكريم.

* * *

شروط وجوب صيام رمضان:

أولاً : الإسلام ، فليس على غير المسلمين صيام ، فهنا ينبع حكم ، لو زارك إنسان غير مسلم وقدمت له طعاماً جافاً فلا مانع لأنه غير مكلف بالصيام ، وإذا امتنع عن الضيافة فهذا أفضل مراعاة لك ، أما إذا هو جاهل بالدين وجاء من بلد آخر ضيف غير مكلف بالصيام ، لأنه شرط للخطاب بفروع الشريعة.

الشرط الثاني العقل شرط لوجوب الصيام ، فالمجنون أخذ الله منه ما أوهب فأسقط عليه ما أوجب ، والبلوغ بالاحتلام عند الفتى والفتاة ، أو الحيض بالنسبة للفتاة ، وإذا لم يكن بلوغاً ولا حيضاً إذا أتمّ الفتى أو الفتاة الخامسة عشرة وجب عليهما الصيام ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

))بَاب لا يُرْجَمُ الْمَجْنُونُ وَالْمَجْنُونَةُ ، وَقَالَ عَلِيٌّ لِعُمَرَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يُدْرِكَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ((

]البخاري عن علي[

من شروط وجوب صوم رمضان العلم بالوجود لمن أسلم بدار الحرب ، في أثناء حرب لنشر هذا الدين رجل محارب كافر أسلم في أثناء الحرب ، لهذا لم يعلم أن في الإسلام صياماً وهو في رمضان فإذا لم يعلم فلا شيء عليه لمرة واحدة لمن أسلم بدار الحرب ، أما لمن هو مقيم في دار الإسلام فالجهل ليس عذراً ولا يعفيه إطلاقاً ، قاعدة : " لا جهل في دار الإسلام " لأن هذا الطفل نشأ في دار الإسلام ، حضر مع والده خطباً كثيرة ، ومجالس علم ، وسمع أنهم أثبتوا رمضان ، فمستحيل إنسان يعيش ببلاد المسلمين ويجهل وجود شهر للصوم، فلا عذر للمسلم بدار الإسلام في الجهل .

موضوع العقل والبلوغ : مستحيل أن تعفي ابنك من الصيام إلى أن يبلغ الخامسة عشرة ، لابد من أن تأمره بالصيام في سن مبكرة مهما عانى من الجوع أو التعب حتى يصل إلى سن الفرض وهو قد ألف هذه العبادة . وقد قاس العلماء أن الطفل إذا بلغ عشر سنين ولم يصم يضرب قياساً على الصلاة ، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

))مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ((

]أحمد عن عمرو بن شعيب[

فالعلماء قاسوا على ذلك الصيام ، فمن كان له ابن في سن العاشرة ولم يصم عليه أن يعنفه ، ويجوز له أن يضربه ، حتى يعتاد الأمر عند بلوغه أن يصوم ، لكن عليه أن يضربه ضرباً غير مبرح .

شروط وجوب أدائه:

الصحة من المرض لقول الله عز وجل:

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

]سورة البقرة : ١٨٤[

فيصح للمريض ترك الصيام في رمضان لمرضه إلى أيام أخر ، فلو المريض كلف نفسه الصوم هل يصح صومه ؟ نعم ، ومن شروط صحة أداء صيام رمضان خلو الصائم أو الصائمة عن حيض ونفاس لأن الحائض والنفساء ليستا أهلاً للصوم ، فلا يجب الأداء على المريض الذي يضره الصوم ، ولا على الحائض و النفساء ، ولا على المسافر ، وإن كان الأفضل للمسافر والمريض أن يصوم إن كان الصوم ليس فيه مشقة عليه.

شروط صحة أدائه:

النية في وقتها لكل يوم كما تحدثنا من قبل عن النية ، وعدم الصيام في الحيض والنفاس ، والمراد ابتداء عددهما من صلاة الفجر ، لو امرأة شعرت نفسها أنها حائض بعد الفجر تفطر ، أما أن تتوقع أنها حائض فتفطر قبل أن تتأكد من حيضها فهذا لا يجوز أبداً ، أو ولدت بعد الظهر عندها تفطر ، ولا يشترط لصحة الصوم الخلو من الجنابة ، الجنابة لا تفسد الصوم ، ولكن ينبغي أن يغتسل الجنب في أسرع وقت لأداء الصلاة ، فالجنابة تتناقض مع الصلاة ، لكن مع الصوم يصح للجنب صومه ، لو إنسان نائم في أثناء النهار فاحتلم صيامه صحيح ، ولكن يغتسل من أجل إزالة الجنابة.

الأعذار الموضحة للفطر:

1. المرض:

الآن الأعذار الموضحة للفطر ، فالعذر الأول المرض ، هناك تفصيلات دقيقة في المرض لقول الله تعالى:

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

]سورة البقرة : ١٨٤[

خفف الله عن المريض بإباحة الفطر أيام المرض مع قضائها في أيام الصحة ، فلو كلف المريض نفسه وصام صح صومه كما أسلفنا من قبل ، ما هو المرض الذي يصح لصاحبه أن يفطر به ؟ المرض الذي يضر معه الصوم ، إنسان يده مكسورة وجبرها ليس لها علاقة بالجهاز الهضمي ،

فالمرض الذي يضر معه الصوم ، أو يزداد بالصوم ، أو يتأخر الشفاء بالصوم ، أو يحصل بالصوم مشقة شديدة لا تحتمل ، عادة هذا هو المرض الذي يجوز معه أن تفطر ، وإذا غلب على الظن الصحيح ، الآن متى يفطر المؤمن بحجة المرض ؟ قال: إذا غلب على ظنه أي بالمئة تسعون ، فلدينا كما تعلمون شك ووهم وظن ، فلو أنك تؤمن بوقوع هذا الشيء بالمئة ثلاثون هذا اسمه شك ووهم ، بالمئة سبعون اسمه ظن ، أما أغلب الظن بالمئة تسعون ، فإذا غلب على ظن الصحيح أنه إذا صام سيحصل له مرض شديد ، كيف يغلب على ظنه ؟ قال : بتجربة سابقة ، مريض مصاب بالقرحة ، وصام بالعام الماضي والقرحة تفاقمت ، وتألم ألماً شديداً هنا غلب على ظنه بتجربة سابقة ، أو بإخبار طبيب مسلم مؤمن صادق تقي حاذق ، متى يجوز للمريض أن يفطر ؟ إذا غلب على ظنه أن هذا المرض يفسده الصوم ، يؤخر شفاءه أو يزيده أو يضره ، وعليه القضاء ، أما الطبيب غير المسلم فيقول لك : عليك الإفطار ، أو طبيب غير حاذق ، فالطبيب المسلم إذا أخبرك بأن هذا المرض يضره الصوم يجب أن تفطر ، أما ظن الصحيح فأساسه ضعف الإرادة وقلة العزيمة والوهم لأن جسمه لا يحتمل الصيام ، وأنه سيصاب بمرض بسبب الصوم فلا عبرة لظنه ، أنا شاعر أن جسمي لا يتحمل ، هذا أساسه التفلت من الفريضة وقلة الورع.

أحياناً تقول لك المرأة : انزعجت ومللت من الحجاب ، لكن هذا لا يكفي لأن تكشف نفسها ، فضعاف الإرادة والعزيمة يتعلقون بأتفه الأسباب حتى يخرجون من هذه الفريضة ، لكن الجواب الصحيح أن هذا الصحيح الذي لم يغلب على ظنه أن هذا الصوم يؤذيه ، ولم يبلغه طبيب مسلم حاذق وتقي يصوم ، فإذا شعر بعد ساعات من الصيام أنه قد انهارت قوته فعلاً عندئذ وجدت التجربة فيفطر .

قد يصيب بعض الأفراد أمراض مزمنة أي أمراض لا شفاء لها حتى الموت فكل الأمراض المزمنة التي لا يرجى شفاؤها أو التي يتعذر معها الصوم هؤلاء يفطرون ، ويدفعون فدية عن كل يوم نصف صاع من القمح ، أي ثلاثة آلاف وثمانية جرامات عند علماء الحنفية ، أي أربعة كيلو من القمح كل يوم ، هذا نصف صاع ، فعليه دفع ثمن كيلين من القمح ، هذه فدية من يفطر برمضان بسبب مرض مزمن ، ويجوز أن يستبدل القمح بالثمن في العملة الدارجة ، لكن القمح مدعوم من قبل الدولة يا ترى بسعر الحر أم الحقيقي ؟ أعتقد السعر الحر هذا غير حقيقي ، كما يجوز دفعها

لفقير واحد ، ومن لم يقدر على الفدية لفقره يستغفر الله تعالى فقط ، إذاً عليه أداء هذه الأيام التي أفطرها ، وما دفعه من فدية يعد صدقة ليس غير ، إذا استمر المرض حتى الموت فالفدية فدية ، أما إذا الإنسان مضى عليه فترة شفاه الله عز وجل فهذه الفدية تصبح صدقة ، وعليه أن يقضي ما أفطر من رمضان.

2. **الإكراه الملجأ بقتل أو قطع عضو أو ضرب مبرح:**

متى يفطر الإنسان؟ قال : الإكراه الملجأ بقتل ، أو قطع عضو ، أو ضرب مبرح ، إذا الإنسان كان بظرف فإذا قتلوه أو قطعوا أحد أعضائه هذا شيء مستحيل أساساً لكن من باب الافتراض ، أو عذبوه تعذيباً شديداً له أن يفطر ، فإذا صام عاتبوه بذلك ، وأخذوا عنه فكرة معينة ، يجب أن يتواجد الخوف من الموت ، أو فقد أحد الأعضاء ، أو التعذيب الشديد ، في مثل هذه الحالة يباح للمسلم أن يفطر.

3. **الشيخوخة:**

الشيخوخة : وهي العجز الذي يصيب الرجل والمرأة بسبب كبر السن فيعجز عن الصوم إلا بمشقة ، يجوز له الفطر على أن يدفع عن كل يوم يفطره فدية بثمن كيلييّن من القمح بالسعر الحر تعادل نصف صاع من القمح ، ولكن بشرط دوام العجز إلى الموت لقوله تعالى:

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

]سورة البقرة : ١٨٤[

4. **الحمل و الإرضاع:**

أما الحمل والإرضاع فالمرأة إذا حملت أو أرضعت بحاجة ماسة إلى التغذية لتقدم الغذاء لجنينها أو رضيعها ، لذلك أباحت الشريعة السمحاء للحامل والمرضع إذا خافتا ، فهناك امرأة حامل بنيتها قوية جداً ، وتأكل على السحور كمية جيدة من الطعام ، وعدد ساعات الصوم قليلة في الشتاء فلا حاجة لفطورها ، ولكن يوجد امرأة طبيعتها ضعيفة ، ينقصها الكلس ، أو فقر الدم

و هي حامل ، فمثل هذه المرأة الحامل أو المرضع إذا خافت على جنينها أو رضيعها لها أن تفطر ، يقول عليه الصلاة والسلام:

))إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلاةِ ، وَعَنِ الْحَامِلِ أَوِ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوِ الصِّيَامَ((

]الترمذي عن أنس بن مالك[

هذا الحديث رواه الخمسة .

على هذه المرأة التي أفطرت لعذر ما القضاء عند القدرة بدون فدية.

5. الحائض و النفساء:

والحائض والنفساء لا يصح الصوم منهما بل يجب عليهما الفطر والقضاء بعد انتهاء الحيض والنفاس ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

))كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَلا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاةِ((

]مسلم فعن عائشة رضي الله عنها[

6. الاستحاضة:

أما المستحاضة : فالحيض غير الإستحاضة ، الإستحاضة تعني رؤية دم فاتح اللون لوجود عرق منقطع كما قال علماء الطب ، هذه مستحاضة تتوضأ لكل صلاة ، وعليها أن تصوم رمضان ، وفي درس آخر إن شاء الله تعالى نتحدث عن السفر وما يتبعه من أحكام تفصيلية.

*** * ***

عمر بن عبد العزيز:

والآن إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه ، والي خراسان استأذنه أن يسمح له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً له في رسالته :" يا أمير المؤمنين إنه لا يصلحهم إلا

السيف والسوط " فكان رد التقي الحازم : "كذبت بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين ، يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها"

من قال لك : إنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ؟ قال له : كذبت بل يصلحهم العدل والحق ، لأن بنية الإنسان واحدة في كل مكان وزمان ، كانت لهذا الخليفة عزيمة تقطع الجبال ، قال مرة : " والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل إلا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد " فالمؤمن كلما ارتقى إيمانه يتمنى أن ينتشر الحق بين الناس ، لذلك تراه حريصاً حرصاً لا حدود له على نشر الحق فهذا الخليفة يقول : " لو لم ينهض الحق ولم يدحض الباطل إلا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد ، و والله لو لبثت فيكم خمسين عاماً ما أقمت إلا ما أريد من العدل " أي ثابت على مبدئه لا يتزحزح .

دعنا نفرض أنك أب ، إذا كنت أباً قوياً قي البنية والمال والمكانة الاجتماعية من كل النواحي ، وعندك ابن في البيت ، وأصدرت تعليمات لهذا الابن كي ينفذها ، هل تعلم كيف يستطيع أن ينفذها ؟ هناك طريقان : استعمال القوة أو استعمال القدوة ، فاستعمال القوة سهل لو خالفها لقصمت ظهره و أنزلت به العقاب الأليم ، لكنك إذا كنت له قدوة نفذ هذه التعليمات عن طيب خاطر وعن تقليد لك ، لذلك سيدنا عمر بن عبد العزيز أراد أن يحمل الناس على الطاعة وعلى الاستقامة ليس عن طريق القوة بل عن طريق القدوة.

النبي قدوة لنا في كل أعماله و تصرفاته:

لذلك النبي الكريم جعله الله قدوة ، فلو لم يكن لنا قدوة في كل المجالات لما جعله الله قدوة ، الفقير يقول لك : الفقر لا يحتمل ، من قال لك إن النبي كان غنياً ؟ دخل إلى بيته مرة فقال : ماذا عندكم من طعام؟ لم يكن في البيت شيء من الطعام قال : فإني صائم ، أذاقه الله الفقر فكان متجملاً وصابراً وراضياً ، أذاقه الله الغنى قال له : لمن هذا الوادي يا محمد ؟ قال : هو لك ، قال : أتهزأ بي ؟ قال : لا والله هو لك ، قال : أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، أذاقه الله الفقر فصبر ، أذاقه اله الغنى فأعطى وشكر ، أذاقه الله الضعف في الطائف ، فإذا كان لحياة النبي خط بياني فالخط قد هبط إلى النهاية الصغرى ، إلى الحضيض

وهو في الطائف ، كذبوه ، عارضوه ، استهزؤوا به ، سخروا منه ، أغروا به سفهاءهم ، ألجؤوه إلى حائط ، ماذا قال ؟ قال : " إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي ، أذاقه الله الهوان فأعلن شكواه وتضرعه إلى الله عز وجل ، وفي فتح مكة أذاقه الله القوة فدخلها مطأطئ الرأس ، دخول المتأدبين الشاكرين ، ولم يدخلها دخول المتجبرين المتكبرين ، ذاق الفقر ، وذاق الغنى ، وذاق الضعف ، وذاق القوة ، وأذاقه الله موت الولد ما ولول و ضرب نفسه قال:

))تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، لَوْلا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ ، وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ ، وَأَنَّ الآخِرَ تَابِعٌ للأَوَّلِ لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ((

]ابن ماجة عن أسماء بنت يزيد[

أكمل موقف ، وأذاقه موت الزوجة ، وأذاقه ترك الوطن ، جاء صحابي اسمه أصيل وصف له مكة ، وكان قد هاجر منها في أيام الربيع فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال : " لا تشوقنا يا أصيل" فترك الوطن صعب ، اللهم آمنا في أوطاننا ، أذاقه الله موت زوجته السيدة خديجة التي كانت تكبره بخمسة عشر عاماً وبقي معها ربع قرن ، نحن إذا كبرها بسنتين ، لا يتحمل يقول : كبرت وعجزت علي ، هذه شريكة حياتك ، أين الوفاء والمحبة ؟ كل الحياة سرور ؟ الحياة مكارم أخلاقية ، فلما توفيت وكان في مكة المكرمة فاتحاً دعي لبيوت أصحابه فقال : " انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة وفاءً لها " ، والسيدة عائشة شابة صغيرة جميلة من أجمل الزوجات قالت له : " ألم يبدلك الله خيراً منها؟ قال : لا والله ، لا والله ، لا والله " هذه كلها دروس لك.

حمل الناس على طاعة الله عن طريق القدوة لا القوة:

سيدنا عمر بن عبد العزيز أراد أن يحمل الناس على طاعة الله لا عن طريق القوة بل عن طريق القدوة ، وأنت كمعلم أو أب أو مدير دائرة عندك موظفون تسلك معهم طريقين استخدام القوة في حملهم على طاعتك ، أو استخدام القدوة ، كن قدوة لهم هي أفضل طريق في التعامل مع الناس ، النبي الكريم كان في بيته زوج كامل ، سألته مرة السيدة عائشة : "كيف حبك لي ؟ قال : كعقدة الحبل ، وتسأله من حين لآخر : كيف العقدة يا رسول الله ؟ يقول : على حالها " وذات

مرة غضبت السيدة عائشة غضباً شديداً فقال لأولاده : " غضبت أمكم – غضبت أمكم " فإذا كانت زوجتك غضبانة لا تثيرها ، وتزيد عليها بل اخرج من البيت كله حتى لا تخلق المشاكل ، هكذا علمنا الرسول صلى الله عليه و سلم ، إذا غضبت فاسكت ، فالنبي كان في بيته مشكلات وهو قدوة لنا ، فإذا دخل بيته دخله بسّاماً ضحاكاً ، كان ألين الناس ، وكان يخصف نعله ، و يرفو ثوبه ، ويحلب شاته ، وكان في مهنة أهله ، و لم يذم طعام قط ، ما رئي ماداً رجليه قط ، إذا صافح إنساناً أبقى يده في يد المصافح حتى يسحب المصافح يده ، فكان قدوة لنا ، لذلك فعل في أصحابه فعل السحر ، وأحبه أصحابه حباً يفوق حبّ التصور ، وأنت كأب عود نفسك أن تكون قدوة بكل شيء فتجد الأهل انضبطوا.

عمر بن عبد العزيز قدوة لكل الناس:

لسيدنا عمر كلمة قال : " الوالي ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، وأنا الركن الرابع " فهناك أركان الوالي أي المحافظ ، والقاضي ، العدل أساس الملك ، وصاحب بيت المال ، والخليفة ، دائماً كلمته الشهيرة : " لست إلا كأحدكم ، ولكنني أثقلكم حملاً " فالشعور أنه كأحد هؤلاء الناس .

عاد يوماً لداره بعد صلاة العشاء ولمح بناته الصغار فسلم عليهن كعادته وبدلاً من أن يسارعن نحوه بالتحية كعادتهن رحن يغطين أفواههن بأكفهن ، و يتبادرن الباب ، فسأل ما شأنهم ؟ فأجيب : بأنه لم يكن لديهن ما يتعشين به سوى عدس وبصل ، فكرهن أن يشممن من أفواههن ريح البصل فتحاشينه لهذا ، فبكى أمير المؤمنين وقال يخاطبهن" :

يا بناتي ما ينفعكن أن تعشين الألوان والطايب ثم يذهب أبوكم إلى النار " فإذا أكلتم هذا الطعام الخشن ودخلت أنا الجنة أفضل من أن تأكلوا أطيب الطعام وأدخل أنا النار.

زوجته فاطمة بنت الخلفاء الكبار ، وتملك الجواهر والحلي من الدرجة الأولى فقال لها مرة : يا فاطمة إنك لتعلمين من أين أتاك أبوك عبد الملك بن مروان من هذه الجواهر فهل لك في أن أجعلها في تابوت أضعه في أقصى بيت المال وأنفق ما دونه فإذا خلصت إليه أنفقته في حاجات المسلمين ؟ فأعطته كل الحلي ، ووضعها في بيت مال المسلمين .

عندما دخل سيدنا عمر على قوم وقفوا له فغضب غضباً شديداً وقال : " إنما يقوم الناس لرب

العالمين."

رجل قال له يوماً : يا خليفة الله في الأرض ، فأصابته الرعدة والرجفة وصرخ في الرجل ما هذا يا رجل ؟ إني عندما ولدت أسماني أهلي عمر ، فلو ناديتني يا عمر أجبتك، ولما كبرت اخترت لنفسي كنية فكنيت أبا حفص ، فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك ، ولما وليتموني أموركم سميتموني أمير المؤمنين ، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك ، وأما خليفة الله في الأرض فلست كذلك ، إنما خلفاء الله في الأرض رسله وأنبيائه ، لا تتجاوز حدك.

مرة أرسل لكل أمير وأميرة بعض المال من أمراء بني أمية يدبرون به أمرهم ، ويستقبلون به حياتهم الجديدة الخشنة ، ويبدو أنهم في السابق كانوا يأخذون أربعين ألف دينار سنوياً لكن عمر قبل بمئتي دينار في السنة كلها ، وهذه الأموال أخذها من قطعة أرض اشتراها من ماله الحر ، وأعفى نفسه من كل ما يعطى الخلفاء من قبله ، فأرسل لكل أمير وأميرة بعض المال فتنادوا واجتمعوا وقرروا أن يوفدوا إليه صديقاً له يرجوه باسمهم أن يرفع لهم هذا العطاء ، فكان جوابه لهذا الصديق : والله لقد ندمت على هذا الذي أعطيته لهم ، وإني لأعلم أن في المسلمين من هو أحق به وأحوج إليه منهم ، عاد مبعوثهم إليهم يقول لهم : " يا بني أمية لا تلوموا إلا أنفسكم فقد عمدتم إلى صاحبكم عبد العزيز بن مروان فزوجتموه حفيدة عمر بن الخطاب فجاءكم بعمر بن الخطاب ملفوفاً في ثياب عمر بن عبد العزيز فلا تلوموا إلا أنفسكم " هذا الإمام الخليفة هو عمر بن الخطاب أساساً لكن ملفوف بثياب عمر بن عبد العزيز.

مرة وجه الولاة بكلمة قال فيها : "كونوا في العدل والإصلاح والإحسان بقدر من كانوا قبلكم في الظلم والفجور والعدوان."

ووجه الناس قائلاً لهم : " إني قد وليت عليكم رجالاً لا أقول أنهم خياركم ولكني أقول إنهم خير ممن هم شر منهم."

وأرسل وصية لأحد ولاته قائلاً : " أما بعد : فإن من ابتلي من أمر السلطان بشيء فقد ابتلي ببلية عظيمة ، فنسأل الله عافيته وعونه ، وإني أدعوك أن تقف نفسك في سرك وعلانيتك عند الذي ترجو به النجاة من ربك ، تذكر ما سلف منك من خطأ فأصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك ، ولا يمنعنك من ذلك قول الناس ، وكن لمن ولاك الله أمرهم ناصحاً لهم في دينهم

وأعراضهم ، واستر كل عوراتهم ، واملك زمام نفسك تجاههم إذا هويت أو إذا غضبت ."

هذا الفصل عنوانه : " القدوة "، كان قدوة صالحة لولاته ، ولكل الناس ، وفي درس آخر إن شاء الله تعالى سنتحدث عن الشورى التي آمن بها هذا الخليفة العظيم ، وردتني أسئلة إن شاء الله تعالى أجيب عنها في الدرس القادم.

والحمد لله رب العالمين

فضل الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الاستعداد لشهر رمضان:

أيها الأخوة الأكارم : ليست مفاجأة أن تتوقعوا أن يكون موضوع هذا الدرس الاستعداد لشهر الصيام لأننا ويغلب على الظن أن غداً صيام ، دخلنا في عبادة منذ آذان المغرب ، والذي يلفت النظر أيها الأخوة كما قيل أو كما ورد في الأثر أن المنافق كالناقة عقلها أهلها ثم أطلقوها فلا تدري لا لما عقلت ولا لما أطلقت .

أي إذا الإنسان دخل في الصيام وخرج من الصيام ، صام مع الناس لا يدري لا لما صام ولا لما أفطر ، ففي نص هذا الحديث إنه منافق ، مثل المنافق كالناقة عقلها أهلها ثم أطلقوها فلا تدري لا لما عقلت ولا لما أطلقت ، الإنسان مخلوق راق ، مخلوق مكرم ، وأعظم ما كرمه الله به العقل ، والعقل لا يقبل أن خالق الكون يأمرك أن تمتنع عن الطعام لشهر ثم تأكل وهذا واقع معظم المسلمين هم هم ، مخالفاتهم مخالفاتهم ، لهوهم لهوهم ، اختلاطهم اختلاطهم ، نظراتهم نظراتهم ، استماعهم استماعهم ، كسبهم كسبهم ، إنفاقهم إنفاقهم ، انحرافاتهم انحرافاتهم، يأتي رمضان يصومون كما يصوم غير البشر جوع وعطش ، ويأتي المغرب فيفطرون ويمضون السهرة كما يشتهون ويتسحرون ثم ينامون وهم عند بعضهم صائمون ، بينما المؤمن يسأل نفسه هذا السؤال : الله جل جلاله غني عن عبادةٍ تبدأ بترك الطعام وتنتهي بتناوله.

إذاً بشكل أو بآخر لما ربنا عز وجل قال:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

]سورة البقرة: ٦٣[

كلمة

﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾

أي قفوا على حكمته ، اعرفوا أبعاده ، مدلولاته ، أهدافه البعيدة ، الإنسان حينما يغفل عن الأهداف الكبرى التي من أجلها شرعت العبادات لا يحقق العبادات إطلاقاً ، كنت أقول هذا المثل كثيراً : الإنسان لو سافر واستيقظ في أول صباح في هذه البلدة البعيدة النائية يوجد سؤال كبير لماذا أنا هنا ؟ إن كنت جئت هذه البلدة للتجارة ، الحركة في اليوم التالي بعد تناول طعام الفطور على حساب الفندق طبعاً يتحرك إلى المعامل والمؤسسات ، وإن جاء سائحاً يتحرك نحو المقاصف والمتنزهات ، وإن جاءها طالب علمٍ يتحرك نحو المعاهد والجامعات ، فحركتك في هذه المدينة لا تصح إلا إذا عرفت الهدف.

رمضان شهر التوبة و الصلح مع الله:

الآن حركتنا في شهر رمضان لا تستقيم ولا تصح إلا إذا عرفنا لماذا نحن في هذا الشهر ؟ أو لماذا أمر الله بالصيام ؟ هذه المقدمة أود منها أن أصل إلى أننا في شهر عظيم شهر المغفرة ، لا تنسوا النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال : صعد المنبر درجة فقال : آمين، صعد الدرجة الثانية فقال : آمين ، صعد الثالثة فقال : آمين – له هيبته صلى الله عليه وسلم – صعد وخطب وانتهى وصلى سأله صحابي جليل يا رسول الله سمعناك أمنت وأنت على المنبر فعلامَ أمنت ؟ قال : أتاني جبريل فقال لي : رغم أنف عبد أدرك والديه فلم يدخلاه الجنة.

))رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ((

]مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

أيها الشباب انتبهوا من كان له أب وأم على قيد الحياة بإمكانه أن يدخل الجنة ببرهما ، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : " قابل الله في برها تدخل الجنة " تدخل الجنة جواب

الطلب .

قال : فلما صعدت الثانية قال لي جبريل : رغم أنف عبد ذكرت عنده ولم يصلِ عليك.

))رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ قَالَ رِبْعِيٌّ وَلا أَعْلَمُهُ إِلا قَدْ قَالَ أَوْ أَحَدُهُمَا((

]أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

وفي الدرجة الثالثة جاءه جبريل فقال : رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له إن لم يغفر له فمتى ؟

يوجد واحد منا لا يوجد له مع الله عهد ؟ هذا شهر العهد ، شهر التوبة ، شهر الصلح مع الله ، أحياناً فيما يسمى بالانزلاق ، هذا رمضان يرقينا درجة أو درجات فمن كان عاصياً يرتقي إلى الطاعات ، ومن كان طائعاً يرتقي إلى الإخلاص ، ومن كان مخلصاً يرتقي إلى الذوق ، ومن كان ذائقاً طعم الإيمان يرتقي إلى الشهود ، ثم يرتقي إلى الإحسان ، أي أنت اليوم أمام قفزة نوعية.

الهدف من شهر رمضان التفرغ و الالتزام:

الحقيقة أنا تأخرت عليكم بسبب أني كنت في تعزية في الحجر الأسود ، أخ كريم من أخواننا الكرام توفي أخوه فجأةً ، فالواجب أن نعزي وهو مكان بعيد ، والمواصلات صعبة ، وهناك ازدحام في السير ، على كل في الطريق قلت لأحد أخواننا : ما رأيت في حياتي تاجراً يبيع البضاعة ويشحنها ويسجلها ويتحمل مشقة تسويقها وإذا جاء وقت قبض الثمن يقول لك : والله لا يوجد لدي وقت فراغ اعذرني ، بربكم هل سمعتم في تاريخ التجارة عن تاجر يعتذر بضيق الوقت عن قبض ثمن البضاعة ، أنا أرى بالعكس ، هل رأيتم بحياتكم إنسان يعد الخمسماءات وهو غافل يكبو ؟ في القبض يوجد صحوة ، فالنبي الكريم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم قال:

))مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

]متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

قام أي التراويح وقت قبض الثمن ، أنت في النهار ضبطت جوارحك ، ضبطت سمعك ، لسانك ، كل شعور معين إني صائم إني صائم ، لا سمعت غناء ، ولا تكلمت فحشاً، ولا تكلمت منكراً ، وتصدقت ، وقرأت القرآن صباحاً ، كل هذا التعب وكل هذا الجهد من أجل أن تقف لفترةٍ طويلةٍ طويلة بين يدي الله عز وجل تستمع إلى كتاب الله ، افتحوا إحياء علوم الدين على باب تلاوة القرآن ، الإمام الغزالي يقول : " إن أعلى درجة من ثواب القراءة أن تقرأه أو أن تستمع إليه وأنت واقف بصلاة في المسجد " أنت إذا أتيح لك أن تستمع إلى كتاب الله بأكمله يتلى عليك بصوت جلي ، ونبرات واضحة ، وأحكام توجيهية بينة ، وقلب مقبل على الله عز وجل ، هذه فرصة لا تعوض ، فلذلك أنا كنت أقول لأخواننا النبي الكريم يقول:

))ما سكنت الدنيا في قلب عبد إلا التاط قلبه منها بثلاثة : شغل لا ينفك عناؤه ، وفقر لا يدرك غناؤه ، وأمل لا يدرك منتهاه((

]ابن عساكر عن شعيب بن صالح[

دائماً يحس بالحرمان ، ودائماً يحس ويتصور الآمال ولا يبلغها ، ودائماً يغرق في أعمال لا تنتهي كلها دنيوية ، إذاً نحن نريد في هذا الشهر التفرغ ، التفرغ والالتزام ، ثم ماذا يعني أن يقول النبي قولاً كل إنسان يفهم هذا القول حسب إيمانه ؟ كلما ارتقى الإيمان فهمه بشكل آخر ، وماذا قال سيدنا سعد ؟ ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس من هذه الثلاثة أنني ما سمعت حديثاً عن رسول الله إلا علمت أنه حق من الله تعالى .

أحياناً الإنسان يتصفح جريدة يرى خبراً صغيراً في الصفحة الحادية عشرة في الزاوية السفلى على اليمين مثلاً : صرح مصدر مسؤول أنه سوف يسمح باستيراد السيارات ، كله سطرين وحجم الحرف اثنا عشر أو تسعة وحرف رفيع ، فيقف شعر بدنه لأنه اشترى خمس سيارات للتجارة ، فهذا البلاغ الصغير يخفض من سعر كل سيارة مئتي ألف ليرة ، أربعة في اثنين ثمانمئة ألف بثماني كلمات قرأهم لأنه صدق ، فإذا أنت تعاملك مع القرآن والسنة كتعاملك مع تصريح من مصدر مسؤول في جريدة يومية لكان حالك غير هذا الحال .

مرة حدثت قصة والله لا أنساها صدر بلاغ صغير أن كل سيارة رقم محركها لا يطابق رخصة السير تصادر السيارة ، فوقفت أمام مصلح سيارات فوجدت أمامه اثنتي عشرة سيارة كلهم يرجوه أن يعيد لهم المحرك الأساسي فصدرت مني عبارة وقلت : آه لو خاف الناس من ربهم كما يخافون من وزير داخليتهم لكان حالهم غير هذا الحال ، إنسان مثلك ومثله أصدر لك بلاغاً صغيراً في كلمتين جعلك تخرج من جلدك وتركض إلى المصلح وتقول له : ضع المحرك الأساسي لأن هذا الرقم لا يتطابق مع رخصة السير ، لو تعاملت مع الله بهذه الطريقة.

النية العالية محصلة إيمان عمر بأكمله:

النبي الكريم يقول وطبعاً هذا وحي لكن وحي غير متلو والقرآن وحي متلو ، عن أبي هريرة قال:

))مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

]متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

إيماناً واحتساباً أي نيةً وعزيمةً ، كل إنسان أحياناً يصوم وكثير من أخواننا التجار في الشتاء يكون عندهم موسم يقول لك : أنا تناولت طعام الغداء ؟ لا أتذكر ، لا يشعر من كثرة البيع والقبض ، يقول لك : موسم ساخن ويمكن أن يتغدى بعد المغرب ، هل هذا الإنسان صام؟ لا ما نوى الصيام والصيام عبادة ، هذا الشيء ذكرته في الخطبة ، الصيام يبدو أنه عمل سلبي لأنه يوجد عبادة قولية الأذكار والتلاوة ، عبادة مالية الزكاة ، وعبادة بدنية الصلاة ، وعبادة مركبة كالحج ، قولية بدنية مالية ، ويوجد عبادة سلبية وهي الصوم وهي امتناع عن الطعام و الشراب فقط ، لكن هذا الامتناع بنية التقرب إلى الله عز وجل ، وبهذه النية انقلب هذا الامتناع إلى عمل إيجابي .

مرة انتبهت إلى نقطة وهي أنه لو أحضرنا مصوراً ووضعنا خمسمئة في الطريق يقولون مرة أجروا تجربة وضعوا مسجلة بصندوق بريد ، وطبعاً مضبوطة من مكان بعيد ، فرجل مرّ أمام الصندوق سمع : يا أخي تعال وأخرجني ، هل هناك إنسان داخل الصندوق؟ فامتحنوا الناس كيف دخلت إلى الداخل ؟ فهذا يكون تفكيره ضعيفاً جداً ، كل إنسان ردة فعله تتغير عن الثاني ، يوجد امرأة قالت : تعالوا وأخرجوه ، مر رجل مثقف فقال له المسجل : تعال وأخرجني ، فنظر أين يوجد

توصيلات حتى وجد شريطاً يصل إلى شرفة بعيدة ففهم القصة كلها، فأحياناً الإنسان يكون فهمه عميقاً لأمر وأحياناً يكون فهمه سطحياً ، لو وضعنا في الطريق خمسمئة ليرة وصورنا ، مرّ شخص نظر وانحنى وقبضها ووضعها في جيبه ، عدناها مرة ثانية ، ربما توافقت الحركات توافقاً تاماً تاماً ، أحدهم نوى أن يعطي هذا المبلغ لصاحبه بعد البحث عنه ، والآخر نوى أن يأخذه اغتصاباً ، الحركات واحدة والتصرفات واحدة والانحناءات واحدة ، الأول يرتقي والثاني يسفل ، الأول طائع والثاني عاصي ، الأول يكرم والثاني يعاقب ، ما الفرق بينهما ؟ النية فقط ، إذاً أنت تعلم علم اليقين أن هذا الدواء يؤذي هذا المريض ، أن هذا الليمون يؤذي هذا المريض لأن معه قرحة ، فصنعت له كأس ليمون تفضل من أجل أن تزيد من مرضه ، وإنسان آخر يعلم أن هذا الدواء ينفع هذا المريض ، لو أن الدواء آذى المريض ، والليمون نفع المريض ، على الرغم من أن الليمون نفع المريض الذي قدمه له يأثم بنيته السيئة ، وعلى الرغم من أن الدواء آذى المريض لكن الذي قدمه له يرقى عند الله بنيته الطيبة ، فلذلك موضوع النية دقيق جداً ، لكن مرة قال لي أخ كريم سؤالاً سألني إياه وأضحكني قال لي : هذه النية كيف تصير ؟ فقلت له : هذا السؤال يشبه تماماً رجلاً سأل طبيباً قديماً متفوقاً ومعه اختصاص من أمريكا قال له : علمني شيء بسيط بدقيقتين كيف تكتب الوصفة ؟ فالطبيب ابتسم وقال له : هذه الوصفة كتابتها محصلة دراسة ثلاث وثلاثين سنة.

فالنية العالية بالضبط محصلة إيمان عمر ، كلما ازداد إيمانك تسمو نواياك ، مرة أخ سألني وهو خطيب مسجد قال : أحياناً أشعر أن الناس استفادوا أو أشعر أنني نجحت في الخطبة والخطبة كانت ناجحة جداً تأتيني نشوة ، هل هذه النشوة مشروعة أم غير مشروعة ؟ يا ترى من الدنيا أم من الآخرة ؟ الله سبحانه وتعالى ألهمني جواباً قلت له : يا أخي إذا أعجبك المصلون فهذا من إخلاص العالِم ، أما إذا أعجبت المصلون فهذا من شهوة العالم ، أي أنت حريص على هدايتهم ، إن رأيتهم على الطريق الصحيح ووفق السنة النبوية ، إن رأيت سمتهم حسناً ، وإقبالهم طيباً ، وإخلاصهم شديداً ، فقرت عينك بهم فهذا من إخلاص الداعية إلى الله، أما إذا فرحت لأنهم أعجبوا بك ، انتزعت إعجابهم وقد عظموك على هذا الكلام فهذه شهوة من الدنيا ، ما الذي يعجبك أن تعجبهم أم يعجبوك ؟ أن تنتزع إعجابهم أم أن تقر عينك بهم ؟ الفرق دقيق جداً إن

انتزعت إعجابهم فهذه من الدنيا أما إن قرت عينك بإيمانهم فهذا من إخلاص الداعية إلى الله عز وجل.

))مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

]متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

فمعنى إيماناً واحتساباً أي نيةً وعزيمةً ، غفر له ما تقدم من ذنبه الحديث متفق عليه ، أي الله عز وجل كريم.

الله عز وجل كريم يُكفّر الذنوب و يقبل التوبة:

بالمناسبة تصوروا ديناً لا يوجد فيه توبة ما الذي يحدث إذا لم توجد توبة ولا تكفير للذنوب ؟ إذا الإنسان وقع في معصية يئس يقول لك خربانة وخربانة ولا يوجد أمل تتفاقم أغلاطه، لكن ربنا عز وجل لكرمه قال:

))الصَّلاةُ إِلَى الصَّلاةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ ، وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ الَّذِي قَبْلَهُ كَفَّارَةٌ ، إِلا مِنْ ثَلاثٍ قَالَ فَعَرَفْنَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَدَثَ إِلا مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَنَكْثِ الصَّفْقَةِ وَتَرْكِ السُّنَّةِ ، قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا نَكْثُ الصَّفْقَةِ وَتَرْكُ السُّنَّةِ ؟ ظن قَالَ : أَمَّا نَكْثُ الصَّفْقَةِ فَأَنْ تُعْطِيَ رَجُلاً بَيْعَتَكَ ثُمَّ تُقَاتِلَهُ بِسَيْفِكَ وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ((

]ابن حجر عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

معنى هذا أن يوم الجمعة صار صلحاً مع الله ، والصلاة هذه الأخطاء والزلات والصغائر والهفوات التي ارتكبت خلال الأسبوع محيت ، وكل واحد منكم يصلي يعرف هذا الشيء ، دخل إلى المسجد توضأ وصلى إذا كان هناك مزحة لا تليق ، أو كلمة قالها وشعر أنه انحجب عن الله عز وجل بهذه الصلاة وكأن هذه الصلاة كفارةٌ لما بين الصلاتين ، هذا الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام:

))أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا((

]متفق عليه عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

فهنا الحديث متفق عليه ويوجد رواية للنسائي:

))مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ((

]النسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ[

هذا الحديث متفق عليه وهو أعلى أنواع الحديث ، إذاً أنتم دخلتم في شهر يمكن أن يغفر لكم كل ذنب سابق ، لو صمتم الصيام الذي أراده الله عز وجل وقمتم القيام التي أراده الله عز وجل ، مرة سألني أخ من أخواننا قال لي أخ من أخواننا : أسمع عالم حقيقة وعالم شريعة وعالم طريقة ، ما الفرق بين هؤلاء ؟ الحقيقة أحياناً تبقى القضايا مجردة ، والتعريفات صعبة وشائكة ومتداخلة ، أحياناً المثل يوضح ، قلت له : إنسان لا يوجد عنده بيت دخل على مهندس من كبار المهندسين أطلعه على الطابق الذي تحت الأرضي ؛ مستودعات وكراج سيارات وتدفئة مركزية شيء جميل ، أطلعه على الطابق الأرضي ؛ الأبهاء والصالونات وغرف الضيوف والزوايا ، غرف النوم مع المرافق العامة ، أطلعه على الطابق العلوي للنوم شيء جميل جداً ، غرف كلها باتجاه الجنوب غرف واسعة، شرفات جميلة ، أطلعه على مخطط الكهرباء ، أطلعه على مخطط التزيينات ، دهش هذا عالم الشريعة ، أنت بيت لا يوجد عندك والخارطة رائعة جداً ، عالم الطريقة دلك على بيت فخم قال لك : هذا البيت إذا وصلت إليه فهو لك طريقه من كذا إلى كذا ودلك على الطريق ، قال : عالم الحقيقة هو الذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى هذا القصر ، فبين أن تتطلع على خرائطه وبين أن تدل على طريقه وبين أن تدخل إليه ، طبعاً لو دخلت هذا القصر وتنعمت بما فيه من خيرات حسان هذا القصر مبني على علم وله خرائط لكن أنت الآن في قصر تتمتع بالدفء شتاءً وبالبرودة صيفاً ، وبالآرائك الوثيرة ، وبالطعام النفيس ، والشرفات الجميلة ، والمناظر الخلابة والمسليات ، أنت الآن عشت السعادة الحقيقية ، كذلك الدين ليس له مشكلة وله قضية ما دام الدين فكرة ، مطالعة ، ثقافة ، الدين مثله كمثل أي نشاط آخر ، أما لو عشت هذا

الدين ولن تعيشه إلا باستقامتك على أمر الله ، كنت أضرب مثلاً سابقاً يوجد أخوان رأوا مبلغاً ألف مليون مثلاً ، فبين أن يقال للإنسان : تفضل والفظها سهل ، لفظها سهل جداً ، دولار بالعملة الصعبة، بين أن تلفظها وبين أن تملكها والله الذي لا إله إلا هو هذه المسافة بين لفظ هذا المبلغ وقد لا تملك ثمن رغيف خبز وبين أن تملكه هي المسافة بين أن تتحدث عن الدين وبين أن تكون متديناً حقاً ، المسافة نفسها.

))إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ((

]متفق عليه عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

متفق عليه ، ومتفق عليه أعلى درجات الحديث.

من تاب إلى الله و اصطلح معه ألغى عمل الشيطان:

مرة قلت هذا الكلام يا رب أنت في رمضان تقيد الشياطين فلماذا ببقية أشهر العام يفلتون علينا ؟ الجواب : المؤمن إذا تاب إلى الله واصطلح معه ألغى عمل الشيطان ، إذا إنسان مثلاً يملك دكاناً تبيع الخمر في حي فيه مئة بيت ، مادام هؤلاء الناس يشترون من هذه الدكان فالمحل يعمل ، كلما باع بضاعته يحضر بضاعة جديدة ، لو أن هؤلاء المئة اتفقوا على أن يقاطعوا هذا المحل الذي يبيع الخمرة وما اشتروا منه إطلاقاً بعد أيام يغلق هذا المحل ، هم أغلقوه حكماً ، فكل إنسان يصطلح مع الله ويمتنع عن طاعة الشيطان حكماً قيده وصفده وألغى عمله هذا معنى الحديث.

قيمة الدعاء:

أحياناً الإنسان لا يعرف كثيراً قيمة الدعاء ، تصور إنساناً أعطاك شيكاً من دون رقم ووقع لك هذا الشيك – شيك مفتوح – في بعض البلاد القاضي يعطى شيكاً مفتوحاً ومهما طلب الرقم يقبضه ، أما إن كان القاضي مسلماً وإسلامه عميقاً مهما كان معاشه قليلاً لا يحكم إلا بالحق ، مرة أحدهم روى حديثاً وقال لي : في آخر الزمان قاضيان إلى النار وقاض إلى جهنم ، ماذا جهنم

إلى الجنة ؟ قال : لا هذا الحديث معدل ، يبدو إذا الإنسان باع دينه من أجل الدرهم والدينار فقد باع آخرته:

))ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ((

]أحمد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

هل أنتم مصدقون هذا الكلام ؟ هذا كلام النبي والحديث صحيح ، أنت صائم شاب يدعو الله يا رب هيئ لي عملاً يرضيك ، يا رب هيئ لي رزقاً حلالاً ، يا رب هيئ لي زوجة صالحة ، يا رب هيئ لي مأوى ، أنت إذا كنت صائماً فلك عند الله دعوةٌ لا ترد ، بالمناسبة يوجد مناسبات كثيرة إذا ذهبت إلى بيت الله الحرام ما إن تقع عينك على الكعبة المشرفة لك عند الله دعوة لا ترد ، إذا وقفت أمام الملتزم والتزمته كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لك عنده دعوة لا ترد.

إذا صليت الصلاة في عقب الصلاة لك عند الله دعوةٌ لا ترد ، إذا صمت رمضان للصائم عند الله دعوة لا ترد ، هل لك حاجة عند الله عز وجل أم أنت مستغن عنه ؟ ألا تحتاج إلى ألطافه الخفية ؟ ألا تحتاج إلى أن يمتعك الله بالصحة التامة ؟ ألا تحتاج إلى رزق حلال ؟ ألا تحتاج إلى وفاق زوجي ؟ ألا تحتاج إلى أولادٍ أبرار تقر عينك بهم ؟ الذي عنده أولاد يعرف هذا الكلام ، الأب إذا رأى ابنه صالحاً يشعر بسعادة لا توصف وكأنه ملك الدنيا بحذافيرها، والأب الصالح إذا رأى ابنه على خلاف الصلاح يشعر بإحباط لا يوصف ، هذا الدعاء القرآني:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

]سورة الفرقان: ٧٤[

))ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ((

]أحمد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

يوجد كلمة يقولونها عامة الناس أشعر أنها مشعر أو مقياس ، يقول لك إنسان : شكوتك إلى الله ، المؤمن يمكن ألا ينام الليل ، لما سيدنا عمر كان يتفقد رعيته في الليل ورأى عبد الرحمن بن عوف قال : امش معي نحرس هذه القافلة فلما بكي أحد الأطفال الصغار قام عمر إلى أمه وقال : أرضعيه ، يبدو أنها أرضعته لكن هي لم ترضعه فبكى ثانيةً فقام إليها ثانيةً وقال لها : أرضعيه يبدو أنها لم ترضعه فبكى ثالثةٍ فقام إليها وقد غضب قال : يا أمة السوء أرضعيه ، قالت له : وما شأنك بنا إنني أفطمه ؟ فقال : ولم ؟ قالت : إن عمراً لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام – التعويض العائلي – تروي كتب السيرة أن هذا الخليفة العادل ضرب جبهته ، صعق وقال : ويحك يا بن الخطاب كم قتل من أطفال المسلمين ؟؟

أنا أتمنى على أخواننا الكرام إذا قال لك أحدهم : أنا لا أسامحك أو شكوتك إلى الله لا سمح الله ، أو أحدهم قال إلى الآخر : الله ينتقم منك ، ضعيف قهره ، مظلوم اغتصب ماله ، أهين لا يستطيع وهو ضعيف فقال له : لا سامحك الله ، شكوتك إلى الله ، إذا كنت مؤمناً حقاً هذه الكلمة تجعلك تقفز من شدة الهلع والخوف ، أما إذا في إيمان ضعيف أم نفاق فتقول له : خير إن شاء الله:

....))وَيَقُولُ بِعِزَّتِي لأنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ((

]أحمد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[

يوجد رواية أخرى:

))قَالَ : ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ((

]الترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ[

لذلك يسن عند الإفطار أن تقول:

))عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ((

]أبو داود عن معاذ بن زهرة[

يوجد رواية ثالثة:

))ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع((

]البزار عن أبي هريرة[

وهو كتاب الترغيب والترهيب.

الترهيب من إفطار يوم من رمضان:

الآن يوجد حديث فيه ترهيب شديد من إفطار يوم من رمضان:

))مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ((

]رواه الأربعة وصححه ابن خزيمة وأخرجه البيهقي عن أَبِي هُرَيْرَةَ[

مرة هناك أخ من أخواننا أنا لا أعرفه أرسل لي رسالة ، ويبدو أنه كان في جاهلية جهلاء وارتكب الفاحشة مرات عديدة ثم تاب إلى الله توبةً نصوحة فشعر بسعادةٍ ما بعدها سعادة، يبدو أنه بعد حين زلت قدمه مرةً ثانية فشعر بشقاء لا يوصف فكتب لي رسالة ثماني عشرة صفحة ، وطلب مني أن يجلده الأخوان في المسجد – عذاب شديد – التوبة لأول مرة سهلة جداً ، أما الإنسان إذا نقض التوبة بعد أن تاب فيسقط من عين الله ، لذلك حالات البعد صعبة جداً ، حجاب الإنسان يشعر أن الطريق إلى الله غير سالك ، مسدود ، الله عز وجل أبعده عن رحمته ، هذا معنى اللعن قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

]سورة محمد : ٢٣[

أي أبعدهم عن رحمته ، الله أحياناً يرحمك ويحرمك الدنيا فأنت من أسعد الناس وأحياناً يعطيك الدنيا ويحرمك من رحمته فأنت أشقى الناس لا سمح الله ، فالعبرة أن تصيبك رحمة الله عز وجل ، رحمة الله مثل الكهرباء صعب أن نعرفها ، ولكن آثارها واضحة بالضبط ، أخي ما هي الكهرباء ؟ يوجد تعاريف دقيقة لها وكلها تعاريف فلسفية ، أما آثارها فواضحة جداً، آثار هذا الضوء هذه الحركة التبريد من آثار الكهرباء ، التكييف ، التدفئة ، حركة الآلة ، تألق المصباح ، صوت المسجلة ، هذه كلها من آثار الكهرباء أما تعريفها فصعب ، فرحمة الله عز وجل آثارها واضحة جداً من آثارها السعادة ، من آثارها الطمأنينة ، من آثارها الرضا بنصيبك من الله عز وجل ، من آثارها التوازن ، تشعر أنك مالك الدنيا وقد لا تملك قوت يومك ، هذه آثار رحمة الله عز وجل.

تصنيف الصائمين:

كلكم يعلم أيها الأخوة أن الإمام الغزالي حينما صنف الصائمين ، صنف صيام العوام هو صيام عن الطعام والشراب ، صيام جوع وعطش ، صيام عادات من عوائدنا ، وصيام المؤمنين صيام عن كل المعاصي والآثام ، وصيام الأتقياء صيام عما سوى الله ، طبعاً أنا لا أظن أن أحداً في هذا المسجد سيصوم صوام العوام إطلاقاً ، مادام هو في المسجد فهو طالب علم ، ما الذي قاده إلى المسجد ؟ إيمانه ، لكن الفرق بين صيام المؤمنين وصيام المتقين ، صيام المؤمنين ما ارتكب غلطاً ولا معصيةً أما صيام المتقين فصيام عما سوى الله ، لذلك الأخوة المؤمنون مدعوون في رمضان إلى التفرغ من الدنيا ما استطاعوا ، هذا التفرغ يمنحهم صفاءً ، نحن حياتنا المدنية معقدة متلاحقة ، يوجد هموم كبيرة ، يوجد برامج وقوائم أعمال وقوائم إنجازات لا تعد ولا تحصى ، إلا أن الإنسان أحياناً يتحرر من هذه الأعباء وتصفو نفسه ويلتقي مع ربه في هذا الشهر الكريم لذلك من السنة أن يتفرغ الإنسان من الدنيا ما استطاع.

الدليل على أن القرآن الكريم كلام الله:

أول شيء مسنون في رمضان تلاوة القرآن فنحن مثل كل سنة من عشرين سنة عندنا خطبة عن فضل رمضان ، وخطبة عن تلاوة القرآن ، وخطبة عن الإنفاق ، وخطبة عن معركة بدر ، وخطبة عن ليلة القدر ، الأولى تأتي قبل رمضان – فضل رمضان وفضل تلاوة القرآن وفضل الإنفاق

وفضل معركة بدر وفضل ليلة القدر – فالقرآن إذاً ركن أساسي طبعاً ، ركن بالمعنى المعنوي لا الفقهي من أركان هذا الشهر الفضيل .

أنا يخطر في بالي أن أخواننا الكرام لو سألوا أنفسهم هذا السؤال ، أو لو سألني رجل : ما الدليل على أن هذا الكلام كلام الله ؟ هل يوجد معك دليل ؟ هذا سؤال كبير وخطير وله آثار طيبة جداً ، من عنده جواب وأنت الآن مدعو إلى قراءة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار ؟ مدعو لسماعه بصلاة الفجر والتراويح ، مدعو للإجابة عن بعض الأسئلة ، ما الدليل على أن هذا الكلام الذي بين يديك هو كلام الله عز وجل ؟ تحقق الوعد والوعيد دليل أن هذا الكلام هو كلام الخالق ، كلما رأيت وعداً تحقق أو وعيداً تحقق ، إن رأيت المؤمن المستقيم تنعم في حياةٍ طيبة تقول : كلام الله حق ، وإن رأيت المعرض عانى من المعيشة الضنك أنت الآن تتأكد أن هذا الكلام كلام الله ، لو فرضنا مع الآلة يوجد تعليمات لو أنك فعلت كذا وكذا لتألق الضوء الأحمر وانطفأ المحرك ، سوف نجرب فعلت كذا وكذا فتألق الضوء الأحمر وانطفأ المحرك معنى هذا أن هذا الكلام كلام الصانع ، لو كان هذا الكلام لغير الصانع والوعد والوعيد لم يتحقق ، فهذا جواب لطيف ، أيضاً ما الدليل على أن هذا الكلام كلام الله ؟ إعجازه ، في القرآن يوجد إعجاز علمي ، إعجاز تشريعي ، إعجاز بياني ، إعجاز تربوي ، إعجاز إخباري ، إعجاز رياضي ، إعجاز بياني ، إعجازه دليل أنه كلام الله عز وجل ، أي البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله.

من خالف منهج الله دفع الثمن باهظاً:

لو كان من عند البشر لوجدنا فيه اختلافاً كثيراً ، أنا أقول لكم : اقرأ أي كتاب قبل خمسين عاماً لابد من أن تضحك في بعض صفحاته ، والآن تبدو مضحكة ، هل فهمتم قصدي ؟ كتاب من عند البشر قد يكون فيه أغلاط وتطور العلم يكشفها ، أنا مرة قرأت كتاباً لعالم كبير جداً عاش في العصور الوسطى فهذا العالم يقول : إن الإنسان إذا تناول الطعام بخار الطعام يصعد إلى الدماغ وكأنه يظن أن الجوف فارغ ، والدماغ موصول بالجوف ، فإذا أكل طعاماً كثيفاً صعد بخار الطعام إلى الدماغ فعطل تفكير الإنسان ، هذه الفكرة تبدو مضحكة الآن بعد أن كشف في الإنسان موضوع المعدة والأمعاء وجهاز الهضم ، دليل آخر : ما من حقيقة علمية مهما بدت متقدمةً جداً إلا والقرآن أشار إليها لأن هذا كلام خالق الكون والعلم علاقات ثابتة وقوانين

مكتشفة من قبل العلماء من خلال استقرائهم الظواهر المادية ، أي لأنه من عند الله عز وجل والله عز وجل يعرف طبيعة النفس .

سمعت قصة من يومين أن إنساناً في فرنسا جاء إلى بيته فأطلق النار على زوجته ثم على ابنه ثم انتحر ، فالقصة مفادها أن هذه الزوجة تعمل في شركة ويبدو أن لها علاقةً مع مدير هذه الشركة هذه العلاقة اكتشفها زوجها ولم يستطع أن يصرفها عن هذه العلاقة فغلت نفسه بفعل فطرته فأطلق عليها النار وقتلها مع ابنها وخاف أن يحاسب فقتل نفسه.

حينما نخالف كلام الله عز وجل في علاقاتنا ندفع الثمن باهظاً ، الله عز وجل فطر الإنسان فطرة عالية فلما أمر الزوجة بالحجاب ، وأمر الرجل بغض البصر ، ومنع كل المزالق التي يمكن أن تقع من الاختلاط ، معنى ذلك أن هذا توجيه خالق الكون ، أنت تشعر أن كل مجتمع يخالف منهج الله عز وجل يشقى ويدفع الثمن باهظاً ، قال تعالى:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

]سورة طه: ١٢٣[

هذه الأسرة شقيت ، ويوجد أسر مطبقة للدين ناجحة جداً في سعادة ووفاق ، في نوع من أنواع المودة البالغة ، والسكن ، والوفاء ، والحب ، والوفاق لأنها طبقت منهج الله عز وجل ، أنا لي عبارة أقولها في كل عقد قران أقول أيها الأخوة الأكارم : ما من زواجٍ بني على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح إلا ويتولى الشيطان التفريق بين الزوجين ، وما من زواج بني على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه إلا ويتولى الله إلى التوفيق بين الزوجين ، هذه قاعدة ثابتة إذا زواج بني على طاعة الله فهذا الزواج بني على معصية الله انتهى بجريمة وانتحار ، مادام يوجد اختلاط ، خيانة زوجية ، إنسان يغار وامرأة حينما التقت برجل أجنبي مالت إليه ومال إليها على حساب إخلاصها لزوجها هذه هي النتيجة.

من كان مع الله كان في سلام مع نفسه و مع من حوله:

لذلك الله عز وجل من أسمائه السلام ماذا يعني السلام ؟ اسم السلام إذا أطعته أنت في سلام ، في سلام مع نفسك ، المؤمن يوجد عنده شيء لا أحد يعرف ، قيمة مشاعر المؤمن أنه راض عن نفسه ، لا يوجد عنده انهيارات داخلية ، أو اختلال توازن ، الإنسان إذا سقط من عينه ، إذا كذب كذبة واحدة ولو لم يكشفها أحد إطلاقاً يسقط من عين نفسه ، إذا غيّر في الحسابات ، إذا أكل درهماً حراماً ، إذا غش ، لو أن الناس ما كشفوه أبداً لكنه حينما يكشف نفسه يسقط من عين نفسه ، أحد أسباب السعادة أن تحترم نفسك ، أنت صادق ولو كنت فقيراً ، ولو كنت ضعيفاً ، ولو كنت خامل الذكر ، ولو كنت مريضاً لا سمح الله ، ولو كنت عاجزاً ، حينما تشعر أنك منسجم مع مبادئك محققٌ لمراد الله تشعر أن الله راض عنك.

أنا مرة كنت في عقد قران قام أحد العلماء وألقى كلمة ، وذكر فيها حديثاً ، والله الذي لا إله إلا هو حتى هذه الساعة لا أنسى هذا الحديث ، الحديث معروف سيدنا النبي خاطب سيدنا معاذ قال له : " والله يا معاذ إني لأحبك " رأيت هذه الكلمة كبيرة جداً ، نبي عظيم يحب هذا الإنسان ، أنت أيها الأخ الكريم ألا تسعى إلى أن يحبك الله عز وجل ؟ ألا يوجد عندك هذه الغيرة ؟ ألا ترجو رحمة الله عز وجل ؟ ألا ترجو مودته ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾

]سورة مريم : ٩٦[

ألا ترجو أن تكون في موضع يحبك الله فيه ؟ ألا ترجو أن تكون حيث أمرك ؟ ألا ترجو أن يفتقدك حيث نهاك ؟ ألا يوجد عندك رغبة أن تتقرب من الله ؟ ألا يوجد عندك رغبة أن تطلب وده ، فلذلك السلام إذا كنت مع الله عز وجل فأنت في سلام مع نفسك ، وفي سلام مع من حولك ، وفي سلام مع ربك ، لذلك قال تعالى:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

]سورة المائدة : ١٦[

أحياناً الإنسان يسأل محامياً يقول له : اعمل عقداً ، يقول له :عملنا عقداً في محكمة البداية لا يوجد داعي لأنه جاء الطرف الثاني ووقع أمام القاضي ، لا يستطيع أن يقول: هذا ليس توقيعي إذا قال ليس توقيعي تذهب الدعوى ثمان سنوات ، خبراء في التوقيع وفي الحبر، أما إذا وقع أمام قاضي البداية فلا يستطيع أن يقول لك : هذا ليس توقيعي ، فإذا الإنسان سأل أخاً محامياً مخلصاً كل قضية قال له : اعمل عقداً ، خذ براءة ذمة ، اعمل تصريحاً سجله في التأمينات مثلاً ، كلما نشأت مشكلة أخذ له الاحتياطيات كأن هذا المحامي دله على طريق الراحة ، لو كان هناك أخطاء أو تقصيرات دخل في متاهة أنه أنكر المبلغ ، دخل في متاهة أنه أنكر العقد ، دخل في متاهة أقيمت عليه دعوى ، فالإنسان مع محام من بني البشر إذا دله على وسائل مريحة فرب خالق الكون قال:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

]سورة المائدة : ١٦[

أيضاً إذا الإنسان طبق منهج الله عز وجل أيضاً يقطف ثمارها ، يقطف الثمار اليانعة التي وعد الله بها المؤمنين ، وهذه قريبة من تحقيق الوعد والوعيد ، أيضاً قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾

]سورة القمر: ١٧[

وأيضاً التقدم العلمي البالغ ، كلما تقدم العلم اقترب من القرآن الكريم ، الله عز وجل يوجد أمراض كثيرة الله لحكمةٍ أرادها هذه الأمراض تتحدى كل تقدم علمي ، الرشح أحدها ، أبسط مرض وأخطر مرض الرشح والمرض الخبيث ، يتحديان كل المنجزات العلمية ، والحفظ دليل إعجاز القرآن الكريم ، فهذا سؤال كبير ، طبعاً لن تنتهي الإجابات لأنه كلام الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾

]سورة الكهف : ١٠٩[

قراءة القرآن بتدبر أقرب إلى مراد الله من تلاوته:

تلاوة القرآن لكن مع التدبر أيها الأخوة ،كنت أتمنى على أخواننا في رمضان أنه إذا قرأ أحدكم القرآن أن يقرأه مرة ، ويستنبط الآيات ذات الطابع الكوني مثلاً ، آيات الكون هذه الآيات الكونية موضوعات للتفكر ، ممكن أن نستنبط آيات الأحكام ، هذه تلاوة ثانية ، ممكن أن نستنبط الآيات المتعلقة بالأمر والنهي ، ممكن أن نستنبط الآيات المتعلقة بالقوانين الثابتة ، فكلما قرأت القرآن بتدبر كنت أقرب إلى مراد الله من تلاوته لقول الله عز وجل:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

]سورة محمد : ٢٤[

التدبر والتطبيق يقربنا من عبادة التفكر في القرآن الكريم:

نحن في العام الماضي سلكنا طريقاً أرجو الله أن يوفقني إلى مزيد منه أنه بعد التراويح يوجد أسئلة ، الأخ إذا صلى التراويح لأن الآية تقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾

]سورة النساء : ٤٣[

إذاً ينبغي أن نعلم ما نقول ، فطرح السؤال بعد التراويح ربما شجع الأخوة المصلين على أن ينتبهوا إلى الآيات ، ويفكروا في مضمونها ، وفي أبعادها ، وفي آياتها ، وفي مناحيها، فلعل هذا يرسخ معاني القرآن في نفوس الأخوة المؤمنين ، التدبر شيء أساسي ، مع التدبر وهو قريب من

التفكر التطبيق ، فالقرآن يتلى ويتدبر ويطبق هذه نصيحة قيّمة ، نحن في رمضان يقول لك : قرأت كل يوم ختمة ، أخي الحمد لله قرأت ختمتين ، رب تال للقرآن والقرآن يلعنه ، ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، أما إذا كان هناك تدبر وتطبيق فهذا الذي يقربنا من عبادة التفكر في القرآن الكريم.

رمضان شهر الإنفاق و العمل الصالح:

الشيء الثاني في رمضان الإنفاق ، أي الأخ من دون عمل الطريق يبقى طويلاً وأنت تقف في مكانك ، أما العمل فيرقى بك ، والدليل قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

]سورة الأنعام : ١٣٢[

أنا مرة قلت لكم كلمة : أحد أخواننا كان يؤذن فلما كان يأتي إلى المسجد نقول للمؤذن : دعه يؤذن هذا ضيف عندنا فتوفاه الله فذهبت كي أشيع الجنازة ، فكانت الصلاة على الجنازة في جامع في آخر الخط في المهاجرين ، فهو كان يؤذن وكانت له أعمال تجارية ناجحة جداً ، وله أعمال صناعية ، وضعوه في النعش فقام أحد العلماء وقال : أخوكم أبو فلان كان مؤذناً فترحموا عليه أقم الصلاة ، أنا هذه الكلمة لا تغيب عن ذهني إطلاقاً ، إنسان عاش ستين أو سبعين سنة ، نشيط جداً ، حيوي ، ما استطاع أن يزيد عن كلمة كان مؤذناً ترحموا عليه بإمكانه أن يتحدث عن بيته ؟ كلام ليس له معنى عند الموت ، عن دخله ، عن مركباته ، عن معمله ، عن نشاطه ، عن نجاحه في كسب المال ، عن سفراته ، هذا كلام لا يقال ، يقال عند الموت عن أعماله الصالحة فقط ، هذا كان يؤذن فأنا بقيت أتأمل أسبوعين أو أكثر أن يا ربي والله قضية خطيرة إنسان يتأبن بكلمة واحدة ، فليعمل أحدنا عملاً يؤبن بخمس دقائق أقل شيء ، ست دقائق ، يقرؤون عنه صفحة زمان فقط كان مؤذناً ، فإذا الإنسان أعماله كانت متعلقة فقط بالدنيا لا يوجد أمامه إلا كلمة واحدة ترحموا عليه يا شباب ، أما إذا كان له أعمال صالحة كبيرة انظروا كم مرة نقول : سيدنا عمر ، وسيدنا أبو بكر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي ، وسيدنا صلاح الدين ، وعمر بن عبد العزيز والشافعي وأبو حنيفة ، هؤلاء الأعلام الكبار نتحدث عنهم ليلاً نهاراً ، فأنت ليكن في

ذهنك هذا السؤال ما العمل الذي عملته لله عز وجل ؟ يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبم تلقى الله إذاً ؟ وأنتم في رمضان مدعوون إلى شيئين إلى الصيام كما أراد الله عز وجل ، صيام الجوارح والأعضاء عما سوى الله ، مدعوون إلى قراءة القرآن ، وإلى تدبره ، وإلى تطبيقه ، ومدعوون إلى العمل الصالح بكل أنواعه ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن يلهمنا تعليم الناس الخير.

والحمد لله رب العالمين

غاية الصيام تحقيق التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

موضوعات الخطب في رمضان:

أيها الإخوة الكرام، نحن مقبلون على ثاني أكبر عبادة في الإسلام، مقبلون على شهر الصيام، وفي هذا الشهر الكريم جرت العادة عند معظم خطباء المساجد أن تكون الموضوعات المعالجة كما يلي: موضوع في الإنفاق، وموضوع في تلاوة القرآن، وموضوع في ذكرى موقعة بدر، وموضوع في ليلة القدر، وموضوع في الزكاة، لذلك قدمت الحديث عن فضائل هذا الشهر قبل رمضان .

فضائل شهر رمضان:

أيها الإخوة الكرام، إن الله عز وجل امتنّ على عباده بمواسم الخيرات، فيها تضاعف الحسنات، وتمحى السيئات، وترفع الدرجات، وتتوجه فيها النفوس إلى مولاها.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

)سورة الشمس، الآية ٩، ١٠(

قد أفلح من زكاها . خصوصاً . في رمضان.

خصائص الصيام:

ومن أعظم العبادات: الصيام الذي :

1. فرضه الله على العباد.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٣(

2. ورغبهم فيه.

فقال سبحانه:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٤(

3. **وأرشدهم إلى شكره على فرضه.**

فقال عز وجل:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٥(

4. **و حببه إليهم، وخففه عليهم.**

لئلا تستثقله النفوس التي ألفت المباحات، قال تعالى:

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٤(

5. **ورحمهم، ونأى بهم عن الحرج والضرر.**

فقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٤(

فلا عجب . أيها الإخوة الكرام . أن تُقبل قلوب المؤمنين في هذا الشهر على ربهم الرحيم، يخافونه من فوقهم، و يرجون ثوابه، و يخشون عقابه.

فضائل الصيام:

الصوم . أيها الإخوة الأحباب . عبادة من أجلّ العبادات، و قربة من أشرف القربات، و طاعة مباركة، لها آثارها العظيمة و الكثيرة، و العاجلة و الآجلة، من تزكية النفوس، و إصلاح القلوب، و حفظ الجوارح من الفتن و الشرور، و تهذيب الأخلاق، وفيها من الإعانة على تحصيل الأجور العظيمة، و تكفير السيئات المهلكة، و الفوز بأعلى الدرجات :

1. الصوم عبادة لها ميزة خاصة:

لكن الصوم . أيها الإخوة الكرام . عبادة متميزة، اختصها الله من بين سائر الأعمال، ففي الحديث القدسي الصحيح، يقول الله عز وجل :

))كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به((

من حديث قدسي مرفوع، إسناده صحيح أخرجه ابن ماجه،وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكفى بذلك تنبيهاً على شرفه، و عظم موقعه عند الله عز وجل، مما يؤذن بعظم الأجر عليه، فبإضافة الله تعالى الجزاء على الصيام إلى ذاته العليا تنبيه على عظم أجر الصائم.

))فإنه لي وأنا أجزي به((

وأنه يضاعف عليه الثواب أعظم من سائر الأعمال، ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

))كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك((

حديث مرفوع صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

)سورة يونس: الآية ٥٨(

الإنسان أحياناً يبحث عن رزقه، أما إذا بلغ درجة من الغنى يصبح همه الجمع، يقول الله عز وجل:

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

)سورة يونس: الآية ٥٨(

2. الصوم عبادة الإخلاص:

أيها الإخوة الكرام،

مثل بين أيديكم: لو أن دولة ما ارتأت أن الصيام مفيد للمواطنين، و أصدرت قانوناً بإلزامهم بالصيام، هل تستطيع تنفيذ هذا القانون ؟

يدخل الإنسان إلى بيته فيشرب، لا يوجد قوة تراقبه، انظر إلى المسلم يصوم في أيام الصيف والحر، لا يحتمل، وهو في الساعة الثانية عشرة يكاد يموت من العطش، و يدخل إلى بيته وحيداً، و يقفل الباب ويفتح الصنبور ليتوضأ، و لا يستطيع أن يضع في فمه قطرة ماء.

دققوا . أيها الإخوة الكرام . كما أن غض البصر عبادة الإخلاص، كذلك الصوم عبادة الإخلاص، أنت توقن أنك مخلص لله، لأن جهة في الأرض لا تستطيع أن تضبط الصيام، لا تستطيع جهة

في الأرض مهما قويت، و مهما تمكنت أن تضبط صيام الإنسان، إلا أن الواحد الديان يضبط هذا الصيام.

3. الصوم قامع للشهوة:

أيها الإخوة الكرام، من فضائل الصوم كما قال عليه الصلاة والسلام أنه قامع للشهوة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

))يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاء((

من حديث مرفوع صحيح،أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي،عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أيها الإخوة الكرام، الإنسان حينما يلتهم الطعام يقوى بدنه، ومع قوة البدن تزداد شهواته، فمن بعض فضائل الصيام أن الصيام يقمع الشهوات.

4. الصوم مدعاة لاستجابة الدعاء:

أيها الإخوة الكرام،ومن فضائل الصيام أنه من أسباب استجابة الدعاء، ففي قوله تعالى بعد آيات الصيام:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٦(

كأن هذا الصائم له عند الله جائزة ؛ أن دعاءه مستجاب:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٦(

هذه الآية جاءت مع آيات الصيام، قبل هذه الآية آيات متعلقة بالصيام، وبعد هذه الآية آيات متعلقة بالصيام هي بين آيات الصيام، وكأن الواحد الديان يبشر عباده أن هذا الصائم دعاؤه مستجاب.

5. الصوم من أسباب تكفير الذنوب:

من فضائل الصيام ـ أيضاً ـ أنه من أسباب تكفير الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:

))الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضان إلى رمضانَ ؛ مُكَفِّرات لما بينهنَّ، إذا اجتنبت الكبائر((

حديث مرفوع صحيح، أخرجه مسلم والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه

الصلوات الخمس، أي من صلاة إلى صلاة، و الجمعة إلى الجمعة، و رمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الذنوب الكبيرة.

6. الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

ومن فضائل الصوم ـ أيها الإخوة الكرام ـ أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

))الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: ربّ إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم، منعته النوم بالليل، فيشفعان((

حديث مرفوع صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه أخرجه الحاكم في مستدركه

7. الصوم سبب لفرح الصائم في الدنيا والآخرة:

ومن فضائل الصوم فرح الصائم بما يسره الله له من الصوم في العاجل والآجل، كما في الصحيحين:

))للصائم فرحتان، فرحة عند فِطْره، وفرحة عند لقاءِ ربِّه((

من حديث مرفوع صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه

التكاليف الشرعية شاقة على الأبدان، مفرحة للنفوس:

أيها الإخوة الكرام، هذه القاعدة تنطبق على كل العبادات، بل على كل الطاعات، بل على كل استجابة لله، العبادات ذات كلفة، سميت تكاليف لأنها في الأصل تتناقض مع الطبع، الإنسان يحب أن يبقى نائماً، و التكليف أن يستيقظ، يحب أن يمتع عينيه بمحاسن النساء، و التكليف أن يغض البصر، يحب أن يخوض في فضائح الناس، و التكليف أن يسكت، يحب أن يأخذ المال، و التكليف أن ينفقه، فالتكاليف كلها مناقضة للطبع، لكنها مطابقة للفطرة، ترتاح نفسك إذا أديت الفرائض، ترتاح نفسك إذا كنت صادقاً، ترتاح نفسك إذا كنت أميناً، ترتاح نفسك إذا أعنت أخاك، إذا رحمته، إذا يسرت عليه، كل أوامر الدين بعباداته ومعاملاته وفضائله إن طبقتها ارتاحت نفسك:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

)سورة الروم: الآية ٣٠(

أي: هذا المنهج الإلهي يتطابق بأدق تفاصيله مع بنية النفس، إن التكاليف تتناقض مع جسم الإنسان، مع طبعه، مع غرائزه، مع شهواته، لكنها تتوافق مع نفسه، ذاته التي بين جنبيه.
إذاً الطاعات فيها مشقة أحياناً، فيها تكليف، فيها تناقض مع جسم الإنسان، الإنسان يحب أن يأكل دائماً، وكلما أصابه عطش يشرب من الشراب ما لذ وطاب، أما حينما يأتي شهر الصيام يمتنع عن الطعام و الشراب، والمباحات الأخرى التي أبيحت خارج الصيام فهو يبذل جهداً.

اصبر لتفرح في ختام العبادة:

إخواننا الكرام، الطاعات تنقضي مشقتها، ويبقى أجرها، والمعاصي تنقضي لذتها، و يبقى إثمها فالبطل ليس الذي يفرح أولاً، بل الذي يفرح آخراً، ليست البطولة أن تضحك أولاً، وقد قيل: من ضحك أولاً ضحك قليلاً، و من ضحك آخراً ضحك كثيراً.

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾

)سورة المطففين: الآية ٣٤(

بطولتك أن تضحك آخراً لا أن تضحك أولاً، الطفل حينما يولد كل من حوله يضحك، و هو يبكي وحده، أما إذا وافته المنية كل من حوله يبكي، فإذا كان بطلاً ومؤمناً وملتزماً ومستقيماً ومحسناً ضحك وحده:

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾

)سورة يس: الآية ٢٦(

أيها الإخوة الكرام، إذاً: للصائم فرحتان يفرحهما، صبيحة العيد، تأكل كما كنت تأكل قبل رمضان، طعام فطور، وطعام غداء، وطعام عشاء، عدت إلى طبيعتك، وقد كسبت أجر الصيام والقيام، وقد ارتقيت إلى الله عز وجل، أما الذي أفطر في رمضان فيأكل في العيد مع بقية الناس، ولكنه يأكل وقد فرط بهذه العبادة العظيمة التي لا يعدلها صوم الدهر لو صامه.

8. الصوم سبب لدخول الجنة من باب الريان:

أيها الإخوة الكرام، حقيقة ثانية: من فضائل الصيام أن الله اختص أهله بباب كبير من أبواب الجنة، لا يدخله إلا الصائمون، ينادون يوم القيامة إكراماًَ لهم، وإظهاراً لشرفهم، كما في الصحيحين، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

))إنَّ في الجنة باباً يقال له: الرَّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخلُ منه أحد غيرُهم، يقال: أين الصائمون ؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغْلِق فلم يَدْخُل منه أحد ((

)حديث مرفوع صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي(

أي هذا الذي عطش في الحياة الدنيا له قصر مكتوب على بابه الريان، لذلك قال بعض العلماء: هذا الشهر العظيم شهر الصبر.

الصبر أساس كل فلاح:

بالمناسبة . أيها الإخوة الكرام .، البناء الأخلاقي للإنسان أساسه الصبر، الذي لا يصبر لا يمكن أن يكون شيئاً مذكوراً في الحياة، فأنت حينما تصبر يمكن أن تصل إلى البطولة، فلذلك قال تعالى:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

)سورة البقرة: الآية ٤٥(

واستعينوا على بلوغ أهدافكم، على بلوغ مرادكم.
قال علماء التفسير بالصبر، أي بالصوم و الصلاة، كما تعلمون.

أيها الإخوة الكرام، أنت حينما تواجه عدواً متغطرساً قوياً جباراً حاقداً يملك أسلحة لا تملكها، ويتمنى تدميرك، يقول الله لك:

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

)سورة آل عمران: الآية ١٢٠(

بيّن الله لنا أن الصبر مع الطاعة طريق النصر، ويكاد الإيمان أن يكون نصفين، فنصف صبر، و نصف شكر، والذي لا يصبر لا يمكن أن يكون شيئاً مذكوراً في الحياة.
الصبر ترقية للنفس، الصبر يعني أن مبدأك أعظم من حاجاتك، دينك أسمى من رغباتك، الصبر

يعني أن تدع شيئاً خسيساً من أجل شيء نفيس، هذا هو الصبر، لذلك شهر الصوم شهر الصبر، أنت في رمضان تصبر على ترك الطعام والشراب، وعلى ترك اللقاء الزوجي، في نهار رمضان فقط،

هذا الصبر يجب أن تستخدمه في مجالات لا تعد و لا تحصى، في عملك ينبغي أن تصبر، في دراستك ينبغي أن تصبر، في مواجهة العدو ينبغي أن تصبر، في أن تنفق من دخلك المحدود ينبغي أن تصبر، و ألاّ تمد يدك لمال حرام، الصبر مدرسة،كان رمضان التعليم الأساسي فيها، رمضان التعليم الأساسي لمدرسة لها درجات عالية جداً، أنت حينما تثبت لنفسك أولاً، و لله ثانياً أنه يمكن أن تدع شهوتك من أجل هدف ما فأنت قد وضعت رجلك على طريق البطولة، رمضان شهر الصبر، و كيف لو أن عدواً يتحدانا، ويواجهنا، ويتمنى دمارنا، يقول لك الله عز وجل:

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

)سورة آل عمران: الآية ١٢٠(

من ثمرات الصوم:

أيها الإخوة الكرام،

يتجلى الصبر في الإيثار والإحسان، ومعالجة آلام الآخرين ومقاسمتهم السراء والضراء، وذوق شيء مما يجدون،

)1. الإحساس بجوع الفقير:

دققوا في هذا الكلام: إذا ذاق الصائم تعبداً و اختياراً ألم الجوع فلقد ذاقه الفقراء عجزاً واضطراراً.

الصائم يجوع طبعاً لكن هذا الجوع باختياره، اختار أن يجوع تقرباً إلى الله عز وجل، هو يذوق طعم الجوع تعبداً واختياراً، ولكن الفقير يذوق طعم الجوع عجزاً واضطراراً، و لأنه عاناه الصائم وقتاً محدوداً فهو عند الفقراء عناء ممدود، تصوم الصيام لوقت محدود، لكنه عند الفقراء عناء ممدود،

لذلك كان الإنفاق في رمضان زكاة الفطر، هذه الزكاة لها أحكام خاصة، مَن ملك قوت يومه

وجب عليه زكاة الفطر، فقير جداً يملك وجبة طعام واحدة عليه زكاة الفطر، أي أن الله أراد أن يذوق الفقير في العام مرة واحدة طعم الإنفاق، كأن الفقير مأمور أن ينفق، و الذي ينفق يمكن أن يأخذ الزكاة أيضاً، لكن أراد الله أن نذوق طعم الإنفاق، إذاً أنت حينما تجوع يجب أن تذكر أنك تجوع اختياراً وتعبداً، لكن الفقير حينما يجوع يجوع اضطراراً، و أنت حينما تجوع تجوع لوقت محدود، ولكن الفقير يجوع لوقت ممدود، لذلك ينبغي أن يثمر الصيام معاونة الآخرين، وأداء الزكاة والصلاة.

(2. كفّ النفس عن حماقاتها:

أيها الإخوة الكرام، يتجلى الصوم بالإمساك بزمام النفس عن اندفاعاتها وحماقاتها، فالصائم مقيد بشعور دائم يحمله على الكف عما لا يجمل، ولا يليق، تصور إنساناً يدع المباحات، هل يعقل أن يرتكب الموبقات ؟ يختل توازنه، تدع من هو مباح لكل البشر، هل يعقل أن تغتاب في رمضان ؟ هل يعقل أن تطلق البصر في رمضان ؟ هل يعقل أن تكذب في رمضان ؟ أنت مأمور عن ترك الطعام والشراب، و هو مباح، فلأن تترك المحرمات من باب أولى، وكأن الله يقوي إرادتك في هذا الشهر على أن تكون ملتزماً بأوامر الدين.

وأخيراً:

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد

أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العبادات معللة بمصالح الخلق:

أيها الإخوة الكرام، للإمام الشافعي رحمه الله تعالى مقولة رائعة، يقول: " العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق "، نحن نسمع في بعض الأديان الوضعية الأرضية الوثنية أن هناك عبادات أيضاً، لكنها حركات وسكنات، وتمتمات وإيماءات، و إشارات ما أنزل الله بها من سلطان، و لا معنى لها إطلاقاً، حركات لا معنى لها، و لكن العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق، أي للتنوير، بالنسبة للصلاة:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

)سورة العنكبوت، آية ٤٥(

والحج:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾

)سورة المائدة: الآية ٩٧(

غاية الصيام تحقيق التقوى:

قال تعالى:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

)سورة البقرة: الآية ١٨٣(

من ثمرات التقوى:

الله عز وجل قال:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

)سورة الطلاق: الآية ٢(

قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه:

))جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } قال: فجعل يرددها حتى نعست فقال يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بها لكفتهم((

حديث مرفوع صحيح الإسناد ولم يخرجاه أخرجه الحاكم في مستدركه

حينما تضيق الأمور كما هي الآن، و تستحكم الحلقات، وتسد المنافذ، وتنتصب العقبات، ويقنط الإنسان تأتي التقوى تتسع بها المضائق، وتحل بها العقد، وتفتح بها المسالك وتذلل بها العقبات

. فمن يتق الله عند نزول المصيبة فيوحد الله، و يصبر لحكمه، و يرض لقضائه ويثبت على مبدئه واستقامته يجعل الله له مخرجاً من هذه المصيبة، فيبدل الله ضيقه فرجاً، وخوفه أمناً، وعسره يسراً.

. ومن يتق الله فلا يسمح للأفكار الزائفة أن تأخذ طريقها إلى عقله يجعل الله له مخرجاً من الضياع.

القرآن هو المرجع الإلهي للمسلم:

إخواننا الكرام، المسلم في نعمة يصعب أن يتصورها، ما هي النعمة ؟ له مرجع، القرآن، هذا العمل لا يرضي الله لا أفعله، لذلك هو في سلام، في أمن، حينما يرتكب الناس الحماقات، ولا ينامون الليل، هو ينام مطمئناً، لأن ربه هداه سبل السلام، هداه السلام مع نفسه، ومع أسرته،

وفي عمله، ومع مجتمعه، لأنه طبق منهج الله عز وجل.

. ومن يتق الله، ولا يسمح للأفكار الزائفة أن تأخذ طريقها إلى عقله يجعل الله له مخرجاً من الضياع والحيرة، والضلال وخيبة الأمل.

. ومن يتق الله فيبرأ ممن حوله، ويبرأ من قوته، ومن علمه يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به بالمعونة عليه، في أي عمل تقوم به قل: اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك .

درسان لا ينسيان:

والدرس الذي ينبغي ألا ننساه درس بدر، و درس حنين، في بدر قال الصحابة: الله، فتولاهم الله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

)سورة آل عمران: الآية ١٢٣(

وفي حنين قالوا: لن نغلب من قلة:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

)سورة التوبة: الآية ٢٥(

. ومن يتق الله فيقف عند حدود الله فلا يقربها، ولا يتعداها يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة،

. ومن يتق الله في كسب رزقه فيتحرّىَ الحلال الذي يرضي الله عز وجل يجعل الله له مخرجاً من تقتير الرزق بالكفاية، ومن إتلاف المال بحفظه ونمائه،

. ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل الله له مخرجاً من ضلال أهل البدع،

. ومن يتق الله في اختيار زوجته، وفي التعامل معها يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي،

. ومن يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم، وشقاؤه بشقائهم

. ومن يتق الله في اختيار عمله يختار عملاً يرضي الله، ويحسن أداءه يجعل الله مخرجاً من إخفاقه فيه، والله هذه آية تسع كل الناس، وتسع كل المشكلات، وكل النشاطات

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

)سورة الطلاق: الآية ٢

رمضان شهر التدريب على التقوى:

أراد الله عزوجل في هذا الشهر الكريم أن نتقي الله عزوجل، وأن نألف الطاعات، أنت في رمضان طبعاً تغض البصر، تغضه في رمضان، وفي غير رمضان، و إن كنت تائباً تغضه في رمضان مبدئياً، فإذا ألفت أن تغض البصر ثلاثين يوماً هذا الغض يستمر بعد رمضان،

وإذا ألفت أن تصلي الفجر في المسجد هذا يستمر بعد رمضان،

وإذا ألفت أن تصلي العشاء في جماعة، هذه العبادة تستمر بعد رمضان،

وإذا ألفت أن تضبط لسانك في رمضان، هذا ينبغي أن يستمر بعد رمضان،

أي أراد الله أن ينهض بنا في رمضان، دورة مكثفة، تقوية إرادة، أن تعيش ما يعانيه الفقراء، فالأمر البشري . أحياناً يقول لك أحدهم: أنا ضربت عصفورين بحجر . فالله عز وجل إذا أمر أمراً فإن مليون هدف يتحقق في آن واحد،

ومن قال لك: إن رمضان فقط يقرب الإنسان من الله ؟

رمضان . عملياً . صيانة لأجهزة الجسم، لابد منها في كل عام مرة، حينما ترتاح الأجهزة من عبء الهضم، و ثقل الطعام، فإن النشاط يتجدد،

واقع بعض المسلمين في رمضان:

لكن المسلمين الآن قلبوا الوجبات الدسمة من النهار إلى الليل، ما فعلوا شيئاً جيداً،

والحقيقة أنه يوجد كلام لابد من أن أقوله :

هناك رمضان عند بعض المسلمين . لا أقول: عندهم جميعاً، عند بعضهم، و قد يكون عند أكثرهم . موسم لقاءات، موسم سهرات، موسم ولائم، موسم سهر إلى ساعة متأخرة من الليل،

موسم حديث بلا ضابط، و بلا هدف، فيرتكبون الغيبة و النميمة، ويطلقون أبصارهم، ويتابعون الأفلام إلى ساعة متأخرة من الليل، يأكلون، وينامون، ويستيقظون بعد صلاة الفجر،

لكن يوجد شيء آخر، هناك طبقة مخملية لا تعنينا إطلاقاً، يذهبون إلى خيمات رمضانية،

هذه الخيمة: برنامج ساهر حتى طعام السحور، يبدأ هذا البرنامج بأذان المغرب والإفطار، وينتهي بالرقص والغناء، وهو صائم، وكل البرامج التي لا ترضي الله إنما يذكر في مقدمتها أنها برمجت إكراماً لشهر رمضان،

ابتعد المسلمون.. أصبح رمضان شهر فلكلوري، لا علاقة له بالدين إطلاقاً، شهر تراث وعادات و تقاليد،

فهذا الذي لا يرى رمضان شهر عبادة، شهر غض بصر، شهر ضبط لسان، شهر تلاوة قرآن، شهر إنفاق المال، شهر إحكام الصلة مع الله، شهر الحب، شهر القرب، شهر المغفرة، هذا بعيد عن أن يكون صائماً لأن النبي عليه الصلاة والسلام وصف بعض المنافقين فقال:

مثلهم كالناقة عقلها أهلها فلا تدري لا لِمَ عقلت و لا لِمَ أطلقت.

يصوم مع الناس، و يفطر معهم، و هو على ما هو عليه،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من لم يدع قول الزور والعملَ به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

حديث مرفوع صحيح أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

أيها الإخوة الكرام، هناك من يصوم فيدافع التدني، جيد، لكن هناك من يصوم فيتابع الترقي، فرق كبير بين من يدافع التدني، وبين من يتابع الترقي، ولكن هناك من يصوم صيام البهائم جوع وعطش، ولا أجر ولا ثواب، لأنه ما فكر أن يغير من سلوكه، ولا من عبادته، ولا من اتصاله بالله عز وجل.

الدعاء

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت،

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين،

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك،

وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

فضائل الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل، وينادي: هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من متغفر فأغفر له ؟ ويقول: عبدي لا تعجز، منك الدعاء وعلي الإجابة، منك الاستغفار وعلي المغفرة، منك التوبة وعلي القبول، من أحبنا أحببناه، ومن عصانا أمهلناه، ومن رجع إلينا قبلناه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يا رب لك العبادة وإليك التوجه، ومنك الخشية وعليك الاعتماد، لا احتكام إلا إليك، ولا سلطان إلا لشريعتك، ولا اهتداء إلا بهديك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغُمَّة، وجاهد في الله حق الجهاد، وهدى العباد إلى سبيل الرشاد، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.
عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

الصيام:

أيها الأخوة المؤمنون، إن الله جل جلاله قد امتن على عباده بموسم الخيرات، فيها تضاعف الحسنات، وتمحى السيئات، وترفع الدرجات، تتوجه فيها نفوس المؤمنين إلى مولاها.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {١٠} ﴾

)سورة الشمس(

وإنما خلق الله الخلق لعبادته فقال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾

)سورة الذاريات(

ومن أعظم العبادات الصيام الذي فرضه على العباد فقال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

)سورة البقرة(

ورغَّبهم فيه فقال:

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٤)﴾

)سورة البقرة(

وأرشدهم إلى شكره على فرضه فقال:

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾

)سورة البقرة(

وحببه إليهم وخففه عليهم لئلا تستثقل النفوس ترك العادات وهجر المألوفات فقال:

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَةً (٨٠)﴾

)سورة البقرة(

ورحمهم، ونأى بهم عن الحرج والضرر، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (١٨٤)﴾

)سورة البقرة(

فلا عجب أن تقبل قلوب المؤمنين في هذا الشهر على ربهم الرحيم يخافونه من فوقهم، ويرجون ثوابه، ويخشون عقابه.

الصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، الصوم عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أشرف القربات، وطاعة مباركة، لها آثارها العظيمة، والكثيرة، والعاجلة، والآجلة ؛ من تزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وحفظ الجوارح من الفتن والشرور، وتهذيب الأخلاق، وفيها من الإعانة على تحصيل الأجور العظيمة، وتكفير السيئات المهلكة، والفوز بأعلى الدرجات.

أيها الأخوة الكرام، والصوم عمل اختصه الله من بين سائر الأعمال، ففي الحديث القدسي الصحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ:

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...))

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

كفى بذلك تنبيهاً على شرفه وعظم موقعه عند الله مما يؤذن بعظم الأجر عليه، فبإضافة الله تعالى الجزاء على الصيام إلى ذاته العلية تنبيه على عظم أجر الصيام، وأنه يضاعف عليه الثواب أعظم من سائر الأعمال، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِئة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ))

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

فما ظنك أيها الأخ الكريم بثواب عمل يجزي عليه الكريم الجواد بلا حساب.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٥٨)﴾

(سورة يونس)

الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات:

أيها الأخوة الأحباب، الإخلاص أظهر في الصيام من غيره بين العبادات، فإنه سر بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه غيره، إذ بإمكان الصائم أن يأكل ويشرب متخفياً عن الناس، فإذا حفظ صيامه عن المفطرات ومنقصات الأجر دل ذلك على كمال إخلاصه لربه، وإحسانه العمل ابتغاء وجهه، ولذا يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

((يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

نبه سبحانه على وجهة اختصاصه، وبالجزاء عليه، وهو الإخلاص، والصيام جنة، يقي الصائم ما يضره من الشهوات، ويجنبه من الآثام التي تجعل صاحبها عرضة لعذاب النار، وتورثه الشقاء في الدنيا والآخرة، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَاباً لَا نَجِدُ شَيْئاً، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

[البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ]

ومعنى ذلك أن الصوم قامع للشهوة فيقي صاحبه عنة العذوبة ومخاطرها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ:

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))

]البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

وفي المسند عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ((

]أحمد عَنْ جَابِرٍ[

فضائل الصوم:

1. الصوم من أسباب استجابة الدعاء:

من فضائل الصوم أيها الأخوة حضوراً ومستمعين أنه من أسباب استجابة الدعاء، ولعل في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

)سورة البقرة(

مما تنبه هذه الآية على الصلة الوثيقة بين الصيام وإجابة الدعاء.

2. الصوم من أسباب تكفير الذنوب:

ومن فضائل الصوم أنه من أسباب تكفير الذنوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:

))الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ((

]مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

3. الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

ومن فضائل الصوم أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ((

]أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[

4. فرح الصائم بما يسَّره الله له من الصوم في العاجل والآجل:

ومن فضائل الصوم فرح الصائم بما يسَّره الله له من الصوم في العاجل والآجل كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

))لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ((

]أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

وهذا من الفرح المحمود، لأنه فرح بفضل الله ورحمته، ولعل فرحه بفطره لأن الله منَّ عليه بالهداية إلى الصيام، وبالإعانة عليه حتى أكمله، وبما أحله الله له من الطيبات التي يكسبها الصائمون لذة وحلاوة لا توجد في غيره، ويفرح عند لقاء ربه، حين يلقى الله راضياً عنه، ويجد جزاءه عنده كاملاً موفوراً.

5. طيب عاقبته في الآخرة:

ومما يدل على فضل الصيام، وطيب عاقبته في الآخرة حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ((

]صحيح البخاري عن أبي هريرة[

وإنما كانت هذه الريح طيبة عند الله تعالى مع أنها كريهة في الدنيا، لأنها ناشئة عن طاعة، فهي محبوبة لديه، ولعل في الحديث الشريف ما يشير إلى أن هذا الخلوف يفوح يوم القيامة من فم صاحبه أطيب من ريح المسك، حين يقف بين يدي ربه، مثله مثل الشهيد حين يأتي يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

))مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ((

]البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

6. اختص الله الصائمين بباب من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم:

ومن فضائل الصيام أن الله اختص أهله باباً من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم فينادون منه يوم القيامة إكراماً لهم، وإظهاراً لشرفهم، كما في الصحيحين عَنْ سَهْلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

))إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ((

]البخاري عن سَهْلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

أيها الأخوة الكرام، انظروا كيف يقابل عطش الصائم في الدنيا بباب الريان في الجنة في يوم يكثر فيه العطش.

شهر رمضان شهر الصبر:

أيها الأخوة الكرام، شهر رمضان شهر الصبر، فالبناء الأخلاقي أساسه الصبر، الذي هو قرين الصوم، وسميه حتى سمي الصوم صبراً، كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى:

﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (١٥٣) ﴾

)سورة البقرة(

قالوا: الصوم والصلاة، وسمي رمضان شهر الصبر، والصبر جزاءه الجنة، وهو سيد أخلاق الإسلام، وبغيره لا يثبت المسلم أمام التحديات في دينه ودعوته، ولا يتحمل مشكلات الحياة وتبعتها ومصائبها التي لا ينفك عنها بحال، فالفوز في الآخرة والسعادة في الدنيا ثمرتان من ثمار الصبر.

الصبر أيها الأخوة، هو إكسير الحياة الذي يحوِّل بإذن ربه الصعاب إلى رغائب، والهموم إلى أفراح، الصبر هو علاج كل داء، وحل كل مشكلة، وتذليل كل عقبة.

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

)سورة آل عمران الآية: ١٢٠(

الصوم عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني:

ويتجلى البناء الأخلاقي في الرقي بالنفس إلى مدارج العبودية، والتخفف من أوزار الطين وثقل الأرض، لتستشرف النفس آفاق الإيمان، وتستشعر شيئاً من الأنس بالقرب من فاطرها وبارئها، وتسبح في ملكوتها. فالإنسان إنسان بروحه وشفافيته قبل أن يكون إنساناً بجسده:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فإنك بالروح لا بالجسم إنسان

* * *

يتجلى أيها الأخوة في الإيثار، والإحسان، ومعايشة آلام الآخرين، ومقاسمتهم السراء والضراء، وذوق شيء مما يجدون، ولأن ذاقه الصائم تعبداً واختياراً فلقد ذاقه الفقراء عجزاً واضطراراً، ولئن عاناه الصائم وقتاً محدوداً فهو عندهم عناء ممدود، ولهذا كان رمضان شهر الزكاة كما سماه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونهايته زكاة الفطر التي يشارك المسلمون فيها الإحساس بفرحة العيد، فلا يدعون أحداً منه إلا وواسوه، حتى فقرائهم يخرجون زكاة الفطر إن قدروا ليذوقوا طعم الإنفاق ولو مرة في العام.

أيها الأخوة الكرام، ويتجلى في الإمساك بزمام النفس عن اندفاعاتها وحماقاتها عن صاحبها، ومع الخلق فالصائم مقيد بشعور دائم يحمله على الكف عن ما يجمله ولا يليق، وربما أدرك كثير من الصوَّام هذا المعنى قبل أن يهل رمضان، كما يحقق الصوم معنى الانتساب الأممي وتبعاته ومظاهره، فهو عبادة يشترك فيها المسلمون في كل مكان مما يعمق معنى الإخاء الديني، والولاء الشرعي، ويذكر بوجوب الانعتاق من الروابط المنافية لذلك، وينهى أن توضع الروابط العادية البشرية في مكان غير صحيح، فلا تتحول إلى علاقة تساوي العلاقة الربانية بين أهل الإسلام، وكم يتمنى المرء أن يستطيع المسلمون توحيد صيامهم وفطرهم ليتعمق معنى الأمة الواحدة، ولتذوب الفواصل والعوائق التي تتراكم بمرور الزمان، فيكون الجسد الواحد رقعاً متناثرة يهدم كل طرف منها ما بناه الآخر.

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، إن تجاوز هذه التناقضات يتطلب صدقاً وارتفاعاً عن المصالح الخاصة، والانتماءات الأرضية، وإيثاراً لروح الجماعة على أنانية الذات فهل نحن فاعلون ؟!

الصوم يذكر المسلم بالجهاد الذي هو حراسة هذا الدين:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، الصوم يذكر المسلم بالجهاد الذي هو حراسة هذا الدين، وذروة سنامه، وسطوته على مناوئيه، فلقد كان تاريخه الشهري ملتبساً بالمواقع

الفاصلة من بدر تاج معارك الإسلام إلى فتح مكة، التي كانت إيذاناً ببسط سلطانه على جزيرة العرب، إلى حطين، إلى عين جالوت، والكتاب الذي آذن المسلمون بأنه كتب عليهم الصيام هو الذي آذنهم بأنه كتب عليهم القتال، لكنه ليس قتالاً بنصرة عنصر ماجن، ولا لتسلط ظالم طاعن، ولا لجباية أموال حرام، ولا لاحتلال منابع الثروات، لكنه لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

الجهاد أيها الأخوة، إيذان لأنه ليس كل الناس يؤمنون بالدعوة، بل هناك الرؤوس المتغطرسة مما لا يلين إلا بالقوة، والحديد بالحديد يفلح، ولهذا بعث الله رسوله بالكتاب وبالحديد فقال سبحانه:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(٢٥)﴾

)سورة الحديد(

أيها الأخوة الكرام، فالكتاب والبينات أصل الرسالة ولبُّها، والحديد سورها وحمايتها، والذين يقارعون البغي والظلم في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين التي احتلها الأعداء واستباحوا خيراتها هم النواب عن الأمة في الحفاظ على هذه الشريعة العظيمة، فحق على الأمة أن تكون من ورائهم بالنصرة الصادقة، وليس بالعاطفة وحدها.

يقول السيد الرئيس في أحد مؤتمرات القمة: " نشهد المزيد من إزهاق الأرواح في منطقتنا، ونرى الأمة العربية والإسلامية تضيف إلى رصيدها المزيد من الفقر والجوع، والكثير من الظلم والاضطهاد، كما رأيناها تبتعد أكثر فأكثر عن هويتها حتى تكاد تذوب في هويات الآخرين، وفي المقابل كانت دول أخرى تزداد طغياناً واستغلالاً، ويشرعن للغير قتلها وتدميرها، مما أدى إلى تزايد شدة التناقضات والمفارقات في مناطق مختلفة من العالم، يدمر العراق من أجل قرارات الأمم المتحدة، وتدمر قرارات الأمم المتحدة من أجل إسرائيل، ومن الأمور المؤسفة والمضحكة في الوقت نفسه أن بعض قرارات مجلس الأمن تفسر بحسب خطوط الطول والعرض، وبحسب الدول التي تطبق عليها ". انتهى النص المقتبس.

الصيام من أجل التقوى:

هل يعود رمضان الذي عرفه المسلمون ينبض بالروح والحياة والعطاء، وليس بالنوم، وضياع الأوقات، والتسابق إلى الملذات، والسهر في الخيام التي ترتكب فيها المعاصي والآثام. جاء في تفسير في قوله تعالى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٦٣(﴾

)سورة البقرة(

هذا تعليل لفرضية الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله عز وجل بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره، واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى نفسه على النهوض بالطاعات والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم :

))الصيام نصف الصبر((

]ورد في الأثر[

أيها الأخوة الأحباب، والصيام من أجل التقوى كما ورد في الآية، ومن عظيم إكرام الله عز وجل أنه جعل التقوى مخرجاً للإنسان من كل ضيق، قال تعالى:

﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

)سورة الطلاق(

إعجاز هذه الآية في إنجازها، وبلاغها في إطلاقها. عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

))إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَتْهُمْ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً((

]الدارمي عَنْ أَبِي ذَرٍّ[

حينما تضيق الأمور كما هي الآن، وتستحكم الحلقات، وتسد المنافذ، وتنتصب العقبات، ويقنط الإنسان تأتي التقوى فتتسع بها المضائق، وتحل بها العقد، وتفتح بها المسالك، وتذلل بها العقبات، فمن يتق الله عند نزول المصيبة، فيوحد الله، ويصبر لحكمه، ويرضى بقضائه، ويثبت على مبدئه واستقامته يجعل الله له مخرجاً من هذه المصيبة فيبدل ضيقه فرجاً، وخوفه أمناً، وعسره يسراً. فمن يتق الله، ولا يسمح للأفكار الزائفة أن تأخذ طريقها إلى عقله يجعل الله له مخرجاً من الضياع والحيرة والضلال وخيبة الأمل، ومن يتق الله فيبرأ ممن حوله، ويبرأ من حوله وقوته وعلمه يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به بالمعونة عليه، ومن يتق الله فيقف عند حدود الله فلا يقربها ولا يتعداها يجعل الله له مخرجاً مما كلفه به من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة، ومن يتق الله في كسب رزقه، فيتحرى الحلال الذي يرضي الله عز وجل يجعل الله له مخرجاً من تقطير الرزق بالكفاية، ومن إتلاف المال بحفظه ونمائه، ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل الله له مخرجاً من ضلال أهل البدع، ونتائج ابتداعهم، ومن يتق الله في اختيار زوجته وفي التعامل معها يجعل الله له مخرجاً معها من الشقاء الزوجي، ومن يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم وشقائه بشقائهم، ومن يتق الله في اختيار عمله وحسن أدائه يجعل الله له مخرجاً من إخفاقه فيه.

من أعظم ما يزكي النفس ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر:

أيها الأخوة الكرام، أيتها الأخوات الكريمات: لما كانت النفس البشرية تتوق إلى تناول ما تشتهيه، وتنفر عن البعد عنه، فإن من أعظم ما يزكيها ويطوعها لطاعة الله عز وجل أن تدرب على الصبر عن تناول الطيبات التي أباحها الله تعالى إذا أمرها بتركها، ومن أعظم شهوات النفس

الطعام والشراب وغيرهم، وقد حرم الله على المؤمن هذه الأمور التي لا يستغني عنها في حياته كلها في نهار شهر رمضان بأكمله، فإذا تركها مخلصاً لله في تلك المدة من الزمن، فإنه بذلك يكون جديراً بأن يكون من المجاهدين لأعدائه الملازمين وهم نفسه الأمارة بالسوء، والهوى المردي، والشيطان المغوي، والذي ينجح في هذا الجهاد الأكبر يسهل عليه الجهاد الأصغر، وهو قتال عدوه الخارجي، ومن لم ينجح في جهاد عدوه الملازم له يصعب عليه جهاد عدوه الطارئ، لأن الذي لم يروض نفسه على طاعة الله بامتثال أمره، واجتناب نهيه فيما هو أخف عليه كالصيام مثلاً، فمن الصعب عليه أن يقف في الصف لمقارعة الأعداء يستقبل بصدره ونحره قذائف المدافع، ورصاص البنادق، وأطراف الرماح، وحد السيوف.

حينما يكون المسلمون استثناء سلبياً داخل مجتمعات أكثر تقدماً وتطوراً فهذا أمر في غاية الخطورة، لأنه يعطي الآخرين انطباعاً مباشراً، لأن سبب هذا التخلف يعود إلى تعاليم الدين ذاته، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

)سورة الممتحنة الآية: ٥(

أيها الأخوة الكرام، المشكلة تعود إلى اغترار بعض المسلمين بانتسابهم إلى هذا الدين، ظانين أنه بمجرد الحصول على لقب مسلم يعفيهم من الالتزام والتقيد بمنهج الله، أو أن الحصول على جانب من الصلاح يعفيهم من استكمال النقص، أو قبول النصيحة.

﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

)سورة المائدة(

معنى الاعتبار:

ذكر الله لنا قصص الأقوام السابقة للاعتبار، ولهذا قال سبحانه بعدما ذكر قصة بني النضير:

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ(٢(﴾

)سورة الحشر(

والاعتبار هو القياس، والنظر، وربط الشيء بمثله، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعيب على الأقوام السابقة من قبلنا ألواناً من الانحرافات والمخالفات، فما ذلك إلا لنتجنبها، ولهذا كان من ما يقرأه المسلم في كل صلاة بل في كل ركعة:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧(﴾

)سورة الفاتحة(

يقول العلماء: المغضوب عليهم هم الذين عرفوا وانحرفوا، والضالون هم الذين ما عرفوا وانحرفوا، أي من كان عنده علم وصدق في تصوراته ولكن لم يكن عنده عمل فهذا من المغضوب عليهم، ومن لم يكن عنده تصور صحيح وإنما عنده عمل على غير هدى الله وبصيرة فإنه من الضالين.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧(﴾

)سورة الفاتحة(

من الحواجز التي تحول بين الناس وقبول النصيحة هو ادعاء العصمة وعدم رؤية العيوب:

أيها الأخوة الكرام، إن من الحواجز التي تحول بين الناس وبين قبول النصيحة هو ادعاء العصمة، وعدم رؤية العيوب، لقد ورد في القرآن الكريم فضل هذه الأمة والثناء عليها، ولكن هذا الفضل ليس فضلاً يتوارثونه، لأنهم عرب، وعاشوا في الأمصار، وفي البلاد العربية، فالأرض لا تقدس أحداً، والقبيلة لا تقدس أحداً، إنما يقدس الإنسان بعمله ليس غير.

أيها الأخوة الكرام، إن مئات الملايين من المسلمين اليوم يرون أن مجرد انتسابهم لهذا الدين يكفي لنجاتهم في الآخرة، ولصلاحهم في الدنيا، حتى لو لم يفهموا حقيقته ولم يطبقوا تعاليمه، ولم يتمثلوا قيمه، وربما تجد عند أحدهم من الثقة بالفوز والنجاة في الدار الآخرة أعظم من ثقة

العشرة المبشرين بالجنة ! وأما ما يتعلق بالدنيا فربما تجد الواحد منهم يكدح فيها ليلاً ونهاراً، ويضني بدنه وجوارحه، ولكن من دون جدوى، لأنه لم يأخذ بالأسباب المعتبرة.

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) ﴾

)سورة الكهف(

أيها الأخوة، الكثيرون يطلبون قضاء حوائجهم، وتفريج كروبهم، وسداد ديونهم، وتزويج عوانسهم، وإزالة مشكلاتهم، ورد غيابهم، ونصرتهم على أعدائهم بدعاء من دون عمل، أو يتوقعون الفرج هدية رخيصة تأتي من دون ثمن، ولِمَ لا ؟ أو ليسوا بالمسلمين ؟! هنا موطن الخلل.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

)سورة التوبة(

السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامل أحداً:

أيها الأخوة الكرام، إن السنن والنواميس لا تحابي ولا تجامل أحداً، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً(١٢٣)وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً(١٢٤)﴾

)سورة النساء(

إن كوني من الصالحين لا يسمح لي صلاحي أن أجعل هذا الصلاح ترساً أرفعه في وجه كل من يريد نصحي، أو الاستدراك عليه، أو تصحيح خطأ مظنون أو مقطوع، وهل الصلاح إلا قبول النصيحة من الآخرين ؟

أيها الأخوة الكرام، الإسلام نفسه دين عمل، العمل للدنيا، والعمل للآخرة، والعمل للنفس، والعمل للغير، وإلى هذا المعنى أشار السيد الرئيس في خطابه في مؤتمر القمة الإسلامي الذي

عقد في الدوحة فقال: ليست المشكلة إثبات حسن النية فقط، فديننا هو دين النيات الطيبات، والأعمال الصالحات، أما الطاعة فهي لله وحده مع الالتزام بالإسلام، وكما قال الرسول الأعظم في حديثه الشريف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

))الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ((

]مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

الإسلام يرفع من قيمة العمل:

أيها الأخوة الكرام، وأن المرء يثاب على عمله حتى على عمله الدنيوي، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها وسنده جيد:

))إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه((

]البيهقي عن عائشة رضي الله عنها[

وهذا يشمل كل عمل يقوم به المرء مما هو داخل في دائرة المباح، فضلاً عن المستحب أو الواجب، سواء كان وجوبه بأصل شرعي، أو كان لتحمله المسؤولية وتبعات المسؤولية بموجب العقد والاتفاق.

وفي الحديث الآخر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

))إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ((

]أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ[

وهكذا يرفع الإسلام من قيمة العمل حتى حين يتيقن الإنسان ألا ثمرة تحسب له من ورائه، ويوجه المسلم إلى احتساب الأجر والثواب وهو يغرس فسيلة قد ينتفع بها إنسان أو طير يحتسب هذا عند الله .

أيها الأخوة الكرام، ومن الواجب الملّح التربية على هذا أن النسب الشريف للإسلام يتطلب أن يكون المرء على القدر الشرعي المقبول اللازم من أداء واجبات هذا الانتساب، وترك منهياته أو محرماته. ويجب أيضاً أيها الأخوة، أن يتم بوضوح الفصل بين الإسلام وبين ممارسة المسلمين أفراداً أو جماعة أو كياناً، فالإسلام دين رباني محكم مهيمن، وهو المرجعية للحكم على الأشياء وتصحيحها، أما عمل الناس وسلوكهم فهو قابل للنقض والمراجعة والتصحيح والملاحظة والنصيحة .

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آية الله في مخلوقاته " الذباب:"

أيها الأخوة الكرام: إلى الموضوع العلمي يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣ (﴾

)سورة الحج(

قال بعض العلماء: تعد هذه الحشرة أعجوبة في الخلق الإلهي، لقد ضرب الله سبحانه وتعالى الذبابة للناس مثلاً، هذا المخلوق الضعيف الذي يتكاثر بسرعة جنونية، هذا الذي يبدو لك

ضعيفاً لو أنك رششت مكاناً موبوءاً بالذباب، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة فهذه الذبابة ستنتج جيلاً من الذباب يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان، فتصنيع المضادات الحيوية عند الذباب شيء لا يصدق ! أي شيء يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضاداً حيوياً يكسبها مناعة ضد هذه المادة الفعالة، حتى إن الذباب إذا مات في البرد ينجب جيلاً يقاوم البرد.

﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣ (﴾

)سورة الحج(

فهل يتعلم الإنسان من هذه الحشرة التي يتقزز منها درساً بليغاً ؟

كُبّرت عين الذبابة مئات المرات فكان من هذا التكبير العجب العجاب آلاف العدسات المرصوفة إلى جانب بعضها بعضاً تحقق للذبابة رؤية كاملة، فهذا المخلوق الضعيف الذي يشمئز الناس منه يستطيع أن يناور مناورة لا تستطيعها أعظم الطائرات الحربية وأحدثها، إنها تسير بسرعة فائقة بالنسبة لحجمها، وتستطيع أن تتنقل فجأة لزاوية قائمة، وتستطيع أن تسقط إلى السقف وهذا شيء لا تستطيعه طائرة في الأرض أن تفعله، قال تعالى:

﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣ (﴾

)سورة الحج(

أما الذي يلفت النظر فحديث سيد البشر حين يلفت النظر إلى أن في إحدى جناحي هذه الحشرة داء، وفي الأخرى شفاء، فقد أكد العلم الحديث صحة هذا الحديث، فقد كشف أن في بعض جناحي الذبابة مادة ترياقية مضادة للجراثيم ولأنواع الميكروبات، فإذا علق برجل الذبابة بعض أنواع الجراثيم أو الميكروبات أو البكتريات الضارة وقع هذا الذباب في سائل فعليك أن تغمس الجناح الثاني، فإن في بعض الأجنحة الداء، وفي بعض الأجنحة الدواء والترياق، هذا الذي كشفه العلم الحديث في مقالة مفصلة تعتمد على أدق البحوث نشرت أخيراً في مجلة عربية كانت قد ترجمت عن مقالة أجنبية تؤكد هذه الحقيقة.

قال بعض العلماء: من وظائف هذه الحشرة أنها تنقي الهواء بقضائها على النباتات والعضويات المتفسخة وسريعة التنقل، بينما هي في بيتك إذا هي في يوم ثان في مكان تزيد مسافته عن عشر كيلو مترات، وتنجب جيلاً كاملاً كل عشرة أيام توالدها عجيب، أما الشيء الذي لا يصدق أن جملتها العصبية تشبه الجملة العصبية عند الإنسان ! وعلم الذبابة غاية في القوة وقوة الإبصار، ولها إدراك عالي المستوى، وقد تتصرف بغضب شديد إذا ما لاح لها خطر فهي تغضب، وتتألم، وتحس بالألم، ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الغرام ! وهو يعمل بأعلى كفاية، وفي الذبابة جملة من الغدد، ولها ذاكرة تستمر دقيقتين.

أنواع الذباب:

أيها الأخوة الأحباب، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في القرآن نذكرها نحن، والذباب أنواع منوعة تزيد عن مئات الألوف منه ذباب مفترس، ونوع كالنحلة تمتص الرحيق، ونوع يخمر الفاكهة، ونوع ينافس الطائرات في مناورتها وفي سرعتها، إن مناورة الذبابة لا يمكن أن يصل إلى مستواها طائرة صنعها الإنسان، تستطيع فجأة أن تعكس اتجاهها، وفجأة تسير في اتجاه يشكل مع خيط سيرها زاوية قائمة، وتضلل مطاردها وتسخر منه. فإذا كان الخلق مجتمعين في أرق عصورهم مع تقدم العلم عاجزين أن يخلقوا ذباباً فقد قال تعالى:

﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣ (﴾

)سورة الحج(

وقف المفسرون عند هذه الفقرة الأخيرة وقفة متحيرة، ثم كشف العلم الحديث أسرار هذه الآية، قال: إن الطالب لا يمكنه استنقاذ ما سلبته الذبابة لا بسبب العجز في الآلات المستخدمة، ولكن لأن الطعام الذي دخل في جوف الذبابة لم يعد نفسه هو الذي أكلته، والعجز يأتي من أن الطعام وحتى قبل دخوله إلى ماصة فم الذبابة طرأ عليه التغير، فلهذا السبب لا يمكن أن نستنقذه، فإذا قام العلماء باستخراج ما في بطن الذبابة، فإنه لن يكون هو نفسه الطعام الذي سلبته الذبابة، إنما يحتاج لتجميع مركباته التي قد تفتت، ولاحظ لو أراد العلماء أخذ الطعام من فم الذبابة، ولو من بداية دخوله خرطومها، فإن ذلك لن يجدي شيئاً، لأن الطعام قد تحول إلى

مركبات مختلفة تماماً، حتى قبل امتصاصه، لذلك لا يستنقذوه منه.

آية في القرآن الكريم لحشرة نشمئز منها. أيها الأخوة الكرام، وفي الأرض آيات للموقنين:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

)سورة آل عمران(

والحمد لله رب العالمين

الصيام – حكمته وعبادته ونظامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة لحكمة الصيام:

أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس مقاصد الشريعة، والموضوع اليوم حكمة الصيام، ولا بد من مقدمة تكون إضاءة لما سيكون في هذا اللقاء.

– 1**علَّةُ أيِّ أمرٍ أنه أمرٌ:**

أولاً: قال علماء الأصول: علَّةُ أيِّ أمرٍ أنه أمرٌ، فيكفيك أن تلتقي بأعلى طبيب في البلدة يحمل أعلى شهادة، مشهود له بالكفاءة وبالإخلاص وبالتوفيق، يقول لك: دع المحل، قد لا تفكر أن تسأله لماذا ؟ من شدة ثقتك به، فمن علامات الإيمان أنك ترى أن كل أمر لأنه من الله فهذا كاف، قد لا تحتاج إلى أي تعليل، ولا إلى أي تفسير، ولا إلى أي حكمة، ولكن نحن كدعاة لا بد من توضيح الحِكم، فلعل المؤمن يزداد بالحكمة اقتناعاً، على كلِّ علة أي أمر أنه أمر، هذه الحقيقة الأولى.

– 2**من حكمةِ المربِّي تبيينُ العلة والحكمة:**

لكن ربنا عز وجل حينما أمرنا أعطانا بعض الحكم، وهذا أسلوب رائع جداً، أنت كآمر لست محتاجاً أن تعلل، افعل وكفى، لكنك كمربٍّ تقدم الأمر، وتبين حكمته.

مقاصد الصيام :

1. **التقوى:**

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

)سورة البقرة(

لعلكم تتقون هي حكمة الصيام.

1 – معنى: تتقون:

تتقون من فعل وقى، والوقاية لا تكون إلا من شر.

2 – ماذا تتقون ؟

لعلكم تتقون عقاب الله عز وجل، لعلكم تتقون غضب الله عز وجل لعلكم تتقون سخط الله عز وجل، لعلكم تتقون ضياع الآخرة وخسارة الآخرة، لعلكم تتقون الشقاء.
تتقون من وقى، كيف أتقي سخط الله ؟ بطاعته، إذاً: لعلكم تطيعون، كيف أتقي غضب الله عز وجل ؟ بالعمل وفق مرضاته، إذاً: لعلكم تستقيمون على أمره.

2. رمضان دورة سنوية مكثفة:

الآية واضحة جداً، كأن الله عز وجل في هذا الشهر، أرادنا أو أراد البعض، أو أراد الكل، أو أراد كلاً بحسب مرتبته، أن يكون رمضان قفزة نوعية في علاقته مع الله، لعلكم تتقون: أي لعلكم تستقيمون على أمر الله استقامة تامة، كيف ؟

هذه دورة سنوية مكثفة، هذه الدورة ثلاثون يوما صلاة في المسجد، وعشرون ركعة بعد العشاء، وفي النهار غض بصر، وضبط لسان، وإنفاق مال، وتلاوة قرآن، فأنت تدربت على الطاعات، وعلى إتقان العبادات، وعلى الاتصال برب الأرض والسماوات ثلاثين يوما، لعل هذه الدورة التدريبية تعينك على متابعة الطريق مع الله عز وجل.

لكن الحكمة الدقيقة أن الله في رمضان منعك من المباح، منعك من الطعام والشراب فأنت غير معقول إطلاقاً أن تقترف معصية في رمضان، إنك تركت المباح تركت الطعام والشراب، أيعقل أن تكذب ؟ أيعقل أن تغش المسلمين ؟ أيعقل أن تحلف يميناً كاذباً ؟ أيعقل أن تحتال على الناس ؟ مستحيل، وإلا يكون هناك خلل في توازن الإنسان.

لذلك مِن حِكم الله عز وجل في فريضة الصيام أن يكون الصيام قفزة نوعية تحملك على طاعة الله الطاعة التامة، ولعل هذه الطاعة التي حصلتها في رمضان تنسحب على كل العام، معنى ذلك أن كل رمضان قفزة، رمضان الثاني قفزة، الثالث قفزة، القفزة تتبعها استقامة، لذلك البطولة أن الذي ألِفته في رمضان من الطاعات، وضبط الشهوات، وضبط الجوارح، وضبط الدخل والإنفاق، والتلاوة، والصلوات، هذه القفزات النوعية في العبادة، وفي التقرب إلى الله ينبغي أن تستمر على كل العام، عندئذ يحقق هذا الشهر الفضيل الغاية المرجوة منه.

لكن الشيء الذي يؤلم أشد الإيلام أن معظم الناس بعد رمضان يعودون إلى ما كانوا عليه، إذاً: عندئذ لا يعد رمضان قفزة نوعية، بل يعد موجة طارئة، وعدنا إلى ما كنا عليه، هذا الذي لا يريده الله أن يكون في رمضان.

3. الصيام عبادة الإخلاص:

شيء آخر: أحياناً تكون ثقةُ الإنسان بنفسه ضعيفة، ومن رحمة الله عز وجل، ولأنه رب العالمين أحياناً يلقي في روعك أنك يا عبدي مخلص لي، لأن الصيام عبادة الإخلاص.

والله شيء لا يصدق، العالم الغربي ما يتصور مسلما جائعا عطشا دخل بيته ولا أحد يراقبه، وما من إنسان يطلع عليه، وبإمكانه أن يضع في فمه لقمة، أو أن يضع في فمه قطرة ماء، لا يقدر، لأن الصيام عبادة الإخلاص.

إن إنسانا من غير بلاد، ومن غير ثقافة جالسا مع مسلم في رمضان قال له: كل، فقال: أنا صائم، قال: أغلق الستار وكل، لا أحد يراك، أنت في رمضان تشعر بإخلاصك لله، وتكون في أشد حالات العطش، وأشد حالات الجوع، والطعام بين يديك، والماء بين يديك، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تأكل أو تشرب.

هذا يذكرنا بأن بعض البلاد الغربية حرمت الخمر عام ألف وتسعمئة وثلاثة وثلاثين، التفاصيل قد لا تصدق، أكثر من أربع ملايين نشرة، أكثر من خمسمئة إنسان أودعوا السجن، وأربعمئة رجل أعدموا، التفصيل الآن لا أذكره بدقائقه، أما الإجراءات التي تمت، ثم أعلن فشل هذا التحريم، وعادوا، وسمحوا به، القرآن الكريم بآية واحدة تقريباً معظم المسلمين في شتى بقاع الأرض لا يشربون الخمر.

إن الله عز وجل في هذا الشهر أرادك أن تؤمن بنفسك أنك مخلص، هذه عبادة الإخلاص.

إن الله دفَعك إلى أن تقفز قفزة نوعية في رمضان، ثم دفعك إلى أن تثق بنفسك، هذه عبادة الإخلاص، وما من نظام وضعي في الأرض يمنعك أن تأكل، وما من نظام وضعي يمنعك أن تنظر إلى امرأة أجنبية، فالصيام وغض البصر هاتان عبادتان يختص بهما الدين، وأي نظام آخر لا يمنعك أن تنظر إلى الحرام، فترى طبيبا عظميا مؤمنا حافظا لكتاب الله عنده رداء أبيض، وفتحة صغيرة، يضع الرداء فوق المرأة، ثم يضع الفتحة فوق الألم، ويعالجها، لأن عنده مبادئ، وهناك حالات كثيرة جداً من الضياع، لكنك تجد المسلم وقافا عند حدود الله.

إذاً: أحياناً أنت بحاجة أن تثق بنفسك، أحياناً أنت بحاجة أن تعتقد أنك مؤمن، وأن الله يحبك، وأنت مخلص، فهذا من معاني الصيام عبادة الإخلاص.

4. الصيام عبادة الافتقار:

الشيء الآخر، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾

)سورة العلق(

هناك غفلة عند بعض الناس الأغنياء والأقوياء، المال بين يدي أحدهم كثير، أوامره نافذة، له مكانة إما تجارية، أو صناعية، أو له منصب رفيع، دائماً كل ربع ساعة يأتيه فنجان قهوة، وكأس شاي، وبعد ذلك عصير، ثم صحن فاكهة، لا يشعر بالجوع إطلاقاً، ولا العطش، كل حاجاته الجسمية متوافرة بأعلى مستوى، هذا الإنسان غافل عن أنه عبدٌ لله، عن أنه مفتقر إلى الطعام والشراب، الطعام والشراب متوافر، فأحياناً هذه العبادة تشعرك أنك مفتقر على الله.

أيها الإخوة الكرام، لا شك أن كل واحد منا مفتقر إلى الله، أيّ أن الإنسان عبد لله، مؤمنا كان أو غير مؤمن، مستقيما كان أو غير مستقيم، صالحا كان أو طالح، فإنه يحتاج إلى هواء، يحتاج إلى نبض، فنبض القلب أنت مفتقر إليه، وأي خلل في النبض تنتهي الحياة.

سيولة الدم أنت مفتقر إليها، فيتجمد الدم تصاب بجلطة في الدماغ، ففي مكان تصاب بشلل، وبمكان تصاب العمى، وبمكان تصاب بفقد ذاكرة.

الخلايا تنمو، فلو أن هذا النمو اضطرب لانتهت الحياة، فأنت في قبضة الله، وكلمة (أنا) لا معنى لها إطلاقاً.

أنت مفتقر فضلاً عن أن يكون نمو الخلايا طبيعياً، وفضلاً عن أن يكون الدم سائلاً، وفضلاً عن أن تكون الأوعية واسعة، وفضلاً عن أن يكون الدماغ حياً، وأن القلب ينبض، فأنت مفتقر إلى زوجة أيضاً، فلو أن المرأة استغنت على الزوج لغنى أبويها، أو لشدة حاجتيهما إليها لكنت أغنى الناس، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أحياناً ينشأ خلاف بين أخ وزوجته، تذهب إلى بيت أهلها، يمضى أسبوع أو أكثر، إذا التقيت به وجدتَه متوترا، لأنه مفتقر إلى زوجة، وأحياناً هي تسأل أباها ما الذي حصل ؟ لأنها مفتقرة إلى زوجها، فأنت مفتقر إلى الله، ومفتقر إلى طرف آخر من أجل أن تعرف عبوديتك لله عز وجل.

قد يكون لإنسان منصب رفيع، مكانة كبيرة، في م الصيف الحارة هو وعلمه الكبير، وفهمه العظيم، ومكانته الكبيرة، وأمره النافذ كل خواطره في النهار كأس عصير، كأس ماء، طعام يحبه، الله عز وجل أشعرك بعبوديتك له،.

بالمناسبة، المؤمن إحساسه بالعبودية في كل أشهر العام، لكن رمضان دورة مكثفة، أنت برمضان تعرف قيمة الطعام والشراب، في نهارِ شهر آخر الثلاجة أمامك، تشرب ماء باردًا، ومرة فنجان

قهوة، ومرة كأس شاي، ومرة كأس عصير، أما في رمضان فلا تحس أنك مفتقر إلى الطعام والشراب، لذلك قال العلماء: " هناك عبد الشكر، وهناك عبد القهر "، عبد القهر أنت في قبضة الله عز وجل، وأنت مفتقر إلى الله، أما عبد الشكر وأنت في الإفطار وأنت في الأشهر العادية تشعر أنك مفتقر إلى الله عز وجل، بطولتك أن تكون مفتقراً في السراء والضراء، لكن معظم الناس في الرخاء كما قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾

)سورة العلق(

ينسى الله عز وجل، لكن في الشدة يقول: لا إله إلا الله، هذه مقبولة، أنت قلت هذا الكلام مقهوراً، لكن كمؤمن كبير يجب أن تقول ذلك وأنت في أعلى درجات القوة، يجب أن تقول ذلك وأنت في أعلى درجات الصحة، يجب أن تقول ذلك وأنت في أعلى درجات الغنى، هذه هي البطولة، البطولة أن تفتقر إلى الله وأنت قوي، وأنت غني، وأنت صحيح، هذا هو الإيمان، فلذلك من عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة .

5. الصيام جوع اختياريٌّ من المسلم:

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، أنتم في رمضان بالتعبير النفسي تجوعون جوعاً اختيارياً، أنت اخترت أن تصوم رمضان، لأنك مسلم، وهذه فريضة ثانية، أنت جعت جوعاً اختيارياً.
مرة عالم كبير كان أستاذ رياضيات في سان فرانسيسكو، وكان ملحدا، لأن والده عنفه تعنيفا شديدا حينما انتقد أستاذ التربية المسيحية، فلما انتقد الأستاذ طرده من البيت، هذا الطرد قلبه إلى ملحد، وهو ذكي جداًً، وصار بأعلى درجات العلم، وصار أستاذ الرياضيات، ويمنح الدكتوراه بسان فرانسيسكو، هذا الإنسان جاءته فتاة شرق أوسطية تحضر الدكتوراه في الرياضيات، أرسلها إليه أستاذه لمشكلة في أطروحتها، يقول هذا الملحد: إن هذه الفتاة المحجبة حجابا كاملا، مع أن الفتيات في أمريكا شبه عرايا، قال: لا بد من أنها تملك قناعات معينة، وقال: أنا شعرت أنها قديسة، وأنها امرأة عظيمة، مع أنها لم تقل له كلمة في الإسلام، لكن

بحجابها فقط، وعكف من توه على قراءة القرآن، إلى أن وصل إلى قوله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾

)سورة هود: من الآية ٩٢(

فعدّها من أخطاء القرآن الكريم، أين فرعون ؟ وكان له صديق اسمه موريس بوكاي، رئيس المشرحة في باريس، قال له: تقول: إن الكتاب المقدس كتاب من عند الإله، لا خطأ فيه أبداً، وهو يتحدّث عن القرآن، قال: فرعون الذي ذكره الله في القرآن رممت جثته بيدي، وجاء من مصر إلى فرنسا، وأعطاه الصورة، الآن أسلم، وصار من أكبر الدعاة في أمريكا، وألّف الكتاب الثالث، وقد وصلني قبْل فترة.

شيء رائع جداً، هذا الإنسان سبب إيمانه أن امرأة محجبة مستقيمة لفتت نظره، لذلك يقول بعض ما جاء بالأثر:

))استقيموا يستقم بكم((

]الطبراني في المعاجم الثلاثة بسند صحيح[

أحيانا موقف أخلاقي واحدٌ يحدِث صدمة عند الناس، وقد يدفعك هذا الموقف إلى أن تسلم .

6. صيام رمضان مشاركة وجدانية مع المجتمع:

هذا الرجل جيفري لنك يبدو أنه في أيام الصيف الحارة كان صائماً، وتلوى من الجوع، ما تمكن أن يتابع الدوام في الجامعة، وترك الجامعة، وجاء إلى البيت ظُهرًا يتلوى من الجوع، شاهد على

الشاشة المجاعات في إفريقيا، فذاق طعم الجوع، وصاح: هنا يا رب فهمت حكمة الصيام، ووضعه المادي جيد جداً، لما رأى الجياع الفقراء في إفريقية، وهو ذاق الآن طعم الجوع الشديد وطعم العطش شعر بالصيام، فلذلك الصيام مشاركة وجدانية بينك وبين الفقراء.

واللهِ مرةً أحد إخواننا الكرام، وهو رجل ميسور الحال، في العيد استقبل عامل التنظيفات، وأكرمه، وهذا إنسان محروم من أشياء كثيرة في الحياة، فعلامة إيمانك الرحمة في قلبك.

من دون مبالغة أقول: ويل للقاسي قلبُه، وتكاد تكون أعماله كلها لا جدوى منها، قال تعالى:

﴿ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (٢٢ ﴾

)سورة الزمر(

علامة إيمانك رحمتك، ترحم زوجتك، ترحم أولادك، ترحم موظفيك، أنا بحكم اطلاعي على بعض المشكلات ترى الإنسان ينفق في اليوم مئة ألف، وبحاسب موظفا يعطيه معاشا لا يكفي عشرة أيام، والموظف مقهور، فإذا نزعت الرحمة من قلوبنا استحق هذا المجتمع سخط الله عز وجل، وفي الأثر: إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي، والراحمون يرحمهم الله.

والله أيها الإخوة، موقف رحيم يساوي ألف ركعة نافلة، موقف رحيم، موقف فيه شهامة، فيه تعاون، فيه حل مشكلة، لذلك رمضان من حكمته أنه مشاركة وجدانية مع المجتمع.

7. صيام رمضان أحد أسباب استجابة الدعاء:

شيء آخر، الصيام أحد أسباب استجابة الدعاء، لأن آية الدعاء جاءت ضمن آيات الصيام، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (١٨٦ ﴾

)سورة البقرة(

أنت في هذا الشهر مستجاب الدعوة، وهذه نعمة كبيرة، وأنت بالدعاء أقوى إنسان، الدعاء سلاح المؤمن .

8. رمضان إلى رمضان يكفِّر ما بينهما:

شيء آخر، رمضان إلى رمضان يكفر ما بينه من الذنوب، مكفرات، ما في كبائر الذنوب الصغائر من رمضان إلى رمضان تغفر، إذاً شهر مكفر، شهر فيه دعاء مستجاب، شهر فيه مشاركة وجدانية، شهر فيه استشعار العبودية لله عز وجل، شهر الإخلاص، شهر الاستقامة التامة على أمر الله .

9. الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة:

شيء آخر، الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، تقرأ القرآن وأنت صائم، لذلك قال بعض العلماء: إن أعلى درجة من الثواب في قراءة القرآن أن تقرأه في صلاة واقفاً، أو أن تستمع إليه وأنت في المسجد، في مسجد، وفي صلاة، وأنت واقف، إلا من كان معذوراً، وهذا متوافر في صلاة الفجر، وصلاة التراويح، والحمد لله .

10. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فأَعظِمْ بهما:

شيء آخر، للصائم فرحتان، أحد هم وكان ضعيفا في اللغة قرأها: فرختان، بالخاء، فدعاه شخص إلى الإفطار، ووضع له دجاجة، قال له: أين الثانية ؟

))لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ((

]البخاري، مسلم[

لذلك استنبط العلماء من بعض الأحاديث أن الموت عرس المؤمن، الموت تحفة المؤمن، والدليل أن أحد الصحابة الكرام وهو سيدنا سعد بن الربيع تفقده النبي عقب غزوة أُحُدٍ فلم يره، فبعث من يسأل عنه في ساحة المعركة، فإذا هو بين الموتى، لكن لم يمت بعد، قال له الرجل: يا سعد، لقد بعثني إليك النبي عليه الصلاة والسلام لأرى هل أنت مع الموتى أم مع الأحياء ؟ قال

له: أنا مع الموتى، ولكن أبلغْ رسولَ الله مني السلام، أن جزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته، وبلغ أصحابه أنه لا عذر لكم إذا خُلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف، فقدكان في أعلى درجات السعادة وهو يلقى الله.

حدثني أخ كان في طائرة اضطربت في الجو اضطرابا شديدا، وكادت تقع، قال: وضعُ الركابِ شيء لا يوصف، هذا الذي يضرب وجهه، هذا الذي يمزق ثوبه، هذا الذي يندب حظه، فإذا لم يعرف الإنسان الله كان الموت أكبر مصيبة عنده، فهذا الصحابي كان في أعلى درجات السعادة، و والله الذي لا إله إلا هو لقد قرأت أكثر من سبعين سيرة للصحابة الكرام، كلهم كان بينهم قاسم مشترك واحد، أنهم كانوا في أسعد لحظات حياتهم عند لقاء ربهم، فالموت تحفة المؤمن،

))لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ((

أيها الإخوة الكرام، الصيام نظام أمة بأكملها، مليار وخمسمئة مليون يأكلون في وقت واحد، ويدَعون الطعام في وقت واحد، ويتوجهون إلى الصلاة في وقت واحد، هذا هو النظام، والصيام عبادة جماعية، والنظام حضارة.

حينما ترى أن مسلمين في الصين الشمالية صائمون مثلك تشعر بانتماء أممي، تحس أن الإسلام عالمي، الإسلام دين أهل الأرض.

أيها الإخوة، هذه بعض حِكم الصيام، ونحن إن شاء الله في درس قادم نتحدث عن عبادة، أو عن قضية في الدين كبيرة، نتحدث عن مقاصدها الشرعية، والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين

القسم الخامس

دروس الحبيب عمر بن حفيظ

كلمة شهر رمضان ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

إلى إخواننا في الله في كل مكان، نوجه كلمة شهر رمضان للعام السادس والثلاثين بعد الأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بارك الله لنا ولكم في أيام وليالي هذا الشهر الكريم المبارك، الذي يغتنمُه المسلمون في العمل الصالح، مِن محافظةٍ على صلاة الجماعة، ومجالِس الذكر، ومجالِس التلاوة، ومجالس العلم، ومجالس التطبيقِ للشريعة، في فِطرٍ أو عَشاءٍ أو سُحورٍ أو لِباسٍ أوَ منامٍ أو مَشيٍ في الطريق.. إلى غير ذلك؛ لِيَحيَوا كما أحبَّ اللهُ وكما أحبَّ رسولُه؛ فإن عامةَ من في الأرض كما ذكرَ الله أنهم يضلُّون عن سبيل الله، أنهم يَحيون على ما تريد الأنفسُ والأهواء، وعلى ما يُخطِّط الكافر والفاجر وإبليس وجندُه؛ فتكون نوعيةُ حياتهم مخالفةً للشريعة، مخالفةً للآداب النبوية، مخالفةً للسنة.

والذي يَحيا على مسلك السنة ومسلك الهدى؛ هذا غريبٌ بين الخلقِ في هذا العالَم، وطوبى للغرباء (بدأ الإسلام غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) رواه مسلم.

فالإقبال على ذلك بالصدقِ في هذه الأوقات التي فتحَت الفتنُ فيها أبوابَها، يُذَكِّرُ بحديثِ المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (العبادةُ في الهرجِ كهجرةٍ إليَّ) رواه مسلم والترمذي. أي الاستقامة على ما يُحِبُّ الله وقتَ الهرج، وقد فسر صلى الله عليه وسلم الهرجَ بالقتل؛ وهو الذي يتحدث عنه الناس ويشاهدونَهُ اليوم هنا وهناك، ومُثيروه والمُتسبِّبون فيه إن هدأ شيءٌ من أماكنهم أو أوقاتهم في فترة فسيثورُ ما ثوَّروه على الآخرين في أوقات أُخَر في أماكنهم؛ لأن الدنيا تكاد أن تكون دارَ جزاء. ولكن مَن سَلَّمَ نفسَه من الدماء، والسِّبَاب، والتَّسَبُب في ما يَضرُّ الناس، وصدقَ مع الله، فهو الذي يعيشُ في أي مكانٍ وفي أي زمان في بحبوحةِ العنايةِ الإلهية ملطوفٌ به في كُلِّ ما يُنازِلُ البَرِيَّة. ثم يخرجُ سالِماً لا ينالُهُ من ذلك سوءٌ في الدنيا ولا في الآخرة.

فهو ما بين السرَّاء والضرَّاء صابرٌ وشاكر وفي كِلا الأحوالِ رابح وفائز، لا نادم ولا خاسر؛ ولكن مَن خالفَ اللهَ هو الخاسر، ومَن عملَ بغيرِ شريعةِ النبي محمدٍ هو الهالِك ((وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ)) ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).

ثم إننا فيما نمشي فيه؛ كلُّ ما قام مِنَّا على وجهِ الإقبالِ على الله، والوِجهةِ إلى الله، والصدقِ مع الله؛ فأقدامُنا فيه على قدمِ سنَدِنَا من رجالِ الله تعالى إلى حضرةِ النبوة والرسالة. فإن كان هناك هُدىً وبصيرة في المسار، فهُدَاهُم وبصيرَتُهُم، عليها نمضي وعليها نمشي، وهي بصيرةٌ مأخوذةٌ من المنبعِ الأكبر ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَة أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي))

فيَعَلَم المُشَارِك والخَادِم في هذهِ المجالات والمُسَاهِم فيها؛ أنه مهما صدقَ وأخلص ففي ميدانِ جهادٍ من ميادينِ الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، فليُهَاجِر برُوحه وعقلِه ووجهتِه

إلى رسول الله، ويجعل هجرتَه إلى الله ورسوله. مِن ماذا؟ مِن غوغاء وضوضاء وفوضى هذا العالَم، وانحطاطِه وسُفلِيَّاتِه وظنونِه وأوهامِه.

هَاجِر.. أُدْخُل في ميدان الحق ورسوله، حقائق وصفاء وتُقى ونقاء، وعبادة للرب، ومِنهَاج ارتضاه الله لأعيُنِنَا ولأَذَانِنَا ولألسنَتِنَا ولبطُونِنَا ولفُروجِنَا ولأيدِينا ولأَرجُلِنَا ولقُلُوبِنَا. فنُنْزِلُ ما أنزلَ اللهُ للقلوبِ في القلوب، ونُنْزِلُ ما أنزلَ اللهُ للأعيُن إلى الأعين.

وقل لكل مَن كَسَّلَك وخَذَّلَك وحَاجَّك في هذا المجال والمَيْدَان: ((قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ))! نريد نكون مع الله، ولله، وعلى درب الله ((أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)). اللهم ارزقنا ذلك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

فقَولُنَا إذاً لأنفسنا، ولمن حوالَينا مِن كل مَن يعقل، بل لكلِّ الإنسِ والجن والحيوانات والنباتات والجمادات.. قولُنَا لهم: ((آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)).

هذا قولُنَا.. نقولُه ونحن مأمورونَ بقولِه؛ فنقولُه بقوة، ونقولُه بثقة، ونقولُه بعزيمة، ثم شأنُهم وما يفعلون، فمن قَبِل وأَقْبَل.. مرحبا به، هو مِنَّا ونحنُ مِنْهُ ((فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا)) يا مرحباً بالمهتدين.. ((وإن تولَّوا)) كل مَن تولَّى منهم، وكلَّ مَن أصرّ على أن يُنَقِّص ويُقَصِّر شأن الوجهاتِ هذه والأعمال هذه، وكل من أراد أن يُخَذِّل عنها، ((فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). فكلُّ مَن صدقَ في الدربِ فالذي يقومُ بالكفايةِ لهُ وعنهُ ويكفيهِ شرَّ من يُناويه "الله".

وعلى هذا الدربِ مشى حبيبُ الربِّ سيدنا محمد نورُ القلبِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وهل مِن أمنية لنا شريفة في الحياة غيرَ أن يثبتَ القدمُ على القدم؟ غيرَ أن نقتديَ ونهتديَ ونَأْتَم بالأشرفِ الأعظم، والنور الأفخم، والحبيبِ الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والله ما في الحياةِ مِن طرفِها إلى طرفِها أمنيةٌ فوق هذا، ولا أعظم مِن هذا، ولا خيرٌ مِن هذا، ولا فيها ما يُعْشَق سِوى هذا؛ عندَ كُلِّ ذي روحٍ، أدركت سِرَّ قُدُّوس سُبُّوح. نسأل اللهَ أن يُرَوِّحَ أرواحَنا بنسيمِ قُرْبِه ومعرفتِه وحُبِّه، إنه أكرمُ الأكرمين وأرحم الراحمين.

وبارك الله لنا ولكم فيما بَقِي من ليالي وأيام الشهرِ الكريم، وقد انتصف بنا الشهر، وأقبلت علينا ليالي العشر الأواخر، التي كان لنبيِّنا فيها شأن، فليكُن لنا فيها شأن في تبعيَّةِ سيدِنا المصطفى مِن عدنان، وليكُن مِن ذلك الشان ما يعودُ بعوائدِ قوةِ الإيمان وطُهر الجنان، والمشاركة مع الأهل والأقارب والجيران والإخوان في تبعيةِ مَن كان إذا دخلت العشرُ الأواخر شدَّ مِئزرَه، وأيقظ أهلَه، وأحيا ليلَه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ونستودعكم الله، ونوصيكم بصدقِ الابتهالِ إلى الله في هذه الليالي، في النصرِ على الأنفس، وشياطين الإنس والجن، ونصرِ الأمة المحمدية في شرق الأرض ومغاربها على أعداء الله، وكلِّ مَن يريد النَّيلَ من دينِها، والإساءة إلى شريعة الله، ومنهاج نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ((إذ تَستَغيثُونَ رَبَّكُم فاستَجابَ لكُم)) ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

. شهر رمضان ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهر رمضان **١٤٣٥**هالحمد للهِ الكريمِ المنان، الذي أقام لأهل الإسلام مدرسةَ شهرِ رمضان، لتكون سُلَّماً لهم إلى مراتبِ القُرب والتَّدان، وإعدادًا ليكون الصائم والقائم جنديًّا من جنودِ الرحمن؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى من عدنان، وآله الكرام وأصحابه الأعيان، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم وضع الميزان.

وبعد .. فإلى إخواننا وأحبابنا من أهل لا إله إلا الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعل الله تبارك وتعالى سيادةَ شهر رمضان على سائر الشهور غنيمةً لأهل الإيمان بالحق، واليقين بالمصير، فيكون كفارةً لسيئاتهم ومغفرةً لذنوبهم وعتقًا لرقابهم من النار، وقد أقبلنا على خواتمه وأواخره وإنما الأعمال بخواتيمها. وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها، فانتبهوا من العشر الأواخر ولا تضيِّعوها في غفلة ولا في أسواق وملاهي، وخذوا نصيبَكم من الاعتكاف في المسجد ومن قراءة القرآن.

وخذوا من دروس رمضان تعظيم قلوبكم لكتاب الله تبارك وتعالى للعمل به، ولأن نفرِّغ مَن نقدر من أبنائنا وبناتنا لحفظِه على الوجه الطيب، والوجه الطيب أن يقرن الحفظ بتعظيم الحرمة وصفاء القلب وبإخلاص النية وبالتواضع لله تبارك وتعالى والتذلل له، وبحسن الظن بعباد الله وبرحمة الخلق أجمعين، وهكذا يقوم الحفظ للقرآن إذا تم على وجهه هذا فيفيد قربةً إلى الرحمن وجزاءً

أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (من حفظ القرآن وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوؤه أحسنُ من ضوء الشمس في بيوت الدنيا) ثم قال هذا لوالديه فما الظن بالذي عمل.

إنها شعيرة مباركة، فعظموا شعائرَ الله وابتَغِوا مِن بواطنكم وقلوبكم التشوُّق إلى لقاء رسول الله وأصحابه، بمشابهتهم في نصرته فتنصرونه في دياركم ومنازلكم بإبعادِ ما خالَف سنَّته وخرج عن طريقه وهديه، وبتعليق قلوب أبنائكم وبناتكم به وبمحبته وبتعظيمه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وبمشابهته في العشر الأواخر فتخصُّونها بمزيد من الاجتهاد وبمزيد من القراءة للقرآن ومن حضور الصلوات ومن مواساة الأرحام خاصة والفقراء والجيران وعامة الناس.

ومن دروس رمضان: اجتماعُ القلوب على الله تبارك وتعالى وصِدقِ الوِجهة إليه والخروج بفوائد الدوام على حسن العمل بشريعته وتطبيقِها ودعوة الخلق إليها بالقول والفعل والنية.

وفي خصلة تحتاجون إليها وهي تفقُّد أهل الحاجة، والبذل في سبيل الله لتقوم حقيقةُ وحدة المسلمين وأخوَّتهم، ولتنقفل أبوابُ الإضلال والإغواء والدعوة إلى الكفر وإلى الشر التي يقوم بها من يقوم مِن أهل الضلال ليُزيغوا قلوبَ المسلمين عن سواء السبيل في الوقت الذي يفقد فيه أولئك المسلمون مَن يتفقَّد حاجتَهم ومَن يراعي شعورَهم وبعثَ وبثَّ المودة والأخوة والألفة بينهم.

فنحن نحتاج أن نأخذ من الصحب الأكرمين الذين كان في طليعتهم سيدنا سعد بن معاذ الذي قال لرسول الله (خُذ من أموالنا ما تشاء واترك ما تشاء والذي تأخذ أحب إلينا من الذي تترك) والذين عبَّروا عن صدق ولائهم بقوله (قاطِع حبال مَن شئت، وواصِل حبالَ مَن شئت، وحارِب مَن شئت، وسالِم مَن شِئت، ونحن حربٌ لمن حاربت، وسِلمٌ لمَن سالمت) فلنُقِم حقيقةَ هذه التبعية لهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا القدم الذي مضى عليه الصحابة.

ولنغتنم بقية ليالي رمضان في تفقُّد المحتاجين، فلنعتنِ بذلك ونغنم بقيةَ أيام الشهر الذي كان فيه رسول الله أجود ما يكون. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فهو أجودُ بالخير من الريح المرسلة.

ألا وخذوا الدروس من هذا الشهر والصوم فيه، فهي تعلِّمكم تقويمَ الصرف فيما تنفقون وأين تنفقون، وكما تعلِّمكم الشعورَ بحال الجائع، وحال المحتاج لتكونوا ممن يُحسِن الإنفاقَ في محلِّه ولتقوموا بدوركم في المجتمع؛ وهو مع ذلك كله يفيد إشراقَ أنوارٍ في بواطنكم، وتصفيةً في سرائركم، وذوقًا رفيعًا لمعاني إيمانكم وقُربِكم مِن خلاقكم.

نسأل الحقَّ أن يأخذ بأيدينا، وييسر لنا السبيل في إقامة الأمر على ما يرتضيه، وأن يجعل صومَنا مقبولاً وقيامنا مقبولاً ويرزقنا الإحسان فيه، متجنِّبين للآفات من اللسان وبقية الجوارح الأعضاء (فإنَّ مَن لم يدع قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجةٌ أن يدع طعامه وشرابه).

ثبَّت اللهُ قلوبكم، وشرح الله صدورَكم، وأخذ الله بأيديكم، ورزقكم اغتنامَ ليالي العشر حتى يكون العيد لكم من أبرك الأعياد، ممدودين فيه بأوسع الإمداد من فيض جودك يا كريم يا جواد.

اللهم ارزقنا اقتطافَ ثمرات الصوم، والفوز بحقائقه وسامي معانيه، واجعلنا من خواص أهل رمضان، واجعله مباركًا علينا وعلى أمة نبيك محمد أجمعين..

والحمد لله رب العالمين

مجالس التنزُّل وكسوة رمضان وحقيقة التجارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أسمعكم وعلى ما جمعكم وعلى ما آتاكم وتفضّل به عليكم، وعلى هذه الدعوة وهذه الدعوات، في مجالس نحضر فيها معكم لنتربى لنتزكى لنوثّق الحبال، الكبير المتعال، نطالع صفحات الإنزال والتنزُّل الرباني في الأمة المحمدية، ليقرِّب من يشاء، ليهدي من يشاء، ليبسطَ بساطَ الاتصالِ بالجناب الكريم، وينتخبَ من يشاء ليثبِّته على الصراط المستقيم، ونتمنى خدمةً صالحة نخدم بها أهلَ مساعي المشكورة من قِبَل الله فهي الناجحة، وأهل تلكم التجارة الرابحة، التي دُلِلنا عليها بدلالة الحق في كتابه على لسان سيدِ أحبابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾.

نأسف لما أخذ القلوبَ والعقولَ من دلالات الساقطين والهابطين على ما سمَّوه تجارة أو على ما زخرفوا القول نحوه، فأخذوا القطيع بعد القطيع من شبابنا من نسائنا من رجالنا، لعبوا بأفكارنا، لعبوا بأخلاقنا، لعبوا بعلائقنا بيننا البين، لعبوا بقلوبِنا التي هي محلُّ نظرِ ربِّنا جل جلاله وتعالى في علاه. وصِرنا نشاهد ما نشاهد ونعاني ما نعاني، وهذه الدلالة من قِبَل رب العالمين كيف يُعرض عنها القلب؟ كيف يتولى عنها عقلُ الذي آمن بهذا الإله وأنَّ المصيرَ إليه.

ارتفعت خديجة بنت خويلد وجاءها السلام من حضرة الله وهي في هذه الدار، لأنها أدركت ما هي التجارة وأن التجارة ليست تجارتها التي كانت تشتغل فيها، ولكن موالاة محمد تجارة، خدمة محمد تجارة، دخول معه في الشِّعب ليس مفروضاً عليها وليست من أهله، ليست من بني هاشم المفروض عليهم الدخول وسط الشعب، اختارت تدخل وسط الشعب، اختارت أن تكون جنب الجائعين الذين يجوعون، وجنب الممنوع عليهم أن يُباع عليهم أو أن يُشترى منهم أو أن يمدَّهم

أحدٌ بشيء، لم؟ محبة، إدراك للحقيقة، انكشف الغطاء عن زخرف الدنيا وتفاهتها، عشقت ربَّها من باب حبيبه، فتحبَّبت، أُحِبَّت وظهرت عليها آثار المحبة، عموم المؤمنين نقرأ في قول الله تعالى (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ)، وتقدم سلام من السلام إلى خديجة وهي في دار الحطام، في أيام الدنيا، وكونها تدخل على المصطفى حاملة للطعام، تولّت تقريبَه بعد ما تولَّت طبخه.. لم؟ عندها الخدام عندها الحشم تقدر يخدمونها ولا تقوم هي بجلب شيء، هاتوا بيجيبونه لها، راحت هي تقرّب، راحت هي تخدم، راحت هي تطبخ، من أجل أن قلبَها أدرك سرَّ تجارة الأبد، فعاملت الحقَّ بمحبة محمد صلى الله عليه وسلم، ونُصرته والقيام معه، ودخلت حاملة الطعام تقربه إلى خير الأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكان من قبل البعثة أيام يطلع في غار حراء تقول إذا احتجت بعد العشرة الأيام تتزود ألاقيك في الطريق، لا تقطع المسافة كلها إلى عندي ولا إلى البيت وسط مكة، وآتي لك بالطعام إلى هناك وتلقَّه مني وارجع إلى عبادتك، عليها رضوان الله تبارك وتعالى.

وكانت تلك الحقيقة، الذين اغتروا في تلك الحياة الدنيا بزخارف ذا وذاك، من عندهم وفي ما يدور بينهم، أو الوجاهات أو ذاك المال أو شيء من هذه الشؤون الذين اغتروا بها كلهم، انتهت صفحاتهم من مجد ومن شرف ومن كرامة، فلم يُذكروا بقية العمر في الدنيا قبل الآخرة إلا بالكفر، وإلا بالفجور وإلا بالظلمة وإلا بالسوء.. والمجمع مقبل للمحكمة، والمحكمة لا يُرفع فيها إلا من رفعه الله، ولم يرفعِ اللهُ من خلقه كما رفع عبده محمد، (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولواء الحمد بيده، والله يظلنا بظل ذاك اللواء، فاعرفوا قدرَ ما آتاكم الله وتفضّل به عليكم، وأيام سوف تنقضي لهذه الدورة، انقضى علينا الشهر الفضيل يارب اقبلنا فيه واجعلنا من المنظورين بعين العناية، والعائدين إلى أمثاله، وتوالت علينا الأيام القريبة من رمضان، وبدأنا نعود بكسوة رمضان ولباسه إن شاء الله لمزاولة الزمان بما يحب رب الزمان، والحضور في المكان بما شرع ربُّ الأمكنة، رب كل شيء، مليك كل شيء، (مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) جل جلاله وتعالى في علاه.

حشا الله قلوبكم بالإيمان به، وباليقين بما أوحى إلى حبيبه وأثبتَنا وإياكم في أنصاره ظاهراً وباطناً، ومدَّ بنا حبالَ الصدق، ولنا، وحبال الأخوة في الله تعالى، والذبَّ عن شريعة الله والقيام بنصرة الله ورسوله، كما يحبه ويرضاه، أرانا الدنيا كما أراها عباده الصالحين، أرانا الآخرة كما أراها عباده الصالحين، لأن نظارات الزور تُوزَّع بكثرة على الناس وتعددت اليوم برامجها وقنواتها هنا وهناك ودخلت هنا وهناك، ومنظار الحق ما جاء به محمد عن الحق..

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا*** به موقنات أن ما قالَ واقعُ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

فيارب ثبتنا على الحق والهدى *** ويارب اقبضنا على خير ملةِ

قبِلَ اللهُ ما سمعتم من الدعوات وما تسمعون، كساكم بكسوة الصدق معه، تخرجون بأسرار الصيام وأسرار القيام وأسرار القرآن، إلى ما يدور في مخيلاتكم، وخلَدكم وما يدور في بيوتكم، وما يدور في شوارعكم وأماكنكم، وما يدور في بلدانكم ملتجئين إلى الحق سبحانه وتعالى، فإن الالتجاء إلى معاني هذا الصدق لجوء إلى ظل العرش، لجوء إلى لواء الحمد، لجوء إلى الحوض، لجوء إلى الجنة، لجوء إلى الفردوس، إذا اعتكرت بالناس أهواؤهم وشهواتُهم ومنافساتُهم على الحقير، وأُذيق بعضهم بأس بعض فرفعتَ يدك عن كل هذا والتجأتَ إلى أين مرضاة إلهي الذي خلقي وكيف أقوم بمهمتي من أجله في حياتي القصيرة، أوى إلى الله فآواه الله إليه ، وهذا الذي نحب.

نسأل الله أن ينظر إلى قلوب الأمة، فتأوي إلى ظل الاقبال عليه، وصدق الوجهة إليه ويحوّل الله أحوالهم إلى أحسن حال، اللهم اجمع شملهم بعد الشتات، وألِّف ذات بينهم، خذ بأيديهم ونواصيهم إليك أخذَ أهل الفضل إليك، يا مجيب الدعاء يا من لا يخيب من الرجاء، والحاضرين في المجمع ومن يسمع مُدّ لهم حبال الاتصال الذي ما له من انقطاع ولا زوال، أبداً سرمداً يا ذا الإفضال يا الله، يا الله، يا الله، إذا حُشر الناس أشتاتاً ففي جمعِ حبيبك اجعلنا، وهناك اجمعنا، وعلى حوضه أورِدنا، ولا توردنا موارد هلكة ولا تظهر لنا عورة، ولا تفضحنا يا مولانا في حاضر القيامة بموبقات الآثام، واعف عنا ما ارتكبنا من الحرام، وارحم بالقرآن العظيم في موقف العرض عليك ذلَّ مقامنا، وثبّت به عند اضطراب جسور جهنم يوم المجاز عليها زلّةَ أقدامنا ونجّنا به من كُرب يوم القيامة، وشدائد أهوال يوم الطامة وبيّض به وجوهنا، إذا اسودت وجوه العصاة في موقف الحسرة والندامة، آمين يا ذا الجلال والإكرام والطول والإنعام. والحمد لله رب العالمين..

وفي هذه الحبال التي تُمدّ لكم في ذي المجالس، استشهدوا بمعنى كان يذكره صلى الله عليه وسلم لظهور بعض الآثار التي تشتد في الدنيا ويتمثل بقولهم: اشتدي أزمة تنفرجي، ومظاهر الفرج في خصوصه وفي عمومه تبدو، لكن قربها وقوتها على قدر قُربِ هذا القلب من ربه، وقوة صدقه مع مولاه جل جلاله وتعالى في علاه، وتأمل قول ابن عباس، لو انطبقت السماء على الأرض لجعل الله للمتقي منها مخرجا. ومن يقدر يطبق السماء على الأرض؟ هذا الذي لا يكون سبحان الله، وقال لو أشد من كل ما تتخيل كان وأنت متقي اطمئن، بعد قوله (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا)، (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)، ارزقنا التمسك بحبل التقوى في السر والنجوى وأصلح شأننا كله يارب العالمين.. والحمدلله رب العالمين.

حال المؤمن وشأن الأمة في استقبال رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان رب العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان من أرسل إلينا عبده المصطفى، سبحان من خصّصنا بنبيّه المجتبى، اللهمّ لك الحمد على هذه النعمة العظمى والمنة الكبرى، ونسألك أن تجعلنا من خواصّ شاكريها، ومن خواصّ القائمين بحقها ومن خواصّ المترقّين في مراقيها، آمين يا رب العالمين، فإن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وقد وقتَّ خلقهما بمواقيت من عندك، ثم جعلت المصير إليك في يوم يجتمع فيه الأولون والآخرون، وكلّ ما جرى من الشئون في هذا العالم في الظهور والبطون تضمحلّ وتتلاشى إلا ما اتصل بحضرتك وقُبلَ عندك وكانت له المكانة لديك، و (كُلّ شَيْءٍ هَالكٌ إلا وَجهه لهُ الحُكمُ وَإليهِ ترْجَعُون) جلّ جلاله وتعالى في علاه، وحينئذٍ يُدرِكُ أهل الخسران خسرانهم وأهل الضياع ضياعَهم وأهل الفتن فتنهم، وأهل الغفلة غفلاتهم ونتائج ذلك من البعد أو الطرد أو الحجاب، (كَلا إنهُم عَن رَبّهم يَومَئذٍ لَمَحْجُوبون ثمّ إنهم لصَالوا الجَحيم ثمّ يُقال هذا الذي كنتم به تكذبُون) بعد أن قال ربكم سبحانه وتعالى في سبب ذلك: (كلا بل رَانَ عَلى قلوبهم مَا كانوا يَكسِبُون).

فوِجهات الناس ونيّاتهم ثم ما يلحق بها ويتعلق بها من أعمالهم وتصرفاتهم في الحياة، هي المكاسب التي يترتب عليها إما تنوير القلوب وإما إظلامها، إما حياتها وإما إماتتها، إما طهارتها وإما وسخُها والعياذ بالله تبارك وتعالى، ويا مقلِّب القلوب والأبصار ثبّت قلوبنا على دينك.

وأنتم في توديع هذا الشهر في آخر جمعة من جُمَع شهر شعبان تستقبلون شهراً في مثله أنزل القرآن على سيد الأكوان، وظهر النور وبان، وأصلح الله به من أصلح على مدى الأزمان.. فلله الحمد سبحانه وتعالى في كل حين وآن، ونسأله أن يحسِن لنا استقبال رمضان، ويحسِن لنا خاتمة شعبان، بوجهات صادقة معه جلّ جلاله منقّاة عن الأدران والرّان، وبالإخلاص لوجهه الكريم يتسامى عن قصدِ كل فان، من جميع الأكوان، فيا ويح من قطعته الأكوان عن الإله المكوّن، بل يا ويل له والعياذ بالله تبارك وتعالى، هل خلق الله الأرض والسماء لتستدلّ على عظمته وتزداد يقيناً به أو لتنقطع بها أو لتُحبس فيها أو لتستُعبد لها أو لتغتر بشيء مما فيها؟؟!! (انظروا مَاذا فِي السّمّاوَات والأرض) ما كان حكمةُ خلقه وسر إيجاده إلا ليزيدكم إيماناً وإحساناً وقُرباً من الرحمن وعرفاناً وأدباً معه وعبودية له واغتناماً لهذه الأعمار القصيرة، استعداداً للمآل، استعداداً للمآب، استعداداً للعاقبة.. استعداداً للرجعى (وَأنّ إلى رَبّكَ الرّجعى) جل جلاله وتعالى في علاه، (كلا إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)، ويلٌ لمن ظنَّ أنه مستغنٍ بفكرِه، ويل لمن ظن أنه مستغنٍ بجيشه ويل لمن ظن أنه مستغنٍ بقبيلته، ويل لمن ظن أنه مستغن بمصانعه، ويلٌ لمن ظنّ أنه مستغن بأي شيء غير الله، وهو الطاغي، هو الطاغي، (كلا إنّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى * إنّ إلى رَبّكَ الرّجعَى) ألا تتذكر؟؟!! (إنّ إلى ربّكَ الرّجعَى) ألا تتفكر؟؟!! (إنّ إلى رَبّكَ الرّجعَى) ألم يكن عندك نظر؟ (إنّ إلى رَبّكَ الرّجعَى) تفسِّر لك حالك الذي أنت فيه وخطأك في وهمك في اعتمادك على غير بارئ الكون ومنشيه جلّ جلاله وتعالى في علاه، خدعُوا القلوب فعلَّقوها بغير مولاها حتى التجأت إلى غير ربها سبحانه وتعالى، واعتمدت على ما سواه فتقلَّبت في أودية الأتعاب والأنكاد والبلايا والآفات المتقلبة، (وَمَنْ يَتوكل عَلى اللهِ فهُوَ حَسْبُه)، أين القلوب التي تُحسن اللجاء إلى من بيدِه أمر النجاة ولا ينجِّي الفرد ولا الجماعة إلا هو، والأمر كله بيده، وأمرُ الفرد والجماعة والأمة عنده شيء واحد، لا يعجزه شيء جلّ جلاله ولكن الشؤون التي يُبديها..

على ذا مَننتَ وهذا خذلتَ ** وهذا أعنت وذا لم تعن

فما شئت كان وإن لم أشأ** وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما أردت ** ففي العلم يجري الفتى والمُسن

فسل ربّك التوفيق والعفو والرضا** وكوناً مع أهل الهدى والحقائق

رجال إلى الرحمن ساروا بهمةٍ** على الصدق والإخلاص من غير عائق

من يعلمنا السير إلى الرحمن؟ يدلنا على السير على الرحمن ، شئون الاتصال بالرحمن، الإقبال على الرحمن، علمونا الاتصال بماذا؟ خدعونا وغشونا بالاتصال بماذا؟ علمونا الاتصال بالدنايا، علمونا الاتصال بالأحقاد، علمونا الاتصال بالشحناء والبغضاء، علمونا الاتصال بتعظيم الماديات، علمونا الانقطاع عن الجبار الأعلى..

رجال إلى الرحمن ساروا بهمة على الصدق والإخلاص من غير عائق

فنالوا الذي كل المطالب دونه، كل المطالب دونه، كل المطالب دونه، مطالب السلطات ومطالب الجاهات ومطالب الثروات وما سواها، كلها دونه، دونه، والله دونه، والله لا تساوي شيئاً عنده،

فنالوا الذي كلَّ المطالبِ دونه فلله من عيشٍ كريمٍ ورائق

دنوّ وتقريبٌ وأنسٌ بحضرةٍ مقدَّسة في منتهى كلِّ سابق

دنوّ مِن مَن؟ دنوّ إلى مَن؟ في أسرار مَن قال عنه الرب تبارك وتعالى (ثمّ دَنا فتدَلّى * فكَانَ قابَ قوسَين أوْ أدنى * فأوحَى إلى عَبدِهِ مَا أوحى * مَا كذبَ الفؤادُ مَا رَأى * أفتمَارُونه عَلى مَا يَرَى) يا مَن أريتَه آياتك الكبرى صلّ عليه وارزقنا اتباعه ظاهراً وباطناً والإقتداء به سراّ وعلناً، يا أكرم الأكرمين، اجعلنا تبع ذلك الفؤاد الذي ما كذب، واللسان الذي ما كذب، والعين التي ما خانت، والأذن التي ما خانت، اجعلنا في تبعيَّة الطاهر المعصوم الطيب حبيبك المصطفى محمد، آمين يا ربنا، آمين يا ربنا، سُرَّ قلبَه بمن تربط من الأمة به ربطاً لا ينحلّ، يا الله، فإنما أوتينا من حيث تخلُّفنا عن الارتباط به، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وكل فرد أو جماعة أو طائفة ولو كثرت، انحلَّت رابطته على وجه الحقيقة بخير الخليقة فهي القاصية التي يأكلها الذئب، نرى الذئب ينهش.. ونسأل الله أن يرفع هذا النهش، ويرفع هذا الغش وهذا البلاء الذي نزل بالأمة، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، استجب لنا ونجّنا من الغم يا مَن ينجّي المؤمنين.

دعانا إلى الجماعة ولا جماعة إلا من ائتمّوا بسيّد الجماعة، ما نعرف إماما للجماعة إلا واحد اسمه محمد، الله جعله الإمام، إذا حضر النبيّون كانوا مأمومين، وإذا حضر الملائكة كانوا مأمومين، أفيكون صالح على ظهر الأرض غير مأموم بهذا؟ لا، لا يكون، وكلّ من انفصل عن فهو القاصية من الغنم التي تتعرض للذئب..

وهذا الذي وقع في هذه الأمة فيا ربِّ عوّد صلتها بالجناب الشريف، يا رب ارزقهم حسن الاقتداء بالداعي إلى مراتب القرب منك والتعريف، يا كريم يا لطيف يا أرحم الراحمين، وما جمعكم جلّ جلاله إلا ليقضي أمراً فيكم وبكم في الأمة، فما قامت على عبث ولا قامت على صُدَف ولكن ذلك تقدير العزيز العليم، جلّ جلاله وتعالى في علاه، توجهوا إلى من جمعكم ليفيضَ عليكم من خزائن جوده ما عسى به أن تسعدوا وأن ترشدوا وأن يكشف الله الغممَ عن هذه الأمة، وأن يجلوَ الظلَم عن هذه الأمة ويعرف الواحد منكم كيف يودع هذا الشهر وكيف يستقبل رمضان بأوجه الإحسان بالصفاء عن الأدران، بالصلة بالقرآن، بالتأمل وما فيه، بالاقتداء

بالذي كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، ويجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها من رمضان، ذاكم القدوة سيدنا محمد ، الذي قال ربكم له: (قلْ إنْ كُنتمْ تحِبّونَ اللهَ فاتبعُوني يُحْببكمُ اللهُ وَيغفر لكمْ ذنوبَكُم) يا رب حقيقة التبعية مكنّا فيها، وأهلينا كلهم وأولادنا كلهم، حتى نحشر معه يوم القيامة، نحيا على محبته، نُتوفى على ملته، نُحشر في زمرته، نحيا على محبته، نموت على ملته، ونحشر في زمرته، نحيا على محبته، نموت على ملته، نموت على ملته، نموت على ملته، ونحشر في زمرته يا رب العالمين ويا أكرم الأكرمين.

قدِم أبو موسى الأشعري ومَن معه رضي الله عنه من الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصادفوا أهل السفينة، جاؤوا من الحبشة، خرجوا يرتجزون عند قدومهم على المصطفى، يقولون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، ما حدا بهم إلى الوفادة إلا حادي الشوق، إلا حادي محبةٍ استوطنت القلوب واستبطنَتها واستمكَنت فيها، وبغير ذاك لن تنهض الأمة، وبغير ذاك لن تُكشف الغمة، وبغير ذاك لن تُبعد الظلمة إلا تستوطن القلوب خالص المحبة للحق وحبيبه المحبوب، املأ قلوبنا بمحبتك، وبمحبة نبيك ورسولك وصفوتك، حتى تكون أنت ورسولك أحبَّ إلينا مما سواكما، آمين، ندعو لك البرَّ الرحيم المنان الكريم عسى أن يكرمَك بعظيم التكريم، ويجعل لك حقيقة أنه ورسولَه أحبُّ إليك مما سواهما. وإذا تمّ ذلك فقد تحرَّرت، وقد تطهَّرت وقد تنوَّرت، والشرف لك، والعزة لك، والكرامة لك، دنيا وبرزخ وآخرة، يا رب أكرمنا، يا رب حققنا، يا رب العالمين.

في ليلتنا هذه، وما نستقبل من الأيام والليالي في رمضان هذا المقبل ما آتيت من معاني المحبة وحقائق المحبة وسقيت من كؤوس المحبة فخُصَّنا بأصفاها وأرفعها وأعلاها، وأتمَّها وأكملها وأرقَّها وأنورَها وأوفرها ظاهراً وباطناً يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا مُقبلاً على من دعاه، يا مجيباً لمن ناداه، يا الله، بيدك أمرُ القلوب فاسقِها كؤوس محبتك، آمين.

يالله بذرَّة من محبة الله ** نفنى بها عن كل ما سوى الله

ولا نرى من بعدها سوى الله** الواحد المعبود رب الأرباب

على بساط العلم والعبادة ** والغيب عندي صار كالشهادة

هذا لعمري منتهى السعادة ** سبحان ربي مَن رجاه ما خاب

يا واقفين في رحاب مَن لا يخيبُ راجيه، ولا يردّ داعيه، توجّهوا إليه، توجّهوا إليه وتذللوا بين يديه، ونوبوا عن الأمة، كيف لا يهمنا والشهر يقبل والمؤمن يُعدّ عدَّته من النفقة لأجل العبادة ولأجل القيام، كيف لا يهمه أنه يقبل الشهر وفي الأمة من يُعدّ للشهر أن يقاتل إخوانه، أن يسفك الدماء الحرام، صاح النبي صلى الله عليه وسلم وخوّفنا من شرّ المنافقين، يُعِدّون العدة في رمضان لتتبع العورات، تجاوزوا تتبُّع العورات، وتجاوزوا السباب والشتم، ويُعدّون العُدة ليستحلوا دماء بعضهم البعض، أغراهم عدوّهم، وضحك عليهم، وحَسْبُهُم أنهم في انطلاقاتهم يعرفون طرف خيوطهم، لجوءٌ إلى العدوّ، أهذا شأن المؤمنين؟ أهذا شأن المسلمين؟ أهذا شأن أتباع الحبيب الأمين؟ وشأنُهم إلا (إذ تسْتغِيثونَ رَبّكم فاسْتجَابَ لكُم) شأنهم (لقد نصَرَكم اللهُ في مَوَاطِنَ كثيرةٍ وَيَوْمَ حُنين إذ أعْجَبَتكُم كثرَتكم فلم تغنِ عَنكم شيئاً)، يا من يعجب بالكثرة، يا من يعجب بالجمهرة، يا من يعجب بالحماس، يا من يعجب بإثارات الناس، لا تغرّك! لا تغرّك! فلن تنفعك ولن تضرّك، والنفع والضرّ بيد واحد، يقلِّب القلوب كيف يشاء، ويا مقلِّب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك..

ورسوله ينادي: ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض. ونادى أهل القلوب من أمته في أفراد أهل القلوب من صحابته: استفتِ قلبَك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك، وإن أفتاك المفتون وأفتوك، هكذا يقول صلى الله عليه وسلم، هل بعد هذا تظن أن من قال هذه فتواي تمشي بك في القيامة؟ تنجيك وقت الوقوف بين يدي رب العالمين جلّ جلاله؟ استفتِ قلبك إن كان لك قلب، أين تضع رجلك، أين تضع يدك، في تبعيّة مَن؟ وخيط كتيبتك واصل إلى فين؟

حاط رجلك على أي أرض أنت؟ هل تعرف الجهاد في جمعِ شمل الأمة؟ تعال لنجاهد أنا وإيّاك، هذا الجهاد محبوب للرب، أتكون نتائج الجهاد تفريق وتشتيت وإقرار لأعين الكفرة والفجرة وهدم لثروات الأمة الإيمانية والتراثية والعلمية، أهكذا تكون نتائج الجهاد!؟ ما يكون جهاد بهذه الصورة ولن يكون.. ضيّع الناسَ روابطُهم بالشيوخ، روابطهم بأهل الرّسوخ، روابطهم بتربية النبوة، ضيّع الناس أدبُهم مع الله، وأدبُهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأدبهم مع الصحابة، وأدبهم مع أهل البيت الطاهر.. وما نتائج إساءة الأدب إلا السوء، والله يتدارك المسلمين، الله يغيث المسلمين، الله يجمع شملَ المسلمين، الله يدفع البلاء عن المؤمنين.

ومن يعرف يبذل شيء، يقرّب القلوب من الله ويقرّب القلوب لبعضها البعض على دائرة الإيمان ويكبت عدوَّ الله إبليس الذي طمعُه التحريش فليجاهد، هذا الميدان وهذا الفرس وهذا الجهاد الذي سيجني صاحبُه خير العواقب، وسيُحشر في زمرة خواصِّ المجاهدين، وأما الذي يمضي على غير بصيرة لا يدري في أيّ مسير مسيره فأمره مخطر.

ذكر النبي هذا التشابك بين الأمة وهذا التضارب وهذا التداخل بالشحناء والبغضاء والعدوان، وأصدر نصائحه، أين أذهب؟ قال: الزم إمام المسلمين وجماعتهم، إن لم تكن جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت. هذا سيد الشجعان، هذا المأمون على تنزيل الرحمن، هذا خير الناصحين لبني الإنسان، هذا محمد المصطفى من عدنان، يا رب صل عليه وارحم أمته، يا رب صلّ ولُمَّ شمل أمته، يا رب صلّ عليه وتدارَك أمته، يا رب صلّ عليه وأغِث أمتَه..

يا سريع الغوث غوثاً منك يدركنا سريعا** يهزم العسر ويأتي بالذي نرجو جميعاً

يا قريباً يا مجيباً يا عليماً يا سميعاً ** قد تحققنا بعجز وخضوع وانكسار

يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين

تدارَك الله هذه الأمة بدرِك من عنده، وأغاثَهم بغياث من عنده، ودفع الآفات والبلايا عنهم..

يا رب نظرك لإخواننا في سوريا، يا رب نظرك لإخواننا في مصر، يا رب نظرك لإخواننا في بورما، يا رب نظرك لإخواننا في العراق، يا رب نظرك لإخواننا في تونس، يا رب نظرك لإخواننا في ليبيا، يا رب نظرك لإخواننا في اليمن، يا رب نظرك لإخواننا في يمننا وشامنا وشرقنا وغربنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا ذا القوة المتين فرّج عنا، ارفع سلطة أعدائك من على صغارنا وكبارنا ورجالنا ونسائنا، واجعل هوانا تبعاً لما جاء به حبيبك محمد..

وإلا فالدعوة موجَّهة أن يُستقبل رمضان بكفّ السبّ، بكفّ الشتم، فضلاً عن ظلم المال، فضلاً عن ظلم الأعراض، فضلاً عن ظلم الدماء، أشدُّ ما يكون، وأعظم ما يلطَّخ به اليد دم لا يحلّ لك تلغ فيه، فتخرج من الفُسحة إلى الضيق، قال صلى الله عليه وسلم: لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً. بل قالوا البعيد الذي ما شارك بيده، يشارك بكلمة من لسانه فيدخل دائرة القاتلين، قال صلى الله عليه وسلم: من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة كان شريكاً له فيها. شريكاً للقاتل والعياذ بالله تبارك وتعالى، من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقيَ اللهَ مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ولو قُتلت نفسٌ ظلماً في أقصى المشرق فرضيَها رجلٌ في أقصى المغرب كان شريكاً لأصحابه.. الله يحقن دماء المسلمين، الله يتدارك أهل لا إله إلا الله أجمعين.

على المتصلين بالدين أن يعرفوا حرمة لا إله إلا الله، وعلى كل من خُدعوا بأي فكر من هنا أو هناك أن يعلموا أن مِنَّة الله عليهم بلا إله إلا الله لا يساويها شيء، وأن مرجعَهم في صلاح أمرِهم في العاجلة قبل الآجلة لهذه الكلمة، جعلنا الله من خواصِّ أهلها المتحقِّقين بحقائقها..

فأحسِنوا الاستقبال للشهر الكريم، شهر العطاء والمنح، يا باغي الخير أقبل.. نكون منهم إن شاء الله، ويا باغي الشرّ أقصر، الله يطهِّر ديارنا منهم ولا يجعل في بيوتنا أحداً ممن يبغي الشر.

والنظرة أول ليلة من رمضان، ينظر إلى عباده، ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً، نسألك نظرة من نظراتك، وأول ليلة من رمضان المقبل علينا اجعلنا جميعا منظورين بعين رحمتك، وأهلنا كلهم من يسمعنا، وأهالينا وأهاليهم أجمعين، وأولادنا وقراباتنا، وجيراننا يا خير الناظرين لا تحرمنا خير تلك الليلة، ليلة تُزيَّن فيها الجنان وتفتح أبوابها وتغلق أبواب النيران وتنظر إلى عبادك، اجعلنا فيها منظورين بعينِ رحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

سألناك بالكتاب المنزَّل والنبيِّ المرسل ورمضان وما حلَّ فيه وما جُدتَ على أهليه أن تجعلَنا من أهل النظرة في أول ليلة من شهرِنا هذا المقبل علينا يا الله، يا الله، يا الله، وهيئ قلوبَنا للطهارة في الشهر المبارك، وللنقاء عن الأدران والاتصال بسيِّد الأكوان، اجعله قدوتَنا يا كريم يا منّان وارزقنا حسن متابعته في كل شان، حققنا بحقائق الصيام واجعلنا في المقبولين، حققنا بحقائق القيام واجعلنا في المقبولين، أعنَّا على تلاوة القرآن على النحو الذي يرضيك عنا واجعلنا من المدَّكرين المقبولين يا أرحم الراحمين، وتوجهوا جميعاً إلى رب العالمين، وقولوا يا الله، أدرِكنا وأمة الحبيب، عجِّل بغياثك يا قريب، تولَّنا يا مجيب، يا أرحم الراحمين.

كيف ينظر المؤمن إلى رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرَمنا بالأنوار المتلألئة، التي لا تزداد على ممر الزمان إلا إشراقا، وبعث إلينا عبدَه المصطفى الذي انتخبه من البرية فجعله أحسنهم خلقا وأخلاقا، صلِّ اللهم وسلِّم وبارك عليه وعلى من راق له العيشُ في كنفِ الاتصال به من أهل بيته وصحبه وأهل قربه وحبِّه مِن كل مَن دخل في تلك الدائرة أبداً سرمداً إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعد .. فها نحن نستقبل سيد الشهور، وأفضل الشهور، وخير الشهور، شهر الجود الواسع من حضرة الله، شهر العطاء المتدفِّق من بحار كرمِ الله.. شهر رمضان.. لمَّا ذكره مرةً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ماذا يستقبلكم؟ وماذا تستقبلون؟) معظِّماً لشأن هذا الشهر، ولافتاً أنظار أهل الإيمان إلى المزايا التي جعلَها الله تبارك وتعالى في هذا الشهر الكريم.

من خصائص شهر رمضان:

حدَّثنا نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في السنة الكريمة عن شؤون كريمة كبيرة لرمضان منها :

روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (أتاكُم شهر رمضان، شهر بركة، فيه خير، يغشِّيكم الله تعالى فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته، فأروا اللهَ من أنفسكم خيراً، فإن الشقيَّ من حُرِمَ فيه رحمة الله عز وجل) أخرجه الطبراني وابن النجار.

سماهُ شهر بركة، ظهرت منها الآثار في ما كان في غزوة بدرٍ في السنة الثانية من الهجرة، السنة التي فُرِض فيها صيام هذا الشهر، فرض صيام الشهر في شعبان في السنة الثانية من الهجرة، وما مرت أحد عشر يوما منه إلا ونبيكم في صومه متهيئٌ للخروج، وخرج من المدينة المنورة قاصداً عيرَ قريش، فكانت غزوة بدر، في أول سنة فرض فيها صيام شهر رمضان. ولم يكن اشتغاله بالصيام مانعاً له عن التفكير في الخروج والقيام بالجهاد.. وهي أول خرجةٍ حضر معهم فيها الأنصار.. بينما كان يخرج بجماعة من المهاجرين .. فكان أكثر أهل بدر هم الأنصار، خرجوا معه، ولذا استثبتَ منهم في طريقه وقال: أشيروا عليَّ أيها الناس، لِما يرى إنما عاهدوه سابقاً في بيعة العقبة على أن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم بشرط أن يكون في المدينة، وقالوا نحن بُرَآء من هذا العهد حتى تكون في المدينة، والآن قد خرج بهم خارج المدينة، يواجه بهم أن يقابلوا كل الدويلات التي حواليهم .. مختلف القبائل الذين حواليهم .. فيتعرضوا لأن ينبذوهم أجمعين ويرموهم عن قوسٍ واحدة، فتأنَّى وتوقف وقال "أشيروا علي أيها الناس" فتكلم سيدنا أبوبكر فأحسن.. وسيدنا عمر فأحسن.. والمقداد الذي كان له موقف غبطَه عليه الصحابة وودَّ كلٌ منهم لو كان صاحب الموقف.. يقول: لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهُنا قاعدون.. ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون .. والله لنقاتلن من بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك، فسُرّ وجهه بالكلام ولكن أعاد قولته "أشيروا علي أيها الناس".. ففطن لها الشاب الفهيم المنيب الخاشع .. سعد بن معاذ .. فقال: كأنك تعنينا معشر الأنصار؟.. تُريدُنا بهذا الكلام؟ .. أجل .. آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، أنقف عند حدود معاهدة واتفاقية في ألفاظها؟! نحن عرفنا من أنت الآن.. ولِعنا بمحبتك وقربك والقيام معك.. المسألة لا تقف عند

حدود البيعة.. رسول الله آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فامضِ لما أمرك الله، لعلك خرجتَ تريد أمراً فأراد الله غيره.. امض لما أمرك الله .. وواصل من شئت .. وقاطع حبال من شئت .. وسالِم من شئت .. وحارب من شئت .. ونحن حربٌ لمن حاربت وسِلمٌ لمن سالمت .. والله لو سرت بنا حتى تبلُغ بِركَ الغِمادِ من الحبشة لسرنا معك، ما تخلف منا رجلٌ واحد، ولو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد .. ولقد تأخر عنك أقوامٌ ما نحن بأشد محبة لك منهم ولو علموا أنك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُرُ في الحرب صدقٌ عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك يا رسول الله.. فسر رسول الله وكأنَّ وجهه قطعة قمر، قال: سيروا وأبشروا مايسِرُّكُم فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير، ثم قال: والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم. وبعضهم فطن لها من الصحابة، فعلم أن لا عير .. وأنهم مقبلون على جهاد وقتال.

(شهر بركة) .. ظهرت البركة في بدر، ثم كانت غزوة فتح مكة في شهر رمضان، فظهرت البركة بفتح مكة في شهر رمضان، وبركات وبركات واسعاتٌ كثيراتٌ ظاهراتٌ وباطنات، جرت في الشهر الكريم المبارك، اللهم بارك لنا في شهرنا رمضان.. اللهم وسِّع لنا البركة في شهر رمضان.. ووفر حظنا من واسع بركة شهر رمضان .. يا ذا الجلال والإكرام، يا عظيم الطول والامتنان يا أرحم الراحمين.

(فيه خير) .. تتغشى الناس فيه رحمة الله تبارك وتعالى، وتُحَط الخطايا، وقد ورد في الحديث أنه: من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، هكذا يروي لنا سيدنا عبدالرحمن بن عوف فيما أخرجه الإمام أحمد والنسائي "إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسن لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"، فلا يبقى عليه ذنب، فنِعم الشهرُ شهر المغفرة، جعلنا الله سبحانه وتعلى من خواص أهله إنه أكرم الأكرمين.

يروي لنا سيدنا علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إذا جاء شهر رمضان أمر الله حملة العرش أن يكفُّوا عن التسبيح وليستغفروا لأمة محمد. شُغلكم الآن استغفروا لهذه الأمة، في شهر رمضان يلظون على الله ويلحون بالغفران لأمة محمد، فيُشغل حملةَ عرشه بالاستغفار لنا طيلة الشهر، فيا فوز المقبلين على الله.. ما أعجب ما أعد الله لأمة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في هذا الشهر الكريم، يقول فيما رواه الديلمي عن سيدنا علي عن رسول الله "إذا دخل شهر رمضان أمر الله حملة العرش أن يكفوا عن التسبيح وليستغفروا لأمة محمد"، فتتوفر أسباب المغفرة، لهذا بَعُد من أدرك رمضان فلم يُغفَر له .. رَغِمَ أنفُ من أدرك رمضان فلم يُغفر له، من أدرك رمضان فلم يُغفر له دخل النار.. أسحقه الله وأبعده، يقول سيدنا جبريل فيما ورد في كل هذه الألفاظ لسيدنا محمد .. قل آمين .. قال فقلتُ آمين، اللهم اجعلنا جميعاً من الموفوري الحظ من الغفران في شهر رمضان ومن العتق من النيران يا كريم يا منان.

(ينظر الله إلى تنافسكم) أي تسابقكم إلى الخيرات في شهر رمضان، فهكذا ينبغي أن يكون حال المؤمنين، تنافُسٌ في الطاعات، تنافُسٌ في طاعات القلوبِ والجوارح، في حقيقة الحضور، في حقيقة الخشوع، أيُّنا أطول قياماً .. أطول ركوعاً .. أطول سجوداً؟.. لا أيُّنا أخف!.. أيّنا أكثر خشية، أكثر تضرعاً، أكثر تذللاً لله تبارك وتعالى، أينا أكثر صدقة، والامام الترمذي يروي لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أفضل الصدقة صدقة في رمضان .. أينا أكثر صدقةً في رمضان؟ هذا المسلك الصحيح لأتباع رسول الله ذي الوجه الصبيح، صلوات ربي وسلامه عليه..

فانظر كيف غُيِّر هذا المسلك؟ بعض هذه الأمة وهم في رمضان يتنافسون أيهم أظهر ثياباً وأكثر أكلاً وأطيب مائدة! وبعضهم يتجاوز هذا .. أيهم أكثر لعباً!! فيجعلون ألعاباً في رمضان مخصوصة، ومسابقات في اللعب في رمضان مخصوصة بمناسبة رمضان، بمناسبة رمضان؟! هل

هذا يتناسب مع رمضان حتى يكون بمناسبة رمضان!؟ تسمع أصحاب القنوات هذه الأيام يقولون أعددنا لرمضان كذا وكذا .. المسلسل الفلاني .. التمثيلية الفلانية .. البرنامج الفلاني من البرامج التافهة الساقطة .. بمناسبة رمضان ..! ورمضان لا يتناسب مع هذه العروضات ومع هذه الأشياء التي تعرضونها.. هذا إخراجٌ لرمضان عن ما يجب له وإخراجٌ للناس عن طورهم ومنهجهم وواجبهم نحو رمضان.

(ينظر الله إلى تنافسكم فيه).. تنافسكم في القراءة، تنافسكم في الذكر، تنافسكم في التحفظ على الصوم عما يُخِلُّ به من غيبة أو نميمة. ولذا كان سيدنا الشافعي إذا جاء رمضان خصص للنهار ختمة ولليل ختمة، وللنهار ختمة ولليل ختمة، حتى ينتهي رمضان بستين ختمة، وبعضهم ينتهي رمضان ولا يختم ختمة واحدة! وإذا قرأ الإمام آيتين زيادة في ركعة اشتكى وقال: طـوَّل الإمام علينا! أرى أنه تطوَّل عليك، أي تفضَّل عليك الإمام، تسمع آيتين من كتاب الله زيادة لك بكل حرف فيها عشر حسنات، والحسنة في رمضان بسبعين، وتُضاعَف إلى ألف كما ورد. أظن أن الذين طوّلوا عليك هم مُعِدوا البرامج الذين أخذوا ساعات طويلة منك، فلماذا لا تتضايق منهم؟!

(ينظر الله إلى تنافسكم فيه) كيف نتنافس على الخيرات في شهر رمضان، كان كثير من أهل البلدة إذا جاء شهر رمضان أكبُّوا على أنواع العبادة، حتى لا يكادوا أن يروا أقاربهم ولا أصحابهم ولا من كانوا يجالسونهم، في مجالس العلم قبل رمضان، إلا يوم الجمعة، ولكن يوم الجمعة في رمضان أيضاً لا يطول بهم الانشغال ببعضهم البعض، فهم حاضرون مبكرون إلى الجامع، وهذا في ركوعه وهذا في سجوده، وهذا في تلاوته، وهذا في صلاته على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهذا في حضوره مع الله، قد يأتي عن يمينه أو عن شماله شخص فيصلي ويقوم ولا يدري من دخل ولا من خرج، ولذا تجد عليهم الفرح يوم العيد والبهجة بالمقابلة وكأنهم جاؤوا من عالم جديد إلى لقاء جديد، تجد كل واحد معتكفاً بالمسجد القريب من بيته، لا يرى

أصدقاءه ولا أصحابه الذين كان يجالسهم، وعلى أي شيء كان يجالسهم في أيام الفطر قبل رمضان؟ ما كان يجالسهم إلا على مجالس علمية، على الفقه والدروس وأنواع الخيرات، ولكن في رمضان نوع آخر من الانشغال بالله، يأخذ كل واحد بمجامع قلبه وكُلِّيته إلى الله، فتجدهم مشغولين بمعنى الصوم والقيام، فإذا تلاقوا في يوم العيد، فكأنهم جاؤوا من جديد، من بلد جديد، كل واحد كان لا يرى الآخر فيه، لا لقاء بينهم إلا يوم الجمعة، ويوم الجمعة على مثل الحال الذي ذكرت ووصفت لك، كان الكثير منهم على هذا الحال، فأين ذهبوا؟ وأين ذهبت أوصافهم؟ يا محوِّل الأحوال حوِّل حالنا إلى أحسن حال.

ويروي لنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: "أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء" كيف تفتح أبواب السماء؟ يكون شأن القبول قريباً لمن توجه إلى الله، تُقبل التوبة، تُقبل الدعوات بشكل لم يكن يُعهَد قبل رمضان، ولا فيما بعده، فعبَّر عن ذلك بفتح أبواب السماء، "تفتح فيه أبواب السماء وتغلَّق فيه أبواب الجحيم، وتغلُّ فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، مَن حُرم خيرها فقد حُرِم" صار الكثير من المسلمين إذا جاءت ليلة القدر قادته نفسه وهواه وقضَّى تلك الليلة إما في سوق واختلاط، أو في مناظر قبيحة وهو في البيت، أو مع أصدقاء لا خير فيهم لا يخافون الله تبارك وتعالى، أو أغضبه فقام تلك الليلة يطلق زوجته، أو يقاطع رحمه، أو يغضب على أولاده في البيت فيزعجهم ويقلقهم ليلة القدر من أجل أن يُحرم تلك الليلة، أما رأيت أن بعض أسواق المسلمين صارت في العشر الأواخر أكثر حركة، ربما قل الحضور في المسجد وكثر الحضور في الأسواق في العشر الأواخر، عكس سنة المصطفى ونقيض هديه الكريم صلى الله وسلم عليه وعلى آله.
فينبغي أن ندرك معنى ما ورد في الصحيحين وغيرهما: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين.

يروي لنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "وليس من عبد مؤمن يصلي في ليلة من ليالي شهر رمضان إلا كتب الله له بكل سجدة يسجدها ألفاً وخمسمائة حسنة، وبنى له بكل سجدة بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء، فيها ستون ألف باب، لكل باب قصر من ذهب" ترى كيف الربح لأرباب السجدات، الله يقبل سجودنا، قل للذي يخفف على نفسه السجدات لو طوَّلت أحسن لك، تنزِّل التراويح من عشرين ركعة إلى ثمان، والثمان تريدها بسرعة، طوِّل سجودك وأكثر منه، كل سجدة كم تحصل بها؟ لو قالوا لك ألف وخمسمائة ريال لعلك ستكثر وتقول أحسن عشرين ويمكن أربعين، لأن بكل سجدة ألف وخمسمائة ريال، قال لك رسول الله: لك بكل سجدة ألف وخمسمائة حسنة، تبقى كل حسنة أبد الآبدين، يقول لنا نبينا صلى الله وسلم عليه وعلى آله: فإذا صام أول يوم من رمضان غفر له ما تقدم إلى مثل ذلك اليوم من رمضان الذي مضى، أي من أول يوم من رمضان الماضي، ما تقدم في العام الذي مضى، قال: واستغفر له سبعون ألف ملك من صلاة الغداة إلى أن توارى بالحجاب، أي تسقط الشمس للغروب، وكان له بكل سجدة بليل أو نهار يسجدها في رمضان شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام. رواه الإمام البيهقي.

وفي الحديث عن سيدنا أبي هريرة: يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ولله في كل يوم من رمضان ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان آخر ليلة أعتق مثل ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، وفي لفظ فإذا كان ليلة تسع وعشرين أعتق مثل ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، دفعة واحدة في ليلة واحدة، يخرج تسعاً وعشرين مليون أو ثلاثين مليون في ليلة واحدة عتق من النار، اللهم لك الحمد شكراً، ولك المن فضلاً.

وعن سيدنا الحسين عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: اعتكاف عشر رمضان كحجتين وعمرتين، رواه الإمام الطبراني.

الخصال الممنوحة للأمة في رمضان:

كل الأمم يمر عليها رمضان، ولكن نحن أعطينا في رمضان ما لم تعطه الأمم قبلنا، قال صلى الله عليه وآله وسلم:(أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال: خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك،– أي أنه بمنزلة ومكانة عند الله سبحانه وتعالى –، تُزَيَّن الجنة، ويُنادى أوشك أن يستريح عبادي من عناء الدنيا ويصلوا إليك، تستغفر لهم الملائكة طوال الليالي والأيام في رمضان المبارك، وتُصفَّد الشياطين، ويُغفَر لهم في آخر ليلة، فقال صحابي: أهي ليلة القدر؟ قال لا، لكن الأجير إنما يُوفّى أجره إذا قضى عمله) إذا أكمل العمل، فيُغفَر في آخر ليلة من رمضان لجميع المؤمنين ولا يبقى إلا المُشاحن وقاطع الرحم وعاق الوالدين وصاحب المُسكِرات والمخدرات، هؤلاء لا مغفرة لهم في رمضان، وويلٌ لمن أدرك رمضان فلم يُغفر له، فعلينا أن ننتهز فرصة هذا الشهر الكريم المبارك، ونقيم مداخل للخير والنور في الديار والقلوب والأُسر بتذكيرهم بهذا الشهر وما يكون فيه، وتنبيههم وإثارة مشاعرهم وأحساسيهم عن مقابلة هذا الشهر كيف تكون، فرحاً وتعظيماً ومحبةً وإقبالاً ووجهةً صادقةً إلى الله تبارك وتعالى، وترتيب الأوقات وتوزيعها، والمحافظة على قيام رمضان، من أول ليلة إلى آخر ليلة، فتدخُل فيمن قام رمضان إيماناً واحتسابا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وتصدق بما يتيسر لك، وأحسِن مواصلة الأرحام في هذا الشهر الكريم، خذ نصيبك من تلاوة القرآن، والأربع الخصال التي وصاك بها نبيك محمد، تشهد أن لا إله إلا الله وتستغفر وتسأله الجنة وتعوذ به من النار، أمرنا بالاستكثار منها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، احرص على الوتر، وإذا صليت الثلاث فاحرص أن تكون لك زيادة على الثلاث، خمسٌ سبعٌ تسعٌ إلى الإحدى عشر، وإذا صليت الثلاث بقي لك ثمان صلِّها فيما يتيسر لك من ليالي الشهر، وكم تدرك بكل سجدة من السجدات في رمضان! وهكذا تغتنم الليالي، وتنتبه لأن تكون متذوقاً لا آخذاً للصورة، فإن الآخذين للصورة ربما أقبلوا بهمة أول الشهر، وضَعُفت الهمة وسط الشهر، وانتهت آخر الشهر، لكن أقبِل على الحقيقة، تذوق، فتكون أرغب وأطيب، فتكون في وسط الشهر أقوى همة وفي آخره أكثر، مقتدياً بمن كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في

غيره، ويجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها من رمضان، فإذا دخلت العشر الأواخر شدّ مئزره وأيقظ أهله وأحيى ليله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

فهكذا ينبغي أن نغتنم هذا الشهر، وننظر أن لنا فيه استجابةٌ للدعوات فألحَّ على الله تعالى، أهمَّك أمرُ أمةِ محمد؟ فهذا ربُّ أمة محمد، يَعِدُك باستجابة الدعاء، فألحَّ عليه في رمضان وأيامه بالفرج عن أمة محمد، بكشف الشدائد عن أمة محمد، بجمع شمل أمة محمد المُفرَّق، بلمِّ شعثها المتفرق، بإنقاذها من غيّها وضلالها وأنواع الفتن التي أصابتها، بشفاء مرضاهم وعافية مبتلاهم، بالتوبة على عاصيهم وقبول التوبة من تائبهم، بتعليهم جاهلهم، بدفعِ البلايا والنوازل عنهم، توجَّه إلى الله، ألحَّ على الله، فلو وجد الله قلوباً تتوجه إليه في هذا الشهر مبتئّةً، في الحرمين الشريفين وفي بيت المقدس وفي اليمن وفي الشام وفي المغرب وفي الشرق وفي الغرب، وفي بلاد العرب وفي بلاد العجم، لرَحِم العباد وأفاض الجود الواسع على العباد "إذا تستغيثون ربكم فاستجاب لكم"، وماذا يهمُّك وماذا يهولك من أمر؟ الأقوى أمامك والأقدر أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، أنزِل حاجتَك به، (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) اغنم وقتك، اغنم جود الله عليك، اغنم بُسُط يمدها لك الرحمن في شهر رمضان، لا تُقصّر على نفسك ولا تُفوّت على نفسك الخيرَ الكثير الكبير إما بنظرة، وإما بكلمة تخرج من لسانك تُحرَم بِها خير الشهر كله والعياذ بالله تبارك وتعالى، احذر من الاستهزاء بالمسلمين والاستخفاف، عظِّم شأن هذه الأمّة وتوجَّه إلى الله في أمرها ليُصلح أحوالها فيرحمك أنت بذلك، إنما نُظهِر الفاقة والفقر إليه ليرحمنا ويرحم البلاد والعباد وهو الرحمن الرحيم جل جلاله وتعالى في علاه.

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)، نعوذ بالله من غضب الله، يا رب اجعله شهر فرجٍ للمسلمين، وصلاحٍ للمسلمين، وجمعٍ لشمل المسلمين، ودفع للبلاء عن المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، يامحوّل الأحوال حوّل حالنا والمسلمين إلى أحسن حال، بارك لنا في إقبال هذا الشهر، واجعلنا من أسعد الناس بنظرك في أول ليلة في هذا الشهر، فلا تُبقي فرداً من أُسرِنا وأهالينا وأصحابنا وجيراننا إلا وجعلته مظوراً إليه، داخلاً في نظرتك في أول ليلة من هذا الشهر، حتى تكتب له أن لا تُعذّبه أبدا يا برٌّ يا صمد، يا أكرم مقصود، يا خير معبود، يا من عُهِد منه الكرم والجود، يا برّ يا ودود يا أرحم الراحمين، أمّلناك ورجوناك فلا تخيّب رجاءنا فيك، أنظِمنا في سلك من تُحبهم ويجبونك، وتولّنا بما توليت به أهل الصدق معك في جميع الشؤون، يا من يقول للشيء كن فيكون، أعِنَّا على حسن الصيام واجعله مقبولا لديك، وعلى حسن القيام واجعله مقبولاً عندك، يا أرحم الراحمين اكتب لنا الفوز في هذا الشهر، واجعلنا من خواص أهله، أثْبِتنا في ديوان من قبِلت وارتضيت، واجتبيْتَ واصطَفَيْت، ورفعتَ وأعليْتَ، وغفرت لهم وسامحتَ، وعفوتَ عنهم وتجاوزتَ، وحططتَ عنهم الخطايا وصفّيْتَ لهم المرايا، وأصلحتَ لهُمُ الظواهِرَ والخفايا، ونقّيْتَ لهم البواطن والطوايا، ياأكرم الأكرمين ويأرحم الراحمين، وأصلح شؤون الأمة أجمعين، واجعلنا في أنفعهم لهم، وأبركهم عليهم وأنت راضٍ عنا برحمتك ياأرحم الراحمين، وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه ومن سار في دربه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

.

خلع رمضان وأحوال الزمان والمصير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحبيب عمر يلقي المحاضرةالحمدلله باسط بساط الجود الذي لا حد له، والذي لم يزل يتفضَّل سبحانه وتعالى على كل من أقبل عليه سبحانه وتعالى وتوجَّه إليه بوجهِ مَن ختم به رسلَه، ذاكم النور المبين والسراج المنير والبشير النذير، ذاكم محمد بن عبد الله صاحب بُسط الرحمة وبسط المنَّة الربانية، انبسطت لنا فدخل الناسُ إلى ساحاتها الواسعة بمفتاح لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهناك استقبلوا في هذه الساحة مواطنَ الصلاة لله تبارك وتعالى، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وفي ليلة فرضِها أسري بسيد الكونين وكان فرضُها في المقام الأدنى والمنزلة العالية والمنزل الأسنى، حيث لا يصل مِن الملائكة ولا مِن النبيين ولا مِمن سواهم أحدٌ غير محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}النجم٨–١٠.

وينفتح باب الزكوات وباب الصدقات بواسطة لا إله إلا الله، ويقول الله عمن فقدها: {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ}التوبة٥٣ وقال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ}التوبة٥٤. والعياذ بالله تبارك وتعالى.

واذا دخلتَ بهذا المفتاح إلى هذه الساحة انفتح باب الصيام، وانفتح معنى رمضان، وأسرار رمضان، وأدركتَ نصيبك مما كُتب لك من العمر أن تحضر في مثل هذا الشهر الكريم المبارك الذي رحل عنا.. نسأل الله أن يجعله شاهداً لنا، ونسأل الله أن يجعله حُجَّةً لنا، ونسأل الله أن يكرمنا وإياكم بأعلى كسواته وخلعاته التي خلعَها على المقبولين فيه، وأن لا يجعله آخر العهد من رمضان ويعيدنا إلى أمثاله في صلاح لأحوال الأمة في المشارق والمغارب.

وبقية أعمال الطاعات وهي دوائر القرب مِن رب البريات سبحانه وتعالى، وهي الحصون الحصينة من الآفات والعاهات، ومعانقة اجتناب المحرمات والمكروهات والشبهات بِورعٍ في القلب حاجز، يفوز به كلُّ فائز، ويصبح للخيرات حائز، وهنا لا ينقطع عن الخير في ليل أو نهار، في الأشهر كلها وفي العمر كله، ولا يزال التجلي له من الله نازلاً عليه وخيرُ مولاه واصلا إليه في كل وقتٍ يتذكر، ويَذكر فيُذكر، ويشكر فيُشكر، وفي كل وقت يتنبَّه، ويلاحظ نفسَه فيما إليه توجَّه، فيقيم توجُّهَه ويضاعف تنبُّهه، ويدركه من الله ما يدركه حتى يدرك حقائق المحبة والولع والولاء، ويعيش في دوائر العطاء الرباني والجود الامتناني والاحسان الصمداني من حضرة ربكم جل جلاله {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}الجمعة٤.

ولكن بالمفتاح بعد دخوله بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وبذلكم كانت مفتاح الجنة، فلا يدخل داخلٌ إلى الجنة إلا بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فالإسمان الكريمان على كل باب من أبواب الجنة، وعلى كل شجرة من شجر الجنة.. لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى كل قصر من قصور الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة.

كل ما فيها من الدرجات يُرتقى إليها بعد الدخول بسر لا إله إلا الله، مُرتَّب على ما جرى للإنسان في حياته بعد أن فتح له بلا إله إلا الله فدخل إلى دائرة الصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر والتلاوة وصلة الرحم والصدق في الحديث والورع والزهد والخشية من الله سبحانه وتعالى والمحبة له والمحبة لعباده من أجله سبحانه وتعالى والجهاد في سبيله والصبر والشكر إلى غير ذلك من المقامات والدوائر التي يحصِّلها في ساحة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله وصحبه وسلم.

وعلى قدر دخوله في تلك الدوائر وتنقُّله في حضائرها تكون الدرجات في الجنة، وتكون مراتبه في الجنة، حتى قالوا.. لو فرضنا أن إنسانا مثلك في الإيمان ومثلك في العمل وإنما زاد في صحيفته مره واحده من سبحان الله او مرة واحدة من الحمدلله او ركعة او صدقة بدرهم زائد كان بينك وبينه في الجنة درجة ما تبلغها كما بين السماء والأرض، بزيادة هذه الطاعة بزيادة هذه

الحسنة، يقول الحق: "ادخلوها برحمتي واقتسموها بأعمالكم واخلدوا فيها بنياتكم" بأمره جل جلاله وتعالى في علاه.

جانب من الحضوراذا علمتم ذلك أدركتم سر هذه الوظيفة الشريفة، وظيفة العبادة في هذه الحياة، وأنكم بها ترتقون المراتب والدرجات في جنة الله جل جلاله وتعالى في علاه، ولا يخلد في النار إلا من انقطع عن لا اله الا الله محمد رسول الله، ولو لحظه وفاته والعياذ بالله تبارك وتعالى فلقي الله مقطوعا عن سر لا إله إلا الله منزوع من قلبه..

ثم لا تكون الدركات من الطبقة الأولى التي هي جهنم إلى ما بعدها من لظى والسعير والنار والحطمة إلى الهاوية آخرها الدركات فيها كلها مرتبة على المعاصي والذنوب والسيئات، على المخالفات لشريعة الله في الاقوال والافعال والنيات والمقاصد، كلها مواطن لدوائر المعصية في الأرض ومواطن المخالفة لشريعة الله، بالنظر أو بالسمع أو بالكلام إلى غير ذلك من أعمال الجوارح والقلوب.

ومن هنا تدرك اسرار التقدير في الازل مَن كان من اهل الجنة فإلى الجنة في مدة الحياة أيام التكليف يعمل باعمال اهل الجنة، قال "خلق للجنة اهلا فهم بعمل اهل الجنة يعملون، وخلق للنار أهلا فهم بعمل أهل النار يعملون" فكان هذا العنوان الظاهر الواضح الأغلب على الناس وبعد ذلك تصريف القدر فيما يُقدِّم ويؤخر جل جلاله.. ويا الله بحسن الخاتمة.

وخِلع رمضان إذا خُلعت على مَن خُلعت عليه كانت سببا في مقابلةِ أحداث الحياة بما يوجب المزيد من الخير والدفع للشر والضير، إن كانت شدة أو رخاء أو سراء أو ضرَّاء، ثم تكون سبباً لتعجيل دفع كثير من النوازل والبلايا والافات على ظهر الأرض، وإلا ففي رمضان وبعد رمضان الآن، في عالم الحس والظاهر كم من بقع من بقع اخوانكم المسلمين اشتدت فيها كربات ويسمعون فيها الدوي والأصوات المزعجات التي تعجز كبار وصغار ورجال ونساء.

يكلمني أحدهم اليوم، قال: انتقلنا من موطنا الذي نحن فيه ما استقر الصبيان والأولاد، واشتد الأمر إلى موطن ثاني في بيت الوالد في محل آخر ونحن في ذلك المكان، ونرجو منكم الدعاء، والدعاء مطلوب من كل من آمن بهذا الإله استرحاماً واستعطافاً حتى يرفع البلاء عن الأمة.

لكن خلع رمضان لمن خلعت عليه مفاتيح لأبوابِ دفعِ الشرور والنوازل التي حلَّت بالأمة وكشف تلك الغمة وبسط بساط الرحمة على عباد الله جل جلاله، ومن حُظي بخِلعة مِن خِلع رمضان فحالُه طيبٌ من كل حال من شدة أو رخاء، إنما يكتسب الثواب والاقتراب والرحمة مِن رب الأرباب جل جلاله، ولكن من ضيع هذه الخِلع والعطايا الربانية يزداد إثما وظُلمة وظلما في مختلف أحواله يغفل ويلهو.

ربما خرج من رمضان وقابلَ مناسبة عنده في زواج أو غيره، فما اختار إلا المجون ولا اختار إلا الخلاعة، ولا صارت تفتخر زوجته التي خرجت من رمضان وبنته التي خرجت من رمضان إلا بزيادة تقصير الثياب وإبعاد الأكمام من أصلها وإظهار النحور والصدور والظهور.. هذه كسوة رمضان؟! هذه علامة واضحة أن القلب بعيد، أن الحال شديد، وهذه أشياء ما تقل عن سماع أصوات المدافع هناك والقنابل والبنادق في مثل تلك المحلات، رؤية هذه المناظر وسماع هذا الكلام الماجن، هذا كما ذا، بل ذا أشد، بل ذا سبب لذاك!

فيجب أن نفقه مدرسةَ رمضان، يجب أن نفقهَ مدرسة القرآن، يجب أن نفقهَ مدرسة البلاغ من الحق للخلق على يدِ سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}آل عمران١٦٥. أنتم الذين تسبَّبتم في نزول تلك الأشياء {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}الشورى٣٠. جل جلاله وتعالى في علاه {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}فاطر٤٥. ومع هذه التنبيهات مِن وقت إلى وقت، ومِن مكان إلى مكان.

في جوارِ هذه الأماكن قد مرت قبل الأربعين سنة، وقبل الخمسين سنة، على بُقع فيها أنواع من الإفضال الحسي، ومن وجود النعيم والمتع، وحصلت خيانة، وحصل خروج عن سواء السبيل، وتحولت إلى سماع دوي القذائف والمدافع وما إلى ذلك، في فترة من الفترات، كان بعض شيوخنا يقول: أرى هذه الآية ظهرت وبرزت في البلدة الفلانية، وهي قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ

مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}النحل١١٢

قال بعض الذين خرجوا في تلك البلاد قبل بعض شدة الحوادث فيها: جينا مع جماعة لأجل الدعوة إلى الله، فاخترنا مسجدا كبيرا، من حواليه البيوت، في سوق مزدحم، فقلنا هنا تكون الصلاة والجمع، فدخلنا المسجد، ثم أذن المؤذن، ثم مكثنا منتظرين الوافدين ليفدوا ويملأوا المسجد، فما وجدنا غير المؤذن جالسا حتى دخل الإمام!! وقام المؤذن يقيم الصلاة، وما رأينا غير الإمام والمؤذن، فأقام الصلاة وقمنا نصلي خلف الإمام، وأثناء الصلاة لاحظنا أن المقيم غير موجود بيننا، فتعجبنا!! أكملنا الصلاة ولا يوجد إلا الإمام وحده، ونحن الغرباء الذين وفدنا، ثم خرجنا إلى خارج المسجد في السوق، فإذا بالمقيم الذي أقام الصلاة جالسا في التكه يتفرج في السوق، قال أنت الذي كنت معنا في المسجد؟ قال: نعم، وأقمتَ الصلاة!؟ قال: نعم، قال: فما رأيناك في الصلاة!؟ قال: أنا مستأجر على الأذان والإقامة، ما لي دخل في الصلاة، أنا مؤجَّر، عندي راتب للأذان والإقامة، أما الصلاة فليس لي راتب عليها، فلا دخل لي فيها!

هذا يُريك حالة القلوب كيف صارت في معاملتها مع ذا الوحي، وذي الشريعة، وذا الدين.. وما عقب ذلك وما كان نتائج ذلك؟ إذا كان الإنسان في عمره القصر يرى العبر هنا وهنا، ولا زال الناس يكررون سوءَ أدبهم مع الجبار، وخروجهم عن منهج المختار صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا أرادوا أن يطلبوا الخروج من أزمة أو الفرج أو تحصيل حاله طيبة لهم.. قال: اتصلوا بالمؤسسة الفلانية والدولة الفلانية ورتبوا مع الحزب الفلاني!! ما أنقذوقهم ولن ينقذوهم، ما أغاثوهم ولن يغيثوهم! كما قال تعالى: { كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }الرعد١٤.

الإنقاذ بيد واحد، الأمر بيد واحد، القوة مع واحد، الخالقية لواحد، وبابه واحد، بابه محمد صلى الله على سيدنا محمد {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}الأنفال٩.

وجاءت مظاهر الشدة للاختبار وللابتلاء ولمعرفة الاساس الذي أُسِّس عليه هذا الدين واذا بالنتائج تحصل سريعة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}الأحزاب٩–١١. وذكر الله كلام المنافقين وهو متشابه في الظروف والأحوال إلى يوم القيامة، وما كانوا يقولون {مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً}الأحزاب١٢. وهؤلاء يقولون {لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً }الأحزاب١٣. وعملوا ما عملوا.

لكن ببركة المظهر الصادق لأهل الرسوخ من أهل الثقة بالحق، ومعهم إمامُهم ومقدَّمُهم صلى الله عليه وسلم يقول: فُتِحت لي مدن فارس، وفُتحت لي مدائن الروم، وفُتحت لي قصور صنعاء، وهو في ذلك الحال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وذكر الله المؤتمِّين به فيما قاموا به في الائتمام {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}الأحزاب٢٣،٢٢. فتفرق الجيش بعد ذلك وجاءتهم الريح وجنود ما رآها الناس وكل الخطط فشلت، وعاد الناسُ من حيث جاؤوا، ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى المدينة، إلى بيته، ووضع ثيابه والدرع الذي كان يلبسه، (لامة الحرب التي كان يلبسها) قال لجبريل: هل وضعتم لامة الحرب؟ قال: لا يا محمد نحن الملائكة لم نضعها بعد.. الذيول التي دخلت في الفتنة عليكم الآن بالقضاء عليهم، اخرج إليهم فإني نازلٌ إليهم فمزلزلٌ بهم، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يقول: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، إلى هناك وواصل مسيره، مرَّ على قوم في الطريق، فسألهم: هل مر أحدٌ هنا؟ فأجابوا: نعم، مرَّ دحية الكلبي على فرس. قال: ذاكم جبريل، ومضى وكانت النتيجة الثانية استلموها، هذولاك هربوا ، وهؤلاء قُتل مَن قُتل منهم، وسُبِي مَن سُبي منهم، وانتهت الفتنة، باب من ابواب الفتنة.. بِم؟

بصبر، بيقين، بثبات، بعمل، باجتهاد.. كم أيام عملوا الخندق؟ أربعين ذراعا من هنا الى هناك، تسعة أذرع في العمق، وعرضه أربعون ذراعا من عند الجبل إلى عند المدخل الثاني الذي فيه بنو قريظة والجماعة، والمدخل هذا كله سدوه، كم حفروا!؟ وأثناء الحفر كان وقت برد في المدينة المنورة، والطعام غير موجود، والدفء غير موجود، خزينة الدولة ما عندها الدفئ الذي تدفيهم به،

يأخذ بعضهم مُرط زوجته ويخرج به إلى الخندق، يتغطى به في الليل في الخندق، منهم حذيفة بن اليمان صاحب السر، أخذ مُرط زوجته يتدفأ به وسط الخندق.

حتى لما رأى سيدنا جابر انتشار الجوع في الصحابة وقلَّة الطعام أرسل إليه يقول له: عندي شويهة صغيرة وصاع من شعير معنا، فتفضل أنت وثلاثة أو أربعه من أصحابك، فلما بلغه الخبر أمر المنادي ينادي، بلال.. أذن في الجيش، قل لهم: إن جابر صنع لكم طعاما فحيا بكم، وسمع جابر المنادي فهرب إلى البيت ينادي زوجته: يا أم سُليم: رسول الله جاب الجيش، ما عندنا طعام!! قالت: هل أخبرتَه بمقدار ما عندنا!؟ قال: نعم، قد أخبرته، قالت: فالله ورسوله أعلم، إذن لا تخف..

وتقدم صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل إلى البيت، وقد أرسل إليهم قال لهم: لا تخبزوا ولا تنزلوا البرمة حتى آتي، فدخل والعجين معجون ما خبزوا شيئا منه، قرأ عليه ووقف محله في محل الطبخ صلى الله عليه وآله وسلم يغرف، وناولهم قال لزوجة سيدنا جابر ادعي مَن يخبز معك، وهو إلا صاع واحد بتخبزه وحدها، فقال هاتي خبازات، ودعت بعض النساء فكان يخرج لهن من العجين ويعطي هذه وهذه، وكل واحدة تخبز والعجين في مكانه، فإذا حضّروا أقراص تكفي لعشرة غرف لهم من المَرق واللحم وقال ادخلهم عشرة فعشرة، يأكل عشرة فيخرجون، ويدخل عشرة فيخرجون، والقِدر في مكانه والعجين في مكانه ما نقص منه شيء.. ألف وخمسمائة نفر.. أكلوا كلهم، قال: هل بقي أحد؟ قال جابر: بقي أهل الدار وأنا وأنت، قال: خذ اعطِ أهل الدار، وتناول بعضَ الطعام ثم قال له: ارسل لبعض الناس فقد أصابتهم مجاعة، قسِّم مِن طعامك، فخرج، قال جابر: وإن عجيننا ليُخبز وإن برمتَنا لتغط، القدر مليان، قال فأخذنا نرسل إلى الجيران، وإلى الناس في المدينة، وإلى ذوي الحاجة في المدينة.. بعد صبر .. صبروا هذا الصبر.

في ليلة من الليالي والبرد فيها شديد، والتفت النبي يقول: من يأتيني بخبر القوم؟ فسكت الناس، قال سيدنا حذيفة: التفتَ إلي، قال: حذيفة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: قم، فقمت، فقال لي: اذهب إليهم وانظر ماذا يصنعون ثم عُد إلَي. قال حذيفة: قلت لبيكَ يا رسول الله، قال: لا تُحدِث في القوم شيئا حتى تعود إلي، حتى ترجع، قال: لبيك، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم

إنه في خدمة رسولك فقِه البرد. قال حذيفة: فما مشيت خطوات إلا وكأني دخلتُ في حمام حار، فلم أحتَج لمرط زوجتي، ولم أتدفأ بشيء، ومشيتُ وتسلَّلتُ في الظلام حتى دخلت بين القوم، وإذا القوم عندهم ريحٌ شديدة تقلع قدورهم، وتقلع خيامهم، قال حتى نظرتُ إلى أبي سفيان يتدفأ بنارٍ له أوقدها ليتدفأ بها، قال: فجئتُ مِن خلف ظهرِه، وتمكَّنتُ مِن رميِه، قال: وحملتُ قوسي وسهمي وأردتُ أن أرميَه، فتذكَّرت قولَ النبي: لا تُحدِث في القوم شيئاً حتى ترجع إلي" قال: فرددتُ سهمي، قال: وإذا به يلتفت يقول يا قوم: حصل ما ترون وقد خانت بنا يهود، فالآن أحدثكم، ليتأكد كل واحد من صاحبه، وأنه ما بيننا أحد، قال: فبادرتُ إلى مَن بجنبي، قلت: مَن أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، قلت له: تمام، طيب، كأنه من الجيش يريد أن يطمئن حتى لا يعرفوا ويعثروا عليه ويقولوا من أين جاء، قال فسمعت أبا سفيان يقول: أنا الآن مرتحل، ومن أراد منكم أن يجلس فليجلس، وانتهت المعركة، فأخذ أبو سفيان يشد رحله ويهرب، وبدأ القوم وراءه يمشون.

قال حذيفة: فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى وصلت إليه، فإذا به قائم يصلي، وعليه شملة – وهي كساءٌ من شعر– متغطِّي به صلى الله عليه وآله وسلم من البرد، فما هو إلا أن وصلتُ إليه حتى رجع إليَّ البرد، وكان قد زال مني وما شعرت به طول المهمة، فلما رجعت عاد إلي البرد، فجعلت أنتفض، قال: فنظر إلي، وأشار إلي صلى الله عليه وآله وسلم أن اقرب، وقربت، قال: وغطاني بشملته!

ويكفيه جزاءً على مهمته هذه، ساعة والحبيب يناجي الحبيب فيها، وذا قائم وسط الشملة، داخل معه في أي من حضرة؟ ومَن يكلم مَن؟ ومَن يصلي لمَن؟ وهنيئا لحذيفة ..

وأكمل صلى الله عليه وسلم الصلاة، فأخبرته أنهم على رحيل، ولم يبقَ منهم أحد، فتأكد صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الثاني، وأصبح الصباح، فإذا بمكانهم خالي، ولم يبقَ منهم أحد.

بعد هذا الصبر الطويل، بعد هذا الجهد، جاءت تلكم النتائج..

واليوم يأتي ما يأتي من الأحداث، فإذا توجد مقابلة بمثل هذه المقابلة فسُنَّةُ المعاملة مِن الله واحدة هي واحدة {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم

مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }الفتح٢٥ . فيُحفَظ الناس ويؤخَّر العذاب حتى عن الكفار بوجود هذا الصنف، وهذه سنة في معاملة الله في خلقه جل جلاله.

فالله يكثِّر فينا القلوب التي تعي أخبارَ الحق ورسوله، وخِلع رمضان إن شاء الله نظفر بأعلاها وأغلاها وتدوم معنا حتى نلقى اللهَ على خير الأحوال.

يا رب افتح أبواب الفرج للأمة، يا رب ائذن بكَشف الغمة، يا رب اجعل هذه القلوب سبباً لنزول الرحمة، ولدفع البلايا والظلمة، وكن لنا في كل مهمة بما أنت أهله يا حي يا قيوم، احيي القلوب تحيا وأصلِح لنا الأعمال في الدين والدنيا، وأصلِح لنا الأحوال في العاقبة والمحيا.

اللهم تولَّنا بما أنت أهله وأصلح لنا وللأمة الشأن كله، اللهم سريعَ الحساب، مُنزِل الكتاب هازِم الأحزاب، منشئ السحاب اهزم أحزاب الباطل والشر والضر والضلال، وادفع شرَّهم وزلزِل بهم وادفعهم عنا وعن جميع المسلمين، يا محوِّل الأحوال حوِّل حالنا والمسلمين إلى أحسن حال، وتولَّنا بما أنت أهله في الأقوال والأفعال، ولا تجعل فينا أسبابَ نزول النقمة ولا أسباب اشتداد المصيبة بمخالفةِ أمرك وشرعك والافتخار بالخروج عن دربِ رسولك صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

يا رب احفظ القلوب، يا رب نقِّها عن الشوب، يا رب حوِّل الأحوال إلى أحسنها، وبلِّغنا فوق الآمال مما أنت أهله مِن خيرِ الدنيا والمآل، يا كريم يا وال، يا دائم الافضال، يا ذا النِّعم والعطايا الجِزال.. يا أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.. والحمد لله رب العالمين.

هذه مجموعة كلمات للشيخ الحبيب عمر بن حفيظ تخص هذا الشهر المبارك

حسن الإغتنام لشهر الصيام

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده المصطفى الأمين سيدنا محمد، المنزل عليه قول ربنا تعالى]شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [اللهم صلّ وسلّم على عبدك المصطفى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار في سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن ما يخالج شعورَ أهل الإيمان باستقبال رمضان نابعٌ من حقيقةِ إيمانهم، يجب أن يفسح له المسلم المجال في صدره وفي باطنه وسرِّه، وذلك بتذكُّر حقائقِ الصلة بينه وبين الإله الذي رتب هذه المواسم ليربحَ هذا الإنسان، وليغنمَ الفائضَ من فيض المنان، وليحوز نصيبَه من العفو والغفران، والكرم والإحسان.. فقد جعل الله تبارك وتعالى سيادةَ شهر رمضان على سائر الشهور غنيمةً لأهل الإيمان بالحق، واليقين بالمصير، فيكون كفارةً لسيئاتهم ومغفرةً لذنوبهم وعتقًا لرقابهم من النار. وإنه كما في جاء الحديث: ((ينادي المنادي في كل ليلة من رمضان: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر)) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وابن حبان، فليحرص المؤمن على أن يكون ممن يبغي الخير، وهم الذين يقصدون صلاحَ أنفسهم واستصلاح أسرِهم وأبنائهم ومن وُلُّوا عليهم، وينشرون الخير بين المسلمين والبشر أجمعين، فبهذه السِّعة في النية يتعرض المؤمن لأن يُنادى عليه بالإقبال بقول الملَك: يا باغي الخير أقبل يا باغي الخير أقبل. كما أن الذي يقدم عليه رمضان وهو مُصرٌّ على نظر الحرام أو قول الحرام أو فعل الحرام يتعرض لأن يكون ممن يُنادى عليه بالقصران في قول الملك: يا باغي الشر أقصر يا باغي الشر أقصر .

أيها المؤمن: بما أُتيح لك من هذه الفرصة أحسِن الاغتنام واشكر الذي مدَّ في عمرك حتى بلغتَ هذه الأيام، وتأمل قولَ رسولك عليه الصلاة والسلام: ((إذا جاء رمضان فتِّحت أبوابُ الجنة وأغلقت أبوابُ النار وسُلسِلت الشياطين)) رواه البخاري ومسلم. وتعرَّض للفضل العظيم، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) رواه البخاري ومسلم، ومعنى الإيمان: التصديق، أي من اندفع إلى الصيام بدافع التصديق بصدقِ الرسول الذي بلَّغ عن الله، واحتسابًا لا غرضَ له إلا طلب المثوبة من الله والقرب إليه غُفر له ما تقدم من ذنبه.. وكذلك في قيام رمضان ويكون بالمحافظة على الجماعة في الصلوات وعلى صلاة التراويح كل ليلة ((فمن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)).. وفي لفظ في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فرض الله عليكم صيامه وسننت له قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)). رواه ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه والبيهقي.

واحذر من خروج الشهر عليك بلا تحقيقٍ لتقوية إيمانك وتصفية جنانك فقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له)) رواه الطبراني والحاكم وابن أبي شيبة.

ألا وخذ الدروس من هذا الشهر والصوم فيه، فهي تعلمك تقويمَ الصرف فيما تنفق وأين تنفق، وكما تعلِّمك الشعورَ بحال الجائع، وحال المحتاج لتكون ممن يحسن الإنفاقَ في محلِّه ولتقوم بدورك في المجتمع؛ ومع ذلك كله يفيد إشراقَ أنوارٍ في باطنك وتصفيةً في سريرتك وذوقًا رفيعًا لمعاني إيمانك وقربِك من خلاقك.

نسأل الحقَّ تعالى أن يأخذ بأيدينا وييسر لنا السبيل في إقامة الأمر على ما يرتضيه، وأن يجعل صومَنا مقبولاً وقيامنا مقبولاً ويرزقنا الإحسان فيه، متجنِّبين للآفات من اللسان وبقية الجوارح الأعضاء ((فإن من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه)). رواه البخاري وأصحاب السنن.

اللهم ارزقنا اقتطافَ ثمرات الصوم، والفوز بحقائقه وسامي معانيه، واجعلنا من خواص أهل رمضان، واجعله مبارَكا علينا وعلى أمة نبيك محمد أجمعين.. والحمد لله رب العالمين

الكلمة الثانية

الحمد لله الملك القدير القوي المتين، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، أرسل إلينا عبده المصطفى المجتبى الأمين، محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

أما بعد: فإننا في هذا الشهر الكريم المبارك نوجِّه خطابنا لإخواننا من أهل هذه الملة نلفت أنظارَهم إلى أساسٍ من الأسس في التربية والحفاظ على وجهةِ الأمة وصلتِها بمنهج مولاها تبارك وتعالى وهديِ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم واستقامتها على الشريعة التي ارتضاها الله تبارك وتعالى لها في هذه الحياة أمام دواعٍ تدعو تأخذ وتجرف الناسَ إلى أصنافٍ من الانحرافات، نوجه النداء والخطاب إلى شأن الأزمَّة التي يُقاد بها الأبناء والبنات صغارًا وكبارًا من أبناء المسلمين وبناتهم وأحفادهم وأسباطهم ذكورا وإناثا، ونحب أن تتوجه العناية إلى تقويم الزِّمام الذي يقود

وجهات الأولاد فينا والأحفاد ذكورًا وإناثًا والمؤثرات التي تؤثر عليهم في اختياراتهم للألفاظ وللأفعال وللوِجهات وللمقاصد، وإننا بذلك نقيم حصونًا أمام ما تُستهدَف به قلوبُ الأمة ووجهات الأمة وأعمال الأمة وأقوال الأمة – أي منهجها واتجاهها – أمام الدواعي والعوامل والمؤثرات الكثيرات الكثيرات، يجب أن لا يُغفل المؤمن دورَه في خضم هذه التأثيرات وهذه الدواعي في هذه الحياة المتنوعات، لا يُغفل دوره في التربية، في التقويم، في المحافظة، في الحراسة للأمانة أمام الأبناء والبنات فإن الكثير مما وقع في المسلمين وأثَّر في سَيرهم ومسارهم وأثَّر في بُعدهم عن قيمهم وأخلاقهم وفي ظهور نماذج من الانحراف والانجراف وراء الشرور بما تحوَّل إلى جنود مع دعوة الفساد ودعوة الشر في الأمة ناتج كل ذلك عن إهمال الأبناء والبنات وعن السماح لأن تُقاد أزمَّتُهم من قادةٍ لا خلاقَ لهم عند الحق تبارك وتعالى، ولا خلاق لهم في الآخرة .

فنحب أن نوجِّه العناية ونحن في هذا الشهر الكريم شهر التقوى والتربية والتزكية وأن نلتفت إلى هذا الواجب والدور الكبير العظيم في حسن النظر في تسليم أزمَّة هؤلاء الأطفال بالرأفة والرحمة والشفقة والحرص وبذل الجهد للإقناع والتبيين بحيث يؤدي كل ذلك إلى أن تُسلَّم أزمَّتُهم في فكرهم ووجهاتهم إلى وحيِ الله ومنهج الله وهدى الله الذي بعث به مصطفاه، فيسمون ويدخلون في الواقع ويعيشون فيه عيشةَ المؤثِّرين بأسسٍ كبرى قوية علوية، لا المتأثرين بما يُلقى عليهم، المنصهرين في التيارات التي تجرفهم إلى أنواع من الانحطاط والخروج عن القيم والمثل وعن السمو والعلو.

اللهم ابعث فينا العزائم والهمم لنقوم بهذا الدور والواجب فتصلح منا الأفراد والأسر فنكفى شرور ما نُدعى إليه على أيدي من فجر ومن كفر، ونحظى بحقيقةٍ من نُصرتك في أنفسنا وأهلينا فتنصرنا كما وعدت وأنت خير الناصرين .. وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الكلمة الثالثة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، اللهم صل وسلم على عبدك المجتبى المصطفى المبعوث بالرحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإلى إخواننا من أهل الإسلام والإيمان في مختلف الأقطار؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونبعث إلى إخوتنا وأحبتنا كلمة الشهر، مهنِّئين لهم بشهر رمضان المبارك وحلوله فينا، وإذن الله تعالى أن ندركه وأن نبلغه، سائلين منه أن يبارك لنا فيه وفي خواتيمه المباركة، وفي العيد الذي قرب وأقبل على الناس، وهو التعبير عن إعلانهم الفرح بفضل الله تعالى (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) [البقرة:١٨٥] وإننا بهذه المناسبة نجعل كلمة الشهر حول قضية في غاية الأهمية، راجعة إلى فهم الإنسان لدينه، وحقيقة علاقته بما آمن به، من الإله والرسول والكتاب الذي أنزل، ففي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدًى للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان، ينبغي أن نطرق باب تصحيح الصلة بالكتاب العزيز، في واقع حياتنا معشر الذين آمنَّا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وذلك بأن ندرك الفارق الكبير العظيم بين من آمن بالله واليوم الآخر، وبين من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فيقوم الأمر عند

مَن آمن على أساس عمارة الآخرة والاستعداد لها، واتخاذ الدنيا مطيةً تُمتَطَى ليُزرع فيها ما يُحصد في عالم البقاء والخلود والدوام، وبهذا يكون التحصين لأفكار رجالنا ونسائنا وخصوصاً الناشئة مِنَ ا ذكوراً وإناثاً، مما يتنازعهم ويتجاذبهم من لفت الأنظار، إلى مُتَعِ هذه الحياة وزخارفها وشهواتها، وكأنها المقصود الذي خُلق من أجله الإنسان، فإن كان هذا في فكر وفلسفة من لم يؤمن بالله والدار الآخرة، فلا ينبغي أن يجدَ طريقاً إلى فكر ونظر من آمن بالله والدار الآخرة، إنهم اتخذوا الحياة الدنيا غاية و (ذلك مبلغهم من العلم) [النجم:٣٠] واتخذناها وسيلة وتجاوزنا ما عسى أن ينتهوا إليه من كل ما يمكن أن يحدث لهم وفيهم وبهم ومنهم في خلال هذه الفترة القصيرة، فنقول لإخواننا أهل الإيمان يجب أن يكون للقرآن سلطانٌ على قلوبنا، من خلال إيقاننا بأنه كلام الإله الذي خلق كل شي، وكون الكائنات كلها، فهو المرجع لنا وهو العمدة لنا وهو الإمام لنا، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار، فمن خلال رمضان وأيامه ولياليه ينبغي أن نُمَتِّن معنى هذه الصلة، ونُعَمِّق هذه النظرة إلى صلتنا بالغيب وإيماننا بالغيب، وتجاوز نظرنا عالم المادة والحياة القصيرة، فاتخاذنا إياها وسيلة ينبغي أن لا يُعمي أبصارنا ولا يُصم أسماعنا عن حقائق أنها مجرد الممر والعبور وأن النهاية والعاقبة (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [آل عمران:١٨٥] هذا من أعظم ما يمكن أن نستفيد من رمضان المبارك، الذي يعقبه بعده العيد ليُثبت فينا هذه الصلة ويُعمق فينا هذه النظرة، ليكون منطلق الفرح عند أمة الإسلام بأمور معنوية غيبية علوية عظيمة سامية، تتعلق بغفر ذنوبهم وعتق رقابهم من النار، واستعدادهم لأخذ النصيب من القرب من ربهم ورضوانه عنهم جل جلاله، فبذلك يقيمون أفراحهم، ومن هذا المنطلق تأتي أعيادهم وبإكمال العدة، والفرح ببلوغ الشهر الذي أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، يأتي هذا الفرح في واقع حياة المسلمين، فينبغي أن يعيشوه تماماً عيشة التحقق بذاك الإيمان، وأن يوجد في حياتهم تحقيق معنى الانطلاق في الفرح على هذا الأساس الذين يمتازون به عن من لم يؤمن برب الناس، وبعثة خير الناس بمنهج الله تعالى في علاه، هذا الذي نحب أن نلفت إليه النظر في كلمة هذا الشهر، نسال الله تعالى أن يوقظ القلوب، وأن يجدد من العزائم من خلال صيامنا وقيامنا ما ننطلق به في الحياة على أساس اتخاذ جميع مُتعها وسيلة

نتصرف فيها على وفق ومطابقة منهج الحق وشرعه القويم، ونستعد بها للفوز العظيم والنعيم المقيم، اللهم اجعلنا ممن صام رمضان إيمانا واحتسابا، وممن قام رمضان إيمانا واحتسابا، ووفر حظنا فيه من المغفرة والرحمة والعتق من النار، والحمد لله رب العالمين.

الكلمة الرابعة :

كيف يستقبل المؤمن شهر رمضان

يا أيها المؤمن: إن خطابك بهذه الكلمة يثير في باطنك معنى تمتلئُ به الجوانح على قدر ما يحمل فؤادك من حقيقة الإيمان الذي خوطبت به ، إنك بالإيمان تتميز عن كل مَن لم يهتدِ لحقيقةِ وجودِه، ولم يعرف موجده وصانعه الذي خلَقه من العدم، ولم يظفر بالمنهج الذي ارتضاه وشرعه له الخلاق الحكيم القدير] أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [[الملك: ١٤].

وأنت من خلال هذا المنهج تقيم الأسس الصحيحة لتغذية الروح والجسد وإصلاحهما وإسعادهما في الحياتين والدارين، ذلك بأنه المنهج الكامل الأمثل الأقوم الأتم الأقوى لصلاح هذا الإنسان] الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً [[المائدة: ٣].] وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [[المائدة: ٥٠].

وأنت بهذا المنهج تعرف قيمةَ الحياة وتحرص على اغتنام أيامها ولياليها وانتهاز فرصها ومواسمها لتكسب السعادة وتتهيأ للحسنى وزيادة] تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ [[الملك: ١، ٢].] وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى [[النجم: ٣٩، ٤٠، ٤١]. ورسول الله يقول لك ((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)) [رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرطهما].

وأنت بهذا الإيمان وأخذِك بمقتضاه لهذا المنهج القويم تحسن التفكير ويأخذ بك الاهتمام كيف تستقبل رمضان ، فإن أحوال المسلمين مختلفة جداً في كيفية استقبال هذا الشهر الكريم ما بين من لا يدرك إلا أنه شهر امتناع في النهار عن الطعام والشراب والجماع ، لا يمتد نظره إلى حِكَمه ولا إلى مقصده ؛ وبين من يصوم ويقوم ببعض مظاهر العبادة عادة ؛ وبين من يعدُّه فرصة لتناول أنواع من الأطعمة وقضاء جلسات سهر في غير طائل ؛ وبين من يعدُّه موسماً للتجارة المادية ؛ وبين من يكثر فيه من الاشتغال بالألعاب والتفرج على أصناف الأفلام ؛ وبين من يتجاوز الحد فيكثر من الذنوب ويختلط في مثل الأسواق بالأجنبيات خصوصاً في العشر الأواخر ، فيتعرض بذلك للحرمان والطرد والمقت والعياذ بالله تعالى ؛ وبين من يهمل فيه أولاده ونساءه فيرتعون في مجالسة أهل الغفلات وأهل قسوة القلوب وسوء الأخلاق ؛ وكل أولئك لم يعرفوا رمضان ولم يدركوا معناه ، وخمدت فيهم داعية الاستجابة للإيمان الذي في قلوبهم لضعفه ونقصه وتغطية نوره وآثاره بظلمات الإيثار للشهوات الزائلات ، والحظوظ والأغراض الفانيات ؛ وما بين مَن أخذَ نصيباً ودرجة من فقه حكمة الله الخلاق في تخصيص رمضان بفرض الصيام ونزول القرآن ، وأنه شهر التطهر عن الأدران ، وتحصيل رضوان ملك الملوك الديان ، وفرصة الحصول على الغفران ، وتقويم وتقوية الصلة بالرحمن ؛ شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ؛ فهو منَّة فخيمه ، وفرصة عظيمه ، وعطيَّة جسيمة ، وميدان فسيح لتصحيح

الأخطاء ، وتثبيت الخُطى ، على المنهج الذي ارتضاه جل وعلا ؛ شهر الادكار والذكرى ، والفوز والبشرى ، والتوبة النصوح ، والفتح والمنوح .

وهم على درجات في هذا الفقه والعمل بمقتضى الإيمان في هذا الشهر العظيم المبارك فيستقبلونه بالفرح والسرور ، وبالحذر من موجبات الحرمان ، وبالتشمير في العمل بمقتضى الإيمان .. ونحن نلخص لك أيها المؤمن مهماتك وواجباتك في هذه الثلاثة الجوانب فأحضِر قلبك واستمع وتوجه بالعزم الصادق تظفر وتربح] فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [[الزمر: ١٧، ١٨].

فاستقبل هذا الشهر الأغر:-

١- فرحاً مسروراً .

٢- حذِراً من أسباب الحرمان والطرد .

٣- مشمراً مسارعاً إلى العمل بمقتضى الإيمان .

١- فأما فرحك وسرورك فبفضل الله ورحمته: قال تعالى] قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [[يونس: ٥٨]. وسرِّح نظرك في مظاهر فضل الله ورحمته في هذا الشهر الكريم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين)) [رواه البخاري ومسلم]. ومعنى صفدت : شدّت بالأصفاد وهي الأغلال والسلاسل .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خيرٌ من ألف شهر من حُرِمها فقد حُرِم الخير كله ولا يُحرم خيرها إلا محروم)) [رواه ابن ماجة بإسناد حسن].

وعن سلمان رضي الله عنه قال خطبَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر يوم من شعبان فقال ((يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه)) [رواه ابن خزيمة في صحيحه].

٢- وأما الحذر من أسباب الحرمان فبأن تنزِّه ساحتك عن:-

أ - قول الزور والعمل به .

ب- وعن الرفث ، والفسوق ، والجهل على الناس

ج - وعن الفطر على الحرام ، وتناول الشبهات والمحرمات .

د - وعن التقصير في الصيام ، وعن الكذب ، والغيبة .

هـ - وعن قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وتناول الخمر والمخدرات، والشحناء على المسلمين.

فإن تلك هي أسباب الحرمان من خير رمضان وبركته ، والمغفرة فيه، والعتق من النار، فاصدق في بذل جهدك أن تتخلص منها ، وتتنزَّه عنها .. وهل شُرع الصيام إلا لتحصيل حقيقة التقوى ، وإليك الخطاب من الرحمن بوصف الإيمان الذي يغرس في باطنك المعنى السامي] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [[البقرة: ١٨٣]. وتأمل قوله] لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [.

أ- فأما قول الزور والعمل به: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) [رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة].

ومعنى قول الزور: كل قول نافى الحق والصدق من كلامٍ، وحلفٍ بيمين كاذبة، وشهادة زور، وغير ذلك من كل كلامٍ نافى الحق والصدق .فلؤرر

ومعنى العمل به: العمل على مقتضى ذلك القول الزور أو العمل الزور، وهو كل عمل نافى الحق والهدى ، فاضبط أيها المؤمن الصائم أقوالك وأفعالك في صومك لتصل إلى حقيقة الصوم.

ب- وأما الرفث: وهو الفحش في الكلام والنطق بكل ما يستقبح ذكره ويستحيي منه أهل الطباع السليمة ، فقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((الصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب)) وفي رواية ((ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤٌ صائم مرتين)) [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة].

والصخب: الخصام والمجادلة بلا طائل: أي فلا يصيح ولا يخاصم .

ومعنى لا يجهل: أي لا يفعل شيئا من أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية .

والفسوق: هو عمل الفسق وهو الإثم والمحرمات ، وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((الصيام جنةٌ ما لم يخرقها)) [رواه النسائي بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي].

ورواه الطبراني في الأوسط وزاد قيل وبمَ يخرقها قال: ((بكذبٍ أو غيبة)).

ج- ومن المهم المتأكد على المؤمن الصائم أن يتحرى في الإفطار على الحلال ، وأن يجتهد في التورع في فطره ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا)) [رواه مسلم].

ومن صام عن الحلال ثم أفطر على الحرام فقد تعرض لأن يُرد صيامه عليه ، فتحَرَّ في فطرك أيها المؤمن ، وقد قال بعض سلف الأمة : إذا صمت فانظر على ما ذا تفطر وعند من تفطر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((الحلال بيّنٌ والحرام بيّنٌ وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حِمى ألا وإن حمى الله محارمه)) [رواه البخاري ومسلم].

د- وأما التهاون بشيء من الصيام المفروض: فأمر خطير شديد العاقبة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه)) [رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي].

والمعنى: إن المتجرئ على الفطر في رمضان بغير حق لا يكافئ تجرؤه ذلك أن يصوم الدهر كله ، فعلى المؤمن أن يحذر من ذلك، وعلى من أفطر بغير عذر أن يتوب ويتدارك الأمر ويقضي يوماً بدل اليوم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم في رؤيا رآها ((ثم انطُلق بي فإذا أنا بأقوامٍ معلَّقين بعراقيبهم ، مُشقَّقة أشداقُهم ، تسيل أشداقُهم دماً ، قلت من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلَّةِ صومهم)) [رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما].

ومعنى قبل تحلةِ صومهم: يفطرون قبل وقت الإفطار، فاحذر من التهاون والتهور يا أيها الصائم وليكن فطرك بعد تيقُّن الغروب فإن سنةَ تعجيل الفطر مربوطةٌ بتيقُّن غروب الشمس .

هـ- وأما قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وتناول الخمر والمخدرات المتعرض فاعلها للعنة الله تبارك وتعالى فهي والشحناء على المسلمين أربعة أوصاف جاء في الحديث الشريف أن أصحابها يُحرمون المغفرة في رمضان وغيره، وأن الله يغفر في آخر ليلة من رمضان للمسلمين إلا لقاطع الرحم وعاق الوالدين وشارب الخمر والمشاحن الذي في قلبه شحناء على المسلمين.. فطهِّر ساحتك يا أيها المؤمن في هذا الشهر الكريم تفُز بخير ربك وتظفر بنور الشهر وسرِّه وبركته ومقصوده .

٣- وأما التشمير والمسارعة إلى العمل بمقتضى الإيمان: فإن شهر رمضان ميدان الربح وفرصة التزود وكسب المثوبات والدرجات العلا، قال رسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) [رواه البخاري ومسلم]. وفي رواية ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) [رواه النسائي]. وفي رواية له قال ((إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) [رواه البخاري ومسلم والنسائي]. وقال زاد قتيبة ابن سعيد ((وما تأخر)).

فقيام رمضان من أعظم الأعمال التي ينبغي أن يغتنمها المؤمن في الشهر الكريم، فليعمر ليالي رمضان بأنواع العبادات وليحافظ على الجماعات في الفرائض، وتفطير الصائمين عمل له عظيم الثواب قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من فطّر فيه -يعني رمضان- صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء)) [رواه ابن خزيمة في صحيحه].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من فطَّر صائماً على طعام وشراب من حلال صلَّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان وصلى عليه جبريل ليلة القدر)) [رواه الطبراني].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أُعطِيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبيٌّ قبلي : أما واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عزّ وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله عزّ وجل يأمر جنته فيقول استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا)) فقال رجل أهي ليلة القدر فقال ((لا ، ألم ترَ إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم)) [رواه البيهقي بإسنادٍ لا بأس به].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((استكثروا فيه – يعني رمضان – من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ألا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ حتى يدخل الجنة)) [رواه ابن خزيمة في صحيحه].

ولقد كان نبيك صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ويجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها من رمضان ، فاقتد بنبيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واحذر عادة أقوام يجتهدون أول الشهر ثم يكسلون ويفترون آخره وربما رجعوا إلى التقصير والسيئات، فإنما الأعمال بخواتيمها..

اللهم وفقنا لاغتنام رمضان والقيام بأعمال البر فيه من تلاوةٍ للقرآن بالتدبر ومن صلةٍ للأرحام وإحسانٍ إلى الجيران ومن إحسان برٍّ للوالدين، ومن كثرة ذكرٍ لك وصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن الصدقة والبذل في سبيلك ، اللهم وفق واجعل هذا الشهر من أبرك الشهور علينا وعلى أمة نبيك أجمعين وافتح فيه للمسلمين أبواب الفرج والصلاح والفلاح وادفع عنهم البلايا ظاهراً وباطنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

.كلمة شهر رمضان ١٤٣٨ : «مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ»

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تعالى سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا لِيَدُلَّنَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَعَلَ حَيَاتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَرْقَى وَأَسْمَى حَيَاةٍ، وَخَاصَّةً في مَجَالِ المُهِمَّةِ التي أَرْسَلَهُ اللهُ تعالى بِهَا مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

لَقَدْ كَانَ مِنْ مُهِمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَزْكِيَةُ نُفُوسِنَا، وَتَطْهِيرُهَا مِنْ رَذَائِلِ الأَخْلَاقِ، وَدَنَسِ النُّفُوسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَإِخْرَاجُنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ القَلْبِ إلى نُورِ الذِّكْرِ وَنُورِ العَقْلِ.

لَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ تَأْثِيرَاً في نُفُوسِ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ الصَّادِقِينَ إلى يَوْمِ الدِّينِ، وَذَلِكَ بِحُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَحُسْنِ تَعَامُلِهِ.

«مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ»:

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: انْظُرُوا إلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في أَخْلَاقِهِ الدَّعَوِيَّةِ، روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ حَرْمَلَةُ بْنُ زَيْدٍ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْإِيمَانُ هَهُنَا . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ . وَالنِّفَاقُ هَهُنَا . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ . وَلَا يَذْكُرُ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً.

فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؛ فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَسَكَتَ حَرْمَلَةُ.

فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِطَرَفِ لِسَانِ حَرْمَلَةَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَاناً صَادِقاً، وَقَلْباً شَاكِراً، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى الْخَيْرِ».

فَقَالَ حَرْمَلَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِخْوَاناً مُنَافِقِينَ كُنْتُ فِيهِمْ رَأْساً أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَى ذَنْبِهِ فَاللهُ أَوْلَى بِهِ، وَلَا تَخْرِقْ عَلَى أَحَدٍ سَتْراً».

أَيْنَ نَحْنُ مِنْ سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: أَيْنَ نَحْنُ مِنْ سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ لَقَدْ رَفَضَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَنَصَّتَ عَلَى رَعِيَّتِهِ، أَو أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، بَلْ لَقَدْ كَانَ تَوْجِيهُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَوْجِيهاً حَاسِماً مِنْ أَجْلِ صِيَانَةِ حُرُمَاتِ النَّاسِ، وَتَحْرِيمِ التَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ أَو تَتَبُّعِ عَوْرَاتِهِمْ، فَقَالَ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ (الرَّصَاصُ المُذَابُ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: العُيُونُ تُبْعَثُ عَلَى أَعْدَاءِ الأُمَّةِ الذينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهَا الدَّوَائِرَ، أَمَّا أَنْ تُبْعَثَ العُيُونُ مِنْ قِبَلِ الحَاكِمِ عَلَى أَبْنَاءِ الأُمَّةِ الذينَ وُكِلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَأُمِرَ أَنْ يَجْتَهِدَ في الخَيْرِ لَهُمْ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَنَصَّتَ عَلَيْهِمْ، وَلَا أَنْ يَتَّبِعَ مَجَالِسَهُمْ، بَلْ وَلَا أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ.

لَقَدْ رَفَضَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْعَثَ إلى المُنَافِقِينَ مَنْ يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمْ.

خَاتِمَةٌ . نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ .:

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: روى الإمام أحمد عَنْ دُخَيْنٍ كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانَاً يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ فَيَأْخُذُوهُمْ.

فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ.

قَالَ: فَفَعَلَ فَلَمْ يَنْتَهُوا.

فَجَاءَهُ دُخَيْنٌ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ.

فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْؤُودَةً مِنْ قَبْرِهَا».

يَا أَوْلِيَاءَ الأُمُورِ، يَا أَيُّهَا الرُّعَاةُ، يَا أَيُّهَا العُلَمَاءُ، يَا طُلَّابَ العِلْمِ، يَا أَيُّهَا الأَزْوَاجُ، يَا أَيَّتُهَا الزَّوْجَاتُ، يَا أَيُّهَا الآبَاءُ، أَيْنَ نَحْنُ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ وَاللهِ مَا تَنَاقَضَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. وَحَاشَاهُ أَنْ يَتَنَاقَضَ. أَمَّا نَحْنُ عَلَى كُلِّ المُسْتَوَيَاتِ تَنَاقَضْنَا حَتَّى جَرَّأْنَا عَدُوَّنَا عَلَيْنَا، فَأَعْدَاءُ الأُمَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا وَنَحْنُ في بِلَادِنَا، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْنَا وَنَحْنُ في بِلَادِهِمْ، فَيَرَوْنَ العَجَبَ العُجَابَ، وَيَرَوْنَ التَّنَاقُضَ بَيْنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، لِذَا اجْتَرَأُوا عَلَيْنَا، وَتَدَاعَوْا عَلَيْنَا، حَتَّى أَخَذَ بَعْضُنَا بِقَتْلِ بَعْضِنَا، وَكَأَنَّا أَصْبَحْنَا فِتْنَةً لَهُمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. آمين.

** ** **

القسم السادس

الفتاوى

صائم نظر إلى امرأة فأنزل

السؤال :

إنسان صائم نفلاً، فنظر إلى امرأة فأنزل، هل يفطر أم أن صيامه صحيح؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن النظر إلى المرأة الأجنبية لا يجوز شرعاً، وذلك لقوله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون}.

وأما بالنسبة للمرأة إذا كانت من محارم الرجل فإن النظر إليها يجوز . ما عدا العورة . بشرط أمن الفتنة، أما إذا كان لا يأمن الفتنة فإنه لا يجوز النظر إليها ولو كانت من محارمه، لأن درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

وأما نظر الرجل إلى زوجته بشهوة وهو صائم فهو مكروه.

فإذا أنزل المني بالنظر إلى زوجته أو إلى امرأة أجنبية أو من محارمه فإن صيامه صحيح عند الحنفية والشافعية، ولكنه آثم بالنظر بشهوة إلى غير زوجته من محارمه، وآثم بالنظر إلى غير محارمه ولو لم يكن بشهوة.

وعند المالكية والحنابلة يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة، إذا أنزل بالنظر.

وبناء عليه:

فصيام الرجل الذي أنزل المنيَّ بسبب النظر صحيح عند الحنفية والشافعية، وفاسد عند المالكية والحنابلة، وعليه القضاء دون الكفارة.

وأسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لغض البصر وحفظ الفرج واللسان. آمين. هذا، والله تعالى أعلم.

احتلم في نـهار رمضان

السؤال :

نمت في نهار رمضان، فاستيقظت جنباً، مع العلم بأني لم أقدم على أي من مقدمات ما جرى، فماذا يترتب علي؟

٢٥-٠٩-٢٠٠٩

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يشترط لصحة الصيام الطهارة لا من الحدث الأكبر ولا الأصغر، فالصيام صحيح ومقبول إن شاء الله تعالى، ولكن كان من الواجب عليك أن تسرع للاغتسال من أجل المحافظة على الصلوات في وقتها، وحتى لا تكون قضاء، لأن الصلاة في أوقاتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) رواه البخاري.

وبناء على ذلك:

١.ً فصيامك صحيح ولا قضاء عليك.

٢.ً عليك قضاء الصلوات التي فاتتك مع كثرة الاستغفار والندم على تقصيرك في الاغتسال، والعزم على أن لا تعود إلى ذلك مرة ثانية. هذا، والله تعالى أعلم.

تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون في رمضان

السؤال :

ما حكم تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون في نهار رمضان؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا حرج من تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون في نهار رمضان إذا اجتنب ابتلاع شيء من المعجون، أما إذا دخل جوفه شيء من المعجون فإنه يفطر وعليه القضاء دون الكفارة. هذا، والله تعالى أعلم.

حكم قطرة العين والمضمضة للصائم

السؤال :

ما حكم قطرة العين للصائم من أجل قراءة القرآن؟ علماً أنه يبلغ ٧٥ عاماً، ولا يستطيع القراءة دون قطرة العين. وما حكم ابتلاع الماء أثناء المضمضة وهو صائم؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن قطرة العين لا تفطر الصائم ولو وجد أثر طعمها في حلقه، ونسأل الله تعالى لنا وله العفو والعافية.

أما إذا ابتلع الماء أثناء المضمضة عمداً فإنه يفطر وعليه القضاء مع الكفارة، وهي صيام ستين يوماً، أما إذا ابتلع شيئاً من الماء أثناء المضمضة خطأً فعليه القضاء فقط دون الكفارة.

وإذا تمضمض الصائم ثم جمع ريقه ورماه ولم يبتلع شيئاً من الماء فصيامه صحيح إن شاء الله تعالى. هذا، والله تعالى أعلم.

هل يفسد الاستنجاء بالماء الصيام؟

السؤال :

هل الاستنجاء بالماء عقب التغوط دون تجفيف من المفطرات في رمضان؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الاستنجاء سنة مؤكدة للرجال والنساء من نجس يخرج من السبيلين، والغسل بالماء أحبُّ، والأفضل الجمع بين الماء ونحو الحجر مرتباً، فيمسح ثم يغسل بيده، ويصب الماء بيده اليمنى على المحل برفق، ويغسل باليسرى حتى يقع في قلبه أنه طهر.

ويبالغ في الاستنجاء حتى يقطع الرائحة الكريهة، ويرخي مقعدته إن لم يكن صائماً، ويستحب أن ينشف مقعدته قبل القيام، ولو بيده اليسرى مرة بعد أخرى، إن لم تكن معه خرقة، ولو لم يكن صائماً.

وبناء عليه:

فمن استنجى بالماء ولم ينشف مقعدته وكان صائماً فصومه صحيح ولا شيء عليه إن شاء الله تعالى. هذا، والله تعالى أعلم.

القبلة في رمضان للصائم

السؤال :

كنت مسافراً، وبعد غياب فترة طويلة عن زوجتي كان وصولي إلى البيت في رمضان بعد الظهر، فقبلت زوجتي وداعبتها وكان تقبيلي بشهوة، وأنا وهي كنا صائمين، لكن لم أجامعها، فما حكم الشرع في ذلك؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإذا كان تقبيل الزوجة بدون جماع ولا إنزال ولا انتقال ريق بين الزوجين فالصيام صحيح إن شاء الله تعالى، أما إذا تم انتقال الريق بين الزوجين، أو تم الإنزال بدون مجامعة فيجب قضاء اليوم، لأن الإنزال أو ابتلاع ريق أحد الزوجين يفطر الصائم.

أما إذا تمَّ الجماع فيجب القضاء مع الكفارة. هذا، والله تعالى أعلم.

حكم إقياء المرأة الحامل في رمضان

السؤال :

تشتد الإقياءات الحملية في الفترة الأولى من الصباح، وبعض النساء تُعاني الإقياء طيلة النهار خصوصاً عندما تكون المعدة فارغة. السؤال هو: هل يتوجب قضاء صيام أيام رمضان في هذه الحالة؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد فرق الفقهاء بين القيء إذا خرج بنفسه، وإذا خرج بإرادة الإنسان. فإذا غلب القيء على الإنسان وخرج بنفسه، فلا خلاف بين الفقهاء في عدم الإفطار به، قلَّ القيء أم كثر، كان بملء الفم أو أقل. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ) رواه الترمذي. أما إذا كان القيء عمداً، فإنه مفسد للصوم وموجب لقضاء اليوم. هذا إذا كان القيء ملء الفم عند الحنفية، وإذا كان أقل من ملء الفم وجب عليه القضاء عند جمهور الفقهاء. وبناء عليه: فلا قضاء على المرأة التي قاءت في شهر رمضان إذا لم يكن بقصد منها. هذا ، والله تعالى أعلم.

حكم سباحة المرأة وهي صائمة

السؤال :

ما حكم سباحة المرأة وهي صائمة هل تفطر أم لا؟ لأن هناك من يقول: إن سباحة المرأة مفطرة لها لاحتمال دخول الماء عن طريق الفرج.

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا تفسد سباحة المرأة الصائمة صومها، وإن أحست بالبرودة بسبب ذلك، لأن الجلد منفذ غير طبيعي للبدن، ولكن إن دخل بسبب ذلك ماء إلى الحلق عن طريق الفم أو الأنف فقد أفطرت بذلك. ولو كان الأمر كما قال هذا البعض لأفطرت المرأة بغسل فرجها بعد التبول، والأمر على خلاف ذلك، لأن الفرج الخارجي الذي يدخل الماء إليه عند السباحة أو الاستنجاء لا يحصل الفطر بوصول الماء إليه، مثله مثل الأنف الخارجي لا يفطر المتوضئ به عند الاستنشاق في الوضوء أو غيره، ومثله مثل الفم عندما يمضمض الرجل في الوضوء أو غيره، ولذلك فإنني أرى عدم الفطر بسباحة المرأة أثناء الصوم. هذا، والله تعالى أعلم.

حكم السباحة في الصيام

السؤال :

هل يجوز لصائم أن يسبَح في بحر أو نهر؟ وهل يجوز أن يستحم من شدة الحر بالماء البارد؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالاغتسال بالماء البارد للتبرد، والسباحة في البحر، وكذلك التلفف بالثوب المبلول بالماء البارد، لا يفطر به الصائم، وإن وجد برد الماء في باطنه.

وأفتى الإمام أبو يوسف من الحنفية بعدم كراهته، لما رواه أبو داود في سننه من أنه صلى الله عليه وسلم صب الماء على رأسه وهو صائم من العطش والحرارة. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يبل ثوبه ويلفه عليه وهو صائم، لأن في ذلك عوناً له على أداء الصوم، ودفع الضجر الطبيعي.

ودخول جزء من الماء في الجسم بواسطة مسام الجلد لا تأثير له، لأن المفطّر إنما هو الداخل من المنافذ، ومسام الجلد ليست كذلك. والله تعالى أعلم.

رجل صائم وقاء دون قصد

لسؤال :

رجل صائم وقاء دون قصد، فهل يبقى صائماً؟ أم إنه أفطر؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالخارج من المعدة من غير قصد ولا استقاءة لا شيء فيه، ولا يفطر به الصائم إن لم يرجع منه شيء إلى المعدة، ويجب عليه القضاء إن رجع شيء إلى المعدة وكان بإمكانه قذفه إلى الخارج ولم يفعل، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (من ذرعه ـ أي سبقه وغلبه في الخروج ـ القيءُ فلا قضاء عليه، ومن استقاء ـ أي تكلفه ـ فعليه القضاء) أخرجه مسلم.

أكل وشرب ناسياً أنه صائم

السؤال :

رجل صائم نفلاً، فأكل وشرب ناسياً أنه صائم، فهل يتم صومه، وصيامه صحيح، أم أنه أفطر؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد رفع الإسلام الحكم عن الناسي، فلم يؤاخذه على ما ارتكبه أثناء نسيانه، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا نسي أحدكم فأكل أوشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه). متفق عليه. فمن أكل أو شرب ناسياً في صيام فرض كشهر رمضان، أو صيام واجب كقضاءٍ أو نذرٍ، أو صيام نافلةٍ، فصومه صحيح، ورزق ساقه الله تعالى إليه، ولكن عليه أن يلقي ما في فمه مباشرة.

هذا، والله تعالى أعلم.

الصائم أمير نفسه

السؤال :

إنسان صام نافلة، وأفطر بعد العصر، فهل يجب عليه قضاء اليوم عند السادة الشافعية؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَقَدْ روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: «يَا عَائِشَةُ، هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟».

قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ.

قَالَ: «فَإِنِّي صَائِمٌ».

قَالَتْ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَأُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ. أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ ..

قَالَتْ: فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ. أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ. وَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ شَيْئاً.

قَالَ: «مَا هُوَ؟».

قُلْتُ: حَيْسٌ. (تَمْرٌ مَخْلُوطٌ بِالسَّمْنِ وَأَقِطٍ؛ وَقِيلَ: طَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنَ الزُّبْدِ وَالتَّمْرِ وَالْأَقِطِ).

قَالَ: «هَاتِيهِ».

فَجِئْتُ بِهِ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ صَائِمَاً».

قَالَ طَلْحَةُ: فَحَدَّثْتُ مُجَاهِدَاً بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: ذَاكَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يُخْرِجُ الصَّدَقَةَ مِنْ مَالِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا.

وفي رِوَايَةِ النسائي قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ الْمُتَطَوِّعِ مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا، وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا».

وروى الترمذي عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَا بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَهَا فَشَرِبَتْ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِينُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ». وفي رِوَايَةٍ: «أَمِيرُ نَفْسِهِ».

وروى الطَّبَرَانِيُّ في الأَوْسَطِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ طَعَامَاً، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنِّي صَائِمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعَاكُمْ أَخُوكُمْ وَتَكَلَّفَ لَكُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: إِنِّي صَائِمٌ؟ أَفْطِرْ، ثُمَّ صُمْ يَوْمَاً مَكَانَهُ إِنْ شِئْتَ».

وَذَهَبَ فُقَهَاءُ الشَّافِعِيَّةِ إلى أَنَّ مَنْ شَرَعَ في صِيَامِ النَّافِلَةِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِتْمَامُهُ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاؤُهُ إِنْ أَفْطَرَ، لَكِنْ يُسْتَحَبُّ إِتْمَامُهُ، فَإِنْ أَفْطَرَ فَيُسْتَحَبُّ قَضَاؤُهُ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

فَإِذَا أَفْطَرَ بِغَيْرِ عُذْرٍ فَلَا يُثَابُ على مَا مَضَى، وَإِلا أُثِيبَ. هذا، والله تعالى أعلم.

جامع زوجته في نهار رمضان بدون إنزال

السؤال :

رجل صائم في نهار رمضان، وأثناء المداعبة بينه وبين زوجته تم التقاء الختانين وغابت الحشفة، ولم ينزل الرجل، فماذا يترتب على كلٍّ من الزوجين؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن جماع الصائم في نهار رمضان عامداً مختاراً بأن يلتقي الختانان وتغيب الحشفة في أحد السبيلين مفطر يوجب القضاء والكفارة، أنزل أو لم ينزل.

وبناء على ذلك:

وجب على هذا الرجل وزوجته قضاء هذا اليوم، مع الكفارة الكبرى، وهي عتق رقبة عن كل واحد من الزوجين، فإن لم يجدا فصيام شهرين متتابعين ـ ستين يوماً ـ فإن عجز كلٌّ من الزوجين عن الصيام بسبب مرض مزمن أو شيخوخة فيطعم كل واحد منهما ستين مسكيناً. هذا أولاً.

ثانياً: ما فعله هذا الرجل مع زوجته في نهار رمضان وهو صائم لا يجوز شرعاً، وهو نوع من أنواع الاستخفاف في الصيام، فعليه وعلى زوجته بالتوبة الصادقة النصوح، وعدم العودة إلى ذلك ثانية، وذلك لقوله تعالى: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}. هذا، والله تعالى أعلم.

ماذا يجب على من أفطر رمضان بغير عذر؟

السؤال :

مضى عليه ثلاث سنوات لم يصم شهر رمضان من دون عذر، وإنما كان ذلك في فترة الشباب والآن يصوم فما الحكم؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالحمد لله الذي شرح صدره للإسلام ووفقه للصيام، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنه.

ويجب على هذا الشاب التائب إلى الله تعالى ـ والشابُّ التائبُ حبيبُ الله ـ قضاء تلك الأيام التي أفطرها يوماً بيوم، ثم بعد ذلك يجب عليه صيام شهرين متتابعين كفارة لما أفطره من رمضان بغير رخصة ولا عذر.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنه. هذا، والله تعالى أعلم.

هل يجب عليها القضاء مع الفدية؟

السؤال :

أفطرت عشرة أيام بعذر شرعي، وجاء رمضان الذي بعده ولم أقض هذه الأيام لأني كنت أرضع ولدي، ثم حملت بولد آخر ولم أستطع القضاء، وجاء رمضان آخر ولم أقضِ أيضاً، فماذا يترتَّب عليَّ هل القضاء فقط؟ أم القضاء مع الفدية؟

٠٥-٠١-٢٠٠٩

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اتفق الفقهاء على أن الحامل والمرضع لهما أن تفطرا في رمضان بشرط أن تخافا على أنفسهما أو على ولدهما المرضَ أو زيادتَه، أو الضرر أو الهلاك، فالولد من الحامل بمنزلة عضو منها، فالإشفاق عليه من ذلك كالإشفاق على بعض أعضائها، وذلك لقوله تعالى: {وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلاةِ، وَعَنْ الْحَامِلِ أَوْ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي رواية للبيهقي: (وَعَنِ الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ).

وبناء على ذلك:

فلا حرج عليك إن شاء الله تعالى في فطرك أيام العذر الشرعي وأيام الحمل والإرضاع، وعليك قضاء هذه الأيام، وكلَّما تعجَّلتِ في قضاء هذه الأيام يكون أولى.

والقضاء لما فات من رمضان يكون بالعدد، وذلك لقوله تعالى: {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}.

وعند جمهور الفقهاء لا يجوز تأخير قضاء رمضان إلى ما بعد رمضان آخر من غير عذر، ومن أخَّر يأثم بذلك وعليه الفدية، وهي إطعام مسكين لكلِّ يوم مع وجوب القضاء. وأما عند الحنفية فعليه القضاء بدون فدية.

وأنتِ مُخَيَّرَةٌ بين الأخذ بقول الجمهور بوجوب قضاء الأيام التي أفطرتيها مع الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم، وبين الأخذ بقول الحنفية بوجوب القضاء بدون فدية.

وإذا كانت أمورك المادية ميسَّرة فالأخذ بقول جمهور الفقهاء أولى. هذا، والله تعالى أعلم.

لم تقض ما أفطرت من رمضان منذ عشر سنوات

السؤال :

كنت قد أهملت قضاء الأيام التي أفطرت فيها في رمضان يعني من سن البلوغ للآن والمجموع عشر سنوات لم أقض صياماً فيها، وأنا الآن ندمت وتبت إلى الله فأريد أن أعرف هل يجوز دفع كفارة دون الصيام أم مع الصيام؟ وإن وجب الصيام فكم يوماً؟ أنا وسطياً كنت أفطر سبعة أيام، وكم مقدار الكفارة؟ وكم المدة التي يجب أن أقضي فيها كل هذه الأيام؟

٢٠٠٨-١٠-١٦

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالواجب عليك أن تُحصي الأيام التي أفطرتيها في السنوات الماضية من سنّ البلوغ إلى الآن، وتصومي عن كلِّ يومٍ يوماً واحداً، ولا كفّارة عليك.

فإن عجزتِ عن إحصاء الأيام بشكل مضبوط، فليكن على غلبة الظن، فأنت تقولي: مجموع الأعوام عشر سنوات، والغالب على ظنّك أنك كنت تفطرين في كلِّ رمضان سبعة أيام، إذاً وجب

عليك قضاء سبعين يوماً، ولا يُشترط فيها التتابع، ولكن كلَّما أسرعت في القضاء يكون أولى، لأن العبد لا يدري متى ينتهي أجَله.

وإن كان بوسعك أن تجعلي عن كلِّ يومٍ فِديةً . وهي طعام مسكين . يكون خيراً إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن بوسعك هذا فالقضاء وحده يكفي. هذا، والله تعالى أعلم.

أفطر في رمضان بحجة الزواج

السؤال :

كنت قد أهملت قضاء الأيام التي أفطرت فيها في رمضان يعني من سن البلوغ للآن والمجموع عشر سنوات لم أقض صياماً فيها، وأنا الآن ندمت وتبت إلى الله فأريد أن أعرف هل يجوز دفع كفارة دون الصيام أم مع الصيام؟ وإن وجب الصيام فكم يوماً؟ أنا وسطياً كنت أفطر سبعة أيام، وكم مقدار الكفارة؟ وكم المدة التي يجب أن أقضي فيها كل هذه الأيام؟

١٦-١٠-٢٠٠٨

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالواجب عليك أن تُحصي الأيام التي أفطرتيها في السنوات الماضية من سنّ البلوغ إلى الآن، وتصومي عن كلِّ يومٍ يوماً واحداً، ولا كفّارة عليك.

فإن عجزتِ عن إحصاء الأيام بشكل مضبوط، فليكن على غلبة الظن، فأنت تقولي: مجموع الأعوام عشر سنوات، والغالب على ظنّك أنك كنت تفطرين في كلِّ رمضان سبعة أيام، إذاً وجب

عليك قضاء سبعين يوماً، ولا يُشترط فيها التتابع، ولكن كلّما أسرعت في القضاء يكون أولى، لأن العبد لا يدري متى ينتهي أجَله.

وإن كان بوسعك أن تجعلي عن كلِّ يومٍ فِديةً . وهي طعام مسكين . يكون خيراً إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن بوسعك هذا فالقضاء وحده يكفي. هذا، والله تعالى أعلم.

تأخير قضاء رمضان

السؤال :

امرأة أفطرت بعض الأيام في شهر رمضان، هل يجب عليها قضاء هذه الأيام مباشرة، أم يجوز تأخير القضاء؟

٠٧-٠٩-٢٠٠٨

الاجابة :

قضاء رمضان لا يجب على الفور، بل هو على التراخي، وإن كان الأولى تعجيله لمن لم يكن له عذر.

وقيد الشافعية والحنابلة والمالكية هذا التراخي بأن لا يهل رمضان آخر من غير عذر، فإذا دخل رمضان آخر ولم تقض المرأة أيامها من غير عذر أثمت وعليها الفدية، وهي إطعام مسكين لكل يوم، مع القضاء.

أما إذا تأخرت في قضائها لعذر فلا إثم عليها ولكن عليها الفدية.

ودليل الجمهور على هذا، قول السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان يكون عليَّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان لمكان النبي صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري.

وفي هذا الحديث دلالة على أن وقت القضاء موسع، ويصير في شعبان مضيقاً. وأن حق الزوج من العشرة والخدمة مقدم على سائر الحقوق ما لم يكن فرضاً محصوراً في الوقت.

وفي الحديث دلالة على أن المرأة لا تصوم إلا بإذن زوجها، فإذا ضاق عليها الوقت صامت.

أما مذهب الحنفية في قضاء رمضان فهو: وجوب القضاء على التراخي بلا قيد، فلو جاء رمضان آخر، ولم تقض الفائت، فلا إثم عليها ولا فدية، وذلك لقول الله تعالى: {فعدة من أيام أخر} [البقرة: ١٨٤] والنص مطلق.

وبناء على هذا:

يجوز للمرأة أن تؤخر قضاء أيامها، وخاصة إذا كانت متزوجة، إلى ما قبل رمضان الآخر، فإن أخرته إلى ما بعد رمضان الآخر، وجب عليها القضاء عند الجميع ومع الفدية عند الشافعية والمالكية والحنابلة ما عدا الحنفية. هذا، والله تعالى أعلم.

هل تصوم المرأة ستاً من شوال قبل قضاء ما عليها؟

السؤال :

هل يمكن صيام ستة أيام من شوال بالنسبة للمرأة قبل قضاء ما عليها من الصيام بسبب الحيض أو النفاس؟ وهل يجوز الجمع بين النيتين؟

١٧-٠٣-٢٠٠٨

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فصيام ستة أيام من شوال نافلة، والقضاء واجب، ولا بد في هذه الحالة من تقديم الواجب على النافلة، لأن الله تعالى لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة.

ولكن إذا صامت المرأة النافلة وأخَّرت القضاء فلا حرج في ذلك، وتبقى ذِمَّتها مشغولة بالقضاء، فإذا ماتت قبل القضاء أثمت، وعل ورثتها أن يطعموا مسكيناً عن كل يوم أفطرته ولم تقضه. ولا يجوز لها أن تجمع بين قضاء ما عليها مع صيام ستة أيام من شوال، لأن القضاء واجب وصيام ستة أيام نافلة. ولا يجمع بين الواجب والنافلة، فإذا جمعت بين القضاء والنافلة صح عن القضاء ولم يصح عن النافلة. هذا، والله تعالى أعلم.

ماتت في رمضان وقد أفطرت أياماً منه

السؤال :

جدتي توفيت في ١٤ رمضان وكانت في الأربعة عشر يوم التي عاشتها في رمضان مريضة فهل يجب على أحد أن يقضي عنها الأربعة عشر يوم التي أفطرتها؟

٢١-١١-٢٠٠٧

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فنسأل الله لنا ولكم حسن العزاء والأجر على المصيبة، ونرجوه تعالى أن يجعل قبرها روضة من رياض الجنة. أما بالنسبة للأيام التي أفطرتها جدتك في رمضان فإنه يجب عليكم أن تؤدوا عن كل يوم من هذه الأيام فدية، وهي إطعام مسكين، ولا يجوز أن يصوم أحد عنها، وذلك لما ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سئل عن الرجل يموت وعليه صيام من رمضان أو نذر يقول:

لا يصوم أحد عن أحد، ولكن تصدقوا عنه من ماله للصوم عن كل يوم مسكيناً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يصوم أحد عن أحد، ويطعم عنه. الحديثان رواهما البيهقي في السنن الكبرى. هذا، والله تعالى أعلم.

نية صيام رمضان مع قضاء من رمضان آخر

السؤال :

لي أخ في الإسلام لم يصم رمضان عدة سنوات وفي رمضان المقبل سوف ينوي صيام هذا رمضان وفي نفس الشهر سينوي صيام الشهر نفسهه تكفيرا للشهر السابقة فهل يجوز ذلك

٠٨-١٠-٢٠٠٧

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيا أخي الكريم، لماذا التسويل والتسويف في قضاء رمضان؟ الواجب على المسلم أن يبادر إلى بالتوبة قبل الموت، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) رواه الترمذي. وعلى هذا الأخ الكريم أن يسرع في التوبة والإنابة، وأن يسرع لقضاء الأيام التي أفطر فيها في شهر رمضان، ثم عليه أن يصوم شهرين متتابعين كفارة لفطره. ولا يجوز أن يجمع بين صيام رمضان وقضاء الأيام التي أفطر فيها، لأن رمضان زمان لا يتسع غيره. هذا، والله تعالى أعلم.

زوجان أفطرا في نهار رمضان بالمعاشرة؟

السؤال :

زوجان أفطرا في نهار رمضان بالمعاشرة، ومات الزوج ولم يؤدِّ كفارة الصيام، فماذا يترتب عليه؟

١٧-٠٦-٢٠٠٧

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

مما يفسد الصوم ويوجب القضاء والكفارة معاً، قضاء شهوة الفرج كاملة، وهو الجماع، سواء الفاعل والمفعول به، ولو بمجرد التقاء الختانين وإن لم ينزل، وهذا بالإجماع بين الفقهاء، وذلك للحديث الصحيح المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: (ما لك؟) قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تجد رقبة تعتقها؟) قال: لا، قال: (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟) قال: لا، فقال: (فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟) قال: لا، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم، فبينا نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر، والعرق المكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: (خذ هذا فتصدق به). فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: (أطعمه أهلك). وبناء على ذلك:

١– وجب على كلٍّ من الزوجين قضاء ذلك اليوم.

٢– وجب على كلٍّ من الزوجين الكفارة، وهي عتق رقبة أولاً، فإن لم يجدا فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطيعا فإطعام ستين مسكيناً.

٣– وطالما أن الزوج قد مات، وجب أن يخرج من ماله مقدار إطعام ستين مسكيناً، هذا عند السادة الشافعية، سواء أوصى الميت بذلك أم لم يوص. أما عند السادة الحنفية فلا يخرج من

ماله شيء إلا إذا كان قد أوصى بذلك، فإن لم يوص فلا يجب على الورثة أن يخرجوا شيئاً من المال إلا برضاهم، وإذا كان في الورثة قُصَّر، فلا يجوز إخراج شيء من مالهم.

٤- وجب على الزوجة صيام شهرين، فإن عجزت فإطعام ستين مسكيناً. هذا، والله تعالى أعلم.

مات وعليه قضاء فهل يصح الصيام عنه؟

السؤال :رجل توفاه الله تعالى وعليه قضاء أيام من رمضان، فهل يجوز أن يصوم عنه أحد، أم يجب إخراج فدية عنه؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:فإن كان الرجل الذي توفاه الله تعالى، قد أفطر في شهر رمضان بعذر لسفر أو مرض أو شيخوخة، واتصل العذر بالموت، فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يصام عنه، ولا كفارة فيه، لأنه فرض لم يتمكن من فعله إلى الموت، فسقط عنه، والأحوط أن يطعم مسكيناً عن كل يوم.
أما إذا أفطر لعذر، وتمكن من القضاء، ولم يقض حتى مات، فمذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية أنه لا يصام عنه، لأن الصوم واجب بأصل الشرع لا يقضى عنه كالصلاة.
ومذهب الحنابلة: يجوز لوليه أن يصوم عنه، وتبرأ به ذمة الميت إن شاء الله تعالى، وليس واجباً على وليه ذلك، بل هو مخير بين أن يصوم عنه أو يُكّفِّر، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه). أخرجه البخاري. أما في وجوب الفدية، عند السادة الحنفية: لو أخر قضاء رمضان بغير عذر ثم مات ولم يقضِ لزمه الإيصاء بكفارة ما أفطره. وعند الشافعية: يجب في تركته لكل يوم إطعام مسكين ولو لم يوصِ.
هذا، والله تعالى أعلم.

تعجيل قضاء الصيام قبل وجوبه لإدراك صيام شوال

السؤال :

امرأة تريد أن تصوم قضاءً الأيام التي ستفطرها في شهر رمضان بسبب العادة الشهرية، فهل يصح تعجيل القضاء قبل وجوبه عليها، حتى تتمكن من صيام ستة أيام من شوال براحتها؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لا يجوز القضاء قبل وجوبه، لأن القضاء لا يكون إلا لشيء وجب في وقتٍ، فخرج الوقتُ ولم يؤد فيه، أما إذا لم يأت وقته فإنه لا يجوز فعله قبل وقته، ولا تقديم قضائه عليه. فكل العبادات لها أوقات محددة، كما في قوله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه} [البقرة: ١٨٥]. وقوله تعالى في الصلاة: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً} [النساء: ١٠٣]. وقوله جل جلاله في الحج: {الحج أشهر معلومات} [البقرة: ١٩٧]. فلا سبيل للمرء أن يقدم عبادة عن وقتها، فإن فعل فإنه لم يؤد العبادة المطلوبة. أما إذا أخَّر العبادة حتى خرج وقتها، فلا بد من قضائها بعد خروج وقتها حتى تبرأ ذمته أمام الله تعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم: (اقضُوا اللَّهَ، فاللَّهُ أحق بالوفاء). أخرجه البخاري و مسلم. وأما حرص المرأة على صيام ستة أيام من شوال، فهذا شيء حسن، ولكن صيام هذه الأيام سنة، فإن استطاعت أن تؤديها فبها ونعمت، وإلا فلا حرج عليها. فإذا لم تقدر على القضاء وصيام الست في شهر شوال فعليها أن تؤدي القضاء، ولعل الله تعالى أن يؤجرها على صيام الست كما يرى بعض أهل العلم من المالكية والشافعية. والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه). رواه مسلم. هذا، والله تعالى أعلم.

١٧-١٠-٢٠٠٧

أفطر عدة شهور من رمضان، فماذا يترتب عليه

السؤال :

رجل أفطر أكثر من شهر من شهور رمضان، فماذا يترتب عليه؟ هل عليه القضاء مع الكفارة؟ أم القضاء فقط؟ وهل عليه فدية بتأخير القضاء أم لا؟

١٣-٠٣-٢٠٠٧

الاجابة :

الجواب: حصر الفقهاء الآثار المترتبة على الإفطار في أمور، منها القضاء والكفارة والفدية، والإمساك بقية النهار.

أولاً: القضاء: من أفطر يوماً أو أياماً من رمضان أو شهراً أو عدة شهور قضى بعدة ما فاته لقوله تعالى:)ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر((البقرة: ١٨٥) فمن فاته صوم رمضان كله قضاه بالعدد، إن كان ثلاثين قضاه ثلاثين، وان كان تسعة وعشرين قضاه تسعة وعشرين، ويجوز أن يقضي يوم شتاء عن يوم صيف، ويجوز عكسه.

وقضاء رمضان على التراخي لا على الفور، بشرط أن لا يهل رمضان آخر، ولا يجوز عند الجمهور تأخير قضاء رمضان إلى رمضان آخر من غير عذر، فان أخر فعليه الفدية، وهي إطعام مسكين لكل يوم مع القضاء.

وعند الحنفية يجب القضاء على التراخي بدون شرط وبدون فدية بتأخير القضاء لما بعد رمضان الجديد.

أما بالنسبة للكفارة فإنها تجب على من أفطر عامداً في نهار رمضان بعد شروعه في الصيام بغير عذر ولا مرض ولا سفر، والكفارة هي العتق ثم والصيام ثم والإطعام، ولحديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يارسول الله هلكت، قال: (ما لك) فقال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تجد رقبة تعتقها ؟) قال: لا، قال: (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟) قال: لا، قال: (فهل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟) قال: لا، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم، فبينا نحن على ذلك، أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بعَرَق –مكيال يسع ستين مداً– فيها تمر، قال: (أين السائل ؟) فقال: أنا، قال: (خذ هذا فتصدق به) فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها –يريد الجبال التي تحيط بالمدينة– أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثم قال: (أطعمه أهلك) أخرجه البخاري.

فخصال الكفارة بشكل عام هي العتق والصيام والإطعام، وذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الكفارة بشكل عام مرتبة على الشكل التالي، عتق رقبة أولاً إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن عجز فعليه إطعام ستين مسكيناً.

وذهب المالكية إلى أن كفارة إفساد الصوم على التخيير، أي المكفّر يختار واحدة من ثلاثة، إما العتق وإما الصوم وإما الإطعام، والإطعام أفضل من العتق والصوم عند المالكية.

وخلاصة الجواب:

الواجب على هذا الأخ قضاء ما فاته مع الفدية عن كل يوم إطعام مسكين، ثم الكفارة وهي صيام شهرين وهذا عند جمهور الفقهاء، هذا إذا كان فطره بمعاشرة زوجته، أما إذا كان فطره بالطعام والشراب فعليه القضاء مع الكفارة عند السادة الحنفية رَضِيَ اللهُ عَن جميع الفقهاء؛ وإذا أراد أن يقلد السادة المالكية في الكفارة بإطعام ستين مسكيناً فلا حرج. والله تعالى أعلم.

التدخين في نهار رمضان

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اتفق الفقهاء على أن شرب الدخان أثناء الصوم يفسد الصيام، لأنه من المفطرات، كذلك يفسد الصوم لو أدخل الدخان حلقه من غير شرب، بل باستنشاقٍ له عمداً. ومن تعمد شرب الدخان في نهار رمضان، وجب عليه القضاء مع الكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن عجز أطعم ستين مسكيناً. هذا، والله تعالى أعلم

شرب الماء بعد سماع أذان الفجر

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن أراد الصوم فرضاً أو نفلاً عليه أن يمتنع عن الطعام والشراب قبل أذان الفجر، فإذا أكل وشرب ومؤذن الفجر قال: الله أكبر عند طلوع الفجر فقد أفطر، وإذا لفظ ما في فمه ولم يبتلعه فصيامه صحيح إن شاء الله تعالى.

أما إذا ابتلع الطعام أو الشراب بعد سماع التكبير وكان ذلك عند طلوع الفجر فقد أفطر، فإن كان صومه فريضة فعليه إمساك بقية اليوم ثم قضاء هذا اليوم ثم الكفارة، وهي صيام شهرين متتابعين هذا عند السادة الحنفية، وعند السادة الشافعية عليه القضاء دون كفارة.

وأما إذا كان صومه قضاء فلا يمسك بقية يومه ولكن عليه القضاء دون الكفارة.

وإذا كان يريد صيام نافلة فأكل أو شرب عند بداية الأذان فلا شيء عليه، ولا يعتبر صائماً. هذا، والله تعالى أعلم.

مريض عاجز عن الصيام فماذا يفعل؟

الاجابة :

نسأل الله العفو والعافية لجميع مرضى المسلمين. إذا كان المريض لا يرجو شفاءً من مرضه، وكان الصوم يجهده ويشق عليه مشقة شديدة له أن يفطر، ولا حرج عليه لقول الله تعالى: {ولا على المريض حرج} [النور: ٦١] ولقوله تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج} [الحج: ٧٨].

فإذا أفطر فعليه الفدية وجوباً عند السادة الحنفية والحنابلة والأصح عند الشافعية لقوله تعالى: {وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين} [البقرة: ١٨٤] ولقول سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: (من أدركه الكبر فلم يستطع صيام شهر رمضان فعليه لكل يوم مد من قمح) رواه الدارقطني والبيهقي.

وأجاز الحنفية دفع الفدية في أول الشهر عن الشهر كله، كما يجوز دفعها في آخره. هذا والله تعالى أعلم.

رجل استيقظ جنباً فظن أنه أفطر فأكل وشرب فماذا يترتب عليه؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن احتلم فوجد بللاً على ثيابه فيجب عليه الغسل، وإن لم يجد بللاً على ثيابه فلا غسل عليه. هذا أولاً.

ثانياً: الاحتلام لا يؤثر على الصيام ولا يفسده، إن وجد بللاً أو لم يجد.

ثالثاً: من أكل أو شرب عامداً بعد الاحتلام فقد أفطر وعليه القضاء مع الكفارة، وهي صيام ستين يوماً متواليات، والجهل بالحكم لا يعفيه من الكفارة، لأنه لا عذر لجاهل في الأحكام في ديار الإسلام. هذا، والله تعالى أعلم.

عاشر زوجته وهو يظن أن الفجر ما طلع

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالتقصير في حفظ الصوم لا يليق بالإنسان المؤمن، لأن المؤمن حريص على أداء العبادة على خير وجه، فيجب على المؤمن أن يكون مهتماً بمعرفة دخول وقت الفجر وذلك للإمساك، ودخول وقت المغرب وذلك للفطر.

فمن قصَّر في ذلك فأكل أو شرب أو جامع زوجته وهو يظنُّ بأن الفجر ما طلع، والحال أن الفجر طالع، فإنه يفطر ويجب عليه القضاء دون الكفارة، وهذا عند جمهور الفقهاء، وكذلك من أكل أو شرب وهو يظن بأن المغرب دخل وقته والحال بأن المغرب ما دخل وقته، فقد أفطر وعليه القضاء دون الكفارة، وهذا عند جمهور الفقهاء.

وبناء على ذلك:

فالرجل الذي عاشر زوجته وهو يظنُّ بأنَّ الفجر ما طلع، والواقع أنه طالع وقد دخل وقت الفجر ووجب الإمساك، فعليه وعلى زوجته القضاء دون الكفارة، لأن الأصل بقاء الليل، والجناية قاصرة، وهي جناية عدم التثبت. هذا، والله تعالى أعلم.

إنسان مريض باللثة، ويخرج منها الدم أثناء الصيام، وأحياناً يبتلع الدم، فهل يفطر؟

الاجابة :

الجواب: الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَإِذَا دَمِيَتِ لِثَّتُهُ، وَدَخَلَ رِيقُهُ حَلْقَهُ مَخْلُوطاً بِالدَّمِ، وَلَمْ يَصِلْ إلى جَوْفِهِ لَا يُفْطِرُ.

وَإِنْ كَانَ الدَّمُ غَالِبَاً على الرِّيقِ ثمَّ ابْتَلَعَهُ فَسَدَ صَوْمُهُ، وَعَلَيْهِ القَضَاءُ دُونَ الكَفَّارَةِ.

أَمَّا إِذَا كَانَ الرِّيقُ غَالِبَاً على الدَّمِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ تَسَاوَيَا يَفْسُدُ احْتِيَاطَاً.

وبناء على ذلك:

فَإِذَا كَانَ الدَّمُ غَالِبَاً على الرِّيقِ وَابْتَلَعَهُ، فَقَدْ أَفْطَرَ، وَإِلَّا فَصِيَامُهُ صَحِيحٌ. هذا، والله تعالى أعلم.

هل يفسد صوم الصائم إلى نظر إلى صورة وأنزل؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فما فعلته هو حرام عليك، وعليك بالتوبة والاستغفار والعزم على ألا تعود إلى هذه المعصية مرة ثانية، وتذكر الموت كلَّما سوَّلت لك نفسك هذا، وتصوَّر لو أن الأجل انتهى والعبد على هذه الحالة، فما هو قائل لربه عز وجل يوم القيامة؟ هذا أولاً.

ثانياً: اختلف الفقهاء في صيام من أنزل بالفكر أو النظر:

فذهب الحنفية والشافعية إلى أن الإنزال بالفكر أو النظر بشهوة لا يفسد الصوم.

وذهب الحنابلة إلى أن الإنزال بالنظر يفسد الصوم.

وذهب المالكية إلى أنه إن أمنى بمجرد الفكر أو النظر من غير استدامة لهما فإنه يفسد صومه ويجب عليه القضاء دون الكفارة، وإن استدامهما حتى أنزل فعليه القضاء مع الكفارة.

وبناء على ذلك:

فعليك بالتوبة والاستغفار والندم على ما فعلت، والعزم على أن لا تعود إلى هذه المعصية ثانية، وتصدَّق بما تيسر، فإن الصدقة تطفئ غضب الرب، ثم عليك بقضاء هذا اليوم دون الكفارة خروجاً من الخلاف بين الفقهاء. هذا، والله تعالى أعلم.

نمت في نهار رمضان، فاستيقظت جنباً، مع العلم بأني لم أقدم على أي من مقدمات ما جرى، فماذا يترتب علي؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يشترط لصحة الصيام الطهارة لا من الحدث الأكبر ولا الأصغر، فالصيام صحيح ومقبول إن شاء الله تعالى، ولكن كان من الواجب عليك أن تسرع للاغتسال من أجل المحافظة على الصلوات في وقتها، وحتى لا تكون قضاء، لأن الصلاة في أوقاتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) رواه البخاري.

وبناء على ذلك:

١ً. فصيامك صحيح ولا قضاء عليك.

٢ً. عليك قضاء الصلوات التي فاتتك مع كثرة الاستغفار والندم على تقصيرك في الاغتسال، والعزم على أن لا تعود إلى ذلك مرة ثانية. هذا، والله تعالى أعلم.

هل يجوز للمجند الفطر في رمضان بسبب التدريبات؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أولاً: أذكر الإخوة المدرِّبين بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار) رواه ابن خزيمة والبيهقي. وهؤلاء المجنَّدون بحكم المملوكين بين يدي المدرِّب، فمن سعادته أن يخفِّف عنهم حتى يخفِّف الله تعالى عنه، ومن شقَّ عليهم فسيشقُّ الله عز وجل عليه عاجلاً أم آجلاً، وذلك لدعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) رواه مسلم.

ثانياً: لا يجوز للرجل الذي يؤدي الخدمة الإلزامية أن يبدأ نهاره مفطراً بحجة التدريبات التي ستكون صباحاً، بل يجب عليه أن يبدأ نهاره صائماً، حتى إذا وصل إلى درجة من الجهد الشديد بحيث لا يستطيع أن يبقى صائماً فله أن يفطر ذلك اليوم بسبب الجهد الشديد لا بسبب

التدريبات، وعليه قضاء ذلك اليوم دون الكفارة، والإثم على من أجهده إذا لم يكن الأمر ضرورياً. هذا، والله تعالى أعلم.

أيهما أفضل للمؤمن الفطر في رمضان أم الصوم لمن كان مسافراً ولم ينو الإقامة؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد ذهب الأئمة الأربعة، وجماهير الصحابة والتابعين إلى أن الصوم في السفر جائز صحيح منعقد، وإذا صام وقع صيامه وأجزأه. ولكن اختلفوا في أيهما أفضل، الصوم أم الفطر؟ أم هما متساويان؟ فذهب الحنفية والشافعية: إلى أن الصوم أفضل، بل هو مندوب. وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: والصوم أحب من الفطر في السفر لتبرئة الذمة إلا إذا كان يتضرر به، لقوله تعالى: {وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}. فالصوم عزيمة والإفطار رخصة، ولا شك أن العزيمة أفضل. ومذهب الحنابلة: أن الفطر في السفر أفضل، لحديث (ليس من البر الصوم في السفر). أخرجه البخاري. هذا والله تعالى أعلم

هل يجزئ الطعام قبل النوم عن السحور؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن سنن الصوم السحور، ووقت السحر هو الثلث الأخير من الليل، فمن أكل قبل النوم بقصد السحور، وكان في وسط الليل، لم ينل بركة الدعاء للمتسحرين، فعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تسحروا فإن في السحور بركة). أخرجه البخاري.

ووقته قبل الفجر بقليل، كما جاء في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور، قال: قدر خمسين آية). أخرجه البخاري.

كما يستحب للصائم تأخير السحور، كذلك يستحب له تعجيل الفطر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر). أخرجه البخاري.

ويستحب أن يكون الفطر على تمرات، لحديث أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء). أخرجه الترمذي.

ويستحب له الدعاء لحديث: (إن للصائم دعوة لا تُرد). أخرجه ابن ماجه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: (ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى) أخرجه أبو داود. هذا، والله تعالى أعلم.

الجمع بين قضاء رمضان وصيام عاشوراء

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن إشراك عبادتين مقصودتين بذاتهما في نية واحدة لا يصح، فالقضاء عبادة مقصودة بذاتها، وصيام النافلة عبادة مقصودة بذاتها، فلا يجمع بين هاتين العبادتين في نية واحدة.

وبناء على ذلك:

فمن نوى النافلة لم يجزئه عن الواجب، يعني إذا نوى صيام يوم عاشوراء لا يجزئه هذا الصوم عن القضاء، ومن نوى قضاء رمضان في يوم عاشوراء صح قضاؤه، ويُرجى من الله تعالى أن ينال ثواب صيام يوم عاشوراء. هذا، والله تعالى أعلم.

نية صيام رمضان مع قضاء من رمضان آخر

السؤال :

لي أخ في الإسسلام لم يصم رمضان عدة سنوات وفي رمضان المقبل سوف ينوي صيام هذا رمضان وفي نفس الشهر سينوي صيام الشهر نفسهه تكفيرا للشهر السابقة فهل يجوز ذلك

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيا أخي الكريم، لماذا التسويل والتسويف في قضاء رمضان؟ الواجب على المسلم أن يبادر إلى بالتوبة قبل الموت، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) رواه الترمذي. وعلى هذا الأخ الكريم أن يسرع في التوبة والإنابة، وأن يسرع لقضاء الأيام التي أفطر فيها في شهر رمضان، ثم عليه أن يصوم شهرين متتابعين كفارة لفطره. ولا يجوز أن يجمع بين صيام رمضان وقضاء الأيام التي أفطر فيها، لأن رمضان زمان لا يتسع غيره. هذا، والله تعالى أعلم

لم تقض ما أفطرت من رمضان منذ عشر سنوات

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالواجب عليك أن تُحصي الأيام التي أفطرتيها في السنوات الماضية من سنّ البلوغ إلى الآن، وتصومي عن كلِّ يومٍ يوماً واحداً، ولا كفّارة عليك.

فإن عجزتِ عن إحصاء الأيام بشكل مضبوط، فليكن على غلبة الظن، فأنت تقولي: مجموع الأعوام عشر سنوات، والغالب على ظنّك أنك كنت تفطرين في كلِّ رمضان سبعة أيام، إذاً وجب عليك قضاء سبعين يوماً، ولا يُشترط فيها التتابع، ولكن كلَّما أسرعت في القضاء يكون أولى، لأن العبد لا يدري متى ينتهي أجَله.

وإن كان بوسعك أن تجعلي عن كلِّ يومٍ فِديةً . وهي طعام مسكين . يكون خيراً إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن بوسعك هذا فالقضاء وحده يكفي. هذا، والله تعالى أعلم.

أين مكان اعتكاف الرجل والمرأة؟

الاجابة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أجمع الفقهاء على أنه لا يصح اعتكاف الرجل إلا في مسجدٍ، لقوله تعالى: {وأنتم عاكفون في المساجد}. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتكف إلا في المسجد. واتفقوا على أن المساجد الثلاثة أفضل من غيرها، والمسجد الحرام أفضل، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى . نسأل الله تعالى أن يطهره من رجس اليهود والصليبية . آمين آمين آمين. أما مكان اعتكاف المرأة فهو مسجد بيتها، لأنه هو مَوْضعٌ لصلاتها، فيتحقق انتظارها فيه، ولو اعتكفت في مسجد الجماعة جاز مع الكراهة التنزيهية، والبيت أفضل من مسجد حيّها، ومسجد الحي أفضل لها من المسجد الأعظم. هذا، والله تعالى أعلم

ممارسة العادة السرية في نهار رمضان

لقد مارست العادة السرية في رمضان وقت الظهر قبل حوالي ٤ او ٥ سنوات، وحينها لم اكن اعرف انه يبطل الصيام، فما حكم ذلك؟ وهل علي كفارة؟ مع العلم باني لا اعرف عدد الايام التي مارست فيها هذه العادة او كم عدد المرات؟ وما حكم الكفارة على احد مارس العادة السرية في رمضان وقت الظهر بدون علم انه يبطل الصيام بشكل عام؟ وجزاكم الله خيرا

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ممارسة العادة السرية في نهار رمضان تبطل الصيام، وتوجب القضاء عن ذلك اليوم، و لو مارس الصائم العادة السرية أكثر من مرة في اليوم الواحد لم يلزمه إلا قضاء يوم واحد، ولو مارسها في يومين وجب عليه قضاء يومين، ولا تلزمه الكفارة.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

أثر الجنابة السابقة على الفجر على صحة الصوم

ماهو الحكم في رجل جامع زوجته في ليل رمضان و نام دون أن يغتسل ثم لم يستقظ إلا ضحوة النهار،،فاغتسل ليصلي الظهر..

هل صيامه صحيح؟و هل يترتب عليه القضاء أو الكفارة؟؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

صيامه صحيح،و لا شيء عليه من قضاء أو كفارة،لأن حرمة ذلك مخصوصة بالنهار.

قال تعالى"أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساؤكم".

إلا أن عليه أن يتحاشى أثناء غسله في النهار وصول الماء إلى جوفه من أحد منافذ الجسم كالفم والأذنين..

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

استعمال البخاخ للصائم

هل بخاخ الفنتولين يفطر الصائم؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالبخاخ مفطر للصائم، فإذا احتاج إليه المريض حاجة كبيرة في نهار رمضان ولم يغن غيره عنه، فله الفطر ثم القضاء بعد العيد، وعند العجز الدائم عن الصوم تجب الفدية بعد العيد.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

.عمل الأشعة مع خروج الدم في رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنا قد عملت أشعه في عضوي الذكري برمضان، هل أفطر بذلك على الرغم من خروج بعض الدم؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلا إفطار إلا بدخول شيء إلى الجسم من منافذه الخمسة المفتوحة، وهي الأذنان والأنف والفم والسبيلان . القبل والدبر .، ولا يؤثر خروج الدم في صحة الصيام.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

فحص الرحم في نـهار رمضان.

ماحكم فحص الرحم في نهار رمضان مع العلم بأنه عند دكتورة؟

:إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم :الدين، وبعد

من حيث الحكم فهو جائز للحاجة، مادام قد تم الفحص لدى دكتورة كما ذكرت، أما من حيث صحة الصيام، فإذا لم يدخل مع الآلة الفاحصة دواء، كالفيزلين وغيره، فالصوم صحيح، أما إذا .دخل معه دواء، كالفيزلين أوأي مادة ملينة أخرى، فقد فسد الصوم، ووجب القضاء

.واسأل الله لكم التوفيق

.والله تعالى أعلم

تقديم قضاء رمضان على النفل

هل يجب تقديم قضاء رمضان على صيام ست من شوال ٠٠٠Aوماحكم اشراك النية

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يفضل لمن عليه قضاء رمضان أن يقدم القضاء على التنفل في شوال، ائتمارا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن القضاء فرض وهو مقدم على النفل، ولو قدم النفل على القضاء صح ولا شيء عليه، ولا يجوز أن يجمع بين نية الفرض ونية النفل معا عند بعض الفقهاء، وأجاز البعض ذلك، والأول أقوى عندي احتياطا.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم

صلاة المرأة وصومها إذا رأت الصفرة.

هل تصلي وتصوم المرأة إذا رأت الصفرة؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فكل لون غير الأبيض الصافي تراه المرأة في موعد حيضها، بعد أقل مدة الحيض ودون أكثر مدة الحيض يعد من الحيض، وعليها الفطر في رمضان والتوقف عن الصلاة إلى حين الطهارة، فإذا رأته بعد نهاية أكثر مدة الحيض، فهو استحاضة، وحكم الاستحاضة حكم البول، ولا تعطى حكم الحيض ولا حكم النفاس، ولذلك تغسلها ثم تتوضا وتصلي وتتابع صومهاوعبادتها.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

خروج الدم من الفم أثناء الصيام.

هل خروج الدم من الفم يفسد الصيام؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فخروج الدم من الفم لا يفسد الصوم، وإنما ابتلاعه عمداً دون نسيان بعد خروجه هو ما يفسد الصوم، لأن الصوم يفسده ما يدخل جسم الإنسان لا ما يخرج منه، وإلا كان التبول مفسداً.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

حكم الكحل وقت الصيام

استعمال الكحل للأعين خلال الصيام هل يفطر؟

وشكرًا.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

الكحل لا يؤثر على صحة الصوم.

لأنه روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكتحل في نهار رمضان.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

إرتكاب مفطر بدون علم

ارتكبت مفطراً من مفطرات الصيام، لكنني لا أعلم بأنه مفطر، فهل أنا آثم؟ علماً أنني لا أعرف عدد الأيام التي أفطرت فيها، فما الحل؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيجب عليك قضاء ما أفطرت فيه في رمضان، مع التوبة والاستغفار، ثم إن أفطرت بالجماع فعليك الكفارة مع القضاء، وإن أفطرت بالطعام والشراب فلا كفارة عليك عند بعض الفقهاء، وتجب الكفارة عليك عند البعض الآخر، وإذا كنت لا تعلم عدد الأيام التي أفطرت فيها فعليك الاجتهاد في ذلك على قدر إمكانك.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

لا تعلم عدد الأيام التي أفطرت فيها

امرأة كل سنة عندها حمل أو إرضاع، وأصبحت بعد ذلك مريضة، ولم تعد تعرف عدد الأيام التي أفطرتها، مع العم أنها كثيرة، ما هو الحل برأيكم؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عليك أن تحاولي تذكر عدد الأيام ولو بشكل تقريبي، ثم صيام بضعة أيام زيادة عليها احتياطاً، وأسأل الله تعالى لك القبول.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

صلاة المرأة وصومها إذا رأت الصفرة.

هل تصلي وتصوم المرأة إذا رأت الصفرة؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فكل لون غير الأبيض الصافي تراه المرأة في موعد حيضها، بعد أقل مدة الحيض ودون أكثر مدة الحيض يعد من الحيض، وعليها الفطر في رمضان والتوقف عن الصلاة إلى حين الطهارة، فإذا

رأته بعد نهاية أكثر مدة الحيض، فهو استحاضة، وحكم الاستحاضة حكم البول، ولا تعطى حكم الحيض ولا حكم النفاس، ولذلك تغسلها ثم تتوضا وتصلي وتتابع صومهاوعبادتها.

واسأل الله لكم التوفيق.

خروج الدم من الفم أثناء الصيام.والله تعالى أعلم.

هل خروج الدم من الفم يفسد الصيام؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فخروج الدم من الفم لا يفسد الصوم، وإنما ابتلاعه عمداً دون نسيان بعد خروجه هو ما يفسد الصوم، لأن الصوم يفسده ما يدخل جسم الإنسان لا ما يخرج منه، وإلا كان التبول مفسداً.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

حكم التبرع بالدم في نهار رمضان عند الضرورة

ماحكم التبرع بالدم في نهار رمضان في هذه الحالات:

أصيب لي قريب بحادث سيارةٍ، وستجرى له عمليةٌ جراحيةٌ عاجلةٌ.

أدخلت إلى المستشفى، وستجرى لي عملية جراحية بعد ثلاثة أيام.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

التبرع بالدم لا يعد مفطراً من المفطرات على أصح الأقوال.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

حكم البخور أثناء الصيام

أنا أعرف أن البخور من مبطلات الصيام ولكن إذا كنت جاهلاً ما العمل هل أكمل الصيام أم أفطر؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

البخور ليس من مبطلات الصيام وإنما الطيب والبخور مكروه للصائم بعد الزوال، لكن لا يجوز ابتلاع الدخان الذي يتصاعد من البخور، وإلا أفطر بذلك، ويصبح حكمه كحكم الدخان في كونه من المفطرات، وعلى من فعل ذلك جاهلاً فأفطر قضاء الأيام التي أفطرها.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

القبلة بين الزوجين وأثرها على الطهارة والصوم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

هل القبلة العادية بين الزوجين تفسد الوضوء؟ وهل تبطل الصيام؟

وبارك الله فيكم.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالقبلة على الشفتين للزوجة من قبل الزوج تنقض الوضوء عند كثير من الفقهاء، ولا تنقضه عند البعض الآخر، ولا تنقض الصوم باتفاق الفقهاء إلا أن ينزل بسببه المني، فيبطل الصوم لنزول المني لا للقبلة.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

قطرة الأنف للصائم

ما حكم وضع قطرة الأنف، والشعور بطعمها في حلقي أثناء صيام يوم عرفة؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقطرة الأنف في وقت الصيام مفطرةٌ للصائم، فرضا كان الصوم أو نفلا.

واسأل الله لكم التوفيق.

ابتلاع البلغم وما يخرج من الجوف للصائم

فضيلة الشيخ..

السؤال هو هل يعتبر البلغم والتكرع من المفطرات في رمضان، لأني أعاني منهما، وهل علي إثم عند بلع البلغم أو بقايا الطعام عند التكرع، علماً بأنني أعاني من التكرع كثيراً، وهل القشور التي

على الشفتين من المفطرات في الصيام لأنني عند الصيام يحدث جفاف في شفتي فأقوم بترطيبها بلساني، فهل أعتبر أني أفطرت عندما تدخل إلى جوفي بسبب أنها علقت بلساني، وأكيد يا فضيلة الشيخ عرفت أنني موسوسة كثيراً، وأخاف أن يسألني الله تعالى يوم الحساب عن صحة صيامي، فأنا دائماً أشك فيه؟

أفيدوني أفادكم الله.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالبلغم وما يخرج إلى الفم من الجوف، إذا لم يغادر الحلق إلى أدنى الفم، بحيث يسهل قذفه لا يفطر ابتلاعه، وأما إذا خرج إلى أدنى الفم على وجه يمكن قذفه، فلا بد من قذفه، فإذا ابتلعه فإنه يفطر عند كثير من الفقهاء، وأما الجلد الذي يجف على الشفتين فلا يجوز ابتلاعه بحال، لأنه في الأصل من خارج الفم وخارج الجوف، ويفطر بابتلاعه، فينبغي مراعاة ذلك.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الإفطار متعمداً في رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما كفارة الإفطار عمداً في رمضان؟

و شكرا.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

من أفطر من المسلمين في نهار رمضان متعمدا من غير عذر بعدما نوى الصوم وبدأه فعليه القضاء والكفارة، والكفارة هي صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا أو كسوتهم، ولا يغني فيها الإطعام مع القدرة على الصوم.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

إدخال الإصبع من منفذ مفتوح وأثره على الصوم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

جزاك الله خيراً يا شيخنا.

عذراً على السؤال، أنا كنت أتوضأ وأغتسل وأدخل قليلاً من أصبعي للتنظيف بالماء، وأنا معتادٌ على هذا حتى في رمضان، لكنني لم أعرف أنه يبطل الصوم، فماذا علي أن أفعل؟ جزاك الله ألف خيرٍ.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فعليك قضاء الأيام التي قمت فيها بهذا العمل، لأنه من مفسدات الصوم، حيث إنه يبطل بدخول أي شيءٍ إلى الجوف من منفذٍ مفتوحٍ ومنها الدبر.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

إفطار المرضع خوفاً على رضيعها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

هل يجوز للمرأة المرضعة أن تفطر رمضان خوفاً من أن يتضرر رضيعها أو ينقص غذاؤه؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يجوز لها الإفطار، بشرط إخبار الطبيب بذلك، أو التجربة، وعليها القضاء بعد ذلك.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

المعاشرة في نهار رمضان بلا جماع

عاشرني زوجي بلا إيلاج في نهار رمضان، وقد كان صائما، أما أنا فلا، فماحكم ذلك؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

المحرم في نهار رمضان الجماع بالإيلاج، وإن لم يصحبه إنزال، وبما أنه لم يحدث جماع فلا شيء عليكما، ولكن لا يجوز العود إلى ذلك لأن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

قضاء الصيام على الفور أم على التراخي

السلام عليكم.

كنت قد سألتكم فيما مضى أن أمي في أيام شبابها قد أفطرت رمضان عمداً، فكيف لها أن تقضي؟

وكان جوابكم هو أن عليها أن تقضي كأن تصوم الاثنين والخميس، عسى أن يغفر لها الله تعالى.

غير أني لم أفهم جيداً، فهل يعني هذا أن أمي إذا أفطرت مثلاً سنتين من رمضان عمداً، عليها أن تصوم في كل أسبوع الاثنين والخميس، حتى تنهي الستين يوماً التي هي في ذمتها؟ أم عليها أن تصوم الستين يوماً مباشرة بدون توقف؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالأفضل كلما أسرعت في ذلك وانتهت منه في أقرب وقت، لكن لو لم تستطع ذلك أو شق عليها، فلا بأس بتقطيع الصيام على حسب طاقتها، فالقضاء على التراخي ولي على الفور، مع أن الفورية في القضاء مستحبة، سواء في من عليه القضاء لصلاة أو صيام.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

استعمال فرشاة الأسنان والمعجون للصائم

تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون، هل يفطر الصائم أم لا؟

وجزاكم الله خيرا.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فغسل الأسنان بالفرشاة والمعجون للصائم لا يبطل صومه إذا لم يتسرب من ذلك شيء إلى الجوف، ولذلك يستحسن عدم المبالغة في ذلك، لأنه إذا تسرب منه شيء إلى الجوف فقد أفطر الصائم وعليه القضاء.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

العجز عن قضاء الصوم وعن الفدية

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

فضيلة الشيخ: إن خالتي البالغة من العمر ٦٧ عاماً، أفطرت عدة أيام من شهر رمضان بسبب مرضها، وهي لا تستطيع صيام هذه الأيام لأنها مريضة إلى يومنا هذا.

كيف عليها قضاء تلك الأيام؟ وهل يجب أن تقضيها قبل مرور عام، وماذا عليها إن مر أكثر من عام؟

ماذا تفعل إن كان القضاء بالتصدق بالمال، وهي ليس معها مال؟

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فعليها قضاء ما أفطرت فيه في رمضان في اي يوم كان ولو بعد أعوام، فإذا عجزت في النهاية عن الصوم نهائيا فعليها فدية تعادل صدقة الفطر عن كل يوم لم تقضه، تصرفها للفقراء والمساكين، فإن افتقرت ولم تجد ما تتصدق به حتى ماتت، فلا شيء عليها.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

استعمال بخاخ الأنف أثناء الصوم

أنا أعاني من مشكلة في الغدد، وآخذ علاجاً هو عبارة عن بخاخ عن طريق الأنف، هذا العلاج هل يفطر إذا كنت صائما؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالبخاخ مفطر للصائم، فإذا احتاج إليه المريض حاجة كبيرة في نهار رمضان ولم يغن غيره عنه، فله الفطر ثم القضاء بعد العيد، وعند العجز الدائم عن الصوم تجب الفدية بعد العيد.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

وضع المكياج في نهار رمضان

ماحكم وضع المكياج في نهار رمضان؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلا مانع من ذلك إذا كان لا يدخل به شيء إلى الجوف من أحد المنافذ الطبيعية في الإنسان، ولا يطلع عليه الرجال الأجانب وإلا لم يجز.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

لبس العدسات الطبية أثناء الصوم

لبس العدسات الطبية أثناء الصوم، هل يبطله نظرا لما بها من محلول مالح؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلبس العدسات أثناء الصوم لا يبطله، لأن القطرة في العين لا تفطر.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الفطر بسبب مشقة العمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

السلام عليكم ورحمة الله.

أنا أعمل في شركة بناء، وهذا العمل يتطلب مشقة وجهد جسماني كبير، ولا أملك مصدر رزق غيره، وقمت بمحاولة الصيام في أول رمضان فلم أستطع أن أكمل صومي، حيث أفطرت في الساعة ١٢ ظهرا.

فماذا علي أن أفعل في هذه الحالة؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فعليك أن تفتش عن عمل آخر سهل في رمضان، فإذا لم تجد، ولا مال عندك تنفق منه في رمضان إلا الأجر الذي تتقاضاه عن عملك الشاق هذا، فعليك أن تبدأ الصوم صباحا، ثم إذا جهدت كثيرا بسبب العمل أو غيره فلك الفطر للجهد والتعب وليس للعمل، ولا يجوز أن تفطر من الصباح، ثم عليك قضاء ما أفطرت فيه من الأيام بعد العيد في أوقات راحتك.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

استعمال حبوب منع الدورة من أجل الصيام في رمضان

السلام عليكم ورحمة الله

رمضان كريم، أدخله الله على سائر المؤمنين بالمغفرة والعافية.

سؤالي كالتالي: أنا سيدة متزوجة، ولمنع الحمل استعملت اللولب، وكما تعلمون فهذا الأخير يسبب في نزول دم حيض مدة تقريبا ٩ أيام، وأخاف أن أفطر في العشر الأواخر من هذا الشهر الكريم، مع العلم أنني أفطر لأوله، هل يمكنني شرب حبوب منع الحمل من أجل صيام ما تبقى من الشهر، وخاصة الأواخر منه؟

ولكم جزيل الشكر.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلك ذلك إن لم يكن فيها ضرر صحي عليك، على أنك لا تكلفين ذلك شرعاً.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

صوم تارك الصلاة هل ياخذ اجره

هل يجوز الصوم بدون صلاة، وهل آخذ آجر صومي هذا بدون صلاة؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

الصوم عبادة مستقلة عن الصلاة، فإذا تركت الصلاة تكاسلا لا إنكارا لفرضيتها ثم صمت فأنت عاص لله تعالى بترك الصلاة وصومك صحيح إن شاء الله تعالى، أما إذا أنكرت فرضية الصلاة فذلك ردة تبطل الصوم.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

أداء التمارين أثناء الصوم

هنالك برنامج لتكبير العضو الذكري، يعتمد على تمارين مط وشد وحلب العضو الذكري لعدة شهور بشكل يومي، هل أستطيع أداء هذه التمارين وأنا صائم؟

التمرين الواحد قد يستغرق نصف ساعة تقريبا.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

في كل الأحوال لا يجوز لك ذلك لأنه نوع من العادةالسرية الممنوعة شرعا.

ثم إن كنت تظن أنك بسبب هذه التمارين ستنزل المني فليس لك القيام بها أثناء الصوم، لأن نزول المني مفطر للصائم.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

اللواط في نهار رمضان

السؤال: من المعلوم أن الجماع أو الزنا في نهار رمضان مفطر للصيام، وموجب للكفارة، فهل اللواط عافانا الله من هذه الفواحش موجبة للقضاء والكفارة معا؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فاللواط محرم بإجماع المسلمين، لأضراره الصحية والخلقية والاجتماعية، ومنافاته للفطرة البشرية، وقد عاقب الله تعالى قوم لوط لانتشار اللواط بينهم باستئصالهم جميعا، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ) (هود:٨٢) .

فهو من الكبائر التي نهي الله تعالى عنها وزجر بوعيد شديد، بل هو من أشد المحرمات، ويبطل به الصوم إن حصل معه إنزال، وتجب به الكفارة.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

صوم الحائض قبل الاغتسال

هل يجوز أن أنوي الصيام الليلة، وأنا لم أغتسل من الدورة الشهرية لأني قد وضعت تحميلة تخرج إذاً بعد أن تنظف الرحم، هل بخروجها أعتبر أني غير طاهره أم يجوز أن أستحم إذاً وأصوم؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن انقطع الحيض قبل الفجر فعليك الصوم، ثم الاغتسال بعد ذلك ولو بعد طلوع الفجر.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

القسطرة أثناء الصوم

يا شيخ: أنا لي والدة مريضة، وهي تستعمل القسطرة للتبول، وأنا التي أضعها لها، وفي رمضان أقوم بوضعها لها، وهي وأنا صائمتيين، فهل ذلك يؤثر على صومنا أم لا؛ حيث إنني أكشف عليها؟

وشكراً جزيلاً، والسلام عليكم ورحمة الله.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإذا لم يرافق وضع القسطرة دهون أو مواد لتسهيل الدخول فلا تعد مفطرة، وإذا رافقها دهون وكانت ضرورية فتعد مفطرة ويجوز لها الفطر في رمضان إذا لم يمكن لها الاستغناء عنها بغيرها، ويجب عليها القضاء بعد رمضان إذا كانت مؤهلة للشفاء، وإلا فعليها الفدية عن كل يوم أفطرت فيه بمقدار صدقة الفطر توزعها على الفقراء والمساكين.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الإفطار أيام الامتحان

هل يجوز الإفطار في رمضان في أيام الامتحانات فقط وصيام باقي الأيام؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا يجوز الفطر بسبب الدراسة.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الإفطار أيام الاستحاضة

السلام عليكم

امرأة وضعت مولودًا واستمر دم النفاس ٤٠ يومًا، حيث صادف انقطاعه اليوم الثالث من رمضان، فاغتسلت ثم صامت من اليوم الرابع وحتى اليوم السادس من رمضان، ثم عاد الدم في اليوم السابع من رمضان واستمر حتى السابع عشر من رمضان، حيث أفطرت في هذه ال ١٠ أيام، ما هو حكم الأيام التي أفطرتها في رمضان؟ هل يترتب قضاء فقط؟ أم يضاف إليها كفارة؟ وكم مقدار الكفارة إن وجدت؟ وهل تصح أن تدفع نقدا للمسكين؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عليها قضاء تلك الأيام التي أفطرت فيها مع الاستغفار، وذلك دم استحاضة وكان عليها أن تصوم فيها، ولا يقبل منها إلا الصوم مادامت قادرة على الصوم.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الموت قبل قضاء الصوم

السلام عليكم

فتاة توفيت إثر مرض عضال أصابها منذ سنتين تقريبا، وكان عليها دين صيام لأسبوعين السنة الماضية والتي قبلها، حاولت القضاء لكن أصابها صداع شديد نقلت على أثره إلى المستشفى فتوقفت عن الصيام، هل يجزئ أن يقضي عنها إخوتها وأبويها؟ وما قيمة الكفارة؟

مع الدعاء لها بالمغفرة ولأهلها بالصبر.

شكرا والسلام عليكم.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بما أنها توفيت فقد سقط عنه التكليف، ولو دفعتم كفارة عما تركته من صوم كان عليها سابقا من مالكم الخاص تبرعا أجرتم، عن كل يوم أفطرت فيه مقدار صدقة الفطر، مع أنه لا يجب عليكم ذلك.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

وصول الحموضة إلى بلعوم الصائم

أثناء الصيام في رمضان إذا وصلت الحموضة إلى بلعوم الصائم ولم تخرج من فمه، ما حكم ذلك؟ هل عليه قضاء؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا تؤثر على الصوم.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

طول الصيام

السلام عليكم

أنا أعيش بالنرويج ولديَّ ٣ أولاد، أعمارهم ١٥ و١٣ و١٠، والثلاثة يتوجب عليهم صيام رمضان، لكن الصيام بالنرويج شاق بسبب طول مدة الصيام، ٢١ ساعة صيام تقريبًا، و٣ ساعات إفطار فقط، فهم لا يستطيعون صيام كل هذا الوقت، فهل يجوز الصوم والإفطار على توقيت السعودية؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا يجب الصوم على الطفل حتى يبلغ، فالبلوغ للذكر يكون بالاحتلام الذي يخرج به المني في الليل أثناء النوم عند رؤية منام مثير للشهوة، بعد تمام الثانية عشرة من عمره، وهو ماء أبيض ثخين يخرج عن شهوة دفقا، ورائحته عندما ينزل كرائحة العجين، وتنطفئ الشهوة بخروجه، ويجب به الغسل، فإذا بلغ الولد الخامس عشرة من عمره ولم ير المني عد بالغاً بالسن حكماً.

وما دام الفجر والمغرب يظهران عندكم فلا خيار لكم إلا أن تصوموا من طلوع الفجر إلى غياب الشمس مهما طال الوقت ولو ثلاثا وعشرين ساعة أو أكثر، ومن تعذر عليه الصوم في هذا الوقت لمرض أو كبر سن أو... فله أن يفطر للعذر، ثم يقضي بعد ذلك حين قدرته، والأجر على قدر المشقة إن شاء الله تعالى.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الإفطار مع بلد غير بلدي

سافرت إلى تركيا في آخر رمضان وكنت صائمًا، ورجعت إلى تونس يوم العيد في تركيا فأفطرت مع الناس وكان آخر يوم في رمضان في تونس فكنت مفطرًا، فهل عليَّ قضاء؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فعليك قضاء يوم فكان عليك أن تفطر مع تونس التي وصلت إليها.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

حكم قول: أنا مفطر؟

هل في قول أنا مفطر أي لست صائمًا شيء؟ وهل هذا محظور أو محرم؟

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن كان القائل ممن يجب عليه الصوم فعليه الصوم، وليس له الفطر، وإن أفطر أو نوى الفطر في رمضان من غير عذر أثم، وعليه ستر نفسه، وعدم المجاهرة بمعصيته.

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

الجماع لمن أفطر بغير الجماع

حكم من جامع زوجته في نهار رمضان وهو لم يكن صائمًا لغير عذر؟ كان يفطر رمضان في السابق وكان يجامع زوجته في نهار رمضان، هل عليه كفارة أم لا؟ لأنه مفطر في الأصل قبل الجماع.

إجابة المفتي أ. د. أحمد الحجي الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فعليه قضاء ما أفطر بعدد الأيام التي أفطر فيها مع التوبة والاستغفار، فمن لم ينو الصوم أصلاً، أو نوى الصوم وأفطر بعد ذلك بالطعام أو الشراب فعليه قضاء تلك الأيام التي أفطر فيها وعليه

الاستغفار والتوبة والإكثار من الصدقة، عسى الله سبحانه وتعالى أن يقبل توبته ولا كفارة عليه سوى التوبة، ونسأل الله لنا وله العافية.

وإن كان أفطر بالجماع بعدما نوى الصوم، فعليه القضاء وكفارة واحدة (وهي صيام ستين يوما متتابعة، فإذا عجز عن ذلك لشيخوخة أو مرض كفاه أن يطعم ستين مسكينا أو يكسوهم) وذلك عن جميع الأيام التي أفطرها عند كثير من الفقهاء في رمضان واحد، فإذا كانت في رمضانات متعددة فلكل رمضان أفطر فيه كفارة.

ولابد من الإكثار من التوبة والاستغفار، وفعل الصالحات روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه)) أي من عظم الذنب، ولكن التوبة النصوح تمحو الذنوب كلها إن شاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٧٠].

واسأل الله لكم التوفيق.

والله تعالى أعلم.

لماذا كتب الصيام على المسلمين؟

الشيخ عبدالله بن بيه

الجواب

الله سبحانه وتعالى يقول(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).

والتقوى هو امتثال واجتناب. امتثال ما أمر الله به واجتناب لنواهيه فهو يشمل الامتثال والاجتناب في الظاهر والباطن .

فالصيام هو من هذه المحفزات للتقوى .و من مظاهر التقوى. من مظاهر الاستسلام لأمر الله سبحانه تعالى والصبر على أمره وعلى أداء ما أمر الله به عباده .

بالإضافة إلى فوائد كثيرة منها دنيويه بدنية. وفوائد أخروية. منها التشبه بالملائكة. ومنها الانقطاع عن الشهوات الحسية المادية حتى يكون الإنسان قريبا من العالم الملكوتي. ويكون بذلك مترقيا إلى درجة الإحسان. لان الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه .وعبادة الله سبحانه وتعالى بهذا الشكل الصوم هو مرقاة إليها. انقطاعك عن المحسوسات عن المطعومات والمشروبات وعن الملذات والشهوات من شأنه أن يجعلك روحانيا مرتفعا إلى عبادة الله كأنك تراه.وبالجملة فان الصوم هوإحدى الدعايم الإسلامية وهذه الفرائض التي فرضها الله سبحانه وتعالى فهو من إسلام الوجه إلى الله .((ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن)) باتباع ما انزل على محمد صلى الله وعليه وسلم فالفوائد كثيرة والمنافع المجتنات من الصيام دنيوية واخروية

القسم السابع

أشعار عن رمضان

إلَى السماء تجلّت نَظْرَتِي وَرَنَـتْ

إلَى السَّماءِ تجلّت نَظْرَتِي وَرَنَتْ وهلَّلَتْ دَمْعَتِي شَوَقاً وَإيْمَانَا

يُسَبِّحُ اللهَ قَلْبِي خَاشِعاً جذلاً وَيَمْلأُ الكَونَ تَكْبِيراً وسُبْحَانَا

جُزِيتَ بالخَيْرِ منْ بَشَّرت مُحتَسِبًا بالشَّهرِ إذْ هلَّتِ الأفراحُ ألْوانَا

عَامٌ تَوَلَّى فعَادَ الشَّهْرُ يَطْلُبُنَا كَأنَّنَا لَمْ نَكُنْ يوماً ولاَ كَانَا

حَفَّتْ بِنَا نَفْحَةُ الإيمَانِ فارتفعَتْ حرَارَةُ الشَّوْقِ فِي الوِجْدَانِ رِضْوَانَا

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ هَذَا شَهْرُ مَكْرُمَةٍ أقْبِلْ بِصِدْقٍ جَزَاكَ اللهُ إحْسَانَا

أقْبِلْ بجُودٍ وَلاَ تَبْخَلْ بِنَافِلةٍ واجْعَلْ جَبِينَكَ بِالسَّجْدَاتِ عِنْوَانَا

أعْطِ الفَرَائضَ قدْراً لا تضُرَّ بِهَا واصْدَعْ بِخَيْرٍ ورتِّلْ فِيهِ قُرْآنَا

واحْفَظْ لِسَاناً إذَا مَا قُلتَ عَنْ لَغطٍ لاَ تجْرَحِ الصَّوْمَ بالألْفَاظِ نِسْيَانَا

وصَدِّقِ المَالَ وابذُلْ بَعْضَ أعْطِيَةٍ لنْ يَنْقُصَ المَالَ لَوْ أنْفقتَ إحْسَانَا

تُمَيْرَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُنْفِقُهَا أرْوَتْ فُؤادًا مِنَ الرَّمْضَاءِ ظَمآنَا

وَلَيلَةُ القَدْرِ مَا أدْرَاكَ مَا نِعَمٍ فِي لَيْلَةٍ قَدْرُها ألْفٌ بِدُنْيَانَا

أُوْصِيكَ خَيْراً بأيَّامٍ نُسَافِرُهَا فِي رِحْلةِ الصّومِ يَحْيَا القَلبُ نَشْوانَا

فَأَوَّلُ الشَّهْرِ قَدْ أفْضَى بِمَغْفِرَةٍ بِئسَ الخَلاَئقِ إنْ لَمْ تَلْقَ غُفْرَانَا

وَنِصْفهُ رَحْمَةٌ لِلْخَلْقِ يَنْشُرُهَا رَبٌّ رَحِيْمٌ عَلَى مَنْ صَامَ حُسْبَانَا

وَآخِرُ الشَّهْرِ عِتْقٌ مِنْ لَهَائِبِهَا سَوْدَاءُ مَا وَقَّرَتْ إنْسًا وَشَيْطَانَا

نَعُوذُ باللهِ مِنْ أعْتَابِ مَدْخَلِهَا سُكْنَى لِمَنْ حَاقَ بالإسْلاَمِ عُدْوَانَا

وَنَسْأَلُ اللهَ فِي أَسْبَابِ جَنَّتِهِ عَفْواً كَرِيمًا وَأَنْ يَرْضَى بِلُقْيَانَا

رَمَضانُ أَقْبلَ يا أُولي الألبابِ فاستَقْبِلوهُ بَعْدَ طولِ غيابِ

عامٌ مَضَى مِن عُمْرِنا في غفْلةٍ فَتَنَبَّهوا فالعُمْرُ ظلُّ سَحابِ

وَتَهيّؤوا لِتَصَبُّرٍ ومشقَّةٍ فَأجورُ من صَبَروا بِغيرِ حِسابِ ا

للهُ يَجزي الصّائِمينَ لِأنّهم مِنْ أَجلِهِ سَخِروا بِكلِّ صِعابِ

لا يَدخلُ الريَّانَ إلّا صائمٌ أَكْرِمْ ببابِ الصْومِ في الأبوابِ

وَوَقاهم المَولى بحرِّ نَهارِهم ريحَ السَّمومِ وشرَّ كلِّ عذابِ

وَسُقوا رَحيقَ السَّلْسبيلِ مزاجُهُ مِنْ زنجبيلٍ فاقَ كلَّ شَرابِ

هَذا جزاءُ الصّائمينَ لربِّهم سعِدوا بِخَيرِ كَرامةٍ وجَنابِ

الصّومُ جُنَّةُ صائمٍ مِن مَأْثَمٍ يَنْهى عن الفَحشاء والأوشابِ

الصّومُ تَصفيدُ الغرائزِ جملةً وتُحررٌ من رِبْقةٍ برقابِ

ما صّامَ مَنْ لم يَرْعَ حقَّ مجاورٍ وأُخُوَّةٍ وقَرابةٍ وَصِحابِ

مَا صَامَ مَنْ أكَلَ اللحومَ بِغيبَةٍ أو قَالَ شراً أو سَعَى لِخرابِ

ما صَامَ مَنْ أدّى شَهادةَ كاذِبٍ وَأَخَلَّ بالأَخْلاقِ والآدابِ

الصَومُ مدرسةُ التعفُّفِ والتُّقى وَتَقارُبِ البُعَداءِ والأغرابِ

الصّومَ رابِطَةُ الإخاءِ قويّةً وَحِبالُ وُدِّ الأهْلِ والأَصْحابِ

الصّومُ دَرسٌ في التّساوي حافِلٌ بالجودِ والإيثارِ والتَّرحْابِ

شهرُ العَزيمةِ والتَصبُّرِ والإبا وصفاءِ روحٍ واحتمالِ صعابِ

كَمْ مِنْ صيامٍ ما جَنَى أصَحابُه غيرَ الظَّما وَالجوعِ والأتْعابِ

ما كلُّ مَنْ تَرَكَ الطّعامَ بصائمٍ وَكذاك تاركُ شَهْوةٍ وشرابِ

الصّومُ أسمى غايةٍ لم يَرْتَقِ لعُلاهُ مثلُ الرسْلِ وَالأصْحابِ

صَامَ النبيُّ وَصَحْبُهُ فتبرّؤوا عَنْ أن يَشيبوا صَوْمَهم بألعابِ

قومٌ همُ الأملاكُ أو أشباهُها تَمشي وتأْكلُ دُثِّرَتْ بثيابِ

صَقَلَ الصّيامُ نفوسَهم وقلوبَهم فَغَدَوا حَديثَ الدَّهرِ والأحْقابِ

صَامُوا عن الدّنيا وإغْراءاتِها صَاموا عَن الشَّهَواتِ والآرابِ

سارَ الغزاةُ إلى الأعادي صُوَّماً فَتَحوا بشهْرِ الصَوْمِ كُلَّ رِحَابِ

مَلكوا ولكن ما سَهَوا عن صومِهم وقيامِهم لتلاوةٍ وَكِتابِ

هُم في الضُّحى آسادُ هيجاءٍ لَهُم قَصْفُ الرّعودِ وبارقاتُ حرابِ

لكنَّهم عند الدُّجى رهبانُه يَبكونَ يَنْتَحِبونَ في المِحْرابِ

أكرِمْ بهمْ في الصّائمينَ وَمَرحباً بِقدومِ شهرِ الصِّيدِ والأنجابِ

رمضان أقبل يا أولي الألباب

رمضان أقبل يا أولي الألباب ...فاستقبلوه بعد طول غياب

عام مضى من عمرنا في غفلة ...فتنبهوا فالعمر ظل سحاب

وتهيؤوا لتصبر ومشقة ...فأجور من صبروا بغير حساب

الله يجزي الصائمين لأنهم ...من أجله سخروا بكل صعاب

لا يدخل الريان إلا صائم ...أكرم بباب الصوم في الأبواب

ووقاهم المولى بحر نهارهم ***ريح السموم وشر كل عذاب

وسقوا رحيق السلسبيل مزاجه ...من زنجبيل فاق كل شراب

هذا جزاء الصائمين لربهم ...سعدوا بخير كرامة وجناب

الصوم جنة صائم من مأثم ...ينهى عن الفحشاء والأوشاب

الصوم تصفيد الغرائز جملة ...وتحرر من ربقة برقاب

ما صام من لم يرع حق مجاور ...وأخوة وقرابة وصحاب

ما صام من أكل اللحوم بغيبة ...أو قال شرا أو سعى لخراب

ما صام من أدى شهادة كاذب ...وأخل بالأخلاق والآداب

الصوم مدرسة التعفف والتقى ...وتقارب البعداء والأغراب

الصوم رابطة الإخاء قوية ...وحبال ود الأهل والأصحاب

الصوم درس في التساوي حافل ...بالجود والإيثار والترحاب

شهر العزيمة والتصبر والإبا ...وصفاء روح واحتمال صعاب

كم من صيام ما جنى أصحابه ...غير الظما والجوع والأتعاب

ما كل من ترك الطعام بصائم ...وكذاك تارك شهوة وشراب

الصوم أسمى غاية لم يرتق ...لعلاه مثل الرسل والأصحاب

صام النبي وصحبه فتبرؤوا ...عن أن يشيبوا صومهم بالعاب

قوم هم الأملاك أو أشباهها ...تمشي وتأكل دثرت بثياب

صقل الصيام نفوسهم وقلوبهم ...فغدوا حديث الدهر والأحقاب

صاموا عن الدنيا وإغراءاتها...صاموا عن الشهوات والآراب

سار الغزاة إلى الأعادي صوما ...فتحوا بشهر الصوم كل رحاب

ملكوا ولكن ما سهوا عن صومهم ...وقيامهم لتلاوة وكتاب

هم في الضحى آساد هيجاء لهم ...قصف الرعود و بارقات

حراب لكنهم عند الدجى رهبانه ...يبكون ينتحبون في المحراب

أكرم بهم في الصائمين ومرحبا ...بقدوم شهر الصيد والأنجاب

قالَ أحدُ الشُّعرَاءِ مُخبِرًا بِمَجِيءِ شَهرِ رَمضَانَ :

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَةُ العِبَادِ......لِتَطْهِيرِ القُلُوبِ مِنَ الفَسَادِ

فَأَدِّ حُقُوقَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا......وَ زَادَكَ فَاتَّخِذْهُ لِلْمَعَادِ

فَمَنْ زَرَعَ الحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا......تَأَوَّهَ نَادِمًا يَوْمَ الحَصَادِ

يا نفْسُ فازَ الصالحون بالتُّقَى وأبصَروا الحقَّ وقلبي قد عَمِي

يا حُسْنَهم والليلُ قد أجَنَّهُمْ ونورُهم يفُوقُ نورَ الأنْجُمِ

تَرَنَّموا بالذِّكْرِ في لَيْلِهُمُ فَعَيْشُهم قَدْ طابَ بالتَّرنُّمِ

قلوبُهُمْ للذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغتْ دمُوعُهم كلُؤْلُؤٍ منْتَظِمِ

أسْحارُهُمْ بنورِهِم قَدْ أشْرَقَتْ وخِلعُ الغفرانِ خَيْرُ القِسَمِ

قَدْ حَفِظوا صيامَهُم من لَغْوِهِم وخَشَعُوا في الليلِ في ذِكْرِهِمِ

ويْحَكِ يا نفسُ ألاَ تَيَقَّظِي للنَّفْعِ قبلَ أنْ تَزِلَّ قَدمِي

مضى الزَّمانُ في تَوَانٍ وَهَوى فاسْتَدْرِكِي ما قَدْ بَقِي واغْتَنِمِي

وهذه أبياتٌ أُخْرَى –وَرَدَتْ في الكتابِ نَفْسِهِ–:

يَا ذَا الَّذِي مَا كفاهُ الذَّنْبُ في رَجبٍ حَتَّى عَصَى ربَّهُ في شهرِ شعبانِ

لَقَدْ أظَلَّكَ شهرُ الصَّومِ بَعْدَهُمَا فَلاَ تُصَيِّرْهُ أَيْضًا شَهْرَ عِصْيانِ

وَاتْلِ القُرانَ وَسَبِّحْ فيهِ مجتهِدًا فَإنه شَهْرُ تسبِيحٍ وقُرْآنِ

كَمْ كنتَ تعرِف ممَّنْ صَام في سَلَفٍ مِنْ بين أهلٍ وجِيرانٍ وإخْوَانِ

أفْنَاهُمُ الموتُ واسْتَبْقَاكَ بَعْدهمُ حَيًّا فَمَا أقْرَبَ القاصِي من الداني

أورد ابن الجوزي -- شيئًا من ذلك في "بستان الواعظين"، وأنقل ما تيسر لي الآن:

الصَّومُ جُنَّةُ أقوامٍ من النَّار ... والصَّوم حصنٌ لمَن يخشى من النَّار

والصَّوم سِتر لأهل الخير كلِّهمُ ... الخائفين مِن الأوزار والعارِ

والشَّهرُ شهرُ إلهِ العرش مَنَّ به ... ربٌّ رحيمٌ لِثقل الوِزر ستَّارِ

فصام فيه رجالٌ يربحون به ... ثوابَهم مِن عظيم الشَّأن غفَّارِ

فأصبحوا في جِنان الخُلد قد نزلوا ... مِن بين حورٍ وأشجارٍ وأنهارِ

تولَّى العمرُ في سهوٍ وفي لهوٍ وفي خُسْرِ

فيا ضيعةَ ما أنفقـتُ في الأيَّام من عُمْري

وما لي في الَّذي ضيعْـتُ من عمريَ من عُذْرِ

فما أغفلَنَا عن وا جباتِ الحمد والشُّكرِ

أمَا قد خصَّنا اللهُ بشهرٍ أيّما شهرِ

بشهرٍ أنزل الرحما نُ فيه أشرفَ الذِّكْرِ

وهل يُشبِهُهُ شهرٌ وفيه ليلةُ القدرِ

فكم من خبرٍ صحَّ بما فيها من الأجرِ

روينا عن ثقاتٍ أنْ ـنَها تُطلْبُ في الوترِ

فطوبى لامرئٍ يطلُـبُها في هذه العشرِ

ففيها تنزل الأملا كُ بالأنوارِ والبرِّ

وقد قالَ: سلامٌ هِـيَ حتَّى مطلع الفجرِ

ألا [فادَّخِرَنْها] إنْ ـنَها من أنفسِ الذخرِ

فكم من معتَقٍ فيها من النَّار ولا يدري

إِذَا لَم يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ.....وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ

فَحَظِّي إِذَنْ مِنْ صَومِيَ الجُوعُ وَ الظَّما.....فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَومِي فَمَا صُمْتُ

وقالَ آخرُ علَى لِسَانِ إبلِيسَ في رَمضَانَ :

إبْلِيسُ فِي هَلَعٍ مِنَ الإِيمَانِ... يَشْكُو عِبَادَ اللهِ لِلْأعْوَانِ

قَالَ: انْصَحُونِي يَا أَحِبَّةُ إِنَّنِي................

................فِعْلًا عَجَزْتُ وَخَانَنِي سُلْطَانِي

رَمَضَانُ شَهْرُ شَقَائِنَا وَعَذَابِنَا................

................وَمَذَلَّةٍ مَمْزُوجَةٍ بِهَوَانِ

يَا أَيُّهَا الأَحْفَادُ جِيدِي طُوِّقَتْ................

................بِسَلَاسِلٍ تَمتَدُّ لِلأَذْقَانِ

فِي كُلِّ شِبْرٍ مَوكِبٌ وَمَلائِكٌ................

................نَسَفَتْ جَمِيعَ عَرَائِشِي وَكِيَانِي

وَإِذَا المَصَابِيحُ الَّتِي قَدْ عُلِّقَتْ................

................شُهُبٌ وَأَلْسِنَةٌ مِنَ النِّيرَانِ

إِنِّي سُجِنْتُ وَ مِنْ عَجَائِبِ مَا أَرَى................

................أَنِّي السَّجِينُ وَأَنَّنِي سَجَّانِي

إِنَّ العِبَادَ بِكُلِّ وَادٍ أَخْلَصُوا................

................صَامُوا النَّهَارَ بِأَصْدَقِ الوِجْدَانِ

عَمَرُوا المَسَاجِدَ زَيَّنُوا أَعْنَاقَهَا................

................وَأَكَادُ أُصْعَقُ عِنْدَ كُلِّ أَذَانِ

اللَّيْلَ قَامُوا وَالنَّهَار تَرَفَّعُوا................

................عَنْ كُلِّ لَغْوٍ حَطَّمُوا بُنْيَانِي

وَتَوَاصَلُوا وَتَرَاحَمُوا وَتَعَاطَفُوا................

................وَتَجَمَّلُوا بِالذِّكْرِ وَالقُرْآنِ

قَدْ أَحْجَمُوا عَمَّا تَضُمُّ مَوَائِدِي................

................وَ تَعَلَّقُوا بِمَوائِدِ الغُفْرَانِ

صَانُوا اللِّسَانَ وَطَهَّرُوا أَسْمَاعَهُمْ................

................مَا عَادَ يُغْوِيهِمْ بَدِيعُ بَيَانِي

يَا مَعْشَرَ الشَّيطَانِ قُولُوا رَأْيَكُمْ................

................أَرَضِيتُمُوا بِالذُّلِّ وَ الإِذْعَانِ ؟

هَلْ نَسْتَكِينُ فَلَا نُوَسْوِسُ أَوْ نَشِي................

................هَلْ خِفْتُمُ مِنْ صَائِمٍ جَوعَانِ ؟

تَرَحَّلَ الشَّهْرُ وَا لَهْفاهُ وانصَرَما .... واخْتَصَّ بالفَوْزِ في الجَنَّاتِ مَنْ خَدَما

وَأَصْبحَ الغافِلُ المسكينُ مُنكَسِرًا .... مِثْلي فيا وَيْحَهُ يا عظمَ ما حُرِمَا

مَن فاتَهُ الزَّرْعُ في وقْتِ البذارِ فما .... تَراهُ يَحْصدُ إلَّا الهمَّ والنَّدَما

[لطائف المعارف: ٢٩٧]

سلامٌ من الرَّحمنِ كُلَّ أوانِ .... علَى خيرِ شَهْرٍ قد مضَى وزمانِ

سلامٌ من الرَّحمنِ كُلَّ أوانِ .... علَى خيرِ شَهْرٍ قد مضَى وزمانِ

سلامٌ على شهر الصِّيامِ فإنَّه .... أمانٌ من الرَّحمن أيّ أمانِ

لَئِن فَنِيَتْ أيَّامُكَ الغُرُّ بغتةً .... فما الحُزْنُ من قلبي عليكَ بفانِ

[لطائف المعارف: ٣٠٣]

قُل لأهل الذُّنوبِ والآثامِ قابلوا بالمتابِ شهرَ الصِّيامِ

قُل لأهل الذُّنوبِ والآثامِ قابلوا بالمتابِ شهرَ الصِّيامِ

إنَّه في الشهور شهرٌ جليلٌ واجبٌ حقُّه وكيدُ الزّمامِ

وأقلُّوا الكلام فيه نهارًا واقْطعوا ليلَه بطولِ القيامِ

واطلبوا العفوَ من إلهٍ عظيمٍ ليس يخفَى عليه فعلُ الأنامِ

كم له فيه من إزاحةِ ذنبٍ وخطايا من الذنوب عِظامِ

كم له فيه من أيادٍ حسانٍ عند عبدٍ يراه تحت الظَّلامِ

كم له فيه من عتيقٍ شهيدٍ آمنٍ في القيام خزيَ المقامِ

إن دعاهُ مذلَّل بخضوعٍ وخشوع ودمعُه ذو سجامِ

أين من يحذر العذابَ ويخشَى أن يُصلّى الجحيم مأوى اللئامِ

أين من يشتهي التذاذًا بحُورٍ في جنان الخلود بين الخيامِ

التمسْ فيه ليلة القدر واترك إلتماسًا لها لذيذَ المنام

واجتهدْ في عبادة الله واسأل فضلَه عند غفلةِ النُّوَّامِ

يا لها خيبة لِمَن خاب فيه عن بلوغِ المنَى بدار السَّلام

يا لها حسرة لمَن كان فيه ساترًا شرَّه بثوب الظلامِ

يا إلهَ الجميع أنتَ بحالي عالمٌ فاهدني سبيل القوامِ

وأمِتْني على اعتقادٍ جميل واتباعٍ لملَّة الإسلامِ

لاح الهلال لنا ببشرى مغرم بقدوم شهر الصوم أعظم موسم

لاح الهلال لنا ببشرى مغرم بقدوم شهر الصوم أعظم موسم

فتهللت منه أسارير الهدى وغدت تهاني الركبِ مائدة الفم

أصداؤه في كل قطر غردت ومنابع التقوى لتجري في الدم

خنقت شياطينَ الخفاء وصفدت أجنادهم حملتهم في الأدهمِ

وهوت عروشهمُ وخار بناؤهم الله زلزلهم فلا تتكلم

إذ ظن إبليس اللعين بأنه شاد البناءَ فليس بالمتهدِّمِ

فغدت ذنوب المسرفين مطية للستر والغفران حكمُ الأحكمِ

الشهر والقرآن مقترنان ما افترقا فمنه بدا ولم يتصرمِ

رمضان في قلبِ الزمان مساحة للنصر والتاريخ أعظم مُفهِم

رمضان ذكرك في فمي لا ينتهي وإذا ذكرتك كنتَ سرَّ تبسُّمِي

وبكيت من فرحي وصرت متيماً بك والمشاعر فوق كل متيم

الصوم فاز بالاختصاص لربنا إذ قال: (لي) بشرى لكل الصُّوَّمِ

الصوم مدرسة الحياة لناظرٍ بصفاء ذهنٍ طالبٍ للمغنمِ

الصوم شرب للظما وتمسكٌ بالجوع حيث الصبر نكهة مطعمِ

الصوم حبس النفس في سجن العلا أهلاً بشهر الصوم أعظم موسمِ

جاء الصّيامُ فجاء الخيرُ أجمعُه ترتيلُ ذِكرٍ وتحميدٌ وتسبيحُ

فالنَّفس تدأب في قولٍ وفي عملٍ صوم النَّهار وباللَّيل التَّراويحُ

أَقْبَلْتَ تَزْهُوْ وَنُـوْرُ الْوَجْهِ وَضَّـاءُ ** فَمَا ارْتَـأَتْ فِيْ رُبَاكُـمْ قَطُّ ظَلْمَاءُ

أَقْبَلْتَ تَزْهُوْ وَنُوْرُ الْوَجْهِ وَضَّاءُ ** فَمَا ارْتَأَتْ فِيْ رُبَاكُـمْ قَطُّ ظَلْمَاءُ

أَهْلاً بِشَهْرٍ حَلِيْفِ الْجُوْدِ مُذْ بَزَغَتْ ** شَمْسٌ وَصَافَحَ زَهْرَ الرَّوْضَةِ الْمَاءُ

شَهْرٌ تَلأْلأَ بِالْخَيْرَاتِ فَانْهَزَمَتْ ** أَمَامَ سَاحَتِهِ الشَّمَّاءِ ضَرَّاءُ

فِيْهِ اسْتَقَالَتْ فُلُوْلُ الشَّرِّ مِنْ خُدَعٍ ** وَكُبِّلَتْ فَسَرَتْ فِي النَّاسِ سَرَّاءُ

تِلْكَ الْمَسَاجِدُ بِالتَّسْبِيْحِ آهِلَةٌ **كَأَنَّهَا بِالْهُدَى فَجْرٌ وَأَضْوَاءُ
وَالصَّالِحُوْنَ وَمَنْ يَقْفُوْ مَآثِرَهُمْ ** بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِمْ بُشْرَى وَلأْلآءُ
وَالْكُلُّ فِيْ طَرَبٍ يَشْدُو بِمَقْدَمِهِ **كَأَنَّهُ مِنْ جَمَالِ الرُّوْحِ حَسْنَاءُ
يَا أُمَّتِي اسْتَقْبِلُوا شَهْرًا بِرُوْحِ تُقًى ** وَتَوْبَةِ الصِّدْقِ فَالتَّأْخِيْرُ إِغْوَاءُ
تُوْبُوْا إِلَى رَبِّكُمْ فَالذَّنْبُ دَاهِيَةٌ ** ذَلَّتْ بِهِ أُمَمٌ وَاحْتَلَّهَا الدَّاءُ
أَلَمْ نَجِدْ مِنْ عُدَاةِ الدِّيْنِ كُلَّ أَذًى ** وَالْقُدْسُ مُغْتَصَبٌ فَاشْتَدَّ بَلْوَاءُ
والْحَرْبُ تَطْحَنُ أَكْبَادًا وَتَعْجِنُهَا ** وَنَحْنُ لَمْ نَرَهَا فَالْعَيْنُ عَمْيَاءُ
أَلَمْ يُحَلِّقْ بِنَا جَدْبٌ فَزَلْزَلَنَا ** وَكَمْ أَحَاطَ بِنَا ضُرٌّ وَلأْوَاءُ
وَكَمْ أَتَتْ عِبَرٌ وَالْقَوْمُ فِيْ هَزَلٍ ** إِعْصَارُ قُوْنُو كَفَى كَمْ مَاتَ أَبْنَاءُ
أَمَّا تَسُوْنَامُ فِيْهِ كُلُّ فَاجِعَةٍ ** وَكَمْ وَكَمْ عِظَةٍ والأُذْنُ صَمَّاءُ
رَبَّاهُ عَفْوًا وَتَوْفِيْقًا وَمَغْفِرَةً ** وَجُدْ بِنَصْرٍ فَإِنَّ النَّصْرَ عَلْيَاءُ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ** مَا غَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ وَرْقَاءُ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ قَاطِبَةً ** مَا لاحَ بَرْقٌ تَلا رَعْدٌ وَأَصْدَاءُ

أَهْلاً وَسَهْلاً بِشَهْرِ الصَّوْمِ وَالذِّكْرِ ** وَمَرْحَبًا بِوَحِيدِ الدَّهْرِ فِي الأَجْرِ

أَهْلاً وَسَهْلاً بِشَهْرِ الصَّوْمِ وَالذِّكْرِ ** وَمَرْحَبًا بِوَحِيدِ الدَّهْرِ فِي الأَجْرِ
شَهْرُ التَّرَاوِيحِ يَا بُشْرَى بِطَلْعَتِهِ ** فَالْكَوْنُ مِنْ طَرَبٍ قَدْ ضَاعَ بِالنَّشْرِ
كَمْ رَاكِعٍ بِخُشُوْعٍ للإِ لَهِ وَكَمْ ** مِنْ سَاجِدٍ وَدُمُوْعُ العَيْنِ كَالنَّهْرِ
فَاسْتَقْبِلُوا شَهْرَكُمْ يَاقَوْمُ وَاسْتَبِقُوا ** إِلَى السَّعَادَةِ وَالْخَيْرَاتِ لاَ الوِزْرِ

إِحْيُوا لَيَالِيهِ بِالأَذْكَارِ وَاغْتَنِمُوا ** فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ فِيهِ مِنْ دَهْرِ
فِيْهَا تَنَزَّلُ أَمْلاَكُ السَّمَاءِ إِلَى ** فَجْرِ النَّهَارِ وَهَذِيْ فُرْصَةُ الْعُمْرِ

أَهْلاً بِشَهْرِ التُّقَى

أَهْلاً بِشَهْرِ التُّقَى وَالْجُوْدِ وَالْكَرَمِ ** شَهْرِ الصِّيَامِ رَفِيْعِ الْقَدْرِ فِي الأُمَمِ
أَقْبَلْتَ فِيْ حُلَّةٍ حَفَّ الْبَهَاءُ بِهَا ** وَمِنْ ضِيَائِكَ غَابَتْ بَصْمَةُ الظُّلَمِ
أَهْلاً بِصَوْمَعَةِ الْعُبَّادِ – مُذْ بَزَغَتْ ** شَمْسٌ – وَمَجْمَعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْقِيَمِ
أَهْلاً بِمَصْقَلَةِ الأَوَّابِ مِنْ زَلَلٍ ** وَمُنْتَدَى مَنْ نَأَى عَنْ بُؤْرَةِ اللَّمَمِ
هَذِي الْمَآذِنُ دَوَّى صَوْتُهَا طَرَبًا ** تِلْكَ الْجَوَامِعُ فِيْ أَثْوَابِ مُبْتَسِمِ
نُفُوْسُ أَهْلِ التُّقَى فِيْ حُبِّكُمْ غَرِقَتْ ** وَهَزَّهَا الشَّوْقُ شَوْقُ الْمُصْلِحِ الْعَلَمِ
تُحِبُّ فِيْكَ قِيَامًا طَابَ مَشْرَبُهُ ** تُحِبُّ فِيْكَ جَمَالَ الذِّكْرِ فِي الْغَسَمِ
وَلَيْلَةٌ فِيْكَ خَيْرٌ– لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا – ** مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فَجُدْ يَا بَارِئَ النَّسَمِ
رَبَّاهُ جِئْتُ إِلَى عَلْيَاكَ مُعْتَرِفًا ** بِمَاجَنَتْهُ يَدِيْ أَوْ زَلَّةُ الْقَدَمِ
فَجُدْ بِعَفْوٍ إِلَهِيْ أَنْتَ ذُو كَرَمٍ ** فَكَمْ مَنَنْتَ عَلَى الْعَاصِيْنَ بِالنِّعَمِ
وَاخْتِمْ لِعَبْدِكَ بِالْحُسْنَى فَلَيْسَ لَهُ ** سِوَاكَ يُنْقِذُهُ مِنْ مَوْقِفِ النَّدَمِ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى طه وَعِتْرَتِهِ ** وَمَنْ قَفَا الإِثْرَ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

هَلا رَمَضَانُ

هَلا رَمَضَانُ يَا شَهْرَ الدُّعَاءِ ** وَشَهْرَ الصَّوْمِ شَهْرَ الأَوْلِيَاءِ
وَمَرْحًا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ مَرْحًا ** سَأُهْدِيكُمْ نَشِيْدِي بِالثَّنَاءِ
قِيَامُكَ لَمْ يَجِدْ فِي اللَّيْلِ نِدًّا ** وَصَوْمُكَ تَاجُهُ نُورُ الْبَهَاءِ
وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ نَفَحَاتِ خَيْرٍ ** بِمَقْدَمِكَ السَّعِيْدِ أَخَا السَّنَاءِ
وَرَحْمَتُهُ تُحِيطُ بِكُلِّ عَبْدٍ ** يَتُوْبُ وَيَرْتَدِي ثَوْبَ الدُّعَاءِ
وَفِيْكَ الْعِتْقُ مِنْ نَارٍ تَلَظَّى ** إِذَا تَابَتْ قُلُوْبُ الأَشْقِيَاءِ
وَغُفْرَانٌ يُلاَحِقُ ذَا ذُنُوْبٍ ** إِذَا مَا تَابَ مِنْ فِعْلِ الْوَبَاءِ
وَمِيْضُ النُّورِ يَدْخُلُ فِي قُلُوبٍ ** وَتَزْدَهِرُ الْخَوَاطِرُ بِالْهُدَاءِ
فَكَمْ خَشَعَتْ قُلُوبُ ذَوِي صَلاَحٍ ** وَكَمْ دَمَعَتْ عُيُونُ الأَتْقِيَاءِ
نَظَرْتُ مَسَاجِدًا تَزْهُو بِنُورٍ ** فَسُرَّ الْقَلْبُ مِنْ وَهَجِ الصَّفَاءِ
وَفِيْكَ تَنَزَّلُ الأَمْلاَكُ حَتَى ** طُلُوعِ الْفَجْرِ يَا لَكَ مِنْ ضِيَاءِ
هَنِيْئًا يَا بَنِي الإِسْلاَمِ طُرًّا ** فَقَدْ وَصَلَ الْمُبَارَكُ بِالْعَطَاءِ
فَحَيُّو شَهْرَكُمْ بِجَمِيْلِ صَوْمٍ ** فَكَمْ فَرِحَتْ قُلُوبٌ بِاللِّقَاءِ
سَلاَمُ اللهِ يَا رَمَضَانُ يَغْشَى ** جَنَابَكَ يَا مُكَلَّلُ بِالْوَفَاءِ
إِلَهِي إِنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ وَافَى ** وَذَنْبِي فَوْقَ ظَهْرِي كَالْغِطَاءِ
وَفِي عُنُقِي حِبَالُ الْوِزْرِ تَلْوِي ** عُرُوقِي وَالذُّنُوبُ رَحَى الْبَلاَءِ
فَجُدْ بِالْعَفْوِ يَا رَبَّاهُ إِنِّي ** دَعَوْتُكَ مُخْلِصًا فَاقْبَلْ دُعَائِي

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

سلام على شهرنا

سَلامٌ عَلَى شَهْرِنَا الْمُنْتَظَرْ ** حَبِيْبِ الْقُلُوْبِ سَمِيْرِ السَّهَرْ
سَلامٌ عَلَى لَيْلِهِ مُذْ بَدَا ** مُحَيَّاهُ يَزْهُوْ كَضَوْءِ الْقَمَرْ
فَأَهْلا وَسَهْلا بِشَهْرِ الصِّيَامِ ** وَشَهْرِ التَّرَاوِيْحِ شَهْرِ الْعِبَرْ
فَكَمْ مُخْلِصٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ ** دَعَا اللهَ حِيْنَ ارْعَوَى وَادَّكَرْ
وَكَمْ خَاشِعٍ فِي اللَّيَالِي الْمِلاحِ ** بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ يُضَاهِي الْمَطَرْ
فَشَهْرُ الصِّيامِ وَشَهْرُ الْقِيَامِ ** وَشَهْرُ الدُّعَاءِ يَفِي بِالْوَطَرْ
أَرَى شَمْسَهُ أَشْرَقَتْ فِي الْقُلُوْبِ ** وَضَاءَتْ كَمَا ضَاءَ نُوْرُ الْبَصَرْ
أَتَانَا شَذَاهُ بِنَفْحَةِ خَيْرٍ ** وَنَفْحَةِ جُودٍ وَعِطْرِ الزَّهَرْ
فَكَمْ مُذْنِبٍ كَفَّ عَنْ ذَنْبِهِ ** وَصَارَعَ شَيْطَانَهُ فَانْتَصَرْ
وَكَمْ غَافِلٍ هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ ** فَشَدَّ الإِزَارَ وَأَحْيَا السَّحَرْ
وَيَتْلُو الْكِتَابَ بِصَوْتٍ رَخِيْمٍ ** وَيُحْذِقُ فِي آيِهِ وَالسُّوَرْ
فِنَاءُ الْمَسَاجِدِ تَبْدُوا طَرُوْبًا ** بِجَمْعِ الْمُصَلِّيْنَ لا لِلسَّمَرْ
وَفِيْ كُلِّ بَيْتٍ سَمِعْنَا دُعَاءً ** وَفِيْ كُلِّ نَادٍ تُضِيءُ الْفِكَرْ
إِلَهِيْ فَإِنِّي ابْتُلِيْتُ بِذَنْبٍ ** يَهُدُّ الصُّخُوْرَ يُذِيْبُ الْحَجَرْ
وَأَنْتَ رَحِيْمٌ عَفُوٌّ كَرِيْمٌ ** حَلِيْمٌ عَظِيْمٌ هَدَيْتَ الْبَشَرْ
فَعَفْوًا إِلَهِيْ فَعَبْدُكَ يَدْعُوْ ** بِقَلْبٍ خَشُوْعٍ شَدِيْدِ الْخَوَرْ
فَهَبْ لِيْ ذُنُوْبِيْ وَجُدْ لِيْ بِعَفْوٍ ** يُجَنِّبُنِيْ مُوْجِبَاتِ سَقَرْ
وَصَلِّ إِلَهِيْ وَسَلِّمْ سَلاماً ** عَلَى أَفْضَلِ الْخَلْقِ طه الأَغَرّْ
وَآلٍ وَصَحْبٍ وَأَهْلِ صَلاحٍ ** سَلامٌ عَلَيْهِمْ بِبَحْرٍ وَبَرّْ

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ** حتى عصى ربه في شهر شعبان

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ** حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما ** فلا تُصَيِّرَه أيضا شهر عصيان

واتل القرءان وسبح فيه مجتهدا ** فإنه شهر تسبيح وقرءان

فاحمل على جسد ترجو النجاة له ** فسوف تضرَم أجساد بنيران

كم كنت تعرف ممن صام في سلف ** من بين أهل وجيران وإخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ** حيا فما أقرب القاصي من الداني

ومعجب بثياب العيد يقطعها ** فأصبحت في غد أثواب أكفان

حتى متى يعمر الانسان مسكنه ** مصير مسكنه قبر انسان

قل لأهل الذنوب والآثام***قابلوا بالمَتاب شهرَ الصيامِ

إنه في الشهور شهرٌ عظيم***واجبٌ حقُّه أكيدُ الزِّمامِ

وأقلوا الكلامَ فيه نهارا***واقطعوا ليلَه بطول القيامِ

التمِس فيه ليلة القدر واترُك***إلتماسًا لها لذيذَ المَنامِ

ربِّ أمِتني على اعتقاد جميل***واتّباعٍ لملّة الاسلامِ

: وقال آخر

ألا باكٍ على أيّامٍ تَقضَّت*** بلا عملٍ ولا قولٍ مُصيبِ
ألا باكٍ على أمـدٍ بعيـد*** يُؤدِّيه إلى أجل قـريبِ

وشهرُ الصوم شاهِدُه علينا*** بأعمالِ القبائح والذنوبِ
اللهم ربِّ لا تجعلهُ صوماً*** يُصيِّرُنا إلى نار اللهيبِ

: وقال آخر

سأصرفُ هِمّتي بـالكُلِّ عمّا***نهاني اللهُ مِن أمْرِ

المُزاحِ

إلى شهر الخضوع مع الخشوع***إلى شهر العفاف مع

الصلاحِ

يُجازَى الصائمون إذا استقاموا***بِدار الخُلد و الحور المِلاحِ

فيا أحبابنا اجتهدوا وجِدُّوا***لهذا الشهر من قبل الرَّواحِ

عسى الرحمنُ أن يمحُو ذنوبي***ويغفرَ زلّتي قبل افتضاحي

: وقال آخر

الصـومُ جُنَّةُ أقـوام مـن النـار*** والصوم حصنٌ لمن يخشى من النارِ

والصومُ سِترٌ لأهل الخير كُـلِّهمُ*** الـخـائـفـيـن مـن الأوزار والـعـارِ

فأصبحُوا في جنان الخُلد قد نزلوا*** مـن بـيـن حُـورٍ وأشـجارٍ وأنـهـارِ

من يرد ملك الجنان ... فليدع عنه التواني
وليقم في ظلمة الليل ... إلى نور القرآن
وليصل صوما بصوم ... إن هذا العيش فاني
إنما العيش جوار الله ... في دار الأمان

________________________--

أهل الخصوص من الصوام صومهم ... صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الإنس صومهم ... صون القلوب عن الأغيار

____

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظمأ ... فإن قلت إني صمت يومي صمت

شهر الصيام

شهر الصيام، لقد كرمت نزيلاً =وشفيت من كل القلوب عليلاً

فيه الجنان تفتّحت لقدومه =والحور فيه تزينت تحفيلاً

وبليلة قد قام يختم ورده =متبتلاً لإلهه تبتيلاً

فأجهد، عساك تنالها فيما بقى =بالجد، وأحذر أنْ تكون غفولاً

* * * * *

شهر الأمانة والصيانة والتقى =والفوز فيه لمن أراد قبولاً

طوبى لعبد صح فيه صيامه =ودعا المهيمن بكرة وأصيلاً

شهر يفوز على الشهور بليلة =من ألف شهر فضلت تفضيلاً

الفهرس

المحتويات